

اليمن في تاريخ أبي ظرورة

محمد حسين الفرح

إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء



وقف لله تعالى

نبذة عن المؤلف:

محمد حسين الفرخ (١٩٥٤-٢٠٠٥م) هو "محمد بن حسين بن محمد بن قائد بن سعد بن محسن بن محمد بن محمد بن محسن بن عبد الله بن حسين بن أحمد بن علي الفرخ".



محمد حسين الفرخ من آل الفرخ بقرية الأجلب منطقة عمار بمحافظة إب. أنهى دراسته الثانوية بصنعاء عام ١٩٧٦م وتخرج من جامعة صنعاء كلية الشريعة والقانون بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف في مايو ١٩٨١م. تولى منصب مدير عام التعاونيات والجمعيات بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل من عام ١٩٧٧-١٩٨٦م، ثم مدير عام الوحدات الإدارية والعمل الشعبي برئاسة الوزراء إلى عام ١٩٩٣م ورئاسة الفريق الفني باللجنة العليا للانتخابات عام ٩٢-٩٣م وعام ١٩٩٧م. ثم عين (مستشاراً للجنة العليا للانتخابات بدرجة وزير) بموجب القرار الجمهوري رقم ٢٨٣ في ٨/٨/١٩٩٩م. حصل على وسام التعاون من رئيس الجمهورية العربية اليمنية في ١/١/١٩٧٩م وحصل على وسام المؤرخ العربي من (اتحاد المؤرخين العرب) في ٢٣/فبراير/١٩٨٧م. قام بنشر الكثير من المقالات والدراسات الأدبية والتاريخية في الصحف والمجلات اليمنية والعربية منذ عام ١٩٨١م.

اليمن في تاريخ ابن خلدون

المستقى

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر
ومن عناصرهم من ذوي السلطان الأكبر

للمؤرخ العلامة عبد الرحمن ابن خلدون
المتوفى عام ٨٠٨ هجرية ١٤٠٦ ميلادية

تبيين وتعليق:

محمد حسين الفرج
عضو اتحاد المؤرخين العرب

إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء



١٤٢٥هـ - 2004 م

لوحة الغلاف: للفنان هاني الأغبري

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء
(٢٠٠١ / ١٢٥)

الناشر

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء - ص.ب. (36) - (237)

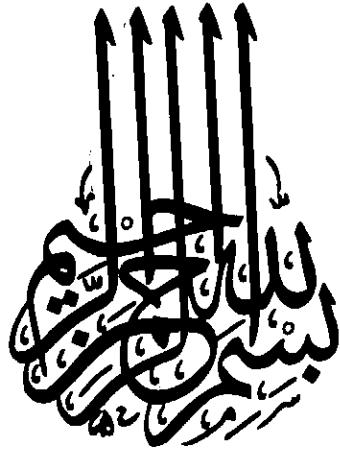
هاتف: 235114 - فاكس: 235113

بريد الكتروني: moc@y.net.ye

من بهاء صنعاء... وجليات عبقتها.. في عام تتويجها عاصمةً
للثقافة العربية.. يأتي هذا الاحتفاء بمجد الكلمة.. وجمال أنوارها.
في بدء الوعي الإنساني كانت الكلمة..
وعلى رأس فعاليات هذا العام الاستثنائي تأتي هذه الإصدارات..
حدثاً يتوج صنعاء فضاءً شاسعاً للثقافة والتاريخ والجمال
والخصوصية.

خالد عبد الله الرويشان

وزير الثقافة والسياحة



مقدمة

منذ سنوات مضت إزداد اهتمامي بكتاب تاريخ ابن خلدون المُسمى (كتاب العبر وديوان المبتداء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) وهو كتاب جليلُ القدر عظيم الفائدة لا يضاهيه في كتب التاريخ أي كتاب، ويقع في سبعة أجزاء مجلدات، أولها (المقدمة) والأجزاء الستة التالية هي (التاريخ)، ولكن شهرة (المقدمة) طغت على (التاريخ) حتى ليظنُّ كثيرٌ من الناس أن كتاب ابن خلدون هو (المقدمة) يجهلون أن (المقدمة) إنما هي مقدمة كتاب التاريخ الذي أمضى ابن خلدون في تأليفه زهاء نصف عمره بعد أن كتب المقدمة، وكان من آخر ما كتبه عن اليمن فصلاً عن (دولة بني رسول الملوك باليمن) وصولاً إلى (الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس) الذي تولى الحكم سنة ٧٧٨هـ (١٣٧٦م) حيث اختتم ذكره قائلاً: «وهو صاحب اليمن لهذا العهد سنة ٧٩٦هـ والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين». وقد توفي ابن خلدون - رحمه الله - سنة ٨٠٨هـ (١٤٠٦م) ولكنه ترك علماً وتاريخاً استحق به الخلود في أعلى مراتب العلماء المؤرخين ومؤسسي علم الاجتماع والفلاسفة عبر تاريخ الإنسانية.

لقد أعطى ابن خلدون اهتماماً خاصاً لتاريخ اليمن واليمانيين منذ أقدم الأزمنة والعصور التي ليس إلى معرفة ما قبلها سبيل وهي عصور (الطبقة الأولى من العرب العاربة) التي استهل ذكر تاريخها قائلاً: «هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح، وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وأثاراً في الأرض، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع إطلاعنا عليها لتطاول الاحقاب ودروسها، إلا ما يقصّه علينا الكتاب ويؤثرُ عن الأنبياء بوحي الله إليهم... وسُمِّي أهل هذا الجيل العرب العاربة: إما بمعنى الرساخة في العروبية كما يقال ليلٌ أليلٌ وصوم صائم، أو بمعنى الفاعلة للعروبية والامتدعة لها، بما كانت أول أجيالها». فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن بداية تاريخ وحضارة تلك الطبقة بزعامة (عاد الأولى) ثم الطبقة الثانية بزعامة (بني قحطان) يعود إلى حوالي عام

٥٠٠ قبل الميلاد وأن ابن خلدون كتب عن معالم تاريخ اليمن إلى عهد الملك الأشرف بن الأفضل الذي حكم إلى عام ٨٠٣هـ الموافق ١٤٠٠ ميلادية، يتبين أنه أرخ لليمن واليمنيين على امتداد نحو ستة آلاف وأربعمائة سنة، وليس هناك مؤرخ من قبل ولا من بعد استقصى معالم تاريخ وملوك ودول وقبائل اليمن عبر كل تلك الأزمنة والعصور وبما أن ذلك جاء متفرقاً في فصول وأجزاء الكتاب، ومتداخلاً مع أخبار أخرى في كثير من الأحيان ومستوجباً للتجميع وللتبيين والتحقيق والتعليق الذي تكتمل به المعرفة، فقد استلزم مني هذا الكتاب - أعني (اليمن في تاريخ ابن خلدون) - جهد سنوات من البحث والتحقيق في مئات المصادر والمراجع بحيث تكاملت - من خلال التبيين والتعليق في الهوامش - معالم تاريخ اليمن واليمنيين والدور المجيد لهذا الوطن والشعب وإسهامه الوافر في تاريخ وحضارة وأمجاد أمته العربية ووطنه العربي وعالمه الإسلامي وفي المسيرة الحضارية للجنس البشري.

لقد تظافر جهد ابن خلدون العظيم في تسجيل ذلك التاريخ، وجُهدِي بتجميعه وتبيينه في هذا الكتاب، مع جهد واهتمام الأخ الأستاذ خالد بن عبد الله الرويشان بطبع الكتاب فله جزيل الشكر والثناء الخالد.

والله الموفق

محمد حسين الفرح
صنعاء - سبتمبر ٢٠٠٠م

الطبقة الأولى من العرب وهم العرب العاربة وذكر نسبهم والإمام بملكهم ودولهم على الجملة

هذه الأمة^[٢] أقدم الأمم من بعد قوم نوح، وأعظمهم قدرة، وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض، وأول أجيال العرب من الخليفة فيما سمعناه لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع اطلاعنا عليها لتناول الأحقاب ودروسها إلا ما يقصه علينا الكتاب، ويؤثر عن الأنبياء بوحى الله إليهم.

وما سوى ذلك من الأخبار الأزلية فمتقطع الإسناد، ولذلك كان المعتمد عند الإثبات في أخبارهم ما تنطق به آيات القرآن في قصص الأنبياء الأقدمين أو ما ينقله زعماء المفسرين في تفسيرها من أخبارهم وذكر دولهم وحروبهم، ينقلون ذلك عن السلف من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أو سمعوه ممن هاجر إلى الإسلام من أخبار اليهود وعلماهم أهل التوراة أقدم الصحف المنزلة فيما علمناه، وما سوى ذلك من حطام المفسرين وأساطير القصص وكتب بدء الخليفة فلا نعول على شيء منه وإن وجد لمشاهير العلماء تأليف مثل كتاب الياقوتية للطبري والبدء للكسائي، فإنما نحوا فيه منحى القصاص وجدوا على أساليبهم ولم يلتزموا فيها الصحة ولا ضمنوا لنا الوثوق بها، فلا ينبغي التعويل عليها وتترك شأنها. وأخبار هذا الجيل من العرب^(٢) وإن لم يقع لها ذكر في التوراة إلا أن بني إسرائيل من بين أهل الكتاب أقرب إليهم عصراً وأوعى لأخبارهم، فلذلك يعتمد نقل المهاجرة منهم لأخبار هذا الجيل.

ثم إن هذه الأمم^(٢) على ما نقل، كان لهم ملوك ودول، فملكوا^[٣] جزيرة

[١] - من ص ١٨ ج ٢ تاريخ ابن خلدون - طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

[٢] - أي الطبقة الأولى من العرب العاربة.

[٣] - في الأصل: «فملوك جزيرة العرب» والصواب: «فملكوا جزيرة العرب».

العرب وهي الأرض التي أحاط بها بحر الهند من جنوبها وخليج الحبشة: من غربها وخليج فارس من شرقها، وفيها اليمن والحجاز والشحر وحضرموت، وامتد ملكهم فيها إلى الشام ومصر في شعوب منهم على ما نذكر، ويقال إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام، فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام حسبما نذكره إلى أن غلب عليهم يعرب بن قحطان^[٤].

وهؤلاء العرب العاربة شعوب كثيرة منهم عاد وثمود وطسم وجديس، والعمالقة واميم وعييل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضورا والسلفات^[٥].

وسمي أهل هذا الجيل العرب العاربة: إما بمعنى الرساخة في العروبية كما يقال: ليل أليل وصوم صائم، أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها، بما كانت أول أجيالها. وقد تُسمى البائدة أيضاً بمعنى الهالكة لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم.

فأما عاد: - وهم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام، فكانت مواطنهم الأولى بأحقاف الرمل (من اليمن) بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر^[٦].

وكان أبوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده. وفي التواريخ أنه وُلد له أربعة آلاف ولد ذكر لصلبه وتزوج ألف امرأة وعاش ألف سنة ومائتي سنة^[٧].

[٤] - في الأصل: «بنو يعرب بن قحطان».

[٥] - في الأصل: «شعوب كثيرة هم عاد... الخ» ويدل السياق على أن الصواب «منهم عاد... الخ».

[٦] - بنو عاد بن عوص هم عاد الأولى (قبيلة عاد). قال ابن كثير «كانت قبيلة عاد تسكن الأحقاف وهي جبال الرمل باليمن بين عمان وحضرموت في أرض يقال لها الشحر» [ص ١٢٠ ج ١/ البداية والنهاية]. وقال ابن خلدون في موضع آخر إن (بلاد الشحر كانت قديماً لعاد، وسكنها بعدهم مهرة... وتسمى الشحر أيضاً بلاد مهرة ومنها ظفار... وفي شرقها بلاد عمان» (اه). فالأحقاف هي الشحر والمهرة وظفار شرق حضرموت.

[٧] - لم يميز المؤرخون والمفسرون الذين نقل عنهم ابن خلدون بين عاد الأولى وعاد الثانية فوق خلط كبير، وقد أشار ابن كثير في أنباء عاد إلى ذلك حيث قال «الظاهر أن عاداً هذه هي عاد الأولى فإن سياقها شبيه بسياق قوم هود وهم عاد الأولى. ويحتمل أن يكون المذكورون في هذه القصة هم عاد الثانية» [ص ١٢٨ ج ١]. وعاد الأولى هي قبيلة عاد التي كانت تسكن الأحقاف وكان هلاكهم بعد تكذيبهم بالنبي هود كما هو مذكور في القرآن وذلك قبل ثمود بزمان طويل، ولم تكن عاد الأولى مملكة ولا كان لها ملوك.

قال البيهقي: عاش عاد ثلاثمائة سنة، وملك بعده بنوه الثلاثة شديد وبعده شداد وبعده إرم. وذكر المسعودي أن الذي ملك بعد عاد وشديد (شداد بن عاد) منهم هو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق [٨].

وقال الزمخشري: إن شداد بن عاد هو الذي بنى مدينة إرم في صحارى عدن وشيدها بصخور الذهب وأساطين الياقوت والزبرجد، يحاكي بها الجنة لما سمع وصفها طغياناً منه وعتوّاً، ويقال إن باني إرم هذه هو إرم بن عاد. وذكر ابن سعيد عن البيهقي أن باني إرم هذه هو إرم بن شداد بن عاد [٩]. والصحيح أنه ليس هناك مدينة اسمها إرم، وإنما هذا من خرافات القصاص وإنما ينقله ضعفاء المفسرين، وإرم المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِرمَ ذاتَ العمادِ﴾ القبيلة لا البلد [١٠].

[٨] - ملوك عاد المذكورون هنا هم (عاد الثانية) وأشهرهم (شداد بن عاد) وهو كما في كتاب الإكليل للهمداني «شداد بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس» وهو الذي «سار من اليمن في عسكر كثيف إلى العراق ومشارقتها والشام وغيرها» [ص ١٨٣ ج ٨/ الإكليل] وكان والده الملك عاد (شمس عاد) من عظماء الملوك وعاصر حمورابي ملك بابل (١٧٩٢ - ١٧٤٩ ق.م).

[٩] - يتفق أغلب العلماء والمؤرخين والمفسرين الأوائل على أن الملك شداد بن عاد هو الذي بنى مدينة إرم ذات العماد، وقد ذكر ذلك ابن خلدون في المقدمة (ص ١٤) ومعظم كتب التاريخ.

[١٠] - القول بأن (إرم اسم القبيلة لا البلد) هو أحد قولين ذهب إليهما بعض المفسرين بسبب الظن بأن عاد أصحاب إرم ذات العماد هم قبيلة عاد الأولى بالأحقاف. وقد ذكر المؤرخ نشوان بن سعيد الحميري في كتاب شمس العلوم ذلك القول كما يلي «وقيل إرم اسم القبيلة، ومعنى ذات العماد أي ذات عمود لا يقيمون بل ينتجعون في طلب الكلاء» [ص ٢ - منتخب شمس العلوم] وهو تفسير يتناسب مع واقع قبيلة عاد الأولى بالأحقاف في الزمن الأقدم حيث كانوا يعيشون حياة الرعي وتربية الماشية. أما القول والتفسير الصحيح فقد ذكره نشوان الحميري كما يلي «إرم مدينة عظيمة وهي بتيه أبين باليمن وكان بها من أعمدة البناء ما ليس في غيرها» [اهـ] وكذلك ما نقله ابن خلدون في المقدمة عن عدد من العلماء والمفسرين الأوائل بأن «مدينة إرم ذات العماد مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من الزبرجد والياقوت، بناها الملك شداد بن عاد في صحارى عدن، وأن العماد هي الأساطين» [ص ١٤ مقدمة ابن خلدون] فكان في عصر عاد الثانية وهم ملوك اليمن من بني شمس «عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس» وامتد سلطانهم إلى الشام وغيرها. وكانت مدينة إرم عاصمة اليمن في عصرهم وكان موقعها في تيه عدن أبين وصحارى عدن حالياً. ويدل كلام ابن خلدون في المقدمة أنه إنما أنكر قول بعض المفسرين والقصاصين أنها ما تزال موجودة كما هي حيث قال: «... لو قالوا إنها =

وذكر المسعودي: إن ملك عوص كان ثلثمائة سنة، وإن الذي ملك بعده ابنه عاد، وإن جيرون بن سعد بن عاد كان من ملوكهم وإنه الذي اختط دمشق ومصرها وجمع عمد الرخام والمرمر إليها وسماها إرم^[١١]. ومن أبواب مدينة دمشق إلى هذا العهد باب جيرون، وذكره الشعراء في معاهدها، قال الشاعر:

النخل فالقصر فالحماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون
وهذا البيت في الصوت الأول من كتاب الأغاني.

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق: جيرون ويزيد أخوان هما ابنا سعد بن لقمان بن عاد وبهما عُرف باب جيرون ونهر يزيد (بدمشق)^[١١]. والصحيح أن باب جيرون إنما سُمي باسم مولى من موالي سليمان عليه السلام في دولة بني إسرائيل (اسمه) جيرون كان ظاهراً في دولتهم^[١٢]. وذكر ابن سعيد في أخبار القبط: إن شداد بن بداد بن هداد بن شداد بن عاد حارب بعضاً من القبط وغلب على أسافل مصر ونزل الاسكندرية وبنى بها حينئذٍ مدينة مذكورة في التوراة يقال لها أون ثم هلك في حروبهم، وجمع القبط إخوتهم من البربر والسودان وأخرجوا العرب من مصر^[١٣].

ثم لما اتصل ملك عاد وعظم طغيانهم وعتوهم انتحلوا عبادة الأصنام والأوثان من الحجارة والخشب، ويقال إن ذلك لانتحالهم دين الصابئة فبعث الله إليهم أخاهم هوداً^[١٤] وهو فيما ذكر المسعودي والطبري (هود بن عبد الله بن

= درست فيما درس من آثار لكان أشبه، إلا أن ظاهر كلامهم أنها موجودة في صحارى عدن» [ص ١٤] والصواب أنها اندرست.

[١١] - أصل هذا القول أن عاد الثانية ملكوا دمشق والشام وأن جيرون بن لقمان بن عاد اختط دمشق وكان اسمها (دمشكى) وليس (إرم) وذلك في القرن الثامن عشر قبل الميلاد (عصر الأموريين) كما تؤكد النقوش.

[١٢] - كان زمن سليمان بعد لقمان بن عاد وجيرون بألف سنة ولم يملك دمشق، وإنما زعم ذلك بعض القصاصين اليهود.

[١٣] - في الإكليل أن الذي سار من الشام إلى مصر هو الملك شداد بن عاد بن الملطاط فامتلكها وعاد من مصر إلى اليمن [ص ١٨٣ ج ٨] فدخلت مصر تحت حكم العرب - قوم الملك شداد بن عاد - وهم المذكورون في دراسات وكتب تاريخ مصر القديمة باسم الهكسوس وحكموا مصر من عام ١٧٦٠ ق.م إلى ١٥٧٥ ق.م. فيكون شداد بن بداد المذكور في نص ابن خلدون ملك آخر، في عهده انتهى حكم الهكسوس لمصر عام ١٥٧٥ ق.م.

[١٤] - هنا رجع ابن خلدون إلى قبيلة عاد الأولى بالأحقاف.

رباح بن الخلود بن عاد) وفي كتاب البدء لابن حبيب (هود بن عبد الله) بن رباح بن حرب بن عاد، وبعضهم يقول: هود بن عابر بن شالح بن أرفخشذ.

فوعظهم (النبي هود) وكان ملوكهم لعهد الخلجان ولقمان بن عاد بن عاديا بن صدا بن عاد، فأمن لقمان وقومه^[١٥] وكفر الخلجان وامتنع هود بعشيرته من عاد وحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين وبعثوا الوفود من قومهم إلى مكة يستسقون لهم، وكان في الوفد على ما قاله الطبري نعيم بن هزال بن هزيل بن عبيل بن صدا بن عاد، وقيل ابن عنز منهم، وحلقمة بن الخسري ومرثد بن سعد بن عنز وكان ممن آمن بهود واتبعه، وكان بمكة من عاد هؤلاء معاوية بن بكر وقومه. وكانت هزيمة أخت معاوية عند نعيم بن هزال وولدت له عبيداً وعمراً وعامر، فلما وصل الوفد إلى مكة مروا بمعاوية بن بكر وابنه بكر ونزل الوفد عليه، ثم تبعهم لقمان بن عاد^(١٥) وأقاموا عند معاوية وقومه شهراً لما بينهم من الخؤولة ومكثوا يشربون وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وابنه بكر ثم عنتاهم شعراً تذكرهم بأمرهم فانبعثوا ومضوا إلى الاستسقاء^[١٦] وتخلف عنهم لقمان بن عاد ومرثد بن سعد، فدعوا في استسقاؤهم وتضرعوا وأنشأ الله السحب ونودي بهم أن اختاروا فاختاروا سوداء من السحب وانذروا بعذابها فمضت إلى قومهم، وهلكوا كما قصه القرآن. وفي خبر الطبري: أن الوفد لما رجعوا إلى معاوية بن بكر لقيهم خبر مهلك قومهم هنالك وأن هوداً بساحل البحر وأن الخلجان ملكهم قد هلك بالريح فيمن هلك وأن الريح كانت تدخل تحت الرحل فتحمله حتى تقطعوا في الجبال وتقلع الشجر وترفع البيوت حتى هلكوا أجمعون. انتهى كلام الطبري.

ثم ملك لقمان ورهطه من قوم عاد واتصل لهم الملك فيما يقال ألف سنة أو يزيد وانتقل ملكه إلى ولده لقمان^[١٧].

[١٥] - ليس لقمان بن عاد من عاد الأولى وإنما هو الملك لقمان بن عاد بن الملطاط، ولا علاقة له بما ورد هنا.

[١٦] - في كتاب البداية والنهاية أن قصة الاستسقاء بمكة قد تكون في هلاك عاد الثانية وهو الأصوب.

[١٧] - كانت ملوكية لقمان بن عاد ورهطه بعد هلاك قبيلة عاد الأولى بالأحقاف بزمن طويل حيث:

أ - بعد هلاك عاد الأولى عاش ومات النبي هود عليه السلام في أعالي وادي حضرموت حيث ما يزال قبره معروفاً بناحية السوم من مديرية سيئون. وتناسل من أبناء قحطان بن هود =

وذكر البخاري في تاريخه أن الذي كان يأخذ كل سفينة غضباً هو (الملك) هدد بن بدد بن الخلجان بن عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر وأن المدينة بساحل برقة (انتهى).

ولم يزل مُلكهم متصلًا إلى أن غلبهم عليه يعرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضرموت إلى أن انقرضوا. وقال صاحب زجارج: إن ملكهم عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر هو الذي حارب يعرب بن قحطان وكان كافراً يعبد القمر وإنه كان على عهد نوح، وهذا بعيد لأن بعثة هود كانت عند استفحال دولتهم أو عند مبتدئها، وغلب يعرب كان عند انقراضها^(١٧) وكذلك هدد الذي ذكر البخاري أنه مَلَكُ برقة إنما هو حافد الخلجان الذي اعتصم آخرهم بجبل حضرموت، وخبر البخاري مقدّم.

وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني: وكان من ملوك عاد (الملك) يعمر بن شداد و(الملك) عبد أبهر بن معد يكرب بن شمد بن شداد بن عاد، و(الملك) حناد بن مياد بن شمد بن شداد، وملوك آخرون^[١٨] أبادهم الله، والبقاء لله وحده.

= عليه السلام عشائر وقبائل قحطان فانتشروا في أرجاء اليمن مع من كان في اليمن من قبائل الطبقة الأولى من العرب العاربة ثم - وكما ذكر ابن خلدون - «استجد بنو قحطان خلق الدولة وكان يعرب بن قحطان - (أول ملوكهم) - من عظماء الملوك» ثم تواصلت العصور إلى ملوكية سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان (حوالي عام ٣٥٠٠ ق.م). ثم إلى ملوكية سبأ عبد شمس معاصر النبي إبراهيم، وكان زمن سبأ عبد شمس في ح/ عام ٢١٠٠ ق.م. كما سيأتي في حديث ابن خلدون عنهم بالفصل الثاني.

ب - إن الملك لقمان بن عاد هو ثالث ملوك عاد الثانية، وكان أولهم الملك عاد (شمس عاد) بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس - كما في الإكليل - ثم الملك شداد بن عاد بن الملطاط وهو الذي قام ببناء مدينة إرم ذات العماد، وكان زمن ملوكية شداد بن عاد في الفترة (١٧٨٠ ق.م - ١٧٤١ ق.م) وامتدت ملوكيته إلى أشور بالعراق وإلى الشام ومصر. ثم تولى الملوكية لقمان بن عاد بن الملطاط وكان من عظماء الملوك. وقيل إنه «كان لقمان بن عاد بن الملطاط نبياً غير مرسل» وأبناء عهده في الإكليل (ص ١٨٥ ج ٨) وحكم إلى ح/ عام ١٧٠٠ ق.م.

[١٨] - هؤلاء من ملوك عاد الثانية بعد الملك لقمان بن عاد بن الملطاط وكان من آخرهم (عبد أبهر بن معد يكرب بن شمد بن شداد بن عاد) ثم الملك (إلى شدد) فانقسمت الدولة في عهده (ح/ عام ١٥٠٠ ق.م) إلى قيام دولة التبابعة بزعامة الحارث الرائس (ح/ عام ١٤٧٠ ق.م) كما سيأتي تبين ابن خلدون لذلك في الفصل الثالث.

فأما عبيل [١٩٩] وهم إخوان عاد بن عوص فيما قاله الكلبي، وإخوان عوص بن إرم فيما قاله الطبري [٢٠٠].

وكانت ديارهم بالحجفة بين مكة والمدينة [٢١١] وأهلكهم السيل. وكان الذي اختط يثرب منهم، هكذا قال المسعودي، وقال هو يثرب بن بائلة بن مهلهل بن عبيل [٢٢٢].

وقال السهيلي إن الذي اختط يثرب من العماليق وهو يثرب بن مهلايل بن عوص بن عمليق [٢٢٢].

وأما عبد ضخم بن إرم [٢٢٣]

فقال الطبري: كانوا يسكنون الطائف وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجيل، وقال غيره: إنهم أول من كتب بالخط العربي [٢٢٤].

وأما ثمود: - وهم بنو ثمود بن كائر بن إرم، فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام [٢٢٥].

[١٩٩] - يواصل ابن خلدون هنا ذكر الطبقة الأولى من العرب العاربة والتي تسمى أيضاً البائدة حيث انتهى من الحديث عن عاد، ثم قال هنا «فأما عبيل» وهم إحدى قبائل الطبقة الأولى.

[٢٠٠] - جاء في سفر التكوين بالتوراة أن يقطان - وهو قحطان - أنجب ١٣ ولداً انحدرت منهم ١٣ قبيلة قحطانية منهم «عويال بن قحطان» ولا شك أنهم «عبيل» فتكون عبيل قحطانية.

[٢١١] - وذلك بعد انتقالهم من اليمن مع العمالق وعبد ضخم وغيرهم من قبائل الطبقة الأولى الذين انتقلوا من اليمن في عهد يعرب بن قحطان أو عهد سبأ الأكبر بن يشجب، فسكنت عبيل ما بين مكة والمدينة حتى هلاكهم في الزمن الأقدم.

[٢٢٢] - هلكت قبيلة يثرب فيمن هلك من القبائل القديمة، أما مدينة يثرب فكان تشييدها بعد ذلك بزمان طويل في عهد (أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ) بالقرن السابع قبل الميلاد.

وجاء ذكر يثرب بلفظ (يثربو) في وثائق بابلية عن أحداث عهد (نبوخذ نصر ملك بابل) بالقرن السادس قبل الميلاد.

[٢٢٣] - وهم من قبائل الطبقة الأولى الذين انتقلوا من اليمن واستقروا بمنطقة الطائف، وربما امتدت مواطنهم إلى منطقة الخليج على طريق التجارة اليمنية إلى بلاد بابل.

[٢٢٤] - قد يكون المقصود بالخط العربي هنا الكتابة بالعلامات السامرية أو الحروف الأرامية التي تم اشتقاقها من حروف المسند اليمنية وهي خطوط عربية قديمة.

[٢٢٥] - كانت قبيلة ثمود وديارهم - في الأصل - باليمن، وذلك في أعالي حضرموت وما تزال منطقتهم تحمل اسم ثمود حتى اليوم (مديرية ثمود بمحافظة حضرموت) وكذلك فإن وادي حجر بحضرموت ما يزال اسمه (حجر) حتى اليوم. . . وكان انتقال قبيلة ثمود - أو فرقة منهم

- إلى وادي القرى بأعالي الحجاز في عهد ويتوجيه الملك هميسع بن حمير الأكبر بن سبأ الأكبر ملك اليمن، فوجههم الهميسع ليستقروا هناك كمستوطنات تجارية يمنية على طريق =

وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال، ويقال لأن أعمارهم كانت تطول فيأتي البلاء والخراب على بيوتهم، ففتحوها لذلك في الصخر وهي لهذا العهد [٢٦] وقد مرّ بها النبي ﷺ في غزوة تبوك ونهى عن دخولها كما في الصحيح، وفيه إشارة إلى أنها بيوت ثمود أهل ذلك الجيل [٢٧]. ويشهد ذلك ببطلان ما يذهب إليه القصاص ووقع مثله للمسعودي من أن أهل تلك الأجيال كانت أجسامهم مفرطة في الطول والعظم، وهذه البيوت المشاهدة المنسوبة إليهم بكلام الصادق صلوات الله عليه تشهد بأنهم في طولهم وعظم حجراتهم مثلنا سواء، فلا أقدم من عاد وأهل أجيالهم فيما بلغنا [٢٨].

ويقال إن أول ملوكهم كان عابر بن إرم بن ثمود (بن كاثر بن إرم) ملك عليهم مائتي سنة، ثم كان من بعده جندع بن عمرو بن الديبل بن إرم بن ثمود (بن كاثر بن إرم) ويقال ملك نحواً من ثلاثمائة سنة [٢٩]. وفي أيامه كانت بعثة صالح عليه السلام وهو صالح بن عييل بن اسف بن شالخ بن عييل بن كاثر بن ثمود.

وكانوا أهل كفر وبغي وعبادة أوثان، فدعاهم صالح إلى دين التوحيد، قال الطبري فلما جاءهم بذلك كفروا وطلبوا الآيات فخرج بهم إلى هضبة من الأرض فتمخضت عن الناقة ونهاهم أن يتعرضوا لها بعقر أو هلكه، وأخبرهم مع ذلك أنهم

= التجارة والقوافل التجارية بين اليمن والشام ومصر وكهمزة وصل للنشاط التجاري. وقد ذكر نشوان الحميري توجيه الملك هميسع إياهم إلى منطقة مدين ووادي القرى بين الحجاز والشام فاستقروا بها وامتلكوها.

[٢٦] - وهي التي تسمى إلى اليوم (مدائن صالح) في وادي القرى بأعالي الحجاز ولكن زمنها متأخر جداً عن زمن ثمود وصالح، فهي لقبائل يمنية (سبائية/معينية/ونبطية) استقرت بنفس المنطقة بوادي القرى منذ القرن الخامس قبل الميلاد الذي يحدده الدارسون الأثريون زمناً لبداية آثار ونقوش وادي القرى ومنها مدائن صالح، بينما زمن النبي صالح وهلاك ثمود كان قبل زمن النبي إبراهيم بعدة قرون (أي في ح/ عام ٢٥٠٠ ق.م).

[٢٧] - الحديث النبوي المشار إليه هو قول النبي ﷺ «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون أن يصيبكم ما أصابهم» (اه) فنص الحديث لم يذكر أنها مساكن ثمود وإنما الذي روى الحديث قال إنها مساكن ثمود.

[٢٨] - القول بأن أجسامهم مفرطة في الطول والعظم استند إلى حجم قبر النبي صالح في حضرموت وعدة قبور مماثلة في حضرموت والشحر، وقد ذكرها ابن المجاور الدمشقي وقال «ما أظن القوم بهذا الطول ولكن طولوا قبورهم» [ص ٢٥٨ - المستبصر في صفة بلاد اليمن والحجاز] وهو الصواب، أما طولهم وحجمهم فكان مثلنا كما قال ابن خلدون.

[٢٩] - المدة المذكورة (مائتي سنة) أو (ثلاثمائة سنة) هي مدة ملكية ثمود في وادي القرى وليست مدة حكم الملكين.

عاقروها ولا بد، ورأس عليهم قدار بن سالف، وكان صالح وصف لهم عاقر الناقة بصفة قدار هذا، ولما طال النذير عليهم من صالح سئموه وهُمُوا بقتله، وكان يأوي إلى مسجد خارج ملائهم فكمن له رهط منهم تحت صخرة في طريقه ليقتلوه، فانطبقت عليهم وهلكوا، وحنقوا ومضوا إلى الناقة، ورماها قدار بسهم في ضرعها وقتلها، ولجأ فصيلها إلى الجبل فلم يدركوه، وأقبل صالح وقد تخوف عليهم العذاب، فلما رآه الفصيل أقبل إليه ورغاً ثلاث رغاءات، فأنذرهم صالح ثلاثاً. وفي صبح الرابعة صعقوا بصيحة من السماء تقطعت بها قلوبهم فأصبحوا جاثمين وهلكوا جميعهم حيث كانوا من الأرض إلا رجلاً كان في الحرم منعه الله من العذاب، قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: أبو رغال. ويقال إن صالحاً أقام عشرين سنة ينذرهم وتوفي ابن ثمان وخمسين سنة [٣٠].

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ مرّ في غزوة تبوك بقري ثمود فنهى عن استعمال مياههم، وقال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا وأتمم باكون أن يصيبكم ما أصابهم. اهـ كلام الطبري.

[٣٠] - كان النبي ﷺ وهلاك ثمود في عهد ملك اليمن زهير بن أيمن بن الهميسع، وقد ذكر ابن خلدون الملك زهير بأنه «زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سباء - عبد شمس - بن يشجب بن يعرب بن قحطان» [ص ٤٩ ج ٢ - تاريخ ابن خلدون] وسيأتي أن زمن الملك زهير كان حوالي عام ٢٥٥٠ قبل الميلاد. وقد ذكر نشوان الحميري هلاك ثمود في عهد الملك زهير بن أيمن بن الهميسع، فقال في قصيدته عن تاريخ ملوك اليمن في العصور القديمة:

أين الهميسع ثم أيمن بعده وزهير ملك زاهر وضاح
في عصره هلكت ثمود بناقة نالت بها ترحاً من الأتراح
وجاء في الحديث النبوي من «أنبياء العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر» [ص ١٢٠ ج ١/ البداية والنهاية لابن كثير] فقد كان النبي هود عربياً يمينياً وكذلك كان النبي صالح عربياً يمينياً، قال حسان بن ثابت الأنصاري:

فنحن بني قحطان والملك والعلما ومنا نبي الله هود الأخابير
وصالح والمرحوم يونس بعدما آلات به حوت بأخلب زاجر
شعيب وإدريس وذو الكفل كلهم يمانون قد فازوا بطيب السرائر

(ج ١/ الإكليل).

ويستفاد من كتاب شرح قصيدة نشوان الحميري أن الملك زهير بن أيمن بن الهميسع آمن بدين التوحيد الذي دعا إليه النبي صالح، فيكون النبي صالح عاد إلى مكة واليمن بعد هلاك ثمود بوادي القرى وعاش بقية حياته في اليمن. ويؤكد ذلك قبر النبي صالح الذي ما يزال معروفاً ويؤزره الناس في وادي حزموت باليمن حتى اليوم.

وقال الجرجاني: كان من ملوكهم دويان بن يمنع ملك الإسكندرية، وموهب بن مرة بن رحيب وكان عظيم المُلْك وأخوه هو بيل بن مرة^[٣١].

كذلك وفيما ذكره المفسرون أنهم أول من نحت الجبال والصخور، وأنهم بنوا ألفاً وسبعمائة مدينة وفي هذا ما فيه، ثم ذهبوا بما كسبوا ودرجوا في الغابرين وهلكوا.

ويقال إن من بقاياهم أهل الرس الذين كان نبیهم حنظلة بن صفوان، وليس ذلك بصحيح، وأهل الرس هم حضور ويأتي ذكرهم في بني فالخ بن عابر.

وكذلك يزعم بعض النسابة أن ثقيفاً من بقايا ثمود هؤلاء، وهو مردود، وكان الحجاج بن يوسف إذا سمع ذلك يقول كذبوا وقال: والله جلّ من قائل يقول وثمود فما أبقي، أي أهلكهم فما أبقي أحداً منهم.

وأهل التوراة لا يعرفون شيئاً من أخبار عاد ولا ثمود. لأنهم لم يقع لهم ذكر في التوراة، ولا لهود ولا لصالح عليهما السلام بل ولا لأحد من العرب العاربة لأن سياق الأخبار في التوراة عن أولئك الأمم إنما هو لمن كان في عمود النسب ما بين موسى وآدم صلوات الله عليهم، وليس لأحد من آباء هؤلاء الأجيال ذكر في عمود ذلك النسب فلم يذكرها فيها.

وأما جدیس وطسم^[٣٢] فعند ابن الكلبي أن جديساً لإرم بن سام وديارهم اليمامة وهم إخوان لثمود بن كاتر ولذلك ذكرهم بعدهم وأن طسماً للاوذ بن سام وديارهم بالبحرين. وعند الطبري أنهما معاً للاوذ وديارهم باليمامة، ولهذين الاثنين خبر مشهور ينبغي سياقه عند ذكرهم.

قال الطبري عن هشام بن محمد الكلبي بسنده إلى ابن إسحاق وغيره من علماء العرب أن طسماً وجديساً كانوا من ساكني اليمامة^[٣٣] وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيراً وثماراً وحدائق وقصوراً.

[٣١] - لم تمتد ملكية ثمود إلى الإسكندرية ومصر، وإنما عاد الثانية هم الذين ملكوا مصر في العصر المشهور باسم الهكسوس (١٧٦٠ ق.م - ١٥٧٥ ق.م) فقد يكون هؤلاء منهم لا من ثمود. وكان زمن عاد الثانية بعد ثمود كما تقدم التبيين إلا أن يكون وقع التباس بين عاد الثانية وثمود.

[٣٢] - قول ابن خلدون «أما طسم وجديس» أي من قبائل الطبقة الأولى من العرب العاربة أو العرب البائدة.

[٣٣] - كان نطاق وسلطان دولة اليمن في عصور التبابعة يشمل منطقة اليمامة كما تؤكد ذلك نقوش المسند اليمانية ومنها نقوش المسند المعثور عليها في قرى وخرائب اليمامة. [ص ١٦٩ ج ١/المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي].

وكان ملك طسم غشوماً لا ينهاه شيء عن هواه ويقال له عملوق^[٣٤] وكان مصرّ الجديس مستذلاً لهم، حتى كانت البكر من جديس لا تهدي إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها. وكان السبب في ذلك أن امرأة منهم كان اسمها هزيلة طلقها زوجها وأخذ ولده منها فأمر عملوق ببيعها وأخذ زوجها الخمس من ثمنها فقالت شعراً تتظلم منه، فأمر أن لا تزوج منهم امرأة حتى يفترعها، فأقاموا كذلك حتى تزوجت الشموس وهي عفيرة ابنة غفار بن جديس أخت الأسود، فافتضها عملوق، فقال الأسود بن غفار لرؤساء جديس: قد ترون ما نحن فيه من الذل والعار الذي ينبغي للكلاب أن تعافه، فأطيعوني أذعوكم إلى عز الدهر، فقالوا: وما ذلك؟ قال: اصنع للملك وقومه دعوة، فإذا جاؤوا يعني طسماً نهضنا إليهم بأسيانا فتقتلهم، فأجمعوا على ذلك ودفنوا سيوفهم في الرمل، ودعوا عملوقاً وقومه فلما حضروا قتلوهم فأفنوهم، وقتل الأسود عملوقاً، وأفلت رباح بن مرة بن طسم فأتى حسان بن تبع مستغيثاً، فنهض حسان في حمير لإغاثة^[٣٥] حتى كان من اليمامة على ثلاث مراحل، فقال لهم رباح إن لي أختاً مزوجة في جديس اسمها اليمامة ليس على وجه الأرض أبصر منها وإنما لتبصر الراكب على ثلاث مراحل وأخاف أن تنذر القوم. فأمر (حسان) كل رجل أن يقطع شجرة فيجعلها في يده ويسير كأنه خلفها، ففعلوا وبصرت بهم اليمامة، فقالت لجديس: لقد سارت إليكم حمير وإني أرى رجلاً من وراء شجرة بيده كتف يتعرقها أو نعل يخصفها، فاستبعدوا ذلك، ولم يحفلوا به، وصبحهم حسان وجنوده من حمير فأبادهم وخرّب حصونهم وبلادهم، وهرب الأسود بن غفار إلى جبلي طي فأقام بهما^[٣٦].

ودعا تبع باليمامة أخت رباح التي أبصرتهم فقلع عينها. ويقال إنه وجد بها عروفاً سوداء، زعمت أن ذلك من اكتحالها بالأثمد، وكانت تلك البلد تسمى جو فسميت باليمامة اسم تلك المرأة^[٣٧].

[٣٤] - جاء في شرح قصيدة نشوان وكتاب الحور العين أنه كان ملكاً نائباً لملوك اليمن التابعة.

[٣٥] - هو ملك اليمن حسان بن أسعد الحميري، وسوف يأتي ما نقله ابن خلدون عن ذلك الملك لوجود عدة أقوال تتصل بتحديد زمن الملك وزمن تلك الأحداث.

[٣٦] - جبلي طي: هما جبلا أجا وسلمى بنجد في ناحية جبل شمر حالياً.

[٣٧] - كانت اليمامة تسمى (جو) وقال الشاعر الجاهلي أعشى قيس يذكر تكذيب جديس لزرقاء اليمامة: -

فكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل حسان يُزجي البيض والشرعا

فاستنزلوا أهل جو من منازلهم وهدموا شامخ البنيان فاتضعوا

وجاء اسم (جو) في نقوش المسند اليمنية المعينية كاسم لليمامة.

قال أبو فرج الأصفهاني: وكانت طيء تسكن الجوف من أرض اليمن، وهي اليوم محلة مراد وهمدان، وسيدهم يومئذ سامة بن لؤي بن الغوث بن طيء، وكان الوادي مسبعة^[٣٨] وهم قليل عددهم، وكان يجتاز بهم بغير في زمن الخريف ويذهب ثم يجيء من قابل ولا يعرفون مقره، وكانت الأزد قد خرجت أيام سيل العرم، واستوحشت طيء فظعنوا على إثرهم، وقالوا لسامة: هذا البعير إنما يأتي من الريف والخصب لأن في بعره النوى، فلما جاءهم زمن الخريف اتبعوه يسرون لسيره حتى هبط عن الجبلين وهجموا على النخل في الشعاب وعلى المواشي، إذا هم بالأسود بن غفار في بعض تلك الشعاب، فهالهم خلقه وتخوفوه ونزلوا ناحية ونفضوا الطريق فلم يروا أحداً، فأمر سامة ابنه الغوث بقتل الأسود، فجاء إليه فعجب من صغر خلقه، وقال: من أين أقبلتم؟ قال: من اليمن، وأخبره خبر البعير ثم رماه فقتله، وأقامت طيء بالجبلين بعده^[٣٩].

وذكر الطبري عن غير ابن إسحاق أن تبع الذي أوقع بجديس هو والد حسان هذا وهو تبان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب، ويأتي ذكره في ملوك اليمن إن شاء الله تعالى. اهـ كلام الطبري^[٤٠].

وقال غيره: إن حسان بن تبع لما سار بحمير إلى طسم بعث على مقدمته إليهم عبد كلال بن مثوب بن حجر بن ذي رعين من أقيال حمير، فسلك بهم رياح بن مرة الرمل، وكانت الزرقاء أخت رياح ناكحاً في طسم وتسمى عنزة واليمامة، وكانت تبصر على البعد فأثذرتهم فلم يقبلوا، وصبح عبد كلال جديساً إلى آخر القصة^[٤١].

[٣٨] - وكان الوادي مسبعة: أي وادي الجوف الذي كانت تسكنه طيء، وكان مسبعة: أي كثير السباع.

[٣٩] - كان انتقال طيء من اليمن إلى اليمامة وجبلي أجا وسلمى في عصر الدولة المعينية بالقرن الخامس قبل الميلاد - ويستفاد من أصل هذه الرواية أن هلاك جديس كان قبل ذلك، أي في عهد حسان الأول بن أبي كرب أسعد ملك سبأ بالقرن السابع قبل الميلاد كما سيأتي في فصل الملوك التابعة.

[٤٠] - هو «أبو كرب أسعد - الأول - بن ملكي كرب يها من ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانت وأعراب الطود وتهامت» في نقوش المسند، وقد ذكرت نقوش عهده اسم ابنه الملك «حسان يها من» وهو حسان الأول بن أبي كرب أسعد ملك سبأ وكان عهده في أواسط القرن السابع قبل الميلاد.

[٤١] - هذه الرواية عن قيادة عبد كلال بن ذي رعين لجيش حسان تبع، يترتب عليها أن الملك حسان ليس (حسان الأول بن أبي كرب أسعد ملك سبأ) - في القرن السابع قبل الميلاد - وإنما =

وبقيت اليمامة بعد طسم يباباً لا يأكل ثمرها إلا عوافي الطير والسباع حتى نزلها بنو حنيفة، وكانوا بعثوا رائدهم عبيد بن ثعلبة الحنفي يرتاد لهم في البلاد، فلما أكل من ذلك الثمر، قال: إن هذا الطعام، وحجر بعصاء على موضع قصبه اليمامة فسميت حجراً واستوطنها بنو حنيفة وبها صبحهم الإسلام كما يأتي في أخبارهم إن شاء الله تعالى. «انتهى نبأ جدیس وطسم»^[٤٢].

وأما العرب البائدة من بني يقطن (قحطان)^[٤٣]: بن عابر بن شالخن بن إرفخشذ، فهم حضورا وجرهم وحضرموت والسلف.

فأما حضورا: فكانت ديارهم بالرس، وكانوا أهل كفر وعبادة أوثان، وبُعث إليهم نبيٌّ منهم اسمه شعيب بن ذي مهدم، فكذبوه، وهلكوا كما هلك غيرهم من الأمم^[٤٤].

= حسان الثاني ملك الدولة الحميرية وهو «حسان بن غمران» في القرن الخامس بعد الميلاد وكذلك (حسان الثالث بن أسعد الثاني بن حسان بن غمران) لأن عبد كلال بن ذي رعين كان من أقبال وقادة حسان الثاني وأسعد بن حسان في القرن الخامس الميلادي كما سيأتي في أنباء الدولة الحميرية وملوكها بتاريخ ابن خلدون.

[٤٢] - تحدث ابن خلدون - (بعد جدیس وطسم) - عن (العمالقة) باعتبارهم من قبائل «الطبقة الأولى من العرب العاربة» وأنهم كانوا بالحجاز ونجد والبحرين، وليس فيما ذكره ابن خلدون عنهم ما يتصل باليمن سوى قوله «كانت مواطن العمالقة تهامة من أرض الحجاز. . إلى أن كان منهم السמידع بن لاوذ بن عمليق. وفي أيامه خرجت العمالقة من الحرم، أخرجتهم جرهم من قبائل قحطان ففترقوا - بالمدينة وأرض أيلة والشام - قال الطبري «وكانت الفراعنة بمصر منهم وكانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون منهم» وقال ابن خلدون «ومن هؤلاء العمالقة فيما يزعمون فراعنة مصر» ثم ذكر ابن خلدون ما قيل عن ملوكية العمالقة لمصر إلى أن قال «وأما الكنعانيون الذين ذكر الطبري أنهم من العمالقة فهم عند الإسرائيليين من كنعان بن حام وكانوا قد انتشروا ببلاد الشام وملكوها. .» [ص ٢٧ و ٢٨ ج ٢] والصواب الذي تؤكده الدراسات والنقوش أن الكنعانيين من القبائل السامية التي هاجرت من اليمن وكذلك العمالقة وفراعنة مصر، ولكن الموضوع ليس في إطار تاريخ اليمن بكتاب ابن خلدون.

[٤٣] - يقطن - أو يقطان - هو قحطان، وقد ذكر ابن خلدون ذلك في حديثه عن الطبقة الثانية من العرب قائلًا «إن قحطان معرب يقطن وهو الصحيح، وليس بين الناس خلاف في أن قحطان أبو اليمن كلهم» [ص ٤٦ ج ٢]، وإنما جاء اسمه في التوراة بلفظ (يقطن) أو (يقطان) وهو تعجيم قحطان. . وقد جاء في (سفر التكوين) بالتوراة أن يقطان - وهو قحطان - أنجب ١٣ ولداً منهم حضرموت وشالف [وهو: السلف] وهودوم [وهو: حضورا].

[٤٤] - الصواب أن الذين كانت ديارهم بالرس كان المبعوث إليهم حنظلة بن صفوان، والرس في صحراء صيهدهم بفلاة اليمن بالربع الخالي، أما المبعوث إلى حضورا فكان شعيب ذي =

وأما جرهم: - فكانت ديارهم باليمن، وكانوا يتكلمون (بالعربية) [٤٥] وقال البيهقي: إن يعرب بن قحطان لما غلب عاداً على اليمن [٤٦] وملكه من أيديهم، ولّى إخوته على الأقاليم، وولى جرهم (بن قحطان) على الحجاز، وولى بلاد عاد الأولى وهي الشحر عاد بن قحطان فعرفت به [٤٧] وولى عمان بن يقطن (قحطان) على عمان - انتهى كلام البيهقي.

وقيل إنما نزلت جرهم الحجاز ثم بني فطور بن كركر بن عملاق، لفتح أصاب اليمن، فلم يزلوا بمكة إلى أن كان شأن إسماعيل عليه السلام ونبوءته، فأمنوا به وقاموا بأمره وورثوا ولاية البيت عنه حتى غلبتهم عليه خزاعة وكفانة فخرجت جرهم من مكة ورجعوا إلى ديارهم باليمن إلى أن هلكوا [٤٨].

وأما حضرموت [٤٩]: فمعدودون في العرب العاربة لقرب أزمانهم، وليسوا من العرب البائدة لأنهم باقون في الأجيال المتأخرة، إلا أن يُقال إن جمهورهم قد

= مهدم وباسمه سمي جبل شعيب غربي صنعاء (ص ٥٠٥ شرح الدامغة).

[٤٥] - جاء في طبعة مؤسسة الأعلمي لتاريخ ابن خلدون هنا «وكانوا يتكلمون بالعبرية» وهو تصحيف من الشاسخ. فقد ذكر ابن خلدون أن قبائل قحطان ومنهم جرهم كانوا يتكلمون بالعربية كما سيأتي في حديثه عن الطبقة الثانية.

[٤٦] - الأصوب أن يعرب بن قحطان ملك اليمن بعد عاد الأولى بزمن طويل لا أنه تغلب عليهم.

[٤٧] - ليس في أبناء قحطان (عاد بن قحطان) ولعل هذا القول إشارة إلى عاد الثانية. وقد تقدم النبأ اليقين عن عاد الثانية وهم قحطانيون، ولكنهم بعد يعرب بن قحطان بزمن طويل كما تقدم.

[٤٨] - انتقل ابن خلدون بعد هذه الفقرة عن (جرهم) إلى (حضرموت) فتحدث عن حضرموت ثم تحدث عن جرهم في فقرة أخرى بعد حضرموت - كما سيأتي - فالحديث عن جرهم لا يكتمل إلا بالفقرة الثانية كما سيأتي بعد حديثه عن حضرموت.

[٤٩] - تحدث ابن خلدون عن حضرموت في حديثه عن قواعد ومدن اليمن حيث قال عن حضرموت ما يلي نصه: «بلاد حضرموت: قال ابن حوقل: هي في شرقي عدن بقرب البحر ومدنتها صغيرة ولها أعمال عريضة وبينها وبين عدن وعمان من الجهة الأخرى رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وكانت مواطن لعاد وبها قبر هود عليه السلام، وفي وسطها (وسط حضرموت) جبل شبام، وهي (أي حضرموت) في الإقليم الأول، وبعدها عن خط الاستواء اثنتا عشرة درجة، وهي معدودة من اليمن؛ بلا نخل وشجر ومزارع. . . وأكبر مدينة بها الآن قلعة شبام فيها خيل الملك. وكانت (حضرموت) لعاد مع الشحر وعمان، ثم غلبهم عليها بنو يعرب بن قحطان بعد ذلك، وولى (يعرب إخوته) على البلاد، فكانت ولاية حضرموت (بن قحطان) على هذه البلاد وبه سُميت». [انتهى - ص ٢٢٥ ج ٤].

ذهب من بعد عصورهم الأولى واندرجوا في كندة وصاروا من عددهم فهم بهذا الاعتبار قد هلكوا وبادوا والله أعلم [٥٠].

وقال علي بن عبد العزيز (الجرجاني) إنه كان فيهم ملوك كالتبابعة في علو الصيت ونهاية الذكر، قال وذكر جماعة من العلماء أن أول من انبسط ملكه منهم وارتفع ذكره عمرو الأشنب بن ربيعة بن يرام بن حضرموت [٥١].

ثم خلفه ابنه نمر الأزج فملك مائة سنة وقاتل (العمالقة).

ثم ملك كريب ذو كراب .

ثم نمر الأزج، مائة وثلاثاً وثلاثين سنة .

وهلك إخوته في ملكه .

ثم ملك مرثد ذو مروان بن كريب مائة وأربعين سنة وكان يسكن مأرب ثم

تحول إلى حضرموت [٥٢].

[٥٠] - حضرموت طبقتان: الطبقة الأولى القديمة؛ بنو حضرموت بن قحطان وكانوا يسكنون حضرموت مع ثمود والمهرة والسلف وغيرهم من قبائل الطبقة الأولى في الزمن الأقدم - بعد عاد الأولى - وحتى عصر عاد الثانية ومدينة إرم ذات العماد - أي حتى القرن الخامس عشر والقرن الرابع عشر قبل الميلاد - وهم الذين ينطبق عليهم القول بأن حضرموت هلكوا وبادوا. والطبقة الثانية: بنو حضرموت بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر وبه سُميت حضرموت، حيث قال الهمداني في كتاب (صفة جزيرة العرب) ما يلي نصه «حضرموت من اليمن، وهي جزؤه الأصغر، نُسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر - بن سبأ الأصغر -» [ص ١٦٧ - صفة جزيرة العرب] وجاء في كتاب شمس العلوم لنشوان الحميري ما يلي نصه «حضرموت اسم ملك من ملوك حمير وهو حضرموت بن سبأ الأصغر، وباسمه سُمي وادي حضرموت، ومن ولده ملوك حضرموت العباهلة» [ص ٣٧ منتخب شمس العلوم].

[٥١] - من أبناء حضرموت بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر في الإكليل «ربيعة وتريم بن حضرموت» فيكون الأصوب «ربيعة بن تریم بن حضرموت» وكانت ملوكيته في إطار دولة وملوك سبأ التبابعة الحميريين .

[٥٢] - يبدو أن عبارة: «كان يسكن مأرب» تشير إلى عصر انضواً حضرموت في إطار دولة وملوك معين، حيث يتبين من نقوش المسند:

أ - أن حضرموت كانت مشمولة بسطان دولة وملوك سبأ التبابعة الحميريين الذين يحملون في نقوش المسند لقب «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وثمانت» وانتهت تلك الدولة في القرن السادس قبل الميلاد كما سيأتي .

ب - أن حضرموت انضوت في إطار دولة معين بزعامة «اليفع ريام ملك حضرموت ومعين» في القرن الرابع ق.م. واستمر ارتباط حضرموت بدولة وملوك معين حتى القرن الأول ق.م. =

ثم مَلَكَ علقمة ذو قيعان بن مرثد ذي مروان بن كريب بحضرموت ثلاثين سنة [٥٣].

ثم مَلَكَ ذو عيل [٥٤] بن ذي قيعان عشر سنين، وسكن صنعاء، وغزا الصين، فقتل ملكها وأخذ سيفه ذا النور [٥٥].

ثم مَلَكَ ذو غيل بن ذي عيل بحضرموت عشر سنين (٥٥).

ولما شخص سنان ذو الم لغزو الصين [٥٦]، تحول ذو غيل إلى صنعاء واشتدت وطأته، وكان (ذو غيل بن ذي عيل) أول من غزا (الصين) [٥٦] من ملوك اليمن [٥٦] وأول من أدخل الحرير والديباج إلى اليمن.

ثم مَلَكَ بدعات بن ذي عيل بحضرموت أربع سنين.

ثم مَلَكَ بدعيل بن بدعات، وبنى حصوناً وخلف آثاراً.

ثم ملك بديع ذو عيل [٥٧].

= ويذكر د. محمد بافقيه أن ذلك الارتباط كان «في الثلث الأخير من الألف الأول قبل الميلاد» وكان من ملوك ذلك العصر «معد يكرب بن اليفع ريام» و«صادق ايل ملك معين وحضرموت» ثم ابنه «شهر غيلان ملك حضرموت» ثم «السمع بن ملكيكرب».

[٥٣] - يبدو أنه «السمع بن ملكيكرب» آخر ملوك عصر ارتباط حضرموت بمعين، فاسم (كريب) مأخوذ من (ملكي كرب).

[٥٤] - الملك ذو عيل - هنا - هو «يدع إيل ملك حضرموت» وليس ابن ذي قيعان، وإنما هو من ملوك حضرموت العباهلة من سلالة (حضرموت بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر) الذين فيهم قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير:

وعباهل من حضرموت من بني احمساد والإشبأ وآل صباح

وفي عهد (يدع إيل ملك حضرموت) انتهت مملكة قتيان وأحرقت عاصمتها (تمنع) وذلك عام ٩٠ ميلادية - كما في دراسة فون فايسمان - وكان ذلك بالتحالف بين يدع إيل ملك حضرموت والقبيل (ذو معاهر الحميري) مؤسس دولة بني معاهر الحميرية التي بعام قيامها (عام ٧٠ ميلادية) يبدأ التقويم العبلي المعاهري المؤرخة به نقوش بني معاهر وملوك حضرموت.

[٥٥] - الذي امتد سلطانه إلى صنعاء ووقع غزو إلى خارج اليمن في عهده هو «العز/يلط/الأول/بن يدع إيل» ويبدو أنه بنى مدينة أو حصناً في ذات غيل فقيل له (ذو غيل). وقد جاء في الأصل «ذو عيل» وهو تصحيف وكان في أوائل القرن الثاني الميلادي.

[٥٦] - كان الغزو بحراً بقيادة (عميدة يحمى بن معاهر) إلى ساحل بلاد الهند أو الصين غالباً، وهو أول غزو بعد عصور تبابعة سبأ.

[٥٧] - تضطرب الدراسات النقوشية في ترتيب ملوك حضرموت بعد الملك (العز/يلط/الأول -

ذو غيل - بن يدع إيل» وقيل «العز/يلط/الثاني - ذو احماد» وقد ذكر ابن خلدون هنا ثلاثة ملوك: (بدعات) ثم (بدعيل) ثم (بديع). وفي الدراسات النقوشية (علهان) ثم (اب يزع) =

ثم ملك ذي احماذ بن بدعيل بحضرموت فأنشأ حصنه المعقرب، وغزا فارس في عهد سابور ذي الأكتاف وخرن وسبى. ودام ملكه ثمانين سنة، وكان أول من اتخذ الحجاب من ملوك حضرموت^[٥٨].

ثم ملك يشرح ذو الملك بن ودب بن ذي أحماذ بلاد حضرموت مائة سنة، وكان أول من رتب الرواتب وأقام الحرس والروابط، ثم ملك منعم بن ذي الملك دثار بن جذيمة بن منعم، ثم يشرح بن جذيمة بن منعم، ثم نمر بن يشرح، ثم ساجن المسمى بن نمر^[٥٩] وفي أيامه تغلبت الحبشة على اليمن^(٥٩). هذه قبائل هذا الجيل من العرب العاربة^[٦٠] وما كانوا عليه من الكثرة والملك إلى أن انقرضوا وأزال الله من أمرهم بالقحطانية كما نحن ذاكروه، ولم نغفل منهم

= وآخرهم (بديع) يُذكر في قوائم الملوك بأنه (يدع إيل)، وقد دلت نقوش (نصر-يهحمد بن معاهر) أن اسمه (عم ذخر) وهو والد العز يلط الثاني (ذو احماذ).

[٥٨] - ذو احماذ هو «العز/ يلط/ ملك حضرموت/ بن عم ذخر» وهو أعظم وأشهر ملوك حضرموت العباهلة، وكان عهده في الفترة (٢٠٠ - ٢٣٥ ميلادية) وتؤكد ذلك نقوش (نصر يهحمد بن معاهر) وهي مؤرخة بأعوام ١٤٤ و ١٤٦ للتقويم العبلي المعاهري (٢١٤ و ٢١٦ ميلادية) ويسجل إحداها وهو النقش رقم (٣٩٥٨ ركمناز) قيادة نصر يهحمد بن معاهر لفتوحات وغزوات باسم الملك العز يلط. وقد تم العثور على نقوش باسم الملك العز يلط في موقع سمهر (س م ه - م) بسلطنة عمان تم نشرها في كتاب ويندل فيلبس (Unknown Oman) كما جاء الملك العز يلط هذا بلفظ «اليزوس ELEAZUS ملك بلاد اللبان» في كتاب (البريبلوس) الروماني عام ٢٢٩م. ويشير الكتاب إلى احتكاك بين الملك العز يلط وبين الفرس في منطقة الخليج وجزر (زنوبيان). أما نصر يحمد بن معاهر فكان رئيس الدولة الحميرية وكانت زعامته تشمل النصف الغربي من اليمن حتى البحر الأحمر، ومن أسرته - غالباً - كان حكام اكسوم (الحبشة) في ذلك القرن الثالث الميلادي.

[٥٩] - تعاقب على ملوكية حضرموت بعد (العز يلط ذي احماذ) كما في نقوش المسند ابنه الملك (يدع إيل) ثم حفيده «يدع أب غيلان والريام يدم» ويبدو أن الريام يدم هو نمر بن نمر في نص ابن خلدون وهو آخر ملوك حضرموت، وفي أيامه (عام ٢٧٥م/ ٢٩٠م) انضوت حضرموت في الدولة الحميرية ووقع غزو اكسومي على ساحل اليمن فقامت بصدده الدولة الحميرية.

[٦٠] - في الأصل المطبوع «هذه قبائل هذا الجيل من العرب العاربة. . الخ» (اه) ويدل السياق على أن الأصل لا بد أن يكون «وهذه بقية قبائل هذا الجيل من العرب العاربة» أو «وهذه أبناء بقية قبائل هذا الجيل من العرب العاربة» أي الطبقة الأولى من العرب العاربة وكذلك العرب البائدة، حيث تحدث ابن خلدون عن (عاد) ثم (ثمود) ثم (جديس وطسم) ثم (العمالقة ومن اليهم) ثم تحدث عن العرب البائدة من بني قحطان (يقطن) وهم (حضورا) ثم (جرهم) ثم (حضرموت) ثم استوفى الحديث هنا عن جرهم بن قحطان.

إلا من لم يصلنا ذكره من خبره، والله وارث الأرض ومن عليها.

وأما جرهم: - فقال ابن سعيد إنهما أمتان، أمة على عهد عاد؛ وأمة من ولد جرهم بن قحطان^[٦١] ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن، مَلَكَ أخوه جرهم الحجاز، ثم ملك من بعده ابنه عبد ياليل، ثم بعده ابنه عبد المدان بن جرهم، ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان، ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة، ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح، ثم ابنه الحرث، ثم ملك من بعده جرهم بن عبد ياليل ثم بعده ابنه عمرو بن الحرث، ثم أخوه بشير بن الحرث ثم مضاض بن عمرو بن مضاض^[٦٢].

قال: وهذه الأمة الثانية هم الذين بعث إليهم إسماعيل عليه السلام وتزوج فيهم. (انتهى)^(٦٢).

وأما بنو سبأ بن يقطن (سبأ بن قحطان)^[٦٣]: فلم يُبادوا، وكان لهم بعد تلك الأجيال البائدة أجيالٌ باليمن منهم حمير وكهلان وملوك التبابعة وهم أهل الطبقة الثانية.

وفي مسند الإمام أحمد: أنّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ، قيل هو فروة بن

[٦١] - القول بأن جرهم امتان، أمة على عهد عاد وأمة من ولد جرهم بن قحطان، يعود إلى معاصرة جرهم لعاد الثانية، وعدم التمييز بين عاد الأولى وعاد الثانية، بينما عاد الثانية قحطانية وكذلك جرهم قحطانية.

[٦٢] - إن ملوكية جرهم بن قحطان في مكة والحجاز بدأت في عصر يعرب بن قحطان، وتواصلت في عصر سبأ الأكبر بن يشجب ودولة اليمن السبائية الأقدم (٣٥٠ ق.م. - ٢١٥٠ ق.م.) ثم في عصر سبأ عبد شمس - باني سد مأرب - ومعاصر النبي إبراهيم (ح/ ٢١٠٠ ق.م. - ٢٠٠٠ ق.م.) والعصور التالية ومنها عصر عاد الثانية (١٨٠٠ ق.م. - ١٥٠٠ ق.م.) إلى عصور تبابعة سبأ، وفي عصور تلك الطبقة الجرهمية كانت بعثة إسماعيل.

أما الزمن الثاني لملوكية جرهم بن قحطان في مكة، فبدأ في عهد أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ الذي ولي جرهم سدانة وولاية البيت ومكة في القرن السابع قبل الميلاد. فالمملوك الجرهميون المذكورون هنا هم من ملوك جرهم في الزمن الثاني - كما تشير إلى ذلك الأسماء - واستمرت ولاية البيت ومكة فيهم إلى أن هاجرت من اليمن قبيلة خزاعة فتغلبت على جرهم وتولت زعامة البيت ومكة في القرن الثالث بعد الميلاد كما سيأتي في نبأ خزاعة.

[٦٣] - سبأ بن يقطن هو سبأ بن قحطان، وإنما جاء اسم قحطان في التوراة بلفظ (يقطن) أو (يقطان). وقد ذكر ابن خلدون في حديثه عن الطبقة الثانية من العرب - كما سيأتي - «إن قحطان معرب يقطن» وقال «والأنصار من ولد سبأ وهو ابن قحطان» [ص٤٦ ج٢ - تاريخ ابن خلدون].

مسيك المرادي، عن سبأ: أرجلٌ هو أو امرأة أم أرض؟ فقال: بل رجل أولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة، فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعر وأنمار وحمير، وأما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغانس [٦٤].
 وثبت أن أباهم قحطان كان يتكلم بالعربية، ولقنها عن الأجيال قبله فكانت لغة بنيه [٦٥].

[٦٤] - أورد ابن كثير صاحب تفسير القرآن في كتاب البداية والنهاية نبأ هذا الحديث كما يلي «وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن دعدة سمعت عبد الله بن العباس يقول: إن رجلاً سأل النبي ﷺ عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض، قال: بل هو رجل ولد عشرة فتيامن منهم ستة، وتشأم أربعة، فالذين تيامنوا: مذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير. والذين تشأموا: لخم وجذام وعاملة وغانس، وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك هو السائل عن ذلك كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك - في التفسير - . والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها» [ص ١٥٩ ج٢].

إلى أن قال ابن كثير «وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم . . وهو مقتضى الحديث المتقدم أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن، وإنما تشأم منهم أربعة وبقي باليمن ستة وهم: مذحج وكندة وأنمار والأشعريون والأزد وحمير، فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن - بعد سيل العرم - واستمر فيهم المُلْك والتبابعة» [ص ١٦١ ج٢].

وسوف يأتي أن نزوح الأزد إنما كان في انهيار سد مأرب القديم الثاني وليس في سيل العرم الأول وانهيار سد مأرب العظيم الأقدم، وهو ما يؤيده الحديث النبوي المتقدم.

[٦٥] - أورد ابن خلدون بعد هذه الفقرة كلاماً انتقل إلى «الخبر عن إبراهيم وأولاده» [ص ٣٣ - ٤٦ ج٢] - ثم رجع ابن خلدون إلى سياق وأنباء «الطبقة الثانية من العرب» وهو سياق (تاريخ اليمن) الذي إليه تنتقل.

الطبقة الثانية من العرب

(وهم بنو قحطان ويُعرفون باليمينية والسبائية)

وذكر أنسابهم وأيامهم وملوكهم والإمام ببعض الدول التي كانت على عهدهم

الطبقة الثانية من العرب وهم العرب المستعربة^[٢]، وإنما سُمي أهل هذه الطبقة بهذا الاسم لأن السمات والشعائر العربية لما انتقلت إليهم ممن قبلهم أُعتبرت فيها الصيرورة، بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم، وهي اللغة العربية التي تكلموا بها، فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم: استنوق الجمل واستحجر الطين. وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم العرب فيما يُعلم جيلاً كانت اللغة العربية لهم بالأصالة وقيل (لهم العرب) العاربة^[٣].

واعلم أن أهل هذا الجيل من العرب يُعرفون باليمينية والسبائية.

وقد تقدم أن نسابة بني إسرائيل يزعمون أن أباهم سبأ من ولد كوش بن كنعان^[٣]

[١] - يبدأ هذا الفصل من صفحة ٤٦ ج٢ في تاريخ ابن خلدون بعنوان (الطبقة الثانية من العرب وهم العرب المستعربة. . الخ) ثم يأتي التوضيح في قوله «واعلم أن هذا الجيل من العرب يعرفون باليمينية والسبائية» وقوله إنهم (بنو قحطان) و(إن قحطان أبو اليمن كلهم).

[٢] - يذهب ابن خلدون إلى أن (الطبقة الأولى من العرب وهم العرب العاربة) - كما تقدم - وأن (الطبقة الثانية من العرب وهم بنو قحطان - العرب المستعربة) لأن قحطان تعلم اللغة العربية ضرورة من الجيل السابق ولا يمكن أن يتكلم بها من ذات نفسه، أما (بني إسماعيل) فيسميهم «الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب» والصواب المتواتر أن قحطان وقبائل قحطان من العرب العاربة. وقد قال ابن خلدون «وكان بنو قحطان معاصرين لإخوانهم من العرب العاربة» [ص ٤٧ ج٢]. وكذلك فقد ذكر ابن خلدون في الطبقة الأولى من العرب العاربة قبائل عاد الثانية وحضورا وجرهم وحضرموت والسلف وهم من قبائل قحطان، وإنما تم أفراد تلك القبائل بالذكر قبل قحطان وسبأ لأنهم بادوا، بينما بقية قحطان وقبائل سبأ لم يبيدوا، فيتبين أنهم من العرب العاربة، فالأصوب أن يُقال إنهم (الطبقة الثانية من العرب العاربة).

[٣] - جاء في سفر التكوين بالتوراة أن يقطان وهو قحطان أنجب ١٣ ولداً منهم (شيبا) وهو (سبأ بن قحطان) مما يؤكد صحة إجماع العرب بأن سبأ من قحطان.

ونسابة العرب يأبون ذلك ويدفعونه، والصحيح الذي عليه كافتهم أنهم من قحطان وأن سباً هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان^[٤]. وقال ابن إسحاق: يعرب بن يشجب فقدم وأخر، وقال ابن ماکولا على ما نقله عنه السهيلي اسم قحطان مهزم.

نسب قحطان

وبين النسابة خلاف في نسب قحطان^[٥].

فقيل هو (قحطان) بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام، أخو فالغ ويقطن، ولم يقع له ذكر في التوراة، وإنما ذكر فالغ ويقطن^[٦].

وقيل (قحطان) هو معرب يقطن، لأنه اسم أعجمي، والعرب تتصرف بالأسماء الأعجمية بتبديل حروفها وتقديم بعضها على بعض^(٦).

وقيل إن قحطان بن يمن بن قيدار، وقيل إن قحطان من ولد إسماعيل. وأصح ما قيل في هذا (القول) إنه قحطان بن يمن بن قيدر، ويقال الهميسع بن

[٤] - سباً بن يشجب هو الملك سبأ الأول، وهو غير سبأ الأقدم بن قحطان.

[٥] - قال ابن كثير في كتاب البداية والنهاية «وقد قال البخاري (باب ذكر قحطان) حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي المغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه) وكذا رواه مسلم عن قتيبة عن الدراوردي عن ثور بن زيد» - فيكون الحديث في الصحيحين - [ص ١٥٨ ج ٢ - البداية والنهاية].

وأما نسب قحطان فالذي عليه ثغاة المؤرخين والنسابة العرب اليمانيون - كما في كتاب الإكليل - أن قحطان ابن النبي هود عليه السلام سليل عاد الأولى سليل إرام بن سام، قال حسان بن ثابت الأنصاري:

ويعرب ينميه لقحطان ينتمي لهود نبي الله فوق الحبائك

يمانون عاديتون لم تختلط بنا مناسب شابت من أولي وأولئك

وقال أبو الطيب المتنبي:

إلى الثمر الحلو الذي طي له فروع وقحطان ابن هود لها أصل

[٦] - أي أن قحطان هو يقطن (يقطان) بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام في التوراة، وأن اسم قحطان تعريب يقطن (يقطان) وقد انتهى ابن خلدون من استعراض سائر الأقوال - كما سيأتي - ثم قال: «إن قحطان معرب يقطن وهو الصحيح» [أهـ] ويؤكد ذلك أن أبناء يقطان في التوراة هم أبناء وقبائل قحطان - كما سيأتي - ولكن ذلك لا يستلزم (أن قحطان معرب يقطان) وإنما (يقطان تعجيم قحطان) كما لا يستلزم أنه (ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام) فذلك من تلفيق وتوفيق أجبار اليهود في التوراة لأن ليس في التوراة ذكر لعاد وللنبي هود وإنما اخترلوا واختصروا عشرات القرون بين قحطان وسام.

يمن بن قيدار، وإن يمن هذا سُميت به اليمن^[٧]. وقال ابن هشام: إن يعرب بن قحطان كان يُسمى يمنا وبه سميت اليمن^(٧).

فعلى القول بأن قحطان من ولد إسماعيل^[٨] تكون العرب كلهم من ولده لأن عدنان وقحطان يستوعبان شعوب العرب كلها؛ وقد احتج لذلك من ذهب إليه^(٨) بأن النبي ﷺ قال لرماة من الأنصار: ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، والأنصار من ولد سبأ وهو ابن قحطان، وقيل إنما قال ذلك لقوم من أسلم من أفصى إخوة خزاعة بن حارثة بناء على أن نسبهم في سبأ^[٩] وقال السهيلي: لا حجة في شيء منهما (إلا) إذا كانت العرب كلها من ولد إسماعيل فهذا من السهيلي جنوح إلى القول بمفهوم اللقب وهو ضعيف، ثم قال والصحيح إن هذا القول إنما كان منه ﷺ لبني أسلم كما قدمناه، وإنما أراد أن [أسلم أخوة] خزاعة من معد بن الياس بن مضر وليسوا من سبأ ولا من قحطان كما هو الصحيح في نسبهم.

واحتجوا لذلك أيضاً بأن قحطان لم يقع له ذكر في التوراة كما تقدم، فدلّ على أنه ليس من ولد عابر فترجح القول بأنه من إسماعيل، وهذا مردود بما تقدم أن قحطان معرب يقطن وهو الصحيح^[١٠].

[٧] - في الإكليل (يمن بن قحطان وباسمه سُمي اليمن) والأصوب ما ذكره ابن خلدون هنا عن ابن هشام «أن يعرب بن قحطان كان يُسمى يمنا وبه سميت اليمن» وسيأتي سبب ذلك.

[٨] - أي القول بأن قحطان من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وأنه «قحطان بن يمن بن قيدر» أو «الهميسع بن يمن بن قيدار» وأن قيدر بن إسماعيل، وإنما هو الهميسع وابنه (أيمن بن الهميسع) وهو ابن «حمير الأكبر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان» كما في الإكليل وتاريخ ابن خلدون وسائر كتب التاريخ.

[٩] - أي أن قول النبي ﷺ لقوم من أسلم (ارموا بني إسماعيل) يعني أنهم من سلالته، قال ابن كثير «وقد تأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب لكنه تأويل بعيد، إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل، والجمهور على أن العرب القحطانية ليسوا من سلالة إسماعيل» [ص ١٥٦ ج ٢/ البداية والنهاية].

[١٠] - ويضاف إلى ما تقدم:

أ - أن قحطان كان قبل إبراهيم بزمان طويل، بل إن زمن يعرب بن قحطان كان قبل إبراهيم بقرون كثيرة، وليس يعرب ابناً مباشراً لقحطان. فبينهما أجيال وقرون نشأت وتكاثرت فيها قبائل قحطان حتى قيام دولة يعرب بن قحطان، وإنما يقال بن قحطان بمعنى سليل قحطان، وكذلك سبأ بن يشجب فهو سليل يعرب بن قحطان.

ب - أن النبي صالح وهلاك ثمود كان قبل النبي إبراهيم، وكان النبي صالح في عهد (زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان) كما تقدم.

ج - زمن النبي إبراهيم - وكما في كتاب الإكليل - كان إبراهيم في عهد الملك «عبد شمس بن =

وليس بين الناس خلاف في أن قحطان أبو اليمن كلهم. ويقال إنه أول من تكلم بالعربية^[١١١] ومعناه من أهل هذا الجيل الذين هم العرب المستعربة من اليمنية^[١١٢] وإلا فقد كان للعرب جيل آخر وهم العرب العاربة ومنهم تعلم قحطان تلك اللغة العربية ضرورة ولا يمكن أن يتكلم بها من ذات نفسه^(١١٢).

عصر التكوين القحطاني

وكان بنو قحطان هؤلاء^[١١٣] معاصرين لإخوانهم من العرب العاربة^[١١٤] ومظاهرين لهم على أمورهم، ولم يزالوا مجتمعين في مجالات البادية، مُبْعِدِينَ عن رتبة الملك وترفهِه الذي كان لأولئك^(١١٤).

فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق إليه الترف والنضارة، فتشعبت في أرض الفضاء فصائلهم، وتعدد في جو القفر أفخاذهم وعشائرهم، ونما عددهم، وكثرت إخوانهم من العمالقة في آخر ذلك الجيل^[١١٥] وزاحموهم بمناكبهم^(١١٥) واستجدوا

= وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فزمن إسماعيل إنما كان بعد قحطان بعشرات القرون. [١١١] - قال ابن خلدون في فقرة سالفة بالفصل الأول «وثبت أن قحطان كان يتكلم العربية، ولقنتها عن الأجيال قبله، فكانت لغة بنيّه» (اهـ) والمقصود باللغة العربية أي اللغة العربية السامية الأقدم.

[١١٢] - يعني الطبقة الثانية من العرب العاربة وهم بنو قحطان، وقد أخذ قحطان لغته العربية من أبيه النبي هود عليه السلام وهي لغة عاد الذين كانوا من الطبقة الأولى من العرب العاربة، قال نشوان الحميري:

أفأئذ هود ذو التقى ووصيه قحطان زرع نبوءة وصلاح

[١١٣] - لم يذكر ابن خلدون هنا أبناء قحطان، وقد ذكرهم الهمداني في الإكليل حيث قال: «قرأت في السجل الأول: أولاد قحطان بن هود أربعة وعشرين رجلاً ثم ذكرهم ومنهم «حضر موت، والسلف، وأزال، والمعافر، وحضور، وجرهم، ومود (ثمود). . الخ» [ص ١٦٨ و ٢٠٤ ج١ - الإكليل]. وجاء في سفر التكوين بالتوراة أن يقطان وهو قحطان أنجب ١٣ ولداً وهم «مود، وحضر موت، وهودرام [حضورا]، وشالف [هو السلف]، وأوزال [أزال] وعوبال [عبيل] ووافير [هو: المعافر] وشيبا [سبأ] وایيما، ودقلة وحويلة ويوباب، فتناسلت منهم ١٣ قبيلة هم قبائل قحطان [اهـ/ سفر التكوين].

[١١٤] - أي بقية قبائل الطبقة الأولى التي استمرت حياتها في اليمن بعد عاد الأولى ومنهم العمالقة وكنعان وفاران وغيرهم.

[١١٥] - أي في آخر عصر التكوين القحطاني فازدحمت اليمن بسكانها من الطبقتين الأولى والقحطانية بحيث كما قال ابن خلدون «زاحموهم بمناكبهم» فاستجد بنو قحطان خلق الدولة بزعامة يعرب بن قحطان.

خلق الدولة بما استأنفوه من عزهم ، فكانت الدولة لبني قحطان متصلة فيهم .

دولة يمن يعرب بن قحطان [١٦٦]

وكان يعرب بن قحطان من أعظم ملوك العرب [١٧٧] ، يقال إنه أول من حياه قومه بتحية الملك [١٨٨] .

قال ابن سعيد : وهو الذي مَلَكَ بلاد اليمن [١٩٧] وغلب عليها قوم عاد ، وغلب العمالقة على الحجاز [٢٠٠] .

[١٦٦] - قال ابن خلدون في نصّ سالف «قال ابن هشام : إن يعرب بن قحطان كان يُسمى يمنا وبه سُمِّي اليمن» [اهـ] ويتبين من ذلك أن اسمه كان يتكون من كلمتين «يمن يعرب» مثل اسم «ياسر نعم» وغيره من ملوك اليمن في العصور القديمة اللاحقة .

[١٧٧] - وهو باتفاق المؤرخين أول ملوك قحطان وأول من ملك بلاد اليمن كلها في الزمن القديم ، وهو من سلالة قحطان وليس ابنه مباشرة - كما تقدم - قال نشوان الحميري «وكانت بنو سام لا تصدر إلا عن رأيه» يعني الطبقة الأولى من العرب العاربة ، وقيل إن اسم العرب والعربية مشتق من اسمه .

[١٨٨] - تحية الملك هي «أبيت اللعن» وكان يعرب بن قحطان أول من قيل له (أبيت اللعن ، وأنعم صباحاً) وقد ذكره لسان اليمن الهمداني صاحب الإكليل في قصيدته الدامغة قائلاً :

فَرَوَيْ عَظْمَ يَغْرُبُ فِي ثَرَاهُ مِنْ الْفَرْغَيْنِ وَكَيْفَةَ هُتُونَا
أَبِ الْفَرَعَيْنِ كِهْلَانَ أَبِينَا وَجَمِيرَ عَمَّنَا وَأَخِي أَبِينَا
كَمَا نَجَلَ الْمُلوُوكَ وَكُلِّ لَيْثٍ شَدِيدِ الْبَأْسِ مَا سَكَنَ الْعَرِينَا

[١٩٩] - أي أن ملوكية يمن يعرب بن قحطان شملت كل بلاد اليمن فكانت دولته أول دولة في الزمن الأقدم تشمل هذه البلاد ، ولم يكن لهذه البلاد اسم جامع من قبل ، فلما توحدت بزعامته سميت الدولة والبلاد باسمه (يمن يعرب) كما يتبين مما أورده ابن خلدون في النصّ السالف «أن يعرب بن قحطان كان يسمى يمناً وبه سُمِّي اليمن» وقيل إن اليمن سميت باسم (يمن بن قحطان) وهو نفسه (يعرب بن قحطان) ولا يتوفر السبب التاريخي والسياسي للتسمية إلا في واقعة توحيد البلاد بزعامه (يمن يعرب بن قحطان) وكان في الألف الخامس قبل الميلاد .

[٢٠٠] - كانت عاد الأولى قبل قحطان وهلكوا بالأحقاف ، والسبب الصحيح لملوكية يعرب بن قحطان وقيام الدولة بزعامته هو ما سلف في كلام ابن خلدون عن انتشار وتكاثر قبائل قحطان وكذلك العمالقة وبقية الطبقة الأولى وازدحام اليمن بسكانها من الطبقتين ، فاستجد بنو قحطان خلق الدولة بزعامه يعرب بن قحطان ، وتم حل مشكلة الازدحام بانتقال العمالقة وعدد من قبائل الطبقة الأولى إلى الحجاز وشرق الجزيرة والعراق والشام . وتؤكد التنقيبات الأثرية في تلك البلدان وقوع أول استيطان سامي لها في الألف الخامس ق.م . وهو زمن يعرب بن قحطان .

وولى يعرب بن قحطان إخوته على جميع أعمالهم .
 فولى جرهم بن قحطان على الحجاز [٢١] .
 وعاد بن قحطان على الشحر [٢٢] .
 وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر [٢٣] .
 وعمان بن قحطان على بلاد عمان [٢٤] .
 هكذا ذكر البيهقي .

[٢١] - تقدم كلام ابن خلدون عن جرهم بن قحطان في قبائل الطبقة الأولى من العرب العاربة، وأن يعرب بن قحطان ولي جرهماً على الحجاز، وقال ابن خلدون هناك «وقيل إنما نزلت جرهم الحجاز ثم بني قطور بن كدر بن عملاق، لثحط أصاب اليمن» (أهـ) ويتبين الصواب هنا أن سبب ذلك كان الازدحام السكاني في اليمن كما سلف قول ابن خلدون «فزاحموهم بمناكبهم» وقال الهمداني في القصيدة الدامغة:

وكنا إذ تزاحم في سواه من العاف الخراب له سكونا

أي إذا ازدحم اليمن بالسكان، وبسبب ذلك قام الملك يمن يعرب بن قحطان بحلّ مشكلة الازدحام في عهده بانتقال قبائل من اليمن إلى الحجاز وشرق الجزيرة وأجاز بعضهم إلى العراق والشام، وكان منهم غالباً العمالقة وفاران وجاسم وعبد ضخم وقبائل من كنعان وعبيل بن قحطان (عوبال) وكذلك جرهم بن قحطان - [أي قبيلة جرهم بن قحطان وليس جرهم شقيق يعرب] - فاستقرت جرهم بمكة ونواحيها والعمالقة وفاران بالحجاز وأعالي الحجاز وعبيل بيثرب وعبد ضخم بالطائف وجاسم بجهة البحرين، وأجازت بعض القبائل إلى العراق والشام آنذاك بالألف الخامس قبل الميلاد، وقد تكرر الازدحام السكاني في عهد سبأ الأكبر بن يشجب فوُقت موجة انتقال كبيرة إلى الشام والعراق ومصر (عام ٣٥٠٠ ق.م.) وأقامت جرهم بمكة ونواحيها وكانوا بها حين أتى النبي إبراهيم (ح/ ٢١٠٠ ق.م.) فأسكن ابنه إسماعيل بينهم وتزوج إسماعيل من جرهم وتكلم بلسانهم العربي واستمرت زعامة جرهم بمكة ونواحيها إلى أن تولتها خزاعة .

[٢٢] - الذين سكنوا بلاد الشحر بعد عاد الأولى هم - كما ذكر ابن خلدون - (المهرة) حيث كما قال ابن خلدون في حديثه عن بلاد الشحر «كانت الشحر قديماً لعاد وسكنها بعدهم المهرة، وتسمى أيضاً بلاد مهرة ومنها ظفار . . وفي شرقيها بلاد عمان، وأول من نزل بالشحر من القحطانية مالك بن حمير بن سبأ عبد شمس . .» [أهـ] فتملك مالك بن حمير على المهرة وهم في الأصل من الطبقة الأولى مثل عاد الأولى .

[٢٣] - المقصود هنا عشيرة أو قبيلة حضرموت بن قحطان وبه سميت حضرموت أو وادي حضرموت، وقد سلف كلام ابن خلدون عن حضرموت في الطبقة الأولى من العرب العاربة .

[٢٤] - بلاد عمان بساحل الخليج إلى جهة البحرين وكان بنو عمان بن قحطان أول من سكنها في الزمن الأقدم .

وقال ابن حزم، وعدَّ لقحطان عشرة من الولد، وأنه لم يعقب منهم أحد، ثم ذكر ابنين منهم دخلوا في حمير.

ثم ذكر الحرث بن قحطان وقال فولد فيما يقال (أهل الرس) [٢٥]. وهم رهط حنظلة بن صفوان نبي الرس، والرس ما بين نجران إلى اليمن ومن حضرموت إلى اليمامة [٢٦].

ثم ذكر يعرب بن قحطان وقال فيهم الحميرية والعدد. (انتهى). قال ابن سعيد: ومَلَك بعد يعرب بن قحطان ابنه يشجب، وقيل اسمه يمن، واستبد أعمامه بما في أيديهم من الممالك [٢٧].

[٢٥] - في الكتاب المطبوع بمؤسسة الأعلمي «فولد فيما يقال له لاسور وهم رهط حنظلة بن صفوان» [ص ٤٧]. ويدل السياق على أن الصواب (أهل الرس) وإنهم كانوا من بني الحرث بن قحطان.

[٢٦] - يتيح هذا النص تصويب قول ابن خلدون في حديثه المتقدم عن قبائل الطبقة الأولى حيث قال: «فأما حضورا، فكانت ديارهم بالرس، وكانوا أهل كفر وعبادة أوثان، وبعث إليهم نبي منهم اسمه شعيب بن ذي مهدم، فكذبوه، وهلكوا كما هلك غيرهم من الأمم» (انتهى). والصواب أن (حضورا) غير (أهل الرس) فأهل الرس - من بني الحرث بن قحطان - والرس كما ذكر ابن خلدون هنا - (ما بين نجران واليمن إلى اليمامة ومن حضرموت إلى اليمامة) - أي منطقة الربع الخالي حالياً - وجاء في شرح الدامغة للهمداني (أن الرس في ناحية صيهد من فلاة اليمن) وهي بالربع الخالي حالياً، ونبي أهل الرس هو كما ذكر ابن خلدون هنا (حنظلة بن صفوان). وقال الهمداني في القصيدة الدامغة:

ونحنُ بصالِحِ والجُدِّ هُوْدُ . . . وذِي الرِّسِّ بِنِ حَنْظَلِ فَاجِرُونَا

وجاء في الشرح «كان صفوان بن حنظلة متمكناً على أصحاب الرس وهي أمة قد انقرضت من العرب العاربة» وقال القاضي الأكوح «ويقال إن النبي حنظلة بن صفوان مقبور في الجناح الغربي من مؤخر الجامع الكبير بصنعاء» [ص ٥٥٥ شرح الدامغة] قال الهمداني «ثم كان باليمن النبي شعيب بن ذي مهدم، وهو الذي قتله قومه، وهو من بني حضور، ومسجده قائم إلى اليوم في رأس جبل حضور، فبعث عليهم من قتلهم» (اهـ) وجبل حضور يسمى إلى الآن جبل النبي شعيب، يقع غربي صنعاء وفيه قرية ومسجد النبي شعيب.

[٢٧] - لم تستمر دولة يمن يعرب بن قحطان زمناً طويلاً بعد وفاته، وإنما أصبح الحكم بيد أقبال وزعماء قبائل المناطق منذ عهد ابنه (يشجب)، وكانت مسيرة الحضارة ما تزال في بدايتها في ذلك الزمن الأقدم - بالألف الخامس قبل الميلاد - فاستمرت مسيرة الحضارة إلى أن تم تملك سبأ بن يشجب وهو سليل يشجب بن يعرب بن قحطان، وليس ابن يشجب مباشرة، فقامت بزعامته دولة سبأ الأقدم (ح/ عام ٣٥٠٠ ق.م.).

عصور وملوك دولة سبأ الأقدم

ومَلَّك بعد يشجب ابنه عبد شمس وقيل عامر وسُمي سبأ^[٢٨] لأنه - قيل - أول من سن السبي^[٢٩].

وبنى (سبأ بن يشجب) مدينة سبأ^[٣٠] وسد مأرب^[٣١].

وقال صاحب التيجان إنه غزا الأقطار، وبنى مدينة عين شمس بمصر، وولى عليها ابنه بابلون^[٣٢].

[٢٨] - هو الملك سبأ الأكبر بن يشجب اليعربي القحطاني أول ملوك دولة اليمن السبائية الأقدم، وقد تقدم قول ابن خلدون «واعلم أن أهل هذا الجيل من العرب يعرفون باليمينية والسبائية. . . وأن سبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان» [اه] وكان اليمينيون في عصور دولة سبأ الأقدم وعصور دولة تبابعة سبأ - (أي على مدى ثلاثين قرناً) - يعرفون باسم السبائيين ويشملهم ويشمل اليمن اسم سبأ لأنه كان الاسم الرسمي للدولة منذ عهد الملك سبأ الأكبر وباسمه سميت الدولة.

وقد دلت النقوش المسمارية البابلية والسومرية على أنه - كما يذكر هومل - «أن دولة سبأ باليمن عاصرت سومر، كما جاء ذكر سبأ وعلاقات رسمية مع سبأ في نقش مسماري للملك أرونانز ملك لكش ببلاد بابل عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد» [اه] - وتدلل تلك النقوش على علاقات واسعة مع اليمن ودولتها سبأ منذ أوائل الألف الثالث قبل الميلاد، وقد دلت الدراسات على أن موجة كبيرة من قبائل جنوب الجزيرة العربية الساميين هاجروا وتوطنوا ببلاد بابل وأشور والشام ومصر عام ٣٥٠٠ ق.م. وهي موجة عهد سبأ بن يشجب.

[٢٩] - وفي ذلك قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك اليمن:

وسبأ بن يشجب وهو أول من سبى في الغزو - قُدماً - كل ذات جناح

وما يذكره نشوان وغيره من المؤرخين عن غزو سبأ بن يشجب لبلاد بابل والشام ومصر فأوطن بها قبائل ممن كان معه، يقابل ما تذكره وتنطق به الدراسات المعاصرة عن موجة الهجرة السامية من جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين والشام ومصر عام ٣٥٠٠ ق.م. وكان منهم الأكاديون والآشوريون وقبائل من كنعان والفرعنة.

[٣٠] - كانت مدينة سبأ التي بناها سبأ الأكبر بن يشجب في مكان ما من فلاة مأرب الشاسعة وكان اسمها سبأ، وكانت عاصمة اليمن في عصور دولة سبأ الأقدم، وجاء ذكرها في نصوص بابل بلفظ (سبأ - را).

[٣١] - دلت تقييات البعثة الأثرية الألمانية على «استخدام وسائل وتقنية الري في وادي أذنة - حيث موقع سد مأرب - منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وأن زمن المنشأة الأقدم لسد مأرب يعود إلى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد».

[٣٢] - قد يكون المقصود الملك عبد شمس بن وائل وهو سبأ الأوسط - أي سبأ الثاني - كما سيأتي.

وكان لسبأ - بن يشجب - من الوليد كثير، وأشهرهم حمير وكهلان^[٣٣] اللذان
منهما الأمتان العظيمنتان من اليمينية أهل الكثرة والملك والعز، ومُلك حمير منهم
أعظمه، وكان منهم التبابعة كما نذكر في أخبارهم.

وعَدَّ ابن حزم في ولده زيدان وابنه نجران بن زيدان، وبه سُميت البلد^[٣٤].

ولما هلك سبأ قام بالملك بعده ابنه حمير ويعرف بالعرنجج^[٣٥] وقيل هو
أول من تتوج بالذهب، ويقال إنه مَلَكَ خمسين سنة^(٣٥).

وكان له من الولد ستة فيما قال السهيلي؛ وائل ومالك وزيد وعامر وعوف
وسعد. وقال أبو محمد بن حزم: الهميسع ومالك وزيد ووائل ومشروح ومعد
يكرِب وأوس ومرة^[٣٦] وعاش فيما قال السهيلي ثلثمائة سنة.

ومَلَكَ بعد حمير ابنه وائل، وتغلب أخوه مالك بن حمير على عمان فكانت

[٣٣] - سنَّ الملك سبأ الأكبر بن يشجب قبل وفاته نظاماً للحكم ساهم في ضمان استمرار
الدولة بعده زمناً طويلاً، وهو أن يكون الملوك من ولد ابنه حمير، والقادة من ولد ابنه
كهلان، فقد دعا إلى اجتماع شوروي حضره الأقيال وأهل الرأي تم فيه - أولاً - تحديد
شروط يجب أن تتوفر في الملك وشروط يجب أن تتوفر في القائد - ثم قرروا أن شروط
الملك متوفرة في حمير وكان اسمه العرنجج، وشروط القائد متوفرة في كهلان، وقرروا أن
يكون حمير الملك بعد أبيه ويكون الملوك من ولده ويكون كهلان القائد ويكون القادة من
ولده بالشروط المقررة في ذلك النظام.

[٣٤] - أي أن نجران الذي باسمه سُمي بلد ووادي نجران هو (نجران بن زيدان بن سبأ
الأكبر بن يشجب) والصواب - كما في كتاب شمس العلوم لنشوان الحميري قال «نجران
اسم وادٍ باليمن سُمي بنجران بن زيدان بن سبأ الأوسط» [انتهى]. ولم يميز الرواة بين سبأ
الأكبر وسبأ الأوسط فوقع التباس وكذلك بين حمير الأكبر بن سبأ بن يشجب وحمير
الأوسط بن سبأ الأوسط - أي سبأ الثاني - وهو عبد شمس بن وائل بن الغوث بن
جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن سبأ الأكبر بن يشجب.

[٣٥] - هو حمير الأكبر - أي حمير الأول - العرنجج بن سبأ بن يشجب، وكانت مدة حكم
سبأ بن يشجب ٨٤ سنة كما في مروج الذهب (ح/٣٥٠٠ ق.م - ٣٤١٦ ق.م). ومدة حكم
حمير الأكبر بن سبأ خمسين سنة (ح/٣٤١٦ - ٣٣٦٦ ق.م) وكان أشهر الملوك بعده
الملك الهميسع فاعتبره الرواة ابنه وإنما هو من سلالة.

[٣٦] - أبناء حمير الذين ذكرهم ابن حزم هم أبناء حمير الأكبر وأشهرهم الملك الهميسع، وفي
سلالته استمرت الملوكية وصولاً إلى الملك الغوث بن الملك جيدان بن الملك قطن بن
الملك عريب بن الملك زهير بن الملك أيمن بن الهميسع - كما في كتاب شرح قصيدة
نشوان وأخبار الملوك الماضين - أما أبناء حمير الستة الذين ذكرهم السهيلي فهم أبناء حمير
الأوسط بن سبأ الأوسط عبد شمس بن وائل بن الغوث ونسبه كما تقدم.

بينهما حروب، وقال ابن سعيد إن الذي مَلَكَ بعد حمير أخوه كهلان^[٣٧].
ومن بعده وائل بن حمير^[٣٨].

ثم (مَلَكَ) من بعد وائل: السكسك بن وائل، وكان مالك بن حمير قد هلك
وغلب على عمان بعده ابنه قضاة، فحاربه السكسك وأخرجه عنها^[٣٩].

[٣٧] - قول ابن خلدون عن السهيلي (وملك بعد حمير ابنه وائل) يتبين من التحقيق أنه وائل بن
حمير بن سبأ الأوسط، وقوله عن ابن سعيد «أن الذي ملك بعد حمير أخوه كهلان» يعني بعد
حمير الأكبر بن سبأ بن يشجب، ويلحق بذلك قول ابن خلدون في فقرة لاحقة - كما سيأتي -
«أن بني كهلان تداولوا الملك مع بني حمير، ومَلَكَ منهم جبار بن غالب بن كهلان» وهو كما
في الإكليل جنادة الملك بن غالب بن زيد بن كهلان، وكان أولئك الملوك قبل الهميسع.
[٣٨] - الذي ملك بعد كهلان وأسرته جنادة هو الهميسع بن حمير الأكبر (سليل حمير الأكبر)
وقد ذكره ابن خلدون في فقرات لاحقة، ثم أيمن بن الهميسع ثم زهير بن أيمن، وفيهم
قال نشوان الحميري:

أين الهميسع ثم أيمن بعده وزهير ملك زاهر وواضح
في عصره هلكت ثمود بناقة نالت بها ترحاً من الأتراح

وكان زمن الهميسع (ح/ ٢٧٥٠ق.م). وزهير بن أيمن بن الهميسع وهلاك ثمود (ح/
٢٥٥٠ق.م).

(*) وقال ابن خلدون في فقرة لاحقة سنورها في موضعها «ومَلَكَ من حمير ثم من بني
الهميسع بن حمير: أبين بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع، وإليه نسب عرب أبين
من بلاد اليمن» [اهـ] ثم ملك عريب بن زهير ثم قطن بن زهير - قال نشوان - وقطن هو أول
من واصل ملوك بابل ومصر والمشرق بالهدايا. ويتبين من نقوش بابل ومصر وقوع ذلك ما
بين عام ٢٥٠٠ق.م. وعام ٢٤٠٠ق.م. حيث سجل أرونانز ملك لكش ببابل علاقة رسمية
مع سبأ وسجل ساحورع ملك مصر وصول هدايا من اليمن، ثم ملك بعد قطن الملك جيدان
ثم الملك الغوث ثم أبو مالك الكهلاني ذي القرنين الأول ثم الملك وائل بن الغوث وفي
أيامه - كما ذكر نشوان - كان النبي إبراهيم وعاصره أيضاً الملك عبد شمس بن وائل
(ح/ ٢١٠٠ق.م). وهو سبأ الأوسط وكان من عظماء الملوك.

(**) وقد ذكره ابن خلدون في الفقرات اللاحقة قائلاً: - «وملك منهم أيضاً عبد شمس بن
وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع (اهـ).
ثم ملك بعده الصوار بن عبد شمس وهو حمير الأوسط بن سبأ الأوسط عبد شمس، وفي
عَهده (ح/ ٢٠٠٠ق.م). ثم استكمال بناء سد مأرب القديم العظيم الذي بدأه سبأ الأوسط
عبد شمس وأتمه حمير.

(***) وبلي ذلك الملك وائل بن حمير المذكور في النص أنه «تغلب أخوه مالك على عمان» (اهـ).
[٣٩] - هو - كما في الإكليل أيضاً - «السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس» وكان
لقبه السكسك أو السكسك أو الضحاك، وقد ذكره ابن خلدون بلفظ الضحاك في حديثه عن
قصر غمدان بصنعاء قائلاً «قصر غمدان يقال إن الضحاك بناه على اسم الزهرة وهو أحد =

وملك بعده ابنه يعفر بن السكسك وخرجت عليه الخوارج وحاربه مالك بن الحاف بن قضاة وطالت الفتنة بينهما.

وهلك يعفر بن السكسك وخلف ابنه النعمان حملاً ويعرف بالمعافر، واستبد عليه من بني حمير ماران بن عوف بن حمير ويعرف بذي رياش وكان صاحب البحرين، فنزل نجران، وانشغل بحرب مالك بن الحاف بن قضاة، ولما كبر النعمان (حملاً) حبس ذا رياش (ماران بن عوف) واستبد بأمره وطال عمره [٤٠].

وملك بعده اسحم بن المعافر (بن يعفر بن السكسك بن وائل) [٤١] فاضطربت أحوال (بني) حمير وصار ملكهم طوائف إلى أن استقر في الرائش وبنيه التابعة كما نذكره (٤١).

= البيوت السبعة الموضوعة على أسماء الكواكب وروحانيتها» [ص ٦٤ ج ٢] وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب بناء الملك الضحاك لبيت غمدان بصنعاء على اسم كوكب الزهرة (عشتار) وهو البناء الأقدم لغمدان، وكان طابقاً واحداً ضخماً ثم شيدت فوقه طوابق قصر غمدان في عهد (الشرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان) أما البناء الأقدم فكان في عهد الضحاك وهو السكسك بن وائل بن حمير الأوسط بن سبأ الأوسط عبد شمس، وكان عهده في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وقال ابن خلدون في حديثه عن بلاد الشحر «... كانت الشحر في القديم لعاد، وسكنها بعدهم المهرة، وأول من نزل بالشحر من الفحطانية مالك بن حمير خرج على أخيه وائل بن حمير وهو ملك بقصر غمدان فحاربه طويلاً ومات مالك، فولى بعده ابنه قضاة بن مالك (في الشحر وعمان) فلم يزل السكسك بن وائل يحاربه إلى أن قهره واقتصر قضاة على بلاد مهرة وملك بعده ابنه الحاف ثم مالك بن الحاف وانتقل إلى عمان وبها كان سلطانها» (اه).

وجاء في كتاب الإكليل للهمداني أنه «غزا السكسك بن وائل إلى العراق وحارب ملكاً يقال له ابن ماش - ببلاد بابل - فلما بلغ السكسك بن وائل حنو قراقرم من أرض العراق اعتل ومات فحملوه ورجعوا قافلين إلى اليمن» [ص ١٨١ ج ٨/ إكليل].

ويتبين من البحث في دراسات تاريخ بابل لتلك الفترة أن السكسك بن وائل هو: - «سيثوم بن ولثيل ملك سبأ وبابل» في النصوص الأمورية البابلية، وسار إلى بابل لمناصرة الأموريين وهم في الأصل من اليمن فشملت ملوكيته العليا بابل ومات هناك وكان عهده عام (١٨٥٨ ق.م - ١٨٤٤ ق.م).

[٤٠] - يبدو أن ملوكية (يعفر بن السكسك بن وائل) في فترة مسير السكسك إلى العراق، وأن النعمان بن يعفر بن السكسك في عهد الملك الملتطاط بن السكسك بن وائل حيث سار الملتطاط إلى بابل لمناصرة الأموريين وهو في نصوص بابل «سين مبلاط بن أبل سيثوم بن ولثيل ملك سبأ وبابل» وكان عهده (١٨٢٦ ق.م - ١٧٩٣ ق.م).

[٤١] - هنا وقع خلط والتباس بسبب موقع ملوك عاد الثانية، فالذي ملك بعد الملوك المتقدمين هو - كما في الإكليل - «الملتطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس» ثم «عاد بن الملتطاط بن السكسك بن وائل» أول ملوك عاد الثانية، واستمر الملك فيهم حتى استقر في الرائش والتبابعة.

ويقال إن بني كهلان تداولوا الملك مع حمير هؤلاء، وملك منهم جبار بن غالب بن كهلان، وملك من حمير هؤلاء ثم من بني الهميسع بن حمير، أبين بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع، وإليه نسب عرب أبين من بلاد اليمن. وملك منهم أيضاً عبد شمس بن وائل بن الغوث بن (جيدان) بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير.

ثم ملك من أعقابه شداد بن الملطاط^[٤٢] بن عمرو بن ذي هرم بن الصوار بن عبد شمس، وبعده أخوه لقمان^[٤٣] ثم أخوهما ذو شدد وهداد ومدائر^[٤٤] وبعده ابنه الصعب ويقال إنه ذو القرنين، وبعده أخوه الحرث بن ذي شدد وهو الرائش جد الملوك التبابعة.

وملك من حمير أيضاً من بني الهميسع من بني عبد شمس هؤلاء: حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس^[٤٥].

[٤٢] - شداد بن الملطاط هو - كما في الإكليل - «شداد بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس» [ص ١٨٢ ج٨ - الإكليل] وسبأ عبد شمس هو سبأ الأوسط الذي قال ابن خلدون في الفقرة السالفة ذاكراً إياه «وملك منهم عبد شمس بن وائل بن الغوث. . الخ» ويتبين من الربط أن شداد هو «شداد بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير الصوار بن سبأ الأوسط عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان».

وقد تقدم التبيين في أنباء عاد بالطبقة الأولى من العرب العاربة - الفصل الأول - أن عاد أصحاب إرم ذات العماد هم ملوك اليمن أسرة الملك شمس عاد بن الملطاط معاصر حمورابي ملك بابل، وكان عهد الملك الملطاط (سين ميلاد) عام (١٨٢٦ - ١٧٩٣ ق.م) كما في النصوص الأمورية ببابل ثم الملك شمس عاد ملك سبأ بن الملطاط وكان عهده ما بين (١٨١٠ ق.م - ١٧٦٠ ق.م) ثم الملك شداد بن شمس عاد باني مدينة إرم ذات العماد وكان عهده إلى عام ١٧٤١ قبل الميلاد.

[٤٣] - هو لقمان بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس، وله أنباء واسعة في الإكليل (ج٨) وسيأتي القول بأن بناء سد مأرب كان في عهد لقمان بن عاد، وهو هذا.

[٤٤] - من ملوك عاد الثانية بعد لقمان بن عاد، وقد تقدم ذكرهم في أنباء عاد بالفصل الأول.

[٤٥] - قال الهمداني في الإكليل «هو حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ» [ص ١٥٠ ج٨] ويشير النسب إلى أن ملوكيته كانت في آخر عصر عاد الثانية، وربما امتلك قسماً من اليمن بالمعارضة للملك «إلى شدد» حفيد «شداد بن شمس عاد بن =

قال أبو المنذر هشام بن الكلبي في كتاب الأنساب، ونقلته من أصل عتيق بخط القاضي المحدث أبي القاسم بن عبد الرحمن بن حبيش قال: ذكر الكلبي عن رجل من حمير من ذي الكلاع قال: أقبل قيس (يحرق)^[٤٦] موضعاً باليمن، فأبدي عن أزج، فدخل فيه، فوجد سريراً عليه رجل ميت، وعليه جباب وشى مذهبه^[٤٧] في رأسه تاج، وبين يديه محجن من ذهب، وفي رأسه ياقوتة حمراء، وإذا لوح مكتوب فيه «بسم الله رب حمير، أنا حسان بن عمرو القليل، مات في زمن هيد وما هيد هلك فيها اثنا عشر ألف قبيل، فكنت آخرهم قبلاً، فابتنت ذا شعيبين ليجيرني من الموت فاخفرتني» اهـ كلامه^[٤٨].

وقال الطبري: وقيل إن أول من ملك اليمن من حمير، شمر بن الأملوك، كان لعهد موسى عليه السلام، وبنى ظفار وأخرج منها العمالقة^[٤٩]. ويقال كان من عمال الفرس على اليمن^(٤٩).

انتهى الكلام في أخبار حمير الأولى^[٥٠] والله سبحانه وتعالى ولي العون.

= الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير الصوار بن سبأ عبد شمس بن وائل بن الغوث . الخ. النسب» وكان زمنهما ح/ عام ١٥٠٠ ق.م. ثم تولى الملوكية الحارث الرائس بن إلى شدد فانضوى بنو جشم تحت ملوكيته وبدأت عصور التبابعة (عام ١٤٧٠ ق.م) - كما سيأتي - وكان الرائس وابنه شمر الأملوك أول ملوك سبأ التبابعة الأوائل.

[٤٦] - يبدو أن الأصل (يحرث موضعاً باليمن) وفي الإكليل «أن سيلاً خرق موضعاً باليمن فأبدي عن أزج» أي سرداب «عليه باب بلق» من الرخام، فوجدوا في الأزج قبر الملك حسان هذا [ص ١٤٩ ج ٨].

[٤٧] - في الإكليل «عليه اثنتا عشرة حلة منسوجة بالذهب» (اه).

[٤٨] - في الإكليل «.. هلك فيها اثنا عشر ألف قبيل فكنت آخرهم قبلاً، فأبتنت ذات شعيبين» وهو بنيان كان حسان بناه، فمات ودفن هناك، وفي قراءة ما كان مكتوباً في القبر تصحيف واجتهاد واختلاف.

[٤٩] - هو شمر بن الحارث الرائس وكان مع أبيه أول ملوك اليمن التبابعة بالقرن الخامس عشر قبل الميلاد - كما سيأتي - وذلك قبل زمن الفرس بألفي سنة، وكان حكم التبابعة امتد إلى فارس آنذاك.

[٥٠] - (أخبار حمير الأولى) - يعني «ملوك دولة سبأ الأقدم» من (٣٥٠٠ ق.م - ١٥٠٠ ق.م).

ترتيب نسب ملوك حمير الأولى [٥١]

- جبار بن غالب بن زيد بن كهلان
(بن سبأ بن يشجب) -
- نجران بن زيدان (بن عبد شمس)
- باران بن عوف (صاحب البحرين)
- اسنح بن المعافر بن يعفر بن
السكسك بن وائل (بن حمير)
- مالك بن الحاف بن قضاة بن مالك
(بن حمير)

- أبين

بن قحطان
بن يعرب
بن يشجب
بن عبد شمس
بن حمير
بن الهنيسع
بن أبين
بن الغوث
بن زهير
بن غريب
بن قطن
بن جيدان

الحارث - ذي سدد - بن الملطاط بن عمرو بن ذي هرم بن الصوار - بن عبد شمس بن وائل بن الغوث

الصعب

لقمان شداد

حسان بن عمرو بن قيس
بن معاوية بن جشم

[٥١] - أورد ابن خلدون هذا الترتيب لنسب ملوك حمير الأولى في نهاية الفصل الثاني [ص ٤٩ ج ٢] وهم أشهر ملوك عصور دولة سبأ الأقدم (٣٥٠٠ ق.م - ١٥٠٠ ق.م). وفي ترتيبهم تقديم وتأخير واختصار. وفي الصفحة التالية كرونولوجيا ترتيب وزمن ملوك تلك العصور حسب دراستنا، وقد أوردناه للفائدة.

«ملحق كرونولوجيا ملوك عصور دولة اليمن السبائية
الأقدم (٣٥٠٠ ق.م. - ١٥٠٠ ق.م.)»

ملوك العصر الأقدم (٣٥٠٠ ق.م. - ٢٧٥٠ ق.م.)

م.	اسم الملك	الزمن وأهم الأحداث
١	سبأ الأكبر بن يشجب سليل يعرب بن قحطان	٣٥٠٠ - ٣٤١٦ ق.م. (بناء مدينة سبأ عاصمة اليمن الأقدم) (انتقال الأكاديين وأشور وكنعان والفراعنة الأوائل من اليمن إلى بلاد الرافدين والشام ومصر)
٢	حمير الأكبر العرنجج بن سبأ بن يشجب (٣٤١٥ - ٣٣٦٦ ق.م.)	قيام دولة مصر الفرعونية عام ٣١٠٠ ق.م.
٣	كهلان الأكبر بن سبأ بن يشجب (٣٣٦٥ - ٣٣٠٠ ق.م.)	
٤ إلى ٨	جنادة بن غالب بن زيد بن كهلان وثلاثة ملوك من أسلافه إلى ٢٩٤٦ ق.م.	حدد المختبر الفيزيائي الهولندي زمن أقدم المؤمياوات اليمنية المعثور عليها في جبل الغراس بأنها تعود إلى الفترة (٣٠٢٠ - ٢٧٩٥ ق.م.)
٩ إلى ١٢	أربعة ملوك من بني حمير الأكبر وكهلان إلى ح./ ٢٧٥٠ ق.م.	

ملوك العصر الأول (٢٧٥٠ق.م - ٢١٢٠ق.م)

الزمن وأهم الأحداث	اسم الملك	٠٢
(٢٧٥٠ - ٢٥٥٠ق.م) - تأسيس مستوطنة دلمون واستقرار ثمود بوادي القرى - نشاط تجاري إلى بابل والشام وإلى مصر	الهميسع بن حمير الأكبر	١
	أيمن بن الهميسع	٢
	الغوث بن أيمن	٣
في عهده كان النبي صالح وهلاك ثمود (ح/ - ٢٥٥٠ق.م)	الملك زهير بن أيمن	٤
	عريب بن زهير	٥
(٢٥٥٠ - ٢٥٠٠ق.م) إليه تنسب أبين	أبين بن زهير	٦
أرسل هدايا إلى ساحورع ملك مصر وأرونانز ملك لكش (٢٥٠٠ - ٢٤٠٠ق.م)	قطن بن عريب	٧
	جيدان بن قطن	٨
إلى ح/ ٢٢٩٠ق.م	الغوث بن جيدان وقطن الثاني	٩ - ١٠
٢٢٩١ - ٢٢٥٥ق.م امتد حكمه إلى بلاد الرافدين	اييمالك نارسين الكهلاني	١١
	الملك وائل بن الغوث «في عهده، وآخر ذلك العصر جاء النبي إبراهيم إلى مكة»	١٢

ملوك العصر الثاني لدولة اليمن السبائية الأقدم (٢١٢٠ قبل الميلاد - ١٧٩٣ ق.م)

م.	اسم الملك	الزمن وأهم الأحداث
١	سبأ الأوسط عبد شمس بن وائل «شمس ايلونا»	٢١٢٠ - ٢٠٣٥ ق.م. (قام بتوجيه قوة وقبائل إلى بابل وسورية وهم الأموريون فامتلكوها)
٢	حمير الأوسط الصوار بن سبأ عبد شمس (٢٠٣٥ - ١٩٤٥ ق.م). في عهده تم إكمال منشآت ومصارف سد مأرب الأقدم	- حددت البعثة الأثرية الألمانية عودة زمن منشأة سد مأرب الأقدم إلى عام ٢٠٠٠ ق.م
٣	ذويقدم بن حمير الصوار بن سبأ عبد شمس (١٩٤٥ - ١٩٠٠ ق.م)	في عهده كانت قصة النبي يوسف بمصر
٤	ذو هرم بن الصوار	ما بين ١٩٢٥ ق.م. إلى ١٨٩٥ ق.م
٥	ذو أنس بن ذي يقدم	
٦	ذو أبين بن ذي يقدم	
٧	عمرو بن ذي أبين	
٨	وائل بن حمير الأوسط بن سبأ عبد شمس	١٨٩٤ - ١٨٥٨ ق.م وهو (ولئيل ملك سبأ) في نصوص بابل الأمورية
٩	السكسك سبيوم بن وائل [في عهده كانت ملوكية قضاة بن مالك بن حمير في الشحر وعمان]	١٨٥٨ - ١٨٤٤ ق.م. سار إلى بابل لمناصرة الأموريين ومات بها
١٠ إلى ١٢	النعمان بن السكسك/ يعفر بن النعمان/ أسحم بن يعفر	١٨٤٣ - ١٨٢٦ ق.م
١٣	الملطاط (سين مبلاط)	١٨٢٦ - ١٧٩٣ ق.م

ملوك العصر الثالث لدولة اليمن

السبائية الأقدم عصر عاد الثانية ومدينة إرم (١٧٩٢ - ١٥٠٠ ق.م)

م.٠	اسم الملك	الزمن وأهم الأحداث
١	شمس عاد بن المبلاط (أول ملوك عاد الثانية)	١٧٩٢ ق.م - ١٧٦٢ ق.م . م عاصر حمورابي وامتدت ملوكيته العليا إلى أشور وسورية وتولاها ابنه شداد
٢	شداد بن شمس عاد (باني مدينة إرم ذات العماد)	١٧٨٠ ق.م. - ١٧٤١ ق.م
٣	لقمان بن شمس عاد	١٧٤١ ق.م - ١٧٠٠ ق.م
٤ إلى ١١	ذو شداد - هداد - مراند - بدد - خيان - أبهر - معديكرب - إلي شدد	١٧٠٠ - ١٥٠٠ ق.م إلى ح/ ١٤٧٠ ق.م

الخبر عن الملوك التابعة من حمير ودولتهم باليمن ومصائر أمورهم

هؤلاء الملوك من ولد عبد شمس بن وائل بن الغوث باتفاق من النسابين، وقد مرّ نسبه إلى حمير^[١].

وكانت مدائن ملكهم صنعاء ومأرب على ثلاث مراحل منها^[٢]:

وكان بها السد (سد مأرب) ضربته بلقيس ملكة من ملوكهم سداً ما بين جبلين بالصخر والقار، فحقت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا على قدر ما يحتاجون إليه في سقيهم، وهو الذي يسمى العرم (والسد) وهو جمع لا واحد له من لفظه، قال الجعدي:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما
أي السد، ويقال إن الذي بنى السد هو حمير أبو القبائل اليمنية كلها، قال الأعشى:

ففي ذاك للمؤتسي أسوة ومأرب قفى عليه العرم
رخام بناه لهم حمير إذا جاء من رامة لم يرم
وقيل بناه لقمان الأكبر بن عاد كما قاله المسعودي، وقال جعله فرسخاً في فرسخ وجعل له ثلاثين ثقباً^[٣].

[١] - أي من سلالة سبأ الأوسط عبد شمس بن وائل سليل حمير الأكبر بن سبأ الأكبر بن يشجب.

[٢] - كانت مدينة مأرب هي العاصمة في عصور ملوك سبأ التابعة الحميريين، وقد عثرت بعثة أثرية أميركية برئاسة د. جيمس ساور (في عام ١٩٨٤م) على آثار في مأرب يعود زمنها إلى القرن الرابع عشر والقرن الثالث عشر قبل الميلاد وهي - كما قال جيمس ساور - «تدل على أن دولة سبأ أقدم مما يظن العلماء» (اه) أي أقدم مما يظن المستشرقون والأكاديميون.

[٣] - أي ثلاثين مخراقاً وهي منشآت لتوزيع المياه من سد مأرب إلى أرجاء أرض الجنتين، =

وقيل وهو الأليق والأصوب أنه من بناء سبأ بن يشجب وأنه ساق إليه سبعين وادياً ومات قبل إتمامه، فأتته ملوك حمير من بعده، وإنما رجحناه لأن المباني العظيمة والهياكل الشامخة لا يستقل بها الواحد كما قَدَمنا في الكتاب الأول (٣).

فأقاموا في جناته عن اليمين والشمال كما وصف القرآن .
ودولتهم يومئذ [٤] أوفر ما كانت، وأترف وأبذخ، وأعلى يداً وظهراً [٤].
فلما طغوا وأعرضوا سلط الله عليهم الخلد وهو الجرذ، فنقبه من أسفله فأجحفهم السيل وأغرق جناتهم وخربت أرضهم وتمزق ملكهم وصاروا أحاديث .
وكان هؤلاء التبابعة ملوكاً عدة في عصور متعاقبة وأحقاب متطاوله، لم يضبطهم الحصر ولا تقيدت منهم الشوارد .

وربما كانوا يتجاوزون مُلك اليمن إلى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب تارة [٥]، ويقتصرون على يمنهم تارة أخرى .

فاختلفت أحوالهم، واتفقت أسماء كثير من ملوكهم ووقع اللبس في نقل

= ولقمان بن عاد ليس من عاد الأولى وإنما هو لقمان بن عاد بن المبلاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس - كما تقدم - فيكون الأصوب بناء السد في عهد سبأ عبد شمس وابنه حمير (٢١٢٠ - ١٩٤٥ ق.م) ويؤكد ذلك عودة منشآت السد الأقدم إلى عام ٢٠٠٠ ق.م. وتم تجديده في عهد لقمان بن شمس عاد (١٧٤١ - ١٧٠٠ ق.م) ثم في عصور دولة تبابعة سبأ الحميريين .

[٤] - أي في عصور دولة تبابعة سبأ الحميريين التي تواصلت (من ١٤٧٠ ق.م) إلى القرن السادس ق.م. كما سيأتي .

[٥] - تخلى ابن خلدون بهذا النص عن الرأي الذي أورده في الجزء الأول من الكتاب وهو الجزء المشهور باسم (مقدمة ابن خلدون) حيث انتقد أبناء بلوغ التبابعة إلى المغرب وغيرها قائلاً «ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم (عواصمهم) باليمن إلى أفريقية والبربر من بلاد المغرب، وأن أفريقش بن قيس بن صيفي، من أعظم ملوكهم الأول وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل، غزا أفريقية وأثخن في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم . وأنه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجة وكتامة، ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي إلى أن صنهاجة وكتامة من حمير، وتأباه نسبة البربر وهو الصحيح، وذكر المسعودي أن ذا الأذعار من ملوكهم قبل أفريقش غزا المغرب ودوخه، وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده (وكان على عهد سليمان) وأن ياسر بلغ وادي الرمل في بلاد المغرب، وكذلك يقولون في تُبع الآخر وهو أسعد أبو كرب . الخ» [ص ١٢ - مقدمة ابن خلدون] - وسيأتي تبين صحة وشواهد تلك الفتوحات .

أيامهم ودولهم^[٦] فلنأت بما صح منها، متحرّياً جهد الاستطاعة عن طموس من الفكر واقتفاء التقاييد المرجوع إليها، والأصول المعتمد على نقلها، لعدم الوقوف على أخبارهم مدونة في كتاب واحد، والله المستعان.

قال السهيلي: معنى تُبِعَ الملك المُتَّبِع، وقال صاحب المحكم: التبابعة ملوك اليمن واحدهم تُبِع، لأنهم يتبع بعضهم بعضاً، كلما هلك واحد قام آخر تابعاً له في سيرته، وزادوا الباء في التبابعة لإرادة النسب.

قال الزمخشري: قيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يُتبعون، كما قيل الأقبال لأنهم يتقبلون.

قال المسعودي: ولم يكونوا يسمون الملك منهم تبعاً حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت^[٧] وقيل حتى يتبعه بنو جشم بن عبد شمس، ومن لم يكن له شيء من الأمرين فيسمى ملكاً ولا يقال له تُبِع.

وأول ملوك التبابعة باتفاق من المؤرخين الحارث الرائش: وإنما سُمى الرائش لأنه رآش الناس بالعطاء^[٨].

واختلف الناس في نسبه بعد اتفاهم على أنه من ولد (عبد شمس بن) وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير.

[٦] - أشار ابن خلدون هنا إلى أهم أسباب اضطراب المؤرخين في أنباء التبابعة وتاريخ اليمن وهو تشابه أسماء كثير من ملوكهم مما أدى إلى اللبس في نقل أيامهم وتاريخهم، كما سيأتي.

[٧] - أي كل اليمن بما فيها حضرموت والشحر. وقد وصف ابن خلدون التبابعة بأنهم (ملوك اليمن وجزيرة العرب).

[٨] - هو الحارث الرائش أول ملوك اليمن التبابعة، وقيل له تُبِع لأن اليمن بما في ذلك حضرموت والشحر - (التي كانت تحت حكم بني جشم) - توحدت بزعامته وشملت ملوكيته جزيرة العرب، وقد ذكر الهمداني في (شرح الدامغة) زمن الحارث الرائش بما يوافق القرن الخامس عشر قبل الميلاد [ص ٥٣٤/شرح الدامغة] وهو تحديد صائب كما تبين لنا من (بردية مانلتو المصرية الهيروغليفية) بأسماء ملوك مصر وملوك سبأ (ملوك دي سبا - أيس) في الفترة (١٤٧٠ - ١١٠٠ ق.م). وأولهم الملك أرشو وهو الحارث الرائش، وباسمه أيضاً تبدأ لوحة إثبات ملوك سبأ (ملوك سبا - أرتو) المعثور عليها في أشور وأولهم الملك أريشم الأول وهو الحارث الرائش وكان عهده (١٤٧٠ - ١٤٣٢ ق.م). وثامنهم أريشم الثاني ذورباش وهو الرائش الثاني ذورباش بن قيس بن صيفي وكان عهده (١٢٢٠ - ١١٨٠ ق.م).

فقال ابن إسحاق وأبو المنذر بن الكلبي: إنَّ قيساً بن معاوية بن جشم، فابن إسحاق يقول في نسبه إلى سبأ (الأصغر) الحارث (الرائث) بن عدي بن صيفي. وابن الكلبي يقول الحارث (الرائث) بن قيس بن صيفي^[٩].

وقال السهيلي: هو الحارث بن همال بن ذي سدد بن الملقاط بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل. وجشم جد سبأ (الأصغر) هو ابن عبد شمس هذا عند المسعودي، وعند بعضهم أنه أخوه وأنهما معاً ابنا وائل، وذكر المسعودي عن عبيد بن شريه الجرهمي وقد سأله معاوية عن ملوك اليمن في خبر طويل ونسب الحارث منهم، فقال: هو الحارث بن شدد بن الملقاط بن عمرو^(٩).

وأما الطبري فاختلف نسبه في نسب الحارث، فمرة قال: وببيت ملك التبابعة في سبأ الأصغر ونسبه كما مرّ، وقال في موضع آخر: والحارث بن ذي شدد هو الرائث جد الملوك التبابعة فجعله ابن إلى شدد ولم ينسبه إلى قيس ولا عدي من ولد سبأ (الأصغر).

وكذلك اضطرب أبو محمد بن حزم في نسبه في الجهمرة، مرة إلى الملقاط، ومرة إلى سبأ الأصغر، والظاهر أنه تابع في ذلك الطبري، والله أعلم^(٩).

وملك الحارث الرائث فيما قالوا مائة وخمسة وعشرين سنة، وكان يُسمى ثُبَعاً، وكان مؤمناً فيما قال السهيلي^[١٠].

[٩] - سبب اختلاف المؤرخين في نسب الرائث - ومنهم أيضاً الهمداني ونشوان الحميري - هو وجود ملكين عظيمين باسم الرائث هما (أ) - الحارث الرائث بن شدد حفيد الملقاط ثم حفيد الصوار بن عبد شمس وهو الرائث الأول أول التبابعة وكان عهده (١٤٧٠ - ١٤٣٢ق.م). والثاني (ب) هو الرائث باران ذورباش بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر سليل جشم بن عبد شمس وهو ثامن وأعظم الملوك التبابعة.

[١٠] - وقع هنا دمج بين الرائث الأول والرئث الثاني، وكذلك في الفقرة التالية بأن الذي ملك بعده ابنه ذو المنار وأنه ابن الصعب. وقد سلف قول ابن خلدون «وملك بعد مرثد ابنه الصعب ويقال إنه ذو القرنين وبعده أخوه الحارث بن ذي شدد وهو الرائث جد الملوك التبابعة» كما سلف أيضاً قول ابن خلدون «وقيل إن أول من ملك اليمن من حمير التبابعة شمر الأموك». ثم ذكر في موضع لاحق «أن الصعب ذو القرنين هو ابن الحارث الرائث» (اه) وقد وقع هذا الاضطراب بسبب تشابه أنباء الرائث الأول والرئث الثاني والدمج بينهما، لذلك نذكر الترتيب الصحيح وهو كما يلي:

١ - الحارث الرائث (أريشم الأول ملك سبأ) وقد حكم ٣٨ سنة كما في بردية مانلتو (١٤٧٠ =

ثم ملك بعده ابنه أبرهة ذو المنار - مائة وثمانين سنة فيما قال المسعودي -
 وقال ابن هشام أبرهة ذو المنار: هو ابن الصعب بن ذي مرثد بن الملطاط^(١٠).
 وسمي ذا المنار لأنه رفع المنار ليُهدى به^[١١].

= ١٤٣٢ ق.م). وعاصر تحتمس ملك مصر (١٤٦٨ - ١٤١٨ ق.م) وقام الرائش بقيادة وتوجيه قوات وقبائل كثيفة إلى بلاد الرافدين وسوريا وما يليهما، فأسسوا الممالك والمستوطنات التجارية وهم الذين تذكروهم الدراسات باسم الأراميين.

٢ - شمر الأملوك ذو الجناح بن الرائش، اشترك في الملوكية وتأسيس دولة التبابعة مع أبيه، وأسس مدينة ظفار، ونقل من كان بظفار واليمن من كنعان العمالقة إلى الشام كما سلف قول ابن خلدون إنه الذي «بنى ظفار وأخرج منها العمالقة» وفي نص آخر «وأخرج منها كنعان» فانتقلوا إلى منطقة ساحل الشام وأسسوا أوغاريت (ح/ ١٤٥٠ ق.م) ومنهم (أمازيغ بن كنعان) وتولى شمر قيادة فتوحات عهد أبيه لتأسيس مستوطنات تجارية امتدت من سوريا وأشور إلى بلاد الترك وإلى الهند والتبت، ثم حكم بعد أبيه ١٤ سنة (١٤٣٢ - ١٤١٨ ق.م).

٣ - الصعب ذو القرنين (بن شمر بن الرائش) وهو الذي قام برحلة استكشافية بلغ فيها أقصى المغرب ثم عاد من المغرب وسار شرقاً إلى مشرق الشمس ثم شمالاً إلى ما يلي القوقاز حيث بنى السد، وهو ذو القرنين المذكور في القرآن، وعاصر امنحتب اخناتون ملك مصر، وكان حكم ذي القرنين كما في بردية مانلتو ٦٨ سنة (١٤١٨ - ١٣٥٠ ق.م).

٤ - الملك صيفي (سيثي الأول) بن شمر، وكان عهده (١٣٤٩ - ١٣٤٠ ق.م) ومات بمكة كما في الإكليل.

٥ - ٧ - الملك حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر، ثم ابنه الملك صيفي ثم حفيده الملك قيس بن صيفي، وقد حكموا - كما في بردية مانلتو - من ح/ ١٣٤٠ ق.م. إلى ١٢٢٠ ق.م.

٨ - الرائش باران ذورياش بن قيس بن صيفي وهو أعظم الملوك التبابعة، امتدت ملوكيته العليا إلى بلاد الرافدين والشام ومصر والهند، وتم العثور على نصوص ورسائل باسمه في بابل وأشور ومصر واليونان، وكان عهده (١٢٢٠ - ١١٨٠ ق.م). وبالعالم الأول من عهده يبدأ التقويم السبائي المؤرخة به نقوش ملوك سبأ التبابعة المعثور عليها في معبد باران ومحرم بلقيس بمأرب، ثم ملك بعده ابنه الملك ذو المنار.

[١١] - هو تاسع الملوك التبابعة ذو المنار بن الرائش باران ذي رياش بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر، وقد ذكرت المصادر التراثية أن اسمه أبرهة (بمعنى إبراهيم) وسمي ذا المنار لأنه أول من اتخذ منارات ذات نار يهتدي بها جيشه في غزوه إلى بلاد الغرب براً وبحراً، وفيه قال تشوان الحميري في قصيدته عن ملوك اليمن التبابعة:

أو ذو المنار بنى المنار إذا غزا ليدله في رجعة ومراح
 ألقى بمنقطع العمارة بركه في الغرب يدعولات حين براح

وكان اسمه (امنفيث ذو منار بن باران ذورياش) كما في نصوص ورسائل العمارة بمصر وبردية مانلتو والنقوش، وكانت العمارة بمصر مركز قيادته وملوكيته لمحور الشام ومصر =

ثم ملك بعده ابنه أفريقش بن أبرهة مائة وستين سنة^[١٢].

وقال ابن حزم: هو أفريقش بن قيس بن صيفي أخو الرائش^[١٣].

وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى أفريقية وبه سُميت^[١٤] وساق البربر إليها من أرض كنعان، مرّ بها عندما غلبهم يوشع وقتلهم، فاحتمل (أفريقش) الفلّ منهم وساقهم إلى أفريقية فأنزلهم بها، وقتل ملكها جرجير، ويقال إنه الذي سمى البربر بهذا الاسم لأنه لما افتتح المغرب وسمع رطانتهم قال: ما أكثر بربرتهم، فسموا

= والغرب في عهد أبيه ذي رياش. وقد تم العثور في العمارنة على رسائل من ذي رياش (باران بورياش) إليه في مصر حيث كان ذو المنار يتولى القيادة في عهد أبيه (١٢٠٠ - ١١٨٠ ق.م) لتكوين مستوطنات تجارية في الغرب وسواحل المتوسط ثم عاد إلى اليمن وحكم بعد أبيه وكان عهده عام (١١٧٩ ق.م - ١١٤١ ق.م).

[١٢] - الذي ملك بعد ذي المنار هو ابنه ذو الأذعار بن ذي منار ثم أفريقيس بن ذي منار، وقد ذكر ابن خلدون في المقدمة عن المسعودي «أن ذا الأذعار كان قبل أفريقش وغزا المغرب ودوخه» [ص ١٢ - المقدمة] وقال في موضع لاحق «ثم ملك من بعد أفريقش أخوه ذو الأذعار» فوق تقديم وتأخير، وكان ذو الأذعار بن ذي منار قد تولى القيادة في محور مصر - الغرب لتأسيس قواعد ومستوطنات تجارية في عهد أبيه ذي المنار (١١٧٩ - ١١٤١ ق.م) كما تولى أفريقيس القيادة في ذات الفترة لتأسيس مستوطنات تجارية في محور أفريقية - المغرب - وقيل إن اسم ذي الأذعار كان العبد (إل عبد) - بمعنى عبد ايل - وسُمي ذا الأذعار لأنه أذعر الناس بقوم من النسناس سباهم في غزوه إلى أقصى الشمال من بلاد الغرب، كما في قول نشوان الحميري:

والعبد ذو الأذعار إذ ذعر الوري
بوجوه قوم في السبأ قباج
قوم من النسناس مذكورون في
أقصى الشمال شمال كل رباح

ثم ملك بعد أبيه فكان عاشر الملوك التابعة وكان عهده عام (١١٤٠ ق.م - ١١١٥ ق.م).
[١٣] - الصواب أنه أفريقيس بن ذي المنار بن الرائش وهو الحادي عشر من ملوك سبأ التابعة - كما في بردية مانلتو والمصادر التاريخية - وقد ملك بعد أخيه ذي الأذعار (١١١٥ - ١١٠٠ ق.م). وهو آخر ملوك عصر التبابعة الأول.

[١٤] - كان مسير أفريقيس (أفريقش) بن ذي المنار إلى أفريقية والمغرب في عهد أبيه ذي المنار أو أخيه ذي الأذعار بن ذي منار / ١١٧٩ - ١١١٥ ق.م). وقد ذكره نشوان بعد أخيه ذي الأذعار قائلاً:

وأخوه أفريقيس وارث عرشه
سُميت إليه بأوضح الإيضاح
وأحلّ فيها قومه فتملكوا
ما حولها من بلدة ونواحي

كما ذكره عبد الخالق الشهابي في أبيات بالإكليل بعد ذي الأذعار حيث قال:

وأخوه الذي ساق كنعان حتى
الغطت بالسياق في البربار

البربر، والبربرية في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة، ومنه بربرة الأسد. ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم إلى الآن بها، وليسوا من نسب البربر^[١٥]، قاله الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسابين.

ملوك العصر الثاني لتبابعة سبأ^[١٦]

ثم مَلَك من بعد أفريقش أخوه العبد بن أبرهة وهو ذو الأذعار عند

[١٥] - تخلى ابن خلدون هنا عن رأيه الذي أورده في المقدمة عن عدم صحة ما ذكره المؤرخون من غزو أفريقش إلى المغرب وتوطين البربر وقبائل من حمير بالمغرب، وبالتالي عدم صحة نسب البربر إلى اليمن والعرب، لأن التبابعة لم يمتلكوا الشام ومصر ولا طريق إلى المغرب إلا من مصر ولأن البربر من كنعان (أمازيغ بن كنعان)، بينما يتبين من النصوص والمصادر التاريخية السالفة ما يلي:

أ - أن الملوكية العليا للرائش وذي المنار وذي الأذعار شملت الشام ومصر العليا في ذلك القرن الثاني عشر قبل الميلاد الذي في أواسطه كان مسير أفريقيس بن ذي المنار إلى المغرب في إطار تكوين مستوطنات وقواعد تجارية، فأسس مدينة أفريقية (بتونس) وأوطن بالمغرب الذين قيل لهم البربر.

ب - لا يتعارض ذلك مع القول بأن البربر من كنعان أو أمازيغ بن كنعان وكانوا بالشام لا باليمن قبل مسيرهم إلى المغرب، فقد كانوا في الأصل من اليمن وانتقلوا إلى الشام في عهد شمر الملوك بالقرن الخامس عشر ق. م. - كما تقدم - فمكثوا بها إلى عهد ذي المنار ثم احتملهم أفريقيس في غزواته ومسيره إلى المغرب فأوطنهم بها. فالنصوص السالفة وغيرها تنطق بأنه «ساق كنعان» من الشام مع قوة وقبائل يمنية أخرى وأوطنهم بالمغرب، وهم الطبقة الأولى من البربر، أما الطبقة الثانية فكانوا حميريين سبائين أوطنهم بالمغرب الملك ياسر الأول والملك ياسر الثاني الذي ذكر ابن خلدون أنه ملك بعد بلقيس كما يأتي في ملوك العصر الثاني لتبابعة سبأ.

[١٦] - الملوك التبابعة الذين تقدم ذكرهم من الحارث الرائش الأول إلى أفريقيس بن ذي منار بن الرائش الثاني ذي رياش هم ملوك عصر التبابعة الأقدم والأول وعددهم ١١ ملكاً تتابعوا على الملوكية في الفترة (١٤٧٠ ق. م. - ١١٠٠ ق. م.) وكان أعظمهم الرائش الثاني ذورياش (١٢٢٠ ق. م. - ١١٨٠ ق. م.). وقد تم اتخاذ العام الأول من عهده بداية للتقويم السبائي المؤرخة به نقوش ملوك العصر الثاني والعصر الثالث لتبابعة سبأ المعثور على نقوش بالمسند بأسمائهم ومن عهودهم في معبد باران ومحرم بلقيس بمأرب ويحملون في نقوش المسند لقب (ملك سبأ وذو ريدان) وأولهم (ذو المر على وتار بن سمهعالي) وآخرهم (ياسر ينعم) المؤرخ آخر نقوش عهده في محرم بلقيس بعام ٣٨٥ للتقويم السبائي (٨٤٥ ق. م.). وسنذكر أسماء وترتيب أولئك الملوك بموجب النقوش بعد إيراد ما ذكره ونقله ابن خلدون عن ملوك ذلك العصر واضطراب المؤرخين والرواة في ذكر أسمائهم وترتيب عهودهم، ولكنه بالرغم من ذلك يكتسب أهمية أكيدة.

المسعودي، قال سُمي بذلك لكثرة ذعر الناس من جوده، وملك خمساً وعشرين سنة، وكان على عهد سليمان بن داود وقبله بقليل^[١٧].

وسار إلى كيكائوس بن كيآن ملك فارس، فبارزه وانهزم كيكائوس وأسرته ذو الأذعار حتى استنقذه بعد حين من يده وزيره رستم زحف إليه بجموع فارس إلى اليمن وحارب ذا الأذعار فغلبه واستخلص كيكائوس من أسره كما نذكره في أخبار ملوك فارس^[١٨].

وقال الطبري إن ذا الأذعار اسمه عمرو بن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر (اه).

وكان مهلك ذي الأذعار فيما ذكر ابن هشام مسموماً على يد الملكة بلقيس^[١٩].

«وقال آخرون^[٢٠] ملك بعد أفريقش بن أبرهة قيس بن صيفي^[٢١] وبعده الحارث بن قيس بن مياس، ثم ماء السماء بن ممره، ثم شرحبيل يصحب بن

[١٧] - يتبين من القول بأن ذي الأذعار «كان على عهد سليمان وقبله بقليل» وأنه «هلك مسموماً على يد الملكة بلقيس معاصرة سليمان» أن المقصود ليس الملك ذي الأذعار بن ذي منار وإنما الملك الذي حكم قبل بلقيس وأبيها (في القرن العاشر قبل الميلاد) وقد ذكره ابن خلدون في فقرة لاحقة باسم «زهير عبد شمس» كما سيأتي.

[١٨] - الذي حارب وهزم وأسر كيكائوس ملك فارس هو الملك شمربرعش بن ياسر ينعم كما في أخبار الملوك الماضيين والسيرة الجامعة وشرح قصيدة نشوان، وتؤكد ذلك نقوش المسند كما سيأتي.

[١٩] - يذكر ابن خلدون بعد هذه الفقرة ملوكية والد بلقيس ثم بلقيس ومن تلاها من الملوك (ص ٥٢ - ٥٦) إلى أن يقول «انتهى ترتيب الجرجاني، وقال آخرون ملك بعد أفريقش . . الخ» (ص ٥٧) ويتضمن هذا السياق الثاني أسماء عدد من الملوك حكموا بالفعل بين عهد أفريقس وعهد بلقيس .

[٢٠] - هذه الفقرة من قول ابن خلدون «وقال آخرون . . إلى قوله . . فقتلته بلقيس» قدمنا موضعها هنا حتى تتكامل الصورة، وترتبط بقول ابن خلدون في الفقرة السابقة «وكان مهلك ذي الأذعار فيما ذكر ابن هشام مسموماً على يد الملكة بلقيس» ونقل ابن خلدون في فقرة تالية عن ابن سعيد أنه «ذو الأذعار بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار، وأن حمير خلعه وملكوا شرحبيل وكان بمأرب فحاربه ذو الأذعار وحارب ابنه الهدهاد بن شرحبيل وابنته بلقيس فصالحته على التزويج وقتلته» (ص ٥٧ ج٢) - ويتبين من مجمل ذلك أن الملك عبد شمس (زهير عبد شمس) هو المقصود بقول المسعودي إنه سُمي «ذا الأذعار لكثرة ذعر الناس من جوره» ويتيح ذلك تحقيق الملوك بعد أفريقس إلى عبد شمس وبلقيس.

[٢١] - الأصوب هنا (همال بن صيفي) لأن قيس بن صيفي والد الرائش ذي رياش كما تقدم، ويعزز ذلك أن سياق الملوك هنا - بعد أفريقس - من بيت الهمال، إلى قوله (بن علي بن الهمال بن المتسلم بن جهيم (بن صيفي) ثم الصعب بن قرين بن الهمال، ثم زيد بن الهمال، ولا بأس من وقوع تقديم وتأخير.

مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن علي بن الهمال [٢٢٢] بن المثلثم بن جهيم، ثم الصعب بن قرين بن الهمال بن جهيم، ثم زيد بن الهمال [٢٢٢].

ثم ياسر بن الحارث بن عمرو بن يعفر [٢٢٣].

ثم زهير بن عبد شمس أحد بني صيفي بن سبأ الأصغر، وكان مجرمًا يفتض أبكار حمير حتى نشأت بلقيس بنت اليشرح (بن ذي جدن بن اليشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي) فقتلته بلقيس غيلة [٢٢٠].

وملك من بعده [٢٢٤] الهدهاد بن شرحبيل، وهو ذو الشرح [٢٢٥] وملك ستاً أو عشراً فيما قال المسعودي.

وملكت بعده ابنته بلقيس (بنت الهدهاد ذو الشرح بن شرحبيل) [٢٢٦].

[٢٢٢] - جاء في الإكليل أن «الرائد بن همال بن صيفي كان صاحب مقدمة أفريقيس وقائد بعوثه وكان مع ذلك يتولى أعمال الحجاز والبحرين واليمامة» [ص ١٠٩ ج ٢/الإكليل] فيكون هو ابن الهمال الذي تم تملكه بعد أفريقيس بن ذي المنار بن الرائش وهو «ذمر علي وتار يهنعم بن سمهعال» صاحب النقش المسند رقم ١ من محرم بلقيس وأول من حمل لقب (ملك سبأ وذو ريدان) في نقوش المسند ثم يليه في نقوش المسند الملك «ذمر علي بين ملك سبأ وذو ريدان» ثم «كرب آل وتار يهنعم الأول وابنه هلك أمر» ويسجل نقشه المسند اختطاط مدينة صنعاء في عهده (بالقرن الحادي عشر قبل الميلاد).

[٢٢٣] - كانت ملوكية ياسر بعد بلقيس بإجماع المؤرخين ومنهم ابن خلدون كما سيأتي، وقد ذكرت المصادر هنا الملك «شمر بن أفريقيس بن ذي المنار» [ص ١١٠ ج ٢/الإكليل] وفي النقوش بعد (هلك أمر) الملك عمدان «يهقبض» ثم ابنه «شمر ينعم» وهو شمر حفيد وليس ابن أفريقيس، ثم الملك ذمر على ذرح وأبنائه الثلاثة «كرب آل بين/ويهاقم/ونشاكرب» ثم الملك «رب شمس» وهو الذي قتلته بلقيس.

[٢٢٤] - أي من بعد عبد شمس ذي الأذعار وهو «رب شمس ملك سبأ وذو ريدان» وهو الملك الحادي عشر من ملوك العصر الثاني لتبابعة سبأ في نقوش المسند المعثور عليها في معبد باران ومحرم بلقيس بمأرب وكان عهده في الفترة ما بين عام ٢٤٥ وعام ٢٧٣ للتقويم السبائي ويوافق ذلك ما بين ٩٧٥ ق.م. و ٩٤٧ ق.م.

[٢٢٥] - هو والد بلقيس وكان تملكه بالمعارضة للملك (رب شمس) - كما تقدم - إلى أن دبرت بلقيس قتل الملك رب شمس فاستتب الملك لأبيها مدة قصيرة وقيل سنة واحدة، وتعددت الأقوال في اسمه ونسبه والأصح أنه اليشرح بن شرحبيل بن ذي سحر من بني صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر كما في شمس العلوم.

[٢٢٦] - المتواتر عبر الأجيال أن اسمها بلقيس، وهو اسم مركب من كلمتين (بلق) و(إيس) ومعنى (بلق) كما في القاموس المحيط «البياض وشدة الحمرة» وأما «إيس» فكان اسم إله الشمس ومعنى الاسم (ذات الجمال الشمسي) وكانت مدة حكم بلقيس ٢٣ سنة كما في مروج الذهب واستمر حكمها سنة واحدة بعد موت سليمان، فيكون عهد الملكة بلقيس =

وقال الطبري إن اسم بلقيس يلقيه بنت اليشرح بن الحارث بن قيس (٢٦).
ثم غلبهم سليمان عليه السلام على اليمن كما وقع في القرآن [٢٧] فيقال تزوجها ويقال بل عزلها في التأييم (!) فتزوجت سدد بن زرعة بن سبا [٢٨] وأقاموا في ملك سليمان وابنه أربعاً وعشرين سنة.

«وكان سليمان سما إلى ملك اليمن، وسار إليه فوافى صنعاء (٢٧) من يومه وطلب الهدهد لالتماس الضوء فافتقده، ورجع إليه الهدهد بخبر بلقيس كما قصه القرآن ودافعت بالهدية فلم يقبلها، فلاذت بطاعته ودخلت في دينه ووافته بملوك اليمن، وأمرها بأن تتزوج، فنكرت ذلك لمكان الملك، فقال لا بد في الدين من ذلك، فقالت زوجني ذا بتع ملك همدان فزوجها إياه [٢٩] وملكها على اليمن واستعملها فيه ورجع إلى الشام [٣٠].»

= (٩٤٦ - ٩٢٤ ق.م). لأن سليمان مات عام ٩٢٥ ق.م. ولأن الملك ياسر الذي حكم بعد بلقيس كان عهده كما تدل النقوش في الفترة (٢٩٧ - ٣١٠ للتقويم السبائي) ويوافق ذلك (٩٢٣ - ٩١٠ ق.م) كما سيأتي.

[٢٧] - ليس في القرآن أن سليمان غلب على اليمن ولم يصل إلى صنعاء وإنما قيل إلى الحجاز وتخوم نجران إذا صح.

[٢٨] - إنما تزوجت بلقيس بذي بتع قيل همدان كما سيأتي في النص التالي من تاريخ ابن خلدون في حديثه عن النبي سليمان [ص ٩٨ ج ٢] من قوله إن سليمان «سما إلى ملك اليمن . . .».

[٢٩] - كان القليل بتع السبائي قيل همدان من أقبال اليمن الذين رافقوا الملكة بلقيس في مسيرها من اليمن - بموكب عظيم - إلى سليمان بأورشليم القدس لتعرف حقيقة عقيدته وأموره، فسارت بموكب عظيم يدل على أن دولة سبا أعظم وأقوى وأغنى مما يظن سليمان، حيث كما قال نشوان الحميري:

أم أين بلقيس المُعظم عرشها أو صرحها العالي على الإصرح
زارت سليمان النبي «بموكب» من مأرب ديناً بلا استنكاح
في ألف ألف مدجج من قومها لم تأت في إيل إليه طلاح

وكان مسيرها بمعية الأقيال «في مائة ألف فارس وجنود مشاة وقوافل من الذهب والطيوب» فلما أيقنت بحكمة وصدق سليمان ونبوءته ودين التوحيد الحنيف الذي دعا إليه آمنت بدين التوحيد وقالت كما في القرآن الكريم «أسلمت مع سليمان لله رب العالمين» ثم كما جاء في كتاب الإكليل وشمس العلوم أخبرها سليمان بتعاليم دين التوحيد وإنه لا يكمل الدين إلا بالزواج فقالت: إن كان ولا بد فزوجني ذا بتع فعقد سليمان زواجهما وعادا متزوجين إلى مأرب، فلا صحة للقول بأنه تزوجها أو أنه امتلك اليمن أو ملكها على اليمن ولم يأت هو إلى الحجاز واليمن وإنما هي التي سارت إلى القدس بالشام.

[٣٠] - تؤكد نصوص التوراة النبأ اليقين عن زيارة بلقيس ملكة سبا لسليمان حيث جاء في التوراة ما يلي نصه: - «وسمعت ملكة سبا بخبر سليمان لمجد الرب، فأنت لمتحن سليمان بمسائل، =

وقيل تزوجها، وأمر الجن فبنوا لها سلحين وغمدان^[٣١] وكان يزورها في الشهر مرة يقيم عندها ثلاثاً.

وعلماء بني إسرائيل ينكرون وصول سليمان إلى الحجاز واليمن، وإنما ملك اليمن عندهم بمراسلة ملكة سبأ، وأنها وفدت عليه في يروشالم، وأهدت إليه مائة وعشرين قنطاراً من الذهب ولؤلؤاً وجوهرأ وأصنافاً من الطيب والمسك والعنبر، فأجازها وأحسن إليها وانصرفت. (انتهى).

ثم قام بملكهم (بعد بلقيس) ياسر بن عمرو ذي الأذعار ويُعرف بناصر النعم لفظين مركبين جعلاً اسماً واحداً كذا ضبطه الجرجاني، وقال السهيلي ياسر بن عمرو ثم قال ويقال له ناصر النعم، وفي كتاب المسعودي ناسف بن عمرو ولعله تصحيف، ونسبه إلى عمرو ذي الأذعار^[٣٢].

= فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً، وبجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً، [الإصحاح ٩ - سفر الأيام] ثم تذكر التوراة أسئلة ملكة سبأ فأجابها سليمان عن كل ما سألت فأيقنت بحكمة سليمان وباركت له بملوكيته على قومه ووهبت له ذهباً وطيباً جزيلة وعادت إلى أرض سبأ بموكبها العظيم، فلم تزعم التوراة أنها تزوجت سليمان ولا أنه امتلك اليمن، وكانت زيارتها لسليمان عام ٩٣١ ق.م ومات سليمان عام ٩٢٥ ق.م.

[٣١] - كان قصر سلحين بمأرب مقر ملوك سبأ التابعة قبل بلقيس وفي عهدها وبعدها كما تنطق النقوش، أما قصر غمدان فكان البناء الأقدم لغمدان موجوداً منذ العصور السالفة ثم بنى القصر الملك الشرح يحضب.

[٣٢] - يتفق سائر المؤرخين والعلماء العرب الأوائل على أن الملك ياسر - وكما يذكر أيضاً الهمداني في الإكليل - «كان ملكه بعد بلقيس وسليمان» وقال فريق منهم إنه «وقعت باليمن فتنة بعد بلقيس استمرت أربعين سنة ثم ملك ياسر ينعم فجمع أمرهم وقوى من ملكهم» وإنه - كما ذكر ابن خلدون أيضاً - «ملك بعد ياسر ابنه شمر يرعش» [اهـ] ويتبين من التحقيق والنقوش وقوع دمج بين ملكين اسمهما ياسر بل ثلاثة ملوك وبسبب ذلك هو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله إن التبابعة «اتفقت أسماء كثير من ملوكهم ووقع اللبس في نقل أيامهم ودولهم» (اهـ) وذلك هو أيضاً سبب الاختلاف في نسب الملك ياسر. فقد أورد ابن خلدون هنا أنه «ياسر بن عمرو (بن) ذي الأذعار» ويتصل نسبه إلى «ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر. الخ» ثم نقل ابن خلدون في نص لاحق أنه «ياسر بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن حمير بن المنتاب بن عمرو بن زيد بن يعفر بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ» وكذلك في الإكليل (ص ٢٠٧ ج٨).

ويتبين من ربط المصادر التاريخية والنقوش ما يلي:

أ - أن الملك ياسر الذي ملك بعد بلقيس هو ياسر الأول، واسمه ولقبه كما في نقوش المسند «ياسر يهصدق ملك سبأ وذوريدان» ويمكن أن يكون حفيد «شمر ينعم بن عمدان يهقبض بن أفرقيس - شقيق ذي الأذعار - بن ذي منار بن الرائش» وكان عهد ياسر يهصدق عام ٢٩٧ - ٣١٠ للتقويم =

وليس يتحقق في هذه الأنساب كلها أنها للصلب فإن الآماد طويلة والأحقاب بعيدة، وقد يكون بين اثنين منهما عدد من الآباء وقد يكون ملصقاً به .

وقال هشام بن الكلبي إن ملك اليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له ياسر أنعم لإنعامه عليهم بما جمع من أمرهم وقوى من ملكهم [٣٣] .

غزو الملك ياسر إلى المغرب [٣٤]

وزعم أهل اليمن أن الملك ياسر [٣٥] سار غازياً إلى المغرب فبلغ وادي

= السبائي، والزمن الصحيح الموافق لذلك هو (٩٢٣ - ٩١٠ قبل الميلاد) وبالتالي بعد بلقيس، وتذكر كتب التاريخ أنه غزا إلى الحبشة وبلاد المغرب وبلغ وادي الرمل وكذلك ياسر ينعم .
ب - أن انقساماً ونزاعاً على الملوكية وقع في اليمن بعد ياسر يهصدق بين آل ياسر ومنهم «شمر يحمند بن ياسر يهصدق» وبين ملوك غير راثيين منهم (الشرح يحضب) و(شعرام أوتر) وانتهى الإنقسام الذي دام أربعين سنة بالإجماع على تملك ياسر ينعم في نفس ذلك القرن التاسع قبل الميلاد.

[٣٣] - هو ياسر الثاني (ياسر ينعم ملك سبأ وذو ريدان) - والد شمر يرعش - وكان عهد ياسر ينعم (٣٥٦ - ٣٨٥ لتقويم السبائي) ويوافق ذلك عام (٨٦٤ - ٨٣٥ قبل الميلاد) .

[٣٤] - هو الملك ياسر الأول «ياسر يهصدق ملك سبأ وذو ريدان» الذي تم تملكه بعد بلقيس، وقد تم العثور على ثلاثة نقوش بالمسند من عهده تم نشرها في المجموعات النقوشية، منها النقش المسند رقم (٧٧ - إيراني) من موقع الأقرم والنقش رقم (٤١ سي . اي . اتش) من موقع ضاف والنقش رقم ١٤ كهالي من محرم بلقيس وكان عهده (٢٩٧ - ٣١٠ لتقويم السبائي/ ٩٢٣ - ٩١٠ ق.م. .).

وكذلك الملك ياسر الثاني «ياسر يهنعم ملك سبأ وذو ريدان» وقد تم العثور على ستة نقوش بالمسند باسمه ومن عهده في معبد باران ومحرم بلقيس بمأرب والمعسال وهكر وهي منشورة في مجموعة «نقوش سبائية من محرم بلقيس - البرت جام» وآخرها مؤرخ بعام ٣٨٥ لتقويم السبائي (٨٣٥ ق.م. .) وقد حكم ياسر ينعم كما ذكر المسعودي ٣٥ سنة والأصوب ٣٠ سنة (٣٥٦ - ٣٨٥ لتقويم السبائي) ويوافق (٨٦٤ - ٨٣٥ قبل الميلاد) .

وقد قام كل من ياسر يهصدق (ياسر الأول) حفيده ياسر ينعم (ياسر الثاني) بما تذكره كتب التاريخ التراثية من أنه «عبر الملك ياسر البحر وسار على ساحله - بالسفن والجيوش - يريد أرض الحبشة فأخذها» وأنه «أرسل ياسر ابنه شمر بالسفن على ساحل البحر» وأن شمر «افتتح مصر» وأنه «غزا ياسر نحو المغرب فدوخه ووطئه حتى بلغ وادي الرمل وبلغ البحر المحيط في غزوه» [ص ٢٠٧ ج٨ - الإكليل] وكان ذلك الغزو والمسير لإعادة تكوين المستوطنات والقواعد التجارية وربط وتأمين الطرق التجارية، وتم توطين قوات وقبائل يمنية حميرية سبائية في قرطاجة والمغرب وتلك الجهات، وقال نشوان الحميري يذكر الملك ياسر :

أو ياسر الملك المُعيد لما مضى من مُلك حتى لا تراه لقاح

أبقى بوادي الرمل أقصى موضع بالغرب مسند ماجد جحجاج

[٣٥] - انتقد ابن خلدون نبأ غزو الملك ياسر لبلاد المغرب في المقدمة وإن ذلك كما قال «مما =

الرملم ولم يبلغه أحد (قبله) ولم يجد فيه مجازاً لكثرة الرمل وعبر بعض أصحابه فلم يرجعوا^[٣٥]، فأمر بصنم من نحاس نُصب على شفير الوادي، وكتب في صدره بالخط المسند هذا الصنم لياسر أنعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب.

«العصر الثالث لملوك سبأ التابعة الحميريين»^[٣٦].

ثم مَلَكَ بعد ياسر ينعم ابنه شمر مرعش^[٣٧]، سُمِّي بذلك لارتعاش كان به^[٣٨]،

= ينقله كافة المؤرخين في أخبار التابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب» وإنه «ذكر المسعودي أن (والد ياسر ينعم) وكان على عهد سليمان غزا المغرب ودوخه، وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وأنه بلغ وادي الرمل في بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكاً لكثرة الرمل فرجع» [ص ١٢ المقدمة]. وقد انتقد ابن خلدون أبناء غزو التابعة للمغرب - ومنهم ياسر ينعم - وذهب إلى عدم صحتها لأنهم لم يمتلكوا الشام ومصر، ولا طريق إلى المغرب إلا منهما. والواقع أن مسير الملك ياسر كان عن طريق الحبشة وجنوب مصر. وتؤكد دراسات تاريخ تلك الفترة أن ملوكيته العليا شملتهما.

[٣٦] - ميزنا هذا العصر عن العصر السابق حيث كان اللقب الملكي في نقوش المسند «ملك سبأ وذو ريدان» كناية عن التقسيم الإداري اللامركزي لليمن إلى قسمين كبيرين سبأ وريدان - أي سبأ وحمير - وكانت حضرموت في إطار قسم ريدان (حمير) وكان ياسر ينعم آخر ملوك ذلك العصر ثم تولى الملوكية بعده ابنه شمر يُرْعَش، ومنذ عهده تم تعديل التقسيم الإداري اللامركزي إلى أربعة أقسام وأصبح اللقب «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وُمانت» وهو لقب العصر الثالث لملوك سبأ التابعة الحميريين، والأصل في اللقب هو ملك سبأ، وكان سبأ الاسم الشامل والرسمي للدولة بأقسامها الإدارية الأربعة ومنها (يُمانت) وهي الشحر وعمان.

[٣٧] - هو شمر يرعش بن ياسر ينعم، وجاء اسمه في نقوش المسند بالتفخيم الهائي «شمر يُهرعش بن ياسر يُهنعم» وقد تم العثور على أكثر من عشرين نقشاً مسنداً باسمه ومن عهده في معبد باران ومحرم بلقيس بمأرب، وكان عهده (٣٨٦ - ٤٠٩ للتقويم السبائي) والزمن الصحيح الموافق لذلك هو (٨٣٤ - ٨١١ قبل الميلاد) فقد كان عهد ياسر ينعم وشمر يرعش كما ذكر ابن خلدون والهمداني وسائر المؤرخين العرب الأوائل بعد بلقيس معاصرة سليمان، أي في القرن التاسع قبل الميلاد وهو الصحيح، وقد حكم شمر يرعش إلى العام المؤرخ به آخر نقوش عهده وهو مؤرخ بعام ٤٠٩ للتقويم السبائي (الموافق ٨١١ ق.م.) في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد.

[٣٨] - الصواب أن يرعش كان لقبه الشخصي فكل ملك كان له لقب شخصي مثل (عمدان يهقيص، وشمر يحمد، وياسر يهصدق، وياسر يهنعم) وكذلك شمر يرعش. قال نشوان الحميري في قصيدته عن التابعة:

أم أين سَمَّر يرعش الملك الذي مَلَكَ الوريءُ بالعنف والإسجاج
قد كان يُرْعَش من رآه هيبة ورنأ إليه بطرفه اللماح
وبه سمرقند المشارق سُميت لله من غازٍ ومن فتاح

ويقال إنه وطئ أرض العراق وفارس وخراسان وافتتح مدائنها [٣٩] وخرّب مدينة الصغد وراء جيحون فقالت العجم شمر كند، أي شمر خرب، وبنى مدينة هناك فسميت باسمه هذا «شمر/ كند» وعربته العرب فصار سمرقند. ويقال إنه الذي قاتل (كيكاوس بن كيقباز) [٤٠] ملك الفرس وأسرته (٤٠)، وإنه الذي حير الحيرة (٤٠) وذكر بعض الأخباريين أنه ملك بلاد الروم [٤١].

[٣٩] - كانت فتوحات شمر يرعش لتأسيس وتأمين المستوطنات والقواعد التجارية والطرق التجارية لدولة سبأ وحلفائها الآراميين والفينيقيين والكلدانيين وهم في الأصل يمانيون سبائيون، وقد سجلت نقوش المسند تلك الفتوحات كما سيأتي.

[٤٠] - جاء في الأصل المطبوع من الكتاب هنا أنه «الذي قاتل قباز ملك الفرس وأسرته» [ص ٥٢ ج ٢] وفي فقرة لاحقة عن تبع الرائد «أن شمر لقي كيقباز ملك الفرس وهزمه، وملك سمرقند، وجاز إلى الصين ويقال إنه ترك ببلاد الصين قوماً من حمير، وإنه ترك قوماً من عسكريه بظاهر الكوفة فتحيروا هنالك فسميت الحيرة» [٥٣ ج ٢] وأما ملك الفرس الأسير فذكر ابن خلدون في أبناء ملوك الفرس أنه «كيكاوس بن كيقباز» وهو كذلك [ص ١٥٩ ج ٢] وقد ذكر نشوان الحميري أسر كيكائوس ملك الفرس ثم عفا عنه شمر يرعش وأعادته ملكاً على بلاده.

[٤١] - انتقد ابن خلدون في المقدمة ما ذكره المؤرخون في أخبار التبابعة عن غزوهم بلاد فارس وبلاد الترك ومنها الصغد حيث سمرقند وبلوغهم الصين والقسطنطينية وأنهم لم يمتلكوا الشام. الخ [ص ١٣ مقدمة ابن خلدون] والواقع صواب تلك الفتوحات ومنها فتوح شمر يرعش. فقد سجلت مساند شمر يرعش وقادة جيوشه المعثور عليها في معبد باران ومحرم بليقيس غزو وافتتاح كل من:

١ - الشام ومحاربة دواة (يهودا) بكنف الشام إلى ساحل وبحر عكا. ويتعزز ذلك بما جاء في التوراة عن ذلك العهد أنه «أهاج الرب على الملك يهورام - ملك يهودا - العرب الذين بجانب الكوشيين فصعدوا إلى يهودا وافتحوها وسبوا كل الموجود في بيت الملك - بأورشليم - بما في ذلك بنيه ونسائه أيضاً» [انتهى] وقال مرغلوث «المقصود بالعرب الذين بجانب الكوشيين هم العرب الجنوبيون سكان اليمن وكان ذلك عام ٨٣٤ قبل الميلاد» [ص ٦٤ ج ١ المفضل لجواد علي].

٢ - ذكرت نقوش شمر يرعش فتح «جزن بكنف الشام ووادي حارب وحرّات الشام» [أهـ] ووادي حارب بمنطقة صيدا وجزن هي (جزين) وبالتالي منطقة الساحل السوري (فينيقية) وحرّات الشام هي الجولان وحووران واللجّات بسورية، وكانت قد خضعت للأشوريين فأعيدت سيادتها للفينيقيين والآراميين الذين هم في الأصل من اليمن وحلفاء سبأ.

٣ - فتح سوهر (آشور) التي تقرر الدراسات أن مملكتها ضعفت منذ عام ٨٢٤ ق.م. وأن الكلدانيين بسطوا سيادتهم في بلاد بابل وما جاورها، ويقول د. سامي الأحمد «توفرت الأدلة النقوشية من المواقع الكلدانية بالعراق على الأصل الواحد والموطن المشترك للكلدانيين والسبائيين وهو بلاد اليمن» [ص ١٦ اللغات الجزرية] وتتمثل الأدلة في نقوش وأختام مكتوبة =

وقال السهيلي في شمر يرعش الذي سميت به سمرقند أنه شمر بن مالك، ومالك هو الأملوك الذي قيل فيه:

فنقب عن الأملوك واهتف بذكره وعش دار عز لا يغالبه الدهر
وهذا غلط من السهيلي فإنهم مجمعون على أن (شمر) الأملوك كان لعهد موسى عليه السلام، وشمر (يرعش) من أعقاب ذي الإذعار الذي كان على عهد سليمان فلا يصح ذلك، إلا أن يكون شمر (بن) أبرهة ويكون أول دولة التبابعة^[٤٢]. ثم مَلَكَ على التبابعة بعد شمر مرعش، تُبع الأقرن واسمه

= بالمسند اليميني تعود إلى القرن التاسع والقرن الثامن قبل الميلاد في بلاد بابل وكذلك في الشام . .

٤ - تذكر نقوش شمر يرعش أيضاً غزو بلدان «ضدخان» و«تمنعم» و«نبتع» و«خوينة» كما في النقش المسند المنشور برقم [٦٤٩] جام - نقوش سبائية من محرم بلقيس] وقد ذكرت النصوص الآشورية بلاد نبتع [نابيت NAPIATE] ووصفتها بأنها «أرض بعيدة» أو «أبعد أرض» [ص ٥٩٤ ج ١/المفصل].

٥ - ويسجل النقش رقم ٣١ من معبد باران بلوغ فتوح شمر يرعش بلدان «قط/وصف/وكوك مملكة فارس/ وأرض تناخ» [انتهى] ومملكة فارس كوك هي التي تم أسر ملكها كيكاسوس وبلاد صف هي التي فيها تم بناء سمرقند.

[٤٢] - شمر الأملوك كان في عصر التبابعة الأقدم الأول بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد وهو ما يشير إليه قول ابن خلدون إنه «كان لعهد موسى» فقد كان موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

أما شمر بن أبرهة ذي المنار، فقد جاء ذكره في الإكليل باسم «شمر يرعش بن أفريقيس بن أبرهة ذي المنار بن الرائش» والصواب أن اسمه لم يكن شمر يرعش وإنما هو «شمر ينعم بن عمدان يقبض بن أفريقيس بن ذي المنار» وكان في القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

بينما شمر يرعش الذي به سميت سمرقند كان في القرن التاسع قبل الميلاد وهو ما يشير إليه قول ابن خلدون بأنه من أعقاب ذي الإذعار الذي كان على عهد سليمان، فلا يصح أنه شمر الأملوك وإنما هو شمر يرعش بن ياسر ينعم الذي حكم بعد بلقيس معاصرة سليمان، فشمر يرعش هو الذي قام ببناء مدينة سمرقند وأوطن بها جماعة من قومه كمستوطنة تجارية في القرن التاسع قبل الميلاد حيث قال نشوان في قصيدته عن التبابعة:

أم أين شمر يرعش إلملك الذي	مَلَكَ الوري بالعرف والاسجاج
وبه سمرقند المشارق سُميت	لله من غازٍ ومن فتاح
وأتى بمالك فارس كيكاسوس	في القييد يعشر مثخنا بجراح
فأقامه في بئر مأرب برهة	في السجن يزأر معلنا بصياح
فاستوهبت سعدى أباه ذنبه	فعفى وسيّره بحسن سراح

وقال دعبيل بن علي الخزاعي عن الملوك التبابعة:

زيد^[٤٣]، قال السهيلي: وهو ابن شمر مرعش^[٤٤]، وقال الطبري: إنه ابن عمرو ذي الإذعار^(٤٣) وقال السهيلي: إنما سمي الأقرن لشامة كانت في قرنه، ومَلِكٌ ثلاثاً وخمسين سنة، وقال المسعودي ثلاثاً وستين. ثم ملك من بعده ابنه كليكرب وكان مضعفاً ولم يغز قط إلى أن مات^[٤٥]، ومَلِكٌ بعده ابنه تبان أبو

= وهم كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الهند كانوا الكاتبينا

وهم سمو سمرقندا بشمر وهم تركوا هناك الثبطينا

[٤٣] - اسم تُبع الأقرن ياسر يُنعم بن عمرو وهو ياسر ينعم الثالث، وجاء في شرح قصيدة نشوان الحميري أن تبع الأقرن هو ذو القرنين وأن بعض العلماء والمؤرخين ذكروا أن ذا القرنين هو ياسر ينعم بن عمرو، فيكون ذو القرنين الثاني من التبابعة، وفيه قال نشوان الحميري في قصيدته عن التبابعة:

والأقرن الملك المتوج تُبع

وغزا بلاد الروم ببغي وادي الـ

فقضى هنالك نحبه وأتى إلى

عرك البلاد بكلكل فذاح

ياقوت صاحب عزة وطماح

أجل معدل للجمام متاح

وجاء في الإكليل أنه مات في سنجار وقبره فيها مشهور [ج/الإكليل] وسنجار هي بلاد آشور وفيها مات ودُفن تبع الأقرن ياسر ينعم الثالث وكان عهده في الفترة (٧٣٤ - ٧١٣ قبل الميلاد).

[٤٤] - لم يكن ابناً مباشراً لشمر يرعش وإنما كان أشهر الملوك التبابعة بعده في ذلك العصر،

حيث تنطق نقوش المسند بالترتيب التالي لملوك سبأ التبابعة الحميريين في ذلك العصر:

١ - شمر يرعش بن ياسر يُنعم الأول ٣٨٦ - ٤٠٩ لتقويم السبائي (٨٣٤ - ٨١١ ق.م.).

٢ و ٣ - ياسر ينعم الثاني وابنه ذرا أمر أيمن ٤١٠ - ٤٢٠ لتقويم السبائي (٨١٠ - ٨٠٠ ق.م.).

٤ - ذمر علي يهبر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانت (٨٠٠ - ٧٨٧ ق.م.).

٥ - ثاران ينعم بن ذمر علي يهبر - صاحب التمثال البيروني بمتحف صنعاء - (٧٨٦ - ٧٤٦ ق.م.) وفيهما قال الشاعر:

وذومر علي فلا تنسه

وآبأؤه لهسم المنسر

وثران ينعم تاج الملوك

إليه انتهى المجد والمفخر

٦ - ملكيكرب يهامن بن ثاران يهنع، وهو والد أبو كرب أسعد، وقد ذكره ابن خلدون كما سيأتي. ٧ و ٨ - ياسر ينعم الثالث وهو تُبع الأقرن وقد ذكرته النقوش مع ابنه ثاران أيفع، وكان عهد ياسر ينعم الثالث عام ٧٣٤ - ٧١٣ ق.م. وحارب (تجلات بليزر ملك آشور) الذي ذكرت نقوشه محاربة سبأ والملك ياسر في تخوم الشام وبابل، ثم امتلك ياسر بلاد بابل وما يليها (٧٢٧ ق.م.) وقام بفتوحات لتأمين المستوطنات التجارية في جهات القوقاز ووادي الظلمات وتركيا، ومات في خرسباد من بلاد آشور وتم دفنه فيها، وكان ابنه ثاران أيفع الملك باليمن معه ثم بعده لفترة قصيرة.

[٤٥] - قال ابن خلدون في فقرة لاحقة إنه «ملكيكرب بن تبع الأقرن بن عمرو» والصواب أن =

كرب أسعد، ويقال هو تبع الآخر، وهو المشهور من الملوك التابعة^[٤٦].
وعند الطبري أن الذي بعد ياسر ينعم بن عمرو تُبع الأقرن أخوه، ثم بعد تبع
الأقرن شمر مرعش بن ياسر ينعم^(٤٦).

«العصر الرابع والأخير لملوك سبأ التابعة الحميريين»^[٤٧]

ثم مَلَكَ تَبَّانُ أسعد أبو كرب وهو تُبع الآخر وهو المشهور من ملوك

= اسمه ملكيكرب بالفعل وكذلك في الإكليل وشرح قصيدة نشوان وأخبار الملوك
الماضين لعبيد بن شريه الجهمي أن اسمه ملكيكرب وكان ضعيفاً لم يغز قط، فعزله
الاقبال عن الملوكية، وهو كما في نقوش المسند المعثور عليها في محرم بليقيس
والمنشورة في مجموعة كتاب «نقوش سبائية من محرم بليقيس» الملك «ملكيكرب
يهامن بن ثاران ينعم»، وفي عهده قام «تجلات بليزر ملك آشور ٧٤٤ - ٧٢٧ ق.م.»
بمهاجمة حلفاء سبأ الأراميين والكلدانبيين والفينيقيين ببلاد بابل والشام ومهاجمة تخوم
سبأ في أعالي شمال الجزيرة العربية، فلم يرغب ملكيكرب في الحرب فعزله الأقوال
الثمانون «مجلس الأقوال الثمانين» عن الملوكية وقاموا بتمليك ياسر ينعم الثالث (تبع
الأقرن) وابنه ثاران أيفع، وكان ياسر ينعم الثالث (تبع الأقرن) عم ملكيكرب، لذلك
قال أسعد بن ملكيكرب في أبيات منسوبة إليه بالإكليل:

وأنا أبو كرب وجدي ياسرُ ذو التاج يُنعم وابنه ثاران

يعني ياسر ينعم الثالث - تبع الأقرن - وابنه ثاران أيفع، فقاد ياسر ينعم الثالث معارك خارجية
في بابل والشام وغيرها، واتخذ من بابل وخرسباد مقراً لقيادته (عام ٧٢٧ ق.م.) وكان
ملكيكرب الملك المعزول مقيماً في خمر بنواحي همدان (لواء صنعاء) فلما استقر ياسر في
بابل وخرسباد أعلن ملكيكرب ملوكيته من جديد في العاصمة الثانية لدولة تبابعة سبأ وهي
مدينة ظفار حيث تم العثور على نقش مسند باسمه مع لقب الملوكية في ظفار مؤرخ بعام ٤٩٣
للتقويم السبائي (٧٢٧ قبل الميلاد) ولكنه ما لبث أن مات بظفار.

[٤٦] - تولى الملوكية مع وبعد ياسر ينعم الثالث ابنه ثاران أيفع إلى (ح/ عام ٧١٣ ق.م.) ثم
الملك «كرب آل وتار يهنعم ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانت» وكان الملك «كرب
إيل» - هذا - لا يرغب في الحرب والغزو [مثل ملكيكرب] فقام بمهادنة سنحريب ملك
آشور الذي قام بغزو وإخضاع حلفاء سبأ الأراميين والكلدانبيين والفينيقيين ببلاد بابل والشام
وغیرها، وقد سجلت منحوتة سنحريب في آشور أن «كرب إيل ملك سبأ» أرسل إليه كميات
من الذهب والجواهر الثمينة [ما بين عام ٧٠٥ ق.م. وعام ٧٠٠ ق.م.] وهو (كرب إيل)
هذا، وانتهى عهده بتمليك أبي كرب أسعد بن ملكيكرب عام ٥٢٠ للتقويم السبائي
(٧٠٠ ق.م.) حيث انتهى بذلك العصر الثالث لتبابعة سبأ وبدأ العصر الرابع لتبابعة سبأ عام
٧٠٠ قبل الميلاد.

[٤٧] - جاء لقب ملوك سبأ التابعة الحميريين بنقوش المسند المعثور عليها في محرم بليقيس
ومعبد باران بمأرب وظفار وغيرها في العصر السابق بصيغة «ملك سبأ وذو ريدان»

التبابعة^[٤٨]، وقال الطبري، ويقال له الرائد^[٤٩]، وكان كرب أسعد) على عهد يستأسب وحافده أردشير ابن ابنة اسفنديار من ملوك الفرس (الكيانية)^[٥٠] وإنه شخص (أبو كرب أسعد) من اليمن غازياً، ومَرَّ بالحيرة فتحير عسكره هناك فسميت الحيرة، وخلف (بها)^[٥١] قوماً من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاة فأقاموا هنالك وبنوا الاطام، واجتمع إليهم ناس من (طئي)^(٥١) وكلب والسكون وإياد والحرث بن كعب^(٥١).

ثم توجه (أبو كرب أسعد إلى) الأنبار ثم الموصل^[٥٢] ثم أذربيجان، ولقي

= وحضرموت ويمانت» فمئزنا ذلك العصر بأنه العصر الثالث لتبابعة سبأ (٣٨٦ - ٥٢٠ للتقويم السبائي/ ٨٣٤ - ٧٠٠ قبل الميلاد) ثم منذ عهد أبي كرب أسعد أضيف إلى اللقب عبارة «وإعرابهم طوداً وتهامت» دلالة على ضم قبائل تهامة الحجاز ونجد وهي الطود إلى السلطان المباشر لدولة سبأ وملوكها التبابعة بحيث أصبح اللقب في نقوش المسند «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانت وإعرابهم طوداً وتهامت» وهو لقب العصر الرابع والأخير لملوك سبأ التبابعة الحميريين المؤرخة نقوشهم بالتقويم السبائي فذلك العصر الرابع (٥٢٠ - ٦٨٠ للتقويم السبائي/ يوافق ٧٠٠ ق.م. - ٥٤٠ ق.م.).

[٤٨] - هو (أبو كرب أسعد بن ملكيكرب) كان عهده (٥٢٠ - ٥٥١ للتقويم السبائي/ ٧٠٠ - ٦٦٩ ق.م.) وهو أشهر الملوك التبابعة، وتذكر كتب التاريخ وتفسير القرآن الكريم أنه تُبع المذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾ قال ابن كثير في التفسير «قوم تُبع هم سبأ» [اهـ] وتنفق المصادر على أن أبا كرب أسعد هو تُبع المقصود في القرآن، وكذلك في الأحاديث النبوية حيث قال النبي ﷺ «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم» وقال النبي ﷺ: «لا تسبوا تبعاً فإنه كان مؤمناً» وقال النبي ﷺ «أسعد أول من كسا الكعبة» وقد أورد ابن كثير صاحب تفسير القرآن تلك الأحاديث النبوية [ص ١٦٦ ج ٢/ البداية والنهاية] كما أوردتها كتب الحديث والتفسير والقرآن.

[٤٩] - تبع الرائد هو غير تبع أبي كرب أسعد، وقد ذكر نشوان الحميري تبع الرائد قبل أبي كرب أسعد، بينما وقع في تاريخ الطبري خلط وعدم تمييز بينهما، والصواب أن تبع الرائد في العصر الأول الأقدم لتبابعة سبأ.

[٥٠] - قال ابن خلدون في المقدمة إن «تبع أسعد أبو كرب كان على عهد يستأسف من ملوك الفرس الكيانية» [ص ١٢ - مقدمة ابن خلدون] ويؤكد ذلك أن زمن أبي كرب أسعد كان القرن السابع قبل الميلاد.

[٥١] - المقصود ببلاد بابل (جنوب العراق) وذلك قبل أن تكون الحيرة بزمان طويل، وجاء في الأصل بالكتاب «واجتمع إليهم ناس من طيره وكلب والسكون» وإنما هو «ناس من طئي الخ» وذلك في عصور لاحقة فاستقروا بالعراق.

[٥٢] - الموصل هي بلاد آشور، والسياق الذي أورده ابن خلدون هنا «الحيرة - الأنبار - الموصل» يرادف في تلك العصور بلاد بابل وآشور، قال نشوان الحميري في قصيدته عن =

الترك فهزمهم وقتل وسبى، ثم رجع إلى اليمن^[٥٣]، وهابته الملوك وهادنه ملوك الهند^[٥٤]، «وذكر المسعودي أن أسعد أبا كرب سار في الأرض ووطأ الممالك وذلها ووطئ أرض العراق. . وملك أبو كرب أسعد العراق والشام والحجاز»^[٥٥].

ثم رجع (أبو كرب أسعد) لغزو الترك^[٥٦] وبعث ابنه حسان إلى الصفد، وابنه

= التابعة يذكر فتوحات أبي كرب أسعد:

«والكاملُ الملكُ المتوجُّ أسعدُ	فيه تُقصر مدحة المُداح
كم قاد من جيش أجش لبابل	وكتيبة تغشنى البلاد رداح
حتى استباح بلاد فارس بالقنا	وبكل أجرد في الجياد وقاح
والترك والخزر استباح بلادهم	والروم منه تتقي بالراح. . .»

ويتبين من معطيات المصادر التاريخية والنقوشية عن أحداث وواقع ذلك العصر ما يلي:
أ - أن بلاد بابل والعراق لم تكن تحت حكم الفرس كما ذهب ابن خلدون في انتقاده لتلك الفتوحات في المقدمة وإنما كانت تحت حكم الآشوريين وملكهم سنحريب ملك آشور (٧٠٥ - ٦٨٢ ق.م.) الذي احتل بلاد بابل من الكلدانيين وكان قد احتل الشام وغيرها، فحارب أبو كرب أسعد نائب سنحريب في بلاد بابل وهزم قوات سنحريب الآشورية فتم له تحرير بلاد بابل عام ٦٨٩ ق.م. فشملت ملوكية أسعد العليا بلاد بابل، وذكرته نصوص بابل ونيوى بلفظ «أسعدون ملك سبأ - ارتو» وأعاد سلطة الكلدانيين حلفاء سبأ ببلاد بابل وأوطن بها قوة وقبائل يمانية سبائية شملها مصطلح الكلدانيين في الدراسات، وقام أسعد بقيادة وتوجيه فتوحات من بابل إلى بلاد عيلام (بفارس) وبلاد ميديا (مادي) بأعالي فارس وآسية الوسطى، (وبالتالي أذربيجان وبلاد الترك) وذلك لإعادة تأمين المستوطنات التجارية والطرق والمصالح التجارية.

ب - في عام ٦٨٢ ق.م. مات سنحريب في آشور وتطاحن بنوه على الملوكية فسار أسعد من بابل وهزم أبناء سنحريب وانضوت بلاد آشور تحت ملوكيته العليا ثم الشام (٦٨١ ق.م.) واتخذ أسعد من مدينة (نيوى) قاعدة له ثم تولى القيادة والملوكية العليا فيها ابنه (شرحبيل يعفر) بينما عاد أسعد إلى اليمن (عام ٥٣٩ للتقويم السبائي/ ٦٨١ قبل الميلاد).

[٥٣] - يسجل نقش مسند منحوت في صخور وادي ماسل الجمح بشمال الجزيرة العربية وهو منشور برقم (٥٠٩ ركمائز) مرور أبي كرب أسعد ملك سبأ. . بذلك الموضوع. . وهو عائد من غزواته وفتوحه التي بلغت أرض ميديا [م دام] وأرض [دوما] وغيرها، بمعية أبنائه وجيوش وقبائل سبأ. . وكان ذلك بعد المرحلة الأولى من فتوحاته.

[٥٤] - تذكر نصوص وألواح شرحبيل بن أسعد في نيوى وصول الهدايا إلى الملك أسعد من ممالك وبلدان كثيرة.

[٥٥] - أورد ابن خلدون هذه الفقرة في موضع لاحق بالصفحة التالية من الكتاب (ص ٥٤) وستأتي في موضعها بالكتاب، وقد استلزم سياق الأحداث إيرادها هنا قبل وقائع المرحلة الثانية من فتوحات أسعد.

[٥٦] - وذلك في المرحلة الثانية من فتوحات أبي كرب أسعد لإعادة تأمين المستوطنات والقواعد التجارية لدولة سبأ وحلفائها الآراميين والكلدانيين والفينيقيين وتأمين الطرق =

يعفر^[٥٧] إلى الروم وابن أخيه شمر ذي الجناح إلى الفرس^[٥٨]، وأن شمر لقي كيقباذ ملك الفرس فهزمه وملك سمرقند وقتله، وجاز إلى الصين فوجد أخاه حسان قد سبقه إليها فأتخنا في القتل والسبي وانصرفا بما معهما من الغنائم إلى أبيهما^(٥٨)، وبعث (أبو كرب أسعد) ابنه يعفر^(٥٧) إلى القسطنطينية فتلقيه بالجزية والأتاوة، فسار إلى رومة وحصرها، ووقع الطاعون في عسكره، فاستضعفهم الروم ووثبوا عليهم فقتلوهم ولم يفلت منهم أحد، ثم رجع إلى اليمن^[٥٩]، ويُقال إنه ترك ببلاد الصين قوماً من حمير، وإنهم بها لهذا العهد^(٥٨)، وإنه ترك ضعفاء الناس بظاهر الكوفة فتحيروا هناك وأقاموا معهم من كل قبائل العرب.

وقال ابن إسحاق: إن الذي سار إلى المشرق من التبابعة تُبع الآخر وهو تبان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب بن زيد الأقرن بن عمرو ذي الإذعار، وتبان أسعد هو

= والمصالح التجارية، وقد ذكرت المصادر التاريخية أن المرحلة الثانية من فتوح أسعد شملت مصر والمغرب وساحل الشام (فينيقية) وبلدان آسية الصغرى (تركيا) والقوقاز وآسية الوسطى (بلاد الخزر وبلاد الترك)، وتؤكد نصوص نينوى أن الملك أسعد وابنه شرحبيل يعفر قادا الجيوش إلى مصر وقضوا على الحاكم الحبشي (تهراقا) الذي كان احتل مصر وتم تملك أسرة جديدة يصفها الدارسون بأنها (أشورية) حكم مصر إلى جهات المغرب وذلك عام ٦٧٩ ق.م. كما حارب أسعد ملك صور بمنطقة الساحل السوري وكان ملكاً متجيراً اسمه (عبد ملكوتي) وكانت امرأة من الشام استنجدت أسعد ضده فغزاه أسعد وقضى عليه، ثم قام بقيادة وتوجيه الجيوش إلى آسية الصغرى والقوقاز وآسية الوسطى «فنجح مرة بالحرب ومرة بالدبلوماسية في أن يوطد المصالح في أرجاء تلك البلدان الشاسعة» ثم عاد أسعد إلى نينوى ومنها إلى اليمن وحكم حتى وفاته عام ٦٦٩ ق.م.

[٥٧] - هو (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد) وتذكر نصوص نينوى أنه حارب ملك الفرس المسمى (تيوماني ولحق شرحبيل به إلى حيث هرب فقتله وأتى برأسه، وهو ما تنسبه الروايات إلى شمر ذي الجناح.

[٥٨] - وقع في هذا الخبر خلط بين تبع الرائد شمر ذي الجناح الأكبر وبين شمر يرعش وبين أسعد، فالذي بلغ إلى الصين وأوطن قبائل يمانية كمستوطنات تجارية ببلاد التبت هو تبع الرائد وشمر يرعش، وقال نشوان الحميري:

والرائد الملك المتوج تُبع	ملك يرود الأرض كالمساح
فتح المدائن في المشارق وانتحل	للصين في برية وبراح
وأحلّ من يمن بثبتٍ معشر	أضحوا بها عنا من النزاح

[٥٩] - كان زمن أسعد قبل وجود القسطنطينية وروما وإنما كانت هناك ممالك اليونان وقبرص وليديا في آسية الصغرى (تركيا حالياً)، وقد سجلت نصوص شرحبيل يعفر وصول الهدايا من أمراء قبرص واليونان وتلك الجهات إلى أسعد وشرحبيل.

حسان تُبع [٦٠]، وهو فيما يقال أول من كسا الكعبة، وذكر ابن إسحاق (أنه كساها) الملاً والوصائل [٦١]، وأوصى ولاته من جرهم بتطهيرها، وجعل لها باباً ومفتاحاً [٦٢].

[٦٠] - لم يظهر المراد من قوله «وتبان أسعد هو حسان تبع» فإذا كان «وتبان أسعد هو ابن حسان تبع» يكون المقصود (أسعد الثاني بن حسان) في عصر الدولة الحميرية - كما يأتي - أما أبو كرب أسعد ملك سبأ فهو كما في النقوش (أبو كرب أسعد بن ملكي كرب بن ثاران ينعم» ويتصل نسبه إلى ذي الإذعار بن منار بن الرائش.

[٦١] - جاء في الأصل بالكتاب هنا «وذكر ابن إسحاق الملاً والوصائل» ولا بد أن يكون كساها بالملاً والوصائل، وقال أبو كرب أسعد في أبيات منسوبة إليه بالإكليل وشرح قصيدة نشوان وأخبار الملوك الماضين:

وكسونا البيت الذي حرم اللُّة ملاً مُقصباً ويرودا
وأمرنا بسدنه الجرهميين وكانوا بحافتيه شهودا

[٦٢] - كان أبو كرب أسعد الأول ملك سبأ أول من كسا الكعبة وذلك في عهده بالقرن السابع قبل الميلاد (٧٠٠ ق.م. - ٦٦٩ ق.م.) وتنطق نقوش عهده بعبادة ذي السموات (ذى س م وى) سيد السماء والأرض (مرا/ س م ي ن/ وأرضن) الرحمن رب السماء والأرض / رح م ن/ يعل/ س م ي ن/ وأرض ن) وذلك مصداقاً لقول النبي محمد ﷺ «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم». الحديث أخرجه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه، وورد أيضاً في الفتح الكبير للنبهاني ص ٣٢٤ ج ٣ - البداية والنهاية لابن كثير وكذلك الحديث «لا تسبوا تبعاً فإنه كان مؤمناً» [١٦٦ ج ٢ - البداية والنهاية] وذلك لأن الناس كانوا يخلطون بين أبي كرب أسعد وهو تبع المذكور في القرآن وبين تبع عمرو الذي اعتنق اليهودية وبين تبع أسعد الثاني بن حسان، فيذمون، فأوضح النبي ﷺ أن تبع المذكور في القرآن كان مؤمناً مسلماً وهو أبو كرب أسعد، وجاء في تفسير القرآن للقرطبي أنه «أبو كرب أسعد وهو أول من كسا الكعبة وبشر بالنبي محمد ﷺ وكان قبل النبي محمد ﷺ بألف سنة» وقال ابن عباس «كان تبع نبياً» [ص ١٤٤ ج ٦] وقال نشوان الحميري «كان أبو كرب أسعد مؤمناً وهو أول من كسا الكعبة. . . وهو الذي بشر بالنبي محمد ﷺ. . . ومن الناس من يقول إنه كان نبياً لأن الله عده من الأنبياء عند قصصهم» [ص ١٢٢ شرح قصيدة نشوان] وكذلك ذكر المسعودي في مروج الذهب أن أبا كرب أسعد كان مؤمناً وهو أول من كسا الكعبة وأنه بشر بالنبي محمد ﷺ وكان قبله بسبعمئة سنة» (اهـ) والصواب كما ذكر القرطبي أنه كان قبل النبي محمد ﷺ بألف سنة (اهـ) وكان قبل المسيح بسبعمئة سنة، وقام أبو كرب أسعد بتطهير البيت الحرام من الأصنام ونحر سبعين ألفاً من الأنعام بمكة وحج وطاف هو وجيشه، وكسا البيت وجعل للكعبة باباً ومفتاحاً لم يكونا له قط، وولى الجرهميين سدانة البيت، وأمرهم بطهارة البيت وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا ميلاً وهي الحائض» [ص ٣٩ و ٦٩ ج ٢/ الطبري] وفي عهده تم تشييد مدينة يثرب، وأوطن فيها قوة وقبائل من اليمن وأخبر وبشر بالنبي محمد ﷺ. وفي كسوته للكعبة قال نشوان في أبيات قصيدته عن أسعد:

«وكسا البنية ثم قرب هديّة سبعون ألفاً من بنات لقاح»

وذكر ابن إسحاق أنه أخذ بدين اليهودية، وذكر في سبب تهودّه أنه لما غزا إلى المشرق مرّ بالمدينة يثرب فملكها، وخلف ابنه فيهم، فعدوا عليه وقتلوه غيلة^[٦٣]، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة من بني النجار، فلما أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة يثرب مجعاً على خرابها، فجمع هذا الحيّ من أبناء قبيلة لقتاله فقاتلهم^[٦٤] وبينما هم على ذلك جاء حبران من أحبار يهود من بني قريظة، وقالوا له: لا تفعل فإنك لن تقدر، وإنها مهاجر نبيّ قرشي يخرج آخر الزمان فتكون قراراً له، وإنه أعجب بهما واتبعهما على دينهما^[٦٥]، ثم مضى لوجهه ولقيه دون مكة نفر من هذيل، وأغروه بمال الكعبة وما فيها من الجواهر والكنوز، فنهاء الحبران عن ذلك، وقالوا له: إنما أراد هؤلاء هلاكك، فقتل النفر من الهذليين، وقدم مكة، فأمره الحبران بالطواف بها والخضوع، ثم كساها كما

[٦٣] - خلط ابن إسحاق وعدد من الإخباريين بين تبع أبي كرب أسعد وبين تبع عمرو بن حسان بن أسعد الذي غزا إلى يثرب واعتنق اليهودية، وذلك بعد أسعد بثلاثة أجيال، فقد حكم بعد أسعد ابنه الملك حسان ثم شرحبيل يعفر بن أسعد (٦٦٩ - ٦٢٧ ق.م.) ثم الملك مرثدينوف (٦٢٦ - ٦٠٥ ق.م.) - كما في نقوش المسند - ثم الملك (ذرا - امر) وهو (تبع عمرو بن حسان بن أسعد) في الفترة (٦١٦ - ٦٣١ للتقويم السبائي) ٦٠٤ - ٥٨٩ ق.م.) وقد ذكر الهمداني في الإكليل أنه عاصر نبوخذ نصر ملك بابل [ص ١١٩ ج ١/ الإكليل] وهو صحيح فقد كان عهد نبوخذ نصر (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م.) وقد أدى اجتياحه لمملكة يهودا وسبي اليهود إلى نزوح وهروب كثير من اليهود إلى البلدان القريبة ومنها يثرب وأعالي الحجاز حيث نزح إليها فريق كبير من اليهود بقيادة حبرين لهم فسيطروا عليها وقتلوا حاكمها الحميري وكان نائباً لتبع عمرو فعلم الملك تبع عمرو (ذرا - امر) بذلك فسار بجيش من اليمن إلى يثرب لمحاربة وطرد اليهود.

[٦٤] - بنو قبيلة هم الأوس والخزرج، وما ورد هنا فيه خلط، وقد نقل ابن خلدون في فقرة لاحقة عن السهيلي وابن قتيبة أن غزاة تبع إلى يثرب كانت لمناصرة بني قبيلة على اليهود - كما سيأتي - والصواب أن بني قبيلة لم يكونوا قد انتقلوا من اليمن إلى يثرب آنذاك، وإن الذين غزاهم وحاربهم تبع عمرو في يثرب وجهاتها كانوا اليهود، وفي ذلك قال نشوان الحميري:

أو تُبَعُّ عمرو بن حسان الذي سفح الدماء بسيفه السفاح
قتل اليهود بيثرب، وأراهم أنياب ثغر للمنية شاح

[٦٥] - الحبران هما زعيما أولئك اليهود واسم أحدهما (يهودا ياكف) وقد تحصن بقية اليهود في مدينة يثرب فحاصرها تبع عمرو، ثم أثناء الحصار خرج إليه الحبران وتمكنا من التأثير عليه، بحيث كما ذكر الهمداني صاحب الإكليل «فأعجب تبع عمرو بن حسان هذا دين اليهودية الذي دعاه إليه الحبران، فترك دين أهل اليمن، ودخل في دين الحبرين وتهود» واصطحب الحبرين معه من يثرب إلى مكة في طريق عودته إلى اليمن.

تقدم، وأمر ولاتها من جرهم بتطهيرها من الدماء والحيض وسائر النجاسات وجعل لها باباً ومفتاحاً [٦٦٦].

ثم سار (تبع) إلى اليمن، وقد أنكر قومه ما أخذ به من دين اليهودية، وكانوا يعبدون الأوثان [٦٧]، فتعرضوا لمنعه، ثم حاكموه إلى النار التي كانوا يتحاكمون إليها فتأكل الظالم وتدع المظلوم [٦٨]، وجاؤوا بأوثانهم وخرج الحبران متقلدان المصاحف، ودخل الحميريون فأكلتهم وأوثانهم، وخرج الحبران منها ترشح وجوههم وجباههم، فأمنت حمير عند ذلك وأجمعوا على اتباع (دين) اليهودية [٦٩].

ونقل السهيلي عن ابن قتيبة في هذه الحكاية أن غزاة تبع هذه إنما هي

[٦٦] - أصل ذلك أنه أراد إخراج الكعبة ثم تراجع عن ذلك وكساها، فخلط الرواة بينه وبين أسعد وهو أول من كساها كما تقدم، وولى الجرهميين سدانة الكعبة وأمرهم بطهارتها وجعل لها باباً واقليداً، فيكون تبع عمرو بن حسان ثاني من كسا البيت.

[٦٧] - لم تكن عبادة الأوثان وإنما كانت عبادة ذي السموات (ذي س م ي ن) مالك السماء والأرض (م را/ س م ي ن/ وارض ن) الرحمن رب السماء والأرض (رحمن/ بعل/ س م ي ن/ وارض ن) هي العقيدة الرسمية والسائدة في اليمن منذ عهد أبي كرب أسعد ثم في عهد ابنه حسان وشرحبيل يعفر إلى عهد مرثد بن ينوف كما تنطق بذلك نقوش عهود أولئك الملوك على امتداد قرن من الزمان (٧٠٠ - ٦٠٤ ق.م.) وبالتالي إلى عهد تبع عمرو (ذرا - امر) الذي اعتنق اليهودية وأعرض عن دين التوحيد الحنيف الذي كان سائداً منذ عهد أبي كرب أسعد، فلما أقبل تبع عمرو عائداً من يثرب ومكة إلى اليمن ومعه الجيش والحبرين اعترضه اليمنيون في نجران وهمدان لأنه اعتنق اليهودية فاحتكموا إلى النار!

[٦٨] - قال الهمداني صاحب الإكليل في شرح الدامغة «نار الحكم هي النار التي كانت بالأحزبي من الخشب بأرض همدان، فلما دخل تبع عمرو بن حسان بن أسعد تبع في دين اليهودية مع الحبرين وخالف دين أهل اليمن وقفل من يثرب [عائداً إلى اليمن] فلما قرب من حدود اليمن خرج إليه قومه فمنعوه من الدخول وقالوا لن تدخل إلينا وقد فارقت ديننا، فانقطع أمرهم على أن يتحاكموا إلى النار، ورضوا بذلك جميعاً، فتقدموا إليها (اليمنيون) بكتابهم وتقدم الحبران (بتوراتهم) فالتهمت النار من دنا من اليمنيين، وسلم الحبران فتهود أهل اليمن يومئذ وانقطعت النار من يومئذ بتلاوة الحبرين للتوراة» [ص ١٢٧ شرح الدامغة] ويبدو أن الحبرين كانا يسحران أعين الناس وأن نيران نجران ونيران همدان التهمت المؤمنين بدين التوحيد السائد من عهد أبي كرب أسعد.

[٦٩] - يسجل نقش مسند في ظفار قيام الحبر (يهودا ياكف) ببناء بيت للرب يهودا بمقام الملك «ذرا - أمر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانت» (اه) مما يدل على أنه فرض اليهودية ديناً رسمياً حتى مقتله عام ٥٨٩ ق.م. كما سيأتي على يد أخيه معد يكرب والاقبال فتم نبذ اليهودية كما تدل نقوش عهد أخيه معد يكرب آخر ملوك سبأ التبابعة.

استصراخه أبناء قبيله على اليهود فإنهم كانوا نزلوا مع اليهود حين خرجوا من اليمن على شروط فنقضت عليهم اليهود فاستغاثوا بتبع وعند ذلك قدمها، وقد قيل إن الذي استصرخه أبناء قبيله على اليهود إنما هو أبو جبلة من ملوك غسان بالشام، جاء به مالك بن عجلان فقتل اليهود بالمدينة وكان من الخزرج كما نذكر بعد، ويعضد هذا أن مالك بن عجلان بعيد عن عهد تبع بكثير، يقال إنه كان قبل الإسلام بسبعمائة سنة، ذكره ابن قتيبة.

وحكى المسعودي في أخبار تبع هذا أن أسعد أبا كرب سار في الأرض ووطأ الممالك وذلها ووطئ أرض العراق في ملك الطوائف وعميد الطوائف يومئذ خرداذ بن سابور فلقى ملكاً من ملوك الطوائف اسمه قباذ وليس قباذ بن فيروز، فانهزم قباذ وملك أبو كرب العراق والشام والحجاز وفي ذلك يقول تبع:

إذ جئنا جيانا من ظفار
 واستبحنا بالخييل (ملك) قباذ
 وكسونا البيت الذي حرّم الله
 وأقمنا به من الشهر عشراً
 ثم سرنا بها مسيراً بعيداً
 وابن اقليد جاءنا مصفودا
 ملاً منضّداً وبُرودا
 وجعلنا لئابه إقليدا
 وقال أيضاً:

لستُ بالتبع اليماني إن لم
 تؤدّي ربيعة الخرج قسراً
 تركض الخيل في سواد العراق
 أو تعقني عوائق العواق [٧٠]

[٧٠] - مروج الذهب للمسعودي (ص ١١٢ ج ٢) وقد وقع هنا التباس وخلط بين تبع أبي كرب أسعد ملك سبأ في القرن السابع قبل الميلاد - وبين تبع (ملشان) أول تابعة الدولة الحميرية - في القرن الثالث والقرن الرابع الميلادي وكذلك (حسان تبع بن غمران) وابنه (أسعد الثاني بن حسان) في القرن الخامس الميلادي وإليه تُنسب هذه الأبيات وليس لأبي كرب أسعد، ومما يتصل بالتمييز بينهما في كتب التاريخ التراثية:

أ - ما سلف في تاريخ ابن خلدون ومقدمة ابن خلدون أن أبا كرب أسعد عاصر يستاسب من ملوك الفرس الكيانية، وقد ذكر ابن خلدون في حديثه عن ملوك فارس زمن يستاسب بما يوافق القرن السابع قبل الميلاد، وذلك قبل كورش ملك فارس (في القرن السادس ق. م.) وسلالته. وذكر القرطبي أن أبا كرب أسعد كان قبل الإسلام بألف سنة، وذكر الهمداني في الإكليل أن حسان بن أبي كرب أسعد كان في أيام نبوخذ نصر ملك بابل، أي في القرن السادس ق. م. وكذلك تبع عمرو بن حسان، وكان عهد نبوخذ نصر (٦٠٤ - ٥٦٢ ق. م.) ثم قضى الفرس وملكهم كورش على مملكة بابل عام ٥٣٩ ق. م.

ب - ذكر المسعودي في مروج الذهب ملوكية أبي كرب أسعد، وقال «ثم ملك بعده حسان، فوقع في ملكه تنازع وخلاف إلى أن قتل، ثم ملك بعده عمرو بن تبع وهو القاتل لأخيه، =

وقد كانت (لنزار) معه وقائع وحروب حتى غلبهم حجر بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة من ملوك كهلان فدانوا له، ورجع أبو كرب (أسعد) إلى اليمن، فقتلته حمير، وكان ملكه ثلاثمائة وعشرين سنة^[٧١].

ثم^[٧٢] اجتمع ملك اليمن لحسان بن تبيان أسعد أبي كرب، قال السهيلي وهو الذي استباح طسماً كما ذكرناه وبعث على المقدمة عبد كلال بن مثوب بن ذي حرب بن حارث بن مالك بن عبدان بن حجر ذي رعين واسم ذي رعين يريم وهو ابن زيد الجمهور وقد مرّ نسبه إلى سبأ الأصغر^[٧٣]، وقال السهيلي في أيام حسان تبع كان خروج عمرو بن مزيقيا بالأزد من اليمن^[٧٤] وهو غلط من السهيلي لأن أبا

= وكان ملكه ٦٤ سنة» [ص ٧٦ ج ٢] وهو آخر ملوك سبأ التبابعة - كما يأتي - ثم تفككت دولة تبابعة سبأ وانهار سد مأرب العظيم وقامت في اليمن عدة دويلات وممالك حتى القرن الثالث الميلادي .
ج - أن الدولة الحميرية وملوكها تبع ملشان وتبع حسان الثاني وأسعد بن حسان هي التي عاصرت سابور وقباد ومن إليهم من ملوك الفرس الساسانيين في القرن الرابع والقرن الخامس الميلادي، وستأتي نصوص ذلك.

[٧١] - لم يذكر المسعودي في نفس النص بمروج الذهب هذه المدة وكان حكم أسعد الثاني عشرين سنة فتصحف .

[٧٢] - أورد ابن خلدون بعد الخبر السابق عن المسعودي بشأن تبع أسعد أبي كرب [ص ٥٤ ج ٢] قول ابن إسحاق أنه ملك بعده ربيعة بن نصر فذكر خبر ربيعة بن نصر . الخ . ثم رجع إلى خبر حسان بن أسعد، فاضطرب السياق، وقد رأينا تأجيل فقرة ربيعة بن نصر إلى موضعها للدلالة النقوش على صحة ملوكية حسان بن أبي كرب أسعد بعد أبيه كما في مروج الذهب وشرح قصيدة نشوان وأخبار الملوك الماضين لابن شريه .

[٧٣] - يوجد هنا التباس وخلط بين (حسان بن أبي كرب أسعد) وبين (حسان الثاني بن غيمان الحميري) وهو الذي كان عبد كلال بن مثوب سليل ذي رعين من أقبال عهده ونوابه في القرن الرابع الميلادي، أما حسان بن أبي كرب أسعد فتولى عرش تبابعة سبأ بعد أبيه وكان عهده (ما بين ٦٦٩ ق.م. و٦٦٤ ق.م.) فعارضه أخوه شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد، وقد سلف نص ابن خلدون بأن حسان ويعفر ابني أسعد شاركوا في فتوحاته، وهما كما في النقوش (حسان يهامن وشرحبيل يعفر) ثم أسفر الصراع بينهما عن مقتل حسان وملوكية شرحبيل يعفر، وفيه قال نشوان :
أم أين حسان بن أسعد خانه دهرتلا الإحسان بالأقباح

وحكم شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد الفترة (٥٥٢ - ٥٩٣ للتقويم السبائي/ ٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م.) وتسجل نقوش عهده في مأرب تجديد منشآت سد مأرب العظيم الأقدم في عهده عام ٥٦٥ سبائي (٦٥٥ ق.م.) وعام ٥٧٢ سبائي (٦٤٨ ق.م.) ثم حكم بعده (مرشد الن ينوف) ثم تبع عمرو بن حسان بن أسعد وهو (ذرا - امر) الذي اعتنق اليهودية كما تقدم.

[٧٤] - المقصود (معد يكرب بن حسان بن أسعد) الذي قتل أخيه تبع عمرو (ذرا - امر) بن حسان كما يأتي .

كرب أباه إنما غزا المدينة فيما قال هو صريحاً للأوس والخزرج على اليهود، وهو من غسان ونسبه إلى مزيقيا، فعلى هذا يكون الذي استصرخه الأوس والخزرج على اليهود إنما هو من ملوك غسان كما يأتي في أخبارهم.

قال ابن إسحاق، ولما ملك حسان بن ثُبُع (أسعد) سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل، فكرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجوع إلى بلادهم، فكلّموا أخاً له كان معهم في العسكر يقال له عمرو^[٧٥] وقالوا له اقتل أخاك نملكك وترجع بنا إلى بلادنا، فتابعهم على ذلك، وخالفه ذو رعين في ذلك ونهى عمراً^(٧٥) عن ذلك فلم يقبل وكتب في صحيفة وأودعها عنده:

ألا من يشتري سهرأ بنوم سعيداً من يبيت قرير عين
إذا ما حميرُ غدرت وخانت فمغفرة الإله لذي رعين

ثم قتل (عمرو) أخاه بعرصة لخم وهي رحبة مالك بن طوق^[٧٦] ورجع بحمير إلى اليمن، فمنع النوم عليه السهر، وأجهده ذلك فشكا إلى الأطباء عدم نومه وإلى الكهان والعرافين، فقالوا ما قتل رجل أخاه إلا سُلط عليه السهر، فجعل يقتل كل من أشار عليه بقتل أخيه ولم يغنه ذلك شيئاً، وهَمَّ بذئ رعين، فذكَرَ شعره، فكانت فيه معذرتة ونجاته^[٧٧].

[٧٥] - الصواب كما في قصيدة نشوان، أن الذي سار بالجيش عمرو بن حسان، أما أخوه المذكور هنا باسم عمرو فهو معد يكرّب.

[٧٦] - تذكر سائر كتب التاريخ التراثية أن الملك المقتول حسان بن أسعد وأن الذي قتله أخوه عمرو والأقبال، وسبب ذلك التشابه بين واقعة مقتل حسان بن أبي كرب أسعد على يد وبمشاركة أخيه شرحبيل يعفر بن أسعد ومقتل عمرو بن حسان بن أسعد على يد وبمشاركة أخيه معد يكرّب، وكان الملك عمرو [ذرا - امر] سار بالجيوش من اليمن لمحاربة نبوخذ نصر وغزو بابل والعراق، فلما وصل اليمامة وما بين البحرين طلب منه الأقبال والقادة العودة إلى اليمن وعدم رغبتهم في ذلك المسير الحربي، فرفض، فاتفقوا مع أخيه (معد يكرّب) على قتله وتمليك معد يكرّب بن حسان أخيه وأخذ (معد يكرّب) العهد من الأذواء والأقبال باستثناء ذي رعين فنصححه فلم يقبل منه، فكتب ذلك الشعر وأودعه عند حاجبه، ودخل فيما دخلوا فيه، فتم قتل عمرو بن حسان (ذرا - امر) ما بين اليمامة وتخوم العراق، وعاد معد يكرّب بالجيوش إلى اليمن وعاصمتها مأرب فتولى عرش تبابعة سبأ في العام المؤرخ به نقشه المسند في محرم بلقيس بمأرب وهو نقش (معد يكرّب يعفر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمان وأعرابهم طوداً وتهامت) والمؤرخ بعام ٦٣١ للتقويم السبائي (ويوافق عام ٥٨٩ قبل الميلاد) وقد يكون عمرو المقتول هنا أحد أبناء هلشان الحميري.

[٧٧] - وفي ذلك قال نشوان في قصيدته عن التبابعة:

أم أين عمرو، وصنوه المُردي له فأصاب صفقة خاسر كداح =

وكان عمرو بن حسان هذا يسمى موثبان، قال الطبري: لو ثوبه على أخيه، وقال ابن قتيبة: لقلته غزوه ولزومه الوثب على الفراش، وهلك عمرو هذا لثلاث وستين سنة من ملكه، قال الطبري والجرجاني ثم مرج أمر حمير من بعده وتفرقوا^[٧٨]، - [انتهى] - .

«قال السهيلي: كان فصول الأزد من اليمن على عهد حسان بن أسعد، ولعهده كان خراب السد»^[٧٩].

= لم يستمع من ذي رعين عدله والحين لا يثنيه لحي اللاحي
فبدت ندامته وجانبه الكرا ورأى السُّلو بغير شرب الراح
أفنى رجالاً شاركوه فأصبحوا ككبش عييد في يدي ذباح

[٧٨] - شهدت دولة تبابعة سبأ في عهده فتنة دينية وحرماً أهلية بعد قيامه بقتل الأذواء والأقيال، كما شهدت غزوات شنها نبوخذ نصر ملك بابل على شرق وشمال الجزيرة العربية كما في الإكليل وهلك نبوخذ نصر عام ٥٦٢ قبل الميلاد، واستمر عهد معد يكرب يعفر وتفاقت الفتن الدينية والحرب الأهلية في عهده فتفككت الدولة واكتمل سقوطها بسيل العرم وانتهى سد مأرب العظيم الأقدم فانهى بذلك عهد معد يكرب (عام ٥٤٠ ق.م.) وتفرقت أيادي سبأ.

[٧٩] - أورد ابن خلدون هذه الفقرة في حديثه عن الأزد وسد مأرب ص ٢٥٣ ج٢ وتتصل بعهد معد يكرب بن حسان والمقصود خراب سد مأرب العظيم الأقدم وسيل العرم، أما نزوح الأزد فكان في خراب سد مأرب القديم الثاني كما سيأتي.

ترتيب نسب ملوك سبأ التباية الحميريين [٨٠]

عمرو موثبان

بن حسان بن أسعد أبي كرب بن ملكي كرب بن تبع الأقرن بن زيد
بن عمرو ذي الأذعار
بن أبرهة ذي المنار - بن الحارث الرايش - بن ذي سدد بن المظالم بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس

- (بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر) - أفريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر

شمر يرعش بن ياسر ينعم

- بلقيس بنت الهدهاد اليشرح

- بن شرحبيل

- شمر بن أفريقش بن أبرهة ذي المنار .

[٨٠] - أورد ابن خلدون هذا الترتيب لنسب الملوك التباية الحميريين لدولة سبأ (ص ٦٧ ج ٢ تاريخ ابن خلدون) وينطبق على هذا النسب قول ابن خلدون في حديثه عن أولئك التباية «وليس يتحقق في هذه الأنساب أنها للصلب، فإن الأماذ طويلة والأحقاب بعيدة وقد يكون بين اثنين منهما عدد من الآباء وقد يكون ملصقاً به» [أهـ] وكذلك قوله إن التباية «اتفقت أسماء كثير من ملوكهم ووقع اللبس في نقل أيامهم ودولهم» [أهـ]. وتحقيقاً للفائدة نورد في الصفحة التالية كرونولوجيا أسماء وترتيب وزمن ملوك سبأ التباية حسب دراستنا.

ملحق : كرونولوجيا - ترتيب وزمن -
ملوك سبأ التابعة وعصورهم (١٤٧٠ - ٥٤٠ قبل الميلاد)

ملوك العصر الأقدم لدولة تبابعة سبأ (١٤٧٠ - ١٢٢١ قبل الميلاد)

م	اسم الملك	مدة الحكم	الزمن ق.م.
١	الحارث الرائس الأول		١٤٧٠ - ١٤٣٢
٢	الرائد شمر ذو الجناح		١٤٣٢ - ١٤١٨
٣	الصعب ذو القرنين		١٤١٨ - ١٣٥٠
٤	صيفي (سيثي) بن شمر		١٣٤٩ - ١٣٤٠
٥	امنفس حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر		١٣٣٩ - ١٣٢٠
٦	صيفي بن حمير الأصغر		١٣٢٠ - ١٢٧٠
٧	قيس (رب قيس) بن صيفي		١٢٧٠ - ١٢٢١

ملوك العصر الأول للدولة تبابعة سبأ
 (١ - ١٢٠ للتقويم السبائي ١٢٢٠ - ١١٠٠ قبل الميلاد)

م	اسم الملك	مدة الحكم	الزمن ق.م.
٨	الرايش باران ذو رياش بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر	٤٠ سنة	١٢٢٠ - ١١٨٠
٩	ذو المنار بن الرايش		١١٧٩ - ١١٤١
١٠	ذو الأذعار بن ذي المنار		١١٤٠ - ١١١٥
١١	أفريقيس (أفريقيش) بن ذي منار بن الرايش		١١١٥ - ١١٠٠

ملوك العصر الثاني لتبابعة سبأ - عصر لقب
«ملك سبأ وذو ريدان» ١٢٠ - ٣٨٥ سبائي ١١٠٠ - ٨٣٥ ق.م.

الزمن	اسم الملك	م
١٧٠ - ١٢٠ للتقويم السبائي ١٠٥٠ - ١١٠٠ قبل الميلاد	ذمر علي وتار يُهنعم	١٢
	ذمر علي بين	١٣
	كرب أيل وتار يهنعم الأول	١٤
	هلك أمر بن كرب أيل وتار	١٥
١٧٠ - ٢٢٠ سبائي ١٠٥٠ - ١٠٠٠ ق.م.	عمدان يُهقبض بن أفريقيس	١٦
	شمر ينعم بن عمدان بن أفريقيس	١٧
٢٧٣ - ٢٢٠ للتقويم السبائي ٩٤٧ - ١٠٠٠ قبل الميلاد	ذمر علي ذرح، ثم أبنائه الثلاثة	١٨ إلى
	كرب ال بين - يهاقم - نشا كرب	٢١
	ذو الإذعار الثاني الملك رب شمس نمران	٢٢
	اليشرح بن شرحيل والد الملكة بلقيس	٢٣
٢٧٤ - ٢٩٦ سبائي ٩٤٦ - ٢٩٤ ق.م.	الملكة بلقيس معاصرة النبي سليمان	٢٤
٢٩٧ - ٣١٠ سبائي ٩٢٣ - ٩١٠ ق.م.	ياسر يُهصدق (ياسر الأول)	٢٥

الحقبة الثانية من العصر الثاني

الملوك غير الراشدين في قسم سبأ			ملوك من آل الراش		
وهب ال بن بتع	٨	فرع ينهب	١	كرب ايل ايفع	٢٦
أنمار يهامن	٩	الشرح يحضب	٢	شمر يحمّد بن	٢٧
كرب ال ويارم	١٠	وأخوه يازل	١ و ٣	ياسر يصدق	
				ذمر على يهبر بن	٢٨
				ياسر يصدق	
علهان نهفان	١٢	وتار بن الشرح	٤	ثاران ينعم	٢٩
				الأول بن ذمر على	
				يهبر	
شعرام اوتر	١٣	نشا كرب يهامن	٥	لعزم بن ياسر	٣٠
				يهصدق	
لحيعث يرخم	١٤	سعد شمس وابنه	٧ و ٦		
		مرثد			
ياسر يُنعم الأول ٣٥٦ - ٣٨٥ سبائي / ٨٦٤ - ٨٣٥ قبل الميلاد					٤٥

ملوك العصر الثالث والعصر الرابع لتبابعة سيأ عصر لقب «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويثمانت...» ٣٨٦ - ٦٨٠ للتقويم السبائي/ ٨٣٤ - ٥٤٠ قبل الميلاد

م	اسم الملك	الزمن
٤٦	شمر يُرْعَش	٣٨٦ - ٤٠٩ سبائي ٨٣٤ - ٨١١ ق.م.
٤٧ و ٤٨	ياسر ينعم الثاني وابنه ذرا - امر	٤١٠ - ٤٢٠ سبائي ٨١٠ - ٨٠٠ ق.م.
٤٩	ذمر على يهبر الثاني	٨٠٠ - ٧٨٧ ق.م.
٥٠	ثاران ينعم	٧٨٦ - ٧٤٦ ق.م.
٥١	ملكيكرب يهامن	٧٤٦ - ٧٣٤ ق.م.
٥٢ و ٥٣	ياسر ينعم الثالث وابنه ثاران ايفع	٧٣٤ - ٧١٣ قبل الميلاد
٥٤	كرب ال وتار ينعم	٧١٣ - ٧٠٠ ق.م.
٥٥	أبو كرب أسعد بن ملكيكرب	٥٢٠ - ٥٥١ سبائي ٧٠٠ - ٦٦٩ قبل الميلاد
٥٦	حسان بن أسعد	٦٦٩ - ٦٦٤
٥٧	شرحبيل يعفر بن أسعد	٥٥٢ - ٥٩٣ سبائي ٦٨٨ - ٦٢٧ ق.م.
٥٨	مرثد ألن ينوف	٦٢٦ - ٦٠٥ ق.م.
٥٩	ذرا-امر-ايمن (عمرو بن حسان)	٦٠٥ - ٥٩٣ ق.م.
٦٠	معد يكرب يعفر	٥٨٩ - ٥٤٠ ق.م.

[ملوك وتبابعة الدولة الحميرية] [١]

ثم مَلَكَ اليمن - من بعد أبي كرب - [٢] فيما قال ابن إسحاق: ربيعة بن نصر بن الحرث بن نمارة بن لخم، ولخم أخو جذام، وقال ابن هشام: ويقال ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر، كان أبو حارثة تخلف باليمن بعد خروج أبيه، وأقام ربيعة بن نصر ملكاً على اليمن بعد هؤلاء التبابعة الذين تقدم ذكرهم [٢] ووقع له شأن الرؤيا المشهورة، قال الطبري عن ابن إسحاق عن بعض

[١] - جاء هذا الفصل في تاريخ ابن خلدون مرتبطاً بالحديث السابق عن ملوك سبأ التبابعة الحميريين وكامتداد لعصورهم لأن ملوك سبأ التبابعة كانوا في النسب من حمير، وبما أن ملوك الدولة الحميرية التي قامت بعد عدة قرون كانوا أيضاً من حمير تم الربط بين هؤلاء وأولئك في كتب التاريخ التراثية ووقع التباس وظن لدى البعض بأن هؤلاء بعد أولئك، وليس كذلك فعصور دولة ملوك سبأ التبابعة الحميريين انتهت في أواخر القرن السادس قبل الميلاد - كما تقدم - بينما ملوك وتبابعة الدولة الحميرية يبدأ عصرهم بعد ربيعة بن نصر في القرن الثالث الميلادي، لذلك لزم التمييز.

[٢] - الصواب كما يذكر ابن خلدون في تأريخه (بالفصل السادس) عن قبائل كهلان بن سبأ أنه «لما تقلص ملك حمير التبابعة وانحل نظام دولتهم - (أي دولة تبابعة سبأ) - تغلبت بأذية كهلان على أرض سبأ» [ص ٢٥٣ ج ٢] وقال في نص آخر كما سيأتي «انتقل الملك إلى كهلان فاستفحل الملك للأزد في أرض سبأ» [اهـ] والمقصود دولة مكارب سبأ التي عاصرت ممالك معين وقتبان واوسان وحضرموت في عصر الدويلات والممالك اليمنية القديمة الوسيطة ما بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي كما تقدم في حديث ابن خلدون عن ملوك حضرموت في ذلك العصر بالفصل الأول . .

(*) وقد ذكر ابن خلدون من ملوك سبأ الأزديين - وهم مكارم سبأ - «عمران بن عامر ماء السماء بن حارثة (بن) امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن الأزدي، وكان كاهناً - [أي مكرياً] - ولما احتضر عهد إلى أخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا وأعلمه بخراب سد مأرب، فخرج من اليمن بقومه وأصاب اليمن سيل العرم، واستولى على قصر مأرب بعده الملك ربيعة بن نصر» [ص ٥٧ ج ٢] وهذا هو السياق الزمني والتاريخي السليم لربيعة بن نصر.

(*) وقد تقدم في حديث ابن خلدون عن ملوك حضرموت وقوله عن «الملك ذي أحمد بن يدعليل أنه غزا فارس في عهد سابور ذي الأكتاف» (اهـ) وهو الملك «العز/يلط/الثاني/ ذو أحمد ملك حضرموت» في الفترة (٢٠٠ - ٢٣٥م) وكان «نصر يهحمد بن معاهر» قبلاً ملكاً على =

أهل العلم: إن ربيعة بن نصر رأى رؤيا هالته وفضع بها، وبعث في أهل مملكته من الكهنة والسحرة والمنجمين وأهل العيافة، فأشاروا عليه باستحضار الكاهنين المشهورين لذلك العهد في اياذ وغسان وهما شق وسطيح، قال الطبري: شق هو أبو صعب يشكر بن رُهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن انمار، وسطيح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذيب بن غسان، ولوقوع اسم ذيب في نسبه كان يُعرف بالذبيي، فأحضرهما وقص عليهما رؤياه، وأخبراه بتأويلها أن الحبشة يملكون بلاد اليمن من بعد ربيعة وقحطان بسبعين سنة^[٣] ثم يخرج عليهم ابن ذي يزن^(٣) من عدن فيخرجهم ويملك على اليمن، ثم تكون النبوءة في قريش في بني غالب بن فهر، ووقع في نفس ربيعة بن نصر أن الذي حدثه الكاهنان من أمر الحبشة كائن^[٤]، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرداذ^[٥] فأسكنهم الحيرة، ومن بني ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة وهو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر^[٦].

= مناطق حمير وردمان وخولان وحليفا للعزيط، وسجلت نقوش نصر يهجم قيادته لغزوات خارجية باسم الملك العزيط عام ٢١٤م وبالتالي يمكن إدراك أن الملك ربيعة بن نصر هو ابن نصر يهجم بن معاهر وكان عهده في أواسط القرن الثالث الميلادي.

[٣] - في سيرة ابن هشام أن سطيح قال «بعد ستين أو سبعين يمضين من السنين» ثم يُقتلون ويخرجون منها هاربين يُخرجهم «إرم بن ذي يزن» وقد ظن بعض الرواة أن المقصود سيف بن ذي يزن فأطالوا المدة، وإنما المقصود «ملشان أريم ذي يزن» أول تبابعة الدولة الحميرية وكان عهده ما بين عام ٢٧٥م وعام ٣٥٠م كما سيأتي.

[٤] - في سيرة ابن هشام «فوقع في نفس ربيعة ما قالاً» [ص ١٣ ج ١] فيحتمل أن ما خشاه ربيعة بن نصر كان ملوكية ملشان أريم لليمن بما يعنيه ذلك من القضاء على الممالك والدويلات القائمة في اليمن ومنها مملكة ربيعة بن نصر كما حدث.

[٥] - نقل ابن خلدون في نص لاحق أنه «سابور الأشعاني» [ص ٥٨ ج ٢] وفي السيرة «سابور بن خُرزاد» والثابت أنه سابور من ملوك الفرس الساسانيين، وقد قامت الدولة الفارسية الساسانية في بلاد فارس عام ٢١٥ ميلادية ثم اجتاحت الفرس بقيادة ملكهم سابور الأول العراق عام ٢٤١م وقضوا على دولة الحضر - عربايا - وملكها الضيزن سنطروق وكان ملوك دولة الحضر والضيزن من بني عبيد بن الأخرم بن قضاة - كما سيأتي - وكانت الحيرة وجنوب العراق عاصمة وموطن ملوك من الأزد ولخم منذ القرن الأول الميلادي، كان أولهم مالك بن فهم الأزدي، ثم أصبحت الملوكية في لخم وكان منهم (عمرو بن عدي اللخمي) وذلك قبل اجتياح الفرس وسابور للعراق، ثم (امريء القيس بن عمرو بن عدي) في أواخر ذلك القرن الثالث الميلادي وعهد (سابور ذي الأكتاف) وفي تلك الفترة أرسل ربيعة بن نصر أبناءه إلى الحيرة.

[٦] - جوهر نبأ الملك ربيعة بن نصر هو أن أبنائه أصبحوا ملوك الحيرة في إطار الدولة الفارسية =

ولما هلك ربيعة بن نصر اجتمع ملك اليمن لحسان تبع بن تبان أسعد أبي كرب^[٧]، قال السهيلي وهو الذي استباح طسماً كما ذكرنا، وبعث على المقدمة عبد كلال بن مثوب بن ذي حرب بن حارث بن مالك بن عبدان بن حجر بن ذي رعين واسم ذي رعين يريم وهو ابن زيد الجمهور، وقد مرّ نسبه إلى سبأ الأصغر^[٨]، وقال السهيلي في أيام حسان تبع كان خروج عمرو بن مزيقيا من اليمن بالأزد وهو غلط من السهيلي لأنّ أبا كرب أباه إنما غزا المدينة فيما قال هو صريخاً للأوس والخزرج على اليهود، وهو من غسان ونسبه إلى مزيقيا، فعلى هذا يكون الذي استصرخه الأوس والخزرج على اليهود إنما هو من ملوك غسان كما يأتي في أخبارهم...^[٩].

= الساسانية وكان أولهم (النعمان بن المنذر بن ربيعة بن نصر) وقد دخل في نص ابن خلدون اسم (عمرو بن عدي اللخمي) والأصوب أن ملوكية أسرة عمرو بن عدي اللخمي انتهت وتولى النعمان بن المنذر بن ربيعة بن نصر في عهد سابور بن هرمز معاصر ملشان أريم أول تبابعة الدولة الحميرية كما سيأتي.

[٧] - وقع هنا خلط بين تُبع الذي اجتمع له ملك اليمن بعد ربيعة بن نصر وملوك الطوائف، وبين حسان بن أبي كرب أسعد الذي كان من ملوك سبأ التبابعة في القرن السابع قبل الميلاد، بينما تبع الذي ملك بعد ربيعة بن نصر كان في أوائل القرن الرابع الميلادي، ولا بدّ أنه تُبع ملشان أريم أول تبابعة الدولة الحميرية، فتصحف ملشان إلى حسان ووقع التباس، وكذلك كان من ملوك الدولة الحميرية بعد ملشان وسلالته الملك حسان بن غمران، وقد ذكره ابن خلدون باسم (حسان بن عمرو) كما سيأتي ثم ملك بعده أسعد الثاني بن حسان، فأدى تشابه الأسماء إلى الخلط في أنباء وأنساب أولئك الملوك، وتُبع ملشان أريم يسجل نقش عبدان الكبير وقائع توحيد اليمن بزعامته (ما بين عام ٢٧٥ وعام ٣٢٠ ميلادية) وأنه قام بعد ذلك بقيادة وتوجيه عمليات حربية إلى البحرين واليمامة ونجد والحجاز فدانت له ربيعة ونزار وغيرها، وهو غالباً القائل:

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسي
اليوم أعلم ما يسجيء به ومضى بفصل قضائه أمس

ويسجل نقش عبدان الكبير غزوة ملشان أريم إلى ربيعة بالبحرين ونجد وإلى أرض نزار، مما يدل على أنه المقصود بقول المسعودي «وقد كانت لنزار بن معد معه حروب حتى غلبهم وولى عليهم حجر بن عمرو أكل المرار - الكندي» وسيأتي نص ابن خلدون عن ذلك.

[٨] - قال ابن خلدون في فقرة لاحقة «وملك بعده أخوه لأمه عبد كلال بن مثوب بن ذي رعين، وفي أيامه خلع سابور - ملك فارس - أكتاف العرب» [ص ٥٨ ج ٢] ويدل ذلك على أن زمن تبع (ملشان) وعبد كلال كان في أواخر القرن الثالث إلى القرن الرابع الميلادي لمعاصرتها سابور ملك فارس.

[٩] - تقدم إيراد هذه الفقرة في أنباء أبي كرب أسعد وعمرو بن حسان بن أبي كرب أسعد بالقرن السابع ق. م. وتبين ما وقع من التباس، ويليهما ما نقله ابن خلدون عن السهيلي =

قال الجرجاني والطبري . . . وكان ولد حسان تبع صنغاراً لا يصلحون للملك وكان أكبرهم قد استهوته الجن، فوثب على ملك التبابعة عبد كلال بن مثوب، فملك عليهم أربعاً وتسعين سنة^[١٠] وكان يدين بالنصرانية^[١١].

«وفي سياق ابن سعيد . . . ملك بعد ابن حسان تبع، أخوه لأمه عبد كلال بن مثوب وفي أيامه خلع سابور اكتاف العرب»^[١٢].

= بشأن حسان بن أسعد وعمرو بن حسان ومقتله ونهاية دولة تبابعة سبأ، وقد أوردنا ذلك في نهاية الفصل السابق فاغنى عن الإعادة هنا.

[١٠] - كان عبد كلال بن مثوب بن ذي رعين - ونسبه كما تقدم - من كبار الأذواء القادة في عهد تبع ملشان أريم الذي يتصل به أيضاً قول ابن خلدون في فقرة لاحقة «وقيل إن ملك حمير لما انقرض أمر التبابعة صار متفرقاً في الأذواء من ولد زيد الجمهور، وقام بملك اليمن منهم ذو يزن من ولد مالك بن زيد، وهو علس ذو يزن بن زيد بن الحرث بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور» [ص ٦١ ج ٢] والمقصود تبع ملشان أريم، وقد جاء لقبه في نقش عبدان الكبير بصيغة «ذو يزن ويلغب كبير أقيال ضيفتن ومشرقن» أي كبير أقيال المناطق التي يحكمها الأقيال بني ضيفي وهي مناطق غرب ووسط اليمن إلى البحر الأحمر وعاصمتها مدينة ظفار (وهي قاعدة زعامة وملوكية عبد كلال)، أما مناطق مشرقن المذكورة في اللقب فهي النصف الشرقي من اليمن إلى حضرموت والمهرة وسأكلن - عمان - وكانت مدينة عبدان بمديرية نصاب بمحافظة شبوه هي عاصمة القسم الشرقي من اليمن وفي عبدان كان القصر يزن، وكانت مدينة صنعاء وقصرها غمدان بمثابة العاصمة الاتحادية ومقر ملشان أريم وغيره من تبابعة حمير رؤساء الدولة الحميرية، ويتبين من نقش عبدان الكبير أن (شرجيل أشوع وأخوته بني ملشان) تولوا رئاسة الدولة معه وبعده، ثم حفيده معد يكرب الذي قام بكتابة النقش عام ٤٧٠ للتقويم الحميري (٣٥٥ ميلادية) وفي نفس فترة نقش عبدان الكبير كان ملوكية عبد كلال في ظفار والقسم الغربي من اليمن حيث حكم في الفترة (٢٧٥ - ٣٦٩ ميلادية) وذلك في إطار دولة تبابعة حمير الاتحادية منذ عهد ملشان أريم.

[١١] - قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير يذكر الملك عبد كلال هذا:

أم أين عبد كلال الماضي على دين المسيح الطاهر المساح

وجاء في تاريخ الطبري وأخبار الملوك الماضين وشرح قصيدة نشوان أنه «اعتنق الملك عبد كلال دين النصرانية الأولى وكان الذي دعاه إليه راهب من غسان وفد عليه من الشام» (انتهى) ويقابل ذلك ما ذكرته المصادر الرومانية كما جاء في كتاب (تاريخ الكنائس) للمؤرخ (فيلوستروغ) أن الملك الروماني قسطنطين بن قسطنطين (٣٣٧ - ٣٧٠م) «أرسل بعثة إلى ملك حمير برئاسة الراهب فوفل اندوس (نيوفيلوس) فنجح في إقناع ملك حمير باعتناق المسيحية وبناء ثلاث كنائس إحداها في ظفار والثانية في عدان (عبدان) . . .» [انتهى] ويبدو أن الثالثة كانت بصنعاء وأن الملك الحميري هو ملشان وكذلك عبد كلال لواحديعه عهدهما.

[١٢] - أورد ابن خلدون هذه الفقرة في سياق ترتيب ابن سعيد للملوك وقدمناها هنا لدلالاتها على الزمن.

ثم رجع ابن حسان تُبع من استهواء الجن فمَلِك على التبابعة، قال الجرجاني مَلِك ثلاثاً وسبعين سنة وهو تُبع الأصغر ذو المغازي والآثار البعيدة^[١٣]. قال الطبري: وكان أبوه حسان تُبع قد زوج ابنته من عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية من ملوك كندة فولدت له ابنة الحرث بن عمرو^[١٤]، فكان (الحرث بن عمرو مع) تبع بن حسان هذا^[١٤] فبعثه على بلاد معد، ومَلِك على العرب بالحيرة مكان آل ربيعة بن نصر^[١٥] وانعقد الصلح بينه وبين قباذ ملك فارس على أن يكون الفرات حدًا بينهم، ثم أغارت العرب على شرقي الفرات، فعاتبه (قباذ) على ذلك فقال (الحرث) لا أقدر على ضبط العرب إلا بالمال والجند، فأقطعه بلاداً من السواد (سواد العراق)، وكتب الحرث إلى تبع بن حسان يغريه بملك الفرس وضعف أمر قباذ فغزاهم^[١٥]، وقيل إن الذي فعل ذلك هو عمرو بن حجر أبوه الذي ولاه تبع أبو كرب، وأنه أغراه بالفرس واستقدمه إلى الحيرة فبعث

[١٣] - هو تبع أسعد الثاني بن حسان بن عمرو (غيمان)، وكان أبوه الملك حسان قد تولى الملوكية بعد بني ملشان وبني عبد كلال وسار إلى نجد والحجاز والبحرين فشملتها ملوكيته وولى عليها الملك عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو الكندي وكان عهد تبع حسان بن عمرو (غيمان) في الفترة (٤٤٥ - ٤٥٦م) وهو حسان الثاني تمييزاً له عن حسان يهامن بن أبي كرب أسعد ملك سبأ في عصر تبابعة سبأ بالقرن السابع ق.م. بينما حسان الثاني بن عمرو (غيمان) في القرن الخامس الميلادي (٤٤٥ - ٤٥٦م) وعاصر يزيدجرد بن بهرام ملك فارس (٤٣٨ - ٤٥١م) والمنذر بن النعمان ملك الحيرة (٤٢١ - ٤٤٣م) وثيودوسيوس الثاني ملك الروم (٤٠٤ - ٤٥١م) وفيه قال علقمة زوجدن:

قد كان حسان في ذي أبة عُمدان قريراً بعيش من رغدا

ثم تولى الملوكية بعده ابنه تبع أسعد الثاني بن حسان (٤٥٧ - ٤٧٧م) وهو الذي فيه قال الشاعر:

وأسعد قاد الناس عشرين حجة يؤيد في كل المواطن بالنصر

وشملت ملوكيته جزيرة العرب إلى تخوم سلطان الغساسنة بالشام وتخوم سلطان المناذرة بالحيرة.

[١٤] - هو الحارث بن عمرو الكندي جد امرئ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي أمير الشعراء، وكان الحارث من قادة ونواب تبع أسعد بن حسان وولاه ملكاً على بلاد نجد وما يليها وعلى قبائل معد بن عدنان، وتبع أسعد بن حسان هذا هو القائل:

لست بالتبع اليماني إن لم تركض الخيل في سواد العراق

[١٥] - كانت الدولة الفارسية تعيش صراعاً على الحكم بين قباذ ويلاوش وكان أمر المناذرة بالحيرة مضطرباً، فسار الحارث بن عمرو الكندي إلى الحيرة فانضوى المنذر بن ماء السماء تحت ملوكية الحارث، وأقر قباذ ملك فارس ملوكية الحارث على الحيرة.

عساكره مع ولده الثلاثة إلى الصغد والصين والروم وقد تقدم ذكر ذلك [١٦٦].

قال الجرجاني: ثم ملك بعد تبع بن حسان تُبع، أخوه لأمه وهو مرثد بن عبد كلال فملك إحدى وأربعين سنة، ثم ملك من بعده ابنه وليعة بن مرثد سبعا وثلاثين سنة، ثم ملك من بعده أبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شيبه بن مرثد ينكف بن يعلق بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن ذي أصبح الحارث بن مالك أخو ذي رعين (بن زيد الجمهور من بني) كعب وسبأ الأصغر، قال الجرجاني: وبعض الناس يزعم أن أبرهة بن الصباح إنما ملك تهامة فقط، قال ثم ملك من بعده حسان بن عمرو بن تبع بن كلبيكرب سبعا وخمسين سنة [١٦٧].

[١٦٦] - في هذه الفقرة خلط بين أسعد بن حسان وبين أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ، والصواب كما تقدم.

[١٦٧] - أورد ابن خلدون أولئك الملوك في سياق آخر «عن ابن سعيد فيما نقله من كتب مؤرخي المشرق» فذكر ملوك سبأ التابعين للحميريين وانتقال الملك بعدهم إلى كهلان والأزد ثم الملك ربيعة بن نصر ثم كما جاء في نص ابن خلدون «اجتمعت حمير على أن تكون لأبي كرب أسعد فخرج من ظفار وغلب ملوك الطوائف باليمن ودوخ جزيرة العرب وحاصر الأوس والخزرج بالمدينة... وملك بعده ابنه حسان الذي أباد طسماً ثم قتله أخوه عمرو بمدخلة حمير وهلك عمرو، فملك بعده أخوه لأمه عبد كلال بن مثوب وفي أيامه خلع سابور أكتاف العرب، وملك بعده تبع بن حسان وهو الذي بعث ابن أخته الحرث بن عمرو الكندي إلى أرض بني معد بن عدنان بالحجاز فملك عليهم، وملك بعده مرثد بن عبد كلال، ثم ابنه وليعة وكثرت الخوارج عليه، وغلب أبرهة بن الصباح على تهامة اليمن، وكان في ظفار دار التبابعة حسان بن عمرو بن أبي كرب، ثم وثب على ظفار بعده ذو شناتر (لخيعه) وقتله ذو نواس، هذا ترتيب ابن سعيد». [ص ٥٨ ج ٢] ونقل ابن خلدون في سياق ترتيب المسعودي «... ملك مرثد بن عبد كلال أربعين سنة، ومن بعده وليعة بن مرثد تسعاً وثلاثين سنة ومن بعده أبرهة بن الصباح بن لهيعة ويدعى شيبه الحمد وكانت له سير وقصص، ومن بعده عمرو ذو قيفان بن شراحيل بن ذي يزن تسع عشرة سنة، ومن بعده لخيعه ذو شناتر» [ص ٥٨ ج ٢].

ويتبين من التحقيق ما يلي:

أ - أن ملوكية عبد كلال بن ذي رعين وأبنائه كانت في ظفار والقسم الغربي من اليمن في إطار دولة تبابعة حمير الاتحادية منذ عهد ملشان أريم، فقد كان عبد كلال في الفترة (٢٧٥ - ٣٦٩ م) ثم مرثد بن عبد كلال (٣٦٩ - ٤٠٨ م) ثم وليعة بن مرثد (٤٠٨ - ٤٤٥ م) وعارضه القيل الصباح وابنه أبرهة بن الصباح وكانت عاصمته مدينة موكل، ثم اجتمع الأمر للملك حسان بن عمرو (غيمان) وقيل له تُبع ثم ابنه أسعد بن حسان.

ب - أن رؤساء الدولة الحميرية التابعين في تلك الفترة كان أولهم (ملشان أريم) ثم ابنه شرحبيل وأخوته ثم معد يكرب حفيد ملشان وكان عهدهم الفترة (٢٧٥ - ٣٧٠ م) ثم بريل ذو يزن صاحب النقش رقم ٣٨ ينبق وهو ذو قيفان ثم بني ذي قيفان وبني غمران (غيمان) المؤرخ نقشهم المسند بعام ٤٤٥ م ومنهم حسان تبع (إلى عام ٤٥٦ م).

ثم ملك لخبيعة ولم يكن من أهل المملكة^[١٨].

قال ابن إسحاق: ولما ملك لخبيعة غلب عليهم وقتل خيارهم وعبث برجال بيوت المملكة منهم^[١٩]، قيل إنه كان ينكح ولدان حمير، يريد بذلك أن لا يملكوا عليهم، وكانوا لا يملكون عليهم من نكح، نقله ابن إسحاق، وقال: أقام عليهم مملكاً سبعاً وعشرين سنة، ثم وثب عليه ذو نواس زرعة ثُبُع بن تبان أسعد أبي كرب وهو ابن حسان بن ذي معاهر فيما قال ابن إسحاق، وكان صبيّاً حين قُتل حسان ثم شب غلاماً جميلاً ذا هيئة وفضل ووضاءة، ففتك بلخبيعة في خلوة أرادها فيها على مثل فعلاته القبيحة، وعلمت به حمير وقبائل اليمن فملكوه واجتمعوا عليه وجدّد ملك التبابعة وتسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية، وكانت مدته فيما قال ابن إسحاق ثمانية وستين سنة^(١٩). انتهى ترتيب أبي الحسن الجرجاني^[٢٠].

وقال السهيلي إنه أسقط أسماء كثيرة وملوكاً، وقال ابن الكلبي وابن حزم: ومن ملوك التبابعة أفريقش بن صيفي، ومنهم شمر يرعش بن ياسر ينعم بن عمرو ذي الأذعار ومنهم بلقيس بنت اليشرح بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث الرايش بن قيس بن صيفي، ثم قال ابن حزم بعد ذكر هؤلاء من التبابعة: وفي أنسابهم اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير ونقصان وزيادة. ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلا طرف يسير لاختلاف روايتهم وبعد العهد^[٢١]. وقال الطبري: لم يكن لملوك اليمن نظام وإنما كان الرئيس منهم يكون ملكاً على مخالفه لا

[١٨] - أن ملوكية لخبيعة هذا كانت بعد أسعد بن حسان الذي حكم عشرين سنة (٤٥٧ - ٤٧٧م) كما تقدم.

[١٩] - هو كما في نقوش المسند «لحيعة يرخم ذو جدن» وتذكره كتب التراث باسم (لخبيعة ذي شناتر) وأنه «وثب على مُلك آل حسان بعد موت أو مقتل حسان بن أسعد بن حسان، وأنه لم يكن من أهل بيت المملكة» ويتبين من التحقيق أن نسبه يتصل إلى أجداد نفس الأسرة وأنه كان من كبار الأقبال القادة في عهد حسان بن عمرو غيمان وعهد أسعد بن حسان ثم حسان الأخير وكانت مدة رئاسة وملوكية لحيعة يرخم لا تتجاوز سنتين ثم تولى الملوكية بعده ابنه «شرحبيل يكمل» وله نقش مؤرخ بعام ٥٩٥ للتقويم الحميري (الموافق ٤٨٠ ميلادية) وهو نقش موقع قرن أملح [رقم ٤٠٦٩ ريعي أدون] وكان عهد شرحبيل (٤٨٠ - ٥٠٩ ميلادية) ثم ابنه «سميفع بن شرحبيل ٥٠٩ - ٥١٤م» ثم الملك «يوسف أسار ذو نواس ٥١٥ - ٥٢٥م» ويدل ذلك على أن ما نقله ابن إسحاق عن لخبيعة غير صائب.

[٢٠] - أورد ابن خلدون بعد هذه الفقرة ترتيب ابن سعيد وترتيب المسعودي للملوك كما تقدم مما يغني عن الإعادة.

[٢١] - حصل ذلك الخلط بسبب تشابه الأسماء بين أبي كرب أسعد وبين أسعد بن حسان وكثير غيرهما من الملوك.

يتجاوزوه، وإن تجاوز بعضهم عن مخالفه بمسافة يسيرة من غير أن يرث ذلك الملك عن آبائه ولا يرثه أبناؤه عنه إنما هو شأن شذاذ المتلصصة يغيرون على النواحي باستغفال أهلها فإذا قصدهم الطلب لم يكن لهم ثبات، وكذلك كان أمر ملوك اليمن يخرج أحدهم من مخالفه بعض الأحيان ويبعد في الغزو والإغارة فيصيب ما يمرّ به ثم يتشمر عند خوف الطلب زاحفاً إلى مكانه من غير أن يدين له أحد من غير مخالفه بالطاعة أو يؤدي إليه خراجاً^[٢٢٢] انتهى.

الخبر عن ذي نواس وما بعده

وأما الخبر عن ذي نواس وما بعده، فاتفق أهل الأخبار كلهم أن ذا نواس هو ابن تبان أسعد واسمه زرعة وأنه لما تغلب على ملك آبائه التبابعة تسمى يوسف^[٢٢٣]، وتعصب لدين اليهودية وحمل عليها قبائل اليمن وأراد أهل نجران عليها وكانوا من بين العرب يدينون بالنصرانية^[٢٢٤] ولهم فضل في الدين واستقامه،

[٢٢٢] - المقصود هنا فترة محددة من عصور الدولة الحميرية الأخيرة أو الملوك الأقيال على المخالفين في إطار سلطة تبابعة الدولة الحميرية الاتحادية وبعد نهاية عصورها في الجاهلية ليس إلا، فلا تقاس على ذلك سائر العصور.

[٢٢٣] - هو كما في نقشه المسند المنشور برقم (١٠٢٨ جام) في موقع بئر الحمة بنجران الملك «يوسف أسار يثار ملك كل الشعوب» وكان عهده عام ٥١٥ م - ٥٢٥ ميلادية، وهنا يجب التمييز بين ملكين:

أ - الملك زرعة عمرو بن أبي حسان بن أبي كرب أسعد بن ملكي كرب بن ثاران ينعم ملك سبأ في القرن السادس قبل الميلاد وهو «ذرا - أمر» الذي اعتنق اليهودية على يد الحبرين وحاول فرض اليهودية بالقوة والنار، ومات مقتولاً على يد أخيه معد يكر ب والأقيال، وكان معاصراً لنبوخذ نصر ملك بابل كما تقدم في أبناء ملوك سبأ التبابعة.

ب - الملك يوسف أسار يثار - هذا - وهو من بني «تبع حسان بن عمرو (غيمان) بن أخنس بن كبرائل بن هامن بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث سليل زيد الجمهور من بني عدي بن صيفي (ضيبي) الحميري» وكان جده تبع حسان من تبابعة الدولة الحميرية (٤٤٥ - ٤٥٦ م) ثم أسعد الثاني بن حسان (٤٥٧ - ٤٧٧ م) ثم حسان الثالث ولحيعة يرخم ذو جدن (٤٧٧ - ٤٧٩ م) ثم تولى الملوكية بني لحيعة (شرحبيل يكمل وأخوته ٤٠٨ - ٥٠٩ م) ثم سميفع بن شرحبيل يكمل (٥٠٩ - ٥١٤ م) فتنازل سميفع عن الملوكية ليوسف أسار فحكم يوسف أسار (٥١٥ - ٥٢٥ م).

[٢٢٤] - كانت الديانة المسيحية قد دخلت اليمن وأصبحت ديانة رئيسية منذ عهد ملشان وعبد كلال الحميري كما تقدم في القرن الرابع الميلادي، وتم تشييد كنائس في ظفار وغبدان وصنعاء وغيرها. وتؤكد النقوش انتشار المسيحية التوحيدية باليمن في القرن الخامس الميلادي (عهد حسان وأسعد بن حسان إلى عهد يوسف أسار) ولا توجد أي إشارة إلى اليهودية حتى في عهد يوسف أسار، فالذي اعتنق اليهودية إنما هو (ذرا - امر).

وكان رئيسهم في ذلك يسمى عبد الله بن الثامر، وكان هذا الدين وقع عليهم قديماً من بقية أصحاب الحواريين من رجل سقط إليهم في مُلْكِ التَّبَعِيَّةِ يقال له فيمون^[٢٥] نزل فيهم وكان مجتهداً في العبادة، مجاب الدعوة وظهرت على يده الكرامات في شفاء المرضى، وكان يطلب الخفاء عن الناس جهده، وتبعه على دينه رجل من أهل الشام اسمه صالح، وخرجا فازين بأنفسهما فلما وطئا بلاد العرب اختطفتها سيارة فباعوهما بنجران، وهم يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ويعلقون عليها في الأعياد من حليهم وثيابهم ويعكفون عليها أياماً، وافترقا في الدُّبْرِ على رجلين من أهل نجران، وأعجب سيد فيمون^(٢٥) صلاته ودينه، وسأله عن شأنه فدعاه إلى الدين وعبادة الله وأن عبادة النخلة باطل وأنه لو دعا معبوده عليها هلكت، فقال له سيده: إن فعلت دخلنا في دينك، فدعا فيمون^(٢٥) فأرسل الله ريحاً فجعفت النخلة من أصلها، وأطبق أهل نجران على اتباع دين عيسى صلوات الله عليه.

ومن رواية ابن إسحاق: أن فيمون نزل بقرية من قرى نجران، وكان يمر به غلمان أهل نجران يتعلمون من ساحر كان بتلك القرية، وفي أولئك الغلمان عبد الله بن الثامر فكان يجلس إلى فيمون ويسمع منه فآمن به واتبعه وحصل على معرفة اسم الله الأعظم فكان مجاب الدعوة لذلك، واتبعه الناس على دينه وأنكر عليه ملك نجران^[٢٦] وهم بقتله، فقال له: لن تطيق حتى تؤمن وتوحد فأمن، ثم قتله^(٢٦) فهلك ذلك الملك مكانه، واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر^(٢٦).

[٢٥] - اسمه في سيرة ابن هشام (فيميون) وقال القتيبي إنه «رجل من آل جفنة من غسان جاءهم من الشام فحملهم على دين عيسى عليه السلام» [ص ٣٠ ج ١ - سيرة ابن هشام].

[٢٦] - تذكر المصادر الأكسومية والرومانية لذلك العصر أن «شرحيل يكمل ملك حمير» قام بقتل راهب في نجران اسمه «اذكر عرفه» ويمثل ذلك أصل الرواية المذكورة هنا وربما تم الخلط بين فيمون وابن الثامر وبين الراهب المقتول (اذكر عرفه) وكانت الديانة المسيحية في اليمن انقسمت آنذاك إلى مذهبين:

أ - المذهب المسيحي النسطوري: وهو مذهب توحيد لا يقول بتأليه المسيح، وقد تبنته الدولة الحميرية منذ عهد حسان وأسعد بن حسان وفي عهد شرحيل يكمل (٤٠٨ - ٤٠٩ م) إلى عهد يوسف أسار، وكان سائداً في كنائس صنعاء وعبدان ونجران وغيرها.

ب - مذهب الطبيعة الواحدة للإله المسيح، أو الإله (الرحمن وابنه المسيح) وكان المذهب الرسمي للدولة الرومانية والشام ومصر واكسوم، وكذلك في كنيسة ظفار باليمن وإذواثيات ظفار الحميرية، وكان الراهب (اذكر عرفه) من دعاة مذهب الطبيعة الواحدة بنجران فقام الملك شرحيل بقتله، وكان لذلك الحادث مضاعفات لاحقة.

وأقام أهل نجران على دين عيسى صلوات الله عليه حتى دخلت عليهم في دينهم الأحداث^[٢٧]، ودعاهم ذو نواس إلى دين اليهودية^[٢٨] فأبوا، فسار إليهم في أهل اليمن وعرض عليهم القتل فلم يزدتهم إلا جماحاً^[٢٩]، فخذد لهم الأخاديد وقتل وحرق حتى أهلك منهم فيما قال ابن إسحاق عشرين ألفاً أو يزيدون^[٣٠]. وأفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان فسلك الرمل على فرسه وأعجزهم. وقال هشام بن محمد الكلبي في سبب غزو ذي نواس أهل نجران، أن يهودياً كان بنجران فعدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً، فرجع أمره إلى ذي نواس وتوسل له باليهودية واستنصره على أهل نجران وهم نصارى، فحمى له ولدينه، وغزاهم^[٣١].

[٢٧] - الأحداث التي دخلت على دين عيسى في نجران وغيرها هي مذهب الطبيعة الواحدة وتأليه المسيح، وقد أدى قتل الراهب (اذكر عرفه) إلى قيام الحارث بن عبد كلال بن ذي رعين زعيم إذوثيات ظفار إلى استحضار قوة من ملك أكسوم (كالب) فأرسل قوة من الحبيشة رابطة في ظفار وفي الركب بتهامة مع اتباع الحارث بن عبد كلال فسار إليهم الملك يوسف أسار ذي نواس بالجيش وحاصرهم في مدينة ظفار وغيرها عام ٥١٦ م.

[٢٨] - يذكر (بيوتروفسكي) عن المصادر المسيحية لذلك العهد «أن يوسف أسار كان يدعوهم في خطاباته للتخلي عن تأليه المسيح، وأن النسطوريين أيدوا الملك يوسف» [ص ٢٤٦ ملحمة أسعد لبيوتروفسكي] مما يدل على أنه كان نسطورياً.

[٢٩] - قام يوسف أسار باجتياح مدينة ظفار وإحراق كنيسة ظفار (قليس ظفار) وقتل الحارث بن عبد كلال والأحباش الذين كانوا بظفار إلى ساحل تهامة والبحر الأحمر كما في نقشه المسند رقم (١٠٢٨) بنجران.

[٣٠] - كان عدد الذين قتلوا من المسيحيين اتباع الطبيعة الواحدة في ظفار وغيرها بما في ذلك الأحباش ثلاثة آلاف فقط.

[٣١] - لقد ربطت سائر الروايات التاريخية العربية بين واقعة أخذود نجران المذكورة في القرآن الكريم وبين الملك يوسف أسار (ذي نواس) الحميري، بينما المصادر التاريخية الرومانية والأكسومية والمسيحية لذلك العهد ذكرت ما حدث بالتفصيل في ظفار وغيرها ولم تذكر حدوث شيء في نجران وكذلك النقوش، ويتبين من تلك المصادر والنقوش أيضاً أن يوسف أسار لم يكن يهودياً ولا اعتنق اليهودية وإنما كان على دين التوحيد المسيحي النسطوري، لذلك يمكن القول إن واقعة أخذود نجران إنما كانت في عهد الملك (ذرا - أمر/ بن حسان يهامن/ بن أبي كرب أسعد) حين أعرض الملك ذرا - أمر (تبع عمرو) عن دين التوحيد الحنيف الذي كان سائداً منذ عهد أبي كرب أسعد واعتنق اليهودية مع الحبرين بيثرب وأخذ في فرض اليهودية على المؤمنين بدين تبع أسعد الحنيف حتى مات ذرا - أمر مقتولاً على يد أخيه والأقبال عام ٦٣١ للتقويم السبائي (٥٨٩ قبل الميلاد) في آخر عصور تبابعة سبأ بالقرن السادس قبل الميلاد ثم تعاقبت بعد ذلك الأزمنة والعصور حتى هذه الدولة الحميرية.

ولما أفلت دوس ذو ثعلبان قديم على قيصر صاحب الروم يستنصره على ذي نواس وأعلمه بما ركب منهم، وأراه الأنجيل قد احترق بعضه بالنار^[٣٢]، فكتب له إلى النجاشي يأمره بنصره والطلب بثأره، وبعث معه النجاشي سبعين ألفاً من الحبشة، وقيل إن صريخ دوس كان أولاً للنجاشي، وإنه اعتذر إليه بقلة السفن لركوب البحر، وكتب إلى قيصر وبعث إليه بالإنجيل المحرق، فجاءته السفن^[٣٣]، وأجاز فيها العساكر من الحبشة^[٣٤]، وأمر عليهم أرباطاً رجلاً منهم وعهد إليه بقتلهم وسبيهم وخراب بلادهم، فخرج أرباط لذلك ومعه أبرهة الأشرم^[٣٥]،

= أما يوسف أسار (ذي نواس) فإن النقش المسند (المنشور برقم ١٠٢٨ جام) والموجود في موقع بئر الحمة بنجران، فيذكر:

أ - عبادة الله الرحمن العليّ (أل ل ن/رحمن/علي) وأن النقش «صيف وسطر باسم الرحمن» ويدل ذلك على الديانة التوحيدية المسيحية النسطورية وليس اليهودية.

ب - يذكر النقش اجتياح مدينة ظفار وإحراق كنيسة ظفار «قليس ظفار» وقتل من كان فيها من الأحباش إلى تهامة وساحل البحر الأحمر (عام ٥١٦ ميلادية).

ج - يذكر النقش إرسال قوات حميرية أغارت على ساحل الحبشة (عام ٥١٧ م) وأن القوات الحميرية تمركزت في «سلسلة باب المنذب» والبحر، مما يعني بسط السيادة الحميرية على البحر الأحمر.

د - يذكر النقش مرابطة «سميفع أشوع ذي يزن» في نجران وما يليها على رأس قوة من الزينيين وكندة ومذحج، ويتصل ذلك بترسيخ سلطان ونفوذ الدولة الحميرية إلى تخوم الشام وتخوم العراق.

هـ - تم كتابة النقش عام ٦٣٣ للتقويم الحميري الموافق عام ٥١٨ ميلادية، وينطق النقش بالتوجه إلى «الرحمن/ال هـ ن/ذي له السماء والأرض/الرحمن العليّ» [انتهى].

[٣٢] - كان هناك العديد من الأناجيل، ولعل ما تم إحراقه كان الإنجيل الذي فيه القول بألوهية المسيح.

[٣٣] - لم يكن التحرك الروماني الأكسومي إلا بعد سنوات مما حدث في اليمن (عام ٥١٦ م) وكان التحرك في عهد الملك الروماني البيزنطي جوستيان الأول (٥١٩ - ٥٢٦ م) الذي أبرم صلحاً مع الفرس عام ٥٢٢ م ثم تبنى تعبئة تحريضية واسعة لغزو اليمن، فكتب إلى كالب ملك الحبشة يحرضه على الغزو رداً على ما حدث عام ٥١٦ م، واشتركت في التعبئة التحريضية كنائس الإسكندرية والقدس وأكسوم وأساقفتها ورهبانها. وتعهد جوستيان بتوفير السفن الرومانية للغزو فاستجاب كالب ملك أكسوم، (عام ٥٢٤ م) ووصلت السفن الرومانية وقادة ومتطوعون رومان وبيلاميون إلى ساحل الحبشة وتم الإعداد للغزو بسرية كاملة وتجهيز ثلاثين ألف مقاتل من الأحباش.

[٣٤] - كان عدد السفن كما ذكرت المصادر المعاصرة (٢٣٠ سفينة) غزت ساحل اليمن مطلع عام ٥٢٥ م بقيادة كالب ملك الحبشة.

[٣٥] - كان أرباط وأبرهة في الغزو الثاني عام ٥٣٣ م كما سيأتي، أما هذا الغزو عام ٥٢٥ م فكان بقيادة الملك كالب شخصياً.

فركبوا البحر ونزلوا ساحل اليمن^[٣٦]، وجمع ذو نواس حمير ومن اطاعه من أهل اليمن على افتراق واختلاف في الأهواء، فلم يكن كبير حرب وانهمزموا، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه إلى البحر ثم ضربه فدخل فيه وخاض ضحضاح البحر ثم أفضى به إلى غمرة فأقحمه فيه فكان آخر العهد به^[٣٧].

ووطئ أرباط اليمن بالحبشة وبعث إلى النجاشي بثلاث السبي كما عهد له ثم أقام بها فضببطها وأذل رجالات حمير وهدم حصون الملك بها مثل سلحين وبينون وغمدان، وقال ذو يزن يرثي حمير وقصور الملك باليمن:

هَوْنُكَ لَيْسَ يَرِدُ الدَّمْعُ مَا فَاتَا لَا تَهْلِكُنْ أَسْفَا فِي إِثْرَمَنْ مَاتَا
أَبْعَدَ بَيْتُونُ لَا عَيْنُ وَلَا أَنْزُرُ وَبَعْدَ سَلْحِينِ يَبْنِي النَّاسُ أَبْيَاتَا

وفي رواية هشام بن محمد الكلبي أن السفن قدمت على النجاشي من قيصر فحمل فيها الحبش ونزلوا بساحل اليمن واستجاش ذو نواس باقيال حمير فامتنعوا من صريخه وقالوا: كل واحد يقاتل عن ناحيته^[٣٨] فألقى ذو نواس باليد ولم يكن قتال، وإنه سار بهم (أرباط) إلى صنعاء وبعث عماله في النواحي لقبض الأموال، وعهد (ذو نواس) بقتلهم في كل ناحية فقتلوا^(٣٨)، وبلغ ذلك النجاشي فجهز إلى اليمن سبعين ألفاً وعليهم أبرهة فبلغوا صنعاء وهرب ذو نواس واعترض البحر فكان آخر العهد به^[٣٩]، وملك أبرهة اليمن ولم يبعث إلى النجاشي بشيء، وذكر له أنه

[٣٦] - كان نزولهم بمنطقة وميناء الساحل الشرقي لليمن في موقع ميناء قنا ويثر علي بساحل شبوة حالياً، فعلم الملك يوسف أسار بذلك فسار لقتالهم على عجل من مدينة عبدان في قوة محدودة قبل اكتمال استنفار وحشد القوات للقتال، وربما لم يتوقع حجمهم الكبير.
[٣٧] - لما أدرك يوسف أسار ذي نواس تفوق العدو انطلق بفرسه إلى أعماق البحر واختار أن تآكل التحالف الحيتان لحمه من أن يدين للأحباش السود والرومان الحمر، وفي ذلك قال علقمة بن جدن الحميري:

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِقَبِيلِ حَمِيرٍ يُوسِفُ أَكَلِ الشَّعَالِفِ لَحْمَهُ لَمْ يُقْبِرِ
وَرَأَى بِأَنَّ الْمَوْتَ خَيْرٌ عِنْدَهُ مِنْ أَنْ يَدِينُ لِأَسْوَدٍ وَأَحْمَرِ

[٣٨] - يتصل أصل هذه الرواية بقول ابن خلدون في فقرة تالية «لما ملك ذو يزن بعد مهلك ذي نواس: الخ» وهو «سميفع ذو يزن» تم تملكه في نفس عام الغزو الحبشي الأول على ساحل اليمن ومقتل يوسف أسار ذي نواس (عام ٥٢٥م) فسار سميفع بجيش وقبائل اليمن إلى الساحل فحارب الغزاة وقتل ملكهم كالب ملك الحبشة وقادته الرهبان والرومان وطارد فلول الأحباش إلى ساحل الحبشة كما يسجل ذلك نقشه المسند في موقع قنا المؤرخ بعام ٥٢٥ ميلادية.

[٣٩] - يتصل أصل ذلك بالغزو الثاني عام ٥٣٣م في عهد سميفع ذي يزن وكان الغزو بتوجيه =

خلع طاعته، فوجه جيشاً من أصحابه عليهم أرباط، ولما حلّ بساحته دعاه إلى النصفه والنزال، فتبارزا، وخدعه أبرهة وأكمن عبداً له في موضع المبارزة، فلما التقيا ضربه أرباط فشرم أنفه وسمي الأشرم، وخالفه العبد من الكمين فضرب أرباطاً فأنفذه، وبلغ النجاشي خبر أرباط فحلف ليريقن دم أبرهة، ثم كتب إليه أبرهة واسترضاه فرضي عليه وأقره على عمله. وقال ابن إسحاق إن أرباط هو الذي قدم اليمن أولاً وملكه وانتقض عليه أبرهة من بعد ذلك فكان ما ذكرنا من الحرب بينهما وقتل أرباط وغضب النجاشي لذلك ثم أرضاه واستبد أبرهة بمُلك اليمن (اهـ). ويقال إن الحبشة لما ملكوا اليمن أمرّوا أبرهة بن الصباح وأقاموا في خدمته قاله ابن سلام.

وقيل إن ملك حمير لما انقرض أمر التبابعة صار متفرقاً في الأذواء من ولد زيد الجمهور، وقام بملك اليمن منهم ذو يزن من ولد مالك بن زيد، قال ابن حزم: واسمه علس بن زيد بن الحرث بن زيد الجمهور، وقال ابن الكلبي وأبو الفرج الأصبهاني هو علس بن الحرث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور.

وقالوا كلهم: ولما ملك ذو يزن بعد مهلك ذي نواس^(٣٨) واستبد أمر الحبشة على أهل اليمن وطالبوهم بدم النصاري الذين في أهل نجران، فساروا إليه وعليهم أرباط ولقيهم ذو يزن فيمن معه فانهزم واعترض البحر فأقحم فرسه وغرق فهلك بعد ذي نواس^(٣٨)، وولي ابنه مرثد بن ذي يزن مكانه^[٤٠] وهو الذي استجاشه امرؤ

= «اليسباس ملك الحبشة» ودعم القيصر الروماني (جوستنيان ٥٢٧ - ٥٦٥م) وبسبب الملاحه في البحر الأحمر، وهو الغزو الذي قاده أرباط وأبرهة وبدأ بساحل تهامة فلما أدرك سميفع ذو يزن أنه منهزم أقحم فرسه البحر وغرق فدخل الأحباش اليمن.

[٤٠] - أي مكان الملك سميفع ذي يزن، وكان سميفع ذو يزن قد تولى ملوكية اليمن بعد ذي نواس وقضى على الأحباش وملكهم كالب بساحل قنأ باليمن عام ٥٢٥ ميلادية، فتولى سميفع الملوكية وذكرته المصادر الرومانية باسم (سميفيوس ملك حمير) وأرسل إليه القيصر الروماني جوستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) وفدأ كبيراً برئاسة نائبه (يوليانوس) وتصلح سميفع مع الرومان والحبشة واعتنق وتبنى مذهب الطبيعة الواحدة حيث يطالعنا نقشه المسند الثاني (رقم ٣٩٠٤ ريس) بعبارة «باسم الرحمن وابنه المسيح المنتصر» كما قبل سميفع بنوع من الارتباط بملك أكسوم ليسباس، ثم وقع احتكاك روماني حميري على الطريق البحري، فانتهى عهد سميفع بالغزو الثاني لليمن بقيادة أرباط وأبرهة عام ٥٣٣م - كما تقدم - فتولى مكانه ابنه (معد يكرب بن سميفع ذويزن وجدن) وليس مرثد وإنما كان مرثد أخوه من نوابه الأقبال، فتصدى معد يكرب للأحباش وقتلهم ما بين تهامة وذمار ثم انسحب إلى شرق =

القيس على بني أسد^[٤١] وكان من عقب ذي يزن أيضاً من هؤلاء الأذواء علقمه ذو قيفان بن شراحيل بن ذي يزن، وملك مدينة البون فقتله أهلها من همدان - اهـ^[٤٢].

ولما استقر أبرهة في ملك اليمن^[٤٣] أساء السيرة في حمير ورؤسائهم وبعث في ريحانة بنت علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان فانتزعها من زوجها أبي مرة بن ذي يزن، وقد كانت ولدت منه ابنه معد يكر ب وهرب أبو مرة ولحق بأطراف اليمن^(٤٣) واصطفى أبرهة ريحانة فولدت له مسروق بن أبرهة وأخته بسباسة، وكان لأبرهة غلام يسمى عمددة، وكان قد ولاه الكثير من أمره، فكان يفعل الأفاعيل حتى عدا عليه رجل من حمير أو خثعم فقتله، وكان حليماً فأهدر دمه. ثم إن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء تُسمى القُلَيْسُ لم يُر مثلها^[٤٤] وكتب إلى النجاشي بذلك وإلى

= اليمن وتولى الملوكية فيها، بينما احتل الأحباش صنعاء وغيرها من القسم المحتل حيث حكم أرباط حتى قتله أبرهة (ح/ عام ٥٤١م) وكان معد يكر ب بن سميع ذي يزن ملكاً في سروحيمير وشرق اليمن وقاد ثورة عارمة سجلها نقش أبرهة بمأرب عام ٥٤٢م ثم اكتفى معد يكر ب بملوكيته لسروحيمير وشرق اليمن بينما استتب الحكم لأبرهة في القسم المحتل من اليمن (إلى عام ٥٧٠م).

[٤١] - استجاش امرؤ القيس بن حجر الكندي مرثد بن ذي يزن - شقيق معد يكر ب - وفي ذلك قال امرؤ القيس:

وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربناً وإذ نحن لاندعو عبيداً لقرمل
فأمده مرثد بقوة من الحميريين حاربوا معه في نجد وضد المنذر ملك الحيرة كما سيأتي في
الفصل الخامس.

[٤٢] - أورد الهمداني في الإكليل أبناء مقتل علقمة في عمران بالبون على يد زيد بن ذي مر ب الهمداني (جـ ١٠/ الإكليل).

[٤٣] - كانت ملوكية أبرهة (عام ٥٤١ - ٥٧٠م) وفي ذات الفترة ومنذ بدايتها كان معد يكر ب ذو يزن وجدان ملكاً مستقلاً في شرق اليمن وسروحيمير ومعارضاً لأبرهة والأحباش في القسم المحتل من اليمن، فإذا كان معد يكر ب هو نفسه (أبو مرة) فإن الرواية المذكورة هنا لا تستقيم وقد تكون ريحانة زوجة سابقة لمعد يكر ب قبل انسحابه إلى شرق اليمن وتمليكه فيها.

[٤٤] - القليس بمعنى الكنيسة وهي كلمة يونانية الأصل بمعنى المجمع (أكليزيا)، وكان قليس صنعاء وقليس ظفار وقليس عبدان كنائس باليمن منذ دخول المسيحية في عهد تبع ملشان وعبد كلال بالقرن الرابع الميلادي، وقد جاء ذكر كنيسة ظفار بلفظ «قليس ظفار» في النقش اليزني رقم ١٠٢٨ جام. وقال الشاعر الرداعي في أرجوزته بكتاب صفة جزيرة العرب للهمداني يذكر وجود قليس صنعاء قبل أبرهة منذ عهد تبع (ملشان)، قال عن صنعاء:

«أرض بها غمدان والقليسُ بناهما ذو النجدة الرئيسُ

تبعُ ملك، وتنت بلقيسُ»

قيصر في الصُّناع والرخام والفسيفساء^[٤٥] وقال لست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب. وتحدث العرب بذلك، فغضب رجل من النِّسَاء^[٤٦] أحد بني فُقَيْمٍ ثم أحد بني مالك وخرج حتى أتى القليس فقعد فيها^[٤٧] ولحق بأرضه، وبلغ أبرهة وقيل له الرجل من البيت الذي يحج إليه العرب، فحلف ليسيرن إليه يهدمه، ثم بعث في الناس يدعوهم إلى حج القليس، فضرب الداعي إلى بلاد كنانة بسهم فقتل. وأجمع أبرهة على غزو البيت وهدمه، فخرج سائراً بالحبشة ومعه الفيل، فلقيه ذو نفر الحميري وقتله فهزمه وأسره واستبقاه دليلاً في أرض العرب^[٤٨]، قال ابن إسحاق: ولما مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعْتَبٍ في رجال ثقيف فأتوه بالطاعة وبعثوا معه أبا رغال دليلاً فأنزله المغمس بين الطائف ومكة فهلك هنالك، ورجمت العرب قبره من بعد ذلك. قال جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

ثم بعث أبرهة خيلاً من الحبشة فانتهوا إلى مكة واستاقوا أموال أهلها وفيها مائتا بعير لعبد المطلب، وهو يومئذ سيد قريش، فهتموا بقتاله ثم علموا أن لا طاقة لهم به فأقصروا، وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة يعلمهم بمقصده من هدم البيت ويؤذنهم بالحرب إن اعترضوا دون ذلك، وأخبر عبد المطلب بذلك عن أبرهة، فقال له: والله ما نريد حربه وهذا بيت الله فإن يمنعه فهو بيته وإن يخلى عنه فما لنا نحن من دافع، ثم انطلق به إلى أبرهة، ومرَّ بذي نفر وهو أسير، فبعث معه

= ونرى أن أبرهة قام بتجديد وتقويم القليس لأن القليس كان موجوداً قبله.
[٤٥] - قال السهيلي (كان أبرهة ينقل إلى القليس الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس بمأرب).

[٤٦] - النِّسَاء: الذين كانوا ينسئون الشهور في الجاهلية، فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل، ويؤخرون ذلك الشهر. قال الهمداني في القصيدة الدامغة:

ونحن الناسئون على معد شهور الحل نجعلها حراما

[٤٧] - قال ابن هشام: يعني أحدث فيها.

[٤٨] - قال ابن هشام «كان ذو نفر من أشرف أهل اليمن وملوكهم، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام، ثم قاتل أبرهة فانهزم ذو نفر وأصحابه» [ص ٤٧ ج ١] وكان ذو نفر من أقبال صعدة وما يليها، ثم سار أبرهة فلما بلغ أرض خثعم في عسير بأعالي اليمن تصدى له نُفَيْل بن حبيب الخثعمي فحاربه وانهزم نفيل ووقع أسيراً فأخذه أبرهة دليلاً إلى مكة. وقال نفيل بعد حادثة الفيل:

وكل الناس تسأل عن نُفَيْل كأن عليّ للأحباش دينا

إلى سائس الفيل وكان صديقاً لذي نفر، فاستأذن له على أبرهة، فلما رآه أجله ونزل عن سريره، فجلس معه على بساطه، وسأله عبد المطلب في الإبل، فقال له أبرهة: هلا سألت في البيت الذي هو دينك ودين آبائك وتركت البعير، فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل ولليبت رب سيمعه، فردّ عليه إبله.

قال الطبري، وكان فيما زعموا قد ذهب مع عبد المطلب عمرو بن لعاية بن عدي بن الرمل سيد كنانة وخويلد بن وائلة سيد هذيل وعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ويرجع عن هدم البيت، فأبى عليهم فانصرفوا، وجاء عبد المطلب وأمر قريشاً بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب للتحرز فيها، ثم قام عند الكعبة ممسكاً بحلقة البيت ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه، وعبد المطلب يشد ويقول:

لا هَمَّ أَنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَا مَنَعَ رَحَالِكَ
 لَا يَغْلِبُنْ صَلِيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ أَبْدَأُ مِحَالِكَ
 وَأَنْصُرَ عَلَى آلِ الصَّلِيْبِ وَعَابِدِيهِ، الْيَوْمَ أَلَّكَ

في أبيات معروفة.

ثم أرسل الله عليهم الطير الأبايل من البحر ترميهم بالحجارة، فلا تصيب أحداً منهم إلا هلك مكانه وأصابه في موضع الحجر من جسده كالجدري والحصبة فهلك، وأصيب أبرهة في جسده بمثل ذلك وسقطت أعضاؤه عضواً عضواً، وبعثوا بالفيل ليقدم على مكة فريض ولم يتحرك فنجا، وأقدم فيل آخر فحصب، وبعث الله سيلاً مجحفاً فذهب بهم وألقاهم في البحر. ورجع أبرهة إلى صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر، فانصدع صدره عن قلبه ومات^[٤٩]. ولما هلك أبرهة ملك مكانه ابنه يكسوم وبه كان يكنى^[٥٠] (واستفحل ملكه وأذل حمير وقبائل اليمن ووطئتهم الحبشة فقتلوا رجالهم ونكحوا نساءهم واستخدموا أبناءهم)، ثم هلك يكسوم بن أبرهة^(٥٠) فملك مكانه أخوه مسروق وساءت سيرته وكثر عسف الحبشة باليمن، فخرج ابن ذي يزن واستجاش عليهم بكسرى، وقدم اليمن وقتل مسروقاً وذهب أمر الحبشة^[٥١] بعد أن توارث ملك اليمن منهم أربعة في

(٥٠)

[٤٩] - كان هلاك أبرهة في عام الفيل الذي فيه ولد النبي محمد ﷺ وهو عام ٥٧٠ ميلادية.

[٥٠] - كان أكسوم بن أبرهة ملكاً قبلاً في عهد أبيه ولم يملك بعده، فما نقله ابن خلدون في هذه الفقرة زيادة غير صحيحة.

[٥١] - الذي ملك بعد أبرهة هو مسروق بن أبرهة حتى قضى سيف بن ذي يزن عليه وعلى الأحباش عام ٥٧٢ ميلادية.

اثنتين وسبعين سنة^[٥٢] أولهم أرباط ثم أبرهة ثم ابنه يكسوم ثم أخوه مسروق بن أبرهة^(٥٢).

قصة سيف بن ذي يزن

لما طال البلاء من الحبشة على أهل اليمن، خرج سيف بن ذي يزن الحميري من الأدواء بقية ذلك السلف وعقب أولئك الملوك وديال الدولة الموفض للخمود^[٥٣]، وقد كان أبرهة انتزع منه زوجته ربحانة بعد أن ولدت منه ابنه معد يكرب كما مر^[٥٤]، ونسبه فيما قال ابن الكلبي: سيف بن ذي يزن بن عامر بن أسلم بن زيد بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور، هكذا نسبه ابن الكلبي، ومالك بن زيد هو أبو الأدواء^[٥٥]، فخرج سيف وقدم على قيصر ملك الروم^[٥٦] وشكا إليه أمر الحبشة وطلب أن يخرجهم ويبعث على اليمن من شاء من الروم، فلم يسعفه عن الحبشة، وقال الحبشة على دين النصارى^(٥٦) فرجع إلى كسرى، وقدم الحيرة على النعمان بن المنذر عامل فارس على الحيرة وما يليها من أرض العرب، فشكا إليه واستمهله النعمان إلى حين وفادته على كسرى، وأوفد معه، وسأله النصر على الحبشة وأن يكون ملك اليمن له^[٥٧] فقال: بعدت أرضك عن أرضنا أو هي قليلة الخير إنما هي شاء وبغير ولا حاجة لنا بذلك، ثم كساه وأجازة^(٥٧) فنثر دنائير الإجازة وأذهبها الناس يوهم الغنى عنها بما في أرضه، فأنكر

[٥٢] - لم يحكموا سوى القسم المحتل من اليمن منذ الغزو عام ٥٣٣م إلى عام ٥٧٢م وذلك نحو أربعين سنة فقط. وكانت الدولة الحميرية مستمرة خلال ذلك في سروحيم وشرق اليمن بزعامه معد يكرب بن سميفع ذي يزن.

[٥٣] - كان أبوه معد يكرب بن سميفع بن ذي يزن ملكاً في سروحيم والقسم الشرقي من اليمن وعاصمته مدينة عبدان حيث كان القصر (يزن) وكان مسير سيف بتكليف ومهمة من أبيه كما في الإكليل.

[٥٤] - خبر ربحانة بعيد عن الصحة، وقد سبق القول إنها كانت زوجة أبي مرة بن ذي يزن ويتناقض ذلك ما هنا.

[٥٥] - ينطبق على هذا النسب قول ابن خلدون «ليس يتحقق في هذه الأنساب أنها للصلب فإن الآماد طويلة والأحقاب بعيدة، وقد يكون بين اثنين منهما عدد من الآباء وقد يكون ملصقاً به» [أه].

[٥٦] - الملك الروماني جوستينيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) وكانت المصالح الرومانية البحرية سبب الغزو الحبشي وإنما تعهد سيف بحمايتها.

[٥٧] - في هذه المقولات زيادة من القصاص. والصواب أن الدعم المطلوب من كسرى =

عليه كسرى ذلك، فقال جبال أرضي ذهب وفضة، وإنما جئت لتمنعني من الظلم^(٥٧)، فرغب كسرى في ذلك، وأمهله للنظر في أمره، وشاور أهل دولته، فقالوا في سجونك رجال حبستهم للقتل أبعثهم معه فإن هلكوا كان الذي أردت بهم وإن ملكوا كان ملكاً ازددته إلى ملكك، وأحصوا ثمانمائة، وقدم عليهم أفضلهم وأعظمهم بيتاً وأكبرهم نسباً وكان وهرز الديلمي. وعند المسعودي وهشام بن محمد والسهيلي: أن كسرى وعده بالنصر، ولم ينصره، وشغل بحرب الروم، وهلك سيف بن ذي يزن عنده، وكبر ابنه، ابن ريحانة، وهو معد يكرب، وعزفته أمه بأبيه، فخرج ووفد على كسرى يستنجزه في النصر التي وعد بها أباه^(٥٧)، وقال له: أنا ابن الشيخ اليمني الذي وعدته، فوهبه الدنانير ونثرها إلى آخر القصة، وقيل إن الذي وفد على كسرى وأباد الحبشة هو سيف بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن ذي يزن.

قالوا، ولما كُتبت الفرس مع وهرز كانوا ثمانمائة، وقال ابن قتيبة: كانوا سبعة آلاف وخمسمائة^[٥٨] وقال ابن حزم: كان وهرز من عقب جاماسب عم أنوشروان، فأمره على أصحابه، وركبوا البحر ثماني سفائن فغرقت منها سفينتان وخلصت ست إلى ساحل عدن^(٥٨). فلما نزلوا بأرض اليمن، قال وهرز لسيف: ما عندك، قال: ما شئت من قوس عربي، ورجلي مع رجلك، حتى نظفر أو نموت، قال: أنصفت. وجمع ابن ذي يزن من استطاع من قومه^[٥٩]. وسار إليه مسروق بن

= أنوشروان كان تحسباً وردعاً لأي تدخل روماني، فاعتذر كسرى بأنه في حرب مع الروم كما سيأتي ثم سار إليه سيف بعد موت أبيه معد يكرب (عام ٥٧١م) فأمدّه بمن كانوا في السجون.

[٥٨] - وقع تصحيف فيما نقله ابن قتيبة، والثابت أنهم كانوا ثمانمائة أو سبعمائة وخمسين، فحملتهم ثمان سفن غرقت منها سفينتان ووصلت ست سفن عليها ستمائة من الفرس فقط بمعية سيف بن ذي يزن، وكان وصولهم إلى ساحل وميناء قنا (بئر علي حالياً بساحل محافظة شبوة) وكانت ميناء القسم المستقل من اليمن بزعامه ذي يزن.

[٥٩] - كان في استقبالهم - كما في مروج الذهب وتاريخ الطبري ونشوان - فرسان ورجال حمير في عدد كبير، وهم فرسان ورجال دولة ذي يزن (القسم المستقل من اليمن) وكانت عاصمتها مدينة عبدان حيث القصر يزن (في وادي عبدان بمحافظة شبوة حالياً) فحشد سيف بن ذي يزن فرسان ورجال دولته في القسم المستقل وكتب إلى فرسان وقبائل القسم المحتل فأقبلوا من كل حدب وصوب، فبلغ جيشه زهاء مائة ألف انطلق على رأسهم إلى صنعاء، وكان من أعلامهم وأقيالهم - كما في الإكليل - القليل حجر بن زرعة الخنفري الحميري وفارس اليمن عمرو بن يزيد العوفي الخولاني وفرسان حمير وبني شهاب وخولان بن عمرو وغيرهم، فتوجه سيف بن ذي يزن على رأسهم إلى صنعاء.

أبرهة في مائة ألف من الحبشة وأوباش اليمن^[٦٠]، فتوافقوا للحرب^[٦١] وأمر وهرز ابنه أن يناوشهم القتال، فقتلوه، وأحفظه ذلك، وقال أروني ملكهم، فأروه أياه على الفيل، عليه تاجه وبين عينيه ياقوتة حمراء، ثم نزل عن الفيل إلى الفرس ثم إلى البغلة، فقال وهرز: ركب بنت الحمار، ذل وذل ملكه، ثم رماه بسهم فصك الياقوتة بين عينيه وتغلغل في دماغه وتنكس عن دابته وداروا به، فحمل القوم عليهم وانهزم الحبشة في كل وجه^(٦١).

«وأقبل وهرز إلى صنعاء ولما أتى بابها قال لا تدخل رايتي منكوسة فهدم الباب ودخل ناصباً رايته، فملك اليمن ونفى عنها الحبشة، وكتب بذلك إلى كسرى وبعث إليه بالأموال، فكتب إليه أن يُملك سيف بن ذي يزن على اليمن على فريضة يؤديها كل عام، ففعل، وانصرف وهرز إلى كسرى، وملك سيف اليمن وكان أبوه من ملوكها، وخلف وهرز نائباً على اليمن في جماعة من الفرس ضمهم إليه، وجعله لنظر ابن ذي يزن وأنزله بصنعاء^[٦٢]. وانفرد سيف بن ذي يزن بسلطانه ونزل قصر المُلْك وهو رأس غمدان^[٦٣]، يقال إن الضحاك بناه على اسم الزهرة

[٦٠] - كان مع مسروق بن أبرهة مالك بن يزيد الصديقي الحضرمي ورجاله وغيرهم، فسار مسروق من صنعاء في مائة ألف مقاتل.

[٦١] - توافقوا للحرب في منطقة غيمان - جنوب صنعاء - وكان من فرسان حمير عمرو بن الصباح الحميري، قال الهمداني في الإكليل: «وفيه قال بعض بني عمه في حرب الحبشة: نادى فوارسنا عمرو الصباح فتى يرمي المنية لاعتنها بعريده نادى نعامة يا عمرو الفتى فمضى بين القيول وأبناء الصناديد»

والقبيل حجر بن زرعة الخنفري وكان شاعراً وهو القائل في أبيات بالإكليل:

لنا فخر غيمان في مشهد بدا الفخر فيه لمن يفتخر

وكان مقتل مسروق بن أبرهة على يد سيف بن ذي يزن وعمرو بن يزيد العوفي الخولاني الذي قتل مالك بن يزيد الصديقي وله أبيات في الإكليل. وأسفرت حرب يوم غيمان عما تذكره كتب التاريخ أنه «انكشفت الحبشة ومن معهم وقُتل منهم نحو ثلاثين ألفاً، ولحق اليمنيون بمن هرب من الأحباش والأكسوم فاتخذوهم خدماً وعبداً» (أه).

[٦٢] - أصل هذا الخبر يتصل بقدوم وهرز لمناصرة معد يكرب بن سيف بن ذي يزن عام ٥٩٣م كما سيأتي وليس سيف بن ذي يزن.

[٦٣] - توجه سيف بن ذي يزن من موقعة غيمان التي انتصر فيها إلى صنعاء ونزل قصر غمدان بصنعاء، وذلك لستين من مولد النبي محمد ﷺ أي عام ٥٧٢م حيث كما ذكر ابن كثير «أته وفود العرب وشعراؤها تهنته، فقدموا عليه صنعاء فإذا هو في رأس غمدان الذي ذكره أمية بن أبي الصلت قائلاً لسيف بن ذي يزن:

فاشرب هنيئاً عليك التاج مُرتفعاً في رأس غمدان داراً منك محلالاً»

[ص ٣٢٩ ج ٢].

وهو أحد البيوت السبعة الموضوعة على أسماء الكواكب وروحانياتها، حُرب في خلافة عثمان، قاله المسعودي. وقال السهيلي: كانت صنعاء تُسمى أزال، وصنعاء اسم بانيها صنعاء بن أزال بن عمير بن عابر بن شالخ.

ولما استقل ابن ذي يزن بملك اليمن وفدت العرب لتهنئته بالملك، ولما أرجع من سلطان قومه وأباد من عدوهم، وكان فيمن وفد عليه مشيخة قريش وعظماء العرب لعهدهم من أبناء إسماعيل وأهل بيتهم المنصوب لحجهم، فوفدوا في عشرة من رؤسائهم فيهم عبد المطلب^[٦٤]، فأعظمهم سيف، وأجلهم، وأوجب لهم حقهم، ووفر من ذلك قسم عبد المطلب من بينهم، وسأله عن بنيه حتى ذكر له شأن النبي محمد ﷺ وكفله إياه بعد موت عبد الله أبيه عاشر ولد عبد المطلب، فأوصاه به وحضه على الإبلاغ في القيام عليه والتحفظ به من اليهود وغيرهم، وأسر إليه البشري بنبوءته وظهور قريش قومه على جميع العرب، وأسنى جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمتها، لبعدها غايةها في الهمة وعلو نظرها في كرامة الوفد، وبقاء آثار الترف في الصبابة شاهد لشرافة الحال في الأول، ذكر صاحب الأعلام وغيره أنه أجاز سائر الوفد بمائة من الإبل وعشرة أعبد وعشرة وصائف وعشرة أرتال من الورق والذهب وكرش ملىء من العنبر، وأضعاف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب^[٦٥].

[٦٦] معد يكرب بن سيف بن ذي يزن . . . ونهاية عصور التبابعة [٦٦]

قال ابن إسحاق: ولما انصرف وهرز إلى كسرى، غزا سيف على الحبشة

[٦٤] - كان فيهم عبد المطلب بن هاشم وأميه بن عبد شمس وخويلد بن أسد وعبد الله بن جدعان، وقال عبد المطلب في كلمته: «فأنت - أبيت اللعن - ملك العرب وربيعها الذي تخلص به البلاد، ورأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد. الخ» ثم سأله سيف: ومن أنت أيها المتكلم؟ فقال: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فقال سيف: ابن اختنا؟ قال: نعم، فقال: أدن مني، وأجلسه بالقرب منه (اه) وكانت أم عبد مناف يمانية وهي «حبي بنت حليل الخزاعي. وأم عبد المطلب يمانية وهي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد الخزرجي، لذلك قال سيف: ابن اختنا.

[٦٥] - وطلب سيف من عبد المطلب أن يعود إليه بعد عام بأخبار محمد ﷺ فلم يعد عبد المطلب لأنه مات، أما سيف فحكم عشرين سنة إلى ٥٩٢ م.

[٦٦] - وقع خلط في الروايات بين سيف بن ذي يزن وبين معد يكرب بن سيف بن ذي يزن الذي حكم بعد سيف بالإشتراك مع أخيه شرحبيل بن ذي يزن. وقد ذكر الهمداني صاحب الإكليل عن العلماء الأوائل أنه «مَلِك سيف بن ذي يزن عشرين سنة ثم ملك أخوه =

وجعل يقتل ويبقر بطون النساء حتى إذا لم يبق إلا القليل جعلهم خولاً، واتخذ منهم طوابير يسعون بين يديه بالحراب، وعظم خوفهم منه، فخرج يوماً وهم يسعون بين يديه، فلما توسطهم وقد انفردوا به عن الناس رموه بالحراب فقتلوه، ووثب رجل منهم على المَلِك، وقيل ركب خليفة وهرز فيمن معه من المسلحة واستلحم الحبشة^[٦٧]، وبلغ ذلك كسرى فبعث وهرز في أربعة آلاف من الفرس، وأمره بقتل كل أسود أو منتسب إلى أسود ولو جعداً قططاً، ففعل وقتل الحبشة حيث كانوا، وكتب بذلك إلى كسرى، فأمره على اليمن، فكان يجيبه له حتى هلك، واستضافت حشابه ملك الحميريين بعد مهلك ابن ذي يزن وأهل بيته إلى الفرس، وورثوا ملك العرب وسلطان حمير باليمن^[٦٨] بعد أن كانوا يزاخمونهم بالمناكب في عراقهم ويجوسونهم بالغزو خلال ديارهم، ولم يبق للعرب في الملك رسم ولا طلل، إلا أقبالاً من حمير وقحطان رؤساء في أحيائهم بالبدو لا تعرف لهم طاعة ولا ينفذ لهم في غير ذاتهم أمر^(٦٨) ألا ما كان لكهلان إخوتهم بأرض العرب من ملك آل المنذر من لخم على الحيرة والعراق بتولية فارس، وملك آل جفنة من غسان على الشام بتولية آل قيصر كما يأتي في أخبارهم.

= شرحبيل بن ذي يزن ثلاث سنين وهو آخر الملوك» [ص ٥٤١ شرح الدامغة] وكانت ملوكية شرحبيل كمساند لمعد يكر ب بن سيف بن ذي يزن آخر الملوك كما في مروج الذهب، أما سيف بن ذي يزن فقد بدأ عهده غداة وفاة أبيه معد يكر ب بن سميغ في القسم الذي كان يحكمه من اليمن (عام ٥٧١م) ثم قضى على الأحباش في يوم غيمان فشملت ملوكيته كل اليمن وذلك - كما ذكر ابن كثير - «بعد مولد رسول الله ﷺ بستين» [ص ٣٢٩ ج ٢] وفيه قال الشاعر علقمة بن يزيد الخولاني قصيدة أوردتها الهمداني في صفة جزيرة العرب قال فيها مشيداً بسيف بن ذي يزن:

« . . تكامل فيه منصب لم يلت به ومُلِكُ نماء طارف وتليدُ
ومدّ إليه يوم غيمان إذ دعا من أبناء عمرو أشبيلُ وأسودُ»

فلما مات سيف بن ذي يزن حوالي عام ٥٩٠ ميلادية تم تملك ابنه معد يكر ب مع أخيه شرحبيل بن ذي يزن.

[٦٧] - كان معد يكر ب قد واجه معارضة داخلية من عدد من الأقبال لحكمه فاستمد قوة من كسرى أنوشروان بمعية وهرز وارتبط بنوع من الولاء لكسرى، فاستتب له الحكم ثم اتخذ حرساً حرابه من الحبشة فقتلوه حيث كما ذكر المسعودي في مروج الذهب «ملك معد يكر ب بن سيف بن ذي يزن أربع سنين، وقتلته حرابه الحبشة، وهو آخر ملوك اليمن من قحطان» [ص ٨٥ ج ٢. مروج الذهب] وكان عهد معد يكر ب أربع سنين (٥٩٠ - ٥٩٣م).
[٦٨] - كان حكم الفرس يقتصر على بعض المدن والمناطق، بينما أغلب اليمن تحت حكم أقبالها ورؤسائها المستقلين كالمملك.

وقال الطبري: لما كانت اليمن لكسرى بعث إلى سرنديب من الهند قائداً من قواده ركب إليها البحر في جند كثيف فقتل ملكها واستولى عليها وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة وجواهر، وكان وهرز يبعث العير إلى كسرى بالأموال والطيوب فتمرّ على طريق البحرين تارة وعلى أرض الحجاز أخرى، وعدا بنو تميم في بعض الأيام على عيره بطريق البحرين، فكتب إلى عامله بالانتقام منهم، فقتل منهم خلقاً . . . وعدا بنو كنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرّت بهم وكانت في جوار رجل من أشراف العرب من قيس، فكانت حرب الفجار بين قيس وكنانة بسبب ذلك وشهدها النبي ﷺ وكان ينبل فيها على أعمامه، أي يجمع لهم النبال.

قال الطبري: ولما هلك وهرز أمر كسرى من بعده على اليمن ابن المرزبان ثم هلك فأمر حافده خرخسرو بن التيجان بن المرزبان ثم سخط عليه وحُمل إليه مقيداً ثم أجاره ابن كسرى وخلي سبيله فعزله كسرى، وولى باذان فلم يزل إلى أن كانت البعثة وأسلم باذان وفشا الإسلام باليمن كما نذكره عند ذكر الهجرة وأخبار الإسلام باليمن [٦٩].

هذا آخر الخبر عن ملوك التبابعة باليمن، (ومن ملك بعدهم من الفرس)، وكان عدد ملوكهم فيما قال المسعودي سبعة وثلاثين ملكاً [٧٠] في

[٦٩] - بدأ الحكم الفارسي باليمن بعد مقتل الملك معد يكرب بن سفيان بن معد يكرب بن سميفع ذي يزن ح/ عام ٥٩٣ ميلادية كما تقدم، وكانت البعثة النبوية عام ٦١٠م والهجرة النبوية عام ٦٢٠م وشمل الإسلام اليمن عام ٦٢٩م، وكان حكم الفرس وبازان في صنعاء وبعض مناطق اليمن فقط بدليل كتاب النبي ﷺ إلى ملوك حمير ومنهم زرعة بن سيف بن ذي يزن وملوكية الأشعث الكندي وغيرهم.

[٧٠] - الذين ذكرهم المسعودي هم مشاهير الملوك التبابعة فقط، والمشهور في عدد التبابعة أنهم سبعون كما في قول نشوان الحميري:

تبابع الأملاك من حمير عدتهم سبعون لا تقصر

وقال النعمان بن بشير الأنصاري:

لنا من بني قحطان سبعون تُبَعاً دانّت لهم بالخروج منها الأعاجم

وقال ربيع بن ضبع الفزاري الجاهلي:

تبابعة سبعون من بعد تُبَع تولوا جميعاً أزهرأ بعد ازدهر

وذلك منذ تُبَع الحارث الرائش، وهم الذين ملكوا كل اليمن بما فيها الشحر وحضرموت، أما الذين لم يحكموا كل اليمن فهم مئات الملوك ولا يدخلون في مصطلح التبابعة كما لا يدخل في ذلك ملوك اليمن قبل عصور التبابعة.

مدة ثلاثة آلاف ومائتي سنة إلا عشرًا^[٧١] وقيل أقل من ذلك^(٧١).

وكانوا - (أي التبابعة) - ينزلون مدينة ظفار^[٧٢]، قال السهيلي: ذمار وظفار اسمان لمدينة واحدة^[٧٣]، يقال بناها مالك بن أبرهة وهو الأملوك ويسمى مالك وهو ابن ذي منار^[٧٤]، وكان على بابها مكتوب بالقلم الأول في حجر أسود: ^[٧٥]

يوم شيدت ظفار فليل لمن أن
ثم سيلت من بعد ذلك قالت
ثم سيلت من بعد ذلك قالت
ثم سيلت من بعد ذلك قالت
وقليلاً ما يلبث القوم فيها
من أسود يلقيهم البحر فيها

ت، فقالت لحمير الأخيار
إن ملكي احابش أشرار
إن ملكي لفارس الأحرار
إن ملكي لقريش التجار
إن ملكي لحمير وسحار
غير تشييدها لحامي البوار
تشعل النار في أعالي الجدار^(٧٥)

[٧١] - قال الهمداني في شرح الدامغة «كان مدة ما ملكوا من الرائش إلى ابن ذي يزن ألفي سنة وإحدى وثمانين سنة سوى ما ملكوا من قبل الرائش» [انتهى] وهو تحديد قريب من الدقة للعصور منذ عهد الحارث الرائش عام ١٤٧٠ قبل الميلاد وعصور تبابعة سبأ إلى عصور دولة تبابعة حمير وعهد ابن ذي يزن آخر ملوكها عام ٥٩٣ ميلادية.

[٧٢] - ذكر ابن خلدون في نص سابق عن التبابعة أنهم كانوا ينزلون مدينة مارب، وقال في موضع آخر كانت صنعاء دار التبابعة، وهنا خص ابن خلدون مدينة ظفار بالذكر، وليس هناك تناقض، فقد كانت مدينة مارب وقصرها سلحين العاصمة الرئيسية ومقر ملوك سبأ التبابعة الحميريين وكانت مدينة ظفار وقصرها ريدان العاصمة الثانية، واتخذها العديد من ملوك سبأ التبابعة الحميريين مقراً له وكذلك مدينة صنعاء وقصر غمدان في عصور دولة تبابعة سبأ (١٤٧٠ ق.م - ٥٤٠ ق.م). أما في عصور الدولة الحميرية وتبابعة حمير فكانت مدينة ظفار ومدينة صنعاء مقر الملوك التبابعة حتى عهد سيف بن ذي يزن، وقال ربيع بن ضبع الفزاري يذكر المدن الثلاث:

ومارب إذ كانت وأملاك مارب توافي جباة الصين بالخرج مارباً
وقل في ظفار يوم كانت ملوكها يدينون قسراً شرقها والمغارياً
وغمدان إذ غمدان لا قصر مثله زهاء وتشبيداً يحاذي الكواكباً

[٧٣] - مدينة ظفار غير مدينة ذمار، وموقع ظفار في مديرية السدة بمحافظة أب حاليًا.

[٧٤] - سلف قول ابن خلدون أن الذي بنى ظفار الملك شمر الأملوك وكان في زمن موسى أو قبل موسى بقليل (اه) وهو شمر ذو الجناح بن الحارث الرائش (١٤٣٢ - ١٤١٨ ق.م). وذو المنار هو ابن الرائش الثاني ذي رياش وكان عهده (١١٧٩ - ١١٤١ ق.م).

[٧٥] - ربما اجتهد البعض في وضع هذا الشعر لعدم مقدرته على قراءة ما كان منقوشاً في الحجر، وقد انتهت عصور ظفار بالغزو الحبشي عام ٥٣٣ م.

ولم تنزل مدينة ظفار هذه منزلاً للملوك وكذلك في الإسلام صدر الدولتين^[٧٦]، وكانت اليمن من أرفع الولايات عندهم، بما كانت منازل العرب العاربة، ودار الملوك العظماء من التبابعة والأقيال والعباهلة... انقضى الكلام في أخبار حمير وملوكهم باليمن^[٧٧].

[٧٦] - التي كانت في الإسلام مدينة ذمار وما تزال عامرة حتى اليوم فوق التباس، أما ظفار فقد أخرجها أرباط ولم تعمر بعد ذلك.

[٧٧] - انتهى هذا الفصل في ص ٦٦ ج ٢ من تاريخ ابن خلدون - طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت.

الخبر عن شعوب حمير وقضاة بن مالك بن حمير (١)

لما أن الملك الأقدم للعرب كان في نسب سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنه تشعب بطون حمير بن سبأ وكهلان بن سبأ، وانفرد بنو حمير بالملك وكان منهم التبابعة أهل الدولة المشهورة وغيرهم، فلنبداً بذكر حمير أولاً من القحطانية ونذكر بعدهم قضاة لانتسابهم في المشهور إلى حمير ثم نتبعهم بذكر كهلان أخوان حمير.

الخبر عن حمير من القحطانية ويطونها وتفرع شعوبها

قد تقدم لنا ذكر الشعوب من حمير الذين كان لهم الملك قبل التبابعة فلا حاجة لنا إلى إعادة ذكرهم [٢]، وتقدم لنا أن حمير بن سبأ كان له من الولد تسعة وهم الهميسع ومالك وزيد وعريب ووائل ومشروح ومعد يكر ب وأوس ومرة [٣]، فبنو مرة دخلوا في حضرموت، وكان من حمير أبين بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير واليه تنسب أبين عدن، ومنهم بنو الأملوك وبنو عبد شمس وهما ابنا وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير، وعريب وأبين أخوان، ومن بني عبد شمس بنو شرعب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس، وقد تقدم قول من ذهب إلى أن جشم وعبد شمس أخوان وهما ابنا وائل،

[١] - يبدأ هذا الفصل في ص ٢٤٢ ج ٢ من تاريخ ابن خلدون وقد جعلنا عنوانه «الخبر عن شعوب حمير وقضاة بن مالك بن حمير كرابط لمواضيع الفصل الخاصة بتاريخ اليمن، وستفرع إلى الكثير من معارف التاريخ.

[٢] - وهم ملوك عصور دولة اليمن السبائية الأقدم ومنهم عاد الثانية كما تقدم بالتفصيل في الفصل الثاني.

[٣] - لم يتم التمييز هنا بين أبناء حمير الأكبر بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأبناء حمير الأوسط بن سبأ الأوسط عبد شمس الذين منهم وائل بن حمير ومالك بن حمير كما تقدم.

والصحيح ما ذكرناه هنا، فلنرجع، وبنو خيران وشعبان وهما ابنا عمرو أخي شرعب بن قيس، وزيد الجمهور بن سهل أخي خيران وشعبان، ورابعهم حسان القليل بن عمرو، وقد مرّ ذكره، ومن زيد الجمهور ذو رعين واسمه يريم بن زيد بن سهل، وإليه ينسب عبد كلال الذي تقدم ذكره في ملوك التبابعة، والحارث وعريب ابنا عبد كلال بن عريب بن يشرح بن مدآن بن ذي رعين وهما اللذان كتب لهما النبي ﷺ، ومنهم كعب بن زيد الجمهور ويلقب كعب الظلم، وأبناء سبأ الأصغر بن كعب، وإليه ينتهي نسب الملوك التبابعة^[٤]، ومن زيد الجمهور بنو حضور بن عدي بن مالك بن زيد، وقد مرّ ذكرهم، وتقول اليمن إن منهم كان شعيب بن ذي مهدم النبي الذي قتله قومه فعزاهم بختنصر فقتلهم^[٥]، وقيل بل هم

[٤] - وهم ملوك سبأ التبابعة الحميريين، فأغلبهم من بني حمير الأصغر بن سبأ الأصغر ثم من بني الرائش الثاني باران ذي رياش بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر، وكان عهد الرائش (١٢٢٠ - ١١٨٠ ق.م) وقد سلف تحديد ابن خلدون وغيره من المؤرخين أنه كان لعهد النبي موسى وكذلك الملك ذي المنار وإفريقيس بن ذي منار بن الرائش (في القرن الثاني عشر قبل الميلاد) وصولاً إلى بلقيس معاصرة سليمان ثم ياسر بنعمر وشمر يرعش (في القرن التاسع ق.م). ووصولاً إلى أبي كرب أسعد ملك سبأ وابنيه حسان وشرحبيل (في القرن السابع ق.م) ثم عمرو - ذرا - امر - بن حسان وأخيه معد يكرب بن حسان آخر ملوك سبأ التبابعة.

[٥] - بختنصر هو «نبوخذ نصر ملك بابل ٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م). وقد ذكر الهمداني في الإكليل «أن بختنصر فتك بأقبال العرب في غزواته لأهل الرس - وجهات البحرين والحجاز - أيام حسان بن أبي كرب أسعد» [ج١٠ / الإكليل] والمقصود في عهد عمرو (ذرا - امر) بن حسان بن أسعد (٦٠٤ - ٥٩٣ ق.م). إلى عهد معد يكرب بن حسان آخر تبابعة سبأ (٥٨٩ - ٥٤٠ ق.م).

وقد ربطت كتب التاريخ العربية غزوات بختنصر بمقتل النبي حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس كما في الإكليل وغيره من المصادر، وقد جعله ابن خلدون هنا «شعيب بن ذي مهدم» وكذلك في الفصل الأول حيث قال «إن حضوراً كانت ديارهم بالرس، وتبعث إليهم نبي منهم اسمه شعيب بن ذي مهدم. . . ثم استدرك في موضع لاحق - كما تقدم - حيث قال «أهل الرس من بني الحرث بن قحطان وهم رهط حنظلة بن صفوان نبي الرس، والرس ما بين نجران وحضرموت واليمامة» [ص ٤٧ ج٢] وقال ابن خلدون في نبأ غزوات بختنصر «سلط الله بختنصر على العرب وعلى بني إسرائيل بما كان من بغيتهم وقتلهم الأنبياء، قتل أهل الوير باليمن نبينهم شعيب بن ذي مهدم، . . وسار بختنصر إلى العرب وقد نظم ما بين أيلة والأبلة خيلاً ورجلاً، وتسامع العرب بأقطار جزيرتهم واجتمعوا للقائه، فهزم عدنان ومعه بني إسماعيل أولاً، ثم استلحم الباقين، واستأصل أهل الرس وحضوراً وغيرهم، ورجع إلى بابل بالسبأيا» [ص ٢٣٧ ج٢] وفي تلك الغزوات أباد بختنصر قبيلة بني إسماعيل بأكملها وهلك =

حضور بن قحطان الذي اسمه في التوراة يقطان^[٦٠]. ومنهم أيضاً بنو ميثم وبنو حوالة ابني سعد بن عوف بن عدي بن مالك أخي ذي رعين، وعوف هذا أخو حضور، وأخوة احاطة وميثم بنو حوران بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك، فمن ميثم كعب الأحبار، وهو كعب بن ماتع بن هلسوع بن ذي هجرى بن ميثم^[٧]، ومن إحاطة رهط ذي الكلاع وهو السميغ بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن يزيد وهو ذو الكلاع الأكبر بن النعمان بن احاطة^[٨]، ومن عمرو بن سعد الخبائر والسحول بنو سواده بن عمرو بن الغوث بن سعد يحصب، ومن ذي أصبح أبرهة بن الصباح وكان من ملوك اليمن لعهد الإسلام وقد مرّ ذكره ونسبه^[٩]، ومنهم مالك بن أنس إمام دار الهجرة وكبير فقهاء السلف وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر وهو نافع بن عمرو بن الحرث بن عثمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح، وابناه يحيى ومحمد، وأعمامه أويس وأبو سهل والربيع وكانوا حلفاء لبني تيم من قريش، ومن زيد الجمهور مرثد بن علس بن ذي جدن بن الحرث بن زيد وهو الذي استجاشه أمرؤ القيس على بني أسد قاتلي

= عدنان ولم ينج سوى معد بن عدنان أخذه - فيما ذكر ابن خلدون - النبي أرميا وبرخيا وهو ابن اثنتي عشرة سنة فربى عندهما بحران فلما هلك بختنصر (عام ٥٦٢م) رجع معد بن عدنان إلى الحجاز فتزوج ابنة جرهم بن جلهة الجرهمي وولدت له نزار بن معد بن عدنان ومنه تناسلت العدنانية. ويتبين من ذلك أن عدنان ومعد بن عدنان كان في القرن السادس قبل الميلاد في عهد آخر ملوك سبأ التبابعة الحميريين وكذلك حنظلة بن صفوان نبي الرس.

[٦] - يعني (هدورام بن يقطان) في التوراة وهو أحد أبناء قحطان في الزمن الأقدم، وقد تقدم ما ذكره الهمداني أن النبي شعيب بن ذي مهدي من بني حضور ومسجده قائم إلى اليوم في رأس جبل حضور وهو جبل النبي شعيب فيكون الأرجح أنه من بني حضور بن عدي بن مالك بن زيد لأن الجبل سمي باسمهم كما سميت حراز باسم حراز بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك.

[٧] - هو كما ذكر الهمداني في شرح الدامغة - كعب بن مانع الحميري من ذي رعين، وكان من كبار التابعين.

[٨] - السميغ ذو الكلاع الحميري من كبار أقبال اليمن في الجاهلية وفجر الإسلام وقائد قبائل حمير في فتوح الشام.

[٩] - كان أبرهة بن الصباح الحميري من الملوك الأقبال في عصر الدولة الحميرية قبل الإسلام وكانت مدينة موكل عاصمة زعامته، وفيه قال الشاعر:

وعلى الذي كانت بموكل داره يهب القيان وكل أجرد جاح

وكان حفيده أبرهة بن الصباح بن أبرهة بن الصباح من الصحابة.

أبيه^[١٠]، ومن بني سبأ الأصغر الأوزاع وهم بنو مرثد بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبأ الأصغر، ومن إخوان هؤلاء الأوزاع بنو يعفر الذين استبدوا بملك اليمن كما يأتي عند ذكر ملوك اليمن في الدولة العباسية، وهو يعفر بن عبد الرحمن بن كريب بن عثمان بن الوضاح بن إبراهيم بن مانع بن عون بن تدرص بن عامر بن ذي مغار البطين بن ذي مرايش بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن شدد بن زرعة، وكان آخر ملوك بني يعفر هؤلاء باليمن أبو حسان أسعد بن أبي يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر، ملك أبو إبراهيم صنعاء وبنى قلعة كحلان باليمن، وورث ملكه بنوه من بعده إلى أن غلب عليهم الصليحيون من همدان بدعوة العبيديين من الشيعة كما نذكر في أخبارهم^[١١]، ومن زيد الجمهور ملوك التبابعة وملوك حمير من ولد صيفي بن سبأ الأصغر^[١٢] ومن زيد الجمهور ذو يزن بن عامر بن أسلم بن زيد، وقال ابن حزم إن عامر هو ذو يزن، قال ومن ولده سيف بن النعمان بن عفير بن زرعة بن عفير بن الحرث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن ذي يزن الذي استجاش كسرى على الحبشة وأدخل الفرس إلى اليمن. هذه بطون حمير وأنسائها^[١٣] وديارهم باليمن من صنعاء إلى ظفار إلى عدن، وأخبار دولهم قد تقدمت، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

أنساب حضرموت وجرهم

وتلحق بالكلام في أنساب حمير بن سبأ أنساب حضرموت وجرهم وما ذكره النسابون من شعوبهما فإنهم يذكرونهما مع حمير، لأن حضرموت وجرهم أخوة سبأ كما

[١٠] - تقدم قول ابن خلدون إن الذي استجاشه امرؤ القيس هو مرثد بن ذي يزن، وسيأتي في خبر امرئ القيس.

[١١] - حكمت دولة بني يعفر قسماً من اليمن بما في ذلك العاصمة صنعاء في الفترة (٢٢٥ - ٣٩٣ هجرية) وكان آخر ملوك بني يعفر أسعد بن عبد الله بن قحطان اليعفري (٣٨٧ - ٣٩٣ هجرية) ثم قامت الدولة الصليحية عام ٤٣٩ هجرية كما سيأتي في تاريخ ابن خلدون لعصرهم.

[١٢] - أورد ابن خلدون بعد هذه الفقرة أسماء بعض التبابعة عن ابن حزم، وقد تقدم إيراد ذلك في الفصل الخاص بالتبابعة.

[١٣] - إنما هذه بعض بطون حمير وأنسائها، وقد أورد الهمداني في الإكليل بطون حمير وأنسائها بالكامل.

وقع في التوراة وقد ذكرناه^[١٤] ولم يبق من ولد قحطان بعد سبأ معروف العقب غير هذين، فأما حضرموت: فقد تقدم ذكرهم في العرب البائدة ومن كان منهم من الملوك يومئذ، ونهنا هنالك أن منهم بقية في الأجيال المتأخرة اندرجوا في غيرهم فلذلك ذكرناهم في هذه الطبقة. . . قال ابن حزم: ويقال إن حضرموت هو ابن يقطن أخي قحطان والله أعلم^(١٤)، وكان فيهم رئاسة إلى الإسلام منهم وائل بن حجر له صحبه، وهو وائل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وائل بن النعمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف بن سعد بن عوف بن عدي بن شرحبيل بن الحرث بن مالك بن مرة بن حمير بن زيد بن لابي بن مالك بن قدامة بن أعجب بن مالك بن لابي بن قحطان، وابنه علقمة بن وائل، وسقط عنده بين حجر أبي وائل وسعيد بن مسروق أب اسمه سعد وهو ابن سعيد ثم قال ابن حزم ويذكر بنو خلدون الأشبيليون، فيقال إنهم من ولد الجبار بن علقمة بن وائل ومنهم علي المنذر بن محمد وابنه بقرمونة وإشبيلية اللذين قتلها إبراهيم بن حجاج اللخمي غيلة وهما ابنا عثمان أبي بكر بن خالد بن عثمان أبي بكر بن مخلوف المعروف بخلدون الداخل المشرق. وقال غيره في خلدون الأول إنه ابن عمرو بن خلدون، وقال ابن حزم في خلدون إنه ابن عثمان بن هانئ بن الخطاب بن كريب بن معد يكرب بن الحرث بن وائل بن حجر. وقال غيره خلدون بن مسلم بن عمر بن الخطاب بن هانئ بن كريب بن معد يكرب بن الحرث بن وائل بن حجر. قال ابن حزم: والصدف من بني حضرموت وهو الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر^[١٥]، قال ومن حضرموت العلاء بن الحضرمي الذي ولاه رسول الله ﷺ البحرين، وأبو بكر وعمر

[١٤] - يعني حضرموت بن قحطان وهو حضرموت بن يقطان في التوراة، ويقطان هو قحطان قال ابن خلدون وهو الصحيح.

[١٥] - قال الهمداني في الإكليل: «قال كثير من النسابة: الصدف من حمير من ولد مالك الصدف بن عمرو بن ديسع بن السبب بن شرحبيل بن الحرث بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر، وفيهم يقول أسعد تبع:

حمير قومي على علاتها حضرموت الصيد منها والصدف»

[ص ١٤ ج ١]

وقيل إن مالك الصدف شقيق كندة ونسبهما إلى كهلان بن سبأ، وقيل الصدف من بني حضرموت، فالظاهر من ذلك أنهم ثلاث طبقات، فالأزمان متباعدة وكذلك بني حضرموت الأكبر بن قحطان، وبني حضرموت بن سبأ الأصغر ومن هؤلاء بقية حضرموت في عصور حمير والإسلام.

من بعده إلى أن توفي سنة إحدى وعشرين للهجرة، وهو العلاء بن عبد الله بن عبده بن حماد بن مالك حليف بني أمية بن عبد شمس، وأخوه ميمون بن الحضرمي بن الصدف، فيقال عبد الله بن حماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عريب بن مالك بن الخزرج بن الصدف. قال: واخت العلاء الصعبة بنت الحضرمي أم طلحة بن عبد الله^[١٦] - انتهى - .

وأما جرهم: فقال ابن سعيد إنهم أمتان: أمة على عهد عاد، وأمة من ولد جرهم بن قحطان، ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن، ملك أخوه جرهم الحجاز، ثم ملك من بعده ابنه عبد ياليل بن جرهم، ثم ابنه جرشم بن عبد ياليل ثم ملك من بعده ابنه عبد المدان بن جرشم ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ثم ابنه عمرو بن مضاض ثم أخوه الحرث بن مضاض ثم ابنه عمرو بن الحرث ثم أخوه بشر بن الحرث ثم مضاض بن عمرو بن مضاض^[١٧]. قال وهذه الأمة الثانية (جرهم بن قحطان) هم الذين بعث إليهم إسماعيل وتزوج فيهم - انتهى - .

[١٦] - هو الصحابي الجليل العلاء بن عبد الله بن عماد بن مسلم بن أكبر بن زيد بن ربيعة بن مالك بن عريف بن مالك بن الخزرج بن أجد بن أبيود بن مالك بن الصدف [ص ٢٨ ج ١ / الإكليل].

[١٧] - هؤلاء بعض ملوك جرهم في أزمان متباعدة، وقد سبق الكلام عنهم في الفصل الأول.

الخبر عن قضاة وبطونها والإمام ببعض الملوك الذي كان فيها

«وأما قضاة»^[١٨] فقليل إنهم من حمير، قاله ابن إسحاق والكلبي وطائفة، وقد يُحتج لذلك بما رواه ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الجهني قال يا رسول الله ممن نحن، قال أنتم من قضاة بن مالك، وقال عمرو بن مرة وهو من الصحابة:

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاة ابن مالك ابن حمير
النسب المعروف غير المنكر

وقال زهير: قضاة وأختها مضر فجعلهما أخوين، وقال: إنهما من حمير بن معد بن عدنان، وقال ابن عبد البر وعليه الأكثرون. ويروى عن ابن عباس وابن عمرو وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وابن مصعب الزبيري وابن هشام، قال السهيلي والصحيح أن أم قضاة وهي عبكرة مات عنها مالك بن حمير وهي حامل بقضاة فتزوجها معد وولدت قضاة فتكنى به ونُسب إليه وهو قول الزبير. اهـ. كلام السهيلي^[١٩] وربما يشهد للقول بأنهم من عدنان أن بلادهم لا تتصل ببلاد اليمن وإنما هي بلاد الشام وبلاد بني عدنان، والنسب البعيد يحيل الظنون ولا يرجع فيه إلى يقين^[٢٠]، وفي كتب الحكماء الأقدمين من يونان مثل بطليموس وهروشيوس ذكر القضاعيين والخبر عن حروبهم، فلا يُعلم أهم أوائل قضاة هؤلاء وأسلافهم أو غيرهم^[١٨]. وأتينا بذكر أنساب قضاة تالية حمير ترجيحاً للقول بأنهم منهم، وعلى هذا فقليل هو قضاة بن مالك بن حمير، وقال

[١٨] - من قول ابن خلدون «وأما قضاة» إلى قوله «وفي كتب الحكماء الأقدمين من يونان . الخ» في ص ٢٤٢ ج ٢ من تاريخ ابن خلدون حيث أورد هذا الكلام بعد حديثه عن هلاك عدنان وبني إسماعيل في غزوة بختنصر ونجاة معد بن عدنان من الأسر وعودته إلى الحجاز بعد هلاك بختنصر حيث تزوج معانة بنت جرهم بن جلهم الجرهمي وولدت له نزار بن معد بن عدنان ومنه تناسلت العدنانية، فزعم البعض أن قضاة منهم. ثم أورد ابن خلدون الخبر عن قضاة وبطونها . الخ ص ٢٤٧ ج ٢ فاستلزم ربط ذلك بهذا.

[١٩] - هذا القول وأمثاله لا يصح لتباعد الزمن بين قضاة بن مالك بن حمير وبين معد بن عدنان، فقد كان زمن قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ عبد شمس كما ذكر ابن خلدون في عهد السكسك بن وائل بن حمير وذلك في القرن التاسع عشر قبل الميلاد كما تقدم في الفصل الثاني، بينما معد بن عدنان في أيام بختنصر ملك بابل في القرن السادس قبل الميلاد.

[٢٠] - كانت بلاد قضاة باليمن ثم انتقلت قبائل منهم إلى الحجاز والشام وبقي باليمن قبائل منهم كما سيأتي.

ابن الكلبي: قضاة بن مالك بن حمير بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير. وكان قضاة - فيما قال ابن سعيد - ملكاً على بلاد الشحر^[٢١] وصارت بعده لابنه الحاف، ثم لابنه مالك^[٢٢]، ولم يذكر ابن حزم في ولد الحاف مالكا، قال ابن سعيد، وكانت بين قضاة ووائل بن حمير حروب^(٢٣)، ثم استقل ببلاد الشحر مهرة بن حيدان بن الحاف بن قضاة وعُرفت به^[٢٣]. قال ابن سعيد: ومَلِكُ بنو قضاة أيضاً نجران^[٢٤]، ثم غلبهم عليها بنو الحرث بن كعب من

[٢١] - قال ابن خلدون في حديثه عن بلاد الشحر وهي الأحقاف والشحر والمهرة وظفار بشرق اليمن «كانت بلاد الشحر في القديم لعاد، وسكنها بعدهم المهرة. . وأول من نزل بالشحر من القحطانية مالك بن حمير بن سبأ عبد شمس خرج على أخيه (ملك اليمن) وائل بن حمير وهو ملك بقصر غمدان فحاربه طويلاً، ومات مالك فولى بعده ابنه قضاة بن مالك بن حمير (في الشحر وعمان) فلم يزل السكسك بن وائل يحاربه إلى أن قهره واقتصر قضاة على بلاد مهرة، وملك بعده ابنه الحاف ثم مالك بن الحاف وانتقل إلى عمان وبها كان سلطانه» (هـ).

[٢٢] - كان عهد الملك وائل (وثليل) بن حمير بن سبأ عبد شمس بن وائل في الفترة (١٨٩٤ - ١٨٥٨ ق.م) - كما تقدم في الفصل الثاني - فلما تولى وائل الملوكية عارضه أخوه مالك بن حمير فسار إلى شرق حضرموت والشحر الممتدة إلى ظفار عمان، فاستقل بملوكيتها فسار إليه أخوه الملك وائل بن حمير من مدينة سبأ التي كانت العاصمة كما سار إليه السكسك بن وائل من غمدان بصنعاء وهو باني غمدان الأول، فحارب وائل مالكا وحارب السكسك بن وائل بن حمير قضاة بن مالك بن حمير، حيث قال ابن خلدون في الفصل الثاني «ثم ملك بعد وائل السكسك بن وائل، وكان مالك بن حمير قد هلك وغلب على عمان بعده ابنه قضاة فحاربه السكسك بن وائل وأخرجه عنها» (اهـ) فاقتصرت ملوكية قضاة بن مالك على منطقة الشحر ومنها شرق حضرموت والمهرة حالياً وذلك في عهد السكسك سبيثوم بن وائل (١٨٥٨ - ١٨٤٤ ق.م) وطالت مدة ملوكية قضاة بالشحر والمهرة ليس ثلاثمائة سنة كما قيل في رواية بالإكليل وإنما مدة معقولة حتى وفاته، وقد ذكر الهمداني في الإكليل نبأ قبر قضاة بن مالك بن حمير - في مغارة بالقرب من منطقة قبر النبي هود بالأحقاف شرق حضرموت وأن قوماً اكتشفوا القبر قديماً فدخلوا المغارة وفتحو باب القبر «فوجدوا شيخاً جالساً على سرير من ذهب وعليه ثوب منسوج وعلى رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالمسند: أنا قضاة بن مالك بن حمير. . الخ» [ص ١٥٧ ج ٨/الإكليل].

[٢٣] - هو - كما ذكر ابن خلدون في فقرة لاحقة - «مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير» وهو الذي استقر وأقام ببلاد الشحر فسميت المهرة باسمه. ويشير نسبه إلى أن زمنه كان في حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد وباسمه سميت المهرة التي ما تزال تحتفظ باسمها كمنطقة كبيرة في اليمن حتى اليوم وهي محافظة المهرة، وكانت تشمل الشحر وظفار الشرق في أغلب العصور.

[٢٤] - سميت نجران - كما ذكر ابن خلدون في الفصل الثاني - باسم نجران بن زيدان بن سبأ =

الأزد^[٢٥] وساروا إلى الحجاز فدخلوا في قبائل معد ومن هنا غلط من نسبهم إلى معد. اهـ^[٢٦]

تشعب البطون من قضاة

ولنذكر الآن تشعب البطون من قضاة^[٢٧]، اتفق النسابون على أن قضاة لم يكن له من الولد إلا الحاف، ومنه سائر بطونهم، وللحاف ثلاثة من الولد: عمرو وعمران وأسلم بضم اللام، قاله ابن حزم. فمن عمرو بن الحاف: حيدان وبيي وبهراء^[٢٨]، فمن

= عبد شمس (اه) وكان نجران أول من تولاها فسميت باسمه، أي كل ما كان يُسمى مخاليف نجران مما يلي صعده إلى تخوم الطائف، لذلك قال ابن المجاور الدمشقي في كتاب المستبصر «نجران إقليم طويل عريض من اليمن» [ص ٢٠٩]. وكان أول من ملكه من قضاة كما ذكر ابن خلدون عن ابن سعيد «مالك بن الحاف بن قضاة» ثم انتشرت مواطن قبائل قضاة في خولان ومارب وصعدة ونجران وغيرها في عصور دولة تبابعة سباء الحميريين التي تواصلت في الفترة (١٤٧٠ ق.م - ٥٤٠ ق.م). وكانت منهم قبائل خولان وبيي وبهراء بأرض مارب، وفي ذلك قال المثلم بن قرط البلوي:

ألم تر أن الحبي كانوا بغيطة بمارب إذ كانوا يحلونها معا
بليي وبهراء وخولان أخوة لعمر بن حاف فرغ من قد تفرعا

[ص ٩ شمس العلوم].

وبعد نهاية دولة تبابعة سبأ كانت زعامة مكربية سبأ في بني سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ومنهم كان مكارب سبأ وملوك مملكة سبأ التي كانت صرواح عاصمتها (٥٠٠ ق.م - ٤٠٠ ق.م) قال الشاعر:

لسعد بن خولان رسا المملك واستوى ثمانين حولاً ثم رجعت زلازله

[٢٥] - كان ذلك بعد سقوط مملكة سبأ التي كانت عاصمتها صرواح وقيام مملكة معين في القرن الرابع قبل الميلاد، فأصبح مكارب سبأ من الأزد وبسطت معين سيادتها على نجران وغيرها وكان بنو الحرث بن كعب من مذبح المعينين.

[٢٦] - كان مسير وانتقال قبائل قضاة من اليمن إلى الحجاز في عدة موجات، بعضها في عصور تبابعة سبأ في إطار المستوطنات والقواعد التجارية السبائية على طريق القوافل التجارية إلى الشام، ثم بعد سقوط مملكة سبأ الصرواحية وقيام مملكة معين في القرن الرابع ق.م. ثم في عصور الدولة الحميرية وتبابعة حمير في القرون الميلادية.

[٢٧] - قال ابن كثير «قال علماء النسب، يقال شعوب ثم قبائل ثم عمائر ثم بطون ثم أقخاذ ثم فصائل ثم عشائر، والعشيرة أقرب الناس إلى الرجل وليس بعدها شيء» [ص ١٥٧ ج ٢ - البداية والنهاية].

[٢٨] - ومنهم خولان وقد ذكرهم ابن خلدون في قبائل همدان وكهلان كما سيأتي، وقال نشوان الحميري في كتاب شمس العلوم «خولان قبيلة من اليمن وهم ولد خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة، قال فيهم جميل بن معمر:

حيدان مهرة^[٢٩٩]، ومن بليّ جماعة من مشاهير الصحابة، منهم كعب بن عجرة، وخديج بن سلامة، وسهل بن رافع، وأبو بردة بن نيار^[٣٠٠]، ومن بهراء جماعة من الصحابة أيضاً، منهم المقداد بن عمرو، وينسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب خال رسول الله ﷺ أخى أمه وتبناه فُئسب إليه، ويقال إن خالد بن برمك مولى بني بهراء.

ومن أسلم (بن الحاف بن قضاة): سعد هذيم، وجهينة، ونهد، بنو زيد بن ليث ابن سود بن أسلم، فجهينة ما بين الينبع ويثرب - إلى الآن - في متسع من برية الحجاز، وفي شماليهم إلى عقبة أيلة مواطن بليّ، وكلاهما على العدو الشرقية من بحر القلزم^[٣٠١]، وأجاز منهم أمم إلى العدو الغربية، وانتشروا ما بين

= وَخَوْلَانُ تُرْدِي بِالْقَنَا وَيَلِيُّهَا إِلَيَّ فَمَنْ مِثْلِي إِذَا النَّاسُ أَلْفُوا

[ص ٣٥]

وهم قبائل خولان بن عامر في محافظة صعدة ونواحيها إلى نجران وقد ذكرتهم نقوش المسند لملوك سبأ التبابعة بلفظ «خولان الددن» وقد استقصى الهمداني تاريخهم في الجزء الأول من الإكليل، أما قبائل خولان في نواحي خولان بين صنعاء وأمرب، فيقال لهم خولان العالية، وفي نقوش المسند (خولان خضلم)، قال شاعر خولان العالية:

أيهما السائل عن أنسابنا نحن خولان ابن عمرو ابن قضاة
نحن من حمير في ذروتها ولنا المرباع فيها والرباعة

[٢٩٩] - وهم قبائل مهرة في محافظة المهرة ومديرية الشحر بحضرموت وفي ظفار بسلطنة عمان حالياً، وكانت الشحر والمهرة وظفار تسمى جميعها بلاد الشحر ثم المهرة وكذلك منهم سكان جزيرة سقطرى اليمنية، ويبدو أن قبائل المهرة طبقتان، الأولى من زمن عاد، قال ابن المجاور «إن أصل المهرة من بقية قوم عاد، فلما أهلك الله تلك الأمم نجا هؤلاء القوم فسكنوا جبال ظفار وجزيرة سُقُطرى وجزيرة المصيرة» [ص ٢٧١/المستبصر] والطبقة الثانية قبيلة (مهرة) بن حيدان بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير» وبه سميت المهرة، فشمّل الاسم الطبقتين وكذلك المنطقة وما يزال حتى اليوم.

[٣٠٠] - قال نشوان الحميري في شمس العلوم «بليّ قبيلة من اليمن من قضاة والنسبة إليهم بَلَوَى وهم ولد بليّ بن عمرو بن الحاف بن قضاة، قال المثلث بن قُوط البلوى:

.. بليّ وبهراء وخولان أخوة لعمرو بن حاف فرغ من قد تفرعا

[ص ٩]

وانتقلت بليّ وبهراء من اليمن مع من انتقل من قبائل قضاة إلى الحجاز فانتشروا ما بين شمالي ينبع ويثرب إلى عقبة أيلة - خليج العقبة - على طريق النشاط التجاري.

[٣٠١] - العدو الشرقية من بحر القلزم هي منطقة الساحل الشرقي العربي للبحر الأحمر، وسكنوا ما بين ينبع وجدة إلى خليج العقبة، وكذلك كان بنو مجيد من قضاة في منطقة تهامة والساحل الشرقي باليمن.

صعيد مصر وبلاد الحبشة وكاثروا هنالك سائر الأمم، وغلبوا على بلاد النوبة وفرّقوا كلمتهم وحاربوا الحبشة فأرهبوهم إلى هذا العهد^[٣٢]، ومن سعد هذيم: بنو عذرة المشهورون بين العرب في المحبة، كان منهم جميل بن عبد الله بن معمر وصاحبه بشينة بنت حبابا، قال ابن حزم: كان لأبيها صحبة، ومنهم عروة بن حزام وصاحبه عفراء، ومن بني عذرة كان رزاح بن ربيعة أخو قصي بن كلاب لأمه، وهو الذي استظهر قصي به وبقومه على بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم، فغلبهم على الإجازة بالناس من عرفة وكانت مفتاح رياسته في قريش^[٣٣].

[٣٢] - يكتسب هذا النص أهمية تاريخية كبيرة، وقد دلت وتدل الدراسات التاريخية على ما يلي:

أولاً: يذكر (ريتشارد جرينفيلد) في كتابه (اثيوبيا) و(ديفيد باكستون) في كتابه (ايسينيا) وممتاز العارف في كتابه (الأحباش) أنه «أثبتت دراسات تاريخ الحبشة القديم أن قبائل سبائية جاءت من جنوب الجزيرة العربية عن طريق البحر الأحمر وغزت مرتفعات وساحل الحبشة، ويحكم تفوقهم الحضاري فرضوا أنفسهم على سكانها الحاميين الذين كانوا لم يتجاوزوا طور الحياة البدائية، كما قامت أعداد غير قليلة من قبائل جنوب الجزيرة العربية، جاءت عبر مضيق باب المندب، بغزو واستيطان هضبة هرر في القسم الشرقي من الحبشة، وكانت تلك الغزوات الاستيطانية السبائية عام ١٠٠٠ ق.م. في القرن العاشر ثم القرن التاسع ق.م. وأدخل السبائيون لهجاتهم وحضارتهم بما في ذلك الخط السبائي المسند ومهاراتهم العمرانية والزراعية إلى الحبشة، وأسسوا مدن وحضارة أكسوم ويح. وتدل النقوش العربية الجنوبية التي تم العثور عليها في منطقة أكسوم ومنطقة يحاو إلى الشرق حيث يمتد الطريق من ميناء عدول، تدل على سعة انتشار النفوذ السبائي في الحبشة قبل - وحتى - القرن السادس قبل الميلاد» [انتهى ص ٣٤ - ممتاز العارف] لقد كانت الحبشة في تلك العصور وهي عصور دولة تابعة سبأ تحت حكم ونفوذ دولة سبأ في اليمن وقواعدها التجارية التي كانت تمتد إلى ساحل الصومال وشرق السودان وجنوب مصر ومنها إلى المغرب.

ثانياً: أن قبائل يمنية حميرية وأوسانية ومعينية أجازت إلى الحبشة وما جاورها وشرق أفريقيا وصعيد مصر في القرن الخامس والقرن الرابع قبل الميلاد فأسسوا المستوطنات والقواعد التجارية في تلك الأرجاء وانتشروا فيها، وقد ذكر المؤرخ اليوناني هيرودوتس في عام ٤٥٠ ق.م. أن منطقة شرق مصر ما بين نهر النيل والبحر الأحمر تسكنها قبائل عربية، ويتصل ذلك بما ذكره ابن خلدون في هذا النص.

ومن المرجح أن قبائل حميرية أجازت إلى الحبشة في القرن الأول والقرن الرابع الميلادي وحكمتها لعدة قرون.

[٣٣] - كانت زعامة مكة وولاية البيت بعد جرههم بن قحطان في قبيلة خزاعة اليمنية الأزدية منذ انتقالهم من اليمن وسيادتهم على مكة، قال ابن هشام «فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم حُليل بن حُبشيّة بن سنلول بن كعب بن عمرو الخزاعي، فخطب قصي بن كلاب بنت حليل بن حبشية، فزوجه إياها، فولدت عبد الدار وعبد مناف =

ومن عمران بن الحاف بن قضاة: بنو سليح وهو عمرو بن حلوان بن عمران، ومن بني سليح الضجاعم، بنو ضجعم بن سعد بن سليح، كانوا ملوكاً بالشام للروم قبل غسان^[٣٤]. ومن بني عمران بن الحاف، بنو جرم بن ريان بن حلوان، بطن كبير، وفيهم كثير من الصحابة، ومواطنهم ما بين غزة وجبال الشراة من الشام وجبال الشراة من جبال الكرك، ومن تغلب بن حلوان، بنو أسد، وبنو النمر، وبنو كلب، قبائل ضخمة كلهم بنو وبرة بن تغلب، فمن بني النمر بنو خشين بن النمر، ومن بني أسد بن وبرة: تنوخ، وهم فهم بن تيم اللات بن أسد، منهم مالك بن زهير بن عمرو بن عمرو بن فهم، وعليه تنخت تنوخ وعلى عهد أبيه مالك بن فهم، وكانوا حلفاء لبني حزم، فتنوخ على ثلاثة أبطن؛ بطن اسمه فهم، وهم هؤلاء، وبطن اسمه نزار وهم ليس نزار لهم بوالد لكنهم من بطون قضاة كلها، ومن بني تيم اللات ومن غيرهم بطن ثالث يقال لهم الاخلاف من جميع قبائل العرب من كندة ولخم وجذام وعبد القيس. اهـ كلام ابن حزم. ومن بني أسد بن وبرة: بنو القين، واسمه النعمان بن جسر بن شيع اللات بن أسد. ومن بني كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان: بنو كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب، قبيلة ضخمة، فيها ثلاثة بطون بنو عدي وبنو زهير وبنو عليم، بنو جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بطون ضخمة، ومنهم عبيدة بن هبيل شاعر قديم، ويقول فيه بعض الناس ابن خزام وهو الذي عنى امرؤ القيس بقوله:

نبكي الديار كما بكى ابن خزام

وقد قيل إنه من بكر بن وائل، وقال هشام بن السائب الكلبي: إذا سُئلوا بم بكي ابن خزام الديار، أنشدوا خمسة أبيات من كلمات امرئ القيس المشهورة:

ففانبك من ذكرى حبيب ومنزل

ويقولون إن بقيتها لامرئ القيس بن حجر. وهذا امرؤ القيس بن خزام شاعر

= وعبد العزى وعيدا» (اهـ) ثم أوصى حليل بولاية الكعبة لقصي بن كلاب، فعارضت بعض العشائر تولية قصي فسانده رزاح بن ربيعة القضاعي حتى تم الأمر لقصي بن كلاب. [ص ١٣٠ - ص ١٤٠ ج١/ السيرة النبوية لابن هشام].

[٣٤] - ذكر ابن خلدون أنه «سارت سليح بن عمرو بن الحاف من تهامة وعليهم الهدرجان بن مسلمة حتى نزلوا فلسطين على بني أذينة بن السميدع بن عاملة» وسيأتي أن ملوك العرب بالشام كانوا من تنوخ ثم تلاهم الضجاعم بني سليح وذلك قبل غسان كما سيأتي.

قديم دثر شعره لأنه لم يكن للعرب كتاب لبدأتها وإنما بقي من أشعارهم ما ذكره رواة الإسلام ويقدوه من رواية في الكتاب من محفوظ الرجال .

ومن بني عدي (بن جناب): بنو حصين بن ضمضم بن عدي، كانت منهم نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حصين امرأة عثمان بن عفان .

ومنهم أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان بن جشم بن ربيعة بن حصين أمير الأندلس^[٣٥]، ومنسبه بن شحيم بن منجاش بن مزغور بن منجاش بن هزيم بن عدي، وابن ابنه حسان بن مالك بن بحدل الذي قام بمروان يوم مرج راهط، وكانت رياسة الإسلام في كلب لبني بحدل هؤلاء^[٣٦] ومن عقبهم بنو منقذ ملوك شيزر .

ومن بني زهير بن جناب، حنظلة بن صفوان بن توبل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن هرير بن أبي جابر بن زهير، وُلِّيَ أفريقية لهشام^[٣٧]، ومن عليم بن جناب، بنو معقل، وربما يقال إن عرب المعقل الذين بالمغرب الأقصى لهذا العهد وفي زمانه ينتسبون فيهم . ومن بطون كلب، بنو عوف بن بكر بن عوف بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف، (منهم) دحية بن خليفة بن فروة بن

[٣٥] - أبو الخطار الحسام الكلبي الحميري هو تاسع الولاية اليمينية لبلاد الأندلس منذ الفتح العربي الإسلامي للأندلس عام ٩٢ هجرية (٧١١ ميلادية) وهم موسى بن نصير اللخمي (٩٢ - ٩٦هـ) وعبد العزيز بن موسى (٩٦ - ٩٨هـ) وأيوب بن حبيب اللخمي (٩٨ - ٩٩هـ) والسمح بن مالك الخولاني (٩٩ - ١٠٢هـ) وعنبة بن سحيم الكلبي (١٠٣ - ١٠٧هـ) ويحيى بن سلمة الكلبي (١٠٧ - ١١٠هـ) وعثمان بن أبي لسعة الخثعمي (١١٠ - ١١١هـ) وعبد الرحمن الغافقي الأزدي (١١٢ - ١١٤هـ) وأبو الخطار الكلبي (١٢٤ - ١٣٠هـ).

[٣٦] - حسان بن مالك بن بحدل الكلبي كان رأس اليمانية بالشام وأمير فلسطين منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان عام ٤٠ هجرية إلى عام ٧٤ هجرية، وعلى يده تم الأمر لمروان بالشام عام ٦٤هـ ولعبد الملك بن مروان فتسنم عبد الملك بن مروان خلافة الدولة العربية الإسلامية.

[٣٧] - هو الأمير حنظلة بن صفوان الكلبي الحميري كان أخوه الأمير بشر بن صفوان الكلبي والياً لمصر عام ١٠١ - ١٠٢هـ في خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ) ثم تولى بشر بن صفوان حكم المغرب (١٠٢ - ١٠٩هـ) بينما تولى حنظلة بن صفوان حكم مصر (١٠٢ - ١٠٦هـ) ثم تولاهما أيضاً عام (١١٩ - ١٢٤هـ) في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) ثم ولاء هشام على بلاد المغرب فتولاها عام ١٢٤ - ١٢٩ هجرية، وله مآثر كثيرة مع أخيه بمصر والمغرب .

فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف صاحب رسول الله ﷺ الذي أتاه جبريل عليه السلام في صورته^[٣٨]، ومنصور بن جهور بن جعفر بن عمرو بن خالد بن حارثة بن عبيد بن عامر بن عوف القائم مع يزيد بن الوليد، وولاه الكوفة، وحب رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف، سُبِي أبوه زيد في الجاهلية وصار إلى خديجة فوهبته إلى النبي ﷺ وجاءه أبوه وخيَّره النبي ﷺ فاختاره على أبيه وأهله، وأقام في كفالة النبي ﷺ ثم اعتقه، ورُبِّي ابنه أسامة في بيته ومع مواليه وأخباره مشهورة. ومن بني كلب ثم من بني كنانة بن بكر بن عوف، النسابة ابن الكلبي وهو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحرث بن عبد العزى بن امرئ القيس، قال ابن حزم هكذا ذكره ابن الكلبي في نسبه، وأرى امرأ القيس هذا هو (ابن) عامر بن النعمان بن عامر ابن عبدود بن عوف بن كنانة بن عذرة، وقد مرَّ بقية نسبه.

وكان لقضاة هؤلاء مُلك ما بين الشام والحجاز إلى العراق، في أيلة وجبال الكرك إلى مشارف الشام، واستعملهم الروم على بادية العرب هناك^[٣٩]، وكان أول المُلك فيهم في تنوخ، وتتابع فيهم فيما ذكر المسعودي ثلاثة ملوك، النعمان بن عمرو، ثم ابنه عمرو بن النعمان ثم ابنه الحواري بن عمرو^(٣٩)، ثم غلبهم على

[٣٨] - هو الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي، وكان دحية رسول النبي ﷺ إلى هرقل ملك الروم.

[٣٩] - بدأ السلطان والنفوذ الروماني يمتد إلى الشام بعد خضوع آسية الصغرى (تركيا) للرومان وانتصارهم على اليونان السلوقيين عام ١٩٠ ق.م. ثم أعلنت مصر التي كانت تحت حكم البطالمة اليونان الولاء والتبعية لروما عام ١٦٤ ق.م.

وكانت الشام عامرة بقبائل عربية كثيرة يمانية الأصل من جذام ولخم وعاملة وتنوخ ويطون قضاة، وسيأتي حديث ابن خلدون عن جذام ولخم وعاملة وغسان. فلما بسط الرومان نفوذهم تولت تنوخ وجذام الملوكية على العرب بالشام في البتراء وغيرها منذ القرن الثاني قبل الميلاد في إطار سلطة ونفوذ الرومان.

وفي عام ٨٤ قبل الميلاد - كما يذكر جيمس بريستد في كتاب العصور القديمة - «ألقت القبائل العربية في الشام مملكة - مستقلة - عاصمتها البتراء وامتد سلطانها حتى أحاط بدمشق» [ص ٤٣٨ - العصور القديمة] وذلك بزعامة الملك الحارث الثالث (الجذامي النبطي أو التنوخي).

وفي عام ٦٤ ق.م. اجتاحت الرومان الشام وأعلن الحارث الرابع الولاء للرومان فاستمرت دولة البتراء وما حولها، وكان حكامها ولاة للرومان ومنهم عبدوس (عام ٢٤ ق.م.).

أمرهم سليح من بطون قضاعة، وكانت رياستهم في ضجع بن سعد منهم، وقارن ذلك استيلاء طيطش من القياصرة على الشام فولاهم ملوكاً على العرب من قبله يجيئون له من ساحتهم^[٤٠]، إلى أن ولى منهم زياد بن هبولة بن عمرو بن عوف بن ضجع، وخرجت غسان من اليمن فغلبوهم على أمرهم، وصار ملك العرب بالشام لبني جفنة وانقرض ملك الضجاعم، حسبما نذكر، وقال ابن سعيد: سار زياد بن هبولة بمن أبقى السيف منهم بعد غسان إلى الحجاز، فقتله حجر آكل المرار الكندي كان على الحجاز من قبل التبابعة وأفنى بقيتهم فلم ينج منهم إلا القليل^[٤١]. قال: ومن الناس من يطلق تنوخ على الضجاعمة ودوس الذين تنخوا بالبحرين أي أقاموا.

وكان لبني العبيد بن الأبرص بن عمرو بن أشجع بن سليح مُلكٌ يتوارثونه بالحضر، آثارة باقية في برية سنجار^[٤٢] وكان آخرهم الضيزن بن معاوية بن العبيد

[٤٠] - اقتران بداية ملوكية الضجاعم بواقعة «استيلاء طيطش من القياصرة على الروم» يتضمن الإشارة إلى اجتياح الرومان للشام عام ٦٤٤ ق.م. أما طيطش فهو الملك الروماني أوغسطس اكتافيوس بدأ عهده عام ٤٣ ق.م. وسار إلى مصر عام ٤٠ ق.م. فانتحرت كليوباترا البطلمية وأخضع مصر للحكم الروماني المباشر وأرسل حملة فاشلة إلى اليمن عام ٢٤ ق.م.

[٤١] - يتبين من ذلك أن ملوكية الضجاعم بالشام كانت من منتصف القرن الأول قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثالث الميلادي حيث بدأت ملوكية بني جفنة الغساسنة للشام وقامت في ذات الفترة دولة تبابعة حمير باليمن بزعامة ملشان أريم وكان حجر آكل المرار عامله على الحجاز في مطلع القرن الرابع الميلادي كما سيأتي في أبناء غسان.

[٤٢] - وهي دولة الحضر (عربايا) بمنطقة الجزيرة والموصل - شمال العراق وجنوب سوريا - وكانت عاصمتها مدينة الحضر، حيث تقرر الدراسات الأثرية أن مدينة الحضر «بدأت بالنمو الفعلي منذ القرن الثالث قبل الميلاد». وقال نشوان الحميري إن «الذي قام ببناء الحضر ملك يقال له باحرم من أهل رستاق الموصل، ثم كان أهل الحضر وحكامها تنوخ - من بطون قضاعة - ثم ملك الحضر بنو عبيد بن الأخرم من بني سليح من قضاعة» [ص ٣٥٠ - الحور العين لنشوان الحميري] ويستفاد مما ذكره ابن خلدون أن ملك العرب بالشام ومنطقة الجزيرة كان في «بني الطرب بن حسان من عاملة» قال ابن خلدون «فلما انقرض أمر بني الطرب بن حسان ملك أمر العرب بالشام تنوخ من بطون قضاعة، ثم تلاشى أمر تنوخ واضمحل وغلبيت عليهم سليح من بطون قضاعة» [ص ٢٧٨ ج٢] وتذكر دراسات آثار ونقوش الحضر حكامها وملوكها ابتداء بالحاكم «نشريه ٨٥ - ١٠٥ م» ثم «ورود ١٠٥ - ١١٥ م» ثم «نصر ١١٥ - ١٣٥ م» وقد يكون أولئك من بني الضرب بن حسان وكانت الزبلاء آخر من حكم منهم، ثم تولت ملوكية الحضر أسرة جديدة كان أولهم «نشريه الثاني ١٣٦ - ١٤٥ م» ثم السيد «معن ١٤٦ - ١٥٤ م» ثم «ولجش بن نصر ١٥٥ - ١٦٥ م» وقد يكون أولئك تنوخ، ثم تولى ملوكية الحضر بنو عبيد حيث تولى الملوكية «سين طروق ١٦٦ - ١٩٠ م» ثم «عبد سميا ١٩٠ - ٢٠٠ م» ثم «سين طروق الثاني ٢٠٠ - ٢٤١ م».

المعروف عند الجرامقة بالساطرون وقصته مع سابور ذي الجنود من الأكاسرة معروفة.^[٤٣]

قال ابن سعيد، وكان لقضاة ملك آخر في كلب بن وبرة يتداولونه مع السكون من كندة، فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك، ودخلوا في دين النصرانية، وجاء الإسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون، ويقال إنه كندي من ذرية الملوك الذين ولاهم التبابعة على كلب، فأسره خالد بن الوليد وجاء به إلى النبي ﷺ فصالح على دومة الجندل، وكان في أول من ملكها دجانة بن قنافة بن عدي بن زهير بن جناب. قال: وبقيت بنو كلب الآن في خلق عظيم على خليج القسطنطينية، منهم مسلمون ومنهم متنصرون. اهـ الكلام في أنساب قضاة.

قال ابن حزم: وجميع قبائل العرب فهي راجعة إلى أب واحد، حاشا ثلاث قبائل وهي تنوخ والعتقى وغسان، فأما تنوخ فقد ذكرناهم، وأما العتقى فهم من حجر حمير ومن حجر من ذي رعين ومن سعد العشيرة ومن كنانة بن خزيمة، ومنهم زيد بن الحرث العتقي من حجر حمير وهو مولى عبد الرحمن بن القاسم، وخالد بن جنادة المصري صاحب مالك بن أنس وهو مولى زيد المذكور، وأما غسان فإنهم من بني أب لا يدخل بعضهم في هذا النسب ويدخل فيهم من غيرهم. وسموا (العتقى) العتقا لأنهم اجتمعوا ليفتكوا برسول الله ﷺ فظفر بهم فأعتقهم وكانوا جماعة من بطون شتى، وسموا تنوخ (باسم تنوخ) لأن التنوخ الإقامة فتحالفوا على الإقامة بموضعهم بالشام وهم من بطون شتى. وأما غسان فإنهم أيضاً طوائف نزلوا بماء يقال له غسان فنسبوا إليه. اهـ كلام ابن حزم.^[٤٤]

«ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني في أخبار خزيمة بن نهد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة. . . أن قضاة كانوا مجاورين لنزار. . . والأشعر بن أدد. . . وكانوا يظعنون من تهامة إلى الشام. . . وكانت قضاة ما بين مكة والطائف، وكندة من العمدة إلى ذات عرق، ومنازل اجا والأشعر

[٤٣]- هو الملك الضيزن سين طروق الثاني (٢٠٠ - ٢٤١م) في أواخر عهده قامت الدولة الفارسية الساسانية بقيادة ملكها سابور الأول باجتياح العراق، فدارت حروب وحاصر سابور مدينة الحضر والملك الضيزن عام ٢٤١م فدلّت النظرية بنت الضيزن سابور الفارسي على سرداب دخل منه إلى المدينة ودمرها فسقطت دولة الحضر العربية.

[٤٤]- انتهى هنا «الخبر عن قضاة وبتونها» في الفصل المعنون بذلك في تاريخ ابن خلدون (ص ٢٤٧ - ٢٥٠ ج-٢).

ومعد ما بين جدة والبحر، فلما اقتتلوا (في قصة حزيمة بن نهد ومساندة أحياء العرب لنزار)^[٤٥] - هزمت نزار قضاة وقُتل حزيمة، فخرجوا متفرقين^(٤٥). فسارت تيم اللات من قضاة وبعض بني ربيعة منهم وفرقة من الأشعريين نحو البحرين ونزلوا هجر وأجلوا من كان بها من النبط وملكوها، وكانت الزرقاء بنت زهير كاهنة منهم فتكهننت لهم بنزول ذلك المكان والخروج من تهامة وقالت في شعرها:

ودّع تهامة لا وداع مخالف بدمامه لكن قلبي وملام
لا تنكري هجرا، مقام غريبة لن تعدمي من ظاعنين تهام

ثم تكهننت لهم في سجع بأنهم يقيمون بهجر حتى ينقع غراب أبقع عليه خلخال ذهباً ويقع على نخلة وصفتها فيسيرون إلى الحيرة، وكان في سجعها مقام وتنوخ، فسميت تلك القبائل تنوخ من أجل هذه اللفظة، ولحق بهم قوم من الأزدي فدخلوا في تنوخ، وأصاب بقية قضاة المؤتبان. وسارت فرقة من بني حلوان (بن عمران بن الحاف بن قضاة) فنزلوا عبقرة من أرض الجزيرة ونسجت نساؤهم البرود العبقرية من الصوف والبرود التزيدية لأنهم بنو تزيدي^[٤٦]، وأغارت عليهم الترك فأصابوا منهم، واقتل الحرث بن قراد البهراني ليستجيش بني حلوان، فعرض له أبان ابن سليح صاحب العين فقتله الحرث، ولحقت بهرا بالترك فاستنقذوا ما أخذوه من بني تزيدي وهزمهم، وقال الحرث (بن قراد البهراني):

كأن الدهر جَمَعَ في ليال ثلاث بينهنّ بشهرزور
صففنا للاعاجم من (معد) صفوفاً بالجزيرة كالسعير

وسارت سليح بن عمرو بن الحاف (بن قضاة) وعليهم الهدرجان بن مسلمة حتى نزلوا فلسطين على بني أذينة بن السميدع بن عاملة، وسارت أسلم بن

[٤٥] - أورد ابن خلدون في موضع آخر (ص ٢٤١) قصة حزيمة التي أوردها كتاب الأغاني لتبرير واقعة مسير بطون من قضاة إلى البحرين كما أورد عن مصادر أخرى عدم علاقة مسيرهم بقصة حزيمة وهو الأصوب، فالمهم هو نبدأ مسيرهم إلى البحرين والحيرة واستقرارهم بها مع الأشعريين والأزد كما هو ثابت.

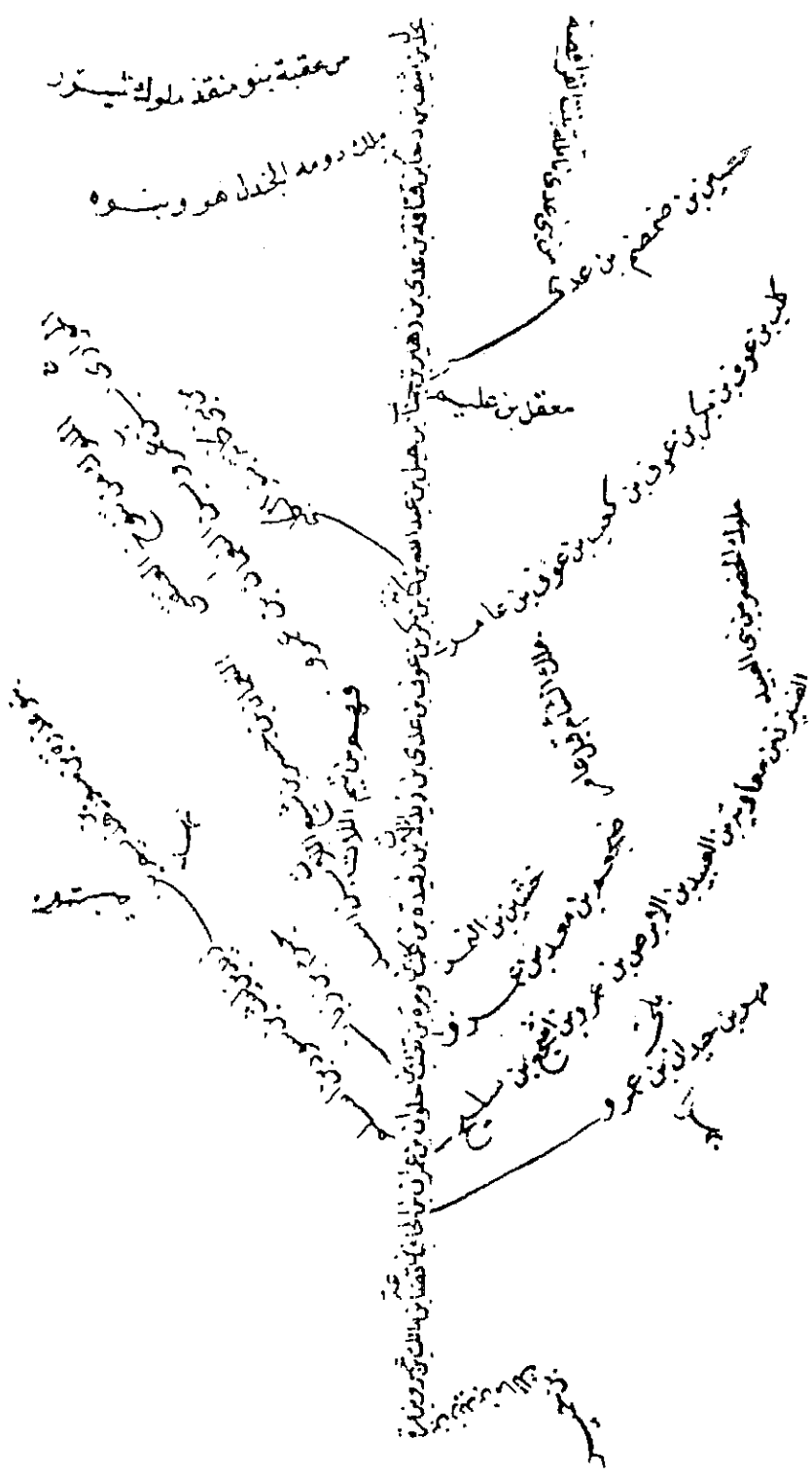
[٤٦] - توطنت بمنطقة الجزيرة ومنها الموصل والحضر قبائل من عاملة ومن تنوخ قضاة ومن سليح من قضاة وبنو تزيدي هؤلاء ومن بهراء ولخم وجرهم منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وكان ملوك دولة الحضر من تنوخ وبنو عبيد (٨٥م - ٢٤١م) وآخرهم الضيزن سين طروق كما تقدم، وقال الشاعر حسان بن جيشان الحميري فيهم:

وقد نزلت منا قضاة منزلاً بعيداً فأماست في بلاد الصنوبر

الحاف (بن قضاة) وهي عذرة ونهد وحويكة وجهينة حتى نزلوا بين الحجر ووادي القري، وأقامت تنوخ بالبحرين سنين، ثم أقبل الغراب بحلقتي الذهب ووقع على النخلة ونعق كما قالت الرزقاء فذكروا قولها وارتحلوا إلى الحيرة فنزلوها وهم أول من اختطها وكان رئيسهم مالك بن زهير، واجتمع إليه ناس كثير من بسائط القري وبنوا بها المنازل وأقاموا زماناً، ثم أغار عليهم سابور الأكبر وقتلوه وكان شعارهم يا لعباد الله فسموا العباد وهزمهم سابور فافترقوا^[٤٧]، وسار أهل المهبط منهم مع الضيزن بن معاوية التنوخي فنزل بالحضر الذي بناه الساطرون الجرمقاني فأقاموا عليه^(٤٦). وأغار حمير على قضاة فأجلوهم، وهم كلب^[٤٨]، وخرج بنوزبان بن تغلب بن حلوان فلحقوا بالشام، ثم أغارت عليهم كنانة (من بني كلب) بعد ذلك بحين واستباحوهم فلحقوا بالسماوة وهي إلى اليوم منازلهم - اهـ كلام صاحب الأغاني - قلت: وإحياء جرهم لهذا العهد ما بين غزة وقلته وفلسطين إلى معانٍ من أرض الحجاز - انتهى الخبر عن قضاة).

[٤٧] - استمرت ملوكية العرب (قضاة - لخم) بالحيرة والعراق من القرن الأول إلى غزو سابور للعراق (٢٤١م) كما سيأتي.

[٤٨] - أي على قضاة الذين بوادي القري وأعلي الحجاز في أول دولة تبابعة حمير وملكوا بني كلب عليها وهم أيضاً من قضاة.



صورة مشجر قبائل قضاة لابن خلدون (ص ٢٥١ ج ٢)

الخبر عن بطون كهلان من القحطانية وشعوبهم واتصال بعضها مع بعض وانقضائها

هؤلاء بنو كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^[٢]، أخوة بني حمير بن سبأ^(٢)، وتداولوا معهم الملك أول أمرهم^[٣]، ثم انفرد بنو حمير

[١] - يبدأ هذا الفصل في ص ٢٥٢ من تاريخ ابن خلدون بعنوان «الخبر عن بطون كهلان من القحطانية.. الخ».

[٢] - من بطون وقبائل كهلان المشهورة - كما سيأتي - همدان ولخم وجذام وعاملة والأزد وكندة وطي ومذحج، وهم أخوة بني حمير بن سبأ، قال الهمداني في قصيدة الدامغة:

«أبو الفرعين كهلان أبينا وحمير عمنا وأخي أبينا»

[٣] - تقدم في الفصل الثاني عن سبأ بن يشجب وملوك حمير الأولى ما نقله ابن خلدون عن تملك كهلان بن سبأ وعدد من الملوك من بني كهلان في عصر دولة سبأ الأقدم - بالألف الثالث قبل الميلاد - وتؤكد نقوش المسند في عصور دولة وملوك سبأ التبابعة الحميريين (١٢٢٠ ق.م. - ٥٤٠ ق.م.) ما جاء في كتاب الإكليل للهمداني وشرح قصيدة نشوان عن الملوك من همدان في العصر الثاني لتبابعة سبأ وهو عصر لقب «ملك سبأ وذو ريدان» في نقوش المسند (١٢٠ - ٣٨٥ للتقويم السبائي/١١٠٠ ق.م. - ٨٣٥ ق.م.) حيث كان من ملوك ذلك العصر:

أولاً: بنو بَتَع: وهو كما في الإكليل «بتع بن زيد بن عمرو بن همدان» وكان منهم:

١ - بتع ذو همدان الذي به تزوجت الملكة بلقيس معاصرة سليمان كما تقدم، وكان عهد بلقيس (٩٤٦ ق.م. - ٩٢٤ ق.م.).

٢ - وهب إيل يحوز ملك سبأ بن بتع (وهو نجل الملكة بلقيس).

٣ - أنمار بن وهب إيل.

٤ - كرب إيل بن وهب إيل.

ثانياً: بنو أوسلة رفشان بن همدان: تولى الملوكية منهم:

١ - يارم أيمن بن أوسلة رفشان.

٢ - علهان نهقان ملك سبأ بن يارم أيمن.

٣ - شعرام اونز ملك سبأ وذو ريدان بن علهان نهقان ثم لحيث يرخم ذومرع الهمداني.

به، وبقيت بطون بني كهلان تحت ملكهم باليمن^[٤]، ثم لما تقلص مُلك حمير^[٥]، بقيت الرياسة على العرب البادية لبني كهلان، لما كانوا بادين لم يأخذ ترف الحضارة منهم ولا أدركهم الهرم الذي أودى بحمير، إنما كانوا أحياء ناجعة في البادية، والرؤساء والأمراء في العرب كانوا منهم. وكان لكندة من بطونهم مُلك باليمن والحجاز، ثم خرجت الأزد من شعوبهم أيضاً من اليمن مع عمرو مزيقيا وافترقوا بالشام وكان لهم مُلك بالشام في بني جفنة، ومُلك بيثرب في الأوس والخزرج، ومُلك بالعراق في بني فهم، ثم خرجت لخم وطيء من شعوبهم أيضاً من اليمن وكان لهم مُلك بالحيرة في آل المنذر حسبما نذكر ذلك كله.

وأما شعوبهم فهي كلها تسعة، من زيد بن كهلان، في مالك بن زيد وعريب بن زيد، فمن مالك بطون همدان، وديارهم لم تزل باليمن في شرقيه، وهم بنو أوسلة وهو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الجبار بن مالك بن زيد بن كهلان^[٦] ومن نوف بن همدان، من شعوب حاشد، بنو يام بن أصفى بن مانع بن مالك بن جشم بن حاشد^[٧] ومنهم طلحة بن مصرف، ولما جاء الله بالإسلام افترق كثير من همدان في ممالكة^[٨] وبقي منهم من بقي باليمن^(٨)، وكانوا شيعة لعليّ كرم الله وجهه ورضي عنه عندما شجر بين الصحابة وهو المنشد فيهم متمثلاً:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلام
ولم يزل التشيع ديدنهم أيام الإسلام كلها^[٩]، ومنهم كان علي بن محمد

[٤] - عادت ملوكية سبأ إلى آل الرايش الحميريين بتملك ياسر يُنعم (٨٦٤ - ٨٣٥ ق.م.) حتى نهاية عصور تبابعة سبأ.

[٥] - أي بعد نهاية عصور ملوك سبأ التبابعة الحميريين ودولتهم بالقرن السادس قبل الميلاد.

[٦] - في الإكليل «همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان».

[٧] - تفرع من نوف بن همدان «حاشد بن جشم بن جبران بن نوف بن همدان - أوسلة رفشان - بن مالك بن زيد» و«بكيل بن جشم بن جبران بن نوف بن همدان». ومن بطون حاشد بني يام بن حاشد.

[٨] - أي في الفتوحات الإسلامية وكان أغلب أهل الكوفة من همدان ومنهم قادة وأمراء وشعراء وكذلك من بقي منهم في اليمن، وقد ذكر الهمداني أعلامهم وأنسابهم بالتفصيل في الجزء العاشر من كتاب الإكليل.

[٩] - كان منهم شيعة وسنة، وكان بنو الضحّاك الحاشدي زعماء همدان من قادة اليمن الذين حاربوا الأئمة الهادييين، وتولى بنو الضحّاك الحاشدي الملوكية في صنعاء وبلاد همدان قبل الصليحيين في القرن الرابع والقرن الخامس الهجري.

الصليحي من بني يام القائم بدعوة العبيديين باليمن في حصن حراز، وهو من بني يام من بطون حاشد، فاستولى عليه، وورث ملكه لبنيه حسبما ذكره في أخبارهم^[١٠]، وكانت بعد ذلك وقبله دولة بني الرسي إمام الزيدية بصعدة فكانت على يدهم وبمظاهرتهم، ولم يزل التشيع ديدنهم لهذا العهد. وقال البيهقي: وتفرقوا في الإسلام فلم تبق لهم قبيلة ولا برية إلا باليمن، وهم أعظم قبائله، وهم عصابة المعطى من الزيدية القائمين بدعوته باليمن، وملكوا جملة من حصون اليمن باليمن، ولهم بها إقليم بكيل وإقليم حاشد من بطونهم، قال ابن سعيد: ومن همدان بنو الزريع وهم أصحاب الدعوة والملك في عدن^[١١]، والحيرة وهم زيدية. وأخوة همدان: الهان بن مالك بن زيد بن أوسلة^(١١).

ومن مالك بن زيد أيضاً الأزدي: وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك (بن زيد بن كهلان)، وختعم وبجيلة ابنا أنمار بن أراش أخي الأزدي بن الغوث، وقد يقال أنمار هو ابن نزار بن معد وليس بصحيح^[١٢]. فأما الأزدي، فبطن عظيم متسع وشعوب كثيرة، فمنهم بنو دوس من بني نصر بن الأزدي، وهو دوس بن عدثان، بالشاء المثلثة، بن عبد الله بن زهران^[١٣] بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزدي بطن كبير، ومنهم كان جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس^[١٤]، وديارهم بنواحي عمان، وكان بعد دوس وجذيمة ملك بعمان

[١٠] - هو الملك علي بن محمد الصليحي ملك اليمن (٤٣٩ - ٤٧٣هـ) واستمرت الدولة الصليحية إلى عام ٥٣٤ هجرية.

[١١] - بنو زريع ملوك عدن ومخاليفها (٥٣٤ - ٥٦٩هـ). أما الهان فمنهم أنس بن الهان بن مالك بن زيد.

[١٢] - ختعم وبجيلة هما ابنا أنمار بن اراشة بن عمرو بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان.

[١٣] - قال ابن خلدون في نص لاحق - كما سيأتي - «كان بنو زهران من الأزدي خرجوا من اليمن قبل خروج مزيقيا ونزلوا بالسراة وعمان والعراق، وكان مالك بن فهم من ملوكهم» (ص ٢٥٩ ج ٢).

وجاء في تاريخ عمان للعوتبي أن مالك بن فهم الأزدي أقبل من اليمن إلى عمان في خيل كثيرة وقبائل كثيفة من الأزدي «فانتشرت الأزدي في البادية والجبال وقلهات من شط عمان... وبسطوا سيطرتهم إلى الاحساء والبحرين بعد أن قوي نفوذ مالك بن فهم» [ص ٢٢ تاريخ عمان للعوتبي] وكان ذلك سبب انتقال من كان في البحرين من قضاة وتنوخ إلى الحيرة بالعراق كما تقدم وبمعية مالك بن فهم الأزدي.

[١٤] - هو الملك جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي، وقد ذكر ابن خلدون - كما سيأتي - أن «مالك بن فهم أول ملك كان بالعراق من العرب، وكانت منازل الحيرة والأنبار، واستجمع

في إخوانهم بني نصر بن زهران بن كعب، كان منهم قبيل الإسلام المستكبر بن مسعود بن الجرار بن عبد الله بن معولة^[١٥] بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران^(١٥) والذي أدرك الإسلام منهم جيفر بن الجلندي بن كركر بن المستكبر وأخوه عبد الله ملك عمان كتب إليهما النبي ﷺ فأسلموا واستعمل على نواحيها عمرو بن العاص.

ومن الأزد ثم من بني مازن من الأزد: بنو عمرو مزيقيا بن عامر ويلقب ماء السماء ابن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البهلول ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وعمرو هذا وآبؤه كانوا ملوكاً على بادية كهلان باليمن مع حمير^[١٦]، واستفحل لهم الملك من بعدهم. وكانت أرض سبأ باليمن لذلك العهد من أرفه البلاد وأخصبها، وكانت مدافع للسيول المنحدرة بين جبلين هناك، فضرب بينهما سد بالصخر والقار يحبس سيول العيون والأمطار حتى يصرفوه من خروق في ذلك السد على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم، ومكث كذلك ما شاء الله أيام حمير^[١٧]، فلما تقلص

= له الملك بأرض العراق، وكانت مدة ملوكيته ستين سنة» وأما جذيمة بن مالك بن فهم فغدرت به وقتلته الزباء بنت عمرو بن السميدع (ملك منطقة الجزيرة والحضر) وقصتهما مشهورة، وقد ذكر ابن خلدون «أن جذيمة كان بعد عيسى بثلاثين سنة» وبمقتل جذيمة بن مالك أصبحت ملوكية الحيرة وما إليها في قبيلة لخم كما سيأتي.

[١٥] - يذكر د. فاروق عمر في تحقيق كتاب تاريخ عمان للعوتبي عن ملوكية بني الجلندي الأزديين لعمان أن «.. هناك عشيرتين يمانيتين حملتا لقب الجلندي، إحداهما بني الجلندي بن كركر الذين بسطوا نفوذهم على الخليج.. وثانيهما بنو الجلندي بن معولة وهم الذين حكموا عمان حتى جاء الإسلام» [ص ٢٤ تاريخ عمان للعوتبي - تحقيق د. فاروق عمر].

[١٦] - قول ابن خلدون هنا «مع حمير» وفي الفقرة التالية «أيام حمير» يعني في عصور دولة ملوك سبأ التابعة للحميريين، وقد جاء ذكر الأزد في نقوش عصور ملوك سبأ التابعة، ومنها نقش مسند من محرم بلقيس (رقم ١٧ كهالي) باسم «رب اوم/وبنيه/يشرح ال/ورباب/ بنودوس» - أي زعماء دوس - في عهد «وهب إيل يحوز ملك سبأ» - بالقرن التاسع قبل الميلاد - وقد تقدم أن دوس من الأزد - كما جاء ذكر قبائل من الأزد في نقش مسند من عهد ياسر ينعم الثاني وذمر علي يهبر (القرن الثامن ق.م.) وفي عهد أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ بالقرن السابع قبل الميلاد.

[١٧] - كان سد مأرب العظيم الأقدم من أهم المعالم والمنشآت الضخمة في عصور ملوك سبأ التابعة للحميريين، ويسجل نقش مسند ضخم في مائة سطر وقائع تجديد وتحسين كافة بنيات ومنشآت ومصارف سد مأرب في عهد (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد) عام ٥٦٥ للتقويم السبائي (ويوافق ٦٦٥ ق.م.) في القرن السابع قبل الميلاد.

ملكهم وانحل نظام دولتهم^[١٨] وتغلب بادية كهلان على أرض سبأ، وانطلقت عليها الأيدي بالعبث والفساد، وذهب الحفظة القائمون بأمر السد، نذروا بخرابه^[١٩]، وكان الذي نذر بخرابه عمرو مزيقياً ملكهم لما رأى من اختلال أحواله، ويقال إن أخاه عمران الكاهن أخبره^(١٩) ويقال طريفة الكاهنة، وقال السهيلي: طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر وهي طريفة الخير الحميرية لعهد.

وقال ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري إنه (أي عمرو مزيقياً) رأى جرذاً تحفر السد، فعلم أنه لا بقاء للسد مع ذلك فأجمع النقلة من اليمن^[٢٠]، وكاد قومه بأن

[١٨] - أي في عهد آخر ملوك سبأ التابعة (عمرو - ذرا - امر - بن حسان بن أسعد) وأخيه معد يكرب بن حسان معاصراً ببختنصر ملك بابل وكان عهدهما (٦٠٤ - ٥٤٠ ق.م.). كما تقدم - وقد أورد ابن خلدون عن السهيلي أنه «كان خراب السد لعهد حسان بن أسعد» وهو معد يكرب بن حسان بن أسعد آخر ملوك سبأ التابعة (عام ٥٤٠ ق.م.).

[١٩] - قام مكارب سبأ الخولانيون القضاعيون الذين حكموا مأرب وما إليها بعد التبابعة بإعادة بناء سد مأرب وتشييد سد مأرب القديم الثاني في عهد «سمهلي ينوف مكرب سبأ» بالقرن الخامس قبل الميلاد وانتهى عصر ملوك سبأ الخولانيين القضاعيين ح/٤٠٠ ق.م. - كما تقدم - ثم أصبح حكام سبأ المكارب من كهلان من الأزدي، وكان آخرهم عمرو مزيقياً فسد مأرب الذي أنذر بخرابه هو سد مأرب القديم الثاني.

[٢٠] - تقدم قول ابن خلدون في الفصل الرابع إنه «لما تقلص ملك حمير التابعة وانحل نظام دولتهم انتقل الملك إلى كهلان فاستفحل الملك للأزد في أرض سبأ» وإنه كان منهم «عمران بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي، وكان كاهناً - (أي مكرباً) - ولما احتضر عهد إلى أخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقياً وأعلمه بخراب سد مأرب» [اهـ] ومن المفيد أن نذكر هنا ما يلي:

أولاً: انتهت عصور دولة ملوك سبأ التابعة الحميريين بنهاية عهد معد يكرب بن حسان بن أسعد الأول وانهار سد مأرب العظيم الأقدم في أواخر القرن السادس قبل الميلاد (ح/عام ٥٤٠ ق.م.) فانقلت من اليمن آنذاك من قبائل سبأ لخم وجذام وعاملة كما في الحديث الذي سلف إيراد ابن خلدون إياه عن قبائل سبأ.

ثانياً: كانت دولة مكارب سبأ إحدى خمس دويلات وممالك قامت باليمن بعد نهاية دولة تبابعة سبأ، وهي دويلات مكارب سبأ، ومعين، وقتبان، وأوسان، وحضرموت، وذلك ح/عام ٥٢٠ ق.م. وقام (سمهلي ينوف مكرب سبأ) ببناء سد مأرب القديم الثاني (ح/عام ٥٠٠ ق.م.) ثم تحولت مكربية سبأ إلى مملكة شمل سلطانها كل اليمن على يد «كرب إيل وتاد ملك سبأ» صاحب نقش صرواح المشهور وهو من بني سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة، وتولى ملوكية سبأ بعده ابنه (يدع إيل يمين ملك سبأ) ثم حفيده «هاني كرب ملك وتار» وانتهت مملكة سبأ تلك (ح/عام ٤٠٠ ق.م.) وكان سقوطها من أسباب انتقال كثير من قبائل قضاة من اليمن كما تقدم.

أمر أصغر بنيه أن يلطمه إذا أغلظ له، ففعل، فقال: لا أقيم في بلد يلطمني فيها أصغر ولدي، وعرض أمواله، فقال أشراف اليمن اغتتموا غضبة عمرو، فاشتروا أمواله، وانتقل في ولده وولد ولده. فقال الأزد لا نتخلف عن عمرو^[٢١]، فتجشموا للرحلة وباعوا أموالهم وخرجوا معه وكان رؤساءهم في رحلتهم بنو عمرو مزيقيا ومن إليهم من بني مازن، ففصل الأزد من بلادهم باليمن إلى الحجاز، قال السهيلي كان فصولهم على عهد حسان بن تبان أسعد من ملوك التبابعة ولعهده كان خراب السد^(٢١).

ولما فصل الأزد من اليمن^[٢٢] كان أول نزولهم ببلاد عك ما بين زبيد ورمع، وقتلوا ملك عك من الأزد، ثم افترقوا إلى البلاد، ونزل بنو نصر بن الأزد بالسراة

= ثالثاً: أصبح مكارب سبأ - (منذ القرن الرابع ق.م.) - من الأزد، وتعاصرت مكرية سبأ مع مملكة معين ومملكة قتبان ومملكة أوسان ثم حضرموت، وقد ذكر استرابون الروماني عام ٢٤ ق.م. تعاصر وجود تلك الدول الخمس باليمن وأن مكرب سبأ آنذاك كان المكرب (الشرح: مكرب سبأ) وهو ما تؤكد النقوش.

[٢٩] - انتقلت قبائل من الأزد من اليمن قبل ذلك بمعية مالك بن فهم الأزدي إلى عمان والبحرين والعراق، ربما في عهد «العز/ يلط/ ملك حضرموت» الذي سيطر على مناطق إنتاج اللبان والبخور وكانت بيد الأزد السبائين. وكان انتقالهم في القرن الأول، واستمرت دولة مكارب سبأ في مأرب وما إليها وكان آخرهم (كرب آل مكرب سبأ) بالقرن الثاني ثم عمران بن عامر وعمرو مزيقيا وفي عهده كان خراب السد الثاني، أما الذي كان خرابه في عهد حسان فهو السد الأقدم كما تقدم.

[٢٢] - يتصل بذلك قول ابن خلدون في الفصل الرابع «أقام ربيعة بن نصر ملكاً على اليمن بمأرب بعد خروج عمرو مزيقيا من اليمن بقومه وسيل العرم» وقد تقدم أن ربيعة بن نصر أرسل بنيه وأهل بيته إلى الحيرة بالعراق وكتب إلى سابور ملك فارس فأسكنهم بالحيرة، ولما هلك ربيعة بن نصر اجتمع ملك اليمن لثبّع [أه].

وقال ابن خلدون في سياق أخبار العرب بالحيرة «وكان ولد عمرو مزيقيا بعد خروجه من اليمن بالأزد قومه، عند خروجه وإنذارهم بسيل العرم في القصة المشهورة، قد انتشروا إلى الشام والعراق، وتخلف من تخلف منهم بالحجاز وهم خزاعة فنزلوا مَرّ الظهران وقاتلوا جرمها بمكة فغلبوهم عليها، ونزلت غسان جبال الشراة إلى أن استقروا في التخوم بين الحجاز والشام. ويظهر من هذا أن خروج عمرو مزيقيا والأزد كان لأول ملك التبابعة أو قبله بيسير» انتهى (ص ٢٣٩ ج ٢) ويتبين من ربط مجمل ذلك أن خروج عمرو مزيقيا ومن خرج معه من الأزد كان في أواخر القرن الثاني إلى القرن الثالث الميلادي، وقد كان ربيعة بن نصر من ملوك اليمن في أواسط القرن الثالث الميلادي وامتلك سابور العراق عام ٢٤١م، وقامت دولة تبابعة حمير بزعامة تبع ملشان في أواخر القرن الثالث الميلادي ومطلع القرن الرابع الميلادي (٢٧٥ - ٣٢٥م) كما تقدم في الفصل الرابع.

وعمان، ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا بيثرب، وأقام بنو حارثة بن عمرو بمرّ الظهران بمكة وهم فيما يقال خزاعة^[٢٣]، ومرّوا على ماء يقال له غسان بين زيد ورمع، فكل من شرب منه من بني مزيقيا سمي به، والذين شربوا منه بنو مالك وبنو الحرث وبنو جفنة وبنو كعب فكلهم يسمون غسان، وبنو ثعلبة العنقاء لم يشربوا منه فلم يسموا به، فمن ولد جفنة ملوك الشام الذين يأتي ذكرهم ودولتهم بالشام، ومن ولد ثعلبة الأوس والخزرج ملوك يثرب في الجاهلية وسنذكرهم، ومن بطون عمرو مزيقيا، بنو أفضى بن حارثة بن عمرو، ويقال إنه أفضى بن عامر بن قمعة بلا شك ابن إلياس بن مضر، قال ابن حزم: فإن كان أسلم بن أفضى منهم فمن بني أسلم بلا شك، وبنو أبان (من بطون عمرو مزيقيا) وهو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو، وبنو العتيك من الأزد (وهو) عمران بن عمرو.

وأما بَجِيلَة^[٢٤] فبلادهم في سروات البحر إلى الحجاز وإلى تبالة^[٢٥]، وقد اختلفوا على الآفاق أيام الفتح، فلم يبق منهم بمواطنهم إلا القليل، ويقدم الحاج

[٢٣] - كان مسير قبائل الأزد في عدة اتجاهات من أرض مأرب، فسارت فرقة منهم شرقاً إلى عمان والبحرين وأجاز بعضهم إلى العراق، واستقرت فرقة بجهات اليمامة وسرو نجد إلى الطائف، وسارت فرقة منهم إلى نواحي مكة وتهامة الحجاز وهم خزاعة فاستقروا بمرّ الظهران ثم امتلكوا مكة وأجلوا جرهماً من اليمن، بينما استقر الأوس والخزرج في يثرب ونواحيها، وكانت غسان بين الحجاز والشام ثم تولوا الملوكية بالشام كما سيأتي.

[٢٤] - قول ابن خلدون هنا «وأما بجيلة» معطوف على قوله المتقدم «ومن مالك بن زيد أيضاً الأزد، . . وخثعم وبجيلة ابنا أنمار بن اراش. . .» [أهـ] وهما قبيلتا بجيلة وخثعم ابنا أنمار بن أراشة بن عمرو بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

[٢٥] - في نص الكتاب المطبوع «فبلادهم في سروات البحرين والحجاز إلى تبالة» وفي هذه الفقرة تصحيف واضطراب من النسخ ومن طابع الكتاب، فبلاد خثعم وبجيلة في سروات البحر الأحمر بأعالي تهامة اليمن، إلى تخوم الحجاز ومدنتهم الرئيسية تبالة، قال ابن خلدون في حديثه عن «قواعد اليمن ومدنه» ما يلي نصه:

«اليمن على قسمين تهامة والجبال. . ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر من السرين من جهة الحجاز إلى آخر أعمال عدن. .»

عثر وحلي والشرجة من أعمال زيد من مملكة اليمن وتعرف بأعمال ابن طرف (سليمان بن طرف الحكمي). . «والسرّين آخر أعمال تهامة من اليمن وهي على البحر» [انتهى] وقال ابن المجاور. . . فما كان من حد السرّين حتى تنتهي إلى ظهر الطائف ممتداً إلى البحر فهو من اليمن» [ص ٢٠٩ - المستبصر] فالمقصود بصفة عامة ما يعرف بالخلاف السليمانى وبلاد عسير ومنها تبالة إلى تخوم الطائف والحجاز.

منهم على مكة في كل عام عليهم أثر الشظف ويعرفون من أهل الموسم بالسرو،
وأما حالهم لأول الفتح الإسلامي فمعروف ورجالاتهم مذكورة^[٢٦٦]، فمن بطون
بَجِيلَة، قسر وهو مالك بن عبقر بن أنمار^[٢٧٧]، وبنو أحمس بن الغوث بن أنمار.

وأما بنو عَرِيب بن زيد بن كهلان: فمنهم طيء والأشعريون ومذحج وبنو
مرة، وأربعتهم بنو أدد بن زيد بن يشجب بن عريب^[٢٨٨]، فأما الأشعريون: فهم بنو
أشعر وهو نبت بن أدد^[٢٩٩]، وبلادهم في ناحية الشمال من زييد^[٣٠٠]، وكان لهم
ظهور أول الإسلام، ثم افترقوا في الفتوحات^[٣١١]، وكانت لمن بقي منهم باليمن

[٢٦٦] - منهم الصحابي الأمير جرير بن عبد الله البجلي الذي قال النبي ﷺ لما وفد عليه جرير «يطلع
عليكم خير ذي يمن، على وجهه مسحة ملك» وكان جرير من كبار قادة فتوح العراق وفيه قيل
«وخير أمير للعراق جرير» وتولى الإمارة بالعراق وفارس وأذربيجان في خلافة عمر وعثمان.

[٢٧٧] - منهم الأمير خالد بن عبد الله القسري أمير العراق من عام ١٠٥هـ إلى عام ١٢٠هـ في
خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) وكان خالد بن عبد الله القسري رأس اليمانية
في عهده وله مآثر عظيمة، وأخوه الأمير أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان (١٠٥ -
١٢٠هـ) كان آخر عظماء الفاتحين في الشرق، وقام بتشيد مدينة بلخ في ما وراء النهر وبلغ
باذغيس وغيرها في تاجيسكتان والصين ومات في بلخ عام ١٢٠ هجرية ومنهم محمد بن
خالد القسري أمير الكوفة في أول الخلافة العباسية (١٣٢ - ١٤١هـ) ويزيد بن جبر القسري
والي اليمن (١٩٦ - ١٩٨هـ).

[٢٨٨] - عريب - بفتح العين - بن زيد بن كهلان بن سبأ، وقول ابن خلدون «بنو ادد بن زيد بن
يشجب بن عريب» إنما هو كما في الإكليل «ادد بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان،
قاوولد ادد بن زيد: مرة، ونبتاً وهو الأشعر، ومالكاً وهو مذحج، وجلهمة وهو طيء»
[ص ٣١ ج ١٠/الإكليل].

[٢٩٩] - يقال إن الأشعر لقب بذلك لأنه ولد وكله شعر، [اهـ] وقد يكون الأصوب فيما أرى أن
اسمه يتكون من كلمتين «نبت أشعر» أو «أشعر نبت» اسم ونعت أو اسم ولقب شخصي مثل
أسماء كثير من الشخصيات والأدواء والملوك في نقوش المسند.

[٣٠٠] - قال ابن خلدون في حديثه عن «قواعد اليمن ومدنه» منها «زييد وهي من مملكة اليمن
شمالها الحجاز وغربها بحر السويس وجنوبها البحر الهندي» ويقصد زييد وأعمالها وهي
تهامة اليمن، وكان يسكن تهامة الأشعريون وعك وقبائل من قضاة وغيرهم، ولقبيلة
الأشاعر بقية بتهامة.

وقد تقدم في أخبار قضاة أنه «سارت تيم اللات من قضاة وبعض بني ربيعة منهم وفرقة من
الأشعريين نحو البحرين ونزلوا هجر» [اهـ] وكان ذلك قبل مسير مالك بن فهم وقومه من الأزد
إلى عمان والبحرين في القرن الأول ثم ساروا إلى الحيرة وساهموا في ترسيخ عروبتها القديمة.

[٣١١] - كان للأشعريين دور مجيد في ارساء دعائم الإسلام وكان منهم الصحابي عامر الأشعري
والصحابي أبو موسى الأشعري أمير البصرة وفتح أغلب مدائن فارس.

حروب مع ابن زياد لأول إمارته عليها أيام المأمون ثم ضعفوا عن ذلك وصاروا في عداد الرعايا^[٣٢٢].

وأما بنو طيء بن أدد^[٣٣٣] فكانوا باليمن^[٣٤٤] وخرجوا منه على أثر الأزدي إلى الحجاز^[٣٥٥] ونزلوا سميرا وفيد، في جوار بني أسد، ثم غلبوهم على أجا وسلمى وهما جبلان من بلادهم فاستقروا بهما^[٣٦٦]، وافترقوا لأول الإسلام في الفتوحات.

[٣٢٢] - ابن زياد هو محمد بن عبد الله بن زياد، تولى أعمال زبيد وتهامة وعسير والجند وعدن وحضرموت (عام ٢٠٤ - ٢٨٩هـ) واختط مدينة زبيد.

[٣٣٣] - اسم طيء جلهمة - كما تقدم - بن ادد بن زيد بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ونرى أيضاً أنه اسم مركب من كلمتين «طيء جلهمة» أو «جلهمة طيء»، قال المتنبى في قصيدة أشاد بها بأمير طائي:

إلى الثمر الحلو الذي طيء له فروع وقحطان ابن هود لها أصل

[٣٤٤] - ذكر ابن خلدون في الفصل الأول أنه «كانت طيء تسكن الجوف من أرض اليمن» [أهـ] وكذلك ذكر الهمداني في شرح الدامغة، وكانت الجوف منطقة شاسعة متصلة بمأرب (أرض الجنتين) وهما من مناطق سبأ (قسم مخاليف سبأ) في عصور دولة تبابعة سبأ الحميريين، وكانت بالجوف مدن زاهرة منها (يثل) و(نشق) و(قرناو). وكانت تسكن الجوف من قبائل سبأ مذحج وطيء وغيرها، فلما انتهت دولة تبابعة سبأ (٥٤٠ ق.م.) قامت بزعامة مدينة يثل (براقش) دولة معين في الجوف وتم نسبة الشعب إلى الدولة فقيل (معينيون) وهم مذحج وطيء وإخوانهم وهو ما نلمس صداه في قول الشاعر الطائي:

وأوطنٌ مِنَّا في قصور براقش إلى مأود فالكسر كسر قشاش

إلى قينان كل أغلب رائش بهاليل ليسوا بالدناة الفواحش

ولا الحلم إن طاش الحلیم بطائش

[٣٥٥] - كان مسير طيء من اليمن، إما بعد نهاية دولة تبابعة سبأ وانهيار سد مأرب العظيم الأقدم ونزوح لخم وجذام وعاملة في أواخر القرن السادس ق.م. أو القرن الخامس ق.م. وإما بعد خروج قضاة ونهاية مملكة سبأ الصرواحية عام ٤٠٠ ق.م. - وليس بعد خروج الأزدي وانهيار سد مأرب الثاني فقط - ويمكن ربط بداية انتقال طيء من اليمن بقيام مملكة معين بالسيطرة على طرق التجارة إلى العراق والشام منذ القرن الرابع ق.م.

[٣٦٦] - لم تكن بنو أسد تسكن أجا وسلمى آنذاك، ومقتضى ما ذكره ابن خلدون في الفصل الأول أن طيء أول من سكن أجا وسلمى واليامة بعد طسم وجد يس، . . وقد دلت الدراسات على أنه كما يذكر الأستاذ أحمد أمين «كانت طيء تسكن الجبلين الشهيرين أجا وسلمى، وهما المعروفان الآن بجبل شمر، وقد سكنتهما طيء قبل الإسلام بقرون واشتهر ذكرها حتى كان السريان والفرس يسمون كل العرب طيئاً» [ص٧/ فجر الإسلام]. ويقع جبل أجا وسلمى جنوبي بادية السماوة ويتميز بمناخ معتدل وأمطار وأعشاب غزيرة وتنتشر فيه قرى كثيرة.

قال ابن سعيد: ومنهم في بلادهم الآن أمم كثيرة ملأوا السهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً، يعني قبائل طيء هؤلاء، وهم أصحاب الدولة في العرب لهذا العهد في العراق والشام.

بطون ومواطن طيء [٣٧]

وبمصر منهم سنبس والثعالب بطنان مشهوران، فسنبس ابن معاوية بن شبل بن عمرو بن الغوث بن طيء، ومنهم بحتر بن ثعل. والثعالب الذين بصعيد مصر من ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيء [٣٨]. قال ابن سعيد: ومنهم زبيد بن معن بن عمرو بن عيس بن سلامان بن ثعل وهم في بركة سنجان [٣٩]، والثعالب بنو ثعلبة بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيء، وثعلبة بن ذهل بن رومان، قال ابن سعيد: ومنهم بنو لام بن ثعلبة منازلهم من المدينة إلى الجبلين، وينزلون في أكثر أوقاتهم مدينة يثرب، والثعالب الذين بصعيد مصر من ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيء. قال ابن حزم (هم) بنو لام بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعا، ومن الثعالب بنو ثعلبة بن ذهل بن رومان. وبجهة بنيامين والشام بنو صخر، ومن بطونهم غزية المرهوب صولتهم بالشام والعراق. وهم بنو غزية بن أفلت بن معبد بن عمرو بن عيس بن سلامان بن ثعل، وبنو غزية كثيرون وهم في طريق الحاج بين العراق ونجد.

[٣٧] - إن خارطة المناطق التي توطنتها وانتشرت فيها بطون وعشائر طيء تدل على العلاقة الأكيدة لذلك بالنشاط التجاري والسيطرة والإشراف على طرق القوافل التجارية منذ عصور مملكة معين وسيطرة المعينيين على طرق التجارة بالقرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي ثم استمروا وانتشروا في العصور التالية.

[٣٨] - كان للمعنيين جاليات منهم وكلاء لتجارتهم في مصر، وقد تم العثور في الجيزة بمصر على نقش معيني باسم (زيد إيل بن زيد) وكان «وكيلاً تجارياً للسفن بين اليمن ومصر كما كان يقوم بإمداد معابد مصر: بالبخور والمر والقليمة» وقد توفي كما ذكر النقش بمصر عام ٢٢ من حكم بتليمس بن بتليمس/ ويوافق عام ٦٤ قبل الميلاد.

[٣٩] - بركة سنجان في منطقة الجزيرة الفراتية بالموصل شمال العراق وجنوب سورية، وقد تقدم ما ذكره ابن خلدون عن قبائل تنوخ وقضاة التي استقرت هناك وأن منهم ملوك دولة الحضر، وذكر ابن خلدون في أخبار العرب ودولتهم بالحيرة أن في أول من استقر بالحيرة ونواحيها من العرب «قبائل من لخم وجدام وعاملة وقضاة ولحق بهم ناس من طيء والحرث بن كعب وجعفي ولحيان من جرهم وإياد فسكنوا بالحيرة والأنبار» [ص ٢٣٧ ج٢] كما سكنت عشائر من طيء باليمامة والبحرين وبالتالي على طريق التجارة إلى الحيرة وبلاد فارس.

وكانت الرياسة على طيء في الجاهلية لبني هانئ بن عمرو بن الغوث بن طيء^[٤٠]. وهم رمليون وإخوتهم جليليون، ومن ولده^[٤١] أياس بن قبيصة الذي أدال به كسرى أبرويز النعمان بن المنذر حين قتله، وأنزل طيًّا بالبحيرة مكان لحم قوم النعمان وولى على العرب منهم أياساً هذا، وهو أياس بن قبيصة بن أبي يعفر بن النعمان بن خبيب بن الحرث ابن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سعد بن هانئ^(٤١) فكانت لهم الرياسة إلى حين انقراض ملك الفرس. ومن عقب أياس هذا بنو ربيعة علي بن مفرح بن بدر بن سالم بن فضة بن بدر بن سميع، ومن ربيعة، شعب آل مراد وشعب آل فضل، وآل فضل شعبان، آل علي وآل مهنا، فعلي ومهنا ابن فضل، وفضل ومراد ابنا ربيعة، وسميع الذي يُنسبون إليه من عقب قبيصة بن أبي يعفر، ويزعم كثير من جهلة البادية أنه الذي جاءت به العباسية أخت الرشيد من جعفر بن يحيى، زعماً كاذباً لا أصل له. وكانت الرياسة على طيء أيام العبيديين لبني المفرح، ثم صارت الرياسة لبني علي وبني مهنا ابني فضل بن ربيعة اقتسموها مدة، ثم انفرد بها لهذا العهد بنو مهنا الملوك على العرب إلى هذا العهد بمشارف الشام والعراق وبرية نجد، وكان ظهورهم لعصر الدولة الأيوبية ومن بعدهم من ملوك الترك بمصر والشام، ويأتي ذكرهم، والله وارث الأرض ومن عليها.

وأما مذحج، واسمه مالك بن أدد بن زيد (بن عريب بن زيد بن كهلان بن سباء)^[٤٢]،

[٤٠] - يسجل نقش مسند معيني في عاصمة معين بالجوف [النقش رقم ٤٨٥ هاليقي] أن «بني هانئ زعماء جو (اليمامة وما يليها) قدموا قرباناً إلى معبد معين في عهد تبع كرب ملك معين بن يثع إيل ريام» [أهـ] فذلك النقش يؤكد ما ذكره ابن خلدون عن رئاسة بني هانئ لطيء وما ذكرناه بأن الطائيين كانوا من المعينيين.

[٤١] - أي من سلالة هانئ وبين أياس بن قبيصة وهانئ عشرة أجيال، وفي عصور تلك الأجيال انتهت مملكة معين (في القرن الثاني الميلادي) وهاجرت من اليمن بقية بطون طيء بعد خروج الأزد، ثم قامت دولة تبابعة حمير وبدأت ملوكية كندة بنجد والحجاز والمناذرة بالبحيرة وكان لطيء دورها واسهامها في النشاط التجاري والأحداث السياسية حتى تمليك أياس بن قبيصة الطائي بعد مقتل النعمان بن المنذر حوالي عام ٦٠٢ ميلادية كما سيأتي في حديث ابن خلدون عن ملوك الحيرة.

[٤٢] - مذحج من قبائل سبأ المذكورة في مساند عصور ملوك سبأ التبابعة الحميريين، منها النقش المسند (رقم ٦٦٥/نقوش سبائية من محرم بلقيس/البرت جام) باسم «سعد تالب بن جدن كبير أعراب. . كندة ومذحج وحررم وباهل وزيد إيل، وكل أعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمانت» في عهد «ياسر ينعم ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانت» ح/ =

فمنهم مراد واسمه يحابر بن مذحج^[٤٣]، ومنهم سعد العشيرة بن مذحج بطن عظيم لهم شعوب كثيرة، منهم جعفر بن سعد العشيرة، وزبيد بن صعب ابن سعد العشيرة، ومن بطون مذحج: النخع ورها ومسيلة وبنو الحرث بن كعب، فأما النخع فهو جسر بن عمرو وبن علة بن جلد بن مذحج، ومسيلة ابن عامر بن عمرو بن علة، وأما رها فهو ابن منبه بن حرب بن علة، وبقي من مذحج ويريه ينجعون مع أحياء طيء في جملة أيام بني مهنا مع العرب بالشام زمن أحلافهم، وأكثرهم من زبيد.

وأما بنو الحرث بن كعب، فالحرث أبوهم ابن كعب بن علة، وديارهم بنواحي نجران^[٤٤] يجاورون بها بني ذهل بن مزيقيا من الأزدي وبني حارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزدي. وكان نجران قبلهم لجرهم ومنهم

= عام ٤٢٠ للتقويم السبائي، الموافق ٨٠٠ قبل الميلاد.

كما جاء اسم (مذحج) بين القبائل التي شاركت في فتوحات أبي كرب أسعد ملك سبأ في نقش ماسل الجمح بشمال الجزيرة العربية (النقش رقم ٥٠٩ دكمانز) ح/ عام ٥٣٩ للتقويم السبائي (٦٨١ ق.م.) وكذلك في شعر منسوب إلى أسعد بالإكليل عن القبائل التي شاركت في فتوحاته يقول فيه:

ومعي قضاعتها وكنتها معاً والقلب مذحج والذري همدان

ويعد نهاية دولة تباينة سبأ وانهيار سد مأرب العظيم الأقدم (٥٤٠ ق.م.) كانت مذحج من قبائل سبأ التي بقيت باليمن وهي كما في الحديث النبوي الذي أورده ابن خلدون «مذحج وكندة والأشعريون وحمير والأزد وأنمار» وقد تقدم ذلك الحديث في الفصل الأول.

[٤٣] - كانت مراد من قبائل مذحج التي تسكن منطقة الجوف - معين - وكان لها دور قيادي في تأسيس وقيادة الدولة المعينية منذ القرن الخامس قبل الميلاد وإليه يعود النقش المسند المعيني [رقم ١ فخري ورقم ٢٩٢٩ هولمل] بموقع يثل (براقش) ويذكر النقش زعماء قبائل معين الرئيسية ومنهم زعماء «مراد - وبني هانيء - وأوس» ويبدو أن ملوك معين كانوا من بني غطيف بن مراد يحابر المعيني المذحجي، ومما يتصل بذلك في المصادر التراثية قول فروة بن مسيك المرادي:

أحلّ يحابز جدي غطيفاً معين المُلْك من دون البنينا
ومَلَكْنَا براقش دون أعلى وأنعم، إخوتي وبني أبينا

وقد استمرت الدولة المعينية حتى القرن الثاني الميلادي وآثارها بالجوف حتى اليوم.

[٤٤] - كان بنو الحرث بن كعب رأس وستام قبائل مذحج التي استقرت بنجران ونواحيها الشاسعة منذ قيام مملكة معين التي انضوت قبائل مذحج وطيء تحت لوائها. قال عبد الحرث بن زياد الحارثي:

ونحن بحمد الله هامة مذحج بنو الحرث الخير الذين هم مدر

كان ملكها الأفعى الكاهن الذي حكم بين ولد نزار بن معد لما تنافروا إليه بعد موت نزار، واسمه القلمس بن غمر ماء بن همدان بن مالك بن متتاب بن زيد بن وائل بن حمير^[٤٥] وكان داعية لسليمان عليه السلام بعد أن كان والياً لبليقيس على نجران وبعثته إلى سليمان فصدق وآمن وأقام على دينه بعد موته^(٤٥)، ثم نزل نجران بنو الحرث بن كعب بن علة بن جلد بن مذحج فغلبوا عليها بني الأفعى^[٤٦]، ثم خرجت الأزد من اليمن فمروا بهم، وكانت بينهم حروب، وأقام من أقام في جوارهم من بني نصر بن الأزد وبني ذهل بن مزيقيا واقتسموا الرياسة في نجران.

وكان من بني الحرث بن كعب هؤلاء المذحجيين وبنو زياد واسمه يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن كعب بن الحرث، وهم بيت مذحج وملوك نجران^[٤٧]،

[٤٥] - هو كما في الإكليل «أفعى نجران: القلمس بن عمرو بن قطن بن همدان بن خيار بن زيد بن وائل بن عبد شمس بن وائل سليل حمير بن سبأ» [ص ٢٠٢ ج ٨] ويتبين من نسبه في الإكليل وفي نص ابن خلدون ما يلي:

أ - أن أفعى نجران القلمس الذي كان والياً لبليقيس على نجران وآمن برسالة سليمان لم يكن من جرهم وإنما كان من سبأ، - من أبيات حمير بن سبأ - وكان في عهد بلقيس معاصرة سليمان بالقرن العاشر قبل الميلاد وقد كانت نجران من مخاليف سبأ في عصور دولة تبابعة سبأ التي استمرت حتى القرن السادس ق.م.

ب - إن حاكم نجران أفعى الجرهمي الذي حكم بين ولد نزار بن معد بن عدنان لا بد أنه شخص آخر، لأن معد بن عدنان - وكما ذكر ابن خلدون في مواضع سابقة - كان معد بن عدنان في أيام بختنصر ملك بابل، وبالتالي فإن زمن نزار بن معد واحتكام أبنائه إلى كاهن نجران الأفعى الجرهمي كان في القرن الخامس قبل الميلاد.

[٤٦] - كان نزول واستقرار بني الحرث بن كعب مع عدة عشائر مذحجية معينة بنواحي نجران في إطار ما دلت وتدل عليه الدراسات والنقوش من أنه «في القرن الرابع قبل الميلاد قام المعينيون بالسيطرة على طريق القوافل التجاري من نجران إلى الددن بأعالي الحجاز - شمالاً - ومن نجران إلى البحرين - شرقاً» [أه].

وكان نجران إقليمياً شاسعاً في إطار مملكة معين ويمتد إلى ساحل عسير بالبحر الأحمر وإلى الطائف شمالاً ووادي الدواسر وتخوم نجد في الشمال الشرقي، وكانت تسكن نجران ونواحيها ومنها عسير عدة قبائل مذحجية أهمها بنو الحرث بن كعب وبنو حكم بن سعد العشيرة وبنو مازن وجنب وجعفي وزبيد وكذلك عدة قبائل من قضاة ومن الأزد وأنمار في عصر مملكة معين (القرن الرابع ق.م. إلى القرن الثاني الميلادي) ثم عبر العصور التالية.

[٤٧] - كانت قبالة وزعامة زياد بن الحرث وقطن بن زياد على نجران ونواحيها في عصر دولة تبابعة حمير التي شملت كل اليمن بما فيها نجران ونواحيها إلى تخوم اليمامة وتخوم =

وكانت رياستهم في (بيت) عبد المدان بن الديان^[٤٨]، وانتهت قبيل البعثة إلى يزيد بن عبد المدان^[٤٩]، ووفد أخوه عبد الحجر بن عبد المدان على النبي ﷺ على يد خالد بن الوليد^[٥٠]، وكان ابن أخيهم زياد بن عبد الله بن عبد المدان خال السفاح وولاه نجران واليمامة^[٥١]، قال ابن سعيد: ولم يزل الملك بنجران في بني

= الحجاز منذ عهد تبع ملشان أريم ذي يزن وعبد كلال بن ذي رعين بالنصف الأول من القرن الرابع الميلادي، فكانت ملوكية زياد بن الحرث ثم قطن بن زياد لنجران في إطار الدولة الحميرية، - بالقرن الرابع الميلادي - وقد ذكرهما يزيد بن عبد المدان حيث قال:

أورئى زياد لنا زندا ووالدنا عبد المدان فأورئى الزند من قطن

[٤٨] - كان الديان بن قطن الحارثي من أبرز أقيال اليمن وزعيم مذحج ونجران في عهد الملك تبع حسان الثاني بن غمران (٤٣٠ - ٤٥٦م) وعهد تبع أسعد الثاني بن حسان بن غمران (٤٥٧ - ٤٧٧م) بالقرن الخامس الميلادي وتولى الديان قيادة عمليات حربية في عهدهما ضد قبائل منفردة من تغلب ومعد بشمال الجزيرة فقيل في ذلك:

يقود بها ديانها غير عاجز ثمانين ألفاً قادم من براقش
فآبوا بالفئ كاعب (مضرية) على إبل مثل الضباع النواهش

وانتقلت الزعامة بعد الديان إلى بني الديان، وكان من أولهم أنس بن الديان ثم عبد المدان بن الديان وذلك في إطار الدولة الحميرية وملوكها (شرحبيل يكمل) و(سميفع الأول) - (٤٨٠ - ٥١٤م) - وعهد يوسف أسار ذي نواس (٥١٥ - ٥٢٥م) إلى عهد سيف بن ذي يزن (٥٧٠ - ٥٩٠م) وقد طال مدة زعامة عبد المدان، ووفد إليه أمية بن أبي الصلت فدخل إلى قصره بحصن نجران وهو جالس على كرسي القبالة وبنوه حوله كأنهم كواكب، فأكرمه عبد المدان، فقال أمية بن أبي الصلت لما عاد إلى الحجاز يذكر ذلك آياتاً منها:

ولقد رأيت القائلين وفعلهم قرأيت أكرمهم بنو الديان
ورأيت من عبد المدان خلائقاً فضل الأنام بهن عبد مدان

[ص ٣٨ ج ٢ - الأمالي].

[٤٩] - كان يزيد بن عبد المدان أشهر بني عبد المدان الذين تعاقبوا على الزعامة وكان فارساً شاعراً وهو القائل:

إن تلق حني بني الديان تلقهم شم الأنوف إليهم غرة اليمن
ما كان في الناس للديان من شبه إلا رعيين وإلا أكل ذي يزن

[٥٠] - كان في وفد بني الحارث بن كعب إلى النبي ﷺ يزيد بن عبد المدان وعبد الحرث بن زياد بن أنس بن الديان وقيس بن الحصين الحارثي والمهاجر بن زياد والربيع بن زياد - وأنباء الوفد في سيرة ابن هشام ص ٢٦٥ ج ٤.

[٥١] - هو خال أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين (١٣٢ - ١٣٦ هجرية) وكان يقال له (ابن الحارثية) لأن أخواله بني عبد المدان من بني الحرث بن كعب، وكان من إعلائهم الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي أمير البحرين في خلافة عمر بن الخطاب، وكان =

عبد المدان ثم في بني أبي الجواد منهم، وكان منهم في المائة السادسة عبد القيس بن أبي الجواد^[٥٢]، ثم صار الأمر لهذا العهد إلى الأعاجم شأن النواحي كلها بالمشرق^[٥٣]. ومن بطون الحرث بن كعب بنو معقل، وهو ربيعة بن الحرث بن كعب، وقد يقال إن (بني) المعقل الذين هم بالمغرب الأقصى لهذا العهد إنما هم من هذا البطن وليسوا من معقل بن كعب القضاعيين، ويؤيد هذا أن هؤلاء المعقل جميعاً ينتسبون إلى ربيعة، وربيعة اسم معقل هذا كما رأيت والله تعالى أعلم.

وأما بنو مرة بن أدد أخوة طيء ومذحج والأشعريين فهُم أبطن كثيرة وتنتهي كلها إلى الحرث بن مرة^[٥٤]، مثل معافر وخولان ولخم وجذام وعاملة وكندة^(٥٤)

= من قادة فتح بلاد فارس ومكران وفيه قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

ومضى ربيع بالجياد مُشرقاً ينوي الجهاد وطاعة الرحمن
حتى استباح قرى السواد وفارس والسهل والأجبال من مكران

وتولى الربيع فتح وإمارة سجستان في خلافة عثمان بن عفان (٢٩ - ٣٧هـ) ثم تولى خراسان في عهد معاوية بن أبي سفيان ومات بها عام ٥٣ هجرية ومنهم كثير بن شهاب الحارثي أمير الري ودستبي بفارس (٢٢ - ٥٦هـ) وعبد الله بن قيس الحارثي قائد الأسطول البحري وأول أمير للبحر في البحر الأبيض المتوسط (٢٩ - ٥٣هـ).

(*) وقد تولى اليمن كلها في عصر الخلفاء العباسيين عدد من الولاة من بني عبد المدان، كان منهم محمد بن عبد الله بن يزيد بن عبد المدان خال أبي العباس السفاح عام ١٣٢هـ وفي إطار ولايته كان أخوه زياد عاملاً لنجران واليامة، ثم تولى اليمن علي بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان (١٣٣ - ١٣٧هـ) وعبد الله بن ربيع (١٣٧ - ١٤٢هـ) والربيع بن عبد الله بن ربيع الحارثي (١٤٣هـ) ثم (١٦٩ - ١٧٠هـ) ثم عام (١٧٥ - ٧٩هـ) في خلافة هارون الرشيد.

[٥٢] - تواصلت زعامة نجران في بني عبد المدان منذ فجر الإسلام حتى القرن السادس الهجري الذي فيه كان عبد القيس بن أبي الجواد، قال ابن المجاور الدمشقي «وآخر من تولى نجران من بني عبد المدان أخوان يقال لأحدهما القاضي والثاني القاضي، وفي عهدهم دخلت عليه يد (الإمام) محمد بن عبد الله بن حمزة لأن محمد بن عبد الله بن حمزة وأخاه أحمد تزوجا بأخوات القاضي والقاضي سنة ٦٢٣ هجرية» [انتهى].

[٥٣] - الأصوب أن الأمر صار إلى بعض الأئمة الزيديين منهم ابن حمزة كما ذكر ابن المجاور وليس العجم، ثم شملت اليمن دولة بني رسول الغساسنة وامتدت إلى مكة (٦٢٦ - ٧٥١هـ) وتواصلت إلى القرن التاسع الهجري وقد استمرت نجران ونواحيها جزءاً لا يتجزأ من اليمن عبر الأزمنة والعصور.

[٥٤] - مرة بن أدد هو - كما تقدم - مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ، قال الهمداني في الإكليل «أولد مرة بن أدد: الحارث ورهماً رهط الأنفى الكاهن الذي كان بنجران يتحاكم إليه العرب» [ص ٣٢ ج ١٠/الإكليل] وتفرعت من الحارث بن مرة بطون =

فأما معافر فهم بنو يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة^[٥٥]، وافترقوا في الفتوحات^[٥٦]، وكان منهم المنصور بن أبي عامر صاحب هشام بالأندلس^(٥٦).
وأما خولان، فاسمه أفكل بن عمرو بن مالك^[٥٧]، وعمرو أخو يعفر،

= كثيرة كما يلي في الإكليل:

- المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة
- يكلى بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة
- خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة
- زوجت بن يكلى بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة
- لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة
- جذام وهو عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة
- عاملة هو الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة
- كندة والسكون والسكاسك والصدف

[٥٥] - المعافر باسمه سميت بلاد المعافر وهي نواحي الحجرية وما جاورها بمحافظة تعز حالياً، وقد حمل اسم المعافر ثلاثة من شخصيات تاريخ اليمن القديم وهم:

أ - المعافر الأكبر بن يعفر بن قحطان، قال الهمداني في أبناء قحطان بالإكليل «قال الهيثم بن عدي: ويعفر بن قحطان، فأولد يعفر المعافر، قال الهمداني: والثبت ما ذكرنا عن أهل السجل، أنه المعافر الأكبر بن يعفر بن الحارث بن مرة بن ادد» [ص ١٩٢ ج ١] ولكن ما ذكره الهيثم بن عدي يؤيده ما جاء في التوراة أن من أبناء يقطان وهو قحطان «أوفير بن قحطان» وباسمه سمى إقليم أوفير باليمن على ساحل البحر الأحمر.

ب - الملك المعافر بن يعفر بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس، وقد ذكره ابن خلدون في ملوك حمير الأولى بالفصل الثاني والهمداني في الإكليل [ص ١٨١ ج ٨].

ج - المعافر بن يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة المذكور هنا.

وقد جاء اسم «ذو معافر» في نقوش من عصر ملوك سبأ التبابعة، في نقش من عهد الملك «مرثد الن ينوف» - عام ٦١٥ ق.م. - كما جاء في نقش من عصر الدولة الحميرية من عهد نصر يحميد بن معاهر [نقش السوا] وكان اقبال المعافر من ذي رعين في العصر الحميري وآخرهم فهد بن ذي رعين الذي كتب إليه النبي ﷺ.

[٥٦] - كان لأبناء المعافر دور في فتوح مصر والمغرب والأندلس، وكان من أبرز قادة فتح الأندلس طريف بن مالك المعافري وباسمه سمي (رأس طريف Cape Tarifa) أما المنصور بن أبي عامر فتاريخه مشهور.

[٥٧] - القول بأن «خولان اسمه أفكل» ينطبق عليه رأينا السالف عن الأسماء المركبة من كلمتين

فيكون اسمه (خولان أفكل) أو (أفكل خولان) وقد ميّز الهمداني في الإكليل بين:

أ - خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير، وهم قبائل خولان بصعدة ونواحيها.

ب - خولان العالية وهم قبائل خولان الساكنة ما بين صنعاء ومأرب، فقال الهمداني: خولان =

وبلادهم في جبال اليمن من شرقيه^[٥٨]، وافترقوا في الفتوحات، وليس منهم اليوم وبرة إلا باليمن، وهم لهذا العهد وهمدان أعظم قبائل العرب باليمن، ولهم الغلب على أهله والكثير من حصونه^(٥٨).

وأما لخم واسمه مالك بن عدي بن الحرث بن مرة، فبطن كبير مُتسع ذو شعوب وقبائل^[٥٩]، منهم الدار بن هاني بن حبيب بن نمارة بن لخم، ومن

= العالية من ولد خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن ادد الكهلاني (ص ٢٨٠ ج١/الإكليل) وهو خولان أفكل بن عمرو بن مالك في نص ابن خلدون. وانتقد محمد بن نشوان الحميري تقسيم الهمداني لنسب خولان صعدة وخولان العالية قائلاً «وهذا خلاف ما عليه خولان العالية، فهم من أول الدهر إلى آخره ينتسبون إلى حمير، ولا يتكروا اخوتهم من خولان بن عمرو بن الحاف بحقل صعدة ونواحيه، وإنما قيل خولان العالية للفرق بين البلاد لا الفرق بين النسب، كما يقال: أزد شنؤه وأزد عُمان، وطيء السهل وطيء الجبل، وغير ذلك» [ص ٢٨٠ ج١/الإكليل] وتؤيد القرائن صواب واحدة نسب خولان صعدة وخولان العالية وإنهم جميعاً من حمير من قضاة بن مالك بن حمير.

ج - خولان رداع، ذكر الهمداني في حديثه عن قبائل قحطان «يكلى الكبرى، وخولان، خولان رداع» [ص ٢١٢ ج١/الإكليل] وقال الاكوع في تعليقه على النص «خولان رداع لا تعرف اليوم» [انتهى]. وجاء في نقوش المسند لبني معاهر في المعسال - ردمان بمحافظة البيضاء قرب رداع - لقب بني معاهر بأنهم «أقيال ردمان وخولان» وتكرر ذلك في عشرات النقوش، فأولئك هم خولان المشار إليهم في الإكليل بأنهم (خولان رداع) ونرى أنهم الذين من بني عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن ادد سليل كهلان بن سبأ.

[٥٨] - بلاد خولان بصعدة ونواحيها (بمحافظة صعدة) وما بين صنعاء ومأرب (بمحافظة صنعاء ومحافظة مأرب) حتى اليوم، قال نشوان بن سعيد الحميري في القرن السادس الهجري ذكراً لإياهم:

بصعدة من أولاد خولان سبعة	أحلهم فيها القنا والصفائح
صحار، ورشوان، وحي، وهانيء	وازمع أيضاً، ثم سعد، ورازح
وإخوتهم ما بين صنعاء ومأرب	معايشة أوطانهم والمسارح
حبيب، وذكرا، وعمرو، وأصهب،	وقيس جميعاً، والنبيت الجحاجح
بنو القرم خولان ليوث قضاة	بني حمير إن صاح بالجد صائح

[٥٩] - لخم من قبائل سبأ الأربع التي نزحت من اليمن بعد نهاية دولة تبابعة سبأ وانهيار سد مأرب العظيم الأقدم، وفي موجات الهجرة التي تلت ذلك كما في الحديث الذي أورده ابن خلدون أنه تشامت من سبأ أربع قبائل: لخم وجدام وعاملة وغسان. فانقسمت لخم إلى فرقتين.

أ - فرقة سكنت الشام مع جذام وعاملة حيث «كان للخم ومن يخالطها ما حول الرملة إلى نابلس، وللخم أيضاً ما جاز تبوك إلى زُغر ثم البحيرة الميتة التي يرمي فيها وادي اليرموك»

أكبرهم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن عمم بن أنمارة بن لخم، ويقال نمارة، وهم رهط آل المنذر، وحافده عمرو بن عدي بن نصر هو ابن أخت جذيمة الوضاح الذي أخذ بثأره من الزباء قاتلته^[٦٠]، وولى الملك على العرب للاكاسرة بعد خاله جذيمة وانزلوه بالحيرة حسبما يأتي الخبر عن مُلكه وملك بنيه^[٦١]. ومن شعوب بني لخم هؤلاء كان بنو عباد ملوك أشبيلية^[٦٢].

وأما جذام واسمه عمرو بن عدي، أخو لخم بن عدي، فبطن متسع له شعوب كثيرة مثل غطفان وأفصي وبنو حرام بن جذام^[٦٣] وبنو ضبيب وبنو مخرمة وبنو نفاثة، وديارهم حوالى أيلة من أول أعمال الحجاز إلى الينبع بين أطراف يثرب^(٦٣)، وكانت لهم رياسة في معانٍ وما حولها من أرض الشام لبني النافرة من

= ونهر الأردن. . وكانت للخم أيضاً مساكن في الجولان وما يليها وفي حوران والبثنية ومدينة نوى وجبال الشراة وفي شقص من أرض حوران» [ص ٢٧٣ صفة جزيرة العرب للهمداني] وكذلك «كان من لخم بنو راشدة بالبقارة والواردة والعريش مخالطين لبني بياضة من جذام» [هاه] قال حسان بن جيشان الحميري يذكر لخمًا الذين بالشام:

وحلّت جذام حيث حلت وشاركت هنالك لخمًا في العلا والتجبر

ب - الفرقة الثانية من لخم ساروا إلى العراق وتوطنوها منهم بنو نمارة بن لخم، قال حسان بن جيشان:

وقد نزلت منّا قضاة منزلاً بعيداً فأمتست في بلاد الصنوبر
ولخم فكانت بالعراق ملوكها وقد طَحَرَت من عاها كل مطحر

[٦٠] - في هذا النص نظر واضطراب، وقد كان عمرو بن عدي بن نصر ابن أخت جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي الذي قتلته الزباء - كما سيأتي - وهو غير جذيمة الوضاح، قال نشوان الحميري:

وجذيمة الزباء غير جذيمة الوضاح عن علم وعن اصحاح

[٦١] - نبأ ملوكية عمرو بن عدي اللخمي على العرب بالحيرة والعراق سيأتي في الفصل السابع.

[٦٢] - بنو عباد اللخميون ملوك أشبيلية بالأندلس منهم عباد بن محمد اللخمي (توفي ٤٦١هـ) والمعتمد بن عباد اللخمي الذي شمل حكمه أغلب الأندلس (٤٦١ - ٤٨٤هـ)، وللمعتمد بن عباد تاريخ مشهور، ودام حكم بني عباد لأشبيلية (٤١٤ - ٤٨٤هـ).

[٦٣] - جاء اسم بني حرام في النقش المسند السبائي (رقم ٦٦٥ - نقوش سبائية من محرم بلقيس) باسم «سعد تالب بن جدن كبير أعراب كندة ومذحج وحرام وباهل وزيد أيل» في عهد ياسر يتعم الثاني (ح/ عام ٨٠٠ ق.م).

وقد انتقلت جذام من اليمن بعد نهاية دولة تبابعة سبأ وانهيار السد الأقدم، بالقرن الخامس قبل =

نفاثة^[٦٤] ثم لفروة بن عمرو بن النافرة منهم وكان عاملاً للروم على قومه وعلى من كان حوالى معانٍ من العرب، وهو الذي بعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء وسمع بذلك قيصر فأغرى به الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان فأخذه وصلبه بفلسطين^(٦٤)، وبقيتهم اليوم في مواطنهم الأولى في شعبيين من شعوبهم، يعرف أحدهما: بنو عائد، وهم ما بين بلبيس من أعمال مصر إلى عقبة أيلة إلى الكرك من فلسطين، وتعرف الثانية: بنو عقبة، وهم من الكرك إلى الأزم من برية الحجاز، وضمان السائلة ما بين مصر والمدينة النبوية إلى حدود غزة من الشام، وغزة من مواطن جرم إحدى بطون قضاة كما مر، وبأفريقية لهذا العهد منهم وبرية كبيرة ينتجعون مع ذياب بن سليم بنواحي طرابلس.

وأما عامله، واسمه الحرث بن عدي، وهم أخوة لخم وجذام، وإنما سُمي الحرث عامله بأمه القضاعية^[٦٥]، وهم بطن مُتسع، ومواطنهم بيرية الشام^[٦٦]،

= الميلاد، وهو الزمن الذي تحددت الدراسات لهجرة الانباط من جنوب الجزيرة العربية إلى تلك المناطق التي سكنتها جذام «حوالى أيلة/العقبة/.. الخ» وفي «معان وما حولها من أرض الشام» و«من الكرك.. إلى حدود غزة من الشام» مما يدل على أن جذام هم الذين شاعت تسميتهم في الدراسات المعاصرة باسم الانباط.

[٦٤] - ذكر الهمداني أنه «كان لجذام ما بين مدين إلى تبوك فإلى أذرح» - أي البتراء المجاورة لمعان - كما كانت من جذام قبائل في «البيقارة والواردة والعريش وغزة.. وفيما يلي طبرية إلى اللجون واليامون فإلى ناحية عكا» وكان من جذام أيضاً «بنو حدس في جرش بالأردن وبنو جفال أهل منطقة إرم بالأردن» فتلك المدن والمناطق وبصفة خاصة رياسة جذام في معان وأذرح وعاصمتها البتراء يدل على أن جذام كانوا ملوك دولة البتراء التي توصف بإنها نبطية، وكانت ملوكيتهم في إطار سلطة الرومان منذ القرن الثاني ق.م. ثم استقل الملك الحارث الثالث بملوكية البتراء وأغلب الشام حتى أحاط بدمشق عام ٨٤ ق.م. حتى الاجتياح الروماني للشام عام ٦٤ ق.م. فدخل الحارث الرابع في سلطان الرومان واستمرت ملوكيتهم لمعان والبتراء وما حولها كولاية للرومان وكان آخرهم فروة الجذامي.

(*) وكان من أمراء الشام بعد الإسلام روح بن زنباع الجذامي أمير فلسطين، وقال جميل بن معمر العذري:

جذام سيوف الله في كل موطن إذا أزمست يوم اللقاء إزام
هم منعوا ما بين مصر فذي القرى إلى الشام من حل به وحرام
إذا قصرث يوماً أكف قبيلة عن المجد نالته أكف جذام

[٦٥] - اسم عاملة الحارث، والأرجح أنه اسم مركب من كلمتين «عاملة الحرث» أو «الحرث عاملة» وهو ابن «عدي بن الحارث بن مَر بن أد بن زيد بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سباء».

[٦٦] - انتقلت قبيلة عاملة من اليمن إلى الشام مع جذام ولخم وكذلك تنوخ من بطون قضاة =

«وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام في بني الضرب بن حسان من بني عاملة، وكان آخرهم ملكاً الزبء بنت عمرو بن السميدع، فلما هلكت الزبء وانقرض أمر بني الظرب بن حسان، ملك أمر العرب تنوخ من بطون قضاة» [٦٧].
وأما كندة، واسمه ثور بن عفير بن عدي [٦٨]، وعفير أخو لخم وجذام،

= وغيرهم من بطون قضاة، فسكنت عاملة - كما ذكر ابن خلدون هنا - «في برية الشام» - أي بادية الشام - ثم انتشروا كما يتبين في خبر بني الضرب بن حسان إلى «مشارف الجزيرة الفراتية وأعلى الفرات وبالمضيق بين الخابور وقرقيسيا» وشملت مواطن عاملة «ديار عاملة المجاورة لنهر الأردن، وجبل عاملة المشرف على طبرية وعكا من قبل البحر ونحو البحر» [ص ٢٧٣ صفة جزيرة العرب للهمداني].

وكان من عاملة عشائر بدمشق منهم عدي بن الرقاع العاملي، كان من وجوه وشعراء الشام في عهد معاوية بن أبي سفيان، وهو القائل في أبيات بالإكليل (ص ٢٣١ ج١):
قحطان والدنا الذي ندعى له وأبو خزيمه مدرك ابن نزار

[٦٧] - أورد ابن خلدون هذا النص عن ملوكية بني الظرب بن حسان في الخبر عن أبناء جفنة ملوك غسان بالشام (ص ٢٧٨ ج٢) ورأينا تقديمه هنا ليتكامل الخبر عن عاملة، فقد كانت فيهم ملوكية ورياسة العرب في سورية ومنطقة الجزيرة الفراتية ربما منذ القرن الثالث قبل الميلاد، ثم في ظل سلطة الرومان إلى عهد الملكة الزبء، وقد شاع في الدراسات المعاصرة أن الزبء هي «زنوبيا ملكة تدمر والشام حتى الغزو الروماني عام ٢٧٤م» - في القرن الثالث الميلادي - ولكن ما جاء في تاريخ ابن خلدون يدل على أن الملكة الزبء غير الملكة زنوبيا كما سيأتي في الفصل التالي.

[٦٨] - كندة من القبائل اليمينية السبائية المشهورة، وكان لكندة دور بارز في تاريخ اليمن الحضاري القديم منذ عصور دولة تبابعة سبأ إلى عصور الدولة الحميرية كما تؤكد ذلك نقوش المسند ومنها:

أ - في نقوش وعصور ملوك سبأ التبابعة، يذكر النقش المسند (رقم ٥٧٦ جام من محرم بلقيس) اسم «مالك ملك كندة وكبار قبيلة كندة، وإنهم ضمنوا امرأ القيس بن عوف ملك خصاصتن [بوسط الجزيرة العربية] في عهد البشرح يحضب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذوي ريدان» وما حدث بسبب ذلك. والنقش (٦٦٥ جام/ من محرم بلقيس) باسم (سعد تالب كبير أعراب كندة ومذحج . الخ) في عهد ياسر ينعم الثاني ملك سبأ . الخ. (بالقرن الثامن ق. م). والنقش (٥٠٩ ركمناز/ بماسل الجمح شمال الجزيرة) عن مشاركة كندة في فتوح أبي كرب أسعد ملك سبأ (بالقرن السابع ق. م). وكانت كندة في تلك العصور تشرف على مراكز النشاط التجاري بوادي الدواسر (قرية/ الفاو) على طريق التجارة إلى العراق.

ب - في عصر الدولة المعينية (القرن الرابع ق. م. إلى القرن الثاني الميلادي) ساهت كندة في سيطرة مملكة معين على النشاط التجاري وطرق القوافل التجارية في شمال الجزيرة، وخاصة أن (قرية/ ألفاو) بوادي الدواسر كانت كندية.

ج - في عصر دولة تبابعة حمير، يسجل نقش عبدان الكبير مساهمة كندة في حضرموت =

وتعرف (باسم) كندة الملوك، لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان كما نذكر، وبلادهم بجبال اليمن مما يلي حضرموت، ومنها دمون التي ذكرها امرؤ القيس في شعره^[٦٩]، وبطونهم العظيمة ثلاثة:

معاوية بن كندة، ومنه الملوك، بنو الحرث بن معاوية الأصغر ابن ثور بن مرتع بن معاوية، والسكون وسكسك (ابنا أشرس بن كندي)^[٧٠] ومن السكون بطن تجيب، وهم بنو عدي وبنو سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون، وتجب اسم أمهما^[٧١]. وكان للسكون ملك بدومة الجندل، وكان عليها عبد المغيث بن أكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن أمي بن معاوية بن حلاوة بن أمامة بن شكامة بن شبيب بن السكون^[٧٢]، بعث إليه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك خالد بن الوليد فجاء به أسيراً وحقق ﷺ دمه وصالحه على الجزية وردّه إلى موضعه^[٧٣].

= والمشرق في قيام دولة تبابعة حمير بزعامة ملشان أريم وعمليات عهده بشمال الجزيرة، والنقش مؤرخ بعام ٤٦٠ حميري (٣٥٥ ميلادية) وبذلك بدأت ملوكية حجر آكل المرار وكندة بشمال الجزيرة وتواصلت - كما سيأتي - حتى القرن السادس الميلادي.

[٦٩] - كانت بلاد كندة في حضرموت ونواحيها وقد ذكرها الهمداني بالتفصيل في الإكليل (ج١) ومنها دمون المذكورة في قول امرئ القيس:

تطاول الليل علينا دمون دمون إننا معشر يمانون

[٧٠] - جاء في كتاب تاريخ ابن خلدون المطبوع النص كما يلي «والسكون وسكسك وابنهما اشرس بن كندة» [ص ٢٥٧ ج٢] وهو تصحيف، فالصواب كما في الإكليل أنه «أولد عفير بن عدي كنديا، فأولد كندي معاوية واشرس، فأولد اشرس السكون والسكاسك، وأولد معاوية بن كندي مرتعاً وهو عمرو، فأولد مرتع ثوراً وهو كندة ومالكاً وهو الصدف» (اه) فالسكون والسكاسك كانوا يسكنون الجند ونواحيها (بمحافظة تعز ولحج حالياً) وكندة والصدف كانوا بشبوة وحضرموت.

[٧١] - كان لقبيلة تجيب دور في فتح مصر وترسيخ عربيتها فاستقروا بها وكان منهم والي مصر حسان بن العتاهية التجيبي (١٢٧هـ).

[٧٢] - تقدم ما ذكره ابن خلدون أن دومة الجندل وتبوك - بأعالي الحجاز - كان ملكها القبيلة كلب من قضاة يتداولونه مع السكون من كندة، وكان أكيدر بن عبد الملك من ذرية الملوك الذين ولاهم التبابعة على كلب ودومة الجندل، (منذ عهد تبع ملشان وحجر آكل المرار بالقرن الرابع الميلادي فاستمرت الملوكية فيهم حتى فجر الإسلام).

[٧٣] - كان (ابن) أكيدر بن عبد الملك آخر ملوك دومة الجندل حتى جاء الإسلام، ولم يكن بدومة الجندل من السكون سوى أسرته الحاكمة، أما سائر قبيلة السكون والسكاسك فكانوا باليمن وساهموا في فتوح الشام ومصر، وكان منهم معاوية بن حديج السكوني والي مصر (عام ٥٧ - ٥٥هـ) وله دور كبير في مصر وفي فتوح أفريقية وتولاها (عام ٤١ - ٤٣هـ) =

ومن معاوية بن كندة بنو حجر بن الحرث الأصغر بن معاوية بن كندة، منهم حجر
 أكل المرار بن عمرو بن معاوية وهو حجر أبو الملوك من كندة الذين يأتي ذكرهم.
 والحرث الولاء أخو حجر، وكان من عقبه الخارجين باليمن المسلمين، طالب
 الحق وكان أباضياً وسيأتي ذكره، ومنهم الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن
 معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحرث الأكبر، جاهلي
 إسلامي^[٧٤]، وابنه محمد بن الأشعث^[٧٥]، وابنه عبد الرحمن بن الأشعث القائم
 على عبد الملك والحجاج وهو مشهور^(٧٥)، وابن عمهم أيضاً ابن عدي وهو
 الأدبر بن عدي بن جبلة له صحبة فيما يقال وهو الذي قتله معاوية على الثورة
 بأخيه زياد وخبره معروف^[٧٦]. هذه قبائل اليمن من قحطان استوفينا ذكر بطونهم
 وأنسابهم، ونرجع الآن إلى ذكر من كان الملك (فيهم) منهم بالشام والحجاز
 والعراق، حسبما نقصه، والله تعالى المعين بكرمه لا رب غيره ولا خير إلا خيره.

= يزيد السكوني أمير حمص ومعاوية بن الحصين السكوني أمير حمص ويزيد السكسكي أمير
 السند (٩٦هـ) والضحاك بن وائل السكسكي والي اليمن (عام ١٢٦ - ١٢٧هـ) وعبد الله بن
 عبد الرحمن السكوني والي مصر (١٥٢ - ١٥٥هـ) ثم أخوه محمد والي مصر (١٥٥ - ١٦١
 هجرية).

[٧٤] - كان الأشعث بن قيس وأبوه قيس بن معد يكرب من ملوك اليمن بمنطقة حضرموت قبل
 الإسلام، وفيه قيل:

لست كالأشعث المعصب بالتاج غلام ساد وهو فطيم
 جده أكل المرار، وقيس خطبه في الملوك خطب عظيم

وكان الأشعث من الصحابة ومن قادة فتوح العراق واذربيجان وتولى إمرة أذربيجان إلى عام
 ٣٧هـ.

[٧٥] - محمد بن الأشعث الكندي من قادة وأمراء العراق، أما عبد الرحمن بن الأشعث الكندي
 فكان من عظماء القادة والأمراء ثم ثار وخلع عبد الملك بن مروان والحجاج الثقفي وبويع
 بالخلافة ونودي بناصر المؤمنين (٧٩ - ٨٣هـ) وله تاريخ مجيد.
 [٧٦] - هو حجر بن عدي الكندي وأخباره في كتاب الأغاني وكتب التاريخ.

قبائل اليمن من قحطان الذين كان الملوك فيهم بالعراق والحجاز والشام^(١) النخبر عن ملوك الحيرة من آل المنذر من هذه الطبقة وكيف انساق الملوك إليهم ممن قبلهم وكيف صار إلى طيء من بعدهم

أما أخبار العرب بالعراق في الجيل الأول وهم العرب العاربة فلم يصل إلينا تفاصيلها وشرح حالها، إلا أن قوم عاد والعمالقة ملكوا العراق^[٢] والمسند في بعض الأقوال أن الضحاك بن سنان منهم.

وأما في الجيل الثاني من العرب (وهم العرب المستعربة)^[٣] فلم يكن لهم به مستبد وإنما كان ملكهم به بدوياً ورياستهم في أهل الطواعن، وكان ملك العرب كما مر في التبابعة من أهل اليمن^(٣).

[١] - أخذنا عنوان هذا الفصل من قول ابن خلدون في نهاية الفصل السابق «هذه قبائل اليمن من قحطان استوفينا ذكر بطونهم وأسابهم، ونرجع الآن إلى ذكر من كان الملك فيهم منهم بالشام والحجاز والعراق» (أه ص ٢٥٧).

[٢] - لقد بات معروفاً وثابتاً في كتب ودراسات التاريخ القديم والأمم السامية أن عدة موجات من قبائل جنوب الجزيرة العربية هاجرت من اليمن إلى العراق والشام وأسست فيها الممالك والحضارات وكان منهم الأكاديون وأشور وقبائل من كنعان والعمالقة (عام ٣٥٠٠ ق.م) وأسس الأكاديون مملكة وحضارة مشهورة بالعراق في الفترة (٢٧٥٠ ق.م - ٢٢٥٠ ق.م) كما أسس العمالقة الكنعانيون مملكة أيبلا بالشام (٢٤٠٠ - ٢٢٠٠ ق.م). ثم كانت الموجة الرئيسية الثانية من جنوب الجزيرة العربية هجرة القبائل التي اشتهرت في الدراسات باسم (الأموريين) (ح/ ٢١٥٠ ق.م). وفي عهد (شمس عاد بن المبلاط ملك سبأ وابنه شداد بن شمس عاد باني مدينة إرم ذات العماد) - بالقرن الثامن عشر ق.م. كما تقدم - فأولئك الأموريون هم المقصودون بملوكية قوم عاد للعراق والشام وكان منهم حمورابي ملك بابل (١٧٩٢ - ١٧٤٩ ق.م). وقد استمرت ممالك الأموريين في الشام والعراق إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد (١٥٩٥ ق.م) فأولئك هم الجيل الأول من العرب العاربة الذين ملكوا الشام والعراق، ويلحق بهم الأراميون كما سيأتي.

[٣] - المقصود الجيل الثاني من العرب العاربة، وقد تقدم قول ابن خلدون عن طبقة الجيل الثاني «يعرف هذا الجيل باليمينية والسبائية» فهم ليسوا مستعربة وإنما هم من العرب العاربة =

وكانت بينهم - (أي ملوك اليمن التابعة) - وبين فارس حروب وربما غلبوهم على العراق وملكوه أو بعضه كما مر^[٤٤] «أنه: لما استفحل الملك للعرب في الطبقة الأولى للعمالقة - وعاد -، وفي الثانية للتبابعة وكان ذلك عن كثرتهم فكانوا منتشرين لذلك العهد باليمن والحجاز ثم بالعراق والشام^[٥٥]».

وقال الطبري: إن تبعاً أبا كرب لما غزا العراق أيام اردشير بهمن^[٦٦] كانت طريقه على جبل طيء ومنه إلى الأنبار وانتهى إلى موضع الحيرة ليلاً فتحير وأقام فسمي المكان الحيرة ثم سار لوجهه وخلف هنالك قوماً من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاة، ووطنوا بها وبنوا، ولحق بهم ناس من طيء وكلب والسكون وإياد والحارث بن كعب فكانوا معهم.

= كما سلف التبيين، وقد حدد ابن خلدون هنا إطاراً زمنياً لطبقة الجيل الثاني بقوله «وكان ملك العرب في التبابعة من أهل اليمن» يعني ملوك سبأ التبابعة الحميريين وعصورهم التليدة. [٤٤] - قول ابن خلدون هنا «وملكوه أو بعضه كما مر» [ص ٢٥٩] استلزم أن نورد هنا بعد كلمة (كما مر) ما ذكره ابن خلدون في مقدمة حديثه عن قبائل الطبقة الثالثة من العرب (ص ٢٣٧) لأنه المقصود بقوله هنا (كما مر) ولم يسبق إيراد ذلك وهو قوله «لما استفحل الملك للعرب.. الخ» التقويس.

[٥] - وكان منهم الأراميون، وقد ذكرهم ابن خلدون قائلاً «وكان بأرض بابل إلى الموصل بني إرم بن سام الذين كانوا ملوكاً بدمشق وقيل لها من أجلهم دمشق إرم، وهم من بقايا العرب الأولى» [ص ٢٣٨] وقد أسلفنا الإشارة في الفصل الثاني إلى أن الأراميين (الأرميين) انتقلوا من اليمن وعاصمتها القديمة إرم في أول عصور تبابعة سبأ بتوجيه الملك تبع الرايش الأول (١٤٧٠ - ١٤٣٢ ق.م). ثم تبع الرايش الثاني (١٢٢٠ - ١١٨٠ ق.م). في إطار تأسيس المستوطنات والقواعد التجارية ويسط السيادة العربية القديمة، وتقرر دراسات العصور القديمة والأمم السامية «أن الأراميين جاؤوا من جنوب الجزيرة العربية في أعداد ضخمة قوية فاجتاحوا بلاد بابل وأشور وتدفقوا منها إلى سورية وبلغوا البحر المتوسط، وأصبحت دمشق عاصمة لهم منذ عام ١٢٠٠ ق.م. وأسسوا الممالك في أرجاء سورية إلى أضنة وفي بلاد بابل وغيرها.. وأن سبب هجرتهم قد يكون قيام دولة كبرى جنوب الجزيرة العربية» [ص ١١٤/الأمم السامية - حامد عبد القادر] وتلك الدولة هي دولة تبابعة سبأ. وقد تم تعزيز تلك الموجة الأرامية بموجة من القبائل اليمنية السبائية منهم (كلدة) في فتوح عهد شمر يرعش (٨٣٤ - ٨١٠ ق.م).

[٦] - تقدم قول ابن خلدون أن أبا كرب أسعد كان على عهد يستاسب من ملوك الفرس الكيانية وحفاده أردشير، ويوافق ذلك القرن السابع قبل الميلاد، وتمركز أبو كرب أسعد في بابل ومنها اجتاحت بلاد فارس وغيرها لإعادة تأسيس وتأمين المستوطنات والقواعد التجارية والطرق التجارية، وأوطن أبو كرب أسعد قبائل من قومه في بلاد بابل وفي أشور - الموصل والجزيرة - وفي الشام وغيرها وكان عهد أبي كرب أسعد (٧٠٠ - ٦٦٩ ق.م) كما تقدم.

وقيل، وهو قريب من الأول، خرج تُبِع في العرب حتى تحيَّروا بظاهر الكوفة فنزل بها ضعفاء الناس فسميت الحيرة، ولما رجع ووجدهم قد استوطنوا تركهم هنالك وفيهم من كل قبائل العرب من هذيل ولخم وجعفي وطيء وكلب وبني لحيان من جرهم^[٦]. فلما تقلص ملكهم^[٧] وكانوا بالعراق منهم بقية أقاموا ضاحين من ظل الملك^[٨] لكن اليمن لم يغبوا ثانياً على ما ملكوا منه، وقد مرَّ إيقاع بختنصر وإثخانته فيهم كما تقدم^[٩].

وكان في سواد العراق وأطراف الشام والجزيرة^[١٠]، الأراميون من بني إرم بن سام، ومن كان من بقية عساكر ابن تُبِع من جعفي وطيء وكلب وتميم وغيرهم من جرهم^[١١]، ومن نزل معهم بعد ذلك من تنوخ ونمارة بن لخم، وقص بن معد ومن إليهم كما قدمنا ذكر ذلك^[١٢].

[٧] - تقلص مُلك دولة تبابعة سبأ بعد عهد أبي كرب أسعد (٧٠٠ - ٦٦٩ ق.م) وابنيه حسان وشرحبيل بن أسعد (٦٦٩ - ٦٢٧ ق.م). ومما يتصل بذلك ما دلت عليه النقوش من أنه - كما يذكر د. عدنان ترسيسي - «كانت منطقة الفرات السفلى ومعان بحوزة سبأ إلى عام ٦٤٠ قبل الميلاد» [ص ١٣٤ ترسيسي] وكذلك سيطرة دولة بابل الكلدانية على العراق والشام في عهد نبوخذ نصر ملك بابل (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م). وغزواته إلى شمال وشرق الجزيرة العربية في عهد ذرا - امر - بن حسان (٦٠٤ - ٥٨٩ ق.م) ومعد يكرب بن حسان آخر تبابعة سبأ كما تقدم.

[٨] - انتهى هنا ما استلزم إيراده من (ص ٢٣٧) بسبب قول ابن خلدون «كما مرَّ» ويتواصل السياق الأول بقوله «لكن اليمن... الخ». (ص ٢٥٩) وقد انتهت دولة تبابعة سبأ عام ٥٤٠ ق.م. كما تقدم في الفصل الثالث.

[٩] - سقطت دولة بختنصر (نبوخذ نصر) البابلية الكلدانية (العربية الأرامية الأصل) بيد الفرس وملكهم كورش عام ٥٣٩ ق.م وبدأ بذلك الاحتلال والحكم الفارسي الأخميني للعراق والشام ومصر حتى انتهت تلك المملكة الفارسية على يد الإسكندر المقدوني اليوناني (ت ٣٢٣ ق.م). [١٠] - أي بعد نهاية دولة تبابعة سبأ ودولة بابل الكلدانية في أواخر القرن السادس ق.م واحتلال المملكة الفارسية الأخمينية للعراق، حيث كانت بالعراق قبائل أرامية عربية من الطبقة الأولى وبقية العساكر والقبائل الذين توطنوها في عهد أبي كرب أسعد وابنه، فأقاموا بالعراق ضاحين من ظل الملك.

[١١] - أسماء القبائل المذكورة هنا وفي النصوص السابقة أنهم سكنوا العراق في عهد أبي كرب أسعد ليست أسماء دقيقة، فقد تداخل خبرها مع خبر من لحق بها من القبائل اليمنية في القرون اللاحقة.

[١٢] - تقدم ذكر ذلك في مواضع متفرقة غير مترابطة وبالفصل السابق، وكان منهم: أ - قبائل من لخم وجذام وعاملة هاجرت بعد نهاية دولة تبابعة سبأ في القرن الخامس قبل الميلاد.

=

وكان ما بين الحيرة والفرات إلى ناحية الأنبار موطن لهم، وكانوا يسمون عرب الضاحية.

وكان أول من ملك منهم في زمن الطوائف^[١٣] مالك بن فهم بن تميم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن قضاة وكان منزله مما يلي الأنبار^[١٤].

= ب - قبائل من قضاة أخذت تنتقل من اليمن بعد نهاية دولة سبأ الصرواحية عام ٤٠٠ ق.م. ج - قبائل معينة انتقلت من اليمن في إطار سيطرة مملكة معين على طرق القوافل التجارية منذ القرن الرابع ق.م. ومنهم طيء وجعفي ومن لحق بهم من السكون والحريث بن كعب ولحيان بن جرههم وإياد ثم من الأزدي في القرن الأول.

[١٣] - المقصود بزمن الطوائف هنا زمن ملوك الطوائف الفرس البرثيين وقد بدأت دويلاتهم في بلاد فارس بعد تقلص سلطة اليونان السلوقيين عن فارس والعراق في القرن الثالث قبل الميلاد واستمر زمن ملوك الطوائف في بلاد فارس حتى قيام المملكة الفارسية الساسانية في القرن الثالث بعد الميلاد (عام ٢١٥م).

كذلك يقال للدويلات والممالك اليمنية التي قامت في اليمن بعد نهاية دولة تباينة سبأ في القرن الخامس قبل الميلاد وتواصلت حتى قيام دولة تباينة حمير في القرن الثالث الميلادي، يقال لها زمن ملك الطوائف، كما في قول علقمة بن ذي جدن في أبيات بالإكليل عن الدهر أنه:
أردى أبا كسرب وأردى بعده ملك الطوائف

أي حكام دويلات وممالك مكربية سبأ وممالك معين وقتبان وأوسان وحضرموت وبني معاهر لأن كلاً منها كان يحكم قسماً من اليمن، وتعاصرت أغلبها حتى قيام دولة تباينة حمير التي شملت كل اليمن بزعامة ملشان عام ٢٧٥م.

[١٤] - ذكر ابن خلدون في مقدمة حديثه عن الطبقة الثالثة عن هشام بن محمد الكلبي أنه «أقبل من تهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فهم بن تميم الله بن أسد بن وبرة من قضاة في جماعة من قضاة والحنفارة بن الحبق في قنص بن معد ولحق بهم غطفان بن عمرو الأيادي، واجتمعوا بالبحرين (وبها قوم من الأزدي وغيرهم)، وتحالفوا على المقام والتناصر وأنهم يد واحدة وكان هذا الاجتماع والحلف أزمان الطوائف، فتطلعت نفوس العرب بالبحرين إلى ريف العراق وطمعوا في غلب الأعاجم عليه أو مشاركتهم فيه واهتبلوا الخلاف الذي كان بين الطوائف، وأجمع رؤسائهم المسير إلى العراق فسار منهم الأول الحنفاء بن الحبق في أشلاء قنص ومن معهم فوجدوا بأرض بابل إلى الموصل بني إرم بن سام وهم من بقايا العرب الأولى فوجدوهم يقاتلون ملوك الطوائف (الفرس) فدفعوهم عن سواد العراق فارتفعوا عنه، ثم طلع مالك بن فهم بن تميم الله في قضاة وغطفان الأيادي فيمن معهم من غطفان وحلفائهم بالأنبار وكلهم تنوخ فغلبوا بني إرم ودفعوهم عن جهات السواد، وجاء على أثرهم نمارة بن قيس ونمارة بن لخم ونجدة من قبائل كندة فنزلوا الحيرة وأوطنوها. . ونزل كثير من تنوخ ما بين الحيرة والأنبار. . وأول من ملك من العرب أزمان الطوائف مالك بن فهم القضاعي» [ص ٢٣٨].

وملك من بعده أخوه عمرو بن فهم .

ثم ملك من بعدهما جذيمة الأبرش اثنتي عشرة سنة، وقد تقدم أنه صهرهما، وأن مالك بن زهير بن عمرو بن فهم زوجة أخته، وصاروا حلفاء مع الأزدي من قوم جذيمة، ونسب جذيمة في الأزدي إلى بني زهران ثم إلى دوس بن عدنان بن عبد الله ابن زهران، وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس، هكذا قال ابن الكلبي، ويقال إنه من وبار بن أميم بن لاوذ بن سام .

وكان بنو زهران من الأزدي خرجوا قبل خروج مزيقيا من اليمن ونزلوا بالعراق^[١٥]. وقيل ساروا من اليمن مع أولاد جفنة بن مزيقيا، فلما تفرق الأزدي على المواطن نزل بنو زهران هؤلاء بالسراة وعمان وصار لهم مع الطوائف ملك^(١٥).

وكان مالك بن فهم هذا من ملوكهم^[١٦]، وكان بشاطئ الفرات من الجانب الشرقي عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة، من ولد السميدع بن هوثر من بقايا العمالقة^[١٧]، فكان عمرو بن الظرب على مشارف الشام والجزيرة وكان منزله بالمضيق بين الخابور وقرقيسيا^[١٨]، فكانت بينه وبين مالك بن فهم حروب هلك

[١٥] - كان مسير بني زهران ودوس ونصر بن الأزدي السبائية من اليمن قبل مزيقيا وبقية الأزدي، كما تقدم في الحديث عن الأزدي بالفصل السابق، وكان ذلك في أواخر القرن الأول الميلادي - غالباً - حين اجتاحت الملك (العز/ يلط/ ذوغيل الأول/ ملك حضرموت) أرض ومنطقة إنتاج اللبان والبخور (سبائي) الواقعة شرق حضرموت إلى ظفار وضمها إلى مملكته، وكانت تسكنها وتحكمها قبائل سبائية كما ذكر سترابون (٢٤ق.م) وهم - فيما نرى - الموجة الأزديّة السبائية التي خرجت قبل مزيقيا بقيادة مالك بن فهم بن غنم الدوسي الأزدي (ح/ عام ٩٠م) وقد سلف ما ذكره العوتبي في تاريخ عمان أنه «أقبل مالك بن فهم الأزدي من اليمن إلى عمان في قبائل كثيفة من الأزدي وخيل كثيرة وبسطوا سيطرتهم إلى الإحساء والبحرين» [ص ٢٤/ العوتبي] ومنها انتشروا إلى الحيرة وغيرها بالعراق .

[١٦] - هو مالك بن فهم بن غنم بن دوس الزهراني الأزدي، ويبدو أن الروايات تخلط بينه وبين مالك بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة القضاعي الذي يمكن تمييزه بأنه (مالك بن فهم الأول) وتمييز مالك بن فهم الأزدي بأنه (مالك بن فهم الثاني) وأن ملوكيته شملت جنوب العراق وكان عهده ستين سنة (ح/ عام ٩٥ - ١٥٥ ميلادية) أما مالك بن فهم الأول فكان في القرن الأول قبل الميلاد غالباً .

[١٧] - الأصوب أن عمرو بن الظرب بن حسان من قبيلة عاملة السبائية كما في شرح قصيدة نشوان وكما تقدم .

[١٨] - هذا التحديد الجغرافي يدل على أن المقصود دولة الحضرة بشمال العراق وجنوب سورية وكان اسمها عربايا .

عمرو في بعضها، وقامت بملكه من بعده ابنته الزباء بنت عمرو، واسمها نائلة عند الطبري وميسون عند ابن دريد.

قال السهيلي: ويقال إن الزباء الملكة كانت من ذرية السמידع بن هوثر من بني قطورا أهل مكة، وهو السמידع بن مرثد - بالثاء المثثة - ابن لاي بن قطور بن كركي بن عملاق وهي بنت عمرو بن أذينة بن الظرب بن حسان، وبين حسان هذا والسמידع آباء كثيرة ليست بصحيحة لبعد زمن الزباء من زمن السמידع، انتهى كلام السهيلي^(١٧).

ولم تزل الحرب بين مالك بن فهم وبين الزباء بنت عمرو إلى أن الجأها إلى أطراف مملكتها، وكان يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في أيديهم، قال أبو عبيدة: وهو أول ملك كان بالعراق من العرب وأول من نصب المجانيق وأوقد الشموع، وملك ستين سنة^[١٩].

ولما هلك (مالك بن فهم) قام بأمره من بعده جذيمة الوضاح ويقال له الأبرش وكان يكنى بأبي مالك وهو منادم الفرقدين^(١٩).

قال أبو عبيدة: كان جذيمة بعد عيسى بثلاثين سنة، فملك زمان الطوائف خمساً وسبعين سنة وأيام أردشير كلها خمس عشرة سنة وثمانين سنة من أيام سابور^[٢٠]، وكان بينه وبين الزباء سلم وحرب، ولم تزل تحاول الثأر منه بأبيها حتى تحيلت عليه وأطمعته في نفسها فخطبها وأجابته، وأجمع المسير إليها، وأبى عليه وزيره قصير بن سعد فعصاه ودخل إليها ولقيته بالجنود وأحس بالشر، فنجا قصير، ودخل جذيمة إلى قصرها فقطعت رواهشه وأجرت دمه إلى أن هلك في حكاية منقولة في كتب الإخباريين.

قال الطبري: وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدهم حزماً وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وسرى بالجيوش، وكان

[١٩] - تقدم قول ابن خلدون عن مالك بن فهم بن تيم الله القضاعي أنه «ملك من بعده أخوه عمرو بن فهم، ثم ملك من بعدهما جذيمة الأبرش» ويبدو أنه غير جذيمة الذي ملك بعد أبيه مالك بن فهم الأزدي، وربما يعزز ذلك قول نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك اليمن:

وجذيمة الزباء غير جذيمة الوضاح، عن علم وعن إصحاح [٢٠] - يبدو أن جذيمة الذي كان بعد عيسى بثلاثين سنة هو جذيمة الأول الذي حكم بعد عمرو بن فهم القضاعي، بينما جذيمة - الثاني - بن مالك بن فهم الأزدي أدرك عهد سابور في أوائل القرن الثالث الميلادي.

به برص فكنوا عنه بالوضاح إجلالاً له، وكانت منازلُه بين الحيرة والأنبار وهيت ونواحيها وعين التمر وأطراف البر إلى العمق والقططانية وجفنة، وكانت تُجبي إليه الأموال وتقد إليه الوفود.

وغزا في بعض الأيام طسماً وجديساً في منازلهم باليمامة ووجد حسان بن تبع قد أغار عليهم، فانكفاً هو راجعاً بمن معه، وأتت خيول حسان على سراياه فأجاحوها [٢١٦].

وكان أكثر غزوه جزيمة للعرب العاربة، وكان قد تكهن وادعى النبوة، وكانت منازل إياد بعين أبغ، سُميت باسم رجل من العمالقة نزل بها، وكان جزيمة كثيراً ما يغزوهم حتى طلبوا مسالمة، وكان بينهم غلام من لخم من بني أختهم وكانوا أخوالاً له وهو عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عمرو بن لخم، وكان له جمال وضرب، وطلبه منهم جزيمة فامتنعوا من تسليمه إليه، فألح عليهم بالغزو، وبعثت إياد من سرق لهم صنمين كانا عند جزيمة يدعو بهما ويستسقي بهما، وعزفوه أن الصنمين عندهم وأنهم يردونهم بشرية رفع الغزو عنهم، فأجابهم إلى ذلك بشرية أن يبعثوا مع الصنمين عدي بن نصر، فكان ذلك.

ولما جاءه عدي بن نصر استخلصه جزيمة لنفسه وولاه شرابة [٢٢٢]، وهويته

[٢١١] - لم يعاصر جزيمة الملك حسان بن تبع، فيكون أصل الخبر عن ملك آخر من ملوك اليمن غزا إلى اليمامة والبحرين وهو غالباً «العز/يلط/ذو أحمد ملك حضرموت ٢٠٠ - ٢٣٥م» الذي ذكر ابن خلدون أنه «غزا فارس في عهد سابور».

[٢٢٢] - اسم ونبا عدي بن نصر ربما يكون ذا صلة بالقبيل «نصر يهحمد بن معاهد» وكان نصر يهحمد زعيماً ملكاً باليمن على مناطق حمير وردمان وخلاون، ويسجل نقشه المسند في جبل المعسال بموقع ردمان أنه شارك في قيادة حملات حربية واسعة بتوجيهه - وبمعية «العز/يلط/ملك حضرموت» في العام المؤرخ به النقش ويوافق عام ٢١٨ ميلادية، والعزيط هو ذو أحمد الذي ذكر ابن خلدون أنه «غزا بلاد فارس في عهد سابور بن خرزاد وغنم وسبي» [ص ٢٩ ج ٢] وقد تم العثور على نقوش باسم العزيط هذا في سمهرم بعمان التي شملها سلطانه ومنها امتدت عمليات (ربما) قادها نصر يهحمد وبلغت تخوم فارس، فوجود عدي بن نصر في العراق ربما يكون كأمر على بعض المناطق والقبائل منها (إياد) بتولية أبيه (نصر يهحمد) في تلك الغزوة التي عاد منها نصر يهحمد إلى اليمن، ثم قام الملك جزيمة بمحاصرة وغزو إياد حتى سلموه (عدي بن نصر) فإذا صح هذا الافتراض يمكن التوفيق بين ما يذكره فريق من المؤرخين بأن ملوك الحيرة المناذرة من ولد عدي بن نصر وما يذكره فريق آخر بأنهم من أبناء ربيعة بن نصر ملك اليمن (بعد نصر يهحمد) وأنه أرسل أهل بيته إلى الحيرة وكتب لهم كتاباً إلى سابور كما يأتي.

رقاش أخته، فراسلته فدافعها بالخشية من جذيمة، فقالت له اخطبني منه إذا أخذت الخمر منه وأشهد عليه القوم، ففعل وأعرس بها من ليلته وأصبح مضرراً بالخلوق، وراب جذيمة شأنه ثم أعلم بما كان منه فعرض على يديه أسفاً، وهرب عدي فلم يظهر له أثر، ثم سألتها في أبيات شعر معروفة فأخبرته بما كان منه فعرف عذرها، وأقام عدي في أخواله إياد إلى أن هلك، وولدت رقاش منه غلاماً وسمته عمراً، وربى عند خاله جذيمة وكان يستظرفه ثم استهوته الجن فغاب، وضرب له جذيمة في الآفاق إلى أن رده عليه وافدان من العتقا ثم من قضاة وهما مالك وعقيل ابنا فارح بن مالك بن العنيس أهديا له طرفاً ومتاعاً ولقيا عمراً بطريقهما وقد ساءت حاله وسألاه فأخبرهما باسمه ونسبه فأصلحا من شأنه، وجاء به إلى جذيمة بالحيرة فسرى به وسرت أمه، وحكمت الرجلين فطلبها منادمتها فأسعهفهما، وكانا يتادمانه حتى ضرب المثل بهما وقيل ندماني جذيمة^[٢٣٣] والقصة مبسوسة في كتب الإخباريين بأكثر من هذا.

قال الطبري: وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن ظرب بن حسان بن أدينة بن السميدع بن هوثر العملاقي^[٢٤٤]، فكانت بينه وبين جذيمة حرب قتل فيها عمرو بن الظرب وفُضت جموعه، وملكته بعده ابنته الزباء واسمها نائلة^[٢٥٥]،

[٢٣] - كان العرب يضربون المثل بدماني جذيمة، ومن ذلك قول الشاعر

وكنا كندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتفرقا

[٢٤] - الصواب أنه من «بني أدينة بن السميدع بن عاملة» ونطاق الدولة التي كان ملكها منطقة الجزيرة الفراتية ومشارف الشام وما «بين الخابور وقرقيسيا» - كما تقدم - وهو نطاق دولة الحضر (عربايا)، ويعزز ذلك قول ابن نباتة في كتاب «سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون» ص ٢٥ - «وأما الزباء فهي ابنة مليح بن البرا كان أبوها ملكاً على الحضر وهو الذي ذكره عدي بن زيد بقوله:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور»

(اه).

وكذلك في كتاب الحيوان الكبير للدميري أن دولة وعاصمة الزباء وأبيها الحضر، وهو الصحيح، وقد حددت دراسات آثار ونقوش دولة الحضر قيام تلك الدولة عام ٨٥ م وأن أول حكامها اسمه (نشريهب ٨٥ - ١٠٥ م) ويمكن استنتاج أنه الظرب بن حسان وأن عمرو بن الظرب قد يكون الحاكم (نصر بن نشريهب ١١٥ - ١٣٥ م).

[٢٥] - الأرجح أن اسمها ميسون كما نقل ابن خلدون عن ابن دريد، وقال ابن هشام وابن الجوزي وغيرهما اسمها فارعة، ولعله (ميسون الفارعة) قال نشوان الحميري «وسُميت الزباء لكثرة شعرها، وكذلك يقال: رجل أذب، أي كثير الشعر» ويبدو أنها لم تحكم بعد =

وجنودها بقايا العمالقة من عاد الأولى^[٢٦٦] ومن نهد وسليح ابني حلوان ومن كان معهم من قبائل قضاة^(٢٦٦)، وكانت تسكن على شاطئ الفرات وقد بنت هنالك قصراً، وتُربع عند بطن المجاز وتصيف بتدمر، ولما استحکم لها المُلک أجمعت أخذ الثار من جذيمة بأبيها، فبعثت إليه توهمه الخطبة، وأنها امرأة لا يليق بها الملك، فيجمع ملكه إلى ملكها، فطمع في ذلك ووافق قومه، أبى عليه منهم قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن أربي بن نمارة بن لحم، وكان حازماً ناصحاً وحذره عاقبة ذلك فعصاه^[٢٧٧] واستشار ابن أخته عمرو بن عدي فوافق فاستخلفه على قومه، وجعل على خيوله عمرو بن عبد الجن، وسار هو على غربي الفرات إلى أن نزل رحبة مالك بن طوق، وأتته الرسل منها بالألطف والهدايا، ثم استقبلته الخيول، فقال له قصير إن أحاطت بك الخيول فهو الغدر، فاركب فرسك العصا وكانت لا تجارى^(٢٧٧) فأحاطت به الخيول، ودخل جذيمة على الزباء فقطعت رواهش فسال دمه حتى نرف ومات.

وقدم قصير على عمرو بن عدي، وقد اختلف عليه قومه ومال جماعة منهم إلى عمرو بن عبد الجن، فأصلح أمرهم حتى انقادوا جميعاً لعمرو بن عدي^[٢٨٨]، وأشار عليه بطلب الثار من الزباء بخاله جذيمة، وكانت الكاهنة قد عرفتها بملكها

= أبيها مباشرة، فقوائم حكام الحضرة تذكر بعد الحاكم نصر الحاكم (نشرهب الثاني ١٣٦ - ١٤٥م) ثم (معن ١٤٦ - ١٥٤م) ثم (ولجش بن نصر ١٥٥ - ١٦٥م).
[٢٦٦] - المقصود من الأراميين الذين تقدم ذكر ابن خلدون إياهم ومن قبائل تنوخ وقضاة الحميريين.
[٢٧٧] - كان قصير اللخمي وزير الملك جذيمة فلم يأخذ بنصائحه فقال «لا يُسمع لقصير رأي» فسار قوله مثلاً.

[٢٨٨] - كان عمرو بن عدي بن نصر أول ملوك الحيرة وجنوب العراق من بني نصر، وكان قصير بن سعد اللخمي وزيره، وبتدبيره كان القضاء على الملكة الزباء، قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك اليمن:

والحرة الزباء سيق لها الردى	بيدي قصير الخسر لا الإرياح
قتلت جذيمة وهو خاطبها ولم	تفعل كفعل نظيرة وسجاح
وجذيمة الزباء غير جذيمة الـ	وضحاح عن علم وعن إصباح
وقال ابن دريد الأزدي في مقصورته:	
واخترم الوضاح من دون التي	أملها سيف الحمام المنتضى
وقد سما عمرو إلى أوتاره	فاحتط منها كل عالي المنتهى
فاستنزل الزباء قسراً وهي من	عُقاب لوح الجوا أعلى منتضى

وأعطتها علامات عمرو، فحذيرته وبعثت رجلاً مُصَوِّراً يصور لها عمراً في جميع حالاته، فسار إليه متكرراً واختلط بحشمه وجاء إليها بصورته، فاستثبته وتيقنت أن مهلكها منه، واتخذت (الزباء) نفقاً في الأرض من مجلسها إلى حصن داخل مدينتها [٢٩].

وعمد عمرو إلى قصير فجدع أنفه بمواطأة منه على ذلك، فلحق بالزباء يشكو ما أصابه من عمرو، وأنه اتهمه بمداخلة الزباء في أمر خاله جذيمة، وما رأيت بعدما فعل بي أنكى له من أن أكون معك فأكرمته وقربته حتى إذا رضى منها من الوثوق به، أشار عليها بالتجارة في طُرف العراق وأمتعته، فأعطته مالا وعبيراً وذهب إلى العراق ولقي عمرو بن عدي بالحيرة، فجهزه بالطُرف والأمتعة كيما يرضيها، وأتاها بذلك فازدادت به وثوقاً وجهزته بأكثر من الأولى، ثم عاد الثالثة وحمل بغاة الجند من أصحاب عمرو في الغرائر على الجمال وعمرو فيهم، وتقدم فبشرها بالعبير وبكثرة ما حمل إليها من الطرف، فخرجت تنظر فأنكرت ما رآته في الجمال من التكاثر، ثم دخلت العير المدينة فلما توسطت أبيضت، وخرج الرجال وبادر عمرو إلى النفق فوقف عنده^(٢٩) ووضع الرجال سيوفهم في أهل البلد، وبادرت الزباء إلى النفق فوجدت عمراً قائماً فلحمها بالسيف وماتت، وأصاب ما أصاب من المدينة وانكفاً راجعاً.

قال الطبري: - وعمرو بن عدي أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب [٣٠] وأول من يجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق وإليه يُنسبون وهم ملوك آل نصر^(٣٠)، ولم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن

[٢٩] - كان بقصر مدينة الحضر نفق سرداب يؤدي إلى خارج المدينة واستخدمه سابور لما غزا الحضر عام ٢٤١م. دلته على النفق السرداب نظيرة بنت الضيزن سين طروق ملك الحضر (٢٠٠ - ٢٤١م) المذكورة في قول نشوان عن الملكة الزباء:

«قتلت حذيمة وهو خاطبها، ولم تفعل كفعل نظيرة وسجاح»

[٣٠] - أي أول من اتخذ مدينة الحيرة عاصمة من ملوك العرب بالعراق، وبالتحديد من آل نصر لأن (عمرو بن عدي بن نصر) أول ملوك الحيرة من آل نصر، وقد تقدم أن أسرتين ملكتا بلاد الحيرة والأنبار وجنوب العراق قبله وهم:

أولاً: بنو فهم بن تيم الله القضاعي الحميري، وأولهم الملك مالك بن فهم القضاعي ثم أخوه الملك عمرو بن فهم القضاعي ثم الملك جذيمة الأول، وقد رجحنا أنه المقصود بقول أبي عبيدة «كان جذيمة قبل عيسى بثلاثين سنة» لأن أولئك الملوك كانوا في القرن الأول قبل الميلاد، ومن هنا قيل «إن مقتل والد الزباء كان قبل مبعث عيسى عليه السلام» - كما في =

مائة وعشرين سنة مستبدأ مفرداً يغزو ويغنم وتفد عليه الوفود، ولا يدين لملوك الطوائف ولا يدينون له حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس^[٣١].

قال الطبري: وإنما ذكرنا في هذا الموضع أمر جذيمة وابن أخته عمرو بن عدي لما قدمناه عند ذكر ملوك اليمن وأنهم لم يكن لهم ملك مستفحل وإنما كانوا طوائف على المخاليف يغير كل واحد على صاحبه إذا استغفله ويرجع خوف الطلب حتى كان عمرو بن عدي فاتصل له ولعقبه الملك على من كان بنواحي العراق وبادية الحجاز من العرب، واستعمله ملوك فارس على ذلك آخر أمرهم^(٣١)، وكان أمر آل نصر هؤلاء ومن كان من ولادة الفرس وعمالهم على العرب معروفاً مثبتاً عندهم في كنائسهم وأشعارهم.

وقال هشام بن الكلبي: كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة.

وأما ابن إسحاق فذكر في آل نصر ومصيرهم إلى العراق أن ذلك كان بسبب الرؤيا التي رآها ربيعة بن نصر^[٣٢] وعبرها الكاهنان شق وسطيح وفيها أن الحبشة

= كتاب الحيوان للدميري. وقال ابن نباتة «كان مقتل الزباء بعد مبعث عيسى عليه السلام» [اهـ] فيبدو أنهم قاسوا ذلك بزمن جذيمة الأول القضاعي.

ثانياً: أسرة مالك بن فهم بن غنم بن دوس الأزدي وأولهم الملك مالك بن فهم الأزدي وحكم ستين سنة (ح/ ٩٥ - ١٥٥م) ثم الملك جذيمة بن مالك الأزدي الذي قتلته الملكة الزباء، وقد قيل إن جذيمة حكم ١٢ سنة فقط، وقال أبو عبيدة في النص السابق أنه حكم ٧٥ سنة وقيل ٦٠ سنة في نص الدميري، فيكون ذلك إلى أوائل القرن الثالث الميلادي.

[٣١] - يتبين من ذلك أن ملوكية عمرو بن عدي بدأت في فترة ملوك الطوائف الفرس قبيل قيام الدولة الفارسية الساسانية ببلاد فارس عام ٢١٥م وتواصلت بعد قيام تلك الدولة الفارسية الساسانية التي حكم ملكها أردشير ١٥ سنة (ح/ ٢١٥ - ٢٣٠م) ثم ابنه الملك سابور الذي اجتاحت العراق (٢٤٠م) فاستمرت ملوكية عمرو بن عدي في إطار السلطة الفارسية الساسانية بعد خضوع العراق لسابور والدولة الفارسية الساسانية.

[٣٢] - تقدم حديث ابن خلدون عن (ربيعة بن نصر ملك اليمن) في الفصل الرابع، وتبين ما يلي:

أ - أن «نصر يهجمد بن معاهر» - والد ربيعة بن نصر - كان من ملوك اليمن وقام مع «العزيط ذو أحمامد ملك حضرموت» بغزوات إلى البحرين والعراق وفارس (عام ٢١٨م) وربما يرتبط =

يغلبون على ملكهم باليمن، قال فجهاز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاد فأسكنهم الحيرة، ومن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر (٣٢٢).

وقد يقال إن المنذر من أعقاب ساطرون ملك الحضرة من تنوخ قضاة رواه ابن إسحاق من علماء الكوفة [٣٣٣].

وروي عن جبيرة بن مطعم قال، لما أتى عمر رضي الله عنه بسيف النعمان دعا بجبيرة بن مطعم وكان أنسب قريش لقريش والعرب، تعلمه من أبي بكر رضي الله عنه، فسلمه إياه، ثم قال ممن كان النعمان يا جبيرة، قال كان من أشلاء قنص ابن معد [٣٤٤] قال السهيلي: كان ولد قنص بن معد انتشروا بالحجاز فوكتت بينهم وبين بني أبيهم حرب وتضايق بالبلاد وأجدبت الأرض فساروا نحو سواد العراق وذلك في أيام ملوك الطوائف، فقاتلهم الأراميون وبعض ملوك الطوائف وأجلوهم عن السواد وقتلوهم إلا أشلاء لحقت بقبائل العرب ودخلوا فيهم فانتسبوا إليهم، قال الطبري: حين سأله عمر عن النعمان قال (جبيرة) كانت العرب تقول من أشلاء قنص بن معد وهم من ولد عجم ابن قنص، إلا أن الناس صحفوا عجم وجعلوا مكانه لحم (٣٤٤).

قال ابن إسحاق: وأما سائر العرب فيقولون: النعمان بن المنذر رجل من لحم، ربي بين ولد ربيعة بن نصر. (انتهى) (٣٢٢).

ولما هلك عمرو بن عدي بن نصر، ولى بعده على العرب وسائر من

= بذلك استقرار (عدي بن نصر) في العراق كأمر لبعض مناطقها ثم انضوى تحت ملوكية جذيمة وتزوج بأخته فأنجبت عمرو بن عدي بن نصر.

ب - أن ربيعة بن نصر يهجمد كان من ملوك اليمن بعد أبيه في الفترة ما بين (٢٣٠ - ٢٧٥م) والتي سبقت توحيد اليمن وقيام دولة تابعة حمير بزعامة تبع ملشان أريم (٢٧٥ - ٣٣٠م) وكان استشعار بعض الأحداث سبب قيام ربيعة بن نصر بإرسال بنيه وأهل بيته إلى العراق والحيرة التي كان عمرو بن عدي بن نصر ملكها وشملها سلطان سابور عام ٢٤٠م فاستقر أبناء ربيعة بن نصر في الحيرة ومنهم كان النعمان بن المنذر فيما بعد.

[٣٣] - ساطرون هو الضيزن سين طروق آخر ملوك الحضرة (٢٠٠ - ٢٤١م) وقد كان المنذر من ملوك العراق بعده لا من ولده.

[٣٤] - النعمان الذي يمكن أنه كان من أشلاء قنص بن معد هو غير النعمان بن المنذر، فقد تقدم مسير قنص بن معد إلى العراق مع قضاة وإياد وملوكية مالك بن فهم =

ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ويقال له البدء^[٣٥] وهو أول من تنصر من ملوك آل نصر وعمال الفرس^[٣٦]، وعاش فيما ذكر هشام بن الكلبي مائة وأربع عشرة سنة منها أيام سابور ثلاثاً وعشرين سنة^[٣٧] وأيام هرمز بن سابور سنة واحدة وأيام بهرام بن هرمز ثلاث سنين وأيام بهرام بن بهرام ثمانى عشرة سنة ومن أيام سابور سبعون سنة وهلك لعهد^(٣٧).

فولى مكانه ابنه عمرو بن امرئ القيس البدء فأقام في ملكه ثلاثين سنة بقية أيام سابور بن سابور، ثم ولى مكانه أوس بن قلام العمليقي، فيما قال هشام بن محمد، وهو من بني عمرو بن عملاق، فأقام في ولايته خمس سنين، ثم ثار به حججبا بن عتيك بن لخم فقتله وولى مكانه ثم هلك في عهد بهرام بن سابور^[٣٨].

= القضاعي وكان زمنهم في القرن الأول قبل الميلاد.

[٣٥] - امرؤ القيس البدء، أي امرؤ القيس الأول بن عمرو بن عدي بن نصر، وهو ثاني ملوك الحيرة من آل نصر، بعد أبيه الملك عمرو بن عدي بن نصر، وكان عمرو بن عدي قد حكم إلى أيام سابور، ربما ثمانى سنين من أيام سابور (أي إلى ح/ عام ٢٣٧م) فتكون بداية حكم امرئ القيس البدء (ح/ ٢٣٨م).

[٣٦] - يبدو أن أول من تنصر من ملوك الحيرة ليس هذا وإنما امرؤ القيس الثاني بن عمرو بن امرئ القيس البدء صاحب نقش النمارة وكان في الفترة (٣٠٤ - ٣٢٨م) كما سيأتي.

[٣٧] - كان عهد سابور الأول (٢٣٠ - ٢٥٣م) ومدة امرئ القيس البدء المذكورة هنا غير دقيقة، وربما يكون قد عاش تلك المدة ولكنه لم يستمر ملكاً طيلة حياته تلك المدة بدليل عهود الملوك اللاحقين إلى امرئ القيس بن عمرو، مما يشير إلى أن مدة حكم امرئ القيس البدء كانت في الفترة (٢٣٨ - ٢٧٠م) غالباً.

[٣٨] - عمرو بن امرئ القيس البدء هو ثالث ملوك الحيرة من آل نصر، وقد حكم ثلاثين سنة في عهد سابور بن سابور الذي يقال له (سابور ذو الأكتاف) لأنه خلع أكتاف بعض العرب بالعراق، ويمكن تقدير عهد عمرو بن امرئ القيس بالفترة (٢٧٠ - ٣٠٠م) وعهد أوس بن قلام وحجبا بن عتيك اللخمي في الفترة (٣٠٠ - ٣٠٤م) لأن عهد امرئ القيس بن عمرو كان (٣٠٤ - ٣٢٨م) وليس في أيام بهرام بن سابور وإنما في أيام سابور بن سابور (سابور ذو الأكتاف). وفي تلك الفترة قامت في اليمن دولة تبايعه حمير بزعامة ملشان أريم ذي يزن وعبد كلال بن ذي رعين الذي ذكر ابن خلدون أنه كان في أيام سابور ذي الأكتاف كما تقدم في الفصل الرابع عن دولة تبايعه حمير وملوكها.

وولي من بعده امرؤ القيس بن عمرو خمساً وعشرين سنة^[٣٩]، وهلك أيام
يزدجرد الأثيم^[٤٠].

فولي مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس، وأمه شقيقة بنت ربيعة بن ذهل بن
شيبان، وهو صاحب الخورنق^[٤١].

ويقال إن سبب بنائه إياه أن يزيدجرد الأثيم دفع إليه ابنه بهرام جور ليربيه
وأمره ببناء هذا الخورنق مسكناً له وأسكنه إياه^[٤٢]، ويقال إن الصانع الذي بناه كان
اسمه سنمار وأنه لما فرغ من بنائه ألقاه من أعلاه فمات من أجل محاورة وقعت
اختلف الناس في نقلها، والله أعلم بصحتها، وذهب ذلك مثلاً بين العرب في قبح
الجزاء ووقع في أشعارهم منه كثير^[٤٣].

[٣٩] - هو ملك العرب بالحيرة والعراق امرؤ القيس بن عمرو اللخمي صاحب نقش النمارة
المشهور المعثور عليه في موقع النمارة بسورية ونص النقش كما يلي «هذا قبر امرئ
القيس بن عمرو ملك العرب الذي تقلد التاج واخضع الأزد ونزار، ودان مذحج يوم قاد
الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر، واستعمل بنيه على القبائل وأنابهم لدى فارس
والرومان . . مات يوم ٧ بكسلول عام ٢٢٣ بتقويم النمارة» ويوافق ذلك (١٧ سبتمبر ٣٢٨م)
ويتبين من ذلك:

أ - أن عهد امرئ القيس بن عمرو كان في الفترة (٣٠٤ - ٣٢٨م) أو (٣٠٠ - ٣٢٥م) وأنه
عاصر الملك الفارسي سابور بن هرمز بن سابور الذي اختط (المدائن) في العراق وجعلها
عاصمة الدولة الفارسية الساسانية (ح/ عام ٣٢٥م) كما عاصر الملك الروماني قسطنطين الأول
(٣٠٦ - ٣٣٦م) الذي اعتنق المسيحية وجعل القسطنطينية عاصمة للدولة الرومانية وفي عهده
بدأت دولة الغساسنة بالشام وكان الغساسنة يدينون بالمسيحية كما عاصر قيام دولة تبابعة حمير
بزعامة ملشان أريم وعبد كلال بن ذي رعين (٢٧٥ - ٣٥٠م).

ب - أن امرأ القيس بن عمرو هو - فيما يبدو - الذي اعتنق الديانة المسيحية التي اعتنقها أيضاً
عبد كلال بن رعين كما تقدم.

ج - أن موت امرئ القيس بن عمرو في النمارة بسورية يشير إلى أن حكمه للحيرة انتهى
لسبب ما ولجأ إلى سورية فعاش فيها إلى أن مات عام ٣٢٨م.

[٤٠] - الصواب أيام سابور لأنه مات عام ٣٢٨م بينما يزيدجرد هذا كان عهده (٣٩٩ - ٤٢٠م).

[٤١] - هو الملك النعمان بن الشقيقة، بينما الذي بنى قصر الخورنق هو - كما ذكر المسعودي -
النعمان بن المنذر، وهو الذي عاصر يزيدجرد الأثيم وهو يزيدجرد الأول بن سابور (٣٩٩ -
٤٢٠م).

[٤٢] - أي المثل المشهور (جزاء سنمار) ويوجد خلط بين النعمان الأكبر بن الشقيقة والنعمان
الأول بن المنذر. وقد حكم النعمان بن الشقيقة في الفترة (٣٢٥ - ٣٥٥م) ثم المنذر الأكبر
من بني ربيعة بن نصر ثم النعمان الأول بن المنذر (ح/ ٤٠٣ - ٤٢١م).

وكان النعمان هذا من أفحل ملوك آل نصر، وكانت له سنانان، إحداهما للعرب والأخرى للفرس، وكان يغزو بهما بلاد العرب بالشام ويدوخها، وأقام في ملكه ثلاثين سنة ثم زهد وترك الملك ولبس المسوح، وذهب فلم يوجد له أثر^(٤٢).

قال الطبري: وأما العلماء بأخبار الفرس فيقولون إن الذي تولى تربية بهرام هو المنذر بن النعمان بن امرئ القيس دفعه إليه يزدجرد الأثيم^[٤٣] لإشارة كانت عنده فيه من المنجمين، فأحسن تربيته وتأديبه، وجاءه بمن يلقنه الخلال من العلوم والآداب والفروسية والنقابة حتى اشتمل على ذلك كله بما رضيه، ثم رده إلى أبيه فأقام عنده قليلاً ولم يرض بحاله، ووفد على أبيه وافد قيصر وهو أخوه قياودس^[٤٤] فقصد بهرام أن يسأل له من أبيه الرجوع إلى بلاد العرب فرجع ونزل على المنذر.

ثم هلك يزدجرد، فاجتمع أهل فارس وولوا عليهم شخصاً من ولد أردشير وعدلوا عن بهرام لمرباه بين العرب وخلوه عن آداب العجم، وجهز المنذر العساكر لبهرام لطلب ملكه^[٤٥] وقدم ابنه النعمان فحاصر مدينة الملك، ثم جاء (المنذر) على أثره بعساكر العرب وبهرام معه فأذعن له فارس وأطاعوه، واستوهب المنذر

[٤٣] - قال الأستاذ أحمد أمين عن إمارة الحيرة «كان النظام المتبع أن عرب الحيرة يقدمون الطاعة لملك فارس، وهو يولي عليهم أميراً من أنفسهم، وعليهم أن يحموا فارس من كل مغير من نواحيهم، والفرس مقابل ذلك يعفونهم من دفع الأتاوة، وفوق هذا كان عرب الحيرة لا يرتبطون بفارس إلا بما توجهه المعاهدات عليهم، وقد اعتاد ملك الفرس أن يُنصَّب أميراً من قبيلة لحم، وهي قبيلة من أصل يمني كما يذكر النسابون، وإذا مات الأمير عين من يختاره من بيته، وكان عرب الحيرة إذ ذاك في رخاء لخصب أرضهم وغنى إقليمهم، وكانوا هم الصلة بين الفرس وعرب الجزيرة، يحملون إليهم التجارة الفارسية ويبيعونها في أسواقهم ويبشرون بالفرس ومدنيتهم. وفي عهد يزدجرد الأول (٣٩٩ - ٤٢٠م) أرسل الملك أكبر أبنائه (بهرام) إلى عرب الحيرة لينشأ بينهم، ويتعلم الصيد، ويتمتع بجودة الهواء، وذلك في عهد النعمان الأول. وكان بهرام جور هذا يعرف العربية كما يعرف اليونانية، وقد نازعه على الملك أخوه بعد وفاة يزدجرد، فعاونه العرب وتعصبوا له؛ فلما اعتلى عرشه لم ينس ما كان لعرب الحيرة من يد عليه فقرّبهم وأعلى شأنهم». [ص ١٧ فجر الإسلام - أحمد أمين].

[٤٤] - كان ملوك الروم القياصرة لذلك العهد (ثيودوسيوس الأول ٣٧٩ - ٣٩٩م وفي السنة الخامسة عشرة من عهده كان ظهور الفتية السبعة أهل الكهف) ثم الملك (أركاديوس حـ/ ٣٩٩ - ٤٠٤م) ثم (ثيودوسيوس الثاني ٤٠٤ - ٤٥١م).

[٤٥] - استنفر المنذر العرب لمناصرة بهرام.. قال المسعودي «فسار مما يلي اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعد وعليهم العباس الأحول وعمرو الأفوه» [أهـ جـ ٢/ مروج الذهب] فانتصر العرب على الفرس وأجلسوا بهرام على عرش فارس.

ذنوبهم من بهرام فعفا عنهم واجتمع أمره، ورجع المنذر إلى بلاده.

وشُغل (بهرام) باللهو، وطمع فيه الملوك حوله وغزاه خاقان ملك الترك في خمسين ألفاً من العساكر، وسار إليه بهرام فانتهى إلى أذربيجان ثم إلى أرمينية ثم ذهب يتصيد وخلف أخوه نرسي على العساكر فرماه أهل فارس بالجُبن وأنه خار عن لقاء الترك فراسلوا خاقان في الصلح على ما يرضاه فرجع عنهم وانتهى الخبر بذلك إلى بهرام فسار في أتباعه، وبيَّته، فانقض بعسكره وقتله بيده واستولى بهرام على ما في العساكر من الأثقال والذراري وظفر بتاج خاقان وإكليله وسيفه بما كان فيه من الجواهر واليواقيت وأسر زوجته وغلب على ناحية من بلاده فولى عليها بعض مراتبه وأذن له في الجلوس على سرير الفضة، وأغزى ما وراء النهر فدانوا بالجزية وانصرف إلى أذربيجان فجعل سيف خاقان وإكليله معلقاً ببيت النار وأخدمه خاتون امرأة خاقان، ورفع الخراج عن الناس ثلاث سنين شكراً لله تعالى على النصر وتصدَّق بعشرين ألف درهم مكررة مرتين وكتب بالخبر إلى النواحي، وولى أخاه نرسي على خراسان واستوزر له بهر نرسي بن بدارة بن فرخزاد، ووصل الطبري نسبه من هنا بعد أربعة فكان رابعهم أشك بن دارا، وأغزى بهرام أرض الروم في أربعين ألفاً فانتهى إلى القسطنطينية ورجع [٤٦].

قال هشام بن الكلبي: ثم جاء الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وقد ولاه تبع بن حسان بن ثُبَع [٤٧] فسار إليه

[٤٦] - كان عهد بهرام جور بن يزيدجرد (٤٢١ - ٤٣٨م) وقد اعتمدت دولته على مناصرة العرب له، وبخاصة الملك النعمان الأول بن المنذر (ح/٤٠٣ - ٤٢٢م) الذي في كنفه تربى بهرام بالحيرة، والملك المنذر بن النعمان الأول، قال المسعودي «وهو الذي بنى الخورنق ومَلَك ٣٥ سنة وقيل ٢٥ سنة (ح/٤٢٢ - ٤٤٥م) إلى فترة من عهد يزيدجرد الثاني (٤٣٨ - ٤٥١م) وابنه فيروز بن يزيدجرد.

[٤٧] - هو الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية الكندي، كان جده (حجر آكل المرار) من قادة عهد ثُبَع ملشان أول تبابعة الدولة الحميرية (٢٧٥ - ٣٥٥م) وقد سجل نقش عبدان الكبير قيام الثُبَع ملشان بقيادة وتوجيه حملات إلى «اليمامة والبحرين بمدلولها الواسع القديم ونجد وأرض نزار - بالحجاز - إلى آبار سجا بين أرض نزار وأرض غسان» [١٥] وقام تبع ملشان بتولية حجر آكل المرار على الحجاز ونجد. وفي عهد ثُبَع حسان بن غيمان (ح/٤٣٠ - ٤٥٦م) امتدت ملوكيته إلى شرق وشمال الجزيرة «وكان عمرو المقصود بن حجر آكل المرار ملكاً على نجد ولاء عليها تبع حسان، وكان أسعد تبع بن حسان خال الحرث بن عمرو الكندي أمه بنت تبع حسان» [ص١٢٦ و٤٢١/شرح الدامغة للهمداني].

النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة وقاتله فقتل النعمان وعدد من أهل بيته وانهزم أصحابه^[٤٤٨] وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء امرأة من اليمن وتشتت ملك آل النعمان ومَلِك الحارث بن عمرو ما كانوا يملكونه .

وقال غير هشام ابن الكلبي: إن النعمان الذي قتله الحارث هو ابن المنذر بن النعمان وأمه هند بنت زيد بن مناة بن زيد الله بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيان، وهو الذي أسرته فارس، مَلِك عشرين سنة منها في أيام فيروز بن يزدجرد عشر سنين وأيام يلاوش بن يزدجرد أربع سنين وفي أيام قباذ بن فيروز ست سنين^(٤٨) .

قال هشام بن محمد الكلبي: ولما ملك الحارث بن عمرو مُلك آل النعمان^[٤٤٩] بعث إليه قباذ يطلب لقاءه وكان مضعفاً^[٥٠٠]، فجاءه الحارث وصالحه على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات^[٥٠١]، ثم استضعفه (الحارث)^[٥٠٢] فأطلق العرب

[٤٨] - النعمان بن الشقيقة كان في الفترة (٣٢٥ - ٣٥٥م) في عهد تبع ملشان وحجر أكل المرار، أما الذي عاصر الحارث بن عمرو الكندي وأسعد تبع بن حسان (٤٥٧ - ٤٧٧م) فهو النعمان بن المنذر بن النعمان الذي عزلته وأسرته فارس أيام قباذ بن فيروز كما ذكر ابن خلدون عن غير هشام الكلبي وهو الأصوب .

[٤٩] - أي لما انضوت بلاد الحيرة وما إليها من العراق تحت ملوكية الحارث بن عمرو الكندي والي ونائب تبع أسعد بن حسان ملك اليمن (٤٥٧ - ٤٧٧م) وقد قيل إن ملك الحيرة قبل الحارث هو النعمان الذي غضب عليه وعزله ملك فارس، وقيل وهو الأصوب المنذر بن ماء السماء وكان صغير السن، ومالت عرب الحيرة إلى الحارث الكندي فقاتلوا معه، فامتلك جانباً من بلاد الحيرة واستمد المنذر الملك الفارسي قباذ فأبى أن يمده «فلما رأى المنذر ذلك كتب إلى الحارث: إنني في غير قومي، وأنت أحق من صمّني وأنا متحول إليك، فتحول إليه، وزوجه الحارث ابنته هند بنت الحارث الكندي» [ص ١٠٧٣ / النقااض لأبي عبيدة + تاريخ ابن خلدون ص ٢٧٣] فأصبح الحارث ملكاً على بلاد الحيرة .

[٥٠] - هو قباذ بن فيروز بن يزدجرد، وكان يزدجرد لما توفي (عام ٤٤٣م أو عام ٤٥١م) تنازع على الملوكية فيروز بن يزدجرد وهرمز بن يزدجرد فحدث صراع طويل حتى مات فيروز مقتولاً وكانت مدته عشر سنين، ثم تولى قباذ بن فيروز الحكم (عام ٤٥٢م أو ٤٦١م) فنازعه أخوه يلاش بن فيروز فكانت بينهما حرب فتغلب يلاش ولحق قباذ بخاقان ملك الترك، فحكم يلاش أربع سنين، ثم استعاد قباذ الملوكية «وذلك في السنة ١٤ من عهد الملك الروماني زينون ٤٧٥ - ٤٩٢م (أي حوالي عام ٤٨٩م) وحكم قباذ ٤٣ سنة بما في ذلك الفترة الأولى .

[٥١] - كان نطاق دولة العرب بالعراق وهي دولة الحيرة يمتد إلى نهر الفرات، وكان الفرات فاصلاً بين العرب والفرس، وكانت مصالحة قباذ للحارث والاعتراف بملوكيته بمثابة إقرار بالأمر الواقع على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات إلى سواد العراق - شرق الفرات - كان بيد الفرس .

[٥٢] - كان استضعاف قباذ وقيام الحارث بإطلاق العرب للغارة على نواحي السودان، بعد أن =

للغارة في نواحي السواد وراء الفرات، فسأله (قباذ) اللقاء بابنه، واعتذر (الحارث) إليه بأشظاظ العرب وأنه لا يضبطهم إلا المال، فأقطعه جانباً من السواد.

فبعث الحارث إلى ملك اليمن تُبع يستنهضه بغزو فارس في بلادهم ويخبره بضعف ملكهم، فجمع (تبع) وسار حتى نزل الحيرة^(٥٢).

وبعث (تبع)^[٥٣] ابن أخيه شمر ذا الجناح إلى قباذ فقاتله وأتبعه إلى الري فقتله^[٥٤]، ثم سار شمر إلى خراسان^(٥٦)، وبعث تبع ابنه حسان إلى الصغد، وأمرهما معاً أن يدوخا أرض الصين، وبعث ابن أخيه يعفر^(٥٤) إلى الروم فحاصر القسطنطينية حتى أعطوا الطاعة والأتاوة^[٥٥]، وتقدم إلى رومة فحاصرها ثم أصابهم الطاعون ووهنوا له فوثب عليهم الروم فقتلوه جميعاً^(٥٥).

= بعث الحارث إلى أسعد تبع بن حسان ملك اليمن يخبره بضعف قباذ ويستنهضه لغزو فارس، وهو أسعد تبع القائل:

لست بالتبع اليماني إن لم تركض الخيل في سواد العراق

ومما ينسب إليه أنه قال:

ولما هبطنا بأرض السواد تولي قباذ سريع الهرب

وانتهى الأمر بأن قباذ أقطع الحارث والعرب جانباً من السواد، وعاد أسعد إلى اليمن، أما بقية رواية هشام الكلبي فقد خلط فيها بين أبناء عهد أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ وبين أسعد هذا كما يأتي.

[٥٣] - خلط ابن الكلبي من هنا إلى آخر الرواية عن غزو الصين والعودة منها، بين أخبار عدد من ملوك سبأ التابعين القدماء ومنهم أبو كرب أسعد الأول ملك سبأ في القرن السابع قبل الميلاد (٧٠٠ - ٦٦٩ ق.م). وبين أسعد بن حسان معاصر الحرث بن عمرو الكندي وقباذ ملك فارس بالقرن الخامس بعد الميلاد، ويسبب هذا الخلط انتقد ابن خلدون في المقدمة خبر تلك الغزوات وجزم بعدم صحتها، وهو كذلك لأنها لم تكن في عهد أسعد وقباذ وإنما في زمن أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ بالقرن السابع قبل الميلاد، وقد تقدم تبيينها في الفصل الثالث عن عصر دولة تبابعة سبأ.

[٥٤] - أصل هذا الخبر في عهد أبي كرب أسعد ملك سبأ لما انضوت بلاد بابل تحت ملوكيته وغزا بلاد عيلام الفارسية فهرب ملكها (تيوجمان) فلحق به شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد فقتله في بلاد عيلام أو جهات بلخ، قال نشوان:

«... حتى أتاه (ذو الجناح) برأسه من أرض بلخ ونهرها المنساح»

فذلك الملك ليس قباذ كما حصل الوهم، أما قباذ معاصر أسعد بن حسان فقد استمر عهده إلى ما بعد موت أسعد بن حسان.

[٥٥] - أصل ذلك بلوغ غزوات أسعد وابنه شرحبيل يعفر إلى بلاد الأناضول (تركيا) وليديا، وعاد شرحبيل يعفر منها متصراً.

وتقدم شمر إلى سمرقند فحاصرها واستعمل الحيلة فيها فملكها^[٥٦]، ثم سار إلى الصين وهزم الترك، ووجد أخاه حسان قد سبقه إلى الصين منذ ثلاث سنين، فأقاما هنالك إحدى وعشرين سنة إلى أن هلك. قال (الكلبي) والصحيح المتفق عليه أنهما رجعا إلى بلادهما بما غنماه من الأموال والذخائر وصنوف الجواهر والطيوب^(٥٦).

وسار تبع حتى قدم مكة ونزل شعب حجاز^[٥٧] وكانت وفاته باليمن بعد أن ملك مائة وعشرين سنة، ولم يخرج أحد بعده من ملوك اليمن غازياً^[٥٨]، ويقال إنه دخل في دين اليهود الأخبار الذين خرجوا معه من يثرب^[٥٩].

وأما ابن إسحاق فعنده أن الذي سار إلى المشرق من التبابعة تبع الأخير وهو تبان أسعد أبو كرب (اه).

قال هشام بن محمد: وولى أنوشروان^[٦٠] بعد الحارث بن عمرو^[٦١] المنذر بن النعمان الذي أفلت يوم قتل أبوه ونزل الحيرة وأبوه هو النعمان الأكبر، فلما قوري سلطان أنوشروان واشتد أمره بعث إلى المنذر فملكه الحيرة وما كان يليه

[٥٦] - أصل ذلك فتوح شمر يعرش ملك سبأ بالقرن التاسع قبل الميلاد (٨٣٤ - ٨١٠ ق.م). كما تقدم في الفصل الثالث.

[٥٧] - يعني «شعب أجياد بمكة بالحجاز» وقد سُمى أجياد لأن أبا كرب أسعد جعل جواده بذلك الموضوع كما ذكر الطبري.

[٥٨] - كانت ملوكية أسعد بن حسان عشرين سنة (٤٥٧ - ٤٧٧ م) وليس مائة وعشرين ومات ودُفن في غيمان باليمن.

[٥٩] - صاحب الحبرين الذي اعتنق اليهودية إنما هو ذرا - امر (عمرو بن حسان بن أبي كرب أسعد) كما تقدم في الفصل الثالث.

[٦٠] - هو كسرى أنوشروان بن قباد، وكانت مدة حكم قباد ٤٣ سنة منها عدة سنوات في فترته الأولى وصراعه مع يلاش ثم من حوالي عام ٤٨٩ م إلى ح/ عام ٥٢٧ م ثم حكم ابنه كسرى أنوشروان ٤٨ سنة. قال ابن خلدون «كان مولد النبي ﷺ سنة من مُلك أنوشروان» فيكون عهد أنوشروان (ح/ ٥٢٨ - ٥٧٥ ميلادية).

[٦١] - كان الحرث بن عمرو الكندي ملكاً للحيرة وما يليها منذ عهد تبع أسعد بن حسان ملك اليمن (٤٥٧ - ٤٧٧ م) ثم حسان الثالث ولحيفة يرخم ذو جدن (٤٧٨ - ٤٧٩ م) وعهد شرحبيل يكمل ملك اليمن (٤٨٠ - ٥٠٩ م) ثم سميغ الأول بن شرحبيل يكمل (٥١٠ - ٥١٤ م) ثم يوسف أسار ذو نواس (٥١٥ - ٥٢٥ م) إلى أوائل عهد سميغ الثاني ملك اليمن (٥٢٥ - ٥٣٣ م) وكان أولئك الملوك معاصرين لقباد ملك فارس (٤٨٩ - ٥٢٧ م).

الحارث بن عمرو (بن حجر) أكل المرار، فلم يزل كذلك حتى هلك [٦٢].

قال: ومَلِكُ العرب من قِبل الفُرس بعد الأسود بن المنذر، أخوه المنذر بن المنذر وأمه مارية بنت النعمان سبع سنين، ثم ملك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر - وأمه أم الملك أخت الحارث بن عمرو - أربع سنين، ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن أسد بن أربى بن نمارة بن لخم ثلاث سنين، ثم مَلِكُ المنذر بن امرئ القيس وهو ذو القرنين لظفيرتين كانتا له من شعره - وأمه ماء السماء بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مائة بن عامر بن الضبيبي بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط - فملك تسعاً وأربعين سنة [٦٣].

ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر - وأمه هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر أكل المرار - ست عشرة سنة، ولثماني سنين من ملكه كان عام الفيل الذي ولد فيه رسول الله ﷺ [٦٤].

ثم ولي عمرو بن هند شقيق قابوس (بن المنذر) أربع سنين، سنة منها أيام أنوشروان وثلاث أيام ابنه هرمز، ثم ولي بعده أخوهما المنذر (بن المنذر) أربع سنين [٦٥].

ثم ولي بعده النعمان بن المنذر وهو أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة منها ثماني سنين أيام هرمز وأربع عشرة أيام أبرويز [٦٦].

وفي أيام النعمان هذا اضمحل ملك آل نصر بالحيرة وعليه انقرض، وهو الذي قتله كسرى أبرويز وأبدل منه في الولاية على الحيرة والعرب إياس بن قبيصة الطائي ثم رَدَّ رياسة الحيرة لمرازية فارس إلى أن جاء الإسلام وذهب مُلك فارس.

[٦٢] - الذي قام أنوشروان بتخليكه هو المنذر بن ماء السماء وكان مقيماً بالحيرة متزوجاً هند بنت الحرث بن عمرو الكندي.

[٦٣] - وقع هنا تقديم وتأخير فعهد الأسود (قابوس) بن المنذر ثم المنذر بن المنذر لاحق لعهد المنذر بن ماء السماء كما يأتي.

[٦٤] - تشير القرائن إلى أن عهد عمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند (٥٥٥ - ٥٧١م) فيكون عهد أبيه المنذر بن ماء السماء (ح/ ٥٢٨ - ٥٥٤م).

[٦٥] - يكون عهد قابوس أو الأسود بن المنذر بن المنذر هو الفترة (٥٧٢ - ٥٧٥م) والمنذر بن المنذر (٥٣٦ - ٥٧٩م).

[٦٦] - هو النعمان بن المنذر الخامس آخر ملوك الحيرة المناذرة، حكم ٢٢ سنة (٥٨٠ - ٦٠٢ ميلادية).

وكان الذي دعا أبرويز إلى قتله سعاية زيد بن عدي العبادي فيه عند أبرويز بسبب أن النعمان قتل أباه عدي بن زيد، وسياسة الخبر عن ذلك أن عدي بن زيد كان من تراجمة أبرويز وكان سبب قتل النعمان (إياه) أن أباه وهو زيد بن حماد بن أيوب بن محروب بن عامر بن قبيصة بن امرئ القيس بن زيد مناة، والد عدي هذا، كان جميلاً شاعراً خطيباً وقارئاً كتاب العرب والفرس، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة ويقطعونهم القطائع على أن يترجموا عندهم عن العرب.

وكان المنذر بن المنذر لما ملك^[٦٧] جعل ابنه النعمان في حجر عدي فأرضعه أهل بيته ورباه قوم من أشراف الحيرة ينسبون إلى لحم ويقال لهم بنو مرسي، وكان للمنذر بن المنذر عشرة (أبناء) سوى النعمان يقال لهم الأشاهب لجمالهم^[٦٨] وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصير - وأمه سلمى بنت وائل بن عطية من أهل فديك، كانت أمة للحارث بن عدي بن جناب بن كلب - وكان قابوس بن المنذر الأكبر عم النعمان بعث إلى أنوشروان بعدي بن زيد وأخوته فكانوا في كتابه يترجمون له.

فلما مات المنذر أوصى على ولده إياس بن قبيصة الطائي وجعل أمره كله بيده فأقام على ذلك شهراً، ونظر أنوشروان فيمن يملكه على العرب^[٦٩] وشاور عدي بن زيد واستنصحه في بني المنذر، فقال بقيتهم في بني المنذر بن المنذر، فاستقدمهم كسرى وأنزلهم على عدي، وكان هواه مع النعمان فجعل يُري إخوته تفضيلهم عليه

[٦٧] - قال الأستاذ أحمد أمين في حديثه عن إمارة الحيرة « . . بلغت الحيرة شأوها أيام المنذر الثالث، وكان معاصراً لجوستينيان، حتى روى بعض المؤرخين أنه لما عقد الصلح بين الفرس والرومان عام ٥٢٢م كان من شروطه أن يدفع الرومان قدراً من المال لملك الفرس وللمنذر، وبعد ذلك بسنين أحس المنذر بضعف الفرس فتحالف مع الرومان، ثم مال بعدُ إلى الفرس فأسره الرومان ونفوه إلى صقلية، وبعده وُلِّي النعمان بن المنذر. . » [ص ١٧ فجر الإسلام].

وقد التبست الأمور على أحمد أمين بسبب تشابه الأسماء، فالصلح بين الفرس والرومان عام ٥٢٢م إنما كان في عهد الملك الروماني جوستيان (٥١٩ - ٥٢٦م) بينما عهد جوستيان كان (٥٢٧ - ٥٦٥م) والمنذر الذي أسره الرومان ونفوه إلى صقلية أيام جوستيان ليس ملك الحيرة وإنما هو المنذر الغساني من ملوك الشام الغساسنة.

[٦٨] - وفيهم قال الأعشى:

«وينو المنذر الأشاهب في الحيرة يمشون غدوة كالسيوف»

[٦٩] - وقع هنا خلط بين كسرى أنوشروان وبين كسرى هرمز، فتمليك النعمان إنما كان في عهد كسرى هرمز.

ويقول لهم إن أشار عليكم كسرى بالملك وبمن يكفوه أمر العرب تكفلوا (إلا) بشأن ابن أخيكم النعمان، ويُسر للنعمان أن سأله كسرى عن شأن إخوته أن يتكفلهم ويقول إن عجزت عنهم فأنا عن سواهم أعجز، وكان مع أخيه الأسود بن المنذر رجل من بني مرسي الذين ربوهم اسمه عدي بن أوس بن مرسي فنصحته في عدي (بن زيد) واعلمه أنه يغشه فلم يقبل.

ووقف كسرى على مقالاتهم، فمال إلى النعمان وملكه وتوجه بقيمة ستين ألف دينار، ورجع (النعمان) إلى الحيرة ملكاً على العرب^[٧٠]، وعدي بن أوس في خدمته وقد أضمر السعاية بعدي بن زيد، فكان يظهر الثناء عليه ويتواصى به مع أصحابه وأن يقولوا مثل قوله إلا أنه يستصغر النعمان ويزعم أنه ملكه وأنه عامله حتى أسفوه بذلك.

وبعث (النعمان) إليه في الزيارة فأتاه (عدي بن زيد) وحبسه، ثم ندم وخشي عاقبة إطلاقه فجعل يُمنيه^[٧١].

[٧٠] - كان تملك النعمان بن المنذر عام ٥٨٠ ميلادية في عهد كسرى هرمز بن أنوشروان، وكانت مدة ملوكية النعمان بن المنذر ٢٢ سنة، منها ٨ سنين أيام هرمز و١٤ سنة أيام كسرى أبرويز، والنعمان بن المنذر هذا هو أبو قابوس. ومن شعراء عهده كان النابغة الذبياني وأعشى قيس وعدي بن زيد وغيرهم، وفيه قال النابغة:

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والبيت الحرام

وللنابغة معه خبر طويل مذكور في كتب التراث والأدب، وهرب النابغة منه إلى الشام ثم عاد إليه واعتذر بقصيدته المشهورة التي منها قوله للنعمان:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن جلت أن المنتأى عنك واسع

[٧١] - قصة عدي بن زيد مبسطة في كتب التراث والأدب وكتاب الأغاني، وكان أديباً شاعراً، وله عدة قصائد قالها في سجن الحيرة لما حبسه النعمان بن المنذر، منها قصيدة طويلة قال فيها:

ألا من مبلغ النعمان عني وقد تهوى النصيحة للمغيب
أحظي كان سلسلة وقيداً وغلا، والبيان لدى الطبيب
.. سعى الأعداء لا يألون شراً (علي) ورب مكة والصليب ..

وقصيدة أخرى طويلة منها:

أبلغ النعمان عني مألماً أنني قد طال حبسي وانتظاري
لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

والقصيدة المشهورة «أيها الشامت المُعير بالدهر أنت المبرء الموفور» [ص ١٧ - ٤٠ ج ٢ - الأغاني].

ثم خرج النعمان إلى البحرين، وخالفه جفنه ملك غسان إلى الحيرة وأغار عليها ونال منها^[٧٢]، وكان عدي بن زيد كتب إلى أخيه عند كسرى يشعره بطلب الشفاعة من كسرى إلى النعمان، فجاء الشفيح إلى الحيرة وبها خليفة النعمان، وجاء إلى عدي فقال له أعطني الكتاب ابعثه أنا ولازمي أنت هنا لثلاثاً أقتل، وبعث أعداؤه من بني ببيعة إلى النعمان بأن رسول كسرى دخل عنده، فبعث (النعمان) من قتله. فلما وفد وفد كسرى في الشفاعة أظهر له الإجابة وأحسن له بأربعة آلاف دينار وجارية وأذن له أن يخرج من محبسه فوجده قد مات منذ ليال فجاء إلى النعمان مشرباً فقال: والله لقد تركته حيّاً، فقال: وكيف تدخل إليه وأنت رسول إليّ، فطرده، فرجع إلى كسرى وأخبره بموته، وطوى عنه ما كان من دخوله إليه.

ثم ندم النعمان على قتله، ولقى يوماً وهو يتصيد ابنه زيد (بن عدي بن زيد) فاعتذر إليه من أمر أبيه، وجهزه إلى كسرى ليكون خليفة أبيه على ترجمة العرب، فأعجب به كسرى وقرّبه وكان أثيراً عنده، ثم إن كسرى أراد خطبة بنات العرب، فأشار عليه عدي بالخطبة في بني المنذر، فقال له كسرى اذهب إليهم في ذلك، فقال إنهم لا ينكحون العجم ويستريبون في ذلك فابعث معي من يفقه العربية فلعلي آتيك بغرضك، فما جاء إلى النعمان قال لزيد: أما في عين السواد وفارس ما يغنيكم عن بناتنا، وسأل الرسول (زيداً) عن العين فقال له زيد هي البقر، ثم رجعا إلى كسرى بالخبية وأغراه زيد فغضب كسرى على النعمان^[٧٣].

ثم استقدمه بعد حين لبعض حاجاته وقال له لا بد من المشافهة لأنّ الكتاب لا يسعها، ففطن (النعمان)^[٧٤] فذهب إلى طيء وغيرهم من قبائل العرب ليمنعوه، فأبوا وفرقوا من معاداة كسرى إلا بني رواحة بن سعد من بني عيس فإنهم أجابوه

[٧٢] - يعني ملك العرب بالشام الملك الغساني لذلك العهد كما سيأتي في أبناء ملوك الشام بني جفنة الغساسنة.

[٧٣] - في كتاب الأغاني أن النعمان قال لزيد والرسول يسمع «أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته، فقال الرسول لزيد بالفارسية: ما المها والعين؟ فقال له بالفارسية كاوان أي البقر» ثم أبلغهما النعمان بأن الذي طلب كسرى ليس عنده وكتب إلى كسرى معتذراً، فعادا إلى كسرى باعتذار النعمان، ونقلوا له أنه قال أما في بقر السواد وفارس ما يكفيه، فغضب كسرى وسكت عدة أشهر، وكان النعمان بلغه ما قيل لكسرى فأخذ يحذر منه ويتوقع.

[٧٤] - كتب كسرى أبرويز إلى النعمان يستدعيه إلى المدائن للتشاور فخشى النعمان الغدر، فسار إلى قبائل العرب ببلاد الحيرة.

لو كانوا يغنون عنه، فعذرهم، وانصرف عنهم إلى بني شيبان بذي قار والرياسة فيهم لهانئ بن مسعود بن عامر بن الخطيب بن عمرو المزدلف ابن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ولقيس بن خالد بن ذي الجدين، وعلم (النعمان) إن هانئاً يمنعه وكان كسرى قد أقطعه^[٧٥] فرجع إليه النعمان ماله ونعمه وحلقته وهي سلاح ألف فارس شاكه^[٧٦].

وسار (النعمان) إلى كسرى فلقية زيد بن عدي بساباط، وتبين الغدر فلما بلغ إلى كسرى قيده وأودعه السجن إلى أن هلك فيه بالطاعون^[٧٧].

ودعا ذلك إلى واقعة ذي قار بين العرب وفارس، وذلك أن كسرى لما قتل النعمان استعمل أياس بن قبيصة الطائي على الحيرة مكان النعمان، ليده التي أسلفها طيء عند كسرى يوم واقعة الروم على كسرى ابرويز وطلب من النعمان فرسه ينجو عليها فأبى، واعترضه حسان بن حنظلة بن جنة الطائي وهو ابن عم أياس بن قبيصة فأركبه فرسه ونجا عليه، ومرّ في طريقه بأياس فأهدى له فرساً وجزوراً فرعى له ابرويز هذه الوسائل، وقدم (كسرى ابرويز) أياساً مكان النعمان وهو أياس بن قبيصة بن أبي يعفر بن النعمان بن جنة الطائي، فلما هلك النعمان بعث أياس إلى هانئ بن مسعود في حلقة النعمان، ويقال كانت أربعمائة درع وقيل ثمانمائة، فمنعها هانئ، وغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل، وأشار عليه

[٧٥] - كان هانئ بن مسعود، وقيس بن مسعود من عمال النعمان على بعض مناطق وقبائل الحيرة.

[٧٦] - لم يظهر المقصود من عبارة «فرجع النعمان إليه ماله . . الخ» ولعلها «أودع النعمان لديه ماله . . الخ» وأخذ النعمان برأي هانئ في أن يعود إلى الحيرة ويكتب إلى كسرى معتذراً ويسير إليه «فأما إن صفح عنك فبقيت ملكاً عزيزاً وأما إن أصابك فالموت خير» فرجع النعمان إلى الحيرة وكتب إلى كسرى وبعث إليه بهدايا فأظهر كسرى المودة ثم سار النعمان إليه.

[٧٧] - مات النعمان في سجن كسرى ابرويز بساباط وهو محزوق (أي مضيق عليه) وقيل قتله كسرى في السجن، وفيه قال الأعشى:

. . فذاك وما انجئ من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محزوق

قال الأستاذ أحمد أمين «غضب كسرى على النعمان بن المنذر الخامس وهو أبو قابوس فهرب ثم لجأ إليه فحبسه حتى مات وكان ذلك حوالي ٦٠٢م، وبموته ألغت الحكومة الفارسية نظام إمارة اللخمين، وولت من قبلها حاكماً فارسياً يخضع له أمراء العرب، واستمر الحال على هذا حتى - الفتح العربي الإسلامي - سنة ٦٣٣م حين فتحها خالد بن الوليد» [ص ١٧ فجر الإسلام].

النعمان بن زرعة من بني تغلب أن يمهل إلى فصل القيظ عند ورودهم مياه ذي قار، فلما قاطلوا ونزلوا تلك المياه جاءهم النعمان بن زرعة يخيرهم في الحرب وإعطاء اليد، فاختاروا الحرب، اختاره حنظلة بن سنان العجلي وكانوا قد ولوه أمرهم وقال لهم إنما هو الموت قتلاً إن أعطيتم باليد أو عطشاً إن هربتم وربما لقيكم بنو تميم فقتلوكم، ثم بعث كسرى إلى أياس بن قبيصة أن يسير إلى حربهم ويأخذ معه مسالح فارس - وهم الجند الذين كانوا معه بالققططانية - وبارق وتغلب، وبعث إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين، وكان على طف شقران، أن يوافي إياساً، فجاءت الفرس معها الجنود والأفيال عليها الأساورة، وكان رسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة فقال اليوم انتصف العرب من العجم ونصروا، وحفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم الواقعة^[٧٨]، ولما تواقف الفريقان جاء قيس بن مسعود إلى هانئ وأشار عليه أن يفرق سلاح النعمان على أصحابه ففعل، واختلف هانئ بن مسعود وحنظلة بن ثعلبة بن سنان، فأشار هانئ بركوب الفلاة وقطع حنظلة حزم الرجال وضرب على نفسه وآلى أن لا يفر، ثم التقوا لما انتصف الشهر واقتتلوا، وهرب العجم من العطش، واتبعهم بكر وعجل، فاصطف العجم وقاتلوا وصبروا، وراست أباد بكر بن وائل: أنا نفر عند اللقاء، فصبحوهم واشتد القتال وقطعوا الآمال حتى سقطت الرجال إلى الأرض ثم حملوا عليهم واعترضهم يزيد بن حماد السكوني في قومه كان كميناً أمامهم، فشدوا على أياس بن قبيصة ومن معه من العرب، فولت أباد منهزمة وانهزمت الفرس وجاوزوا الماء في حرّ الظهرية في يوم قائظ فهلكوا أجمعين قتلاً وعطشاً^[٧٩]. وأقام إياس في ولاية الحيرة مكان النعمان ومعه الهمرجان من مرازية فارس تسع سنين، وفي الثامنة منها كانت البعثة^[٨٠].

وولى بعده على الحيرة آخر من المرازية اسمه زادويه بن ماهان الهمداني

[٧٨] - لعل الأصوب أن النبي محمد ﷺ كان بمكة لأن موقعة ذي قار كانت قبل البعثة النبوية وقيل سنة ثلاث من البعثة.

[٧٩] - وفي يوم ذي قار قال الأعشى قصيدة خلدت ذلك اليوم وهي القصيدة التي منها البيت المشهور:

لو أنّ كل معد كان شاركنا في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف

[٨٠] - كانت ولاية أياس بن قبيصة (٦٠٣ - ٦١١ ميلادية) والبعثة النبوية (٦١٠ ميلادية) وبالتالي في السنة الثامنة من ولاية أياس في عهد كسرى ابرويز «وفي أيام ابرويز كانت البعثة لعشرين سنة من ملكه» وكان حكمه ٣٨ سنة (٥٩١ - ٦٢٨ م).

سبع عشرة سنة إلى أيام بوران بنت كسرى^[٨١]، ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر وتسميه العرب الغرور، الذي قتل بالبحرين يوم أحداث لما زحف المسلمون إلى العراق^[٨٢]، ونزل خالد بن الوليد الحيرة وحاصروهم بقصورها، فلما اشرفوا على الهلكة خرج إليهم أياس بن قبيصة^[٨٣] في أشرف أهل الحيرة واتقى من خالد والمسلمين بالجزية فقبلوا منه وصالحهم على مائة وستين ألف درهم، وكتب لهم خالد بالعهد والأمان وكانت أول جزية بالعراق، وكان فيهم هانيء بن قبيصة أخو أياس بن قبيصة بالقصر الأبيض، وعدي بن عدي العبادي ابن عبد القيس وزيد بن عدي بقصر العدسيين، وأهل قصر بني (عوان) من قصور الحيرة وهم بنو عوان بن عبد المسيح بن كلب بن وبرة، وأهل قصر بني بقليلة لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين فقالوا يا حادث ما أنت إلا بقليلة خضراء، وعبد المسيح هذا هو المعمر وهو الذي بعثه كسرى ابرويز إلى سطيح في شأن رؤيا المرزبان، ولما صالح أياس بن قبيصة المسلمين وعقد لهم الجزية سخطت عليه الأكاسرة وعزلوه^(٨٣) فكان ملكه تسع سنين ولسنة منها وثمانية أشهر كانت البعوث^(٨٣) وولي حينئذ الخلافة عمر بن الخطاب وعقد لسعد بن أبي وقاص على حرب فارس، فكان من أول عمل يزدجرد أن أمر مرزبان الحيرة أن يبعث قابوس بن قابوس بن المنذر وأغراه بالعرب ووعدته بملك آبائه وقال له ادع العرب وأنت على من أجابك منهم كما كان آباؤك، فنهض قابوس إلى القادسية ونزلها وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان للنعمان

[٨١] - يتبين من ذلك أن مملكة الحيرة المستقلة في إطار الدولة الفارسية الساسانية انتهت بمقتل النعمان بن المنذر في عهد كسرى ابرويز (عام ٦٠٢م) وأن تملك أياس بن قبيصة الطائي كان إلى جانب حاكم فارسي للحيرة هو الهمرجان (٦٠٣ - ٦١١م) تم تلاه زادويه بن ماهان ١٧ سنة (٦١٢ - ٦٢٩م) إلى أيام بوران بنت كسرى، وكان كسرى ابرويز انتهى عهده بموته مقتولاً على يد أبنائه (ح/٦٢٨م) وهو الذي بعث النبي ﷺ كتاباً إليه يدعو إلى الإسلام، وأخبر النبي ﷺ مبعوثيها باذان بمقتله يوم مقتله في الخبر المشهور عن ذلك، فلما مات كسرى ابرويز تم تملك الطفل أردشير سنة ونصف ثم ملكت بوران بنت كسرى (عام ٦٢٩م) وفيها قال النبي «هلك قوم ولوا أمرهم امرأة».

[٨٢] - كان المنذر هذا أميراً في إطار السلطة الفارسية المباشرة على بلاد الحيرة وما إليها بعد أياس بن قبيصة.

[٨٣] - يبدو أن التباساً وقع هنا بين أياس بن قبيصة وأخيه هانيء بن قبيصة الطائي الذي كان من أمراء الحيرة غداة المسير العربي الإسلامي إلى الحيرة بقيادة خالد بن الوليد عام ٦٣٣ ميلادية، ثم أعاد جرير بن عبد الله البجلي فتح الحيرة.

فكاتبهم مقاربة ووعداً، وانتهى الخبر إلى المثنى بن حارثة الشيباني عقب مهلك أخي المثنى وقبل وصول سعد، فأسرى من ذي قار، وبيت قابوس بالقادسية، ففض جمعه وقتله، وكان آخر من بقي من ملوك آل نصر بن ربيعة وانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس. انتهى كلام الطبري وما نقله عن هشام بن الكلبي. وقد كان المغيرة بن شعبة تزوج هنداً بنت النعمان وسعد بن أبي وقاص تزوج صدقة بنت النعمان، وخبرهما معروف ذكره المسعودي وغيره.

وعدة ملوك آل نصر عند هشام بن الكلبي عشرون ملكاً ومدتهم خمسمائة وعشرون سنة، وعند المسعودي ثلاثة وعشرون ملكاً ومدتهم ستمائة وعشرون سنة، قال: وقد قيل إن مدة عمران الحيرة إلى أن خربت عند بناء الكوفة خمسمائة سنة، قال: ولم يزل عمرانها يتناقص إلى أيام المعتضد ثم أفرت. وفيما نقله بعض الإخباريين أن خالد بن الوليد قال لعبد المسيح أخبرني بما رأيت من الأيام، قال: نعم، قال: رأيت المرأة من الحيرة تضع مكنتها على رأسها ثم تخرج حتى تأتي الشام في قرى متصلة وبساتين ملتفة. وقد أصبحت اليوم خراباً، والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وهذا ترتيب الملوك من ولد نصر بن ربيعة بن كعب، بني عمرو بن عدي الأول منهم، وهو الترتيب الذي ذكره الطبري عن ابن الكلبي وغيره، وبين الناس خلاف في ترتيب ملوكهم بعد اتفاقهم على أن الذي ملك بعد عمرو بن عدي ابنه امرؤ القيس ثم ابنه عمرو بن امرئ القيس وهو الثالث منهم، قال علي بن عبد العزيز الجرجاني في أنسابه بعد ذكر عمرو هذا، ثم ثار أوس بن قلام العملي وملك، فثار به جحجب بن عتيك اللخمي فقتله وملك، ثم ملك من بعده امرؤ القيس البدء بن عمرو الثالث، ثم ملك من بعده ابنه النعمان الأكبر بن امرئ القيس - ابن الشقيقة - وهو الذي ترك المُلْك وساح، ثم ملك من بعده ابنه المنذر، ثم ابنه الأسود بن المنذر، ثم أخوه المنذر بن المنذر، ثم النعمان بن الأسود بن المنذر، ثم أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن أسنش بن أربي بن نمارة بن لخم، ثم ملك من بعده امرؤ القيس بن النعمان الأكبر ثم ابنه (المنذر بن) امرئ القيس، ثم كان أمر الحرث بن عمرو الكندي حتى تصالحا وتزوج المنذر بنته هند فولدت له عمراً، ثم ملك بعد المنذر عمرو بن هند ثم قابوس بن المنذر أخوه، ثم المنذر بن المنذر أخوه الآخر ثم ابنه النعمان بن المنذر، هكذا نسبهم

الجرجاني وهو موافق لترتيب الطبري إلا في الحرث بن عمرو الكندي، فإن الطبري جعله بعد النعمان الأكبر بن امرئ القيس وابنه المنذر، والجرجاني جعله بعد المنذر بن امرئ القيس بن النعمان، وبين هذا المنذر والمنذر بن النعمان الأكبر خمسة من ملوكهم فيهم أبو يعفر بن الذميل، فالله أعلم بالصحيح من ذلك.

وأما المسعودي فخالف ترتيبهم، فقال: بعد النعمان الأكبر ابن امرئ القيس - وسماه قائد الفرس ملكاً خمساً وستين سنة - ثم ملك ابنه المنذر خمساً وعشرين سنة، وهذا مثل ترتيب الطبري والجرجاني، ثم خالفهما وقال: ثم ملك النعمان بن المنذر الحيرة وهو الذي بنى الخورنق خمساً وثلاثين سنة، وملك الأسود بن النعمان عشرين سنة، وملك ابنه المنذر أربعين سنة - وأمه ماء السماء من النمر بن قاسط بن ربيعة وبها عُرف، وملك ابنه عمرو بن المنذر أربعاً وعشرين سنة، ثم ملك بعده أخوه النعمان - وأمه مامه - وقتله كسرى وهو آخرهم، هكذا ساق المسعودي نسق ملوكهم ونسبهم، وهو مخالف لما ذكره الطبري والجرجاني.

وقال السهيلي: كان للمنذر بن ماء السماء من الولد المملكين عمرو والنعمان، وكان عمرو لهند بنت الحرث بن حجر آكل المرار، قال: وكان عمرو هذا من أعظم ملوك الحيرة ويُعرف بمحرق لأنه حرق مدينة الملهم عند اليمامة، وكان مملكاً من قبل كسرى أنوشروان، ومن بعده ملك أخوه النعمان بن المنذر - وأمه مامه - وقتله كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان لموجدة وجدها بسعاية زيد بن عدي بن زيد العبادي، وساق قصة مقتله وولاية أياس بن قبيصة من بعده وما وقع بعد ذلك من حرب ذي قار وغلب العرب فيها على العجم إلى آخرها، فالله أعلم بالصحيح في ترتيب ملوكهم.

وقال ابن سعيد: أول حديثهم في الملك أن بني نمارة (بن لخم) كانوا جنداً للعمالقة بأطراف الشام والجزيرة وكانوا مع الزباء ولما قتلت جذيمة، قام عمرو بن عدي منهم بثأره وكان ابن أخته حتى أدركه وقتلها، وبني الحيرة على فرع من الفرات في أرض العراق، وقال صاحب تواريخ الأمم: وملك (عمرو بن عدي) مائة وثمانين سنة أيام ملوك الطوائف، وبعده امرؤ القيس بن عمرو، ولما مات ولى أردشير بن سابور على الحيرة أوس بن قلام من العمالقة، ثم كان ملك الحيرة فوليها امرؤ القيس بن عمرو، بن امرئ القيس المعروف بمحرق قال وهو المذكور في قصيدة الأسود بن يعفر التي على

رويّ الدال، وبعده ابنه النعمان بن الشقيقة - وهي من بني شيبان - وجعل معه كسرى والياً للفرس، وهو (النعمان) باني الخورنق والسريبر على مياه الفرات وملك إلى أن ساح وتزهّد ثلاثين سنة وذكره عدي بن زيد في شعره، وملك بعده ابنه المنذر وهو الذي سعى لبهرام جورفي الملك حتى تم له وملك أربعاً وأربعين سنة، وملك بعده ابنه الأسود ثم أخوه المنذر بن المنذر ثم النعمان بن الأسود وغضب عليه كسرى وولى مكانه الذميل بن لخم من غير بيت الملك، ثم عاد الملك إليهم فولى أمرؤ القيس ابن النعمان الأكبر وهو ابن الشقيقة وهو الذي غزا بكر بن وائل، وملك بعده المنذر بن ماء السماء - وهي أمه أخت كليب سيد وائل - وطالبه قباذ باتباع مزدك على الزندقة فأبى وولى مكانه الحرث بن عمرو بن حجر الكندي ثم رده أنوشروان إلى ملك الحيرة، وقتله الحرث الأعرج الغساني يوم حليلة كما يأتي^[٨٤]، وملك بعده ابنه عمرو بن هند - وهي عمّة امرئ القيس بن حجر - المعروف بمضط الحجارة لشدة بأسه وهو محرق الثاني حرق بني دارم من تميم لأنهم قتلوا أخاه وحلف ليحرقن منهم مائة فحرقهم، وملك ست عشرة سنة أيام أنوشروان، وفتك به في رواق بين الحيرة والفرات عمرو بن كلثوم سيد تغلب ونهبوا خبائه، وملك بعده أخوه قابوس بن هند وكان أعرج، وقتله بعض بني يشكر، فولى أنوشروان على الحيرة بعض مرازية الفرس فلم تستقم له طاعة العرب فولى عليهم المنذر بن المنذر بن ماء السماء فخرج إلى جهة الشام طالباً بثأر أبيه من الحرث الأعرج الغساني فقتله الحرث أيضاً يوم اباغ^[٨٥] وملك بعده ابنه النعمان بن المنذر - وكان دميماً أشقر أبرش - وهو أشهر ملوك الحيرة وعليه كثرت وفود العرب، وطالب بثأر أبيه وحرد من بني جفنة حتى أسر خلقاً كثيراً من أشرافهم، وحمله عدي بن زيد على أن تنصر وترك دين آبائه^[٨٦]، وحبس عدياً فشنع كسرى فيه

[٨٤] - هو الحارث بن جبلة الغساني ملك العرب بالشام (٥٢٩ - ٥٦٩م) وانتصر الحارث بن جبلة على المنذر ملك الحيرة نصراً كبيراً في يونيه ٥٥٤م بموقعة قنسرين، وربما هي التي اشتهرت بيوم حليلة، ومات الحارث بن جبلة عام ٥٦٩ أو ٥٧٠م.

[٨٥] - صاحب موقعة عين اباغ هو المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني غزا المنذر الغساني بلاد الحيرة فانتصر عليهم في وقعة عين اباغ، وقد عاصر أيضاً ملك الحيرة آنذاك الملك النعمان بن المنذر (٥٨٠ - ٦٠٢م).

[٨٦] - أورد الأصفهاني في كتاب الأغاني رواية بأن الذي تنصر على يد عدي بن زيد هو النعمان بن المنذر الأكبر، ثم قال الأصفهاني: إن عدي بن زيد إنما كان صاحب =

بسعاية أخ له كان عنده، فقتله النعمان في محبسه، ثم نشأ ابنه زيد بن عدي وصار ترجماناً لكسرى فأغراه بالنعمان، وحضر النعمان مع كسرى أبرويز في وقعة بين الفرس والروم، وانهزمت الفرس ونجا النعمان على فرسه التخوم بعد أن طلبه منه كسرى ينجو عليه فأعرض عنه، ونزل له أياس بن قبيصة الطائي عن فرسه فنجا عليه، ووفد عليه النعمان بعد ذلك فقتله وولى على الحيرة أياس بن قبيصة فلم تستقم له طاعة العرب وغضبوا لقتل النعمان وكان لهم على الفرس يوم ذي قار سنة ثلاث من البعثة، ومات أياس وصارت الفرس يولون على الحيرة منهم إلى أن ملكها المسلمون. وذكر البيهقي أن دين بني نصر كان عبادة الأوثان، وأول من تنصر منهم النعمان بن الشقيقة، وقيل النعمان الأخير^(٨٦)، وملك العرب بتلك الجهات ابنه المنذر فقتله جيش أبي بكر رضي الله عنه. وفي تواريخ الأمم: أن جميع ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم خمسة وعشرون ملكاً في نحو ستمائة سنة، والله أعلم، وهذا الترتيب مساوٍ لترتيب الطبري والجرجاني، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين^[٨٧].

= النعمان بن المنذر الأخير، والنعمان الأكبر لا يعرفه عدي ولا رآه ولا هو جد النعمان الذي صحبه عدي، ولعل هذا النعمان عم النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر، والمتنصر السائح ليس عدي بن زيد أدخله في النصرانية وكيف يكون هو المدخل له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره لما حبسه مع من ضربه مثلاً له من الملوك السالفة^[ص ٢٣ ج٢] وذلك في قصيدة عدي بن زيد التي أولها:

أيها الشامت المُعير بالدهر ر، أنت المبرء الموفور

ومنها يضرب المثل بالنعمان بن الشقيقة أو النعمان بن المنذر الأكبر:

وتذكر رب الخورنق إذا أش رف يوماً وللهدي تفكير

سره ماله وكثرة ما يَم لك، والبحر معرضاً والسدير

فارعوى قلبه فقال وما غبطة حيّ إلى الممات يصير.

[٨٧] - انتهى الخبر عن ملوك الحيرة في تاريخ ابن خلدون هنا [ص ٢٧١ ج٢] ثم أورد ابن خلدون مشجر بنسب وترتيب الملوك نقلناه في الصفحة التالية ولم تتضمن الشجرة أسماء عدد من الملوك.

وقد أوضحنا في التعليقات السابقة على أبناء ملوك الحيرة الزمن الدقيق لكثير من ملوكهم وكذلك ملوك فارس وملوك اليمن وبعض ملوك الروم في تلك العصور منذ القرن الأول قبل الميلاد إلى نهاية عهد آخر ملوك الحيرة المناذرة النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى أبرويز عام ٦٠٢ ميلادية.

عمرو بن عدّي بن نصر بن ربيعة

بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن النعمان بن - امرئ القيس بن المنذر - بن المنذر بن النعمان - بن المنذر .

أوس بن قلام
جحجب بن عتيك اللخمي

- الأكبر

- المنذر بن المنذر -

- أبو يعفر بن علقمة الذميلي

- الحرث بن عمرو الكندي

- النعمان الأسود

- أياس بن قيصة الطائي .

شجرة ملوك الحيرة هذه الشجرة على ما عند الطبري والجرجاني وابن سعيد

الخبر عن ملوك كندة من هذه الطبقة [٢] ومبدأ أمرهم وتصاريح أحوالهم

قال الطبري عن هشام بن محمد الكلبي: كان يخدم ملوك حمير أبناء الأشراف من حمير وغيرهم، وكان ممن يخدم حسان بن تُبع عمرو بن حجر سيد كندة لوقته [٣]، وأبوه حجر هو الذي تُسميه العرب آكل المُرار [٤]، وهو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الأصغر ابن معاوية بن الحرث الأكبر ابن معاوية [٥]، وكان أخا حسان بن تُبع لأمه، فلما دوخ حسان [٦] بلاد العرب وسار في الحجاز

[١] - هذا الفصل تابع للفصل السابع عن «قبائل اليمن من قحطان الذين كان المُلْك فيهم بالعراق والحجاز والشام».

[٢] - تقدم نسب قبيلة كندة في الفصل السادس، ويذكر ابن خلدون هنا الملوك الكنديين في عصر ملوك حمير التبابعة ودولة تبابعة حمير ما بين عام ٢٧٥ و عام ٥٩٠ ميلادية.

[٣] - جاءت عبارة (يخدم) في هذا السياق بمعنى الولاية والعمال لملوك حمير التبابعة.

[٤] - المُرار: نبات إذا أكلته الإبل ارتفعت مشافرها وتقضت لمرارة هذا النبات [ص ٣٥٥ ج٤/ سيرة ابن هشام].

[٥] - كان حجر بن عمرو آكل المرار زعيم كندة ومن كبار القادة الأقبال في عهد تُبع ملشان أريم - أول ملوك حمير التبابعة - وقد سجل نقش عبدان الكبير مساهمة كندة في قيام دولة تبابعة حمير بزعامة ملشان، وأنه «تولى ملشان أريم - كما تولى أبناؤه - قيادة حملات خارج اليمن خاصة في ما كان يُعرف باليمامة وفي البحرين بمدلولها الواسع القديم، ونجد» على «قبائل معد ونزار» وأن الحملات بلغت إلى «آبار سجا بين أرض نزار وأرض غسان» [أهـ/ نقش عبدان الكبير - د. محمد بافقيه] وذلك ما بين عام ٣٠٠ و ٣٥٥ ميلادية.

[٦] - في نصوص أخرى بالفصل الرابع عن تبابعة حمير «لما دوخ تبع جزيرة العرب وسار في الحجاز» والمقصود تبع ملشان وهي الحملات التي سجلها نقش عبدان الكبير، فقام تُبع (ملشان) بتولية حجر آكل المرار ملكاً نائباً على الحجاز ونجد والبحرين وفيها أمراء عمال تابعين له، وجاء في كتاب الكامل في التاريخ وكتاب أيام العرب في الجاهلية أنه «كان حجر آكل المرار الكندي وإلى الحجاز لشُبع ملك اليمن» وإنه أغار زياد بن هبولة آخر ملوك الضجاعم بالشام على أطراف الحجاز فسار إليه حجر آكل المرار وقاتله بأطراف الشام وقتل زياد بن هبولة، والواقعة المذكورة بالتفصيل في كتب التاريخ التراثية وكان ذلك لأول قيام=

وهمّ بالإصراف، ولي على معد بن عدنان كلها أخاه حجر بن عمرو وهذا وهو آكل المرار، فدانوا له، وسار فيهم أحسن سيرة، ثم هلك ومَلِك من بعده ابنه عمرو المقصور^[٧٦]، «قال الطبري عن هشام^[٨] ولما سار حسان إلى جديس خلفه على بعض أمور ملكه في حمير، فلما قُتل حسان ووُلِّي بعده أخوه عمرو بن تبع وكان ذا رأي وثُبل فأراد أن يكرم عمرو بن حجر، فزوَّجه بنت أخيه حسان بن تُبع، وتكلمت حمير في ذلك وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها أن لا يتزوج في ذلك البيت أحد من العرب سواهم، فولدت بنت حسان لعمرو بن حجر الحارث بن عمرو، ومملك بعد عمرو بن تُبع عبد كلال بن مثوب أصغر أولاد حسان^[٩] واستهوت الجنّ منهم تبع بن حسان، فولوا عبد كلال، وكان على دين

= دولة الغساسنة بالشام (في عهد قسطنطين ملك الرومان ٣٠٦ - ٣٣٦م) كما سيأتي في الخبر عن الغساسنة.

وقد عاش حجر آكل المرار مدة طويلة ملكاً نائباً على الحجاز ونجد حتى وفاته. [٧] - هو عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي، يقال سُمِّي المقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه، ولعل الأصوب أن أباه قصر تملكه على بعض ما كان يملك، فقد تولى أيضاً «معاوية الجون بن حجر آكل المرار» وقد ذكره ابن خلدون في فقرة لاحقة، وجاء في شرح الدامغة للهمداني «أن عمرو بن حسان هو الذي ولي عمرو المقصور الكندي على معد، وهو خاله، كانت أم عمرو المقصور بنت حسان، ورتبه بالمشقر حصن البحرين» [ص ١٢٦] وفي هذه الرواية التباس وخلط، فالذي كانت أمه بنت حسان إنما هو الحارث بن عمرو المقصور. . ويستفاد من خبر آخر في شرح الدامغة أن والده عمرو المقصور هي أم أياس بنت عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان. وقال الحرث بن حلزة يفخر بذلك في زمن لاحق:

وولدنا عمرو ابن أم أياس من قريب لما أتانا الحباء
أن عمراً لنا لديه خلال غير سرفي كلهن البلاء
ربنا وابننا وأفضل من يمشي ومن دون ما لديه الشناء

[ص ٤٢٢ شرح الدامغة]

[٨] - هذا الخبر من قوله «قال الطبري عن هشام» إلى نهاية القوس «٨» فيه خلط والتباس في ترتيب الملوك والأسماء، وقد تقدم الترتيب الصحيح في الفصل الرابع عن ملوك حمير التابعة.

[٩] - ليس عبد كلال ابن الحسان وإنما هو عبد كلال بن مثوب بن ذي رعين كما في نص ابن خلدون بالفصل الرابع وكانت زعامته في عهد وبعد تبع ملشان، وفي عهدهما دخلت المسيحية إلى اليمن على يد راهب غساني بعثه الملك قسطنطين بن قسطنطين (٣٣٧ - ٣٧٠م) ولم يقتله أحد، وقد تعاقب بعدهما الملوك وصولاً إلى تبع حسان بن غيمان (٤٣٠ - ٤٥٦م) وكانت له حملات إلى اليمامة ونجد والحجاز وتزوج عمرو المقصور ابنة حسان =

النصرانية الأولى، وكان ذلك يسوء قومه، ودعاه إليه رجل من غسان قدم عليه من الشام، ووثبت حمير بالغساني فقتلوه^(٩)، ثم رجع تبع بن حسان عن استهواء الجن وهو أعلم الناس بنجم وأعقل من يعلم في زمانه وأكثرهم حديثاً عما كان ويكون^(١٠).

فَمَلَّك (تُبَّع بن حسان) على حمير وهابته حمير والعرب^[١٠]، وبعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها^[١١]، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس فقاتله، فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وهزم أصحابه، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر - وأمه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط - وذهب مُلْك آل النعمان وملك الحارث بن عمرو ما كانوا يملكون^[١٢]، وفي كتاب الأغاني: لما ملك قباذ وكان ضعيف الملك توثبت العرب على المنذر الأكبر (ابن ماء السماء) وهو ذو القرنين ابن النعمان بن الشقيقة فأخرجوه وإنما سُمِّيَ ذا القرنين لذؤابتين كانتا له فخرج هارياً منهم حتى مات في ايداء، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم وكان أنكى ولده، وجاءوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار فملكوه على بكر وحشدوا له وقاتلوا معه وظهر على من

= هذا وهي والدة الحارث بن عمرو الكندي ثم تولى تبع أسعد بن حسان عرش التبابعة.
[١٠] - هو تُبَّع أسعد الثاني بن حسان بن عمرو (غيمان) الحميري (٤٥٧ - ٤٧٧ ميلادية) وكانت مدة حكمه عشرين سنة، وفي السنة السادسة من عهده، (٤٥٢م) تم عقد وكتابة حلف قبائل اليمن وربيعه بن نزار، وقد أورد الهمداني نص الحلف في شرح الدامغة (ص ٤١٦) ودخلت فيه سائر قبائل اليمن وربيعه في الجزيرة العربية والحيرة.

[١١] - كان الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ملكاً نائباً على نجد وما والاها إلى تخوم بلاد الحيرة في إطار دولة تبابعة حمير، وكانت مدينة (قرية ذات كهل) بوادي الدواسر على طريق اليمامة والبحرين والحيرة هي عاصمة ملوكية كندة في شمال الجزيرة، فقام أسعد بن حسان بتعزيز وتقوية سلطة الحارث بن عمرو الكندي.

[١٢] - تتفق هذه الروايات التاريخية وغيرها مما سلف في الفصل السابق عن ملوك الحيرة على أن الحارث بن عمرو الكندي شملت ملوكيته بلاد الحيرة إلى نهر الفرات، وتختلف في بعض التفاصيل، ويعود ذلك إلى أن حكمه لم يشمل بلاد الحيرة مرة واحدة وإنما تدريجياً، ولما تجاوز قباذ ملك فارس فترة الضعف والصراعات على الحكم مع أخيه يلاش وفي مشارق بلاد فارس منذ عام ٤٨٩م كما تقدم أقرّ ملوكية الحارث على بلاد الحيرة وما كان أقطعه للحارث من سواد العراق فجعل الحارث امر السواد إلى المنذر، واستمر ذلك حتى هلاك قباذ وتمليك كسرى أنوشروان ح/ عام ٥٢٨م.

وقد ذكر ابن خلدون في نص لاحق «أن الحارث بن عمرو الكندي رفض أن يتزندق مع قباذ ملك الفرس» مما يدل على عدم صحة ما جاء عن ذلك في الرواية المذكورة هنا.

قاتله من العرب، وأبى قباذ أن يمدّ المنذر بجيش، فلما رأى ذلك كتب إلى الحارث بن عمرو أني في غير قومي وأنت أحق من ضمّني وأنا متحوّل إليك، فتحول إليه، وزوجه بنته هنداً^(١٢). وقال غير هشام بن محمد: إنّ الحارث بن عمرو لما وليّ على العرب بعد أبيه اشتدت وطأته وعظم بأسه ونازع ملوك الحيرة وعليهم يومئذ المنذر بن امرئ القيس، وكان كسرى قباذ زنديقاً على رأي ماني فدعا المنذر إلى رأيه فأبى عليه وأجابه الحارث بن عمرو فملكه على العرب وأنزله بالحيرة، ثم هلك قباذ وولى ابنه أنوشروان فرد ملك الحيرة إلى المنذر وصالحه الحارث على أن له ما وراء نهر الفرات من السواد فاقتسما ملك العرب^(١٢).

وفرق الحارث ولده (ملوكاً) في معد، فملك حجراً على بني أسد، وشرحبيل على بني سعد والرباب، وسلمة على بكر وتغلب، ومعد يكرب على قيس وكنانة^[١٣]، ويقال بل كان سلمة على حنظلة وتغلب، وشرحبيل على سعد والرباب

[١٣] - كان ذلك انعكاساً وتطبيقاً للنظام السائد في عصر دولة تباينة حمير منذ عهد تبع ملشان أريم وحجر بن عمرو آكل المرار الكندي، وكان من معالم ذلك النظام تقسيم البلاد إلى عدة أقسام كبيرة تضم عدداً من الأذوائيات والمناطق يتولى زعامتها أحد الأذواء مع إخوته وأبنائه، ومثال ذلك النقش المسند رقم (R4069) من عهد شرحبيل يكمل عام ٥٩٥ للتقويم الحميري (٤٨٠ ميلادية) باسم: «شرحبيل يكمل/ وشراحيل يقبل/ وسميفع أشوع/ ومرثد الن أحسن/ بنو لحيعة يرخم/ وسميفع أشوع/ ولحيعة يرخم بني شرحبيل يكمل/ ذوو يزن/ وجدن/ ويلغب/ ويصبر/ وكبار أقيال شعوب ضيفتن/ ورثحم/ وسأكلن/ والركب/ وكبور شعب سيان» [انتهى]

(*) وكذلك كان الحارث بن عمرو الكندي زعيماً ملكاً على مناطق وقبائل نجد ومعد بن عدنان شمال وشرق الجزيرة العربية ومنها المناطق التي كانت تسكنها قبائل معد ونزار المذكورة فتوزع أبناء الحارث ملوكاً أقيالاً عليها، كما كان بتلك الجهات أيضاً ملوك أقيال على بقية مناطقها وقبائلها منهم ابن الجون الكندي وشراحيل بن الأصهب الجعفي المذحجي وأبو دويلة الشبامي الهمداني، وذلك في إطار الدولة الحميرية، وكان الحارث بن عمرو الكندي هو الأول بين أولئك الزعماء وبمثابة الملك كما شملت ملوكيته بلاد الحيرة بالعراق فاستقر بمدينة الحيرة، وكان ذلك في إطار دولة تباينة حمير التي تعاقب على حكمها في تلك الفترة كل من:

- ١ - تبع أسعد بن حسان ٤٥٧ - ٤٧٧ م.
- ٢ - حسان الأصغر ولحيعة يرخم زوجدن ٤٧٨ - ٤٧٩ م.
- ٣ - شرحبيل يكمل ٤٨٠ - ٥٠٩ م.
- ٤ - سميفع الأول بن شرحبيل يكمل ٥٠٩ - ٥١٤ م.
- ٥ - يوسف اسار ٥١٥ - ٥٢٥ م.

وبكر، وكان قيس بن الحارث سيارة أي قوم نزل بهم فهو ملكهم، وفي كتاب الأغاني أنه ملك ابنه شرحبيل على بكر وائل، وحنظلة على بني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرياب، وغلفا وهو معد يكرب على قيس، وسلمة بن الحارث على بني تغلب والنمر بن قاسط والنمر بن زيدة مناة. اهـ كلام الأغاني (١٣).

فأما شرحبيل (بن الحارث الكندي) فإنه فسد ما بينه وبين أخيه سلمة، واقتتلوا بالكلاب^[١٤] ما بين البصرة والكوفة على سبع (مراحل) من اليمامة، وكان على تغلب السفاح وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير ابن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب، وسبق إلى الكلاب سفيان بن مجاشع بن دارم من أصحاب سلمة في تغلب مع إخوته لأمه، ثم ورد سلمة (الكندي) وأصحابه، فاقتتلوا عامة يومهم^[١٥] وخذلت (شرحبيل) بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرياب (من) بكر بن وائل، وانصرفت بنو سعد واتباعها عن تغلب، وصبر بنو بكر وتغلب ليس معهم غيرهم إلى الليل، ونادى منادي سلمة في ذلك اليوم: من يقتل شرحبيل ولقاتله مائة من الإبل، فقتل شرحبيل في ذلك اليوم، قتله عصيم بن النعمان بن

= ٦ - سميغ الثاني ٥٢٥ - ٥٣٣م وفي عهده:

أ - تولى كسرى أنوشروان ملوكية فارس (عام ٥٢٨م).

ب - قام كسرى أنوشروان بدعم وتحريك المنذر بن ماء السماء للسيطرة على الحيرة والقضاء على ملوكية الحارث، فسيطر المنذر على الحيرة وأعدم ٤٨ شخصاً من كندة وأقارب الحارث فيهم عمرو ومالك ابنا الحارث، بينما هرب الحارث من الحيرة وأقام بديار كلب حيث ما لبث أن مات وبدأ المنذر في تحريك عمليات اغتيال أبناء الحارث الملوك في نجد وشمال الجزيرة العربية ومنهم حجر بن الحارث والد امرئ القيس كما سيأتي.

[١٤] - الكلاب - بضم الكاف - اسم ماء وموضع كان بأطراف بلاد الحيرة وبين الحيرة واليمامة، وكان قد سبق موقعة الكلاب سيطرة المنذر على الحيرة وتمليك أنوشروان إياه، وقام المنذر بإعدام ٤٨ شخصاً من رجال وأقارب الحارث بن عمرو الكندي في ديار مرينا بالحيرة، فأتى الخبر إلى امرئ القيس وهو في دمون باليمن فقال يرثيهم:

ملوك من بني حُجر ابن عمرو يُساقون العشيّة يُقتلون
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

[١٥] - كان المنذر بن ماء السماء هو الذي أغرى بين شرحبيل وسلمة وأفسد بينهما حتى اندلعت الحرب بينهما في يوم الكلاب.

مالك بن غياث بن سعد بن زهير بن بكر بن حبيب التغلبي^[١٦٦] وبلغ الخبر إلى أخيه معد يكره فاشتد جزعه وحزنه على أخيه، وزاد ذلك حتى اعتراه منه وسواس هلك به، وكان معتزلاً عن (بني) الحارث^[١٧٣]. ومنع بنو سعد بن زيد مناة عيال شرحبيل، وبعثوا بهم إلى قومهم^[١٨] فعل ذلك عوف بن شحنة بن الحرث بن عطارد بن عوف بن سعد بن كعب^(١٨). وأما سلمة (بن الحارث الكندي) فإنه فلج فمات.

وأما حجر بن الحارث^[١٩] فلم يزل أميراً على بني أسد^[٢٠] إلى أن بعث رسله في بعض الأيام لطلب الأتاوة من بني أسد فمنعوها وضربوا الرسل، وكان حجر بتهمة فبلغه الخبر فسار إليهم في ربيعة وقيس وكنانة، فاستباحهم وقتل أشرفهم وسرواتهم وحبس عبيد بن الأبرص في جمع منهم فاستعطفه بشعر بعث به إليه^[٢١]، فسرحه وأصحابه وأرقدتهم. فلما بلغوا إليه هجموا عليه بيته فقتلوه^[٢٢] وتولى قتله علباء بن الحرث الكاهلي، كان حجر قتل أباه.

[١٦] - إن النتيجة الأهم ليوم الكلاب هي زوال ملوكية وقوة شرحبيل وسلمة ثم انضواء مناطقيهما تحت حكم المنذر بحيث كان القضاء على حجر بن الحارث الكندي ملك نجد هو الخطوة التي تلت ذلك لصالح المنذر أيضاً.

[١٧] - كان معد يكره بن الحارث أميراً في دمنون ومناطق كندة باليمن غالباً، وكان امرؤ القيس مقيماً في دمنون.

[١٨] - قال امرؤ القيس مشيراً إلى ذلك ومثنيًا على الذين منعوهم وأوصلوهم إلى اليمن: هموا منعوا حيّ المضلل أهلهم وساروا بهم بين الفرات ونجران

[١٩] - حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي وهو والد امرئ القيس.

[٢٠] - كان حجر ملكاً أميراً على مناطق نجد واليمامة إلى تهامة الحجاز غرباً وإلى شرق بلاد اليمامة وتخوم بلاد الحيرة شرقاً، وكانت مدينة (قرية ذات كهل/ الفاو/ بوادي الدواسر جنوب اليمامة) عاصمة ومقر ملوكيته، والوقائع المذكورة هنا تنطق بملوكيته على بني أسد وغطفان وربيعة وقيس وكنانة وتهامة واليمامة.

[٢١] - قال عبيد بن الأبرص في ذلك الشعر مخاطباً حجراً:

مهلاً - أبيت اللعن - مهلاً
 إن فيمأقلت آمنه
 في كل واد بين يترب
 والقصور إلى اليمامة
 تطريب عانٍ أو صياح
 مُحرقٍ وُزقَاء هامة
 أنت المليك عليهم
 وهُم العبيد إلى القيامة

[٢٢] - كان مقتل حجر في واقعة لاحقة لذلك بزمان حيث دبر بنو أسد قتله وأقدموا على ذلك بعد يوم الكلاب.

ويبلغ الخبر أمراً القيس^[٢٢٣]، فحلف أن لا يقرب لذة حتى يدرك بثأره من بني أسد، وسار صريخاً إلى بني بكر وتغلب فنصروه وأقبل بهم^[٢٢٤]، فأجفل بنو أسد، وساروا إلى المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة، وأوقع امرؤ القيس في كنانة فأثخن فيهم، ثم سار في إتباع بني أسد إلى أن أعيأ ولم يظفر منهم بشيء^[٢٢٥] ورجعت عنه بكر وتغلب^(٢٥).

فسار (امرؤ القيس) إلى مرثد الخير بن ذي جدن من ملوك حمير صريخاً^[٢٢٦]، فنصره بخمسائة رجل من حمير وجمع من العرب سواهم^[٢٢٧]،

[٢٣] - كان امرؤ القيس في دمون باليمن، وقال:

تطاول الليل علينا دمون دمون إنا معشر يمانون
واننا لأهلنا مسحون

[٢٤] - سار امرؤ القيس من اليمن في فرسان من كندة وحمير، وتم تملكه في عاصمة أبيه ثم انضمت إليه بنو بكر وتغلب، وقال لما انذر وأمهل بني أسد «فرويداً ينكشف لكم دجاها عن فرسان كندة وكئاب حمير».

[٢٥] - هرب بنو أسد إلى بلاد الحيرة وملكها المنذر فأراد امرؤ القيس مطاردتهم ولحاقهم إلى الحيرة فتخلت عنه بكر وتغلب، ربما لأن الصراع سيكون مع المنذر ملك الحيرة وربما لأنه استمالهم أو غير ذلك.

[٢٦] - كان ملك اليمن آنذاك هو «سميفع ذو يزن» - صاحب نقش حصن الغراب/قنا/المؤرخ بعام ٥٢٥ ميلادية حيث تم تملكه بعد هلاك يوسف أسار ذي نواس أثناء تصديه للغزو الحبشي الروماني الأول على ساحل اليمن في ذلك العام، وقد سلف قول ابن خلدون إنه «ملك ذو يزن بعد هلاك ذي نواس» وقد حكم سميفع ذو يزن اليمن (٥٢٥ - ٥٣٣ م) وذكرته المصادر الرومانية بلفظ «سميفوس ملك حمير» وأن الملك الروماني جوستيان أرسل وفداً كبيراً إليه برئاسة نائبه يوليانوس وكان سميفع يدين بالمسيحية.

أما مرثد الذي ذكره ابن خلدون فكان من الأذواء الذين كانوا بمثابة ملوك في إطار الدولة، ولا بد أنه «مرثد الن أحصن بن لحبيعة يرخم ذو جدن» المذكور في نقش أخيه الملك شرحبيل يكمل وهو النقش سالف الذكر باسم شرحبيل وإخوته وبينهم (مرثد الن أحصن) عام ٤٨٠ م فاستمر مرثد زعيماً على المنطقة الجندية الحميرية إلى عهد سميفع واستنصار امرئ القيس به حوالي عام ٥٣٠ وفيه قال:

وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا وإذ نحن لا ندعو عبيداً كقرمل

[٢٧] - تذكر كتب التاريخ أنه «مرثد الخير بن ذي جدن امرؤ القيس بخمسائة رجل من حمير، ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس من اليمن بهم، وقام بالملك بعده رجل يقال له قرمل، فأنفذ له الجيش بعد تأخير» وقد يكون التأخير حتى وصول موافقه رسمية من الملك سميفع لأن إرسال قوة حميرية رسمية تعني مواجهة مع المنذر ملك الحيرة ومن وراءه كسرى أنوشروان ودولته الفارسية الساسانية.

وجمع المنذر لامرئ القيس ومن معه، وأمدّه كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة^[٢٨]، والتقوا، فانهزم امرؤ القيس وفرت حمير ومن كان معه، ونجا بدمه^[٢٩]، وما زال يتنقل في القبائل، والمنذر في طلبه^[٣٠]، وسار (امرؤ القيس) إلى قيصر صريحاً فأمدّه^[٣١]، ثم سعى به الطماح عند قيصر أنه يشبب ببنته، فبعث إليه بحلة مسمومة كان فيها هلاكه، ودُفن بأنقرة^[٣٢].

[٢٨] - هذا النص واضح في أن صراع امرئ القيس كان قد تجاوز الشار من بني أسد وأصبح صراعاً مع المنذر ملك الحيرة المسنود من الدولة الفارسية وملكها كسرى أنوشروان.

[٢٩] - يدل لجوء امرئ القيس بعد المعركة إلى منطقة جبليّ طي (أجا وسلمي) في شرق شمال نجد على أن المعركة بينه وبين المنذر ومن معه من الفرس دارت بين تخوم الحيرة وشرق شمال نجد، وأن نتيجة المعركة أدت إلى زوال ملوكية امرئ القيس وكندة من نجد وجهاتها نهائياً وخضوعها للمنذر.

[٣٠] - استمر تنقل امرئ القيس في مناطق وقبائل شمال الجزيرة عدة سنوات وكما جاء في كتاب الأغاني «كان المنذر يبعث في طلبه جموعاً من إباد وبهرا وتنوخ وجيوشاً من الأساورة أمدّه بهم أنوشروان» [أه].

[٣١] - قيصر المقصود هنا هو الملك الروماني البيزنطي جوستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) وهو آخر عظماء الملوك الرومان وأصدر في عام ٥٢٩ م مرسوماً باعتماد تملك الحارث بن جبلة الغساني ملكاً للعرب في الشام، وكان مسير امرئ القيس من تيماء - كما سيأتي - إلى الملك الحارث الغساني، وأقام فترة بالشام وله فيها أشعار، ثم كتب له الحارث كتاباً إلى الملك جوستنيان بشأن مناصرته لمحاربة المنذر ملك الحيرة واستعادة ملوكيته، فسار امرؤ القيس ومعه صاحب مرافق له من الشام فلما أجاز درب الشام قاصداً الملك الروماني قال امرؤ القيس:

«بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك عيئك إنّما نُحاولُ ملكاً أو نموتُ فَنُعدرا
وانني أدينُ إن رجعتُ مُملكاً بسيرِ ترى منه الفُرائقُ أزورا . . .»

فأكرمه الملك القيصر جوستنيان وكانت له عنده منزله ووضع تحت امرته قوة كبيرة، فسار متوجهاً من القسطنطينية وأنقرة، فمات بأنقرة بمكيدة الطماح كما في كتب التاريخ والترات بالتفصيل.

[٣٢] - جاء في كتاب تاريخ الأدب العربي تحديد موت امرئ القيس بن حجر الكندي بعام ٥٤٠ ميلادية. وقد تقدم أن الحارث بن جبلة الغساني انتصر انتصاراً كبيراً على المنذر ملك الحيرة في موقعة قنسرين في يونيه ٥٥٤ ميلادية، واشتهرت الموقعة باسم يوم حليلة في كتب التراث التي تذكر مقتل المنذر فيها.

قال الجرجاني: ولا يُعلم لكندة بعد هؤلاء ملوك اجتمع لهم أمرها وأطيع فيها سوى أنهم قد كان لهم رياسة ونباهة وفيهم سؤدد حتى كانت العرب تُسميهم كندة الملوك، وكانت الرياسة يوم جَبَلَة على العساكر لهم، فكان حسان بن عمرو بن الجون على تميم ومعاوية بن شرحبيل بن حصن على بني عامر، والجون هو معاوية بن حجر آكل المرار أخو الملك المقصور عمرو بن حجر^[٣٣]، والله وارث الأرض ومن عليها.

وفي كتاب الأغاني: أن امرأ القيس لما سار إلى الشام نزل على السموأل بن عادي بالأبلى^[٣٤]، بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم بنو أسد، وتفرق عنه أصحابه كراهية لفعله، واحتاج إلى الهرب، فطلبه المنذر بن ماء السماء وبعث في طلبه جموعاً من إياد وبهرا وتنوخ وجيوشاً من الأساورة أمده بهم أنوشروان، وخذلته حمير وتفرقوا عنه، فالتجأ إلى السموأل ومعه ادراع خمسة مسماة كانت لبني آكل المرار يتوارثونها^[٣٥] ومعه بنته هند وابن عمه يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث، ومال وسلاح كان بقي معه، والربيع بن ضبع بن فزارة^[٣٦] وأشار عليه الربيع بمدح السموأل فمدحه ونزل به، فضرب لابنته قبه وأنزل القوم في مجلس له براح، فمكثوا ما شاء الله، وسأله امرؤ القيس أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر (الغساني) يوصله إلى قيصر ففعل، واستصحب رجلاً يدلّه على الطريق، وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل، وخلف ابن عمه يزيد بن الحرث مع ابنته هند، ونزل الحرث بن ظالم غازياً على الأبلى، ويقال الحرث بن أبي شمر، ويقال ابن المنذر، وبعث (السموأل) ابنه يتصيد (فأسره) الحرث بن ظالم وهدهد بقتله (إن لم يسلم إليه

[٣٣] - تواصلت ملوكية كندة في مناطق كندة وحضرموت باليمن وكان منهم قيس بن معد يكرب الكندي الذي مدحه أعشى قيس بغير القصائد ثم الأشعث بن قيس الكندي الذي أدرك الإسلام وكان من الصحابة وكبار الأمراء القادة في فجر الإسلام، وسيذكرهما ابن خلدون في نص لاحق.

[٣٤] - السموأل بن عادي الغساني كان صاحب الحصن الأبلى في تيماء بأعالي الحجاز.

[٣٥] - أسماء الدروع الخمسة: النفضافضة، والصفافية، والمحصنة، والخريق، وأم الذبول.

[٣٦] - الربيع بن ضبع الفزاري شاعر جاهلي من الحجاز وكان شديد الإعتراز بتاريخ وأمجاد اليمن وهو القائل:

ومارب إذ كانت وأملاك مارب توافي جباة الصين بالخرج ماربيا
وغمدان إذ غمدان لا قصر مثله زهاء وتشبيداً يحاذي الكواكبا

أدرع وسلاح امرئ القيس) فأبى من إخفار ذمته، وقتل (الحرث بن ظالم) ابنه، فضرب به المثل في الوفاء بذلك. وأما نسب السموأل، فقال ابن خليفة عن محمد بن سالم البيكندي عن الطوسي عن ابن حبيب أنه السموأل بن عريض بن عاديا بن حيا، ويقال إن الناس يدرجون عريضاً في النسب، ونسبه عمرو بن شبه ولم يذكر عريضاً. وقال عبد الله بن سعد عن دارم بن عقال من ولد السموأل بن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو بن عامر مزيقيا، وهذا عندي محال لأن الأعشى أدرك شريح بن السموأل وأدرك الإسلام، وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة، وقد قيل إن أمه من غسان. وكلهم قالوا هو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، المشهور بالزء، وقيل من ولد الكوهن بن هارون، وكان هذا الحصن لجده عاديا، واحتفر فيه أروية عذبة وتنزل به العرب فتصيبها وتمتار من حصنه وتقيم هنالك سوقاً. اهـ كلام الأغاني.

وقال ابن سعيد: كندة لقب لثور بن عفير بن الحرث بن مرة بن أدد بن يشجب بن عبيد الله بن زيد بن كهلان^[٣٧]، وبلادهم في شرقي اليمن ومدينة ملكهم دمون^[٣٨]، وتوالى الملك منهم في بني معاوية بن كندة، وكان التبابعة يصاهرونهم ويولونهم على بني معد بن عدنان بالحجاز، وأول من ولي منهم حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية الأكبر ولاء تبع أبو كرب الذي كسا الكعبة^[٣٩]، وولي بعده ابنه عمرو بن حجر، ثم ابنه الحارث المقصور وهو الذي أبى أن يتزندق مع قباذ ملك فارس، فقتل في بني كلب ونهب ماله، وكان قد ولي أولاده على بني معد فقتل أكثرهم، وكان على بني أسد منهم حجر بن الحارث فجار عليهم فقتلوه، وتجرد للطلبة بثأره ابنه امرؤ القيس، وسار إلى قيصر فأغراه به الطماح الأسدي، وقال إنه يتغزل ببنات الملوك فألبسه حلة مسمومة تقطع بها^(٣٩).

[٣٧] - الصواب كما تقدم في الفصل السادس أن كندة كان اللقب الشخصي لثور بن مرتع بن معاوية بن كندي بن عفير بن عدي بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

[٣٨] - وذلك بمحافظة حضرموت حالياً وموقع مدينة دمون وغيرها من مدن كندة المذكورة في الإكليل ومعروفة حتى اليوم، في مديرية تريم.

[٣٩] - الصواب كما تقدم أن الذي ولاء تبع ملشان (٢٧٥ - ٣٥٠م) وكان آخر ملك منهم امرؤ القيس المتوفى عام ٥٤٠ ميلادية.

وقال صاحب تواريخ الأمم: إن الملك انتقل بعدهم إلى بني جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين، واشتهر منهم قيس بن معد يكرب بن جبلة^[٤٠] ومنهم الأشعث وابنته العمردة من مرده الأنس، ولها في قتال المسلمين أخبار في الردة، وأسلم أخوها الأشعث^[٤١] ثم ارتد بعد الوفاة واعتصم بالنجير ففتح جيش أبي بكر رضي الله عنه وجيء به إليه أسيراً، فمن عليه وزوجه أخته، وخرج من نسله بنو الأشعث المذكورون في الدولة الأموية^(٤١).

ومن بطون كندة: السكون والسكاسك، وللسكاسك مجالات شرقي اليمن متميزة وهم معروفون بالسحر والكهانة، ومنهم: تجيب، بطن كبير، كان منهم بالأندلس بنو صمادح وبنو ذي النون وبنو الأفطس من ملوك الطوائف. والله تعالى وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا رب غيره.

[٤٠] - وهو المذكور في قول الشاعر الجاهلي عبد يغوث الحارثي «وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا».

[٤١] - تقدم ذكر الأشعث بن قيس وابنه الأمير الخليفة الثائر عبد الرحمن بن الأشعث الكندي وله قال أعشى همدان:

يا بن الأشج قريع كندة لا أبالي فيك عتبا
أنت الرئيس ابن الرئيس وأنت أعلى الناس كعبا

أمرف القيس بن خنجر - بن الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر

- معد يكرب -
- شرحبيل -

- قيس -
- سلمة -

بن معاوية بن كندة (الكندي)

شجرة نسب الملوك من كندة

الخبر عن أبناء جفنة ملوك غسان بالشام وأوليتهم ودولهم وكيف انساق المُلْك إليهم ممن قبلهم

أول مُلْك كان للعرب بالشام فيما علمناه للعمالقة^[١] ثم لبني إرم بن سام ويعرفون بالأرامانيين^[٢]، وقد ذكرنا خلاف الناس في العمالقة الذين كانوا بالشام، هل هم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام أو من ولد عماليق بن اليفاز بن عيصو، وأن المشهور المتعارف أنهم من عمليق بن لاوذ، وكان بنو إرم يومئذٍ بادية في نواحي الشام والعراق، وقد ذُكروا في التوراة، وكان لهم مع ملوك الطوائف حروب كما تقدمت الإشارة إلى ذلك كله من قبل^(٢)، وكان آخر هؤلاء العمالقة ملكاً السميدع بن هوثر، وهو الذي قتله يوشع بن نون حين تغلب بنو إسرائيل على الشام^[٣].

[١] - شمل مصطلح العمالقة القبائل والشعوب العربية السامية الأولى التي انتقلت من اليمن والجزيرة العربية إلى الشام في العصور الأقدم وهم العمالقة وكنعان - عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد - والأموريون عام ٢١٥٠ ق.م. ومنهم قوم عاد وشداد بن عاد الذين تقدم ذكر ابن خلدون ملوكيتهم للشام (ح/ ١٨٠٠ - ١٦٠٠ ق.م.) وبقية العمالقة وكنعان، وكانت أول ممالكهم الكبرى بالشام مملكة إيبلا (ح/ ٢٥٠٠ ق.م. - ٢١٠٠ ق.م.) ثم الممالك الأمورية (٢١٠٠ - ١٦٠٠ ق.م.) ثم مملكة أوغاريت الكنعانية (ح/ ١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق.م.) وقد كشفت التنقيبات نقوش وآثار وتاريخ تلك الدول بالشام.

[٢] - بنو إرم هم الآراميون، وقد تقدم قول ابن خلدون «بنو إرم بن سام، الآرميون الذين كانوا ملوكاً بدمشق وهم من العرب الأولى» [اهـ] وهم الطبقة الثانية من القبائل والشعوب العربية السامية التي استقرت بالشام بعد انتقالها من اليمن في العصر الأول لدولة تبابعة سبأ (عام ١٥٠٠ ق.م. و عام ١٢٠٠ ق.م.) وشمل مصطلح الآراميين أيضاً الفينيقيين وهم أيضاً من العرب اليمانيين، وتواصلت الممالك الآرامية العربية في سورية وأرجاء الشام حتى القرن السادس قبل الميلاد باستثناء منطقة من فلسطين قامت فيه دولة إسرائيل وخاضت الممالك الآرامية حروباً معه منذ قيامها عام ١٠٠٠ ق.م. وانتهى كيان إسرائيل يهودا على يد بختنصر ملك بابل.

[٣] - كان السميدع بن هوثر آخر ملك من العمالقة بمناطق من فلسطين حين تغلب بنو إسرائيل =

وبقي في عقبه مُلك في بني الظرب بن حسان من بني عاملة العماليق^[٤]، وكان آخرهم مُلكاً الزباء بنت عمرو بن السميدع^[٥] وكانت قضاة مجاورين لهم في ديارهم بالجزيرة وغلبوا العمالقة لما فشل ريحهم، فلما هلكت الزباء وانقرض أمر بني الظرب بن حسان، ملك أمر العرب تنوخ من بطون قضاة، وهم تنوخ بن مالك بن فهم بن تميم الله بن الأسود بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وقد تقدم ذكر نزولهم بالحيرة والأنبار ومجاورتهم للارامانيين^[٦]. فملك من تنوخ ثلاثة ملوك فيما ذكر المسعودي، النعمان بن عمرو، ثم ابنه عمرو بن النعمان، ثم أخوه الحوار بن عمرو، وكانوا مملكين من قبيل الروم^[٧].

= على تلك المناطق بالشام وليس على الشام ولا على كل فلسطين، فقامت دولة إسرائيل بمنطقة من فلسطين (١٠٠٠ ق.م.) وانتهى العمالقة، بينما تواصلت ممالك ودول العرب الآراميين والفينيقيين في سورية وأغلب الشام حتى القرن السادس قبل الميلاد الذي في مطلعها أيضاً انتهى كيان إسرائيل بينما، شهدت الجزيرة العربية نهاية دولة تبابعة سبأ ٥٤٠ قبل الميلاد كما تقدم في الفصل الثالث.

[٤] - الصواب كما ذكر ابن خلدون في الفصل السادس أن عاملة من القبائل اليمنية السبائية التي انتقلت إلى الشام بعد نهاية دولة تبابعة سبأ - (في القرن الخامس قبل الميلاد) - وهم عاملة ولخم وجذام ثم تلتهم تنوخ وقبائل من قضاة وغسان، وإن بني الظرب بن حسان من بني أذينة بن السميدع بن عاملة لا من بني السميدع بن هوثر العملاقي وبين هذا وذاك زهاء ألف سنة.

[٥] - تقدم نبأ الملكة الزباء ملكة دولة الحضر بمنطقة الجزيرة الفراتية (جنوب سوريا وشمال العراق) في الفصل السابع حيث نقل ابن خلدون أن اسمها ميسون بنت عمرو بن الظرب بن حسان. وقال ابن نباتة والدميري إنها بنت مليح بن البراء (بن عمرو بن الظرب) وإن أباه كان ملكاً على الحضر الذي ذكره عدي بن زيد بقوله:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تُجبي إليه والخابورُ

وقد حددت دراسات آثار ونقوش الحضر المكتوبة بالكتابة الإرامية أسماء وترتيب حكام دولة الحضر بأن أولهم (نشريهب ٨٥ - ١٠٥ م) ثم (ورود ١٠٥ - ١١٥ م) ثم (نصر بن نشريهب ١١٥ - ١٣٥ م) ثم (نشريهب الثاني ١٣٦ - ١٤٥ م) ثم (معن ١٤٦ - ١٥٤ م) ثم (ولجش بن نصر ١٥٥ - ١٦٥ م) وقد يكون موقع وزمن الزباء في الفترة المنسوبة إلى (ولجش) لأن أباها عاصر مالك بن فهم وجذيمة بن مالك الذي قتلته الزباء ثم قتلها تدبير عمرو بن عدي ملك الحيرة.

[٦] - شمل اسم تنوخ قبائل عديدة استقرت بالشام والعراق من قضاة وغيرها كما ذكر ابن خلدون بالتفصيل فيما تقدم، وقد بدأت ملوكية تنوخ وجذام في مناطق من سورية والبتراء منذ القرن الثاني قبل الميلاد في إطار سلطة الرومان، أما في منطقة الجزيرة (الحضر) فلم يملكوها إلا بعد هلاك الزباء (ح/ عام ١٦٥ م) لفترة قصيرة كما سيأتي.

[٧] - يبدو أن المقصود هنا ملوك دولة البتراء الذين تصفهم الدراسات بأنهم من النبط وتقدم =

ثم تلاشى أمر تنوخ واضمحلاً، وغلبت عليهم سليح من بطون قضاة ثم الضجاعم منهم، من ولد ضجعم بن سعد بن سليح واسمه عمرو بن حلوان بن عمران بن الحاف، فتنصروا، وملكتهم الروم على العرب^[٨]، وأقاموا على ذلك مدة، وكان نزولهم ببلاد مؤاب من أرض البلقاء^[٩]، ويقال إن الذي ولي سليح على نواحي الشام هو قيصر طيطش ابن قيصر ماهان^(٨). قال ابن سعيد: كان لبني سليح دولتان في بني ضجعم وبني العبيد، فأما بنو ضجعم

= أنهم من جذام، وقد دلت الدراسات على أنه - كما يذكر جيمس بريستد - «ألفت القبائل العربية في الشام (عام ٨٤ ق. م.) مملكة (مستقلة) عاصمتها البتراء وامتد سلطانها حتى أحاط بدمشق» [ص ٤٣٨/العصور القديمة] وكان ذلك بزعامة الملك الحارث الثالث (النبطي الجذامي والتنوخي) فلما اجتاحت الرومان الشام عام ٦٤ ق. م. أعلن الحارث الثالث الولاء للرومان، واستمر ملوك البتراء كولاة للرومان وكان منهم عبدوس عام ٢٤ قبل الميلاد.

[٨] - بدأت زعامة وملوكية سليح على العرب بالشام - كما تذكر الروايات التاريخية - في عهد (قيصر طيطش) والمقصود - غالباً - الملك الروماني أوغسطس اكتافوس الذي بدأ عهده عام ٤٣ قبل الميلاد - وذلك بعد الاجتياح الروماني للشام عام ٦٤ ق. م. بفترة يسيرة - وسار القيصر أوغسطس إلى مصر عام ٤٠ ق. م. فانتحرت كليوباترا البطلمية وأخضع مصر للحكم الروماني المباشر، فيكون تملك سليح على العرب بالشام في عهده يتناسب مع ظروف واقع جديد بدأ في ذلك العهد.

[٩] - يمكن القول إن مؤاب من أرض البلقاء كانت إحدى عواصم ومدن ملوكية الضجاعم من بني سليح في الشام وكان منهم ولاة بمثابة نواب في مدن عواصم أخرى، فقد كانت ملوكيتهم تشمل العرب وقبائلهم بأرجاء الشام، ومما يتصل بذلك أن الملك داود بن هباله بن عمرو بن عوف بن ضجعم كان في برقة حارب. وجاء في معجم ياقوت أن «حارب موضع من أعمال دمشق بحوران قرب مرج الصفر من ديار قضاة» وقال عبد العاص بن ثعلبة التنوخي يرثي ذلك الملك في واقعة مذكورة بكتاب شرح الدامغة للهمداني (ص ١٦٥) أبياتاً أولها:

لعمري لنعم المرء من آل ضجعم ثوى بين أحجار ببرقة حنارب

وكانت تدمر من أهم عواصم ملوكيتهم وفيها قبائل من قضاة وغيرها، وفي أواسط القرن الثالث الميلادي شهدت الأباطورية الرومانية إنقساماً وصراعاً في أوروبا، فاستقل العرب في الشام بزعامة أذينة ملك تدمر (الضجعمي) وأصبحت تدمر عاصمة مملكة عربية مستقلة تشمل الشام وتمتد إلى أطراف تركيا ومصر بزعامة الملكة زنوبيا التي حكمت بعد أذينة حتى الاجتياح الروماني للشام والقضاء على مملكة تدمر وأسر الملكة زنوبيا عام ٢٧٤ ميلادية وسيقت زنوبيا أسيرة إلى روما حيث تم إعدامها هناك.

فملكوا إلى أن جاءهم غسان فسلبوهم ملكهم^[١٠]، وكان آخرهم زياد بن الهبولة، سار بمن أبقى السيف منهم إلى الحجاز، فقتله والي الحجاز للتبابعة حجر آكل المرار^[١١].

قال (ابن سعيد) ومن النسابين من يطلق تنوخ على بني ضجعم ودوس الذين تنخوا بالبحرين أي أقاموا، ثم سار الضجاعم إلى برية الشام ودوس إلى برية العراق. قال: وأما بنو العبيد بن الأبرص بن عمرو بن أشجع بن سليح فتوارثوا الملك بالحضر الذي آثاره بأقية في برية سنجان^[١٢]، والمشهور منهم الضيزن بن معاوية بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون، وقصته مع سابور معروفة^[١٣]، اهـ كلام ابن سعيد. ثم

[١٠] - كانت غسان من القبائل العربية التي تسكن الشام وتدين للملوك الضجاعم - كما سيأتي ثم ثارت غسان وقضت على الملك الضجعمي سبطة بن منذر بن داود وذلك بعد الاجتياح الروماني لتدمر، فانقلت زعامة العرب بالشام إلى غسان في أواخر القرن الثالث الميلادي مع بقاء زياد بن الهبولة ملكاً بأطراف الشام.

[١١] - هو حجر آكل المرار بن عمرو الكندي والي الحجاز في عهد أول تبابعة الدولة الحميرية (تبع ملشان) في أوائل القرن الرابع الميلادي كما تقدم في فصل تبابعة حمير والفصل السابق عن ملوك كندة.

[١٢] - انتقلت ملوكية دولة الحضر - عربايا - بعد الزبأ وتنوخ إلى بني عبيد من سليح كما في كتاب الحور العين لنشوان الحميري حيث قال «ثم ملك الحضر بنو عبيد بن الأخرم من بني سليح من قضاة بن مالك بن حمير» (ص ٣٥٠ ج ١) وفي كتاب الأغاني «بنو العبيد بن الأجرام ابن عمرو بن أنزع بن سليح» [ص ٣٥ ج ٢] وكانت دولة الحضر تشمل منطقة الجزيرة الفراتية شمال العراق وجنوب سورية، وتنطق نقوش وآثار الحضر بأسماء ملوكها في فترة ملوكية بني عبيد وهم ثلاثة ملوك: سين طروق الأول (١٦٦ - ١٩٠ م) ثم الملك عبدسميا (١٩٠ - ٢٠٠ م) ثم الملك سين طروق الثاني (٢٠٠ - ٢٤١ م).

[١٣] - هو الملك الضيزن سين طروق الثاني (٢٠٠ - ٢٤١ م) وجاء في كتاب الأغاني أنه «كان ملك الحضر وسائر أرض الجزيرة، وكان معه من بني الأجرام وسائر قبائل قضاة ما لا يحصى وكان ملكه قد بلغ الشام» وأنه أخو الحضر الذي ذكره عدي بن زيد وضرب به المثل في شعره وقد يكون المقصود سين طروق الأول حيث قال عدي بن زيد:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلساً أفلطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فبادر المُلْك عنه فبابه مهجور =

استحالت صبغة الرياسة عن العرب لحمير وصارت إلى كهلان^[١٤].

الخبر عن غسان^[١٥]

لما فصلت الأزد من اليمن، كان نزولهم ببلاد عك ما بين زبيد ورمع^[١٦] فحاربوهم وقتلوا ملك عك، قتله ثعلبة بن عمرو مزيقيا.

قال بعض أهل اليمن: عك ابن عدنان ابن عبد الله بن أدد، قال الدارقطني: عك بن عبد الله بن عدنان - بالثاء المثلثة وضم العين - ولا خلاف أنه بنونين، كما لا يختلف في دوس عدنان قبيلة من الأزد، بالثاء المثلثة^(١٦).

ثم نزلوا بالظهران، وقتلوا جرهما بمكة^[١٧]، ثم افترقوا في البلاد، فنزل بنو

= وفي أواخر عهده غزت الدولة الفارسية الساسانية بقيادة ملكها سابور الأول أرض العراق والجزيرة، ودارت حرب بين الفرس وملكهم سابور وبين دولة الحضرة وملكها الضيزن سين طروق أربع سنوات، ثم حاصر سابور مدينة الحضرة وعجز عن اقتحامها إلى أن دلته النضيرة بنت الضيزن على نفق سرري دخل منه سابور وجيشه إلى المدينة وفتحوا بابها ودخلوها ودمروها وسقط الضيزن سين طروق وقادته وكتائبه قتلى، وذلك عام ٢٤١م فانتهدت دولة الحضرة العربية وسجلت ذلك الحدث التاريخي وتفصيله الكثير من الأشعار.

[١٤] - انتهى عصر الدول والممالك العربية التي كان ملوكها من تنوخ وسليح بن قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ في الشام والعراق بنهاية ممالك تدمر والبتراء والحضر في ذلك القرن الثالث الميلادي الذي في أواخره بدأت دولة الغساسنة بالشام ووقعت تحركات سكانية وسياسية واسعة في الجزيرة العربية.

[١٥] - غسان اسم عدة عشائر من قبائل الأزد، وتقدم قول ابن خلدون «وغسان هم بنو مالك وبنو الحرث وبنو جفنة وبنو كعب فكلهم يسمون غسان» وذكر المسعودي أيضاً منهم «بنو مازن» وقال «غسان اسم ماء باليمن أقاموا عليه وشربوا منه فسموا غسان، وقال شاعرهم:

إما سألت فإثما معشر نُجِبُ الأزدُ نسبتنا، والماء غسان»

[ص ١٩٠ ج ٢ - مروج الذهب]

[١٦] - يبدو أن الأزد لما خرجوا من أرض مأرب بمعية عمرو مزيقيا وأبنائه توزعوا عدة فرق، وأن فرقة منهم نزلت ببلاد عك والأشعرين بتهامة اليمن، وعك قبيلة من الأزد كما في الإكليل.

[١٧] - الذين نزلوا بمز الظهران ببطن وادي مكة هم خزاعة، وفيهم قال شاعر من الأوس والخزرج:

فلما هبطنا بطن مزّ تخزعت
حموا كل واد من تهامة واحتوا
خزاعة منّا في جموع كراكر
بصم القنا والمرهفات البواتر =

نصر بن الأزد السراة وعمان، ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا بيثرب، وأقام بنو حارثة بن عمرو بمرّ الظهران بمكة وهم يقال لهم خزاعة^(١٧).

وقال المسعودي: سار عمرو مزيقيا حتى إذا كان بالسراة ومكة أقام هنالك بنو نصر بن الأزد وعمران الكاهن^(١٧) (وسار) عدي بن حارثة بن عمرو بالأزد حتى نزلوا بين بلاد الأشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع فشربوا من ذلك الماء فسموا غسان^[١٨].

وكانت بينهم وبين معد حروب إلى أن ظفرت بهم معد فأخرجوهم إلى الشراة وهو جبل الأزد الذين هم به^[١٩] وهم على تخوم الشام ما بينه وبين الجبال مما يلي أعمال دمشق والأردن^(١٩).

= وقال جماعة البارقي الأزدي يذكر مواطن استقرار الأزد بعد مسيرهم باليمن ومنهم الذين استقروا بالحجاز ونجد:

وأرغموا عنهم أنوف العدة	والمقيمون بالحجازين منهم
ثف بالبأس منهم والثبات	ملكوا الطود من سرور إلى الطا
ذات الرسوم والآيات	واحتوت منهم خزاعتها الكعبة
عنوة بالكتائب المعلمات	أخرجت جرهم ابن يشجب منها

وكانت زعامة مكة وولاية البيت في جرهم، فانتصرت خزاعة على جرهم وأصبح ولاة البيت ومكة من خزاعة.

[١٨] - وهم الذين ساروا من مأرب وسكنوا فترة في تهامة اليمن ثم ساروا منها إلى الحجاز وتخوم الشام.

[١٩] - قال الهمداني في صفة جزيرة العرب أن غسان ومن معهم من الأزد «أقاموا بتهامة ما أقاموا حتى وقعت الفرقة بينهم وبين كافة عك، فساروا إلى الحجاز» [ص ٣٧٢] ويبدو من كلام المسعودي أن حرباً وقعت بالحجاز بين غسان وقبائل معد بن عدنان وهم نزار، فسارت غسان من الحجاز إلى جبل الشراة بتخوم الشام بين أرض الحجاز وأرض الشام فأقاموا هناك وسميت المنطقة باسمهم (أرض غسان) - كما سيأتي - وفيهم قال جماعة البارقي:

وسمت منهم ملوك إلى الشام	على الثبينية المضمرة
فاحتووها وشيدوا المُلْك فيها	فلهم مُلْك باحة الشامات
تلكم الأكرمون من ولد الأزد،	غسان، سادة السادات

وكان استقرارهم بتخوم الشام منذ أوائل القرن الثالث الميلادي، ثم أصبحت لهم الملوكية بعد الضجاعم كما سيأتي في أواخر القرن الثالث الميلادي فامتدت مواطنهم إلى أرجاء عديدة من الشام.

قال ابن الكلبي: ولد عمرو بن عامر مزيقياً جفنة ومنه الملوك، والحارث وهو محرق أول من عاقب بالنار، وثعلبية وهو العنقاء، وحارثة، وأبا حارثة، ومالكاً، وكعباً، ووادة وهو في همدان^[٢٠] وعوفاً، وذهل وائل، ودفع ذهل إلى نجران ومنه أسقف (نجران)^[٢١]، وعبيدة وذهلاً وقيساً درج هؤلاء الثلاثة، وعمران بن عمرو، فلم يشرب أبو حارثة ولا عمران ولا وائل ماء غسان فليس يقال لهم غسان، وبقي من أولاد مزيقيا ستة شربوا منه فهم غسان وهم جفنة وحارثة وثعلبية ومالك وكعب وعوف، ويقال إن ثعلبة وعوفاً لم يشربا منه^[٢٢].

ولما نزلت غسان الشام، جاوروا الضجاعم وقومهم من سليح، ورئيس غسان يومئذ ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن الحارث بن عمرو بن عدي بن مازن ابن الأزدي، ورئيس الضجاعم يومئذ داود اللثقي بن هبولة بن عمرو بن عوف بن ضجع، وكانت الضجاعم هؤلاء ملوكاً على العرب عمالاً للروم، كما قلناه، يجمعون ممن نزل بساحتهم لقيصر^[٢٣].

[٢٠] - أقامت وادعة من قبائل الأزدي بين قبائل همدان باليمن، فدخلوا في همدان، وقد ذكرهم الهمداني في الإكليل.

[٢١] - في الأصل «ودفع ذهل إلى نجران ومنه أسقف» (انتهى) ويبدو المقصود أن ذهلاً أقام بنجران ومن سلالاته كان أحد أساقفة نجران.

[٢٢] - يتبين من مجمل الروايات التي أوردها ابن خلدون ما يلي:
أ - أن غسان ليس اسم قبيلة واحدة وإنما هم عدة عشائر من الأزدي كانوا يسكنون منطقة فيها ماء (وادي/ سيل) يسمى غسان، فسُموا غسان نسبة إلى الماء الذي كانوا يقيمون عليه ويشربون منه، سواء كان ذلك الماء في أرض مأرب قبل نزوحهم أو في تهامة بين زبيد ورمع حيث أقاموا فترة من الزمن.

ب - أن غسان ساروا من تهامة إلى الحجاز وجهات يشرب ومنها أجازوا إلى تخوم الشام حيث استقروا هناك فسميت باسمهم أرض غسان ومنها جبل الأزدي من جبال الشراة بادي الشام، قال حسان بن جیشان الحميري:

«وغسان الذين هم استتبوا قبائلهم بأطراف البلاد»

يعني بأطراف الجزيرة العربية والشام، وهذا البيت من قصيدة في صفة جزيرة العرب مع قصيدة جماعة البارقي.

[٢٣] - تقدم أن بني ضجعهم وهم من سليح من قضاة بن مالك بن حمير كانوا ملوكاً للعرب بالشام في إطار سلطة الرومان منذ عهد قيصر أوغسطس اكتافيوس الذي تولى العرش الروماني عام ٤٣ قبل الميلاد، وكان من بني ضجع ملوك البلقاء وحارب وتدمر، وكان منهم - غالباً - الملك أذينة ملك تدمر الذي استقلت الشام العربية بزعامته عن حكم الرومان =

فغلبتهم غسان على ما بأيديهم من رياسة العرب، لما كانت صبغة رياستهم الحميرية قد استحالت وعادت إلى كهلان وبطونها، وعرفت الرياسة منها باليمن قبل فصولهم^[٢٤]، وربما كانوا أولي عدة وقوة وإنما العزة للكاشر (٢٤).

وكانت غسان لأول نزولها بالشام طالها ملوك الضجاعم بالأثاوة، فمانعتهم غسان فاقتتلوا، فكانت الدائرة على غسان وأقرت بالصغار وأدت الأثاوة^(٢٣)، حتى نشأ جذع بن عمرو بن المجالد بن الحارث بن عمرو بن المجالد بن الحارث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد، (وغلب) رجال سليح من ولد رئيسهم داود اللثق وهو سبطه بن المنذر بن داود، ويقال بل (قتله)، فالتقوا فغلبتهم غسان، وأقادتهم^(٢٤).

وتفردوا (أي غسان) بمُلْك الشام^[٢٥] وذلك عند فساد كان بين الروم

= في أواسط القرن الثالث الميلادي فأصبحت تدمر عاصمة للشام المستقلة في عهده وعهد خليفته الملكة زنوبيا. وكانت غسان قد سكنت الشام منذ أوائل القرن الثالث الميلادي فكانت تدين للملوك الضجاعم وتؤدي إليهم الواجبات المالية كغيرها من قبائل العرب بالشام.

[٢٤] - إن تغلب غسان على ما بأيدي الضجاعم من رياسة العرب بالشام قد تزامن مع عدة أمور كان أهمها:

أولاً: الاجتياح الروماني للشام والقضاء على مملكة تدمر وأسر الملكة زنوبيا (عام ٢٧٤ - ٢٧٥م) مما أدى إلى إضعاف قوة وهيبة بني ضجعم السليحيين الحميريين في بقية أرجاء الشام وفقدانهم لدعم الرومان.

ثانياً: إن الملوكية باليمن كانت للأزد ومنهم غسان في عصر مكربية سبأ حتى القرن الثاني الميلادي، فلما انتقلوا إلى الشام واستقروا بها كان مجدهم السابق وملوكيتهم السابقة لها تأثيرها في الميل إليهم، وخاصة بعد أفول نجم بني ضجعم بسقوط مملكة تدمر وأسر الملكة زنوبيا بيد الرومان.

ثالثاً: قامت في اليمن آنذاك دولة تبابعة حمير التي شمل سلطانها كل أرجاء اليمن وامتد إلى البحرين واليمامة ونجد والحجاز بزعامة «تبع ملشان أريم ٢٧٥ - ٣٥٠م» وقد سجل نقشه المسند في وادي عبدان امتداد حملاته إلى «آبار سجا بين نزار وأرض غسان» أي بين الحجاز وبين الشام واستعمل تبع ملشان على الحجاز (حجر آكل المرار الكندي) وقد تقدم قول ابن خلدون «فأما بنو ضجعم فملكوا إلى أن جاءهم غسان فسلبوهم ملكهم وكان آخرهم زياد بن هبولة سار بمن أبقى منهم السيف إلى الحجاز، فقتله والي الحجاز للتبابعة حجر آكل المرار» [أه].

[٢٥] - ميز ابن خلدون بين تغلب غسان على بني ضجعم وضرورة رئاسة العرب بالشام لغسان =

وفارس، فخاف ملك الروم أن يعينوا عليه فأسأ، فكتب إليهم واستدناهم، ورئيسهم يومئذ ثعلبة بن عمرو وأخو جذع بن عمرو، وكتبوا بينهم الكتاب على أنه إن دهمهم أمر من (الفرس) [٢٦] أمدهم بأربعين ألفاً من الروم، وإن دهمه أمر أمده غسان بعشرين ألفاً [٢٧]، وثبت ملكهم على ذلك وتوارثوه.

= - كما تقدم - ثم قال «وتفردوا بملك الشام» أي أن رئاستهم على العرب بالشام كانت سابقة لملوكيتهم على الشام والتي تمت بعد ذلك بالاتفاق مع الرومان وملك الدولة الرومانية في أوائل القرن الرابع الميلادي.

[٢٦] - في الأصل بالكتاب «أن دهمهم أمر من العرب» وهو تصحيف لأن السياق بأكمله عن الصراع مع فارس وقيام الدولة الفارسية الساسانية بغارات على أراضي الأباطورية الرومانية في تركيا وأطراف الشام وهي الغارات والحملات التي شنها الملك الفارسي سابور بن هرمز بن سابور (سابور ذو الأكتاف) الذي اختط (المدائن) في العراق وجعلها عاصمة للدولة الفارسية الساسانية في أوائل القرن الرابع الميلادي (ح/ ٣٢٥م) وعاصر الملك الروماني قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٦م) الذي اعتنق المسيحية وجعل القسطنطينية (استنبول) عاصمة للدولة الرومانية بدلاً عن روما.

[٢٧] - يكتسب هذا النص التاريخي لابن خلدون أهمية كبيرة في معرفة بداية ملوكية غسان بالشام، وعدم صحة مقولة بعض الدارسين العرب اعتماداً على بعض المستشرقين من أنه - كما قال أحمد أمين ود. عمر شرف الدين: «حاول الروم أن يُخضعوا العرب لحكمهم إلقاء لغزوهم وسلبهم، ولكنهم كانوا يعدلون عن ذلك لما يستلزمه فتح جزيرة صحراوية من ضحايا في الأنفس والأموال، فرأى الروم أن خير وسيلة لدفع شر العرب أن يساعدوا بعض القبائل على أن يقرؤا على التخوم يزرعون ويتحضررون، ثم يكونوا رداءً لهم يصدون غارات البدو الذين يغزون وينهبون، فتكونت (نتيجة ذلك) إمارة الغساسنة بالشام. .» [أه - فجر الإسلام لأحمد أمين + الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة د. عمر شرف الدين]

بينما حقائق التاريخ التي ذكرها ابن خلدون هنا وفي المباحث والفصول السابقة تنطق بما يلي: أولاً: عروبة الشام وإن كافة أرجاء الشام كانت تسكنها قبائل وشعوب عربية من عاملة وجذام ولخم وتنوخ وكلب وقضاعة وغسان وغيرهم، وقد تقدم ذكر تلك القبائل ومواطنهم بالشام في الفصول السابقة.

ثانياً: إن ملوكية العرب في الشام كانت في بني الظرب بن حسان من عاملة ثم في جذام وتنوخ ثم في بني ضجعم من قضاعة ثم انتقلت رياسة العرب بالشام إلى غسان، فتعامل الملك الروماني [وهو قسطنطين غالباً] مع ذلك الأمر الواقع، وخاف أن يعين عرب الشام الدولة الفارسية الساسانية التي استمالت عرب الحيرة والعراق إلى جانبها باعتبارها بملوكية المناذرة اللخمييين على الحيرة والعرب في العراق، وتزامن ذلك أيضاً مع امتداد سلطان دولة تبابعة حمير إلى الحجاز وتخوم الشام، فقام الملك الروماني (قسطنطين) بمكاتبة غسان ورئيسهم، ثم كتب كتاب عهد واتفاق بينه وبين غسان على الشروط التي ذكرها ابن خلدون هنا، فبدأت بذلك ملوكية غسان بالشام.

ملوك الشام الغساسنة [٢٨]

أول من ملك منهم (جفنة) بن عمرو [٢٩] فلم يزل ملكاً إلى أن هلك .
وولّى مكانه منهم ثعلبة بن عمرو (مزيقيا) [٢٩] .

قال الجرجاني : وبعد ثعلبة بن عمرو ، ابنه الحارث بن ثعلبة ، يقال إنه ابن

[٢٨] - نال تاريخ مملكة الغساسنة بالشام اهتمام العديد من المستشرقين الأجانب والدارسين العرب في العصر الحديث ، ولكن قصور المقدرة على البحث وعلى ربط معطيات المصادر والوثائق جعل أحمد أمين يقول «إن تاريخ الغسانيين في الشام من الأمور الغامضة في تاريخ العرب» [اهـ] والواقع أنه ليس لذلك ، فالغموض المشار إليه يتصل بما يلي :
أولاً : الزمن ، يقول حنا فاخوري «مملكة الغساسنة ، وهم أولاد جفنة . . وقد امتد عهدهم من أوائل القرن الثالث الميلادي إلى الفتح الإسلامي» [ص٧٧/الجامع في تاريخ الأدب العربي] وقد تقدم أن غسان كانوا بالشام منذ أوائل القرن الثالث الميلادي ولكنهم كانوا تحت ملوكية بني ضجعم ، ثم انتقلت رئاسة العرب بالشام إلى غسان في أواخر القرن الثالث الميلادي ، ثم بدأت ملوكيتهم بعقد الكتاب والاتفاق بينهم وبين ملك الروم (قسطنطين ٣٠٦ - ٣٣٦م) وتواصلت إلى أوائل القرن السابع الميلادي .

ثانياً : نطاق مملكة وحكم الغساسنة بالشام ، قال أحمد أمين «امتد حكم الغساسنة على مقاطعتي حوران والبلقاء» [ص١٨ فجر الإسلام] وقال حنا فاخوري «كانوا في بلاد حوران ، أي في بصرى وما حولها» [ص٧٧/في تاريخ الأدب] وقال المستشرق (ثيودور نولدكه) «نستدل من اتخاذ الجولان قاعدة لملك بني جفنة ، ومن الأهمية التي أصبحت للجابية ، أن مركز الجفنيين الخاص كان في سهول الجولان» [ص٥٢ - أمراء غسان - ثيودور لوندكه - ترجمة د . جوزي ورزيق] - والواقع أن لا تناقض بين ملوكيتهم للبلقاء وحوران وبصرى والجولان وكذلك كانت ملوكيتهم تشمل معان وجلق (دمشق) والسويداء وحارب بصيد أو غيرها ، فقد كانوا ملوك العرب في كل أرجاء الشام وليسوا ملوك غسان فقط ، وكان القيصر الروماني يصدر مرسوماً يمن يتولى الملوكية من غسان ، كما في المرسوم الذي أصدره جوستنيان عام ٥٢٩م بملوكية الحارث بن جبلة «ملكاً أميراً على جميع العرب في الشام مع منحه لقب فيلارك وباتريك وهو أعلى لقب بعد الأمبراطور» [ص١٩ فجر الإسلام] وقد ذكرت كتب التاريخ وقصائد الشعراء انتشار ملوكية الغساسنة في أرجاء الشام كما سيأتي .

ثالثاً : عاصمة الغساسنة : كان للغساسنة عدة مدن عواصم بالشام - كما سيأتي - مما أدى إلى اضطراب الدارسين ، وكذلك كان من الغساسنة ملكان أو ثلاثة ملوك في وقت واحد ولكن واحداً منهم كان الملك الأعلى كما سيأتي .

[٢٩] - جاء في الأصل المطبوع «أول من ملك منهم ثعلبة بن عمرو» إلى أن قال «وولى مكانه ثعلبة بن عمرو» وهو خطأ من النساخ ، وقد قال ابن خلدون في فقرة تالية عن ابن سعيد «أول من ملك من غسان بالشام جفنة» كما سيأتي - وهو الأصوب .

مارية^[٣٠]، ثم بعده ابنه المنذر بن الحارث، ثم ابنه النعمان بن المنذر بن الحارث^(٣٠) ثم أبو (شمر)^[٣١] بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، هكذا نسبه بعض النساب، والصحيح أنه ابن عوف بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن^(٣١).

ثم الحارث الأعرج بن أبي شمر، ثم عمرو بن الحارث الأعرج، ثم المنذر بن الحارث الأعرج، ثم الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة^[٣٢]، ثم ابنه جبلة.

وقال المسعودي أول من ملك منهم الحارث بن عمرو مزقيا^[٣٣].

[٣٠] - هو كما قال المسعودي «الحارث بن ثعلبة بن جفنة، وبعده النعمان بن الحارث بن جفنة» وسيأتي ترتيب المسعودي.

[٣١] - في الأصل المطبوع بالكتاب «أبو بشر» وهو تصحيف، والصواب «أبو شمر» وهو سادس الملوك الغساسنة.

[٣٢] - كان حسان بن ثابت يفتد إلى الأيهم بن جبلة الغساني ثم ابنه جبلة قبل الإسلام، وقال قصيدة ذكر فيها عدة مدن عواصم لبني جفنة الغساسنة بالشام، لذلك تكتسب أهمية خاصة بسبب اضطراب الدارسين حول عاصمة الغساسنة حتى قال أحمد أمين «ويظهر أنه لم يكن للغساسنة مقر مُلك ثابت، فأحياناً يفهم من قول الشعراء أن الجولان والجابية عاصمتهم، وأحياناً يذكرون جلق (دمشق، أو بالقرب من دمشق) على أنها العاصمة» [ص ١٨ فجر الإسلام/ أحمد أمين]. بينما قال المستشرق ثيودور نولدكه إن الجابية في الجولان كانت مركزهم، وقال المستشرق هنري لامنس «كانت عاصمة الغسانيين وكرسي دولتهم في الجابية في الجولان» (اه) وقال الفاخوري إن عاصمتهم «في بصرى» والواقع أن المدن العواصم لبني جفنة الغساسنة كانت تنتشر في أرجاء الشام حيث قال حسان بن ثابت ذاكراً إياها:

لِمَنْ الدار (أسفرت) بمعان	بين أعلى اليرموك فالصمان
فحسمى جاسم إلى بيت رأس	فالحواني فجابة الجولان
فالقريّات من بلاس فداریا	فسكاء فالقصور الدواني
ذاك مغنى لآل جفنة في الد	هر (وحتى) تقادم الأزمان

والمدين المذكورة في هذا الشعر منها معان بجنوب الأردن، والصمان وجاسم بالأردن إلى البلقاء وكذلك بيت رأس في أربد بالأردن، وجابة الجولان: جابية الجولان. وبلاس (بالس) بسورية «في الدهناء ومنها تخرج إلى تدمر» وكذلك القريّات وداریا وسكاء بنواحي سورية، والقصور الدواني هي قصور جلق دمشق أهم عواصم مُلك الغساسنة.

[٣٣] - يبدو أن (الحارث بن عمرو) هو نفسه (جفنة بن عمرو) بمعنى أنه اسم كان من كلمتين (جفنة الحارث) فسياق الملوك اللاحقين لدى المسعودي يؤكد أن أولهم الملك =

ثم بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة، وهو ابن مارية ذات القرطين [٣٤].
 وبعده النعمان بن الحارث بن جفنة بن الحارث [٣٥].
 ثم أبو شمر بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن الحارث [٣٦].
 ثم ملك بعده أخوه المنذر بن الحارث [٣٧].
 ثم أخوه جبلة بن الحارث (٣٧).
 ثم بعده عوف بن أبي شمر (٣٧).

= جفنة وقد ورد في نسب الملوك اللاحقين «جفنة بن الحارث» وجاء في تاريخ ابن سعيد وتواريخ الأمم أن «أول من ملك من غسان بالشام جفنة، ولما ملك جفنة بنى جلق وهي دمشق، وملك خمساً وأربعين سنة» (اه) فيكون عهده ما بين عام ٢٨٠ وعام ٣٢٤ ميلادية تقريباً.

[٣٤] - لم يذكر المسعودي ملوكية ثعلبة وقد ذكره الجرجاني وكانت ملوكية ثعلبة في ومنذ عهد أبيه، وهو الذي كتب الاتفاق مع ملك الروم (قسطنطين ٣٠٦ - ٣٣٦ م) بالنيابة عن أبيه وملك معه وبعده، ثم ملك الحارث بن ثعلبة (ح/ ٣٤٥ - ٣٨٤ م).
 [٣٥] - ذكر الجرجاني قبل النعمان هذا أبوه المنذر بن الحارث فيكون النعمان بن المنذر بن الحارث هو الملك الخامس.

[٣٦] - أبو شمر بن الحارث هو سادس الملوك الغساسنة وفي نسبه قولان.

[٣٧] - تقدم في ترتيب الجرجاني اسم المنذر بن الحارث بأنه رابع الملوك الغساسنة، ونشير هنا إلى ما يلي:

أولاً: إن ملوك غسان الثلاثة الأوائل حكموا في الفترة (٢٨٠ - ٣٨٤ م) وفيما يلي زمن أولئك الملوك وأبرز ملوك الروم:

١ - جفنة بن عمرو الغساني (ح/ ٢٨٠ - ٣٢٤ م)

الملك الروماني قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٦ م)

٢ - ثعلبة بن جفنة مع أبيه وبعده (٣٠٦ - ٣٤٤ م)

قسطنطين بن قسطنطين (٣٣٧ - ٣٧٠ م)

٣ - الحارث بن ثعلبة بن جفنة (٣٤٥ - ٣٨٤ م)

ثيودوسيوس الأول (٣٧٩ - ٣٩٩ م)

وقد تقدم ذكر ملوك دولة اليمن الحميرية وملوك فارس وملوك الحيرة في تلك الحقبة الزمنية.

ثانياً: تعاقب على عرش الغساسنة بعد الملوك الثلاثة الأوائل كل من:

٤ - المنذر بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة، وفي تلك الفترة غالباً كان أيضاً الملك أبو جبيلة الغساني الآتي ذكره.

٥ - النعمان بن المنذر بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة.

٦ - جبلة بن الحارث، فيكون هو المقصود بأنه (أبو شمر بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة) =

ثم بعده الحارث بن أبي شمر [٣٨].

وعلى عهده كانت البعثة وكتب له النبي ﷺ فيمن كتب إليه من ملوك تهامة والحجاز واليمن، وبعث إليه شجاع بن وهب الأسدي يدعوه إلى الإسلام ويرغبه في الدين، كذا عند ابن إسحاق [٣٩].

وكان النعمان بن المنذر على عهد الحارث بن أبي شمر هذا، وكانا يتنازعا في الرياسة ومذاهب المدح، وكانت شعراء العرب تفد عليهما مثل الأعشى وحسان بن ثابت وغيرهم [٤٠].

= بمعنى أن الملك السادس ليس أبو شمر وإنما هو (جيلة بن الحارث) وأن الخلاف سالف الذكر في نسبة يعود إلى الخلط بينهما. وزمن أولئك الملوك الغساسنة كان الفترة (٣٨٥ - ٥٢٨م) وكذلك عوف إذا كان عوف بن جيلة بن الحارث، وممن عاصروهم: أ - من ملوك الرومان أركاديوس (٣٩٩ - ٤٠٤م) ثم ثيودوسيوس الثاني (٤٠٤ - ٤٥١م) وزينون (٤٧٥ - ٤٩٢م) ونيستاس (٤٩٢ - ٥١٩م).

ب - من ملوك اليمن مرثد بن عبد كلال الأول (٣٦٩ - ٤٠٨م) وبريل ذو يزن (ح/ ٣٩١ - ٤١٠م) وبنو ذي قيفان (إلى ٤٣٠م) وتبع حسان بن عمرو غيمان (٤٣٠ - ٤٥٦م) وتبع أسعد بن حسان (٤٥٧ - ٤٧٧م) ثم (لحجة يرخم ذو جدن ٤٧٨ - ٤٧٩م) ثم شرحبيل يكمل (٤٨٠ - ٥٠٩م) وسميفع بن شرحبيل (٥٠٩ - ٥١٤م) ويوسف أسار ذي نواس (٥١٥ - ٥٢٥م) وسميفع الثاني ذو يزن (٥٢٥ - ٥٣٣م).

[٣٨] - أخذ الحارث بن أبي شمر هنا وكذلك في ترتيب الجرجاني موقع الحارث بن جيلة الغساني، وكان عهد الحارث بن جيلة (٥٢٨ - ٥٦٩ ميلادية) وسيأتي تبين ذلك.

[٣٩] - كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر مذكور في العديد من المصادر المتواترة ويؤكد أنه غير الحارث بن جيلة.

[٤٠] - تتيح هذه الفقرة مزيداً من التمييز بين الحارث بن جيلة والحارث بن أبي شمر، استناداً إلى ما يلي:

أ - أن الحارث بن جيلة - والمشهور أيضاً بالحارث الأعرج - صدر بتخليكه مرسوم من الملك الروماني جوستنيان (٥٢٧ - ٥٦٧م) وقد صدر المرسوم عام ٥٢٩م ونص على صيرورة الحارث بن جيلة ملكاً للعرب في الشام مع منحه لقب فيلارك وبطريك Phylarchand Patricius وهو أعلى لقب بعد الأباطور، وقد حكم الحارث بن جيلة، كما ذكرت دراسات المصادر الرومانية إلى عام ٥٦٩م أو عام ٥٧٠م. [ص ٢٠ - فجر الإسلام/ أحمد أمين].

ب - إن الحارث بن جيلة هو الذي سار إليه امرؤ القيس بن حجر الكندي مستنصراً إياه على المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (ما بين عام ٥٣٤م وعام ٥٣٩م) وكتب إليه الحارث إلى قيصر جوستنيان كما تقدم وأن امرأ القيس مات في ذلك المسير عام ٥٤٠م.

ج - إن الحارث بن جيلة لم يعاصر النعمان بن المنذر ملك الحيرة وإنما عاصر =

ومن شعر حسان رضي الله تعالى عنه في مدح أبناء جفنة:

الله در عصابة نادمثهم يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يُغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المُقبل

ثم ملك بعد الحارث بن أبي شمر ابنه النعمان، ثم ملك بعده جبلة بن الأيهم بن جبلة، وجبلة جده هو الذي ملك بعد أخويه شمر والمنذر^[٤١].

وقال ابن سعيد: أول من ملك من غسان بالشام وأذهب ملك الضجاعم جفنة بن مزيقيا، ونقل عن صاحب تواريخ الأمم: لما ملك جفنة، بنى جلق وهي دمشق، وملك خمساً وأربعين سنة، واتصل الملك في بنيه، إلى أن كان منهم الحارث الأعرج ابن أبي شمر، وأمه مارية ذات القرطين من بني جفنة بنت الهانيء المذكورة في شعر حسان^[٤٢]، بأرض البلقاء ومعان^[٤٣].

قال ابن قتيبة: وهو الذي سار إليه المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة في مائة

= المنذر بن ماء السماء (٥٢٨ - ٥٥٤م) وأسفرت الحرب بينهما عن مقتل المنذر في يوم حليلة - عام ٥٥٤م - كما سيأتي - وحكم الحيرة بعد المنذر ابنه عمرو بن هند (٥٥٤ - ٥٧١م) ثم قابوس أو الأسود بن المنذر (٥٧٢ - ٥٧٥م) ثم المنذر بن المنذر (٥٧٦ - ٥٧٩م) ثم النعمان بن المنذر (٥٨٠ - ٦٠٢م) كما تقدم، ويتبين من ذلك أن الحارث بن أبي شمر الذي عاصر النعمان بن المنذر هو غير الحارث بن جبلة.

[[٤١]] - نقل ابن خلدون في فقرة لاحقة كما سيأتي قول المسعودي «إن النعمان والمنذر أخوة جبلة وأبي شمر وكلهم بنو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة وقد ملكوا كلهم» وأنه «ملك أيضاً من غير آل جفنة الحارث الأعرج وهو أبو شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف» (اهـ) ويتبين من ذلك التمييز بين الحارث بن جبلة وبين الحارث بن أبي شمر، وأن أسماء عدد من الملوك سقطت في الترتيب المذكور هنا، فقد كان الحارث بن جبلة ثامن الملوك الغساسنة وعهده (٥٢٨ - ٥٦٩م) ويليه المنذر بن الحارث بن جبلة (٥٧٠ - ٥٩٩م) ثم النعمان بن الحارث ثم جبلة (بن النعمان) ثم الأيهم بن جبلة، وفي عهده كان الحارث بن أبي شمر بن عمرو الذي عاصره حسان بن ثابت.

[[٤٢]] - الحارث الأعرج هو الحارث بن جبلة، وقد ميزه الهمداني في شرح الدامغة بصفة الأكبر حيث قال «الحارث ابن أبي شمر الأكبر وهو الأعرج، وأمه مارية ذات القرطين» [ص ٢١٩ شرح الدامغة] فيكون أبو شمر الأكبر لقب جبلة والد الحارث الأعرج بن جبلة وكان عهده (٥٢٨ - ٥٦٩م) وهو ثامن الملوك الغساسنة كما تقدم.

[[٤٣]] - ربما كان النطاق الرئيسي لحكم الحارث بن جبلة (البلقاء ومعان) وقد كان أخوه (أبكر بن جبلة) ملكاً على قسم من الشام يشمل الجولان وغيرها، وكان منهم ملك ثالث اسمه (عمرو) ولكن الحارث بن جبلة كان الملك الأعلى.

ألف، فبعث إليه الحارث مائة من (رجال) قبائل العرب، فيهم لبيد الشاعر وهو غلام، فأظهروا أنهم رسل في الصلح حتى إذا أحاطوا برواق المنذر فتكوا به وقتلوا جميع من كان معه في الرواق وركبوا خيولهم. فمنهم من نجا ومنهم من قُتل، وحملت غسان على عسكر المنذر وقد اختبطوا فهزموهم، وكانت حليلة بنت الحارث تحرض الناس وهم منهزمون على القتال، فسمي يوم حليلة^[٤٤]، ويقال إن النجوم ظهرت فيه بالنهار من كثرة العجاج.

ثم توالى الملك في ولد الحارث الأعرج إلى أن ملك منهم جفنة بن المنذر بن الحارث الأعرج وهو محرق لأنه حرق الحيرة دار ملك آل النعمان، وكان جوالاً في الآفاق، وملك ثلاثين سنة^[٤٥].

[[٤٤]] - انتصر الحارث بن جبلة انتصاراً كبيراً على المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة وجيوشه في موقعة قنسرين في يونيه ٥٥٤م واشتهرت باسم يوم حليلة لأن حليلة بنت الحارث بن جبلة كانت تُطيب الجنود بالعطر والطيب على أنه النصر أو الموت، وضرب الناس المثل بذلك اليوم فقيل «ما يوم حليلة بسر» وانجلت الموقعة عن مقتل المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة - ملك العرب بالعراق - ووقوع كثير ممن كان معه قتلى وأسرى ونجاة الهاربين، وكان من الأسرى شاس بن عبده في جماعة من تميم، فوفد الشاعر علقمة بن عبده إلى الملك الحارث وقال قصيدته المشهورة:

إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي لكللها والعصريين وجيبُ
وفي كل حيّ قد خبطت بنعمة فحق لشاس من ندادك ذنوب

واستوهبه أخاه شاس وأسرى تميم فوهبه الحارث بن جبلة إياهم، وفي الحارث أيضاً قال بعض الشعراء كما في شرح الدامغة:

الحارث الأعرج نعم الفتى بالله لا السنكس ولا الخامل
من قوله القول الرفيع الذي تمرع منه البلد الماحل
الطاعن الطعنة عند الوغى يذهل عنها البطل الباسل

(ص ٣٢٠ شرح الدامغة).

وتم العثور في جبل أسيس - جنوب شرق دمشق - على نقش غساني باسم ابراهيم بن مغيرة الأوسي يذكر أن الحارث بن جبلة أرسله على رأس مسلحة - (حامية عسكرية) - عام ٥٢٨ ميلادية، وقد حكم الحارث حتى وفاته عام ٥٦٩م أو ٥٧٠ ميلادية.

[[٤٥]] - يلزم هنا تبين ما يلي:

أ - أن الحارث الأعرج بن جبلة كان عهده (٥٢٨ - ٥٦٩م) - كما تقدم - وقد دلت الدراسات على أنه كما ذكر أحمد أمين «سافر الحارث هذا سنة ٥٦٣م إلى القسطنطينية ليفاوض الأمباطور (جوستنيان) في شؤون الحرب التي بينه وبين الحيرة، وفي من يخلفه على كرسيه، ومات سنة ٥٦٩م أو ٥٧٠م» (اه) ومات جوستنيان عام ٥٦٧ ميلادية، فيكون الحارث قد حكم إلى أوائل عهد الأمباطور القيصر جوستين الثاني (٥٦٨ - ٥٧٨م) أو (٥٦٨ - ٥٨٠م). =

ثم كان تاليه في المُلك النعمان بن عمرو بن المنذر الذي بنى قصر السويداء وقصر حارب عند صيدا وهو مذكور في شعر النابغة، ولم يكن أبوه ملكاً وإنما كان يغزو بالجيوش [٤٦].

ثم ملك جبلة بن النعمان، وكان منزله بصفين، وهو صاحب عين أباغ يوم كانت له الهزيمة فيه على المنذر بن المنذر ابن ماء السماء، وقُتل المنذر في ذلك اليوم [٤٧].
ثم اتصل الملك في تسعة منهم بعده، وكان العاشر أبو كرب النعمان بن الحارث الذي رثاه النابغة وكان منزله بالجولان من جهة دمشق [٤٨].

ب - «وخلف الحارث ابنه المنذر، فغزا عرب الحيرة فانتصر عليهم في وقعة عين أباغ، ولم يكن الأمبراطور جوستين الثاني يميل إليه، فحاول اغتياله فلم يفلح، وعلم المنذر بمكيدته فثار وأبى مخالفته، وظل كذلك ثلاث سنين، ثم هدد عرب الحيرة تخوم الرومانيين، فاضطروا لمصالحة المنذر بن الحارث والتعاقد معه في سنة ٥٨٠م، وبعد موت الأمبراطور جوستين سافر المنذر بولديه إلى القسطنطينية فاستقبلوا استقبالاً حافلاً وألبسه الأمبراطور التاج» [ص ٢٠/ أحمد أمين].

ج - يتبين من ذلك أن الملك المذكور في ما نقله ابن خلدون هنا باسم (جفنة بن المنذر بن الحارث) وأنه «غزا الحيرة» هو «المنذر بن الحارث» وكان عهده ثلاثين سنة (٥٧٠ - ٥٩٩م) وعاصر (جوستين) ثم قيصر تباريس (٥٧٩ - ٥٨٢م) أو (٥٨١ - ٥٨٤م) ثم موريكوس (٥٨٠ - ٥٩٩م) أو (٥٨٢ - ٦٠١م).

[٤٦] - عمرو بن المنذر - أو كما في المروج - عمرو بن الحارث، كان أميراً قائداً في عهد المنذر بن الحارث، قال حسان بن ثابت:

«من يعد الدهر أو يأمنه من قبيل بعد عمرو وحجر
أتيا فارس في دارهم فتناهاوا بعد أعصام يفر
ثم نادوا يا آل غسان اصبروا إنه يوم المراجيح الضبر.»

والنعمان بن عمرو، تقدم في ترتيب الجرجاني والمسعودي إنه (النعمان بن الحارث)، فيكون ملكاً على قسم من الشام في عهد أخيه الملك المنذر، وقام ببناء قصر السويداء وقصر حارب المذكور في قول النابغة للملك عمرو الغساني:

«لئن كان للقصرين قصر يجلق وقصر بصيداء التي عند حارب
وللحارث الجفني سيد قومه ليلتمسن بالجمع أرض المحارب»

ويروى «القبرين قبر بجلق وقبر بصيدا».

[٤٧] - كانت موقعة عين أباغ في عهد المنذر بن الحارث وذلك عام ٥٧٩ ميلادية فيكون جبلة هذا هو (جبلة بن الحارث) المتقدم ذكره في ترتيب الجرجاني والمسعودي، وكان ملكاً على قسم من الشام في إطار ملوكية أخيه المنذر بن الحارث (٥٧٠ - ٥٩٩م).

[٤٨] - انتهينا فيما سلف إلى عهد المنذر بن الحارث بن جبلة (٥٧٠ - ٥٩٩م) ومعه أخوته عمرو بن الحارث والنعمان بن الحارث وجبلة بن الحارث، ومن المحتمل أن عهدهم =

ثم ملك «الأيهم» بن جبلة بن الحارث وكان له رأي في الإفساد بين القبائل حتى أفنى بعضهم بعضاً، فعل ذلك ببني جسر وغاملة وغيرهم، وكان منزله بتدمر.

وملك بعده منهم خمسة، فكان السادس منهم ابنه جبلة بن الأيهم^[٤٩] وهو آخر ملوكهم - اهـ كلام ابن سعيد - .

= امتدت إلى ما بعد عهده، وتضعنا المصادر أمام عدد من الملوك حكموا بعده في الفترة من عام ٦٠٠ ميلادية، وهم:

١ - أبو كرب النعمان (ويبدو أنه النعمان بن عمرو بن المنذر بن الحارث) وهو المذكور في شعر النابغة كالأبيات التي منها:

لقد قلت للنعمان يوم لقيته يُريدُ بني حُنَّ بِبُرقةِ صِادر

وقول عبد يغوث الحارثي:

«أبا كرب والأيهمين كليهما وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا»

٢ - الملك عمرو الغساني الذي لجأ إليه النابغة لما هرب من النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وقد أوردت الروايات اسمه بأنه «عمرو بن الحارث الغساني» والأنسب أنه «عمرو بن المنذر بن الحارث» قال النابغة:

عَلِيٌّ لعمرو زعمَةٌ بعد نعمةٍ لوالدة ليست بذات عقارب
وثقَّتْ له بالنصر إذ قيل قد غزت كتائب من غسان غيرُ أشائب

ويدل قوله فيها:

«لئن كان للقبرين، قبرٌ بجِلق وقبر بصيداء التي عند حارب»

على أن صاحب قصر حارب أو قبر صيداء عند حارب هو النعمان بن الحارث كان خال وجد الملك عمرو هذا، ووفد إليه أيضاً حسان بن ثابت وله معه ومع النابغة خبر في كتاب الأغاني.

٣ - أبو شمر (الثاني) ابن عوف بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عددي بن عمرو بن مازن، وهو الذي تقدم أنه غير والد الحارث بن جبلة وأنه ليس من آل جفنة.

[٤٩] - ليس بعد الأيهم بن جبلة خمسة ملوك ولا يتسع الزمن لذلك، فقد حكم الأيهم بن جبلة بن الحارث قسماً من الشام منه تدمر، وكان أبو شمر بن عوف ملكاً على قسم من الشام، ثم ملك بعدهما:

١ - الحارث بن أبي شمر الغساني، وقد تقدم قول ابن خلدون إن النعمان بن المنذر كان على عهد الحارث هذا ويتنافسان الرئاسة ومذاهب المدح وكان الشعراء مثل الأعشى وحسان بن ثابت يقدان إليهما، ولحسان بن ثابت أخبار معه في كتاب الأغاني للأصفهاني [ص ٨ ج ١٤] وأدرك الإسلام وكتب إليه النبي ﷺ عام ٦٢٩ م.

٢ - جبلة بن الأيهم بن جبلة الغساني، وله قال حسان بن ثابت في إحدى قصائده:
أشهرنها فإن ملكك بالشام م إلى الروم فخر كل يمانى

واستفحل ملك جبلة هذا وجاء الله بالإسلام وهو على ملكه [٥٠]، ولما افتتح المسلمون الشام أسلم جبلة [٥١]، وهاجرا إلى المدينة، واستشرف أهل المدينة لمقدمه، حتى تطاول النساء من خدورهن لرؤيته لكرم وفادته، وأحسن عمر رضي الله عنه نزله وأكرم وفادته، وأجله بأرفع رتب المهاجرين، ثم غلب عليه الشقاء ولطم رجلاً من المسلمين من فزارة وطى فضل إزاره وهو يسحبه في الأرض، ونابذه إلى عمر رضي الله عنه في القصاص، فأخذته العزة بالإثم، فقال له عمر رضي الله عنه: لا بد أن أقيده منك، فقال له: إذن أرجع عن دينكم هذا الذي يقاد فيه للسوقة من الملوك، فقال له عمر رضي الله عنه: إذن اضرب عنقك، فقال: أمهلني الليلة حتى أرى رأيي، وأسرى فتجاوز الدروب إلى قيصر ولم يزل بالقسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة، وفيما تذكره الثقات أنه ندم ولم يزل باكياً على فعلته تلك، وكان فيما يقال يبعث بالجوائز إلى حسان بن ثابت لما كان منه في مدح قومه ومدحه في الجاهلية [٥٢].

وعند ابن هشام: إن شجاع بن وهب إنما بعثه رسول الله ﷺ إلى جبلة [٥٣].

[٥٠] - إن العصور الذهبية لملوكية الغساسنة بالشام كانت إلى نهاية عهد الملك المنذر بن الحارث بن جبلة الذي حكم ثلاثين سنة (٥٧١ - ٦٠٠ ميلادية) وكان آخر الملوك الرومان الذين عاصروهم موريكس (ح/ ٥٨١ - ٦٠٠م) ويقول أحمد أمين «ثم ساءت العلاقة بين الغساسنة والروم... ولما غزا الفرس الروم وأخذوا منهم أورشليم القدس ودمشق (٦١٣ - ٦١٤م) تدهور شأن الغساسنة وضعف أمرهم» [ص ٢٠/ فجر الإسلام] والواقع أن شأن الأباطورية الرومانية نفسها كان قد تدهور وشهدت صراعات وثورات أدت إلى فقدانها لأغلب ولاياتها في أوروبا، وكذلك شهدت الشام صراعاً بين بعض الملوك الغساسنة والرومان، وآل الأمر إلى انحصار ملوكية غسان على قسم من الشام وليس كلها، وكانت ملوكية ذلك القسم للحارث بن أبي شمر وجبلة بن الأيهم معاً، وذلك في عهد هرقل ملك الروم (ح/ ٦٠٦ - ٦٣٨م).

[٥١] - جاء في طبقات ابن سعد (ص ٢٠ ج ١ - ٢) وتاريخ اليعقوبي (ص ٨٤) والإمتاع للمقريزي (ص ١٠٢٤) والوفاء لابن الجوزي (ص ٧٣٩) أنه «كتب رسول الله ﷺ إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان، يدعوه إلى الإسلام، فأسلم، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، فلم يزل مسلماً إلى أيام عمر» (اه) ثم سار إلى يثرب أيام عمر بن الخطاب.

[٥٢] - أنباء ذلك مذكورة بالتفصيل في كتاب الأغاني للأصفهاني وشرح الدامغة للهمداني وغيرهما من كتب التراث.

[٥٣] - كلام ابن هشام عن بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم لا يتعارض مع ما ذكره ابن إسحاق عن بعث رسول الله ﷺ إياه إلى الحارث بن أبي شمر، فنص كتاب رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر ثابت ومذكور في طبقات ابن سعد (ص ١٧ و ١٨ ج ١/ ٢) =

قال المسعودي: جميع ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً، وقال إن النعمان والمنذر إخوة جبلة وأبي شمر وكلهم بنو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة، ملكوا كلهم. قال: وقد مَلَكَ الروم على الشام من غير آل جفنة مثل الحارث الأعرج وهو أبو شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف، وعوف هذا جد ثعلبة بن عامر قاتل داود اللثقي، وملكوا عليهم أيضاً أبا جبيلة بن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن ثعلبة بن مزيقيا، وهو أبو جبيلة الذي استصرخه مالك بن العجلان على يهود يثرب حسبما نذكر بعد [٥٤].

وقال ابن سعيد عن صاحب تواريخ الأمم إن جميع ملوك بني جفنة اثنان وثلاثون [٥٤] ومدتهم ستمائة سنة [٥٥] ولم يبق لغسان بالشام قائمة وورث أرضهم بها قبيلة طيء، قال ابن سعيد: وأمراؤهم بنو مرا. وأما الآن فامراؤهم بنو مهنا وهما معاً لربيعه بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن علي بن سالم بن قصة بن بدر بن سميع [٥٦].

= وتاريخ الطبري (ص ١٥٥٩) والوفاء لابن الجوزي (ص ٧٣٧) فلما أتى كتاب رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر كتب الحارث إلى قيصر يخبره بذلك، ولم يسلم الحارث وكانت مدينة بصرى بالشام عاصمته، ومات بها، وأسلم بنو ثعلبة من غسان وغيرهم كثير من عرب الشام آنذاك.

[٥٤] - الاختلاف في عدد الملوك يعود إلى وجود ملوك متعاصرين في وقت واحد كما سلف التبيين.

[٥٥] - قال ابن الأثير في كتاب الكامل «وقد ملكت غسان بعد سليح ستمائة سنة، وأقل ما سمعت فيه ثلثمائة وست عشرة سنة بعد سليح» [ص ٤٥ ج ٢] وقد تم تبين مدة ملوكية سليح بالشام والجزيرة بأنها نحو ٣٢٠ سنة (٤٠ ق.م - ٢٨٠م) ومدة ملوكية غسان نحو ٣٥٠ سنة (٢٨٠ - ٦٣٠ ميلادية) ويمكن أن تكون ٣١٦ سنة. من تملك الرومان إياهم على الشام كما تقدم.

[٥٦] - قول ابن سعيد «لم يبق لغسان بالشام قائمة» يمكن أن يحمل على الإمارة. فقد ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب قبائل الشام ومنهم «غسان فيما يلي جبل عاملة قصد دمشق وحمص وما يليها» وبمواضع أخرى من الشام. وكان من أعلام الغساسنة بعد الإسلام الأمير الفاتح حسان بن النعمان الغساني أمير بلاد المغرب، كما عاد إلى اليمن من الغساسنة عمر بن علي بن رسول من بني جفنة من سلالة جبلة بن الأيهم وهم ملوك دولة اليمن الرسولية الغسانية التي دامت زهاء ٢٣٠ سنة (٦٢٦ - ٨٥٨ هـ/ ١٢٢٩ - ١٤٥٤ م) وفيهم قال الشاعر:

أملك غسان ما انفكت دعائمها لما أتت من معاليه معاليها

وأقامت غسان بعد منصرفها من الشام بأرض القسطنطينية حتى انقرض ملك
القيصرية، فتجهزوا إلى جبل شركس وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطش الذي
يمده خليج القسطنطينية، وفي هذا الجبل باب الأبواب وفيه من شعوب الترك
المتنصرة الشركس وأركس واللاص وكسا، ومعهم أخلاط من الفرس ويونان،
والشركس غالبون على جميعهم، فانهازت قبائل غسان إلى هذا الجبل عند انقراض
القيصرية والروم، وتحالفوا معهم واختلطوا بهم ودخلت أنساب بعضهم في بعض،
حتى ليزعم كثير من الشركس أنهم من نسب غسان.
ولله حكمة بالغة في خلقه، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير
الوارثين، لا انقضاء لمملكه ولا رب غيره.

النعمان

جيلة بن الأيهم بن جيلة - بن الحارث بن جيلة - بن الحارث بن جيلة - بن عمرو بن جيلة بن عمرو بن مزينة

- المنذر بن الحارث بن أبي شمر

- بن مارية

أول من ولي منهم ثعلبة بن عمرو بن جفنة وهو
أخو جذع بن عمرو وثعلبة بن عمرو بن
المجالد بن الحارث بن عمرو بن عدي بن
عمرو بن مازن بن الأزد

هكذا ترتيب أنسابهم وملوكهم عند الجرجاني

النعمان بن الحارث
جيلة

عوف بن أبي شمر

النعمان بن الحارث

جيلة بن الأيهم بن جيلة - بن الحارث بن جيلة - بن الحارث بن ثعلبة - بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن مزريقيا

المنذر

الحارث

هكذا أنسابهم وترتيبهم عند المسعودي رحمه الله

هكذا أنسابهم وترتيبهم عند ابن سعيد رحمه الله

- سادس بعد الأيهم

- قتل المنذر بن المنذر يوم عين أباغ

(لم يكن ملكاً وإنما كان قائداً)

- الأعرج أمه مارية ذات القرطين
منهم، وسار إليه المنذر بن ماء
السماء فقتل يوم حليمة.

جيلة بن الأيهم بن جيلة بن الحارث بن العثمان بن عمرو بن المنذر بن الحارث - بن أبي شمر بن جيلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جيفة

أبو كرب النعمان

جيلة

جيفة

جيفة الثالث

الخبر عن الأوس والخزرج أبناء قبلة [٢] من هذه الطبقة، ملوك يثرب دار الهجرة وذكر أوليتهم والإلمام بشأن نصرتهم وكيف انقرض أمرهم

قد ذكرنا فيما تقدم شأن يثرب، وأنها من بناء يثرب بن قانية بن مهلهيل بن إرم بن عبيل بن عوص، وعبيل أخو عاد [٣].

وفيما ذكر السهيلي أن يثرب ابن قائد بن عبيل بن مهلايل ابن عوص بن عمليق بن لاوذ بن إرم، وهذا أصح وأوجه.

وقد ذكرنا كيف صار أمر هؤلاء لإخوانهم جاسم من الأمم العمالقة، وأن ملكهم كان يُسمى الأرقم، وكيف تغلب بنو إسرائيل عليه وقتلوه وملكوا الحجاز

[١] - هذا هو الفصل الأخير من «قبائل اليمن من قحطان الذين كان المُلْك فيهم بالعراق والحجاز والشام».

[٢] - أبناء قبيلة «هم الأوس والخزرج» أمهم قبيلة بنت كاهن بن عذرة بن قضاة بن مالك بن حمير وبها اشتهروا، وهم من الأزد، قال جماعة البارقي الأزدي في قصيدته عن انتقال الأزد من اليمن وأولها:

حَلَّتْ الأزد بَعْدَ ما أَوْبَهَا العَوَّ
قال يذكر الأوس والخزرج:

وبنو قبيلة الذين حوَّوا يثرب
زحفوا لليهود وهي ألوف
فأبادوا الطغاة منها ولما
وأذلوا اليهود منها وأخلوا
أصبح الماء والفسيل لقومي
ورعاية لهم تسييم سروحاً
أسروها من اليهود لدى تشـ

رَبَّ بالقود والأسود العتاة
من دهاة اليهود أي دُهاة
يفشلوا في لقاء تلك الطغاة
منهم الحرّتين واللابات
تحت أطامها مع الثمرات
وسُقاة قوارب وطُهاة
تيتها في القرى وفي الفلوات

[٣] - تقدم قول ابن خلدون في الفصل الأول «فأما عبيل، وكانت ديارهم بالحجفة بين مكة =

دونه كله من أيدي العمالقة، ويظهر من ذلك أن الحجاز لعهدهم كان أهلاً بالعمران، وجميع مياهه، يشهد بذلك أن داود عليه السلام لما خلع بنو إسرائيل طاعته وخرجوا عليه بابنه اشبوشت فرّ مع سبط يهوذا إلى خيبر، وملك ابنه الشام، فيظهر من هذا أن عمران كان متصلاً بيثرب ويجاوزها إلى خيبر، وقد ذكرنا هنالك كيف أقام من بني إسرائيل من أقام بالحجاز وكيف تبعتهم يهود خيبر وبنو قريظة^[٤].

قال المسعودي: وكانت الحجاز إذ ذاك أشجر بلاد الله وأكثرها ماء، فنزلوا بلاد يثرب واتخذوا بها الأموال وبنو الآطام والمنازل في كل موطن وملكوا أمر أنفسهم، وانضافت إليهم قبائل من العرب نزلوا معهم واتخذوا الأطم والبيوت^[٥]، وأمرهم راجع إلى ملوك المقدس من عقب سليمان عليه السلام^[٦]، قال شاعر بني نعيم:
ولو نطقت يوماً قباء لخبرت بأنا نزلنا قبل عاد وثبّع

= والمدينة وأهلكهم السيل، وكان الذي اختط يثرب منهم هكذا قال المسعودي. « [أهـ] وقد كان يثرب اسم عشيرة منهم سكنت هناك بعد انتقالها من اليمن في زمن الطبقة الأولى، أما بناء مدينة يثرب فبعد ذلك بزمن طويل كما سيأتي.

[٤] - سينقض ابن خلدون هذه الرواية في فقرات تالية لعدم صوابها كما تؤكد المصادر التاريخية.

[٥] - وقع في هذه الروايات تأخير وتقديم بسبب وجود اليهود في يثرب قبل الأوس والخزرج، والصواب الذي تدل عليه المصادر التاريخية بما في ذلك النقوش والآثار، يتمثل في النقاط الرئيسية التالية:

أولاً: إن قبائل عربية كانت هي التي تسكن بلاد يثرب والددن - وادي القرى - بأعالي الحجاز وتيماء إلى أداني الشام منذ زمن الطبقة الأولى (العماليق/ثمود/عاد) وفي عصور دولة تبابعة سبأ حيث استقرت بتلك الأرجاء قبائل عربية يمانية سبائية في إطار الانتشار على طرق القوافل والمراكز التجارية، وقد دلت الدراسات على أنه كما جاء في كتاب الأمم السامية «كانت دولة سبأ تمت إلى شمال الجزيرة العربية، وكانت حدود سبأ من الشمال تتأخم دولة سليمان بفلسطين في عهد بلقيس ملكة سبأ بالقرن العاشر قبل الميلاد وعهد تجلات بليزر ملك أشور (وغيره من ملوك أشور الذين سجلت نقوشهم العلاقات مع سبأ حتى القرن السابع قبل الميلاد)» [ص ٨٤/الأمم السامية ت: حامد عبد القادر] وكانت قبيلة بني نعيم من القبائل العربية التي تسكن هناك وهي قضاعية سبائية وقبيلة لحيان الجرهمية وغيرها.

ثانياً: إن مدينة يثرب لم تكن موجودة قبل القرن السابع ق.م. وجاء أقدم وأول ذكر لها في نقوش نينوى وبابل في أواخر القرن السابع ق.م. والقرن السادس ق.م. ويعزز ذلك تشييد مدينة يثرب في عهد وتوجيه أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ (٧٠٠ ق.م - ٦٦٩ م) كما تقدم في الفصل الثالث عن تبابعة سبأ. ثم جاء اليهود إلى يثرب في أحداث عهد بختنصر.

[٦] - إن مقولات استقرار اليهود بيثرب منذ عهد موسى كما سيأتي في رواية الأغاني أو أيام =

وأطامنا عادية مشمخرة تلوح فتنعى من يعادي ويمنع
فلما خرج مزيقيا من اليمن وملك غسان بالشام ثم هلك، وملك ابنه ثعلبة
العنقا، ثم هلك ثعلبة العنقاء، وولى أمرهم بعد ثعلبة، عمرو ابن أخيه جفنة،
سخط مكانه ابنه حارثة فأجمع الرحلة إلى يثرب، وأقام بنو جفنة بن عمرو ومن
انضاف إليهم بالشام، ونزل حارثة يثرب على يهود خيبر وسألهم الحلف والجوار
على الأمان والمنعة فأعطوه من ذلك ما سأل [٧].

قال ابن سعيد: ومَلِك اليمن يومئذ شريب بن كعب فكانوا بادية لهم، إلى أن
انعكس الأمر بالكثرة والغلبة (٧).

ومن كتاب الأغاني للأصفهاني قال: بنو قريظة وبنو النظير الكاهنان من ولد
الكوهن بن هارون عليه السلام، كانوا بنو احي يثرب بعد موسى عليه السلام وقبل
تفرق الأزدي من اليمن بسيل العرم ونزول الأوس والخزرج يثرب وذلك بعد
الفجار [٨]، ونقل ذلك عن علي بن سليمان الأخفش بسنده قال (كان) ساكنو
المدينة العماليق وكانوا أهل عدوان وبغي، وتفرقوا في البلاد، وكان بالمدينة منهم
بنو نعيم وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو نظرون [٩]، وملك الحجاز منهم الأرقم ما
بين تيماء إلى فدك، وكانوا ملوك المدينة ولهم بها نخل وزرع [٩]، وكان موسى
عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابرة يغزونهم وبعث إلى العمالقة جيشاً من بني
إسرائيل وأمرهم أن لا يستبقوا أحداً فأبقوا ابناً للأرقم ضنوا به على القتل فلما

= داود كما تقدم أو أنهم كانوا مرتبطين بدولة إسرائيل وملوكها من عقب سليمان كما نقل
المسعودي هنا هي من باب خيال الإسرائيليات المتأخرة ولا وجود لذلك حتى في التوراة التي
ذكرت مناطق دولتهم بالتفصيل كما أن يثرب لم تكن مدينة موجودة آنذاك، وسيأتي كيفية قدوم
اليهود.

[٧] - إن الصورة الكاملة لاستقرار الأوس والخزرج بيثرب سيذكرها ابن خلدون في نصوص
لاحقة تتكامل مع هذا كما يأتي.

[٨] - نقل ابن خلدون عن المصدر نفسه في فقرة تالية أن بني قريظة وبني النظير خرجوا من
الشام هاربين إلى الحجاز لما ظهر الروم على بني إسرائيل بالشام وقتلوهم وسبوا.
والأصوب أيام بختنصر ملك بابل كما سيأتي.

[٩] - قال ابن خلدون في فقرة تالية أن بني نعيم من بلي من قضاة، فتلك قبائل عربية يمانية
كانت تسكن يثرب ونواحيها في عصور دولة تبابعة سبأ، خاصة بعد تشييد مدينة يثرب في
عهد أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ (٧٠٠ - ٦٦٩ ق.م). وربما كان الأرقم ملكاً عاملاً
على يثرب ونواحيها في عهد عمرو بن حسان بن أسعد معاصر بختنصر (نبوخذ نصر) الذي
في أيامه كان نزوح جحافل من اليهود إلى يثرب ونواحيها.

رجعوا بعد وفاة موسى عليه السلام وأخبروا بني إسرائيل بشأته فقالوا هذه معصية لا تدخلوا علينا الشام فرجعوا إلى بلاد العمالقة ونزلوا المدينة، وكان هذا أولية سكنى اليهود بيثرب وانتشروا في نواحيها^[١٠] واتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع، ولبثوا زماناً وظهر الروم على بني إسرائيل بالشام وقتلوهم وسبوا، فخرج بنو النظير وبنو قريظة وبنو يهدل هاربين إلى الحجاز، وتبعهم الروم فهلكوا عطشاً في المفازة بين الشام والحجاز وسُميَ الموضع ثمر الروم.

ولما قدم هؤلاء الثلاثة (أي بنو النظير وبنو قريظة وبنو يهدل) المدينة، نزلوا العالية فوجدوها وبيه، فارتادوا ونزل بنو النظير مما يلي البهجان وبنو قريظة وبنو يهدل على نهر وزو، وكان ممن يسكن المدينة من اليهود حين نزلها الأوس والخزرج: بنو الشقمة وبنو ثعلبة وبنو زرعة وبنو قينقاع وبنو يزيد وبنو النظير وبنو قريظة وبنو يهدل وبنو عهوف وبنو عصص، وكان بنو يزيد من بلي وبنو نعيم من بلي وبنو الشقمة من غسان^[١١]، وكان يقال لبني قريظة وبني النظير الكاهنان كما مر.

فلما كان سيل العرم^[١٢] وخرجت الأزد، نزلت أزد شنوءة بالسراة، وخزاعة

[١٠] - أخبار موسى مع العمالقة إنما كانت بمناطق من فلسطين ولم يكن لبني إسرائيل في ذلك الزمان جيش ولا دولة، ولعل أصل هذا الخبر وما تقدم في بداية كلام ابن خلدون يعود إلى عهد بختنصر ملك بابل (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) لما اجتاحت كيان يهودا في منطقة من فلسطين وقتل وسبى اليهود فنزحت جحافل من اليهود إلى يثرب ونواحيها وقتلوا عامل الملك عمرو بن حسان بن أسعد الأول ملك سبأ (٦٠٤ - ٥٨٩ ق.م). فسار عمرو (ذرا - امر) بن حسان بن أسعد الأول بجيش من اليمن لطرد اليهود وفتك بمن قاتله منهم، وفي ذلك قال نشوان الحميري في قصيدته التاريخية:

أو تُبَع عمرو ابن حسان الذي سفح الدماء بسيفه السفاح
قتل اليهود بيثرب، وأراهم أنياب ثغر للمنية شاح

ثم وقع عمرو بن حسان تحت تأثير الحبرين اليهوديين فاعتنق اليهودية فتسنى لليهود الإقامة بيثرب، وقد ذكر ابن الجاور في كتاب المستبصر عن اليهود بمنطقة وادي سبت بالحجاز أنهم «يقال إنما حصلوا هؤلاء اليهود في هذه الأرض والأعمال إلا من غزوة بختنصر البابلي لليهود بأرض الشام فخرجوا هاربين (إلى) خيبر ووادي القرى وسكنوا هذه الأراضي» [ص ٢٣ - المستبصر].

[١١] - تقدم حديث ابن خلدون عن قبيلة بلي وأنهم من قبائل قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ الذين انتشرت مواطنهم ما بين ينبع ويثرب إلى تبوك وأيلة والشام خاصة بعد نهاية دولة تبابعة سبأ وسيل العرم الأول في القرن الخامس قبل الميلاد فسادوا تلك الأرجاء وغيرها وكان منهم بنو سليح ملوك الشام قبل غسان.

[١٢] - أي خروج الأزد من أرض مأرب عند انهيار سد مأرب القديم الثاني ونهاية دولة مكارب سبأ =

بطوى، ونزلت غسان بصرية وأرض الشام^[١٣] ونزلت أزد عُمان (عمان)، ونزلت الأوس والخزرج يثرب، نزلوا في ضرار بعضهم بالضاحية وبعضهم بالقرى مع أهلها، ولم يكونوا أهل نعم وشاء لأن المدينة كانت ليست بلاد مرعى ولا نخل لهم ولا زرع إلا الأعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من الموات، والأموال لليهود، فلبثوا حيناً^[١٤].

ثم وفد مالك بن عجلان إلى أبي جبيلة الغساني وهو يومئذ ملك غسان^[١٥]، فسأله فأخبره عن ضيق معاشهم، فقال: ما بالكم لم تغلبوهم (أي اليهود) حين

= في أواخر القرن الثاني الميلادي وكان خروجهم بمعية عمرو بن عامر مزيقيا آخر مكارب مكربية سباً كما تقدم.

[١٣] - كان نزول غسان بأعالي الحجاز وتخوم الشام بما في ذلك يثرب التي تقدم أن بني الشقعة من غسان سكنوها وتيماء التي سكنها أسلاف السموأل بن عادي الغساني ومعان والبلقاء ثم انتشروا إلى بصرى وغيرها من الشام، وتشير بعض القرائن والأشعار إلى أن اسم غسان كان يشمل الأوس والخزرج فترة من الزمن.

[١٤] - من المفيد الإشارة هنا إلى ما يلي:

أ - إن الأهمية الأساسية ليثرب كانت تتمثل في موقعها على طريق التجارة والقوافل بين اليمن والشام وما يليها.

ب - إن الأوس والخزرج ومن إليهم من اليمانية لما استقروا ببادية وقرى يثرب أسسوا كياناً سياسياً كما في النص السالف عن ابن سعيد أنه «مَلَكَ اليمن يومئذ شريب بن كعب . . .» أي كان ملكاً على قبائل اليمن تلك.

ج - إن سلطان دولة تبابعة حمير في عهد تُبَعِ ملشان بأوائل القرن الرابع الميلادي امتد إلى الحجاز ويثرب كما في نقش عبدان الكبير عن بلوغ حملات ملشان «إلى آبار سجا بين أرض نزار وأرض غسان». وقد ذكرت روايات تاريخية «أن غزوة تبع إلى يثرب كانت استصراخة بني قبيلة على اليهود» فيكون المقصود تبع هذا وقام بتملك حجر أكل المرار الكندي على الحجاز وبدأت آنذاك زعامة الأوس والخزرج كما نلمس من قول حسان بن ثابت:

«ونحن ملوك الناس من عهد تُبَعِ إذ المُلْكُ في أبناء عمرو ابن عامر»

[١٥] - تقدم في تحقيق أنباء ملوك الشام الغسانية أن أول ملوكهم (جفنة الحرث بن عمرو الغساني) كان في الفترة (٢٨٠ - ٣٢٤م) وحكم معه وبعده ثعلبة بن جفنة (٣٠٦ - ٣٤٤م) وعاصراً تبع ملشان أول تبابعة الدولة الحميرية (ح/ ٢٧٥ - ٣٥٠م) ثم كان من ملوك غسان الحرث بن ثعلبة الجفني (٣٤٥ - ٣٨٤م) وفي أيامه غالباً كان أصل ما نقله ابن خلدون عن المسعودي في نص سابق عن حارثة (الثعلبي) الذي سأل اليهود في يثرب الحلف والجوار على الأمان والمنعة فأعطوه من ذلك ما سأل من حلف له وبالتالي للأوس والخزرج، ثم كان من ملوك الشام الغسانية أبو جبيلة المذكور هنا، ويمكن تقدير عهده بحوالى عام ٤٠٠ ميلادية.

غلبنا أهل بلدنا^[١٦٦] ووعده أنه يسير إليهم فينصرهم، فرجع مالك بن عجلان وأخبرهم أن الملك أبا جبيلة يزورهم، فأعدوا له نزلاً، فأقبل ونزل بذئ حرض وبعث إلى الأوس والخزرج بقدمه، وخشي أن يتحصن منه اليهود في الآطام، فاتخذ حائراً، وبعث إليهم فجاءوا في خواصهم وحشمهم، وأذن لهم في دخول الحائر وأمر جنوده فقتلوه رجلاً رجلاً إلى أن أتى عليهم، وقال للأوس والخزرج إن لم تغلبوا على البلاد بعد قتل هؤلاء فلأحرقنكم، ورجع إلى الشام، فأقاموا في عداوة مع اليهود، ثم أجمع مالك بن العجلان وصنع لهم طعاماً ودعاهم فامتنعوا لغدرة أبي جبيلة، فاعتذر لهم مالك عنها وأنه لا يقصد نحو ذلك، فأجابوه وجاءوا إليه فغدرهم وقتل منهم سبعة وثمانين من رؤسائهم، وفطن الباقون فرجعوا، وصورت اليهود بالحجاز مالك بن العجلان في كنائسهم وبيعهم وكانوا يلعنونه كلما دخلوها، ولما قتلهم مالك ذلوا وخافوا، وتركوا مشى بعضهم إلى بعض في الفتنة كما كانوا يفعلون من قبل، وكان كل قوم من اليهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يستنصرون بهم ويكونون لهم أحلافاً - اهـ كلام الأغاني - .

[١٧] بطون الأوس والخزرج

وكان لحارثة بن ثعلبة ولدان أحدهما أوس والآخر خزرج، وأمهما قبيلة بنت

[١٦٦] - كان مسير مالك بن عجلان إلى أبي جبيلة الغساني لأن اليهود نقضوا الحلف الذي كانوا عقده للأوس والخزرج - كما سيأتي في موضع لاحق - وكان مالك بن عجلان رئيس الأوس والخزرج فاستنصر بأبي جبيلة ملك غسان، ولا يتعارض ذلك مع خبر استنصار بني قبيلة بتبع ملك اليمن فذلك في زمن سابق بمطلع وأوائل القرن الرابع الميلادي، ونلمس الإشارة إلى ذلك في قول حسان بن ثابت عن تاريخهم التليد:

ونحن ملوك الناس من عهد تُبع	إذ المُلك في أبناء عمرو ابن عامر
ونحن جلبنا الخيل من سرو حمير	إلى جاسم بالمحنقات السناجر
يكاد سهيل الخيل فيها يصمنا	وزجر الخُداة في حنين السواجر
تقود جياد الخيل مئاً كأثها	سراح غدت في ذي أهاضب ماطر
ونورد أبطال العدو مناهاً	حياض المنايا وردها غير صادر
على كل جرداء الأديم وأجرد	تطل عليها بالرماح الشواجر

[٢٣٦ ج١/الإكليل]

بينما مناصرة أبي جبيلة الغساني وخبر مالك بن عجلان في زمن لاحق بمطلع القرن الخامس الميلادي .

[١٧] - جاء اسم الأوس كإحدى القبائل اليمنية الهامة في نقوش المسند اليمنية قبل انتقال الأزدي =

الأرقم بن عمرو بن جفنة، وقيل بنت كاهن بن عذرة من قضاة، فأقاموا كذلك زماناً حتى أثروا وامتنعوا في جانبهم وكثر نسلهم وشعوبهم.

فكان بنو الأوس كلهم لمالك بن الأوس (١٧)

منهم خطمة بن جشم بن مالك، وثلعة ولوذان وعوف كلهم بنو عمرو بن عوف بن مالك، ومن بني عوف بن عمرو، حنش ومالك وكلفة كلهم بنو عوف، ومن مالك بن عوف معاوية وزيد، فمن زيد عبيد وضبيعة وأميرة، ومن كلفة بن عوف جحجبا بن كلفة.

ومن مالك بن الأوس أيضاً الحارث وكعب ابنا الخزرج بن عمرو بن مالك، فمن كعب: بنو ظفر، ومن الحارث بن الخزرج: حارثة وجشم، ومن جشم: بنو عبد الأشهل.

ومن مالك بن الأوس أيضاً بنو سعد وبنو عامر ابنا مروة بن مالك، فبنو سعد الجعادرة، ومن بني عامر عطية وأميرة ووائل كلهم بنو زيد بن قيس بن عامر. ومن مالك بن الأوس أيضاً: أسلم وواقف بنو امرئ القيس بن مالك. فهذه بطون الأوس.

وأما الخزرج فخمسة بطون من كعب وعمرو وجشم والحارث

فمن كعب بن الخزرج: بنو ساعدة بن كعب.

= من اليمن بعدة قرون، وذلك في النقش المسند المعيني بموقع يثل براقش (رقم ١ فخري ٢٩٢٩ هومل) ويذكر النقش زعماء «مراد - وبني هانيء - وأوس» ويعود إلى القرن الخامس والقرن الرابع قبل الميلاد مما يدل على أن الأوس أقدم من حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا وإنما كانوا من قبائل الأزدي الذين رحلوا معه من اليمن ثم اندمج نسبهم مع الخزرج بن حارثة في يثرب غالباً، وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

ونحن أناس أصلنا الأزدي منهم	نصارا نبتنا في الفروع النواظر
ونحن بنو الغوث ابن نبت ابن مالك	ابن زيد ابن كهلان وأهل المفاجر
يمانون تدعوننا سباً فنجيبها	إلى الجواهر المكنون خير الجواهر

ومن الأوس القائد «إبراهيم بن مغيرة الأوسي» صاحب نقش جبل أسيس - جنوب شرق دمشق - وكان من قادة الملك الحارث بن جبلة الغساني عام ٥٢٨ م. وقال النابغة الذبياني في قصيدته عن الملك عمرو بن الحارث الغساني:

كان رجال الأوس تحت لبانه	وما جمعت جَلْ معاً وعتيبُ
رغا فوقهم سَقْبُ السماء فداحض	بشكيتة لم يُستلب وسليبُ

ومن عمرو بن الخزرج: بنو النجار وهم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو، وهم شعوب كثيرة: بنو مالك وبنو عدي وبنو مازن وبنو دينار كلهم بنو النجار، ومن مالك بن النجار مبدول واسمه عامر، وغانم وعمرو، ومن عمرو عدي ومعاوية.

ومن عوف بن الخزرج: بنو سالم والقواقل، وهما عوف بن عمرو بن عوف والقواقل ثعلبة ومرضخة بنو قوقل بن عوف، ومن سالم بن عوف: بنو العجلان بن زيد بن غنم بن سالم، وبنو سالم بن عوف.

ومن جشم بن الخزرج: بنو غضب بن جشم، وتزيد بن جشم، فمن غضب بن جشم: بنو بياضة وبنو زريق ابنا عامر بن زريق بن عبد حارثة ابن مالك بن غضب، ومن تزيد بن جشم بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن تزيد. ومن الحارث بن الخزرج: بنو خدرة وبنو حرام ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج [١١٨].

فهذه بطون الخزرج.

فلما انتشر بيثرب هذان الحيان من الأوس والخزرج وكاثروا يهود خافوهم على أنفسهم فنقضوا الحلف الذي عقده لهم [١١٩]، وكانت العزة يومئذ بيثرب لليهود. قال قيس بن الحطيم:

كنا إذا رابنا قوم بمظلمة شدت لنا الكاهنات الجبل واعتزما
بنو الرهون وواسونا بأنفسهم بنو الصريخ فقد عفوا وقد كرموا
ثم نتج فيهم بعد حين مالك بن العجلان وقد ذكرنا نسب العجلان، فعظم شأن مالك وسوّده الحيان (الأوس والخزرج) فلما نقض يهود الحلف واقعهم

[١١٨] - ومنهم الصحابي الأمير النعمان بن بشير بن سعد بن نصر بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وهو القاتل من قصيدة في الإكليل والأغاني:

ومن سباً أصلي وفرعي ومحتدي تنازعني منها الجدود الأكارم
لنا من بني قحطان سبعون تُبعاً أطاعت لهم بالخروج منها الأعاجم
.. ومنا ملوك الناس فهْدُ وتُبْعُ وعبد كلال والقروم القماقم
وحسان ذو الشعيين منا ويُرعشُ وذو يزن تلك البحور الخضارم

[١١٩] - تقدم أن السيادة كانت للأوس والخزرج بمناسبة تبع ملشان، ثم ضعف شأن الأوس والخزرج بعد فترة فعقدوا حلف حارثة مع اليهود ثم نقض اليهود الحلف واغتروا بسيطرتهم المالية وغدروا فاستنصر مالك بن العجلان الخزرجي بأبي جبيلة ملك غسان بالشام حيث يتواصل هنا النبا اليقين عن ذلك.

وأصاب منهم، ولحق بأبي جبيلة ملك غسان بالشام، وقيل بعث إليه الرنق بن زيد بن امرئ القيس، فقدم عليه فأنشده:

(أقسمت أطعم من رزق قطرة
حتى ألاقي معشراً أنى لهم
أرض لنا: تُدعى قبائل سالم
قوم أولو عز وعزة غيرهم
فأعجبه وخرج في نصرتهم .
حتى تكثر للنجاة رحيل)
خلّ وما لهم لنا مبدول
ويجيب فيها مالك وسلول
إنّ الغريب ولو يعز ذليل

وأبو جبيلة هو ابن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، كان حبيب بن عبد حارثة وأخوه غانم ابنا الجشمي ساروا مع غسان إلى الشام وفارقوا الخزرج.

ولما خرج أبو جبيلة إلى يثرب لنصرة الأوس والخزرج، لقيه أبناء قبيلة وأخبروه أنّ يهود علموا بقصده فتحصنوا في أطامهم، فوزى عن قصده باليمن، وخرجوا إليه فدعاهم إلى صنع أعدّه لرؤسائهم ثم استلحمهم.

فعرّت الأوس والخزرج من يومئذٍ وتفرقوا في عالية يثرب وسافلتها يتبؤأون منها حيث شاؤوا، وملكت أمرها على يهود، فذلت اليهود وقلّ عددهم^[٢٠] وعلت قدم أبناء قبيلة عليهم، فلم يكن لهم امتناع إلا بحصونهم وتفرّقهم أحزاباً على الحيين إذا اشتجرا.

وفي كتاب ابن إسحاق: إن تبعاً أبا كرب غزا المشرق فمرّ بالمدينة^[٢١].

[٢٠] - كانت فتكة أبي جبيلة ومالك بن عجلان باليهود في مطلع القرن الخامس الميلادي (بعد عام ٤٠٠م بأمديسير) مما أدى إلى «تشتيت اليهود في القرى والفلوات» - كما في شعر جماعة البارقي السالف - وكان ذلك سبب نزوح طوائف منهم - من وادي القرى ونواحي يثرب - إلى منطقة من تبالة باليمن ذكرها ابن المجاور [ص٢٣] وإلى داخل مناطق من اليمن ولم يكن لهم باليمن وجود قبل ذلك، كما أدى ذلك إلى ذلة اليهود وقلة عددهم في يثرب، وعلو زعامة بني قبيلة (الأوس والخزرج) في يثرب.

[٢١] - في نص ابن إسحاق «تبع أسعد أبو كرب» وقد أسلفنا تبين أنه تبع أسعد الثاني بن حسان والتمييز بينه وبين «أبو كرب أسعد الأول ملك سبأ بن ملكي كرب» الذي كان قبل بختنصر في القرن السابع قبل الميلاد وأن تبع أسعد بن حسان من ملوك الدولة الحميرية في القرن الخامس الميلادي كان عهد أبيه حسان في الفترة (٤٣٠ - ٤٥٦م) وعهد أسعد الثاني هذا (٤٥٧ - ٤٧٧م) وشمل سلطان كل منهما جزيرة العرب ومنها يثرب وولّى الحارث بن عمرو بن حجر الكندي على الحجاز كما تقدم.

وخلف بين أظهرهم ابناً له، فقتل غيلة، فلما رجع أجمع على تخريبها واستئصال أهلها، فجمع له هذا الحي من الأنصار ورئيسهم عمرو بن طلة - وطلة أمه، وأبوه معاوية بن عمرو [٢٢٢].

قال ابن إسحاق: وقد كان رجل من بني عدي بن النجار يقال له أحمر نزل بهم تبع، وقال: إنما التمر لمن أبره [٢٢٣] فزاد ذلك تبعاً حنقاً عليهم، فاقتتلوا [٢٢٤]، وقال ابن قتيبة في هذه الحكاية: إن الذي عدا على التبعي هو مالك بن العجلان، وأنكره السهيلي وفرق بين القصتين بأن عمرو بن طلة كان لعهد تبع، ومالك بن العجلان لعهد أبي جبيلة، واستبعد ما بين الزمانين.

ولم يزل هذان الحيان (أي الأوس والخزرج) قد غلبوا اليهود على يثرب، وكان الاعتزاز والمنعة تعرف لهم في ذلك ويدخل في حلقهم من جاورهم من قبائل مضر، وكانت قد تكون بينهم في الحيين فتن وحروب ويستصرخ كل بمن دخل في حلفه من العرب ويهود.

قال ابن سعيد: ورحل عمرو بن الأظنابة من الخزرج إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فملكه على (الحيرة) [٢٢٥]!

واتصلت الرياسة في الخزرج، والحرب بينهم وبين الأوس، ومن أشهر

[٢٢٢] - قال ابن هشام: عمرو بن طلة هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار [ص ١٥/ السيرة]

[٢٢٣] - في هذه الفقرة تصحيف، وإنما قال ابن إسحاق إن أحمر هذا «عدا على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله، وقال: إن التمر لمن أبره».

[٢٢٤] - قال ابن إسحاق: والأنصار يزعمون أنه إنما كان حنقاً تبع على اليهود الذين كانوا بين أظهرهم وإنما أراد هلاكهم فمنعه الأوس والخزرج وقتلوه حتى انصرف عنهم (ص ١٨).

[٢٢٥] - في عبارة «فملكه على الحيرة» تصحيف من النساخ ولا بد أن تكون «فملكه على الخزرج» أو «فملكه على يثرب» والنعمان بن المنذر ملك الحيرة هو آخر ملوك الحيرة اللخمييين اليمانيين كما تقدم أن عهده كان (٥٨٠ - ٦٠٢ م) وفي أوائل تلك الفترة انتهت دولة اليمن الحميرية بهلاك معد يكر بن سيف بن ذي يزن (٥٩٢ م) وباتت صنعاء تحت حكم الفرس وأغلب مناطق اليمن تحت حكم أدواء وزعماء استقلوا بحكمها كملوك، وقد كان من ملوك الشام الغساسنة في تلك الفترة بعد (المنذر بن الحارث بن جبلة ٥٧٠ - ٥٩٩ م) ملك اسمه النعمان ربما كان هو الذي سار إليه عمرو بن الأظنابة للعلاقة الوثيقة بين غسان والأوس والخزرج، فأما النعمان بن المنذر ملك الحيرة فانهى عهده بمقتله على يد كسرى ابرويز عام ٦٠٢ م وانتهت بذلك مملكة الحيرة، وأما مملكة الغساسنة بالشام فضعفت بعد عام ٦١٤ م وبذلك كله تكرست فترة الجاهلية.

الوقائع التي كانت بينهم يوم بُعث، قبل المبعث [٢٦٦] وكان على الخزرج فيه عمرو بن النعمان بن صلاة بن عمرو بن أمية بن عامر بن بياضة، وكان على الأوس يومئذٍ حضير الكتائب ابن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وكان حلفاء الخزرج يومئذٍ أشج من غطفان وجهينة من قضاة، وحلفاء الأوس مزينة من أحياء طلحة بن إياس وقريظة والنظير من يهود، وكان الغلب صدر النهار للخزرج ثم نزل حضير الكتائب وحلف لا أركب أو أقتل فتراجعت الأوس وحلفاؤها وانهمز الخزرج وقتل عمرو بن النعمان رئيسهم، وكان آخر الأيام بينهم، وصبّحهم الإسلام وقد سئموا الحرب وكرهوا الفتنة فاجتمعوا على أن يتوجوا عبد الله بن أبي سلول ثم اجتمع أهل العقبة منهم بالنبي ﷺ بمكة ودعاهم إلى نصرته الإسلام، فجاؤوا إلى قومهم بالخبر كما نذكر وأجابوا واجتمعوا على نصرته ورئيس الخزرج سعد بن عبادة والأوس سعد بن معاذ.

قالت عائشة: كان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله، ولما بلغهم خبر مبعث النبي ﷺ بمكة وما جاء به من الدين وكيف أعرض قومه عنه وكذبوه وآذوه [٢٦٧]، وكان بينهم وبين قريش اخاء قديم وصهر. فبعث أبو قيس بن الأسلت من بني مرة بن مالك بن الأوس ثم من بني وائل منهم واسمه صيفي بن عامر بن شحم بن وائل وكان يحبهم لمكان صهره فيهم، فكتب إليهم قصيدة يعظم لهم فيها الحرمة ويذكر فضلهم وحلمهم وينهاهم عن الحرب

[٢٦٦] - قبل المبعث: أي قبل البعثة النبوية (عام ٦١٠م) بفترة سيرة، ثم كانت الهجرة النبوية إلى يثرب (عام ٦٢٠م) بداية مرحلة جديدة ومجيدة في تاريخ يثرب والجزيرة والامة العربية.

[٢٦٧] - قال لسان اليمن الحسن الهمداني صاحب الإكليل في القصيدة الدامغة مخاطباً قريشاً وشدة كفرهم بالنبي ﷺ:

دعانا فاستجبنا أجمعينا	.. فلما أن حكيتم قوم نوح
إليه مؤمنين مُوحديننا	وسار خيارنا من كل أوب
له ما ملأه طابعينا	فأسوه بأنفسهم وأصفوا

يريد الأوس والخزرج الأزديين اليمانيين أنصار رسول الله ﷺ وفي ذلك قال صرمة بن قيس الأنصاري:

يُذكر لو يلقى ولياً مواتياً	ثوى في قريش بضع عشرة حجة
فلم ير مَنْ يؤى ولم ير داعياً	ويعرض في أهل المواسم نفسه
وأصبح مسروراً بطيبة راضياً	فلما أتانا، اطمانت به النوى

ويأمرهم بالكف عن رسول الله ﷺ ويذكرهم بما رفع الله عنهم من أمر الفيل، وأولها:

أيا راكبا إما عرضت فبلغن مقالة أوسّي، لؤي بن غالب

تناهز خمسة وثلاثين بيتاً ذكرها ابن إسحاق في كتاب السيرة، فكان ذلك أول ما ألقح بينهم من الخير والإيمان، وكان رسول الله ﷺ لما يئس من إسلام قومه، يعرض نفسه على وفود العرب وحجاجهم أيام الموسم أن يقوموا بدين الإسلام وينصره حتى يُبلِّغ ما جاء به من عند الله، وقريش يصدّونهم عنه ويرمونه بالجنون والشعر والسحر كما نطق به القرآن [٢٢٨]، وبينما هو في بعض المواسم عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج ست نفر، اثنان من بني غانم بن مالك وهما أسعد بن زرارة بن عدي بن عبيد الله بن ثعلبة بن غانم وعوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غانم وهو ابن عفرأ، ومن بني زريق بن عامر رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق، ومن بني غانم بن كعب بن سلمة بن سعد بن عبد الله بن عمرو بن الحرث بن ثعلبة بن الحرث بن حرام بن كعب بن غانم: كعب بن رثاب بن غانم وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غانم بن سواد بن غانم وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غانم، فلما لقيهم (النبي) قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود [٢٢٩] قالوا: نعم، فقال: ألا تجلسون أكلمكم، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله إنه النبي الذي تعدكم يهود به فلا يسبقنكم إليه [٢٣٠]، فأجابوه فيما دعاهم

[٢٢٨] - ومن ذلك أن الطفيل بن عمرو الدوسي كان سيداً وشاعراً في قومه باليمن، فلما أتى مكة أحاطت به قريش وهياؤا له الضيافة ثم راحوا يحذرونه من لقاء محمد ﷺ ويقولون له «إن له قولاً كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه.. فلا تكلمه ولا تسمع منه حديثاً» فلما غدا الطفيل إلى الكعبة شاهد محمداً فقرر أن يستمع إليه فأدرك أنه الحق فأسلم وعاد إلى اليمن ونشر الإسلام في دوس قبل الهجرة، وأخباره كثيرة ومذكورة في تراجم الصحابة وكتب السيرة.

[٢٢٩] - في رواية هذه العبارة نظر، فلم يكن الخزرج موالي يهود، وإنما كان اليهود قد أصبحوا بمثابة موالي للأوس والخزرج ويدخلون في حلفهم كما تقدم في كلام ابن خلدون، بل إن اليهود في حرب يوم بعث كانوا مع الأوس لا مع الخزرج.

[٢٣٠] - لم يكن إيمانهم لمجرد أن اليهود كانوا يخبرون بنبي موعود وحتى لا يسبقهم اليهود، فالخبر والتبشير بالنبي محمد ﷺ كان له مصادر أخرى متواترة. فقد تقدم أن تبع أبا كرب أسعد ملك سبأ بشراً بالنبي ﷺ قبل ألف سنة - كما في تفسير القرطبي - وكذلك الكاهنان =

وصدقوه وآمنوا به، وارجأوا الأمر في نصرته إلى لقاء قومهم، وقدموا المدينة فذكروا لقومهم شأن النبي ﷺ ودعواهم إلى الإسلام، ففشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، ثم وافى الموسم في العام المقبل اثنا عشر منهم فوافوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، وهم اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وأخوه معاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وعقبة بن عامر من الستة الأولى، وستة آخرون منهم من بني غانم بن عوف من القواقل: عبادة بن الصامت بن قيس بن اصرم بن فهر بن ثعلبة بن غانم، ومن بني زريق: ذكوان بن عبد القيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، والعباس بن عبادة بن فضلة بن مالك بن العجلان، هؤلاء التسعة من الخزرج، وأبو عبد الرحمن بن زيد بن ثعلبة بن خزيمة بن اصرم بن عمرو بن عمارة من بني عصابة من بليّ إحدى بطون قضاة حليف لهم، ومن الأوس رجلا: الهيثم بن التيهان واسمه مالك بن التيهان بن مالك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وعويم بن ساعدة من بني عمرو ابن عوف، فبايعوه على الإسلام، بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب، ومعناه أنه حينئذ لم يؤمر بالجهاد وكانت البيعة على الإسلام فقط كما وقع في بيعة النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن، الآية، وقال لهم: فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وإن سترتم عليه في الدنيا إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر.

وبعث النبي ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد

= اليمانيان شق وسطيح أيام ربيعة بن نصر يحمد في القرن الثالث الميلادي والملك تبع أسعد الحميري بن حسان في القرن الخامس الميلادي وسيف بن ذي يزن عام ٥٧٢م - كما تقدم - وقال تبع أسعد آياتاً بشر فيها بالنبي وهي كما في كتاب البداية والنهاية لابن كثير وسائر كتب التاريخ:

شهدت على أحمد أنه	رسول من الله باري النسب
نسبي وجدناه في كتبنا	به يهتدي وبه يعتصم
فلو مُد عمري إلى عمره	لكنت وزيراً له وابن عم . .

(الخ).

قال ابن كثير والسهيلي «ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه» [ص ١٦٦ ج ١/ البداية والنهاية] وكان إيمان الأنصار لأنهم اقتنعوا بدين التوحيد ورسالة النبي محمد ﷺ.

الدار بن قصي، يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان يصلي بهم، وكان منزله على أسعد بن زرارة، وغلب الإسلام في الخزرج وفشا فيهم، وبلغ المسلمون من أهل يثرب أربعين رجلاً فجمعوا، ثم أسلم من الأوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وابن عمه أسيد بن حضير الكتائب وهما سيदा بني عبد الأشهل، وأوعب الإسلام بني عبد الأشهل، وأخذ من كل بطن من الأوس، ما عدا بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف - وهي أوسيه أمة من الأوس من بني حارثة - ووقف بهم عن الإسلام أبو قيس بن الأسلت يرى رأيه، حتى مضى صدر من الإسلام ولم يبق دار من دور أبناء قبيلة إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، ثم رجع مصعب إلى مكة، وقدم المسلمون من أهل المدينة معه، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق فبايعوه وكانوا ثلثمائة وسبعين رجلاً وامرأتين، بايعوه على الإسلام وأن يمنعوه ممن أرادته بسوء ولو كان دون ذلك القتل، وأخذ عليهم النقباء اثني عشر، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس [٣١]، وأسلم ليلتئذ عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر بن عبد الله، وكان أول من بايع البراء بن معرور [٣٢] من بني تزييد بن جشم من الخزرج، وصرخ الشيطان بمكانهم مع رسول الله ﷺ وتنطست قريش الخبر فوجدوه قد كان، فخرجوا في طلب القوم، وادركوا سعد بن عباد وأخذوه وربطوه حتى أطلقه جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل والحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس لجوار كان عليهما ببلده. فلما قدم المسلمون المدينة أظهروا الإسلام، ثم كانت بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله ﷺ في القتال، فبايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرته عليهم وأن لا ينازعوا الأمر أهله وأن يقوموا بالحق أينما كانوا ولا يخافوا في الله لومة لائم، ولما تمت بيعة العقبة وأذن الله لنبيه في الحرب، أمر المهاجرين الذين كانوا يؤذون بمكة أن يلحقوا بأخوانهم من الأنصار بالمدينة، فخرجوا أرسالاً، وأقام هو بمكة ينتظر الإذن في الهجرة، فهاجر من المسلمين كثير سماهم ابن إسحاق وغيره، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه

[٣١] - بيعة العقبة الثانية.

[٣٢] - البراء بن معرور الأنصاري أول من بايع في العقبة وأول من استقبل القبلة وأول من أوصى بثلاث ماله ومات قبل الهجرة، وافتخر به الهمداني في الدامغة بين أعلام اليمن قائلاً إن منهم:

«... وأول من بثلت المال أوصى ليُفَرَّقَ بعده في المُقْتَرِينَا»

فيمن هاجر هو وأخوه زيد، وطلحة بن عبيد الله، وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأنيسة وأبو كبشة موالي رسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعثمان بن عفان رضي الله عنهم.

ثم أذن لرسول الله ﷺ بالهجرة فهاجر^[٣٣]، وصحبه أبو بكر رضي الله عنه، فقدم المدينة، ونزل في الأوس على كلثوم بن مطعم بن امرئ القيس بن الحرث بن زيد بن عبيد بن مالك بن عوف^(٣٣)، وسيد الخزرج يومئذ عبد الله بن أبي بن سلول، وأبي هو ابن مالك بن الحرث بن عبيد، واسم أم عبيد سلول، وعبيد هو ابن مالك بن سالم بن غانم بن عوف بن غانم بن مالك بن النجار؛ وقد نظموا له الخرز ليملكوه على الحيين، فغلب على أمره، واجتمعت أبناء قبيلة كلهم على الإسلام، فضغن لذلك، لكنه أظهر أن يكون له اسم منه، فأعطى الصفقة وطوى على النفاق، كما يذكر بعد^[٣٤]، وسيد الأوس يومئذ أبو عامر بن عبد عمرو بن صيفي بن النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد، فخرج إلى مكة هارباً من الإسلام حين رأى اجتماع قومه إلى النبي ﷺ بغضاً في الدين، ولما فتحت مكة فرّ إلى الطائف، ولما فتح الطائف فرّ للشام فمات هناك^(٣٤)، ونزل رسول الله ﷺ على

[٣٣] - كانت هجرة النبي محمد ﷺ إلى يثرب - المدينة المنورة - بداية لتأسيس الدولة الإسلامية وتم اتخاذ عام الهجرة بداية للتقويم السنوي الإسلامي الذي يؤرخ به المسلمون ويوافق العام الأول فيه عام ٦١٠ لميلاد المسيح و عام ١٨٣٠ للتقويم السبائي الرايشي لليمن في عصور تبابعة سبأ والذي يوافق العام الأول فيه عام ١٢٢٠ قبل الميلاد، و عام ٧٢٥ للتقويم الحميري لليمن في عصور الدولة الحميرية والذي يوافق العام الأول فيه عام ١١٥ قبل الميلاد.

[٣٤] - قصة عبد الله بن أبي بن سلول معروفة، وسيد الخزرج في الإسلام هو الصحابي الجليل سعد بن عباد، وسيد الأوس سعد بن معاذ بن النعمان أخا بني عبد الأشهل، قال الهمداني في الداخلة:

وبالسَّعديين: سَعِدٌ ثم سَعِيدٌ وعمارِ بنِ ياسِرٍ طائِلونَا

يريد سعد بن معاذ وسعد بن عباد وعمار بن ياسر العنسي، وقال الهمداني عن عبد الله بن أبي سلول:

وما ابنِ أبي سلولِ ذا نفاقِ

أليسَ القولُ يُظهَرُ كلَّ شرِّ

ونحن نراه عاذ بما يُصالي

بغير حقيقَةٍ إلا شققنا

كما قد قال أحمد لابن زيد

لقتل فتى من المستشهدينا

أبي أيوب الأنصاري حتى ابنتى مساكنه ومسجده ثم انتقل إلى بيته، وتلاحق به المهاجرون، واستوعب الإسلام سائر الأوس والخزرج وسموا الأنصار يومئذ بما نصروا من دينه، وخطبهم النبي ﷺ وذكرهم، وكتب بين المهاجرين والأنصار كتاباً وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم كما يفيد كتاب ابن إسحاق فليُنظر هنالك .

ثم كانت الحرب بين رسول الله ﷺ وبين قومه، فغزاهم وغزوه، وكانت حروبهم سجالاتاً، ثم كان الظهور والظفر لرسول الله ﷺ أخيراً، كما نذكر في سيرته، وصبر الأنصار في المواطن كلها واستشهد من أشرافهم ورجالاتهم كثير هلكوا في سبيل الله وجهاد عدوه، ونقض أثناء ذلك اليهود الذين يبشرون على المهاجرين والأنصار ما كتب رسول الله ﷺ وظاهروا عليه، فإذن الله لنبيه ﷺ فيهم وحاصرهم طائفة بعد أخرى، وأما بنو قينقاع فإنهم تناوروا مع المسلمين بسيفهم وقتلوا مسلماً، وأما بنو النضير وقريظة فمنهم من قتله الله وأجلاه، فأما بنو النضير فكان من شأنهم بعد أحد وبعد بئر معونة، جاءهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية العامريين اللذين قتلها عمرو بن أمية من القرى ولم يكن قد علم بعقدهم مع رسول الله ﷺ - حسبما نذكره - فهموا بقتل رسول الله ﷺ حين جاءهم لذلك خديعة منهم ومكرراً، فحاصرهم حتى نزلوا على الجلاء وأن يحملوا ما استقلت به الإبل من أموالهم إلا الحلقة، وافترقوا في خيبر وبني قريظة . وأما بنو قريظة فظاهروا قريشاً في غزوة الخندق، فلما فرج الله كما نذكره، حاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكمه وكلمته، وشفع الأوس فيهم وقالوا تهبهم لنا كما وهبت بني قينقاع للخزرج، فردّ (رسول الله) حكمهم إلى سعد بن معاذ وكان جريحاً في المسجد أثبت في غزوة الخندق، فجاء وقال رسول الله ﷺ: بم تحكم في هؤلاء، بعد أن استحلف الأوس أنهم راضون بحكمه، فقال يا رسول الله تضرب الأعناق وتسبي الأموال والذرية، فقال: حكمت بحكم الله فوق سبعة أرقعة، فقتلوا عن آخرهم، وهم ما بين الستمائة والتسمائة، ثم خرج إلى خيبر بعد الحديبية سنة

= فلولا إذ شككت شققت عنه فتعلم أنه في الكافرينا

يريد أن عبد الله بن أبيّ قد طلب قميص النبي ﷺ يكفن فيه فأعطاه النبي ﷺ قميصه فكفن فيه، ولن يكون هذا إلا بالإيمان، واللسان ترجمان القلب، كما قال النبي ﷺ لأسماء بن زيد في رجل قتله: هلا شققت عن قلبه لتعرف ما فيه .

ست ١١٤هـ، فحاصرهم وافتتحها عنوة وضرب رقاب اليهود وسبى نساءهم، وكان في السبي صفية بنت حيي بن أخطب وكان أبوها قُتل مع بني قريظة، وكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وقتله محمد بن مسلمة غزاه من المدينة بأمر رسول الله ﷺ في ستة نفر فيئته، فلما افتتحت خيبر اصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، وقسم الغنائم في الناس من القمح والتمر، وكان عدد السهام التي قسمت عليها أموال خيبر ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخیلهم، الرجال ألف وأربعمائة والخیل مائتان ١١٥هـ وكانت أرضهم الشق ونطاة والكتيبة: فحصلت الكتيبة لرسول الله ﷺ والخمس ففرقها على قرابته ونسائه ومن وصلهم من المسلمين، وأعمل أهل خيبر على المساقاة، ولم يزلوا كذلك حتى أجلاهم عمر رضي الله عنه.

ولما كان فتح مكة سنة ثمان ١١٦هـ وغزوة حنين على إثرها ١١٧هـ وقسم رسول الله

ﷺ - كانت الحديبية في آخر سنة ٦ هجرية والمسير إلى خيبر في محرم سنة ٧ هجرية ووفد إلى رسول الله ﷺ منصرفه من خيبر في صفر ٧ هجرية من اليمن أبو عامر الأشعري وأبو موسى الأشعري في بضعة وخمسين رجلاً من الأشعريين أسلموا باليمن فأسهم لهم النبي من غنائم خيبر كما وفد الطفيل بن عمرو الدوسي في ثمانين بيتاً وأسرة من دوس من اليمن وصلوا والنبي بخيبر، وأخذ الأشعريون ودوس وغيرهم ممن هاجر من اليمن إلى يثرب أماكنهم في موكب رسول الله والجهاد قبل فتح مكة.

١١٨هـ - كان فتح مكة في رمضان سنة ٨ هجرية وكان اليمنيون يمثلون الغالبية في جيش رسول الله ﷺ وهم الأنصار (الأوس والخزرج بأكملهم) واليمنيون الذين ساروا من قبائل اليمن وانضموا إلى رسول الله ﷺ في يثرب منذ وقت مبكر وعام ٧ هجرية ومنهم العديد من أوائل الصحابة أمثال دحية بن خليفة الكلبي والطفيل بن عمرو الدوسي وأبو عامر الأشعري وأبو موسى الأشعري وجريز بن عبد الله البجلي وشرحبيل بن حسنة الكندي والمقداد بن عمرو، وعشرات ومئات غيرهم، وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري مشيراً إلى دور الأنصار:

يوم خيبر كانوا في كتيبته	وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
بالبضي ترعش في الأيمان عارية	وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
وغزوة الفتح كانوا في سرية	وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
ويوم سار رسول الله محتسبا	وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا

[ص ٢١٤ ج٤/ ابن هشام].

- غزوة حنين بعد فتح مكة أواخر سنة ٨ هجرية فلما انهزم المشركون في حنين أتوا الطائف وتجمعوا وعسكروا في أوطاس، بالطائف، فبعث رسول الله ﷺ قوة لقتالهم بقيادة أبي عامر الأشعري فحاربهم في أوطاس فاستشهد أبو عامر الأشعري بسهم فأخذ الراية أبو=

الغنائم فيمن كان يستألفه على الإسلام من قريش وسواهم، وجد الأنصار في أنفسهم وقالوا: سيفونا تقطر من دمائهم وغنائمنا تقسم فيهم، مع أنهم (أي الأنصار) كانوا ظنوا أن رسول الله ﷺ إذا فتح بلاده وجمع على الدين قومه أنه سيقم بأرضه وله غنية عنهم، وسمعوا ذلك من بعض المنافقين، وبلغ ذلك كله رسول الله ﷺ فجمعهم وقال: يا معشر الأنصار ما الذي بلغكم عني؟ فصدقه الحديث، فقال: ألم تكونوا ضلّالاً فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله ومتفرقين فجمعكم الله، فقالوا: (بلى) الله ورسوله آمن، فقال: لو شئتم لقلتم جئتنا طريداً فأويناك ومكذباً فصدقناك، ولكن والله إني لأعطي رجلاً استألفهم على الدين وغيرهم أحب إليّ، ألا ترضون أن ينقلب الناس بالشاء والبيعير وتنقلبون برسول الله إلى رحالكم، أما والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار، الناس دثار وأنتم شعار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، وفرحوا بذلك ورجعوا برسول الله ﷺ إلى يثرب^(٣٧)، فلم يزل بين أظهرهم إلى أن قبضه الله إليه.

ولما كان يوم وفاته ﷺ اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بن كعب، ودعت الخزرج إلى بيعة سعد بن عباد وقالوا لقريش: منا أمير ومنكم أمير، ضناً بالأمر أو بعضه فيهم إما كان من قيامهم بنصر رسول الله ﷺ، وامتنع المهاجرون واحتجوا عليهم بوصية رسول الله ﷺ إياهم بالأنصار في الخطبة ولم يخطب بعدها، قال: أوصيكم بالأنصار إنهم كرشي وعيبي وقد قضا الذي عليهم وبقي الذي لهم فأوصيكم بأن تحسنوا إلى محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم، فلو كانت الإمارة لكم لكانت ولم تكن الوصية بكم، فحججهم، فقام بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج فبايع لأبي بكر واتبعه الناس، فقال حباب بن المنذر بن الجموح بن حرام بن كعب بن غانم بن سلمة بن سعد: يا بشير أنفست بها ابن عمك! - يعني الإمارة - قال: لا والله ولكني كرهت أن أنازع الحق قوماً جعله الله لهم، فلما رأى الأوس ما صنع بشير بن سعد وكانوا لا يريدون الأمر للخزرج قاموا

= موسى الأشعري فهزمهم وتم الفتح على يده [ص ٨٧ ج ٤ - سيرة ابن هشام] وقال الهمداني في الدامغة مشيراً إلى بعض تلك الأيام:

وأفنيننا قريظة إذ أخلوا وأخلينا النضير مُطردينا
وسرنا نحو مكة يوم سرنا بصيد دارعين وحاسرينا
فآثرنا النبي بكل فخر وسمانا الهي المؤثرينا

فبايعوا أبا بكر^[٣٨]، ووجد سعد فتخلف عن البيعة ولحق بالشام إلى أن هلك وقتله الجنّ فيما يزعمون وينشدون من شعر الجن:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة
وضربناه بسهم، فلم نُخط فؤاده^[٣٩]

وكان لابنه قيس من بعده غناء في الأيام وأثراً في فتوحات الإسلام^[٤٠] وكان له انحياز إلى عليّ في حروبه مع معاوية^[٤١] وهو القائل لمعاوية بعد مهلك عليّ رضي الله عنه وقد عرض به معاوية في تشيعه، فقال: والآن ماذا يا معاوية والله إنّ القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا وإنّ السيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا. وكان أجود العرب وأعظمهم جثماناً، يقال أنه كان إذا ركب تخط رجلاه الأرض. ولما ولي يزيد بن معاوية^[٤٢] وظهر من عسفه وجوره وادالته الباطل من

[٣٨] - أياً كان ما دار في سقيفة بني ساعدة فقد كانت مظهراً شورويًا، وكانت مبايعة الأنصار لأبي بكر الصديق هي أساس صيرورته خليفة للمسلمين ومبايعة بقية المسلمين له، وكان للأنصار دورهم الريادي في عهده.

[٣٩] - قيل في ذلك أيضاً:

وما ذنب سعد تبقر الجن بطنه ولكن سعداً لم يبائع أبا بكر
ولعل الأرجح أن موته كان موتاً طبيعياً أثناء سفره كما في العديد من المصادر التاريخية وتراجم الصحابة.

[٤٠] - كان قيس بن سعد بن عبادة من قادة وأمرأ الفتوح، وتولى الإسكندرية غداة فتحها عام ١٩هـ في خلافة عمر بن الخطاب كما تولى عبادة بن الصامت الأنصاري فتح اللاذقية ونواحيها وتولى إمرة حمص في خلافة عمر وعثمان، وتولى عمير بن سعد الأنصاري فتح وإمارة منطقة الجزيرة الفراتية في خلافة عمر بن الخطاب.

[٤١] - تولى قيس بن سعد بن عبادة إمرة مصر في خلافة علي بن أبي طالب عام ٣٧هـ قبل صيرورة مصر في معسكر معاوية، ثم كان قيس مع عليّ في حروبه مع معاوية بصفين وغيرها، فلما اجتمع الأمر لمعاوية بعد وفاة عليّ (٤١هـ) بايعه قيس وكان أخوه سعيد بن سعد بن عبادة من ولاة اليمن (عام ٣٧ - ٤٠هـ).

[٤٢] - تولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد وفاة معاوية، وكان عهد معاوية (٤١ - ٦٠ هجرية) ويزيد بن معاوية من رجب ٦٠هـ إلى ربيع ٦٤ هجرية، وكانت أم يزيد يمانية وهي ميسون بنت بحدل الكلبي الحميري، وكان أغلب ولاة وأمرأ الأقاليم في عهد معاوية ويزيد من اليمانية، منهم ولاة مصر عقبة بن عامر الجهني (٤٤ - ٤٧هـ) ثم معاوية بن حديج السكوني (٤٧ - ٥٠هـ) ثم مسلمة بن مخلد الأنصاري أمير مصر والمغرب (٥٠ - ٦٢هـ) ومن أمرأ الشام حسان بن مالك الكلبي أمير فلسطين (٤٠ - ٧٤هـ) وشرحبيل بن السمط الكندي أمير حمص، والنعمان بن بشير الأنصاري أمير حمص، وتولى اليمن أيضاً في عهد =

الحق ما هو معروف، امتعضوا للدين وبايعوا لعبد الله بن الزبير حين خرجوا بمكة واجتمعوا على حنظلة بن عبد الله الغسيل بن أبي عامر بن عبد عمرو بن صيفي بن النعمان بن مالك بن صيفي بن أمية بن ضبيعة بن زيد، وعقد ابن الزبير لعبد الله بن مطيع بن أياس على المهاجرين معهم، وسرح يزيد إليهم مسلم بن عقبة المري وهو عقبة بن رباح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مرة بن عوف بن سعد بن دينار بن بغيض بن ريث بن غطفان، فيمن فرض عليه من بعوث الشام والمهاجرين، فالتقوا بالحرّة حرة بني زهرة، وكانت الدبرة على الأنصار واستلحمهم جنود يزيد، ويقال إنه قُتل في ذلك اليوم من المهاجرين والأنصار سبعون بدياً وهلك عبد الله بن حنظلة يومئذ فيمن هلك، وكانت إحدى الكبر التي أتاها يزيد^[٤٣].

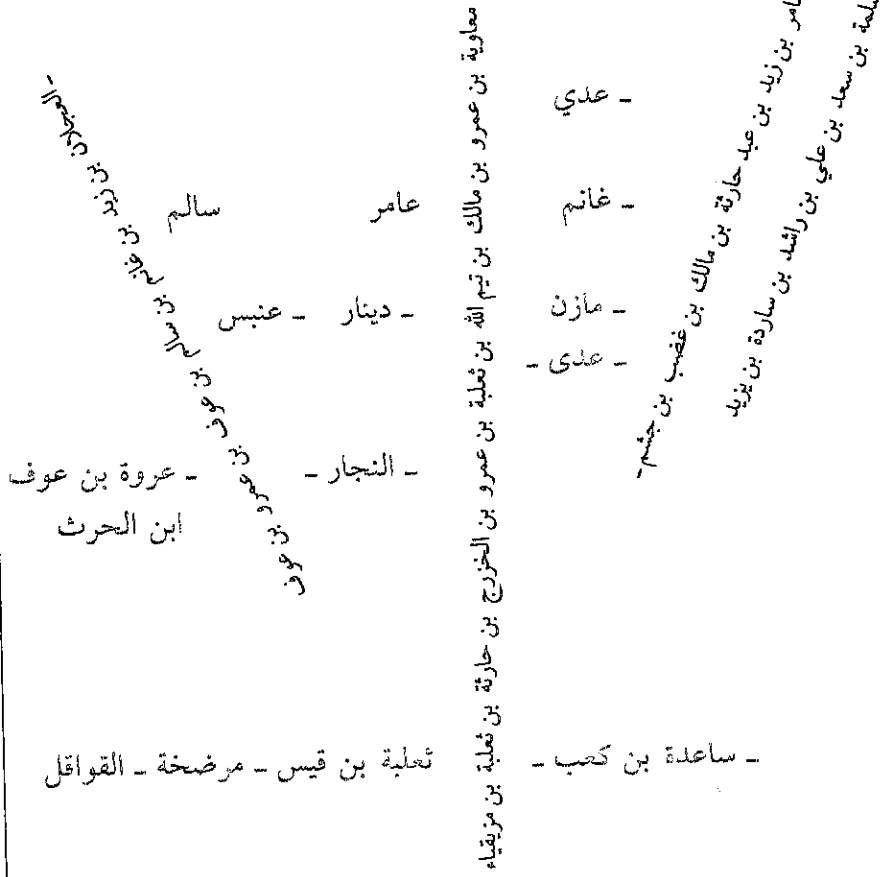
واستفحل مُلك الإسلام من بعد ذلك واتسعت دولة العرب، وافتقرت قبائل المهاجرين والأنصار في قاصية الثغور بالعراق والشام والأندلس وأفريقية والمغرب حامية ومرابطين^[٤٤]، فافترق الحيّ أجمع من أبناء قبيلة وافترقوا، وأقفرت منهم يثرب ودرسوا فيمن درس من الأمم، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، لا خالق سواه ولا معبود إلا إياه ولا خير إلا خيره ولا رب غيره وهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين^[٤٥].

= معاوية (٤٦هـ - ٥٩هـ) وبحير بن ريسان الحميري والي اليمن في عهد يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤هـ) وسفيان بن مجيب الأزدي أمير طرابلس وعبد الله بن قيس الحارثي أمير البحر (٢٩ - ٥٣هـ) وجنادة الأزدي أمير البحر (٥٣ - ٨٠هـ) وكثير بن شهاب الحارثي وشريك بن أعور الحارثي من أمراء فارس والربيع بن زياد الحارثي أمير خراسان وغيرهم.

[٤٣] - كانت وقعة الحرّة من الفتن الكثيرة التي وقعت في عهود كثير من الخلفاء بسبب السلطة ليس إلا.

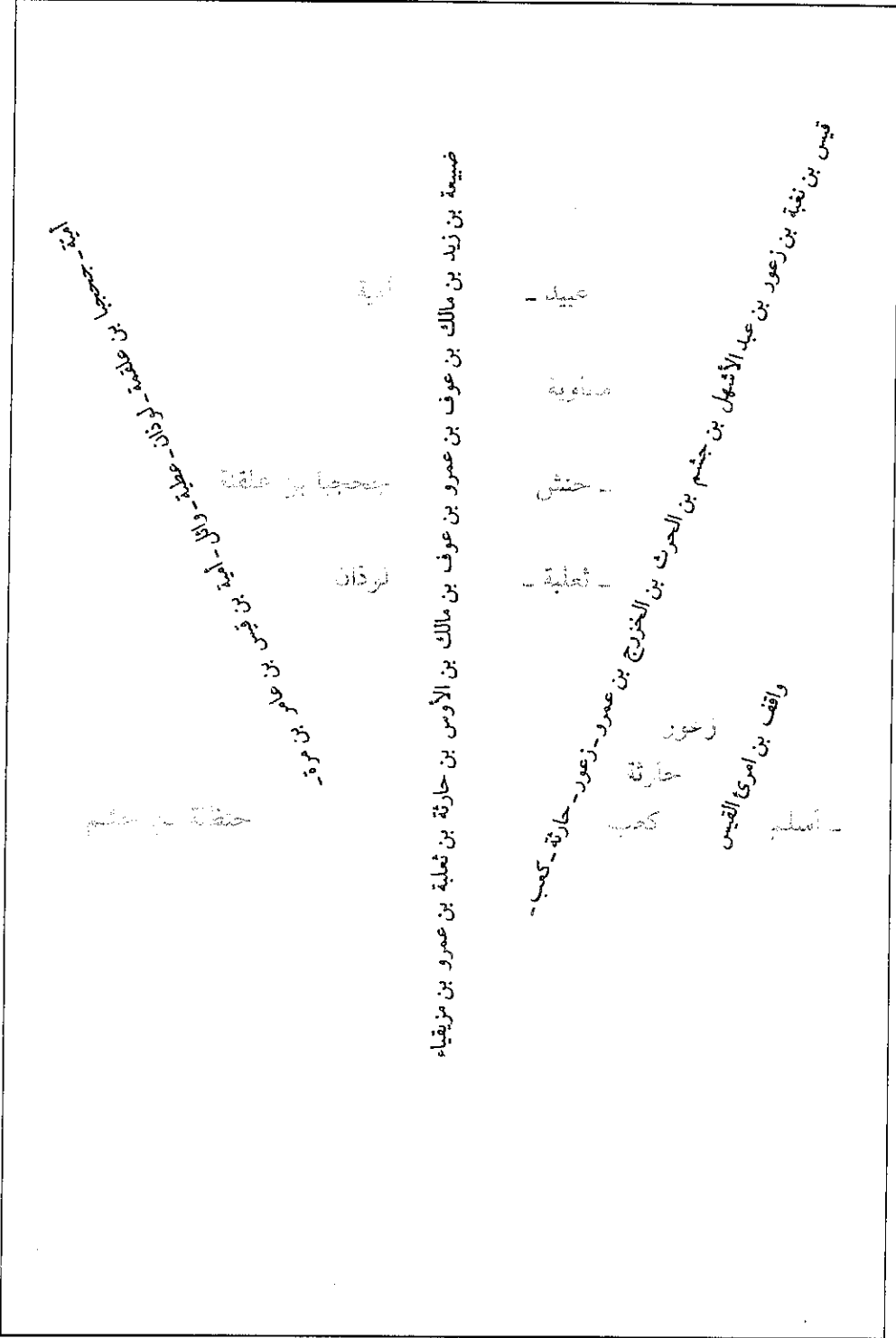
[٤٤] - وكان من الأنصار بالأندلس بنو الأحمر ملوك غرناطة إلى سقوط الأندلس عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م.

[٤٥] - انتهى بذلك حديث ابن خلدون عن العصور القديمة واليمنيين وقبائلهم في اليمن وخارجها ودولهم قبل الإسلام وصولاً إلى بني قبيلة الأوس والخزرج الأنصار إلى [ص ٢٩٥ ج ١] ثم مشجر نسب الأوس والخزرج [ص ٢٩٦ و ٢٩٧] كما يلي.



شجرة نسب الخزرج

شجرة نسب الأوس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتب رسول الله ﷺ في هذه السنة (السابعة للهجرة) إلى كسرى^(١) وبعث بالكتاب عبد الله بن حذافة السهمي وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسله، أما بعد فإنني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس، فمزق كسرى كتاب النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ مزق الله ملكه. وفي رواية ابن إسحاق بعد قوله: وآمن بالله ورسله، - وشهد أن لا إله إلا الله

﴿١﴾ - استحدثنا هذا العنوان كتمييز لما ذكره ابن خلدون عن اليمن في خبر إرسال الرسل إلى الملوك (ص ٣٦) والوفود (ص ٥٢ - ٥٨) وعمال النبي ﷺ على النواحي (ص ٥٩) وخبر العنسي إلى وفاة رسول الله (ص ٦٠ - ٦١ ج ٢).

﴿٢﴾ - تقدم في الفصل الرابع حديث ابن خلدون عن بداية حكم الفرس في اليمن بعد مهلك ابن ذي يزن وأهل بيته وإن كسرى ولّى باذان عاملاً في اليمن، وتم تبين:
أ - أن سيف بن ذي يزن حكم عشرين سنة (٥٧١ - ٥٩٠ م) ومعد يكرب بن سيف بن ذي يزن وأخيه شرحبيل ثلاث سنين (٥٩١ - ٥٩٣ م) وهو آخر الملوك كما في كتاب شرح الدامغة للهمداني صاحب الإكليل (ص ٥٤١).

ب - إن كسرى أنوشروان حكم ٤٨ سنة كما ذكر ابن خلدون وإنه كان مولد النبي ﷺ «٤٢» سنة من ملك أنوشروان وبالتالي حددنا عهده بالفترة (٥٢٨ - ٥٧٥ م) وجاء في دراسات تاريخية أن عهد كسرى أنوشروان كان (٥٣١ - ٥٧٨ م) وهو أدق وقد تلاه كسرى هرمز بن أنوشروان إلى ح/ ٥٩١ م ثم كسرى أبرويز ٣٨ سنة.

ج - إن تولية باذان كانت في عهد كسرى هرمز أو مطلع عهد كسرى أبرويز، وقد اقتصر حكم باذان والفرس على صنعاء ومناطق من اليمن واستقل بحكم أغلب اليمن أذواء واقبال وزعماء كانوا بمثابة ملوك.

﴿٣﴾ - هو كسرى أبرويز وقد ذكر ابن خلدون أنه حكم ٣٨ سنة وأن البعثة النبوية كانت لعشرين سنة من ملك أبرويز، وبالتالي يكون عهده (٥٩١ - ٦٢٩ م).

وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأُنذِر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإن أبيت فإثم الأريسيين عليك^[٤٦]. قال: فلما قرأه مزقه وقال يكتب إليّ هذا وهو عبدي. قال: ثم كتب كسرى إلى باذان وهو عامله على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتياي به^[٤٧]، فبعث باذان قهرمانة بانويه وكان حاسباً كاتباً بكتاب فارس ومعه خرخرسة من الفرس، وكتب إليه معهما أن ينصرف إلى كسرى، وقال لقهرمانه: اختبر الرجل وعرفني بأمره، وأول ما قدما الطائف سألاً عنه فقيل هو بالمدينة^[٤٨]، وفرح من سمع بذلك من قريش وكانوا بالطائف، وقالوا قطب له كسرى وقد كُفّتموه^[٤٩]، وقدما على رسول الله ﷺ بالمدينة فكلمه

[٤٦] - يبدو أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى مرتين، الأولى عام ٧ هجرية (٦٢٧م) والثانية بعد فتح مكة في رمضان ٨هـ، فوجود صيغتين للرسالة قد يعود إلى أنهما رسالتان، وأن ابن إسحاق يذكر الرسالة الثانية وما تلاها.

[٥٥] - يمكن أن نجد في الأحداث التي تلت فتح مكة والطائف باليمن أسباباً أكثر موضوعية لبعث رسولين إلى النبي ﷺ.

[٦٦] - هذا يعزز ما أسلفناه من أن زمن الرسالة إلى كسرى، ورسالة كسرى إلى باذان ورسولتي باذان إلى النبي ﷺ إنما كان في عام ٩ هجرية لأن النبي ﷺ إنما سار إلى الطائف بعد فتح مكة في رمضان ٨هـ وما تلاها من غزوة حنين (شوال/ ذو القعدة ٨هـ) ثم انصرف من الطائف إلى المدينة (في ذي الحجة ٨هـ) فكان وصول رسولتي باذان في أوائل عام ٩ هجرية. . ولا بد أن مهمتهما تتصل بما حدث في اليمن وكان مما حدث:

أولاً: وقوع ثورة ضد الفرس وبادان حيث جاء في تاريخ صنعاء للرازي أنه «اجتمع جماعة من الرؤساء فتشاوروا وأجمعوا على حرب باذان بن ساسان في زمن كسرى بن هرمز وكان اجتماعهم بمذاب من الجوف، وكان فيهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وعنبسة بن زيد الخولاني والحصين بن قنان الحارثي ويزيد بن عبد الممدان وشهاب بن الحصين مع جماعة من الفرسان والأشراف فعسكروا عسكراً عظيماً وجمعوا جمعاً كثيراً، فبلغ ذلك باذان فخرج إليهم في خيل الأساورة من صنعاء، وخرجت همدان في لقائه في زهاء عشرة آلاف مقاتل. . وكانت همدان تميل ميل الأساورة وتنصرهم» [ص ٣٨] ثم ذكر الرازي كتاب التحالف بين الفرس وهمدان، ولم يذكر الحرب التي دارت في الجوف حيث اجتمع الثائرون كما تقدم وكان أغلبهم من مذحج، وهي حرب تذكر الروايات أنها كانت بين همدان ومذحج في يوم الرزم بالجوف وقد كانت همدان في الواقع تمثل باذان والفرس، فانهزمت مذحج في ذلك اليوم الذي تقول الروايات إنه صادف انتصار النبي والمسلمين في بدر على قريش، والأصوب انتصار النبي والمسلمين على قريش بفتح مكة عام ٨ هجرية. وفي يوم الردم قال فروة بن مسيك المرادي:

= وما أن طبننا جُبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

بانوية^[٧] وقال إن شاهنشاة قد كتب إلى الملك باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك وبعثني لتنتلق معي ويكتب معك فينفعك، وإن أبيت فهو من علمت ويهلك قومك ويخرب بلادك، وكان قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فنهاهما رسول الله ﷺ عن ذلك، فقالا أمرنا به ربنا يعنون به كسرى، فقال لهما لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي، ثم أخرهما إلى غد، وجاءه الوحي بأن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ليلة كذا من شهر كذا لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع^[٨]، فدعاهما وأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول يحزنانه عاقبة هذا القول، فقال: اذهبا وأخبراه بذلك عني وقولا له إن ديني وسلطاني يبلغ ما بلغ ملك كسرى وإن اسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء، وأعطى خرخرسة منطقة فيها ذهب وفضة كان بعض الملوك اهداها له، فقدها على باذان واخبراه، فقال: ما هذا كلام ملك، ما أرى الرجل إلا نبياً كما يقول ونحن ننتظر مقالته، فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه، أما بعد فإني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتسخيرهم في ثغورهم فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة من قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب

= ثانياً: إن الإسلام كان قد أخذ ينتشر في مناطق من اليمن - كما تقدم - وأرسل النبي ﷺ بعد فتح مكة جرير بن عبد الله البجلي إلى بجيلة وخنعم باليمن فانتصر فيها الإسلام ثم أرسله إلى مناطق وأقيال حمير، وكان فروة بن مسيك المرادي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وقيس بن مكشوح وغيرهم من رؤساء مذحج ساروا مع فروة إلى زعماء كندة بحضرموت يستنصرونهم لحرب الفرس وهمدان بعد يوم الردم، فلم تستجب كندة لذلك، وكان الإسلام قد ظهر في مناطق حمير وغيرها فسار فروة وأصحابه إلى النبي ﷺ وقال فروة:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نساها
قربت قافلتي أوم محمداً (أرجو فواضلها وحسن ثوابها)

ثالثاً: إن سيادة الإسلام في مناطق حمير وغيرها ومسير وفود زعماء قبائل مذحج وهمدان وكندة وغيرها إلى النبي ﷺ عام ٩هـ وما يمثله ذلك من مخاطر على الوجود الفارسي المجوسي كان عاملاً رئيسياً في رسالة كسرى إلى باذان وإرسال مبعوثين من باذان إلى النبي ﷺ فتوجهوا من الطائف إلى المدينة عام ٩ هجرية.

[٧] - يبدو أن بانويه تصحيف داذويه وهو الذي قتله قيس بن مكشوح المرادي عام ١١ هجرية كما سيأتي.

[٨] - تدل كافة القرائن على أن مقتل كسرى والوقائع المتقدمة إنما كانت عام ٩ هجرية (٦٢٩م) وهو كسرى أبرويز بن هرمز الذي ذكر ابن خلدون أنه حكم ٣٨ سنة وأن البعثة النبوية كانت لعشرين سنة من عهده.

فيه إليك فلا تهجه^[٩] حتى يأتيك أمري فيه^(٩) فلما بلغ باذان الكتاب (أسلم) واصلت الأبناء معه من فارس ممن كان منهم باليمن^[١٠]، وكانت حمير تسمى خرخرسة ذا المفخرة للمنطقة التي اعطاها اياها النبي ﷺ والمنطقة بلسانهم المفخرة، وقد كان بانويه قال لباذان: ما كلمت رجلاً قط أهيب عندي منه، فقال: هل معه شرط، قال: لا.

الوفود^[١١]

ولما فرغ رسول الله ﷺ من تبوك وأسلمت ثقيف ضربت إليه وفود العرب من كل وجه حتى لقد سُميت سنة الوفود^[١٢]، قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب

[٩] - في المصادر الأخرى «فلا تتعرض له»، وكان تملك شيرويه في أواخر عام ٩ هجرية (٦٢٩م) بعد مقتل أبرويز، فوقعت فتنة وصراع على الحكم في فارس وهلك شيرويه لثمانية أشهر من مقتل أبيه ثم ولوا ابنه الطفل أردشير - ابن سبع سنين - ووقع صراع على الحكم إلى مقتل أردشير الملك الطفل وتمليك بوران بنت أبرويز.

[١٠] - جاء في كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس «إن الخبر أتى باذان بمقتل كسرى وهو مريض فاجتمعت إليه أساورته فقالوا: من تؤمر علينا، فقال لهم: ملك مقبل وملك مدبر، فاتبعوا هذا الرجل وادخلوا في دينه، ومات باذان فبعث رؤوسهم إلى رسول الله ﷺ وفداً يعزفونه بإسلامهم» [ص ٣٣٥ عيون الأثر] وفي كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني «فخرج باذان من اليمن إلى النبي ﷺ فلحقه الأسود العنسي الكذاب فقتله» [ص ١٧٠ ج١] والذي قتله الأسود العنسي هو شهر بن باذان، وكان موت باذان وثورة العنسي وقتل شهر بن باذان في ذي الحجة عام ١٠ هجرية كما يأتي.

[١١] - بدأ ابن خلدون حديثه عن الوفود بعنوان الوفود في ص ٥١ ج٢ وسوف نقتصر على حديثه عن وفود اليمن.

[١٢] - كانت غزوة تبوك في رجب ٩ هـ وكان أغلب جيش النبي ﷺ من الأنصار وغيرهم من اليمنيين حيث قال ابن حسان:

ويومَ سارَ رسولُ الله مُحتسباً إلى تَبُوكَ وهُمَ رايائهُ الأوَّلُ
وساسةُ الحربِ إنَّ حربَ بَدَتْ لَهُمُ حتى بدا لَهُمُ الإقبَالُ والقَفْلُ

وكان النبي ﷺ قد بعث الصحابي اليمني جرير بن عبد الله البجلي إلى ملوك وأدواء حمير باليمن وهم أدواء وأقيال مناطق حمير (الجبند ومخاليقها) وكانوا مستقلين بحكمها كالمملك مع اقتصار الوجود أو النفوذ الفارسي على مدينة الجند عاصمة قسم مناطق حمير غالباً، فوصل جرير إلى ذي الكلاع الحميري ودعاه إلى الإسلام فأسلم كما في كتاب الإصابة ثم الحارث بن عبد كلال ذي رعين والنعمان بن عبد كلال قيل المعافر ونعيم بن عبد كلال وزرعة بن سيف بن ذي يزن فأجمع ملوك حمير الأقيال على الإسلام وقتلوا المشركين في الجبند وأعلنوا الإسلام في رجب ٩ هـ ورسول الله في تبوك.

تتريص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر النبي ﷺ وذلك أن قريشاً كانوا أمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل وقادتهم لا ينكرون لهم وكانت قريش هي التي نصبت لحربه وخلافه فلما استفتحت مكة ودانت قريش ودخلها الإسلام عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه وعداوته فدخلوا في دينه أفواجاً يضربون إليه من كل وجه - انتهى - [١٣] فأول من قدم عليه بعد تبوك وفد بني تميم^(١١). ثم قدم على رسول الله ﷺ في آخر رمضان مقدمه من تبوك كتاب ملوك حمير مع رسولهم، وهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعاfer، وبعث زرة بن ذي يزن رسوله مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومفارقة الشرك وأهله^[١٤]، وكتب إليهم النبي ﷺ كتابه^[١٥]، وبعث إلى ذي يزن^[١٦] معاذ بن جبل مع رسوله مالك بن مرة يجمع

[١٣] - كانت الوفود إلى النبي ﷺ منذ ما قبل فتح مكة أمثال أبو موسى الأشعري والأشعريين والطفيل بن عمرو الدوسي ودوس وجريز بن عبد الله البجلي وقيس الهمداني وغيرهم وإنما كان انهزام قريش وفتح مكة والطائف نقطة تحول لامتداد دولة الإسلام إلى اليمن وبقية الجزيرة العربية في العام التاسع للهجرة.

[١٤] - جاء في نص كتاب رسول الله ﷺ إلى الحارث بن عبد كلال وزرة بن ذي يزن وبقية ملوك حمير قول النبي ﷺ: «أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبتنا من أرض الروم (من تبوك) فلقيتنا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قيلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين» (اه) فعبارة «أنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين» تدل على أن مدينة الجند شهدت (في رجب ٩ هجرية) بداية مرحلة جديدة هي الانضواء في الدولة العربية الإسلامية.

[١٥] - كتاب النبي ﷺ إلى ملوك وأدواء حمير هو كتاب مشهور ومتواتر في كتب التاريخ والسيرة والأحاديث النبوية وهو مبعوث إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان وإلى زرة بن سيف بن ذي يزن. وتذكر بعض المصادر أيضاً شرحبيل بن عبد كلال وشريح وفهد الحميري وذي الكلاع وأقيال حضرموت، وقد أشار النبي ﷺ إلى إسلامهم وقتالهم للمشركين (في رجب ٩ هـ كما تقدم) وذكر ما يجب عليهم في العهد الجديد من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من مظاهر ارتباط ذلك القسم الشاسع من اليمن بالدولة الإسلامية منذ ذلك الكتاب في رمضان ٩ هـ (٦٢٩م).

[١٦] - هو زرة بن سيف بن ذي يزن وكان ملكاً قبيلاً على مناطق سرو حمير وعدن ولحج وأبين وشبوة من مناطق حمير، وكان قصر ذي يزن بمدينة عبادان في وادي عبادان بمديرية نصاب من محافظة شبوة حالياً وفي أحور بمحافظة أبين، وكان الحارث بن عبد كلال ملكاً قبيلاً على مناطق ذي رعين (محافظة اب حالياً) والنعمان وفهد أقيال المعافر (محافظة تعز حالياً) وكانت مناطق حمير تشمل تلك المحافظات وتهامة ورداع وغيرها، وكانت مدينة الجند هي عاصمة ومركز ذلك القسم من اليمن.

الصدقات [١٧]، وأوصاهم برسله معاذ وأصحابه [١٨] وقدم وفد بهرا في ثلاثة عشر رجلاً ونزلوا على المقداد بن عمرو وجاء بهم فأسلموا وأجازهم فانصرفوا [١٩].

. وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في ربيع أو جمادى - سنة عشر - في سرية أربعمائة إلى نجران وما حولها يدعو بني الحرث بن كعب إلى الإسلام أو يقاتلهم إن لم يفعلوا، فأسلموا وأجابوا داعيته وبعث الرُّسُل في كل وجه فأسلم الناس، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فكتب إليه بأن يقدم مع وفدهم، فأقبل خالد ومعه وفد بني الحرث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذو الغصة ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجل [٢٠] وعبد الله بن قراد الزيادي وشداد بن عبد الله

[١٧] - بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل الأنصاري أميراً عاملاً على ذلك القسم من اليمن (مناطق حمير/ الجند ومخاليقها) وجاء في كتاب النبي ﷺ إلى ملوك حمير «أن رسول الله محمد النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رُسُلِي فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر وأصحابهم وأن أميرهم معاذ بن جبل» كما بعث في ذات الوقت أبا موسى الأشعري عاملاً على تهامة ومعاذ أمير الجميع، وقد وصل معاذ بن جبل إلى مدينة الجند واستقر بها وبني جامع الجند وتوزع أصحابه على بقية مناطق حمير، فلم يعد للفرس وملوكهم باذان في صنعاء أي نفوذ على ذلك القسم الشاسع من اليمن وربما لم يكن قبل ذلك أيضاً، وكان ذلك التطور وما تلاه في قسم صنعاء ومخاليقها من الأمور التي دفعت كسرى وباذان إلى إرسال رسولين إلى النبي ﷺ - فيما نرى - وقد تقدم نبأ ذلك .

[١٨] - قال النبي ﷺ في نفس رسالته إلى زرعة بن يوسف بن ذي يزن وملوك وأقيال حمير «إني قد أرسلت إليكم من صالحني أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم فأمركم بهم خيراً فإنه منظور إليهم» يعني معاذ بن جبل وأصحابه .

[١٩] - بهراء من قبائل قضاة الحميرية، كذلك الصحابي الجليل المقداد بن عمرو كما ذكر ابن خلدون في الفصل الرابع .

[٢٠] - تقدم في الفصل الرابع حديث ابن خلدون عن بني الحارث بن كعب وكانوا أهم وأقوى قبائل مذحج في نجران ونواحيها وأن بني عبد المدان بن الديان الحارثي كانوا أقيال وزعماء نجران وكان آخرهم يزيد بن عبد المدان وهو القائل:

إن تلق حَيّ بني الديان تلقهم شم الأنوف إليهم غرة اليمن
ما كان في الناس للديان من شبه إلا رعيين وإلا آل ذي يزن

وكان الحصين - ذو الغصة - بن قنان الحارثي من القادة الزعماء وكان يقال لأبنائه (فوارس الأرباع) ومنهم شهاب بن الحصين وقيس بن الحصين وقد تقدم ما ذكره الرازي في تاريخ صنعاء عن الثورة والتجمع لقتال الفرس وباذان من أنه «اجتمع جماعة من الرؤساء فتشاؤروا وأجمعوا على حرب باذان وكان اجتماعهم بمذاب من الجوف وكان فيهم عمرو بن معد =

الضبابي وعمرو بن عبد الله الضبابي، فأكرمهم النبي ﷺ وقال لهم: بِمِ كُنْتُمْ تغلبون من يقاتلكم في الجاهلية، قالوا: كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: صدقتم [٢١]، فأسلموا. وأمر عليهم قيس بن الحصين، ورجعوا صدر ذي القعدة من سنة عشر [٢٢]، ثم أتبعهم عمرو بن حزم من بني النجار ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة وكتب له كتاباً عَهَدَ إِلَيْهِ فِيهِ عَهْدُهُ وَأَمْرُهُ وَأَقَامَ عَاملاً عَلَى نَجْرَانَ، وهذا الكتاب وقع في السير مروياً واعتمده الفقهاء في الاستدلالات وفيه مأخذ كثيرة للاحكام الفقهية، ونصه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا كتاب [٢٣] من الله ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْمُعْهَدَاتِ﴾ عهداً من محمد النبي ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن [٢٤]، أمره بتقوى الله في أمره كله، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله. وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه، وأن ينهى الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو ظاهر. وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم. ويلين للناس في الحق ويشدد عليهم في الظلم، فإن الله حرّم الظلم ونهى عنه قال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. وأن يبشر الناس بالجنة وبعملها، وينذر الناس النار وعملها. ويستألف

= يكرب الزبيدي والحصين بن قنان الحارثي ويزيد بن عبد المदान وشهاب بن الحصين مع جماعة من الأشراف والفرسان فمسكروا عسكرياً عظيماً وجمعوا جمعاً كثيراً - فبلغ ذلك باذان فخرج إليهم في خيل الأساورة من صنعاء وانضمت إليه همدان في عشرة آلاف مقاتل (اه) ثم دارت معركة يوم الردم في الجوف بين مذحج (الثائرين) وهمدان (حلفاء باذان) فانهزمت مذحج واستشهد من القادة شهاب بن الحصين الحارثي فارس الأرباع وغيره من الفرسان. فقال الأجدع بن عمرو وكان متزوجاً ببنت الحصين:

أَسَالَتِنِي بِرِكَائِبِ وَرِحَالِهَا وَنَسِيَتْ قَتْلَ فِوَارِسِ الْأَرْبَاعِ
بنت الحصين، ألم يُرْعِكْ نَعِيهِمْ أهل اللواء وسادة المرباع

وقد تقدم أن ذلك كان في رمضان ٨ هجرية وأن فروة بن مسيك المرادي استنصر بكندة لقتال فارس وهمدان والأخذ بثأر يوم معركة الجوف فلم يجيبوه ثم سار إلى النبي ﷺ مع عمرو بن معد يكرب بعد ما حدث في الجند عام ٩هـ.

[٢١] - قد يكون في هذا الحديث إشارة إلى أن هزيمتهم في موقعة الجوف كان بسبب مناصرة همدان للفرس وبادان.

[٢٢] - بعد شهر من رجوعهم إلى نجران (أي في ذي الحجة. اه) احتشدت في نجران فرسان مذحج وكندة وهمدان وانطلقوا منها لقتال الفرسان في صنعاء كما يأتي في الخبر عن الأسود العنسي.

[٢٣] - في المصادر الأخرى «هذا بيان من الله ورسوله» وبعد الآية «عهد محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن».

الناس حتى يتفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفرائضه وما أمر الله به والحج الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة. وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعاً يثني طرفيه على عاتقيه. وينهى أن يحتبي أحد في ثوب (واحد) يفضي بفرجه إلى السماء. وينهى أن يقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه^[٢٤٤]، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعا القبائل والعشائر فليعطفوه بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له^[٢٤٥]. ويأمر الناس بأسباغ الوضوء في وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين، وأن يمسحوا برؤوسهم كما أمرهم الله. وأمر بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود، يُغسل بالصبح ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدبرة، والمغرب حين يُقبل الليل لا يؤخر حتى تبدو نجوم السماء والعشاء أول الليل. وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نُودي لها والغسل عند الرواح إليها. وأمره أن يأخذ من الغنائم خمس الله. وما كُتب على المؤمنين في الصدقة: من العقار عُشر ما سقت العين أو سقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر. وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل عشرين أربع شياه، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة، جَذَعٌ أو جَدَعَةٌ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة. فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيراً فهو خير له. وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار وافي أو عوضه ثياباً. فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً. (انتهى) صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمته وبركاته.

[٢٤٤] - في المصادر الأخرى «وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه» فكلمة يقص تصحيف من النساخ.

[٢٤٥] - في المصادر الأخرى «وليكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقتطفوه بالسيف حتى يكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له» [ص ٢٠٧/ الوثائق السياسية للعهد النبوي].

... وفيها ^(٢٧٦) قدم وفد أزد جُرَش ^(٢٧٧) وقد فيهم صُرْد بن عبد الله الأزدي في عشرة من قومه، ونزلوا على فروة بن عمرو، وأمر النبي ﷺ بعد أن أسلموا صُرْداً على من أسلم منهم وأن يجاهد المشركين حوله، فحاصر جُرَش ومن بها من خثعم وقبائل اليمن وكانت مدينة حصينة اجتمع إليها أهل اليمن ^(٢٧٨) حين سمعوا بزحف المسلمين، فحاصروهم شهراً، ثم قفل عنهم فظنوا أنه انهزم، فاتبعوه إلى جبل شكر، فصاف وحمل عليهم ونال منهم، وكانوا يبعثوا إلى رسول الله ﷺ رائلين وأخبرهما ذلك اليوم بوقعة جبل شكر وقال (إِنَّ بُدْنَ الله لَتُنَحْرُ عنده الآن)، فرجعا إلى قومهما واخبراهم بذلك، وأسلموا ^(٢٧٩) وحمى لهم حمى حول قريتهم. وفيها كان إسلام همدان ووفادتهم على يد علي رضي الله عنه ^(٢٨٠)، وذلك أن

[٢٧٦] - أي في السنة العاشرة، بينما في سيرة ابن هشام في السنة التاسعة ولكن وقعة جرش كانت في السنة العاشرة فوق التباس.

[٢٧٧] - جُرَش من مدن اليمن بمنطقة عسير غرب مخلاف ووادي نجران، وكانت جرش من أعمال نجران.

[٢٧٨] - أي الذين لم يكونوا قد أسلموا من خثعم والأزد وغيرهم بمنطقة مدينة جُرَش وما حولها من مخلاف نجران وعسير.

[٢٧٩] - هذا الخبر عن إسلام همدان سنة ١٠هـ يستلزم التوجيه والتوافق مع الحقائق والوقائع التالية:

أولاً: إن الإسلام بدأ ينتشر في قبائل ومناطق همدان (حاشد وبكيل) منذ وقت مبكر حيث كان قيس بن مالك الهمداني يتردد إلى مكة فالتقى بالنبي ﷺ قبل الهجرة وأسلم وعاد إلى منطقتة باليمن يدعو إلى الإسلام، ثم سار قيس إلى النبي ﷺ في يثرب أو في مكة بعد فتحها عام ٨ هجرية وأبلغ النبي ﷺ بانتشار الإسلام في قومه من همدان فقال النبي ﷺ «نعم وافد القوم قيس» وجاء في طبقات ابن سعد (ص ٣ ج ١ - ٢) والمطالب لابن حجر أنه «قدم قيس بن مالك بن سعد بن لائي الهمداني إلى النبي ﷺ وهو بمكة وكتب له النبي ﷺ عهده على قومه همدان أحموها (يعني قبائل قُدم وآل ذي مران وآل ذي لعدة وأذواء همدان) وعزبها (يعني قبائل أرحب ونهم وشاكر ووداعة ويام ومرهبة ودالان وخارف وعذر وحجور) وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا وأن لهم ذمة الله ورسوله ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة».

ثانياً: انتشر الإسلام على نطاق واسع في مناطق وقبائل همدان بعد إسلام مناطق حمير والجنند (في رجب ٩هـ) وقبيل عودة رسول الله ﷺ من تبوك (في رمضان ٩هـ) بحيث جاء في سيرة ابن هشام وعشرات المصادر الأخرى أنه «قدم وفد همدان على رسول الله ﷺ فلقوه مرجعاً من تبوك، منهم مالك بن نمط ذو المشعار ومالك بن أيفع وضمام بن مالك السلماني وعميرة بن مالك الخارفي، وبايعوه وأبلغوه بإسلام قومهم همدان خارف ويام وشاكر... الخ» [ص ٢٦٨ ج ٤].

ثالثاً: إن الذين لم يكونوا قد أسلموا من همدان وبعث النبي ﷺ علياً إليهم لا بد أنهم بعض عشائر همدان في نجران وما جاورها.

رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فمكث ستة أشهر لا يجيبونه، فبعث عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً^[٣٠]، فلما بلغ علي بن أبي طالب أوائل اليمن، جمعوا له، فلما لقوه صفوا، فقدم عليّ الأنداز وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم^[٣١]، وكتب بذلك إلى النبي ﷺ فسجد لله شكراً ثم قال السلام على همدان، ثلاث مرات^[٣٢].

[٣٠] - كان بعث خالد بن الوليد إلى قبائل نجران باليمن في ربيع سنة ١٠ هجرية فاستجاب بنو الحارث بن كعب كما تقدم ولم تستجب له عشائر همدان الذين في نواحي نجران وما حولها - غالباً - ثم بعث النبي ﷺ إليهم علياً بعد ستة أشهر.

[٣١] - يدل سياق الخبر عن خالد بن الوليد أن قدوم علي بن أبي طالب مكانه إلى منطقة نجران بأوائل اليمن كان في رمضان أو شوال عام ١٠ هجرية فأسلمت عشائر همدان الذين بنواحي نجران وما جاورها في ذلك اليوم، وقد رجح عليّ من نجران إلى النبي ﷺ في ذي القعدة قبيل حجة الوداع وولى النبي ﷺ عمرو بن حزم الأنصاري عاملاً على سائر نجران.

[٣٢] - إن قول النبي ﷺ السلام على همدان - ثلاث مرات - ربما يشير إلى أن قبائل همدان دخلت الإسلام في ثلاث موجات أو مجموعات رئيسية، فقد كانت قبائل همدان وهي (حاشد ويكيل) كثيرة العدد وقد تقدم أنهم حشدوا عشرين ألف مقاتل منهم بين فارس وراجل لما حالفوا وناصروا باذان والفرس ضد مذحج ومن إليهم من الثائرين في موقعة الجوف (يوم الردم) في رمضان ٨ هجرية، ولم يكن الجميع قد أسلموا آنذاك ثم أسلمت همدان في ثلاث موجات.

الموجة أو الفرقة الأولى: الذين أسلموا بدعوة وبمعية قيس بن مالك الهمداني، ووفد قيس بإسلامهم إلى النبي ﷺ فكتب له النبي ﷺ عهداً بتأثيره على من أسلم من قومه، وقد تقدم نص كتاب النبي ﷺ وكانت تلك المجموعة قليلة العدد.

الموجة أو الفرقة الثانية: وهم أغلب عشائر وقبائل همدان الذين سار وفداهم إلى النبي ﷺ يثرب بزعامة مالك بن نمط الأرحبي الهمداني فالتقوا بالنبي ﷺ مرجعه من تبوك (في شهر شوال عام ٩ هـ) كما في سيرة ابن هشام وأنهم وصلوا «وعليهم الجبّات والعمائم العدنية برحال المئس على المهرية والأرحبية، ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم، يقول أحدهما:

همدانُ خيرُ سُوقَةٍ وأقيالُ ليس لها في العالمين أمثالُ

مَحَلُّها الهَضْبُ ومنها الأبطال لها أطاباتُ بها وأكالُ

ويقول الآخر: إليك جاوزن سواد الرّيف * في هبوات الصّيف والخريف * مُخَطَّمات بحبالِ اللّيف ثم قام مالك بن نمط بين يديه فقال: يا رسول الله، نصيّة من همدان من كل حاضرٍ وبإد أتوك... من مخاليف خارف ويام وشاكر... [الخ - ص ٢٦٨ ج٤] وأقام مالك بن نمط ووفد وفرسان همدان فترة في يثرب ثم كتب النبي ﷺ كتاب عهد وتأمير لمالك بن نمط الهمداني على =

ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام وقدمت وفودهم^[٢٣١] ، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي قال لقيس بن مكشوح المرادي: إذهب بنا إلى هذا الرجل (أي النبي محمد) فلن يخفى علينا أمره، فأبى قيس ذلك^[٢٣٢] ، فقدم عمرو على النبي ﷺ ، فأسلم^[٢٣٣] . وكان فروة بن مسيك المرادي على زبيد لأنه وفد قبل عمرو بن معد يكرب مفارقاً لملوك كندة، فأسلم^[٢٣٤] . ونزل (فروة)

= مناطق وقبائل همدان المذكورة في الكتاب ومنها مخلاف خارف، وقد أوردت نص الكتاب عشرات المصادر، وكذلك كتب النبي ﷺ إلى «عمير ذي مران، ومن أسلم من همدان - من قبيلة عمير ذي مران - وجاء في الكتاب «أنه بلغني إسلامكم مرجعنا من أرض الروم» - أي من غزوة تبوك - كما كتب النبي ﷺ إلى «عك ذي خيوان» وإلى «ضمام بن زيد الهمداني» [ص ٢٣٢ - ٢٣٤ وثائق العهد النبوي] وتنطق كل تلك الوقائع والوثائق بأن أغلب قبائل همدان (حاشد وبكيل) أسلموا في شوال وأواخر عام ٩هـ كما هو حال مذحج .
المجموعة أو الفرقة الثالثة: وهم بقية عشائر همدان الذين أسلموا في رمضان أو شوال سنة عشر للهجرة في نجران لما بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب إليهم، فاكتمل بذلك إسلام همدان، وقال النبي ﷺ السلام على همدان ثلاث مرات .
[٢٣٥] - كان ذلك بعد غزوة تبوك (رجب ٩هـ) التي تزامنت مع إسلام ملوك ومناطق حمير بمخاليف الجند كما تقدم .

[٢٣٦] - قيس بن مكشوح المرادي هو ابن أخت عمرو بن معد يكرب وكان فارساً شاعراً ومن أبطال اليمن في الجاهلية وفجر الإسلام، وكان عمرو وقيس وفروة بن مسيك المرادي هم أبرز قادة مذحج (الثائرين) في موقعة الجوف (يوم الردم) الذين انهزموا بسبب مخالفة ومناصرة همدان للفرس (في رمضان ٨هـ) كما تقدم، والمحاورة المنسوبة إلى عمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح بشأن المسير إلى النبي ﷺ وعدم موافقة قيس يلزم أنها كانت ما بين رجب ورمضان ٩ هجرية، وكان فروة بن مسيك ما زال لدى الأشعث الكندي وملوك كندة بحضرموت الذين ذهب يستنصرهم للاشتراك مع مراد ومذحج في حرب ضد الفرس أو همدان أو كليهما للثأر من يوم الردم وما تلى ذلك من إجلاء بعض مراد ومذحج من مناطق الجوف وربما رأى قيس انتظار عودة فروة .

[٢٣٧] - قال ابن هشام «قدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد فأسلم» [ص ٢٥٢ ج٤] وذكر الأصفهاني عن المدائني أنه «أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك يريد المدينة فأدركه عمرو بن معد يكرب في رجال من بني زبيد» ثم أورد المدائني كلاماً بين النبي ﷺ وعمرو بن معد يكرب إلى أن قال النبي ﷺ «... أين أنت يا عمرو؟ قال: إني أسمع أمراً عظيماً، فقال النبي ﷺ يا عمرو أسلم تسلم، فأسلم عمرو وباع لقومه على الإسلام وذلك متصرف رسول الله ﷺ من غزاة تبوك وكانت في رجب من سنة تسع هـ» [ص ٢٦ ج٤ - الأغاني].

[٢٣٨] - كان مسير فروة بن مسيك إلى النبي ﷺ بعد عودته من كندة في نفس الفترة حيث لم يستجب ملوك كندة إلى ما كان يريد فعاد إلى منطقتهم من مراد، وما لبث أن انطلق منها =

على سعد بن عبادة وتعلم القرآن وفرائض الإسلام^[٣٧]، واستعمله رسول الله ﷺ على مراد وزبيد ومذحج كلها^[٣٨]، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص

= قاصداً النبي ﷺ وقال:

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ كَالرَّجُلِ حَانَ الرَّجُلَ عِزُّ نَسَائِهَا
قَرَّبْتُ رَاحِلَتَيْنِ أَوْ مُمْحَمِّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَنَائِهَا

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له الرسول ﷺ «يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم اليرموك؟ قال: يا رسول الله: من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم اليرموك لا يسؤوه ذلك؟ فقال رسول الله: أما إن ذلك لم يزيد قومك في الإسلام إلا خيراً» [ص ٢٥١ ج٤/ السيرة النبوية لابن هشام].

ونقل الأصفهاني عن أبي عبيدة أنه «قدم عمرو بن معد يكرب في وفد مذحج مع فروة بن مسيك المرادي على النبي ﷺ فأسلموا» [ص ٢٥ ج٤] فيكون قدومهما إلى النبي ﷺ معاً أو في وقت متقارب وكذلك قيس بن مكشوح المرادي.

[٣٧] - أقام فروة بن مسيك المرادي في يثرب بمنزل الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري منذ وفادته إلى يثرب في أواخر عام ٩ هجرية إلى أواسط عام ١٠ هجرية ومعه عمرو بن معد يكرب الزبيدي وقيس بن مكشوح المرادي. . ويؤكد ذلك قول ابن خلدون في فقرة لاحقة ما يلي نصه:

«وقد كان فروة وعمرو أسلما وكذلك قيس واستعمل رسول الله ﷺ قيساً على صدقات مراد، وكان عمرو قد فارق قومه سعد العشيرة مع بني زبيد وأحلافها وانحاز إليهم فأسلم معهم وكان فيهم» [ص ٦٧ ج٢].

فذلك يؤكد أن قيس بن مكشوح المرادي أسلم وكان من الصحابة وأقام فترة في يثرب يتعلم القرآن وفرائض الإسلام ويصحب النبي ﷺ وأصحابه مع فروة بن مسيك وعمرو بن معد يكرب، وأثناء تلك الفترة:

أ - وفد إلى يثرب وفد قبائل ومناطق همدان بزعامة مالك بن نمط الهمداني وأصحابه كما تقدم.

ب - وفد إلى يثرب وفد كندة بزعامة الأشعث بن قيس الكندي ووفود من حضرموت كما سيأتي.

ج - وفد إلى يثرب وفد بني الحارث بن كعب بزعامة قيس بن الحصين وزبيد بن عبد المطلب ثم عادوا إلى نجران، ويكتسب الربط بين ذلك أهمية في إدراك خلفية الأحداث والثورة التي انطلقت من نجران في ذي الحجة ١٠هـ كما سيأتي.

[٣٨] - استعمال فروة بن مسيك على مراد وزبيد ومذحج كلها، يعني تأميره على منطقة شاسعة من اليمن في قسم مخاليف صنعاء، فمناطق مراد وزبيد ومذحج كلها تشمل عدة محافظات ومناطق حالياً من نجران وعسير والجوف ومحافظه مأرب ومحافظه ذمار ومحافظه البيضاء ومحافظه شبوة، وقد ذكر ابن خلدون في فقرة لاحقة منطقة إقامة فروة بن مسيك قائلاً «وكان فروة بن مسيك على مراد» [ص ٦٠ ج٢] وديار =

على الصدقة فكان معه في بلاده^[٣٩] حتى كانت الوفاة .

وفي هذه السنة - (أي العاشرة) - قدم وفد عبد القيس يقدمهم الجارود بن عمرو، وكانوا على دين النصرانية، فأسلموا ورجعوا إلى قومهم، ولما كانت الوفاة ارتد عبد القيس ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر الذي يُسمى الغرور، وثبت الجارود على الإسلام وكان له المقام المحمود وهلك قبل أن يراجعوا، وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوي العبدي فأسلم وحسن إسلامه وهلك بعد الوفاة وقبل ردة أهل البحرين، والعلاء أمير عنده لرسول الله ﷺ على البحرين^[٤٠] .

وفيهما قدم وفد كندة^[٤١] يقدمهم الأشعث بن قيس في بضعة عشر، وقيل في ستين، وقيل في ثمانين، وعليهم الديباج والحريز، وأسلموا، ونهاهم النبي ﷺ عنه فتركوه^[٤٢]، وقال له الأشعث: نحن بنو آكل المُرار وأنت ابن آكل المُرار، فضحك (النبي) وقال: ناسبوا بهذا التَّسَبُّب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث . وكانا تاجرين فإذا ساحت في أرض العرب قالنا نحن بنو آكل المُرار، يتعزَّزان بذلك

= مراد في محافظة مأرب وما جاورها من محافظة البيضاء غالباً، وكان معه قيس بن مكشوح كما تقدم قول ابن خلدون «واستعمل رسول الله ﷺ قيساً على صدقات مراد» (اهـ) وفي كتاب الأغاني عن أبي عبيدة أن النبي ﷺ قال لفرقة بن مسيك «ادع الناس وتألّفهم فإذا وجدت الغفلة فاهتلبها واغز» [ص ٢٥ جـ ١٤] ويتصل هذا الأمر القتالي بأحداث وثورة ذي الحجة ١٠هـ ضد الفرس غالباً كما سيأتي .

[٣٩] - كان خالد بن سعيد بن العاص من عليّة الصحابة وكانت مع قيس بن مكشوح المرادي في يثرب أخته كبشة بنت مكشوح المرادي فتزوجها أبان بن سعيد بن العاص شقيق خالد هذا كما في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة .

[٤٠] - العلاء بن الحضرمي من أوائل الصحابة اليمنيين السابقين إلى الإسلام بمكة، وولاه النبي ﷺ أميراً على البحرين فنشر الإسلام في ربوعها وكانت عبد القيس من قبائل البحرين . وكانت البحرين تشمل بالتسميات الحالية مناطق الإحساء وقطر والبحرين والكويت، أي منطقة الخليج العربي .

[٤١] - وفيها - أي السنة العاشرة - بينما في سيرة ابن هشام وغيره من المصادر أن قدوم وفد كندة كان في السنة التاسعة للهجرة .

[٤٢] - في السيرة النبوية لابن هشام أنه «قدم الأشعث بن قيس في ثمانين ركباً من كندة، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده، وقد رَجَلُوا جُمَّمَهُمْ [أي مشطوا وسرحوا شعورهم] وتكحلوا، وعليهم جُبُّبُ الحَبْرَةِ [وهي ضرب من برود اليمن ذات خطوط] وقد كففوها بالحريز [أي مطرزة بالحريز]» [ص ٢٥٤ جـ ٤] فنهاهم النبي ﷺ عن الحريز فشقوه .

لأنّ لهم عليه ولادة من الأمهات^[٤٣]، ثم قال لهم: لا، نحن بنو النظر بن كنانة، فانتفوا منا ولا نتنفي من أبنائنا^[٤٤].

وقدم مع وفد كندة وفد حضرموت وهم بنو وليعة وملوكهم جمد ومخوس ومشرح وأبضعة، فأسلموا، ودعا لمخوس بإزالة الرته من لسانه، وقدم وائل بن حجر (الحضرمي)^[٤٥] راغباً في الإسلام، فدعا له (النبي) ومسح رأسه، ونودي الصلاة جامعة سروراً بقدمه، وأمر (النبي) معاوية أن ينزله بالحرّة، فمشى معه وكان راكباً فقال له معاوية: أعطني نعلك أتوقى بها الرمضاء، فقال: ما كنت لألبسها وقد لبستها، وفي رواية: لا يبلغ أهل اليمن أنّ سوقة لبس نعل ملك. فقال: أردفني، قال: لست من أرداف الملوك، ثم قال: إنّ الرمضاء قد أحرقت قدمي، قال: إمش في ظل ناقتي كفاك به شرفاً. ويقال: إنه وفد على معاوية في خلافته فأكرمه. وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب محمد النبي لوائل بن حجر قيل حضرموت إنك إن اسلمت لك ما في يدك من الأرض والحصون، ويؤخذ منك من كل عشر واحدة ينظر في ذلك ذوا عدل

[٤٣] - أكل المرار هو حجر بن عمرو الكندي وكان ملكاً على الحجاز للتبابعة وكذلك بنوه كما تقدم في حديث ابن خلدون عن ملوك كندة في الفصل الثامن، وقال الشاعر في الأشعث بن قيس الكندي لأحد خصوم الأشعث بعد الإسلام:

لست كالأشعث المُعصّب بالتاج غلامٌ ساد وهو فطيمٌ
جده أكل المرار، وقيسٌ خطبه في الملوك خطبٌ عظيمٌ
فله هيبة الملوك، وللأشعث تاجان، حادثٌ وقديمٌ

[٤٤] - وقع هنا تصحيف من النسخ، والصواب كما في سيرة ابن هشام أن النبي ﷺ قال للأشعث «لا، بل نحن بنو النظر بن كنانة، لا نَقْفُوا أَمْنَا، ولا نتنفي من أبنائنا» أي لا نتبع أمتنا في نسبها لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه. وفي الإصابة أنه قال: «أنتم منا، إلا أننا لا نتنفي من أبنائنا».

[٤٥] - كانت حضرموت آنذاك - ومنذ نهاية دولة تبابعة حمير - تحت حكم الأقبال والأذواء كغيرها من مناطق اليمن، فكان الأشعث بن قيس الكندي ملكاً على قسم من حضرموت - منها شبوة وشبام وغيرها - ووائل بن حجر بن وائل الحضرمي ملكاً على قسم من حضرموت ومقره تريم، وفي بقية جهات حضرموت أقبال ملوك يتبعون هذا أو ذاك، وقال قائلهم لما وفدوا إلى النبي ﷺ بيشرب: - كما في كتاب الإصابة -:

جادت بنا العيس من أعراب ذي يمن تغور غوراً بنا من بعد أنجاد
حتى أنخن بجانب الهضب من ملل إلى الرسول الأمين الصادق الهادي

وإلى وائل بن حجر الحضرمي يتصل نسب ابن خلدون كما تقدم في الفصل الخامس.

وجعلت لك ألا تظلم فيها معلم الدين . والنبي ﷺ والمؤمنون أشهاد عليه^[٤٦]. قال عياض: وفيه: إلى الأقيال العباهلة والأرواح المشاييب^[٤٧]، وفيه: في التبعة شاة لا مقوِّرة الاياط، ولا ضيناك. وأنطوا الثَّبَجَه. وفي السيوب الخمس. ومن زنى ممبكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاماً. ومن زنى مِمْتَيْب فضرجوه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين، ولا غمة في فرائض الله، وكل مسكر حرام. ووائل بن حجر يترفل على الأقيال^(٤٧).

... وفيها - (أي السنة العاشرة) - قدم وفد الرها من مذحج في خمسة عشر نفراً واهدوا فرساً، فأسلموا وتعلموا القرآن وانصرفوا، ثم قدم نفر منهم وحجوا مع رسول الله ﷺ وتوفي، فأوصى لهم بمائة وسق من خيبر جارية عليهم من الكتيبة وباعوها من معاوية^[٤٨]. وفيها قدم وفد نجران النصراني في سبعين راكباً يقدمهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة، واسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل، والسيد الايهم، وجادلوا عن دينهم، فنزل صدر سورة آل عمران وآية المباهلة، فأبوا منها وفرقوا، وسألوا الصلح، وكتب لهم به، على ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب وعلى دروع ورماح وخيل وحمل ثلاثين من كل صنف، وطلبوا أن يبعث معهم والياً يحكم بينهم فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح، ثم جاء العاقب

[٤٦] - هذا الكتاب قبل إسلام ووفادة وائل بن حجر إلى النبي ﷺ فأسلم وائل ووفد إلى النبي ﷺ يشرب «فلما أراد وائل بن حجر الشخصوص إلى بلاده، قال يا رسول الله: اكتب لي إلى قومي كتاباً، فقال رسول الله: اكتب له يا معاوية، فكتب له ثلاثة كتب، كتاب خاص به فضله على قومه، وفيه «إن وائلاً يستسعى ويترفل على الأقيال حيث كانوا من حضرموت» [ص ٢٤٦ الوثائق السياسية للعهد النبوي].

[٤٧] - وفيهم قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك وأقيال اليمن: وعباهل من حضرموت من بني أحمد والأشيبا وآل صباح ونص هذا الكتاب في الوثائق السياسية للعهد النبوي (ص ٢٤٩) عن العديد من المصادر ويتفق مع ما ورد هنا وهو جزء منه.

[٤٨] - ومن الرها من مذحج كان الصحابي مالك بن مرة الرهاوي، كان له دور في نشر الإسلام باليمن منذ السنة الثامنة والسنة التاسعة للهجرة، وكان هو رسول زرة بن سيف بن ذي يزن وأذواء مناطق حمير (الجند ومخاليقها) لما أسلموا (في رجب ٩هـ) وكتبوا إلى النبي ﷺ كتابهم المتقدم فلقى النبي ﷺ منصرفه من تبوك في رمضان ٩هـ وذكره النبي ﷺ في كتابه إلى ملوك وأذواء حمير وأوصاهم به خيراً، وكان له أيضاً دور في إسلام همدان بمخاليق صنعاء في أواخر عام ٩هـ وذكره النبي ﷺ في كتابه إلى عمير ذي مران وغيره من زعماء همدان.

والسيد فأسلما. وفيها قدم وفد الصدف من حضرموت في بضعة عشر نفرأ فأسلموا، وعلمهم أوقات الصلاة، وذلك في حجة الوداع^[٤٤٤]، وفي هذه السنة: قدم وفد عبس، قال ابن الكلبي: وفد منهم رجل واحد فأسلم ورجع ومات في طريقه، وقال الطبري: وفيها وفد عدي بن حاتم في شعبان - انتهى^[٤٤٥] - وفيها: قدم وفد خولان عشرة نفر فأسلموا وهدموا صنمهم^[٤٤٦].

عمال النبي ﷺ علم اليمن

كان رسول الله ﷺ حين أسلم باذان عامل كسرى على اليمن وأسلمت اليمن أمره على جميع مخاليفها ولم يشرك معه فيها أحداً حتى مات (باذان) وبلغه موته متصرفه من حجة الوداع^[٤٤٧]، فقسم (النبي) عمله على جماعة من

[٤٤٩] - كما قدم إلى النبي ﷺ مهري بن الأبيض من أهل المهرة وزهير بن قرضم وذهب بن قرضم من الشحر من مهرة.

[٤٤٩] - عدي بن حاتم الطائي - وهو ابن حاتم الطائي المشهور بالكرم - وقال ابن خلدون في فقرة لاحقة «قدم وفد طيء في خمسة عشر نفرأ يقدمهم سيدهم زيد الخيل وقبيصة بن الأسود من بني نبهان فأسلموا، وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير واقطع له بئراً وأرضين معها وكتب له بذلك» [ص ٥٨ ج ٢] وقبيلة طيء انتقلوا من اليمن وسكنوا منطقة جبلي أجا وسلمى منذ العصور التليدة كما تقدم حديث ابن خلدون عنهم في الفصل الخامس.

[٤٥١] - بقدم وفد خولان إلى النبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة اكتمل وصول وفود سائر قبائل ومناطق اليمن مبايعين رسول الله عليه الصلاة والسلام. . وقد ذكر ابن خلدون بعد ذلك بعض أنباء لا تتصل باليمن ثم ذكر نبأ وخطبة حجة الوداع وأنه «خرج النبي ﷺ إلى حجة الوداع في خمس ليال بقين من ذي القعدة ودخل مكة لأربع خلون من ذي الحجة، ولقيه علي بن أبي طالب بصداقات نجران فحج معه. . وانصرف النبي ﷺ إلى المدينة في بقية ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة» [ص ٥٨ ج ٢ تاريخ ابن خلدون].

[٤٥٢] - مقولة إسلام باذان وتوليته على جميع مخاليف اليمن دون إشراك أحد معه فيها حتى مات باذان في ذي الحجة ١٠ هجرية، هي مقولة ضعيفة نقلها ابن خلدون عن أحد الإخباريين القصاصين الذين سربوها إلى كتب التاريخ. ومما يدل على عدم صحتها من جهة ويدل على واقع الحال باليمن حتى موت باذان ما يلي:

أولاً: ما ذكره ابن خلدون نفسه في نبأ إسلام ملوك وأذواء حمير وهم ملوك وأذواء الجند ومخاليفها - (مناطق حمير) - وكان إسلامهم في رجب ٩ هجرية والتقى رسولهم بالنبي ﷺ متصرفه من تبوك في رمضان ٩ هـ فكتب إليهم النبي ﷺ كتابه الثابت والمتواتر في كافة المصادر وبعث معاذ بن جبل الأنصاري وعدداً من الصحابة عمالاً على ذلك القسم من اليمن ونص في الكتاب على أن «أميرهم معاذ بن جبل» وذلك في رمضان عام ٩ هجرية، كما ولئى وبعث النبي ﷺ في ذات الوقت أبا موسى الأشعري عاملاً على تهامة (زيد ورمع) تحت إمرة معاذ =

أصحابه^[٥٣]، فولى على صنعاء ابنه شهر بن باذان^[٥٤]، وعلى مأرب أبا موسى الأشعري^[٥٥]، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى همدان عامر بن شهر

= ثانياً: أما القسم الثاني الرئيسي من اليمن فهو «مخالف صنعاء وأعمالها» وكانت قبائل همدان (حاشد وبكيل) وقبائل مذحج هي الغالبة من قبائل وسكان مخالف صنعاء، وقد تقدم أنه:

أ - قدم وفد أغلب همدان إلى النبي ﷺ بعد عودته من تبوك (في شهر شوال وأواخر عام ٥٩هـ) وقام النبي ﷺ بتأشير قيس بن مالك الأرحبي الهمداني ومالك بن نمط ذي المشعار الهمداني على قبائل همدان وكتب كتاباً بذلك.

ب - استعمل النبي ﷺ فروة بن مسيك المرادي على مراد وزيد ومذحج كلها، ومعه قيس بن مكشوح المرادي على صدقات مراد، كما بعث مع فروة خالد بن سعيد بن العاص، وذلك في أواسط السنة العاشرة للهجرة تقريباً.

ج - بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني الحرث بن كعب ومن إليهم في نجران في ربيع ١٠هـ فأسلموا كما بعث صرد بن عبد الله الأزدي إلى أزدجرش وخثعم بنجران وعسير فأسلموا وبعث علي بن أبي طالب إلى عشائر همدان بنجران فأسلموا، وقام النبي ﷺ بتأشير قيس بن الحصين الحارثي على قومه بنجران في ذي القعدة ١٠ هجرية وولى عمرو بن حزم على سائر نجران.

ثالثاً: أما القسم الثالث والرئيسي من اليمن وهو حضرموت فقد كتب النبي ﷺ بتأشير وائل بن حجر على قسم من حضرموت وكذلك الأشعث الكندي، وبعث النبي ﷺ زياد بن لبيد الأنصاري عاملاً لحضرموت وبها عمال يتبعونه.

رابعاً: تقدم قول ابن خلدون إن النبي ﷺ قال للذين أرسلهما باذان إليه «إن أسلمت ملكتك على قومك من الأبناء» فذلك العرض ليس إلا تأميره على الأبناء الفرس الموجودين باليمن وكانوا أغلبهم بصنعاء ولا يرتبط به إلا بعض همدان، فتأميره على صنعاء والأبناء ممكن لو أسلموا، وقد تقدم ما ورد في عيون الأثر من أنه اجتمع إلى باذان أساورته وهو في مرض الموت فقالوا: من تؤمر علينا. فقال لهم: ملك مقبل وملك مدبر، فاتبعوا هذا الرجل وأدخلوا في دينه، ومات باذان [ص ٣٣٥ - عيون الأثر] فقاموا بتمليك شهر بن باذان الذي قيل إنه أسلم وقتله الأسود العنسي.

[٥٣] - المقصود عمال النبي ﷺ على اليمن في ذي الحجة ١٠هـ بعد موت باذان بصنعاء.

[٥٤] - في السيرة النبوية لابن هشام إن النبي ﷺ ولئى المهاجر بن أبي أمية على صنعاء [ص ٢٧١ ج٤] مما يرجح أن الفرس الأبناء هم الذين ملكوا شهر بن باذان في صنعاء بعد وفاة باذان في ذي الحجة ١٠ هجرية.

[٥٥] - وقع هنا التباس بين أبي موسى الأشعري والظاهر بن أبي هالة، والصواب أن الذي كان عاملاً على عك والأشعريين هو أبو موسى الأشعري وذلك منذ بعث معاذ بن جبل في رمضان ٩ هجرية، وأن النبي ﷺ ولئى الظاهر بن أبي هالة على مأرب وما كان إليها لما بعث العمال على مخالف صنعاء في ذي الحجة ١٠ هجرية.

الهمداني رضي الله عنه وعلى عك والأشعريين الطاهر بن أبي هالة رضي الله عنه وعلى ما بين نجران ورمع وزبيد خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وعلى نجران عمرو بن حزم، وعلى بلاد حضرموت: زياد بن لبيد البياضي، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور بن أصفر الغوثي، وعلى معاوية بن كندة عبد الله المهاجر بن أبي أمية واشتكى المهاجر فلم يذهب فكان زياد بن لبيد يقوم بعمله، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل اليمن وحضرموت رضي الله عنه، وكان قبل ذلك قد بعث . . . علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويقدم عليه بها فوفاه بحجة الوداع كما مر رضي الله عنه.

السيرة النبوية لابن هشام

كان الأسود العنسي، واسمه عبهلة بن كعب ولقبه ذو الخمار رضي الله عنه، وكان كاهناً

٥٧٤- تؤكد كتب النبي صلى الله عليه وسلم أنه استعمل على همدان قيس بن مالك الأرحبي ومالك بن نمط الهمداني كما هو ثابت ومتواتر في سائر المصادر، أما عامر بن شهر هذا فربما كان عاملاً من جهة الفرس وملكهم بصنعاء فوقع التباس.

٥٧٥- تقدم قول ابن خلدون إن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل فروة بن مسيك على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده، وكذلك في السيرة النبوية لابن هشام (ص ٢٥١ ج٤) وهو الصواب.

٥٧٦- كان معاذ بن جبل الأنصاري في الفترة من رمضان ٩هـ إلى ذي الحجة ١٠هـ عاملاً أميراً على مناطق حمير - الجند ومخاليقها - وبها عمال يتبعونه كما ينطق بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم «وأمرهم معاذ بن جبل» ومن مناطق الجند السكاسك والسكون المذكور أن عكاشة بن ثور كان عاملاً فيها وكذلك يعلى بن أمية في الجند تحت إمرته . . أما قول ابن خلدون إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذ بن جبل معلماً لأهل اليمن وحضرموت، فيشير إلى وضع معاذ بن جبل منذ شهر ذي الحجة ١٠ هجرية حيث حج معاذ والتقى بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم بعثه وولاه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً عاملاً على سائر عمال اليمن بما في ذلك حضرموت في ذي الحجة ١٠ هجرية حيث ولى النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن حزم الأنصاري على نجران وزياد بن لبيد البياضي الأنصاري على حضرموت والظاهر بن أبي هالة على مأرب، ومما يؤكد وضع معاذ بن جبل قول الطاهر بن أبي هالة «بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم خامس خمسة على مخاليف اليمن، فأمرنا أن نيسر ولا نُعسر، وأن إذا قدم معاذ بن جبل طاوعناه» [ترجمة الطاهر بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة].

٥٧٧- أي قبل تولية عمرو بن حزم الأنصاري على نجران كما تقدم في ذي الحجة ١٠ هجرية.

٥٧٨- اسمه عبهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، وكان يُقال له (الأسود) بمعنى (السيد المسود) على سائر قبائل مذحج وبمثابة (المرجع الأعلى) لهم . . قال المؤرخ القاضي محمد علي الأكويع في هامش قرة العيون:

«كان الأسود العنسي أحد أقيال اليمن المرموقين والمتطلعين للملك والسلطان . . وكان مُمدحاً =

مشعوذاً يفعل الأعاجيب ويخلب بحلاوة منطقته^(٦٦)، وكانت داره كهف حَبَّان^(٦٧) بها
وُلد ونشأ^(٦٨)، وادعى - الأسود العنسي - النبوة^(٦٩)، وكتب مدحجاً عامة، فأجابوه

= وفد إليه أعشى قيس فمدحه، فاستبطأ جائزته، فقال له الأسود ليس عندنا عين ولكن
نعطيك عرضاً، فأعطاه خمسمائة مثقال ذهباً وبخمسائة حلاًلاً^[ص ٦٦] والصواب
أعطاه ما قيمته خمسمائة مثقال ذهباً عنبراً وما قيمته خمسمائة حلاًلاً، وخبر ذلك في
كتاب الأغاني للأصفهاني ولم يذكر القصيدة، وفي ديوان الأعشى قصيدة مدح بها
الأسود (بن المنذر اللخمي)! منها:

لا تَشْكِي إليّ، وانتجعي الأسـ وودّ أهل الندي وأهل النفعالِ
فرغُ نُبُع يهتز في غُصنِ المجـ مد غزيرُ الندي شديدُ المِحَالِ
.. أريحني، صلّت، يظل له القومُ قياماً، قيامهم للهِلالِ
.. أنت خيرُ من ألفِ من القو م إذا ما كبّت وجوهُ الرجالِ

قال المقدسي في كتاب (البدء والانتهاه): - «كان الأسود العنسي يُقال له ذا الخمار لأنه كان
يُلقي خمراً رقيقاً على وجهه ويُهمهم فيه ..» وقال البلاذري «.. لأنه كان مُعتماً مختمراً أبداً»
[ص ١١٣] وكذلك في قرة العيون (ص ٦٦).

كانت مرتبة الكاهن مرتبة كبيرة، «والكهانة: إِدعاء معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب ..»
وكان الكاهن مستشار القبيلة وحكّمها، لا يُرد له كلام، ولا يرفض له طلب، وكان العرب
يعتقدون أن لكل كاهن صاحباً من الجن يخبره بما يريد، ويقال له الرئي، وكانت للكهان
لغة خطابية تمتاز بالسجع^[ص ٨٤ - الجامع في تاريخ الأدب العربي - حنا الفاخوري] قال
الطبري «وكان الأسود العنسي كاهناً شعباداً وكان يريهم الأعاجيب ويسبي قلوب من سمع
منطقه»^[ص ١٨٩ ج ٣] قال المقدسي والبلاذري «وكان له حمار مُعلّم - أي مُدرب - يقول
له أسجد فيسجد ويقول له: اجث فيجثو» (اه) ..

٦٦ - حَبَّان هي حَبّ وهي مديرية حَبّ والشعف بمحافظة الجوف - حالياً - وكانت حَبّ مقر
الأسود العنسي.

٦٧ - شهدت منطقة الجوف - عام ٨هـ - ما تقدم ذكره عن الرازي أنه «اجتمع جماعة من
الرؤساء فتشاوروا وأجمعوا على حرب باذان عامل كسرى باليمن، وكان اجتماعهم بمذاب
في الجوف، وكان فيهم عمرو بن معد يكرب والحصين بن قنان الحارثي ويزيد بن عبد
المدان .. فعسكروا عسكراً عظيماً وجمعوا جمعاً كثيفاً في الجوف، وسار إليهم باذان في
خيل الأساورة من صنعاء وانضمت إليه همدان في عشرين ألف مقاتل ..»^[ص ٣٧] وتولت
همدان محاربة مدحج (الثائرين المحتشدين) في الجوف فانهزمت مدحج في موقعة يوم
الردم بالجوف حيث - كما جاء في الإكليل - «قامت همدان بإجلاء مدحج من الجوف بعد
يوم الردم» (اه) وسار فروة بن مسيك إلى كندة يستنصرهم كما تقدم ثم وفد إلى النبي
مع عمرو بن معد يكرب.

- وصف ابن خلدون في فقرة لاحقة ما قام به الأسود بعبارة «وثار الأسود العنسي»^[ص ٦٦]
ج ٢] فإذا تتبعنا المصادر وربطنا الوقائع بتبين ما يلي:

ووعده نجران^[٦٥]، فوثبوا بها، وأخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص، وأقاموه في عملهما^[٦٦]، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك

= أولاً: إن همدان قامت - بإيعاز من الفرس - بإجلاء مذحج من الجوف بعد موقعة يوم الردم سالفة الذكر، مما يعني مصادر تلك الأراضي المذحجية، وأول ما تذكره المصادر في خبر الأسود العنسي أنه كتب إلى عمال الجوف وغيرها: «أيها المتوردون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفروا ما جمعتم، واتم على ما كنتم عليه» [اه] فلك الرسالة ليست إلى عمال النبي ﷺ كما زعم وتوهم البعض وإنما هي لعمال باذان وهمدان وتمائل قول فروه بن مسيك لهم:

دعوا الجوف إلا أن يكون لأمكم بها عقر في سالف الدهر أو مهز
وسار فروه إلى زعماء كندة يستنصرهم لمشاركة مذحج في حرب يتم الحشد لها ضد الفرس وهمدان، فلم يستجب زعماء كندة ربما لأن الحرب تستلزم حشداً وإجماعاً يميناً واسعاً، فقال فروة «لما رأيت ملوك كندة أعرضت. . الخ. الأبيات» ووفد إلى النبي ﷺ في يثرب كما وفد إليه عمرو بن معد يكرب في أواخر عام ٩ هجرية وكذلك قيس بن مكشوح وهو قيس بن عبد يغوث المرادي، ولم تذكر المصادر إسلام أو وفاة الأسود العنسي. . ويرى د. حمود العودي «أن الأسود عيهلة بن كعب العنسي قد أسلم فعلاً، لأنه ما كان له أن يرتد قبل أن يسلم. .» [٧٤ - التهمة والدفاع - حمود العودي] مما يجعلنا نتساءل عن الشخص الذي قال عنه النبي «رُب خطيب من عنس» فقد ورد ذكره في الإصابة باسم ربيعة بن كعب العنسي وأنه عاد إلى اليمن فمات.

ثانياً: إن فروة وعمرو وقيس أقاموا فترة في يثرب، وكان ممن تتوافد إلى يثرب في تلك الفترة الأشعث الكندي وزعماء كندة ومالك بن نمط الهمداني ووفود همدان وقيس بن الحصين بن قنان الحارثي ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجل في وفد بني الحارث بن كعب المذحجين بنجران وعادوا إلى نجران - كما تقدم - «في شوال أو في صدر ذي القعدة عام ١٠ هـ وأمر النبي ﷺ عليهم قيس بن الحصين» كما عاد فروة بن مسيك وعمر بن معد يكرب وقيس بن المكشوح إلى مناطقهم بلاد مراد ويزيد ومذحج واستعمل النبي ﷺ عليهم فروة بن مسيك وقيس بن المكشوح وعاد زعماء كندة إلى كندة.

ثالثاً: إن خبر ادعاء الأسود العنسي للنبوءة إنما كان بصنعاء - كما يأتي - وذلك بعد انتصار الثورة التي قادها من نجران والجوف.

[٦٧] - كتب الأسود العنسي من مقره في خب الجوف إلى سائر قبائل مذحج وأجمعوا على الحشد والجمع في نجران، والانطلاق منها لمحاربة الفرس بصنعاء، وكان ذلك ما بين ذي القعدة وذي الحجة عام ١٠ هـ فتجمعوا إليها.

[٦٨] - لم يكن خالد بن سعيد في نجران ولا كان عمرو بن حزم قد وُلِّيَ عليها آنذاك (في ذي القعدة ١٠ هـ) وإنما كان النبي ﷺ أمر على نجران قيس بن الحصين الحارثي الذي كان أخوه شهاب بن الحصين ممن قتل في موقعة الجوف يوم الردم كما تقدم، وقد شارك قيس بن الحصين ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن الأفكل في الحشد بنجران والمسير منها بزعامة الأسود.

وهو على مراد فأجلوه^[٦٧]، وسار الأسود العنسي في سبعمائة فارس إلى شهر بن باذان بصنعاء^[٦٨]، فلقية شهر بن باذان فهزمه الأسود فقتله^[٦٩]، وغلب (الأسود) على ما بين صنعاء وحضرموت إلى أعمال الطائف إلى البحرين من قبل عدن، وجعل أمره يستطير استطارة الحريق^[٧٠]، وعامله المسلمون بالتقية وارتد كثير من أهل اليمن^[٧١]، وكان عمرو بن معد يكرب مع خالد بن سعيد بن العاص فخالفه

[٦٧] - قيس بن عبد يغوث هو قيس بن المكشوح المرادي وقد أقام فروة في مراد بينما قاد قيس فرسان مراد إلى نجران.

[٦٨] - السبعمائة فارس هم الذين كانوا بمعوية الأسود العنسي لما سار من خب الجوف إلى نجران - مكان التجمع - فاجتمع إلى نجران عسكر عظيم وجمع كثيف من رؤساء وأشراف وقبائل اليمن فيهم الصحابي قيس بن عبد يغوث المكشوح المرادي على رأس فرسان مراد والصحابي عمرو بن معد يكرب على رأس فرسان زُبيد ومذحج والصحابة يزيد بن الأفلح ويزيد بن عبد المدان وقيس بن الحصين في بني الحارث بن كعب، والصحابي الأشعث بن قيس الكندي حيث ذكر ابن خلدون في فقرة لاحقة أنه «كانت كندة تابعوا الأسود العنسي» [ص ٦٧] وفرسان همدان وخولان والأزد، وتولى قيس بن المكشوح المرادي قيادة الجيش، حيث كما جاء في كتاب الكامل لابن الأثير: - «سار الأسود من نجران إلى صنعاء، وكان خليفته على جنده قيس بن مكشوح المرادي، وكان عمرو بن معد يكرب على مذحج.. وكان أول من اعترض الأسود عامر بن شهر الهمداني في ناحيته وفيروز الديلمي وداذويه في ناحيتهما» [ص ٢٢٧ ج ٢ + ص ٢١٤ تاريخ الطبري] فوقعوا أسرى غالباً، ومضى اليمانيون بزعامة الأسود وقيادة قيس بن مكشوح إلى صنعاء.

[٦٩] - يذكر الطبري عن الصحابي عبيد بن صخر صاحب معاذ بن جبل قال «... فبينما نحن ننظر الأمر، قيل هذا الأسود بشعوب وقد خرج إليه شهر بن باذان، وذلك لعشرين ليلة من منجمه، فانظرنا الخبر على من تكون الدبرة، فأتانا أنه قتل شهر بن باذان وهزم الأبناء وغلب على صنعاء لخمس وعشرين ليلة من منجمه» [ص ٣٠٧ ج ٦ تاريخ الطبري] وقال الأكوخ في هامش قرة العيون «لما ظهر الأسود العنسي كان قيس بن مكشوح هو فارسه المُعلّم وقائده البطل الذي بجهوده تم له النصر والظفر ودخولهما صنعاء فاتحين» [ص ٦٧ قرة العيون] وكان مقتل شهر بن باذان على يد وبسيف قيس بن مكشوح المرادي، وفي ذلك قال ابن ذي جرة الخولاني الحميري وكان من أبطال وقادة ذلك اليوم:

لعمرك إنا يوم صنعاء عصابة يمانية الأحساب غير لثام
غداة جدعنا في (شهر) بضربة أبان بها المكشوح رأس همام

[٧٠] - في هذا النص إشارة إلى أن كل اليمن شاركت في الثورة التي تتوجت بمقتل شهر بن باذان ودخول صنعاء (في ٢٥ ذي الحجة ١٠هـ).

[٧١] - كانت ردة الأسود العنسي بعد انتصار الثورة ودخول صنعاء حين بعث النبي ﷺ المهاجر بن أبي أمية عاملاً لصنعاء في محرم ١١هـ كما سيأتي.

واستجاب للأسود، فسار إليه خالد ولقيه فاختلفا ضربتين فقطع خالد سيفه الصمصامة وأخذها، ونزل عمرو عن فرسه وفتك في الخيل [٧٢].

ولحق عمرو بن معد يكرب بالأسود فولاه على مذبح [٧٣]، وكان أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث المرادي، وأمر الأبناء إلى فيروز وداذويه، وتزوج امرأة شهر بن باذان، واستفحل أمره [٧٤]، وخرج معاذ بن جبل هارباً ومر بأبي موسى في مأرب فخرج معه ولحقا بحضرموت، ونزل معاذ في السكون وأبو موسى في السكاسك، ولحق عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بالمدينة، وأقام الطاهر بن أبي

[٧٢] - الصحيح كما في الإكليل أن عمرو بن معد يكرب أهدى سيفه الصمصامة لخالد بن سعيد وكان صديقه وصهر قيس بن مكشوح المرادي، ولم يحدث بين عمرو وخالد أي قتال.

[٧٣] - كان عمرو بن معد يكرب من الرؤساء والصحابة اليمينيين الذين شاركوا في ثورة تحرير صنعاء بزعامة الأسود العنسي حتى هزيمة الأبناء ومقتل ملكهم شهر بن باذان في يوم صنعاء الأول (٢٥ ذي الحجة ١٠هـ) فلما تم النصر عاد أغلب الصحابة والزعماء إلى مناطقهم وأعمالهم باليمن، وتوجه بعضهم إلى النبي ﷺ بالمدينة المنورة، بينما أقام بصنعاء الأسود العنسي في فرسان الجوف السبعمائة وقيس بن عبد يغوث المكشوح في فرسان من مذبح وهمدان وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وابن ذي جرة، وربما أيضاً خالد بن سعيد بن العاص، ثم بعث النبي ﷺ عماله على صنعاء ومخاليقها ومنهم المهاجر بن أبي أمية على صنعاء والطاهر بن أبي هالة على مأرب وعمرو بن حزم على نجران في آخر ذي الحجة ١٠هـ أو محرم ١١هـ. فلما وصل المهاجر إلى صنعاء عاملاً عليها تمرد الأسود العنسي وادعى النبوة، فغادر عمرو بن معد يكرب صنعاء مع من غادرها.

[٧٤] - إن عبارة «استفحل أمر الأسود» تشير إلى تمرد الأسود العنسي وادعائه النبوة بصنعاء وهو ما لم يفعله قبل ذلك، كما نلمس من قول الطبري «وقد كان الأسود العنسي متستراً بأمره حتى يادئ بعد» [ص ٢١٤ ج ٢] وذلك لما بعث النبي ﷺ المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء والياً عليها حيث جاء في سيرة ابن هشام أنه في آخر سنة ١٠هـ «بعث رسول الله ﷺ عماله وأمراءه. فبعث المهاجر بن أبي أمية على صنعاء، فخرج عليه الأسود العنسي وهو بها» [ص ٢٧١ ج ٤] وكذلك في كتاب الكامل لابن الأثير [ص ٢٠٥ ج ٢] وفي الإصابة - ترجمة المهاجر - ج ٣ - وجاء في تاريخ صنعاء للرازي أنه «استعمل وبعث النبي ﷺ المهاجر بن أبي أمية على صنعاء، فخرج عليه الأسود العنسي وغلب على صنعاء وهو بها فرجع المهاجر إلى المدينة» [ص ٨٠ و ٤٩٦] وقال البلاذري «غلب الأسود العنسي على صنعاء وأخرج خالد بن سعيد بن العاص عنها، ويقال إنه إنما أخرج المهاجر بن أبي أمية، فانحاز المهاجر إلى ناحية زياد بن لبيد وكان عنده» [ص ١١٤/فتوح البلدان] ويتبين من مجمل ذلك أن تمرد الأسود العنسي إنما كان بعد تولية المهاجر على صنعاء وربما كان الأسود يظن أنه أولى بذلك فتمرد وأخرج المهاجر بن أبي أمية من صنعاء وسيطر عليها كما خرج من صنعاء خالد بن سعيد وعمرو بن معد يكرب وغيرهما من الصحابة.

هالة ببلاد عك حيال صنعاء^[٧٥]، فلما ملك الأسود اليمن واستفحل أمره، استخف بقيس بن عبد يغوث وبفيروز وداذويه، وكانت ابنة عم فيروز هي زوجة شهر بن باذان التي تزوجها الأسود بعد مقتله واسمها ازاد^[٧٦].

وبلغ الخبر إلى النبي ﷺ^[٧٧] فكتب مع وبر بن يحنس إلى الأبناء وأبي موسى ومعاذ والظاهر يأمرهم فيه أن يعملوا في أمر الأسود بالغيلة أو المصادمة، ويُبلغ منه من يروم عنده ديناً أو نجدة^[٧٨]، فقام معاذ والأبناء في ذلك، فدخلوا قيس بن عبد يغوث في أمره فأجاب، ثم داخل فيروز بنت عمه زوجة الأسود فواعدته قتله^(٧٨)، وكتب النبي ﷺ إلى عامر بن شهر الهمداني، وبعث جرير بن

[٧٥] - في هذه الرواية اضطراب، وقد تقدم تبين المناطق التي كان هؤلاء عمالاً عليها وسيأتي عدم خروجهم منها.

[٧٦] - أعلن الأسود العنسي تمرده وادعاء النبوة بصنعاء في يوم صنعاء الثاني (محرم ١١هـ) وأرهب الناس في ذلك اليوم وعلن تولية فيروز وداذويه على الأبناء، واستدعى قيس بن مكشوح المرادي وقال له: «إن شقيقا الملاك يقول إن ابن مكشوح من الطغاة إقطع رأسه يا عبهلة.. فتظاهر قيس بموالاته، فولاه الأسود العنسي قيادة الجيش وسيطر الأسود على صنعاء.

[٧٧] - قال الطبري «كان أول خبر وقع إلى النبي ﷺ عن فعل الأسود العنسي من قبل فروة بن مسيك» (اه) وذلك بعد أن غادر صنعاء عمرو بن معد يكرب في يوم تمرد الأسود العنسي وادعائه النبوة بصنعاء في أواخر شهر محرم ١١ هجرية حيث - كما ذكر المقدسي في كتاب البدء والانتهاه - ادعى الأسود العنسي النبوة ولم ينكر نبوة محمد ﷺ وكان يزعم أن سُحيقاً وشُقيقاً ملكان يأتيانه بالوحي، ويتلو عليهم: والمايسات ميسا والدارسات درسا يحجون عُصباً وفرادئ على قلائص خُمر وصهبا. وكان لا يصلي ولا يغتسل من جنباه، ويزعم أن سُحيقاً قال: لا غسل عليك في وادي صنعاء» [انتهى] وكان عمرو بن معد يكرب فيمن خرج من صنعاء يوم تغلب الأسود وادعائه، وطلب من قيس بن مكشوح أن يخرج معه ويسيرا إلى النبي ﷺ في يثرب، فأبى قيس ورأى أن مكوثه بصنعاء مع الأسود العنسي ذي الخمار أصوب، فقال عمرو لما خرج من صنعاء يلوم قيساً:

أمرتك يوم ذي صنعاء أمراً بسيناً رشده
رسول الله تسأتياه وفعل الحزم تتعدده
فكنت كذي الخُـ سمير، غرّه مما به وتده

وذو الخمير تصغير ذي الخمار، ثم سار عمرو إلى فروة بن مسيك، وربما سارا سوياً إلى النبي ﷺ بيثرب وأبلغاه بما حدث.

[٧٨] - قال البلاذري «لما ادعى الأسود العنسي النبوة بعث رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله الجلي إلى الأسود العنسي يدعوه إلى الإسلام فلم يُجبه» [ص ١١٤] - ويتبين من ذلك أن النبي ﷺ كان يريد أن يعود الأسود العنسي إلى صوابه وإلى الإسلام فلم يستجب، فمضى =

عبد الله إلى ذي الكلاع وذي مران وذي ظليم من أهل ناحيته ^(٧٧) وإلى أهل نجران من عربهم ونصاراهم، واعترضوا الأسود ومشوا وتنحوا إلى مكان واحد ^(٧٨)، واخبر الأسود شيطانهُ بغدر قيس وفيروز وداذويه ^(٧٩)، فعاتبهم، وهَمَّ بهم ^(٨٠)، ففروا إلى امرأته، وواعدتهم أن ينقبوا البيت من ظهره ويدخلوا فيبيته، ففعلوا ذلك ^(٨١)،

= جرير من صنعاء إلى الجند ومخاليفها ومعه كتاب النبي ﷺ إلى معاذ بن جبل وذي الكلاع وذي مران وبقية العمال والأدواء بالمسير إلى صنعاء لمصاولة الأسود العنسي. وفي ذات الوقت كان النبي ﷺ بعث وبر بن يحسن الخزاعي في مهمة سرية إلى صنعاء حيث ذكر البلاذري وكذلك الهمداني في شرح الدامغة أنه «وجه رسول الله ﷺ - إلى - قيس بن مكشوح لقتال الأسود العنسي، وأمره باستمالة الأبناء، فاستمال قيس فيروز الديلمي، ثم أتيا داذويه فأسلم، واستمال قيس ثات بن ذي جرة الحميري، فتطابق هؤلاء جميعاً - داخل صنعاء - على قتل الأسود العنسي» [ص ١١٤] وقال ابن كثير «فلما أعلم وبر بن يحسن قيساً، وأنبأه الشأن، وأبلغه عن النبي ﷺ كان كأنما وقع عليه من السماء لأنه كان في غم وضيق بأمره» [ص ٣٠٧ ج٦/ البداية والنهاية].

(٧٧) - أي أن معاذ بن جبل وسائر العمال والأدواء الذين كتب إليهم النبي ﷺ عارضوا الأسود وتوجهوا إلى صنعاء لمصاولته.

(٧٨) - كان الأسود العنسي يزعم أن شقيقاً - الملاك - يخبره بخطط وتحركات قيس بن مكشوح وأصحابه، ونرى أن مصدر معلومات الأسود إنما كان داذويه، وكان فيروز وداذويه أول من أسلم من الأبناء الفرس بصنعاء حيث جاء في كتاب الإصابة أنه «كان أول من قدم على الأبناء بصنعاء وبر بن يحسن فنزل على بنات النعمان بن برزخ فأسلمن وبعث إلى فيروز الديلمي فأسلم وإلى مركنود فأسلم - وكان ذلك لما غلب الأسود على صنعاء -» [ص ٥٨٥ ج٣ - الإصابة] وجاء في تاريخ صنعاء للرازي أن بنت برزخ زوجة داذويه كانت تقيم في الكنيسة بباب مدينة صنعاء فقرأ عليها وبر بن يحسن القرآن فأسلمت (ص ٦٣٠) وتقدم قول البلاذري إن قيسا وفيروز «أتيا داذويه فأسلم داذويه» [ص ١١٤] ويبدو أن داذويه قام بدور مزدوج -.

(٧٩) - أورد ابن كثير في كتاب البداية والنهاية أنه «استدعى الأسود العنسي قيساً، وقال له: يا قيس ما يقول شقيق، فقال: وما يقول، قال: يقول عمدت إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منك كل مدخل وصار في العز مثلك مال ميل عدوك، وأضمر على الغدر... فقال قيس: أنت أعظم في نفسي من أن أحدث نفسي بك... فقال الأسود: ما أخالك تُكذِب المَلِك، فقد صدق المَلِك وعرف الآن أنك تائب عما أطلع عليه منك.» (اهـ) وتكرر كشف الأسود لخطط قيس مرة ثانية وثالثة وأخذ يتحصن منه بالرجال، وفي المرة الرابعة استدعى الأسود قيسا وفيروز وداذويه وهدد قيسا وفيروز فحلفوا له بالولاء وعدم الميل عنه، [ص ٣٠١ - ٣٠٨ ج٢/ البداية والنهاية].

- سبق ذلك «وصول الكتب من ذي الكلاع وذي ظليم وغيرهما من أمراء وعمال اليمن، فكتب إليهم قيس: أن لا تحدثوا شيئاً حتى نبرم الأمر» [ص ٣٠٨/ ابن كثير] والمقصود =

ودخل فيروز ومعه قيس فقتل عنقه ثم ذبحه ^(٢٥٦) فنادى بالأذان عند طلوع الفجر ^(٢٥٧)،
ونادى داذويه بشعار الإسلام، وأقام وير بن يحسن الصلاة، واهتاج الناس مسلمهم
وكافرهم، وماج بعضهم في بعض ^(٢٥٨)، واختطف الكثير من أصحابه صبياناً من
أبناء المسلمين وبرزوا وتركوا كثيراً من أبنائهم، ثم تراسلوا في رد كل ما بيده،
وأقاموا يترددون فيما بين صنعاء ونجران، وخلصت صنعاء والجنود.

وتراجع أصحاب النبي ﷺ إلى أعمالهم ^(٢٥٩)، وتنافسوا الإمارة في صنعاء، ثم
اتفقوا على معاذ فصلى بهم ^(٢٦٠)، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر ^(٢٦١)، وكان قد

= وصول الأمراء والأذواء بجنودهم وقبائلهم إلى مشارف صنعاء، وكان فيهم معاذ بن جبل
وجرير بن عبد الله وسائر من كان النبي ﷺ كتب إليهم بالتوجه إلى صنعاء فتمركزوا في
مشارف صنعاء، واتفق قيس وفيروز مع زوجة الأسود على نقب البيت والدخول إلى الأسود
والفتك به وهو نائم، وكذلك كان.

[٢٦٢] - كان مقتل الأسود العنسي بسيف قيس بن مكشوح المرادي كما في سائر المصادر
الموثوقة.

[٢٦٣] - قال ابن كثير «فلما كان الصباح قام قيس على سور المدينة..» حيث كما ذكر البلاذري
«علا قيس سور المدينة، فقال: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله وأن عبه كذاب، وخرج أصحاب قيس ففتحوا الباب فدخل المسلمون - الذين
بمشارف صنعاء - وانهم أصحاب الأسود العنسي لما ألقى إليهم قيس برأس الأسود، وظهر
الإسلام وأهله». [ص ٣٠٨ البداية والنهاية + ص ١١٦ فتح البلدان للبلاذري].

[٢٦٤] - وهم أصحاب وعمال النبي ﷺ الذين شاركوا في مصالوة الأسود العنسي وأصحابه
بصنعاء، فرجعوا إلى أعمالهم في أرجاء اليمن غداة القضاء على الأسود وانتهاء فتنته في يوم
صنعاء الثالث الذي فيه قال ثات بن ذي جرة كما في الإصابة:

لعمري، وما عمري عليّ بهين لقد جزعت عنسٌ لقتل المُسَوِّدِ
وقال رسول الله سيروا لقتله على خير موعود وأسعد أسعد..
.. فسرنا إليه في فوارس بهمة على خير أمرٍ من وصاة محمد

وبقي بصنعاء معاذ بن جبل الأنصاري عامل وأمير النبي ﷺ على كل عمال اليمن وولاية
اليمن.

[٢٦٥] - هذه المقولة أوردها الطبري عن عبد الله بن جشيش الديلمي الفارسي وتزعم اشتراك
قيس وفيروز وداذويه في قتل الأسود وأنه تنازع أولئك الثلاثة الإمارة في صنعاء ثم اتفقوا
على معاذ بن جبل فصلى معاذ بالناس [ص ٢١٨ ج ٢] ويتنافى ذلك مع الحقائق والوثائق
التاريخية المتواترة والكتب والأحاديث النبوية التي تنطق جميعها بأن معاذ بن جبل كان
عامل وأمير النبي ﷺ على كل عمال اليمن وكل ولاية اليمن، وقد صلى معاذ بن جبل
بالناس في صنعاء وأقام بها لأنه أمير اليمن وعامل النبي ﷺ على صنعاء وكل اليمن.
[٢٦٦] - كتب معاذ بن جبل إلى النبي ﷺ بخبر انتهاء فتنة الأسود العنسي ومقتله مع الصحابي =

أتى (النبي) خبر الواقعة من السماء فقال في غداتها: قُتِلَ العنسي البارحة قتله رجل مبارك، وهو فيروز [٨٨]، ثم قدمت الرسل وقد توفي النبي ﷺ [٨٩].

= اليماني الجليل جرير بن عبد الله البجلي الذي وصفه النبي ﷺ بأنه «خير ذي يمن» وقال الرازي: «لما قُتِلَ الأسود العنسي بعث الأبناء بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ . . .» [ص ٦٣٠ تاريخ الرازي] ولم يكن قد أسلم منهم قبل ذلك اليوم إلا فيروز الديلمي ومركنود وداذويه وزوجته على يد وبر بن يحسن وقيس بن مكشوح كما تقدم، وبقي فريق من الأبناء على المجوسية حيث كما ذكر البلاذري «أخذ معاذ بن جبل الجزية من مجوس اليمن ديناراً على كل من بلغ الحلم من رجل أو امرأة، أو قيمته من المعافر».

[٨٨] - كلمة «وهو فيروز» من إضافات ابن جشيش الديلمي وأمثاله، والصحيح المتواتر أن مقتل الأسود العنسي كان بسيف قيس بن مكشوح المرادي، وفي ذلك قال الهمداني صاحب الإكليل في القصيدة الدامغة:

وزار الأسود العنسي قيس	بجمع من غطيف مُردفينا
فعمم رأسه بذباب سيف	فطار الثُحف يسمعه حنيننا
وهل غير ابن مكشوح همام	يكون به من المتمرسينا

[٨٩] - توفي رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١ هجرية (٦٣١ ميلادية).

الخبر عن اليمن في عصر الخلافة الإسلامية الراشدة^[١]

خبر السقيفة^[٢]

لما قبض رسول الله ﷺ وسلم ارتاع الحاضرون لفقدته حتى ظن أنه لم يم^[٣] واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يبائعون سعد بن عباد وهم يرون أن الأمر لهم بما آووا ونصروا، وبلغ الخبر إلى أبي بكر وعمر فجاؤوا إليهم ومعهم

[١] - استحدثنا هذا العنوان كجامع لخبر السقيفة وما ذكره ابن خلدون بعد خبر السقيفة مما يتصل باليمن في «الخبر عن الخلافة الإسلامية في هذه الطبقة وما كان فيها من الردة والفتوحات» [ص ٦٥ ج ٢].

[٢] - يتصل خبر السقيفة باليمن من عدة وجوه منها يمنية الأنصار (الأوس والخزرج).

[٣] - من المفيد الإشارة هنا إلى أصداء وفاة رسول الله ﷺ في اليمن، فقد كان من ذلك:

أ - في مناطق حمير (البحر والصحراء) كان أول من وصل نبأ وفاة النبي ﷺ أهود بن عياض الأزدي فلما نعى لهم النبي ﷺ قال له ابن ذبيح: «جَدَعَكَ اللَّهُ من وافد قوم. كذبت، ما مات» فقاموا بتنحية وإخراج أهود بن عياض من بينهم حتى يتبين النبأ اليقين، فعزلوه وحصروه، وقال ابن ذبيح:

جزع القلب أهودا إذ نعى لي محمدا
ليتني لم أكن رأيت أخا الأزد أهودا

فلما يقن نبأ وفاة النبي ﷺ اطلقوا سراح أهود بن عياض... وعمّ الحزن أرض حمير كغيرها من أرجاء اليمن.

ب - في مناطق همدان (بمخالف صنعاء) انعقد اجتماع كبير برئاسة ابن ذبيح المعشار مالك بن نمط الهمداني حيث «قام ابن ذبيح المعشار فيهم خطيباً فحرضهم على الثبات على الإسلام...» [ص ٤٩٣ - الإصابة] وقال عبد الله بن مالك الأرحبي: «إنكم لم تعبدا محمداً، إنما عبدتم رب محمد، وهو الحي الذي لا يموت... ثم أشد:

لعمري لئن مات النبي محمد لما مات - يا ابن القليل - رب محمد
دعاه إليه ربه فأجابه فيا خير غوري، ويا خير منجد»

ج - وفي نجران ومناطق مذحج، انعقد اجتماع قال فيه عبد الحرث بن أنس بن الديان: «... إنما كان نبي الله عارية بين أظهركم، فأتى عليه أجله، وبقي الكتاب الذي جاء به، فأمره أمر ونهيه نهي إلى يوم القيامة، ثم قال:

أبو عبيدة، ولقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة، فأرادوهم على الرجوع وخَفَضُوا عليهم الشأن، فأبوا إلا أن يأتوهم، فأتوهم في مكانهم ذلك، فأعجلوهم عن شأنهم وغلبوهم عليه جماحاً وموعظة.

وقال أبو بكر: نحن أولياء النبي وعشيرته وأحق الناس بأمره ولا ننازع في ذلك، وأنتم لكم حق السابقة والنصرة، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وقال الحباب بن المنذر بن الجموح: منا أمير ومنكم أمير، وإن أبوا فاجلوهم يا معشر الأنصار عن البلاد. فبأسيا فكم دان الناس لهذا الدين، وإن شئتم أعدناها جذعة، أنا جديلاً المحكك وعديقها المرجب. وقال عمر بن الخطاب: إن رسول الله ﷺ أوصانا بكم كما تعلمون، ولو كنتم الأمراء لأوصاكم بنا. ثم وقعت ملاحاة بين عمرو بن المنذر، وأبو عبيدة يخفضهما: اتقوا الله يا معشر الأنصار، أنتم أول من نصر وأزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغير.

فقام بشير بن سعد بن النعمان بن كعب بن الخزرج فقال: ألا إن محمداً من قریش وقومه أحق وأولى، ونحن وإن كنا أولى فضل في الجهاد وسابقة في الدين، فما أردنا بذلك إلا رضى الله وطاعة نبيه فلا نبتغي به من الدنيا عوضاً ولا نستطيل به على الناس.

فقال الحباب بن المنذر: نَفَسَتْ والله عن ابن عمك يا بشير، فقال: لا والله ولكن كرهت أن أنازع قوماً حقهم. فأشار أبو بكر إلى عمرو وأبي عبيدة فامتنعا وبايعا أبا بكر وسبقهما إليه بشير بن سعد، ثم تناجى الأوس فيما بينهم وكان فيهم أسيد بن حضير أحد النقباء وكرهوا إمارة الخزرج عليهم وذهبوا إلى بيعة أبي بكر فبايعوه^[٤]. وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطأون سعد بن

= ونحن بحمد الله هامة مذحج
ونحن على دين النبي نرى الذي

د - وفي حضرموت كان جهيل بن سيف الكلبي أول من أتى بنعي النبي ﷺ وله يقول ابن عابس الكندي:

سمعت النعايا يوم أعلن جهيلُ
بنعي أحمد النبي المهتدي

[٤] - كان أول نبا أتى اليمن عن ذلك أن الصحابي اليمني الأمير جرير بن عبد الله البجلي الذي كان النبي ﷺ بعثه إلى معاذ بن جبل وأمراء وأذواء اليمن في مصاولة الأسود العنسي - كما تقدم - كان قد توجه من صنعاء بعد القضاء على الأسود العنسي واستقرار معاذ بن جبل الأنصاري عامل النبي ﷺ على اليمن في صنعاء، فسار جرير ومعه ذو الكلاع الحميري وذو =

عبادة، فقال ناس من أصحابه: اتقوا سعداً لا تقتلوه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله، وتماسكا، فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر، الرفق هنا أبلغ، ثم طلب سعد في البيعة، فأبى، وأشار بشير بن سعد بتركه وقال إنما هو رجل واحد، فأقام سعد لا يجتمع معهم في الصلاة ولا يفيض معهم في الحديث حتى هلك أبو بكر، ونقل الطبري أن سعداً بايع يومئذ. وفي أخبارهم أنه لحق بالشام فلم يزل هنالك حتى مات، وأن الجن قتلتها، ويتشدون البيتين الشهيرين وهما:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة
فرميناه بسهمي من فلم نُخط فؤاده

... وكان أمر السقيفة كما قدمناه: أجمع المهاجرون والأنصار على بيعة أبي بكر ولم يخالف إلا سعد إن صح خلافه [٥].

= عمر الحميري من اليمن قاصدين رسول الله ﷺ في يثرب، فالتقوا في الطريق بقافلة علموا منها بوفاة رسول الله ﷺ ومبايعة أبي بكر في السقيفة، فقال ذو عمر لجريز: «إنكم معشر الصحابة لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم في آخر - يعني بالشورى - فإذا كانت بالسيف كنتم ملوكاً تغضبون غضب الملوك. ثم قالاً لجريز: اقرء صاحبك - أبا بكر - السلام، ولعلنا سنعود إن شاء الله. قال جريز: فلما أتيت المدينة أخبرت أبا بكر بحديثهما، فقال أفلا جئت بهما» - [ج١/الإصابة في تمييز الصحابة - ترجمة جريز وذي الكلاع] - وقد سار بعد ذلك وفد من أقبال حمير إلى يثرب للتعزية ومبايعة أبي بكر، وعاد جريز إلى اليمن عاملاً لأبي بكر على نجران وغيرها من اليمن.

(*) وكان في وفد همدان الذي سار إلى يثرب للتعزية والمبايعة عبد الله بن سلمة الأرحبي فقال في خطبته بين يدي أبي بكر والصحابة: «... إنكم لم تصابوا بالنبي محمد دون سائر العرب لأنه لم يكن لأحد دون أحد» وأطال في خطبته ثم اختتمها بشعر قال فيه كما في كتاب الإصابة:

إن فقد النبي أجزعنا اليوم فدتاه الأسماع والأبصار
ما أصيبت به الغداة قريش لا، ولا أفردت به الأنصار
فعليه السلام ما هبت الريح ومدت جناح الظلام نوار

[٥] - وكان موقف اليمن هو قول ابن ذي المعشار - مالك الهمداني - : «إن الله لا يجمع أصحاب رسوله على الضلالة» [ص٤٩٣/الإصابة] وكان من وفود اليمن إلى أبي بكر في يثرب مسروق بن ذي الحرث فقام خطيباً فقال: «يا خليفة رسول الله، إن بعدي قوماً أسلموا لله لا للناس، وأطال في خطبته، ثم أنشد:

كل أمر - وإن تعاضم - مني الـ صبر عليه - سوى النبي، دقيق
أيها القائم المعصب بالأمر لأنت المصدق الصديق...

وكان منهم مران بن عمير ذي مران، وقال قصيدة في الإكليل منها:

ثورة قيس بن مكشوح المرادي [٦]

توفي رسول الله ﷺ . . . وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم على الصلاة، وأبو سفيان بن حرب على الصدقات، وعلى ما بين رمع وزبيد إلى نجران خالد بن سعيد بن العاص، وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمداني، وعلى صنعاء فيروز الديلمي ومساندة داذويه وقيس بن مكشوح المرادي رجعوا إليها بعد قتل الأسود^[٧]، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى مأرب أبو موسى الأشعري، وعلى الأشعريين وعك الطاهر بن أبي هالة، وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضي وعكاشة بن ثور بن أصفر الغوثي، وعلى كندة المهاجر بن أبي أمية، وقد كان رسول الله ﷺ غضب عليه في غزوة تبوك فاسترضته له أم سلمة وولاه على كندة ومرض فلم يصل إليها وأقام زياد بن لبيد ينوب عنه، وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن، يتنقل على هؤلاء وأولئك في أعمالهم^[٨]، وثار الأسود (العنسي)

= إن حزني على الرسول طويلٌ
ليتني لم أكن بقيت فوقاً
إلى أن يقول مخاطباً أبا بكر:

قل لهذا الإمام عضدك في الحد
إن تكن جولة فنحن لك اليو
ديننا ملة النبي، ولا قو
إنما اليوم مثل أمس، وهم

*) وقد حرصنا على إيراد ما تقدم في الهوامش عن ثبات اليمن على الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ ومبايعة أبي بكر الصديق عن المصادر الموثوقة وتراجم الصحابة لأن بعض الإخباريين الفرس اشاعوا في بعض الروايات الزعم عن ردة أهل اليمن وصوروا ثورة قيس بن مكشوح المرادي غداة عزل معاذ بن جبل الأنصاري وتولية فيروز الديلمي بأنها ردة وأن مشكلة الناقة في حضرموت ردة كما سيأتي بينما لم يكن الأمر كذلك.

[٦]- أورد ابن خلدون خبر ثورة قيس ضمن أخبار الردة بأنها (ردة اليمن) ص ٦٦ ج ٢ فاستحدثنا هذا العنوان.

[٧]- الصواب أن قيس بن مكشوح المرادي كان بصنعاء منذ يوم صنعاء الأول ومقتل شهر بن باذان (ذي الحجة ١٠هـ) ثم في فتنة الأسود العنسي حتى قضى على الأسود العنسي كما تقدم في يوم صنعاء الثالث (ربيع أول ١١هـ) وكذلك كان فيروز وداذويه بصنعاء وكلهم بصنعاء أميراً عاملاً عليها وعلى كل اليمن معاذ بن جبل الأنصاري.

[٨]- كان معاذ بن جبل يتنقل على سائر عمال اليمن في أعمالهم لأنه كان أمير ووالي اليمن كلها، وقد تقدم نص كتاب النبي ﷺ إلى ملوك وأذواء حمير لما بعث العمال على مناطق حمير حيث قال النبي ﷺ: «وأمرهم معاذ بن جبل» ونص حديث الطاهر بن أبي هالة لما بعثه النبي ﷺ مع =

في حياة رسول الله ﷺ وحاربه بالرسول وبالكتب فقتله الله، وعاد الإسلام في اليمن كما كان [٩].

فلما بلغهم الموت انتقضت اليمن وارتد أهلها في جميع النواحي [١٠]، وكانت الفالة من جند العنسي بين نجران وصنعاء لا يأوون إلى أحد، ورجع عمرو بن حزم إلى المدينة وتبعه خالد بن سعيد^(١٠) وكان عمرو بن معد يكرب بالجبال حيال فروة بن مسيك، وتحيل (قيس) ابن مكشوح في قتل الأبناء فيروز وداذويه وجشيش والاستبداد بصنعاء [١١]، وبعث إلى الفالة من جيش الأسود

= عمرو بن حزم وزباد بن لبيد والمهاجر حيث قال الطاهر: «... بعثنا رسول الله ﷺ متساندين وأن نتياسر ولا نعسر وأن إذا قدم معاذ طاوعناه» (اه) وفي قرة العيون أنه «كان معاذ يقبض الصدقات من سائر عمال اليمن ويتنقل إلى عمل كل منهم ومحكماً في الحروب» [ص ٧٥] وفي صحيح البخاري أقوال وتعليمات النبي ﷺ لما بعثه وولاه على اليمن وتؤكد ولايته الشاملة ومنها: «يا معاذ، زين الإسلام بعدلك وحلمك وعفوك وحسن خلقك، فإنهم ناظرون إليك وقائلون: خيرة رسول الله، فلا ترى لك سقطة تأخذ في حلمك وعدلك. . . . واعلمهم أنه قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم. . . وإياك وكرائم أموالهم. . .».

«يا معاذ. . . أحدث لكل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية، ويسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر».

«بم تحكم يا معاذ؟ فقال بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ فقال: فيسنة رسوله، قال: فإن لم تجد، فقال: اجتهد رأيي ولا آلوا، فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي وفق رسول الله إلى ما يرضي الله ورسوله».

[٩] - تقدم نبأ ذلك وأن معاذ بن جبل أقام بصنعاء وبقية العمال كل في عمله، وأميرهم جميعاً معاذ بن جبل.

[١٠] - الصواب كما تقدم ثبات اليمن على الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ بل ومسير الوفود من اليمن إلى يثرب للتعزية ومبايعة أبي بكر، وكان معاذ بن جبل بصنعاء أميراً والياً على اليمن واستمر كذلك فترة قصيرة من خلافة أبي بكر، فلما استدعى أبو بكر معاذ بن جبل بتهمة ملفقة عن إثراء غير مشروع، ربما كان مصدرها بعض الفرس، وقام بتولية فيروز الديلمي بدأت بوادر الثورة، أما رجوع عمرو بن حزم وخالد بن سعيد إلى المدينة إذا صح فباستدعاء من أبي بكر كما حدث لمعاذ بن جبل.

[١١] - جاء سرد ابن خلدون للأحداث هنا غير مترابط، فجزء من كل خبر في الفقرة التالية التي اعطيناها نفس رقم الهامش، فبداية الأحداث هي تولية فيروز على اليمن بعد استدعاء وعزل معاذ بن جبل، وقد ورد نص الكتاب في تاريخ الطبري وفي كتاب الوثائق السياسية كما يلي: «من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى عمير بن أفلح ذي مران، وسعيد بن العاقب ذي زود، وسميغ بن ناكور ذي الكلاع، وحوشب ذي ظليم، وشهر ذي يناف: أما بعد، =

يغريهم بالأبناء ويعددهم المظاهرة عليهم، فجاؤوا إليه^[١٢]، وخشي الأبناء غائلتهم وفزعوا إليه، فأظهر لهم المناصحة وهياً طعاماً فجمعهم له ليغدر بهم، فظفر بداذويه وهرب فيروز وجشيش، وخرج قيس في أثرهما فامتنعاً بخولان أخوال فيروز^[١٣]؛ وثار قيس بصنعاء وجبى ما حولها، وجمع الفالة من جنود الأسود إليه، وكتب فيروز إلى أبي بكر بالخبر، فكتب له بولاية صنعاء، وكتب إلى الطاهر بن أبي هالة بإعانتته وإلى عكاشة بن ثور بأن يجمع أهل تهامة ويقيم بمكانه، وكتب إلى ذي الكلاع سميفع وذي ظليم حوشب وذي يناف شهر باعانة الأبناء وطاعة فيروز، وأن الجند يأتيهم^(١١)؛ وأرسل إليهم قيس بن مكشوح يغريهم بالأبناء، فاعتزلوا الفريقين، واتبعت عوامهم قيس بن مكشوح في شأنه^(١٢).

وعمد قيس إلى عيلات الأبناء الذين مع فيروز فغرت بهم وأخرجهم من اليمن في البر والبحر^[١٤]، وعرضهم للنهب. فأرسل فيروز إلى بني عقيل بن ربيعة وإلى

= فاعينوا الأبناء على من ناوهم وحوطوهم واسمعوا من فيروز فإني قد وليته» [انتهى] وليس في الكتاب «إن الجند يأتيهم» وإنما هو كتاب بتولية فيروز على اليمن والأمر إلى أذواء وأقيال اليمن بطاعته وكذلك إلى عمال المناطق الطاهر بن أبي هالة وعكاشة... الخ.

[١٢] - كان قيس بن مكشوح بصنعاء فتظاهر بطاعة فيروز والأبناء وكتب سراً إلى ذي الكلاع وذي مران وسائر الأذواء والأقيال كما في تاريخ الطبري (ص ٢٦٧ س ١١) والوثائق السياسية (ص ٣٤٢) كتاباً قال فيه: «إن الأبناء نَزَّاعٌ في بلادكم، وإن تركوهم لن يزالوا عليكم، وقد أرى من الرأي أن اقتل رؤوسهم، وأخرجهم من بلادنا» فكان موقف أذواء وأقيال ووجوه اليمن - كما في تاريخ الطبري وابن كثير - أنهم «لم يُمالئوه ولم ينصروا الأبناء، واعتزلوا، وقالوا لقيس: لسنا مما هنا في شيء، أنت صاحبهم وهم أصحابك. واستجاب لقيس عامة قبائل من كتب أبو بكر إلى رؤسائهم وبقي الرؤساء معتزلين، كما استجاب له بقية الفالة من جند العنسي» ووافوه جميعاً إلى صنعاء.

[١٣] - قام قيس بتدبير وتنفيذ خطة لقتل رؤساء الأبناء الفرس وكان أمكرهم وأخطرهم داذويه فظفر به وقتله وهرب فيروز الديلمي إلى خولان فأجاروه، وتم القبض على الأبناء وتجميعهم في صنعاء ليم البت في شأنهم.

[١٤] - لما تم تجميع سائر الأبناء الفرس إلى صنعاء - وكما في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير:

«عمد قيس بن مكشوح إلى الأبناء، ففرقهم ثلاث فرق، أقر فرقة منهم وأقر عيالهم - [أي أقر بقاءهم في اليمن] - وأمر بالفرقة الثانية أن يُحملوا في البحر، وسيّر الفرقة الثالثة في البحر، وقال لهم جميعاً: إلحقوا بأرضكم» (اه) فكان الذين أقر قيس أن يبقوا باليمن هم الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وكانوا نحو خمسمائة شخص مع عيالهم ومنهم أسرة وعيال فيروز الديلمي، أما الذين أمر أن يحملوا في البحر فكانوا الذين قدموا بحراً بمعية وهرز بعد وفاة =

عك يستصرخهم فاعترضوا عيال فيروز والأبناء الذين معهم فاستنقذوهم وقتلوا من كان معهم^[١٥]، وجاؤوا إلى فيروز فقاتلوا معه قيس بن مكشوح دون صنعاء فهزموه ورجع إلى المكان الذي كان به مع فالة الأسود العنسي، وانضاف قيس إلى عمرو بن معد يكرب وهو مرتد منذ تنبأ الأسود العنسي وقام حيال فروة بن مسيك^[١٦]. وقد كان فروة وعمرو اسلما وكذلك قيس، واستعمل رسول الله ﷺ قيسا على صدقات مراد، وكان عمرو قد فارق قومه سعد العشيرة مع بني زبيد وأحلافها وانحاز إليهم فأسلم معهم وكان فيهم، فلما انتقض الأسود واتبعه عوام مذحج كان عمرو فيمن اتبعه، وأقام فروة فيمن معه على الإسلام فولى الأسود عمرا وجعله بحiale.

... ورجعت رسل النبي ﷺ الذين كان بعثهم عند انتقاض الأسود العنسي وهم جرير بن عبد الله والأقرع ووبر بن يحنس، فرد أبو بكر جريراً ليستنفر من ثبت على الإسلام على من ارتد ويقاتل خثعم الذين غضبوا لهدم ذي الخلصة فيقتلهم ويقيم بنجران، فنفذ ما أمره به ولم يمر به أحد إلا رجال قليل تتبعهم

= سيف بن ذي يزن كقوة احتلال، وكذلك الذين قدموا برأ بعد ذلك وكانوا خمسة آلاف بعياهم، فقام قيس باجلاء الذين قدموا بحراً عن طريق البحر إلى لحج ومنها إلى عدن أو قنا حيث لحقوا بأرض فارس بحراً، كما تم اجلاء الذين قدموا برأ عن طريق البر إلى كندة وحضرموت ومشارقتها حتى لحقوا بأرضهم، ويبدو أن أولئك الفرس الذين نفاهم قيس كان على رأسهم (مهران بن باذان) و(بهمن بن داذويه) وكانا من قادة الجيوش الفارسية المجوسية بعد ذلك - عام ١٣هـ - في موقعة البويب التي سبقت القادسية حيث تقدم مهران طالباً للمبارزة وقال:

إن تسألوا عني فإنني مهران أنا لمن انكرني ابن باذان

قال الطبري: «حدثني من لا أتهم من أهل العلم أن مهران كان نشأ مع أبيه باذان باليمن إذ كان عاملاً لكسرى» [ص ٧٨ ج ٤] وسقط مهران قتيلاً في موقعة البويب على يد الزعيم اليمني جرير بن عبد الله البجلي كما سقط بهممن.

[١٥] - لم يكن بين من تم ترحيلهم من اليمن عيال فيروز ولم يكن طريق من تم ترحيلهم بلاد عك بساحل البحر الأحمر، فهذه المقولة وأمثالها في تاريخ الطبري عن استنقاذ الأبناء وعن هزيمة قيس بن مكشوح وما إلى ذلك اختلقها سيف بن عمر التميمي وهو مشهور بالكذب والاختلاق في الروايات لإرضاء بعض الفرس في العصر العباسي.

[١٦] - لم يغادر قيس بن مكشوح صنعاء حتى أرسل أبو بكر الصديق أبان بن سعيد بن العاص إلى صنعاء والياً على اليمن، وكان أبان بن سعيد زوج كبشة أخت قيس بن مكشوح المرادي [ص ٣٧ ج ٤/الإصابة].

بالمقتل وسار إلى نجران^[١٧] . . . ثم أمر (أبو بكر) المهاجر بن أبي أمية بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ثم ينفذ إلى عمله، وأمره بقتال من بين نجران إلى أقصى اليمن، ففصل لذلك ومزّ بمكة والطائف فسار معه خالد بن أسيد وعبد الرحمن بن أبي العاص بمن معهما ومر بجريز بن عبد الله وعكاشة بن ثور فضمهما إليه ثم مرّ بنجران وانضم إليه فروة بن مسيك، وجاءه عمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح فأوثقهما وبعث بهما إلى أبي بكر وسار إلى لقاءه، فتتبعهم بالقتل ولم يؤمنهم فقتلوا بكل سبيل، وحضر قيس عند أبي بكر فخطر قتل داذويه ولم يجد أمراً جلياً في أمره، وتاب عمرو بن معد يكرب واستقال فأقالهما وردهما، وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه وقبل توبة من رجع إليه، وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنعاء فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة^[١٨].

[١٧] - يتبين من ذلك أن أبا بكر استعمل جريز بن عبد الله البجلي عاملاً على نجران وعسير وسائر مخلاف نجران.

[١٨] - هذه الرواية من بداية توجيه المهاجر بأن يسير إلى اليمن إلى دخوله صنعاء فيها كثير من أوهام سيف التميمي. فالذي يتبين من التحقيق في المصادر وربط الوقائع هو كما يلي: أولاً: إن أبا بكر بعث المهاجر إلى كندة بحضرموت وكان زياد بن ليبيد الأنصاري عاملاً على حضرموت والمهاجر عاملاً على منطقة كندة في حضرموت، وقد ذكر ابن خلدون في فقرة لاحقة أنه: «كتب زياد إلى المهاجر يستحثه فلقية الكتاب بالمفازة بين مأرب وحضرموت فتعجل إلى زياد وكندة» [ص ٦٨ ج ٢] فالمهاجر إنما مرّ بنجران ثم مأرب قاصداً حضرموت وإليها سار.

ثانياً: إن الذي بعثه أبو بكر إلى صنعاء وولاه على اليمن هو أبان بن سعيد بن العاص، فانضم إليه جريز بن عبد الله البجلي وفروة بن مسيك المرادي، وكان عمرو بن معد يكرب بمعية فروة ابن مسيك، أما قيس فكان بصنعاء، ونرى أن جريز بن عبد الله وفروة وغيرهما من الزعماء اليمنيين كانا اقتعا أبا بكر بطبيعة وخلفية الثورة التي قادها قيس، فافتتح أبو بكر بموقف اليمن وعفا عما حدث وبعث أبان بن سعيد بن العاص إلى صنعاء والياً لليمن لأنه سيكون محل رضا اليمنيين كما أنه صهر قيس بن مكشوح المرادي فوصل أبان إلى صنعاء وكان فيروز هارباً مستجيراً في خولان فعاد إلى صنعاء حيث كما يذكر ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة: «بعث أبو بكر أبان بن سعيد إلى اليمن، فكلمه فيروز في دام داذوية الذي قتله قيس بن مكشوح، فقال أبان لقيس: أقتلت رجلاً مسلماً، فأنكر قيس أن يكون داذويه مسلماً، ثم قال أبان لفيروز: الحق بأمر المؤمنين وأنا أكتب لك بما قضيت بينكما، فكتب له، وأمضى الخليفة ما كتبه أبان بن سعيد» (اهـ) وبذلك غادر فيروز اليمن وأقام بالمدينة . . . بينما أقام قيس بصنعاء إلى أن استنفر أبو بكر أهل اليمن لجهاد الروم وفارس، فكان موكب قيس بن مكشوح من أوائل المواكب التي وصلت يثرب حيث قال مخاطباً أبا بكر:

أتتك كتائبٌ منّا سراعاً ذوي التسيجان أعني من مراد =

خبر فتنة الناقة في حضرموت

وكانت كندة قد ارتدوا وتابعوا الأسود العنسي بسبب ما وقع بينهم وبين زياد البياضي في أمر فريضة من فرائض الصدقة أطلقها بعض بني عمرو بن معاوية بعد أن وقع عليها ميسم الصدقة غلطا^[١٩٦]، فقَاتلهم زياد وهزمهم، فاتفق بنو معاوية على منع الصدقة والردة إلا شراحيل بن السمط وابنه^[٢٠١]، وأشير على زياد بمعالجتهم قبل أن ينضم إليهم السكاسك وحضرموت وأبضعة وجمد ومخوس واختهم العمردة، وهرب الباؤون ورجع زياد بالسبي والغنائم^[٢١١]، ومرّ بالأشعث بن قيس وبني الحرث بن معاوية، واستغاث نساء

= فقدمنا أمامك كي ترانا نبيد الروم بالأسل النجاد
[١٩٦] - لم يكن فيما حدث ردة وإنما وقعت فتنة بسبب ناقة وذلك بعد انتهاء فتنة الأسود العنسي أيام النبي ﷺ بينما هذه الواقعة في أيام أبي بكر الصديق، وفحواها أن رجلاً كان لديه كثير من النوق (الجمال) وعليه ناقة صدقة فقام زياد بن لبيد البياضي عامل حضرموت باختيار ناقة عزيزة على الرجل ووسمها بميسم الصدقة ورفض أن يأخذ غيرها، ولم يتنبه إلى قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل في شأن أخذ الصدقة باليمن: «واياك وكرائم أموالهم» فاستعاد بنو عمرو بن معاوية الناقة من زياد، وجاء في كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني أنه: «لما انتزعت كندة من زياد ابن لبيد ناقة كان وسمها بميسم الصدقة، قام فيهم عبد الله بن يزيد الكندي، فقال: يا معشر الملوك، إني لا أصغر عن القول ولا يعظم أحد منكم عن الاستماع، وإني أناشدكم الله والرحم أن تصيروا أحاديث في ناقة أخذت بحق وارتجاعها باطل، وقال:

ما كان في ناقة ضلّت حلومكم ما تغدرون بعهد الله والذمم
ألقى زياد عليها حق ميسمه بعد اللسان وبعد الكف والقدم

فبعث إليه الأشعث بن قيس قائلاً: أرى كلامك يدفعنا وياك إلى ما نكره، وإننا لا نحمل ذلك، فخرج عبد الله بن يزيد من بينهم وسار إلى المدينة» [ص ٩٥ ج ٣] ونقل ابن حجر عن ابن إسحاق أنه: «... قام الوليد بن محصن الكندي فوعظهم فأخرجوه من بينهم فقام عبد الله بن زيد الكندي فقال: أكل من قال حقاً اتهمته، إن رأيي - والله - رأي صاحبي واشتد كلامه فطردوه، فقال:

أردت ثموداً بوادي ججر ناقتهم والحبي من قابل في ناقة حوق
والحبي من كندة صاروا بناقتهم مثل الذين مضوا بالشؤم في النوق»

[ص ٩٠ ج ٣].

[٢٠] - الأصوب شرحبيل بن السمط وأبيه السمط بن الأسود الكندي وأن بني معاوية اتفقوا على منع الناقة وليس منع الصدقة والردة.

[٢١] - عبارة «وهرب الباؤون...» معطوف على قوله: «فقَاتلهم زياد وهزمهم» ثم رجع بالسبي والغنائم قاصداً مقره مدينة شبام.

السبي بالأشعث^[٢٢] فأغار الأشعث وتنقذهم^[٢٣]، ثم جمع بني معاوية كلهم ومن أطاعه من السكاسك وحضرموت وأقام على رده^[٢٤].

«... ثم أمر أبو بكر المهاجر بن أبي أمية بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ثم ينفذ إلى عمله... ومزّ بجريز بن عبد الله وعكاشة بن ثور فضمهما إليه، ثم مرّ بنجران وانضم إليه فروة بن مسيك، وجاء عمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح فأوثقهما وبعث بهما إلى أبي بكر وسارا إلى لقائه... وحضر قيس عند أبي بكر فخطر قتل داؤويه ولم يجد أمراً جلياً في أمره، وتاب عمرو بن معد يكرب واستقال فأقالهما وردّهما، وسار المهاجر حتى نزل صنعاء... وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنعاء فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة^[٢٥] مع عكرمة بن أبي

[٢٢] - كان مقر الأشعث بن قيس في حصن النجير وكان زعيم كندة ومن الصحابة، قال أعشى قيس يذكر حصن النجير:

«يا حبذا حصن السنجيسر وحبذا قيس الفعال...»

[٢٣] - استنقذ الأشعث النساء والأطفال وأعاد لهم الحرية، ولا بد أنه اعتبر ما قام به زياد يتنافى مع روح وتعاليم الإسلام.

[٢٤] - أقام الأشعث في حصن النجير ولم يتعرض لزياد بن لبيد الذي استمر مقيماً في شبام، وساهم الأشعث في ثورة قيس بن مكشوح.

[٢٥] - تقدم إيراد هذه الفقرة كاملة من قوله: «ثم أمر أبو بكر المهاجر بأن يسير إلى اليمن...» إلى «دخول المهاجر صنعاء» في خبر ثورة قيس بن مكشوح المرادي واقتصرنا هنا على النقاط الرئيسية في الفقرة نظراً لترابط الموضوع ولتبيين ما يلي:

أ - إن الأشعث بن قيس وقومه من كندة والسكاسك وحضرموت ساهموا في ثورة قيس بن مكشوح المرادي ضد الأبناء الفرس بعد عزل معاذ بن جبل وتولية فيروز الديلمي على اليمن فثار قيس في صنعاء وقتل داؤويه الذي كان كاهناً مجوسياً سابقاً وتم تجميع الأبناء إلى صنعاء وترحيل فرقة منهم بحراً عن طريق أبين وفرقة منهم براً عن طريق حضرموت، وقال قيس بن مكشوح في ذلك:

وفيتّ لقومي واحتشدت لمعشر
وأصابوا على الأحياء عمرا ومرثدا
وكنتُ لدى الأبناء لما لقيتهم
كأصيد يسمو بالعزازة أصيدا

ب - إن مبعوث أبي بكر لم يكن المهاجر وإنما كان أبان بن سعيد بن العاص صهر قيس بن مكشوح المرادي ومعه جريز بن عبد الله البجلي وفروة بن مسيك المرادي، ويبدو أنهما اقتنا أبا بكر الصديق بطبيعة وخلفية الثورة التي وقعت في اليمن فعفا وتجاوز أبو بكر عما حدث وبعث أبان بن سعيد والياً على اليمن وربما سار المهاجر بن أبي أمية معه إلى صنعاء، ولا صحه للقول إنه: «أوثق عمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح وبعث بهما إلى أبي بكر... الخ» قد تقدم أن قيس بن المكشوح كان بصنعاء ووصل إليه أبان بن سعيد فاستقبله الناس بالرضاء واستقرت الأمور كما تقدم وأقام أبان بن سعيد في صنعاء.

جهل^[٢٦] وقد جاءه من ناحية عُمان ومعه خلق كثير من مهره والأزد وناجيه وعبد القيس وقوم من مالك بن كنانة وبني العنبر، وقدم أبيين وأقام بها لاجتماع النخع وحمير، ثم سار مع المهاجر إلى كندة^[٢٧] وكتب زياد إلى المهاجر يستحثه فلقبه الكتاب بالمفازة بين مأرب وحضرموت، فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل إلى زياد^[٢٨] ونهدوا إلى كندة وعليهم الأشعث بن قيس فهزموهم وقتلوهم، وفرّوا إلى النجير حصن لهم فتحصنوا فيه مع من استغووه من السكاسك وشذاذ السكون وحضرموت، وسدّوا عليهم الطريق إلا واحدة جاء عكرمة بعدهم فسدّها وقطعوا عنهم المدد، وخرجوا مستميتين في بعض الأيام فغلبوهم وأخرجوهم^[٢٩]، واستأمن الأشعث إلى عكرمة بما كانت أسماء بنت النعمان بن الجون تحته فخرج إليه وجاء به إلى المهاجر وأمّته في أهله وماله وتسعة من قومه على أن يفتح لهم الباب، فاقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فكان في السبي ألف امرأة^[٣٠]، فلما فرغ من النجير دعا بكتاب الأمان من الأشعث

[٢٦] - كان عكرمة بن أبي جهل متزوجاً بأسماء بنت النعمان الكندي قريبة الأشعث، لذلك اختاره أبو بكر وكلفه بالمسير إليه .

[٢٧] - مقتضى هذا الخبر أن عكرمة كان في أبيين وأن المهاجر سار من صنعاء إلى أبيين فالتقيا وسارا سوياً إلى حضرموت .

[٢٨] - مقتضى ذلك أن المهاجر كان في مأرب ومنها سار إلى حضرموت وأن خبر صنعاء وأبيين يتنافى مع ذلك ومع الحقيقة .

[٢٩] - كان الأشعث منذ البداية في حصن النجير، وقد نقل ابن خلدون هذه الرواية وما تقدم عن قيس بن مكشوح وما سيأتي عن الأشعث من رواية سيف بن عمر التميمي في تاريخ الطبري، وهو ممن ينطبق عليه قول ابن خلدون إنه: «يوجد في كلام بعض المؤرخين أخبار فيها مطاعن وشبهه في كبار الأمة وخيارهم من الصحابة والتابعين، أكثرها من أهل الأهواء» [ص ١٨٨ ج ٢] وقد كان سيف بن عمر التميمي من أهل الأهواء ووصفه ابن كثير بأنه كذاب فيما رواه من أخبار كان يخلقها .

[٣٠] - يدل هذا الخبر على عدم صحة ما تقدم عن هزيمة الأشعث وقومه والتغلب عليهم وإخراجهم من حصن النجير، كما أن هذا الخبر فيه من المطاعن والأهواء والأكاذيب التي اختلقها سيف التميمي، ولم يتنبه المؤرخون إلى أن ذلك يتنافى مع حقيقة عدم مقتل أي فرد من كندة ومشاركتهم في الفتوحات بقيادة الأشعث بن قيس الكندي الذي ذكر ابن خلدون نفسه: «إنه سار الأشعث بن قيس ومعه ثلاثون ألفاً إلى القادسية» [ص ٩٢ ج ٢] أو كما جاء في تاريخ الطبري كان: «الأشعث بن قيس الكندي في ألف وسبعمائة من أهل اليمن» [ص ٨٧ ج ٢] - أي من كندة - بينما مقتضى مزاعم التميمي أنه لم يبق من كندة إلا تسعة أشخاص . والصحيح أن عكرمة سار إلى الأشعث في حصن النجير ومعه المهاجر وزياد وأبلغه عكرمة بما قام به أبو بكر من تولية أبان بن سعيد بن العاص على اليمن والتفهم لما =

وإذا هو قد كتب غرض نفسه في التسعة رجالاً من أصحابه^[٣١] فأوثقه كتاباً وبعث به إلى أبي بكر ينظر في أمره، فقدم مع السبايا والأسرى^(٣١) فقال له أبو بكر: أقتلك، قال: إني راودت القوم على عشرة وأتيناهم بالكتاب مختوماً^(٣١)، فقال أبو بكر: إنما الصلح على من كان بالصحيفة وإما غير ذلك فهو مردود، فقال: يا أبا بكر إحتسب في وأقلمي واقبل إسلامي وردّ عليّ زوجتي، وقد كان تزوج أم فروة أخت أبي بكر حين قدم على رسول الله ﷺ وأخّرها إلى أن يرجع^[٣٢]، فأطلقه أبو بكر وقبل إسلامه وردّ عليه زوجته، وقال ليبلغني عنك خير ثم خلى عن القوم فذهبوا وقسم الأنفال^[٣٣].

= حدث في اليمن والتجاوز عما سلف، فاستجاب الأشعث لذلك وأخذ الأمان لتسعة أشخاص من بني عمرو بن معاوية الذين تصدروا فتنة الناقة وانتزعوها من زياد فاختلق التميمي بقية المزاعم.

[٣١] - يعني أن الأشعث نسي أن يكتب اسمه في كتاب الأمان، وهذا من جملة المزاعم لتبرير أكذوبة إرساله معتقلاً إلى أبي بكر كما قيل عن عمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح ولم يصح، وإنما سار الأشعث باختياره إلى أبي بكر لتصفية الموقف.

[٣٢] - يؤكد هذا النص أن زواج الأشعث بأم فروة أخت أبي بكر الصديق كان حين وفد الأشعث بن قيس إلى رسول الله ﷺ في السنة التاسعة للهجرة ومكث فترة في يثرب مع عمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح وفروة بن مسيك وتعلموا القرآن وفرائض الإسلام ثم رجعوا إلى مناطقهم باليمن في أواسط السنة العاشرة وساهموا في إرساء دعائم الدولة العربية الإسلامية في ربوعها، وما كان الأشعث ليقول (إقبل إسلامي) فقد كان مسلماً ومن كبار أصحاب رسول الله ﷺ وإنما اعتذر الأشعث فقبل أبو بكر اعتذاره.

[٣٣] - جاء في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة: إن الأشعث بن قيس لما خرج من عند أبي بكر بعد أن زوجه أخته، سل سيفه (في السوق هو وأصحابه) فلم يبق في السوق ذات أربع من بعير وبغل وشاة إلا عقرها، واجتمع الناس إليه وهو في غرفة من غرف الأنصار وهو يقول: هذه وليمتي ولو كنت ببلادي لأولمت مثل ما يولم مثلي فليأخذ كل واحد مما وجد، فلم يبق دار من دور المدينة إلا ودخله من اللحم، فكان ذلك اليوم قد شبه بيوم الأضحى، وفي ذلك قال وبرة بن قيس الخزرجي:

لقد أولم الكندي يوم ملاكه	وليمة حمال ثقيل الجرائم
لقد سل سيفاً كان مذ كان مغمداً	لدى الحرب منها في الطلا والجماجم
فأغمدته في كل بكر وسابح	وعير وبغل في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكندي أما لقيته	ذهبت بأسنى مجد أولاد آدم

[ص ٦٣٠ ج ٣/الإصابة].

وعاد الأشعث إلى اليمن وأقام في حصنه النجير إلى أن استنفر أبو بكر أهل اليمن لجهاد الروم وفارس عام ١٢هـ فانطلق إلى ميادين الجهاد.

خبر ردة أهل عمان ومهرة باليمن [٣٤]

نبح بعمان بعد الوفاة (وفاة رسول الله ﷺ) رجل من الأزدي يقال له لقيط بن مالك الأزدي يسامي في الجاهلية الجلندي [٣٥]، فدفع (لقيط) عنها الملكين اللذين

[٣٤] - تقدم قول ابن خلدون: «سُميت عمان باسم عمان بن قحطان» كما تقدم في الفصل الثاني خبر «الملك مهرة بن حيدان بن قضاة بن مالك بن حمير» وملوكيته على بلاد الشحر وهي الشحر والمهرة ومنطقة ظفار وسميت المهرة باسمه وكانت مشمولة بسلطان دولة اليمن الحميرية، كما تقدم حديث ابن خلدون عن الأزدي ومن هاجر منهم إلى عمان. وقال العوتبي: «أول من لحق بعمان من الأزدي مالك بن فهم بن حاتم، سار مالك حتى دخل عمان بعسكر جم في الخيل والعدة والعدد فوجد بها الفرس... فاعتزل مالك بمن معه إلى جانب قلعات من شط عمان ليكون ذلك أمنع لهم... ثم توالى هجرات أزدية أخرى بعد أن قوي نفوذ مالك بن فهم وبسط سيطرته شمالاً إلى الإحساء والبحرين» [ص ٢٥٤ مخطوطة العوتبي + مصادر تاريخ عمان - د. فاروق عمر] وقد انتصر مالك بن فهم على الفرس واجلاهم عن عمان وامتد سلطانه إلى جنوب العراق كما تقدم، ثم عاد الفرس إلى احتلال سواحل في عمان بعد ذلك حيث قال العوتبي والأزكوي: «فكانت الفرس في السواحل وشطوط البحر والأزد ملوكاً في البادية والجبال وأطراف عمان». وكان مركز الأزدي نوأم ولها منفذ على البحر هو ميناء دبار، أما مقر الفرس فكان الرستاق وكانت هناك قوة فارسية في صحار» [ص ٢٨ ف.ع.]. وكانت السلطة في عمان لبني معولة بن شمس الأزديين ومنهم آل الجلندي بن المستكبر، وقال د. فاروق عمر: «هناك عشيرتان يمانيتان حملتا لقب الجلندي إحداهما بني الجلندي ابن كركر الذين بسطوا نفوذهم على الخليج وامتدوا إلى سواحل الشرقية وظل نفوذهم حتى العهد البويهبي، وثانيهما بني الجلندي المعولي وهم الذين حكموا عمان حتى تأسيس الإمامة الأباضية هناك» [ص ٢٩ ف.ع.].

[٣٥] - «الجلندي» (بضم أوله وفتح اللام والذال وسكون النون) وهو كما ذكر المدائني: الجلندي بن عبد العزيز الأزدي» من بني الجلندي بن المستكبر المعولي الأزدي - بعث إليه النبي ﷺ عمرو بن العاص يدعو إلى الإسلام فاستجاب الجلندي وقال في ذلك:

أتاني عمرو بالتّي ليس بعدها
فقلت له ما زدت أن جئت بالتّي
فيا عمرو قد أسلمت لله جهرة
ينادي بها في الواديين فصيح

وقيل إن المرسل إليه عمرو هو جيفر بن الجلندي ويحتمل أنه كان مرسلًا إلى الأب والابن فأسلما (ص ٢٦٢ ج١/الإصابة).

كانا بها وهما جيفر وعبد ابنا الجلندي^[٣٦] فارتد وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين^[٣٧].

وبعث جيفر إلى أبي بكر الخبر^[٣٨] فبعث أبو بكر حذيفة بن محصن من حمير^[٣٩] وعرفجة البارقي^[٤٠] حذيفة إلى عمان وعرفجة إلى مهرة، وإن اجتمعا فالأمير صاحب العمل، وأمرهما أن يكتبا جيفرا ويأخذا برأيه، وقد كان بعث عكرمة إلى اليمامة ومسيلمة ووقعت عليه النكبة، فأمره بالمسير إلى حذيفة وعرفجة ليقاتل معهما عمان ومهرة ويتوجه إذا فرغ من ذلك إلى اليمن^[٤١]. فمضى عكرمة

[٣٦] - كان عمرو بن العاص عاملاً في عمان، فلما توفي رسول الله ﷺ عاد عمرو إلى المدينة المنورة ومعه وفد من أهل عمان للتعزية والمبايعه، وبقي جيفر وعبد ابنا الجلندي يحكمان عمان ووقفت ضدّهما عشائر عمانية مثل العتيك بزعامه لقيط الأزدي [ص ٣١ ف. ع].

[٣٧] - يقول د. فاروق عمر «يحاول بعض المؤرخين أن يدخلوا عمان ضمن الأقاليم التي ارتدت، ولكن مؤرخي عمان لا يتكلمون عن ردة حدثت في عمان، ولم تكن حركة لقيط الأزدي إلا بسبب قضية شخصية تمضي وراءها طموحات شخصية وانشقاقات قبلية» [ص ٣١ مصادر التاريخ العماني - د. فاروق عمر + تحفة الأعيان للسالمي ص ٦٧ و ٦٩ ج ١].

[٣٨] - شهدت عمان في تلك الفترة أيضاً ما يبدو امتداداً لثورة قيس بن مكشوح ضد الأبناء الفرس باليمن وما كان قبلها من الثورة بزعامه الأسود العنسي وقيادة قيس بن مكشوح ضد شهر بن باذان والفرس، وقد تقدم في خبر ذلك قول ابن خلدون: «وغلب الأسود على ما بين صنعاء وحضرموت إلى أعمال الطائف وإلى البحرين وجعل أمره يستطير استقطارة الحريق» والمقصود أمر الثورة ضد الفرس الأبناء واجلاء قيس بن مكشوح للأبناء الفرس من اليمن، وقد تقدم أن الفرس كانوا يحتلون سواحل عمان وكانت الرستاق مقر حكمهم كما كان هناك قوة فارسية في صحار، ثم - كما يذكر د. فاروق عمر - «حين رفض الفرس الدخول في الدين الجديد قاد العرب حملة ضدّهم في الرستاق وكذلك حاصروا الحامية الفارسية في صحار التي استسلمت بشرط أن يؤمن العرب إجلاء الفرس مع عوائلهم وأموالهم إلى الساحل الشرقي من الخليج، وقبل العرب هذا الشرط» (اهـ) وتم إجلاء الفرس بعمان، ثم وقعت عقب ذلك حركة لقيط الأزدي ضد آل الجلندي وسيطر لقيط على مدينة دبا، وتقع دبا على ساحل الإمارات العربية المتحدة حالياً.

[٣٩] - هو حذيفة بن محصن الحميري، وجاء في الإصابة: «حذيفة بن محصن العلقائي» وأنه «استعمله أبو بكر على عمان، وذكر أبو عبيدة أنه دعا أهل عمان إلى الإسلام فأسلموا كلهم إلا أهل دبا» أي أنهم ساندوه ضد حركة لقيط الأزدي [ص ٣١٧ ج ١/ الإصابة].

[٤٠] - هو عرفجة بن هرثمة البارقي الأزدي من بني بارق الأزدي في عسير بمخلاف نجران آنذاك وكان من الصحابة والقادة.

[٤١] - أي أن يتوجه إلى الأشعث بن قيس في كتندة بحضرموت وقد تقدم نبأ مسيره إليه.

فلحق بهما قبل أن يصلوا إلى عمان، وقد عهد إليهم أبو بكر أن ينتهوا إلى رأي عكرمة، فراسلوا جيفرا وعبدا، وبلغ لقيطاً مجيء الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعبد بصحار، واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكتبوا رؤساء الدين، فقدموا بجيوشهم، ثم صمدوا إلى لقيط وأصحابه فقاتلوه، وقد أقام لقيط عياله وراء صفوفه، وهَمَّ المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بني ناجية وعليهم الحريث ابن راشد ومن عبد القيس وعليهم سنجان بن صرصار، فانهزم العدو وظفر المسلمون، وقتلوا منهم نحو من عشرة آلاف وسبوا الذراري والنساء وتم الفتح وقسموا الأنفال وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة، وكان الخمس ثمانمائة رأس، وأقام حذيفة بعمان [٤٢].

وسار عكرمة إلى مهرة [٤٣] وقد استنفر أهل عمان ومن حولها من ناجية والأرد [٤٤] وعبد القيس وبني سعيد من تميم، فاقتحم على مهرة بلادهم، وهم على

[٤٢] - في عدد القتلى وخبر السبي مبالغة واختلاق، ولكن تم هزيمة لقيط بن مالك الأزدي والقضاء على حركته وارسال قسم من أصحابه المتمردين على بني الجلندي إلى المدينة وعفا عنهم أبو بكر «وأقام حذيفة بن محصن الحميري في عمان عاملاً عليها حتى وفاة أبي بكر» [ص ٣١٧ ج ١ / الإصافة] وقد تواصلت ملوكية جيفر وعبد ابني الجلندي وشملت عمان وخلفهما في السلطة عباد بن عبد بن الجلندي ثم سليمان وسعيد ابنا عباد إلى أيام خلافة عبد الملك بن مروان ومحاربتهما للحجاج بن يوسف الثقفي والقوات التي بعثها إلى عمان، وقد تزامن ذلك مع ثورة وخلافة عبد الرحمن بن الأشعث الكندي عام ٨٠ - ٨٣ هـ.

[٤٣] - كان مخلاف مهرة يقال له أيضاً الشحر، وكان يشمل بالتسميات الحالية مديرية الشحر إلى السوم بمحافظة حضرموت بالإضافة إلى محافظة المهرة وهما بالجمهورية اليمنية ومحافظة ظفار إلى قلهات من اليمن وهي في اطار سلطنة عمان حالياً. وكان مخلاف المهرة يتبع أعمال حضرموت في اطار ولاية اليمن، وكان من زعماء المهرة الذين وفدوا إلى النبي ﷺ ببشر:

أ - مهري بن الأبيض في وفد مهرة، وكتب له النبي ﷺ كتاباً نصه كما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله، لمهري بن أبيض، على من آمن من مهرة: إنهم لا يؤكفون ولا يُغار عليهم ولا يُعركون، وعليهم إقامة شرائع الإسلام. فمن بدل فقد حارب الله، ومن آمن فله ذمة الله وذمة رسوله. اللقطة مؤذاة، والسارحة مندأة، والثفت السيثة، والرث الفسوق. وكتب محمد بن مسلمة الأنصاري» [انتهى/ طبقات ابن سعد ص ٨٣ ج ١ / ٢ + الوثائق السياسية للعهد النبوي - محمد حميد الله ص ٢٥١].

ب - ذهبن بن قرضم في وفد من الشحر من مهرة «كتب لهم النبي ﷺ كتاباً هو عندهم. وفي طبقات ابن سعد: زهير بن قرضم من الشحر، والشحر في مهرة». [١هـ/ ص ٢٥٢ - الوثائق السياسية للعهد النبوي].

[٤٤] - جاء في النص المطبوع من تاريخ ابن خلدون كما يلي: «... أهل عمان ومن حولها من =

فرقتين يتنازعان الرياسة، فأجابه أحد الفريقين، وسار إلى الآخرين فهزمهم وقتل رئيسهم وأصابوا منهم ألفي نجبية وأفاد المسلمون قوة بغيمتهم، وأجاب أهل تلك النواحي إلى الإسلام وهم أهل نجد والروضة والساطي والحرائر والمر واللسان وأهل جبرة وظهور الشحر والفرتك^[٤٥] وذات الخيم فاجتمعوا كلهم على الإسلام، وبعث (عكرمة) إلى أبي بكر بذلك مع البشير، وسارعوا إلى اليمن للقاء المهاجر بن أبي أمية كما عهد إليه أبو بكر^[٤٦].

الخبر عن مسير أهل اليمن في فتوح الشام^[٤٧]

بعوث الشام^[٤٨]

كان من أول عمل أبي بكر بعد عودته من الحج أن بعث خالد بن سعيد بن العاصي في الجنود إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة، وقيل إنما بعثه إلى الشام لما

= ناحيته الأزدي... الخ» [ص ٧٨ ج ٢] وهو تصحيف من النساخ ومن محقق وطابع الكتاب، فصوبناه إلى «... من ناجية والأزد» قياساً على قول ابن خلدون في خبر مسير عكرمة إلى كندة بأنه: «جاء من ناحية عمان ومعه خلق كثير من مهرة والأزد وناجية وعبد القيس...» [أهـ] ويبدو أن ناجية أيضاً تصحيف وأنهم: بنو سامه بن لؤي وكانوا عشيرة غير أزدية تسكن عمان [ص ٢٩ - مصادر التاريخ العماني].

[٤٥] - جاء في النص المطبوع من الكتاب: «... وظهور الشحر والفرات» وهو تصحيف والصواب «الفرتك» حيث «رأس الفرتك» بساحل محافظة المهرة كما في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني، وربما وقع تصحيف في بعض أسماء نواحي المهرة المذكورة هنا أيضاً.

[٤٦] - المقصود مسير عكرمة إلى الأشعث بن قيس الكندي في حصن النجير بحضرموت وقد تقدم الخبر عن ذلك، وأن الوضع استقر في سائر أرجاء اليمن بتولية أبان بن سعيد بن العاص والياً على اليمن في أواخر عام ١١ هجرية ثم استنفر أبو بكر الصديق أهل اليمن لجهاد الروم بالشام وفارس منذ أوائل عام ١٢ هـ فانطلق أهل اليمن إلى ميادين الفتوحات.

[٤٧] - لا يكتمل الخبر عن اليمن في خلافة أبي بكر الصديق إلا بالخبر عن مسير أهل اليمن إلى الفتوحات فاستحدثنا هذا العنوان وأوردنا ما ذكره ابن خلدون مما يتصل بزعماء وأهل اليمن في أخبار الفتوحات، وقد ذكرت كتب التاريخ أنه: «بعث أبو بكر أنس بن مالك الأنصاري إلى اذواء وعمال وأهل اليمن يستنفرهم إلى الجهاد وإلى أخذ بلاد الشام من أيدي الكفار الطغاة الروم...» فسار أنس بن مالك إلى سائر أرجاء اليمن ثم عاد إلى أبي بكر في المدينة المنورة وقال له: «أقبلت إليك يا خليفة رسول الله مبشراً بقدوم أهل اليمن وشجعانها وملوكها، فما قرأت كتابك على أحد إلا وبادر إلى طاعة الله ورسوله وأجاب دعوتك، وقد تجهزوا في العدد العديد والزرد النضيد...».

[٤٨] - بدأنا بحديث ابن خلدون عن وبعنوان «بعوث الشام» ص ٨٣ ج ٢ والمقصود فتوح الشام.

بعث خالد بن الوليد إلى العراق أول السنة التي قبلها^[٤٩]، ثم عدله قبل أن يسير لأنه كان لما قدم من اليمن عند الوفاة تخلف عن بيعة أبي بكر أياماً وغدا على عليّ (بن أبي طالب) وعثمان (بن عفان) فعذلها على الاستكانة لتيم وهما رؤوس بني عبد مناف فنهاه عليّ، فلما ولاه أبو بكر عقد له عمر فعذله^[٥٠] وأمره أن يقيم بتيما و يدعو من حوله من العرب إلى الجهاد حتى يأتيه أمره، فاجتمعت إليه جموع كثيرة، وبلغ الروم خبره فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من بهرا وسليح و كلب وغسان ولخم وجذام، وسار إليهم خالد (بن سعيد) فغلبهم على منازلهم وافترقوا، وكتب له أبو بكر بالإقدام فسار متقدماً ولقيه البطريق ماهان من بطارقة الروم فهزمه خالد واستلحم الكثير من جنوده^[٥١]. وكتب إلى أبي بكر يستمده ووافق كتابه (وصول) المستنفرين^[٥٢] وفيهم ذو الكلاع ومعه حمير وعكرمة بن أبي جهل ومن معه من تهامة والشحر وعمان والبحرين^[٥٤] فبعثهم

[٤٩] - أي في محرم سنة ١٢هـ - لما فرغ خالد بن الوليد من قتال أهل الردة باليمامة وكان معه الصحابي اليمني جرير بن عبد الله البجلي حيث كما ذكر البلاذري: «كتب خالد من اليمامة إلى أبي بكر يستمده فأمدّه بجرير بن عبد الله البجلي فلقية جرير منصرفاً من اليمامة فكان معه وواقع جرير صاحب المذار بالعراق بأمر خالد» [ص ٢٤٣ فتوح البلدان للبلاذري] كما سار معه الصحابي الجليل شرحبيل بن حسنة الكندي.

[٥٠] - تقدم أن خالد بن سعيد بن العاصي كان من عمال نواحي اليمن الذين بعثهم النبي ﷺ، ويتبين من الواقعة المذكورة هنا عدم صحة ما نقله ابن خلدون في خبر ثورة قيس بن مكشوح من أن خالد بن سعيد رجع إلى المدينة لانتقاض وردة أهل اليمن فلم تكن باليمن ردة كما تقدم.

[٥١] - كانت تلك الوقائع بأطراف الشام وجهة أداني الأردن من الشام عام ١٢هـ وكان جيش خالد بن سعيد من اليمانية.

[٥٢] - قال الطبري: «قدم على أبي بكر أوائل مستنصري اليمن، وفيهم ذو الكلاع الحميري وجرير بن عبد الله وقيس بن مكشوح المرادي... وعند ذلك احتاج أبو بكر للشام وعناه أمره» [تاريخ الأمم والملوك للطبري - سنة ١٣هـ].

[٥٣] - كان سميغ ذو الكلاع على رأس قبائل وفرسان حمير وصلوا وعليهم التيجان والبرود والدروع والسيوف ومعهم الذراري والنساء والعبيد وكانوا أول من وصل يثرب من قبائل اليمن فقال أبو بكر: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا أقبلت حمير ومعها نساؤها وأولادها فابشروا بنصر الله».

[٥٤] - لم يكن عكرمة في الجهات المذكورة وإنما - جاء في كتاب فتوح الشام للواقدي - أن عكرمة كان في بني مخزوم بمكة، وكانت مواكب مستنصري أهل اليمن قد تعاقبت في الوصول إلى أبي بكر بالمدينة وأولها مواكب حمير يتقدمهم سميغ ذو الكلاع وهو يقول: أتتكم حمير بالأهلين والولد أهل السوابق والعالمون بالرتب =

إليه^[٥٥] وحينئذٍ اهتم أبو بكر بالشام، وكان عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله ﷺ إلى عمان وعده أن يعيده إلى عمله عند فراغه من أمر عمان، فلما جاء بعد الوفاة أعاده إليها أبو بكر انجازاً لوعده ﷺ وهي صدقات سعد هذيم وبني عذرة، فبعث إليه الآن يأمره باللحاق بخالد بن سعيد لجهاد الروم وأن يقصد فلسطين^[٥٦]، وبعث أيضاً إلى الوليد بن عقبة وكان على صدقات قضاة وولاه

= أسد غطارفة، شوس جحاجة
 يُردوا الكماة غداة الحرب بالقُضب
 الحرب عادتنا، والضرب همتنا
 وذو الكلاع دعا في الأهل والنسب
 دمشق لي دون كل الناس أجمعهم
 (وساكنيها) سأهويهم إلى العطب
 والأنسب (وساليها سأهويهم إلى العطب) أي الروم... ثم وصل فرسان مراد بزعامه قيس بن مكشوح المرادي وهو يقول:
 أتتكَ كتائبٌ منّا سراعاً
 ذوي التيسجان أعني من مراد
 فقدمنا أمامك كيّ ترانا
 نبيد الروم بالأسل النجاد

ووصل عمرو بن معد يكرب في فرسان زبيد وعمرو بن الطفيل الدوسي في فرسان دوس والأشعث بن قيس الكندي في فرسان كندة والسمط بن الأسود الكندي وغيرهم من الصحابة والزعماء والفرسان اليمنيين من أرجاء اليمن، قال المسعودي في مروج الذهب «قدم إلى أبي بكر ملوك اليمن وعليهم الحُلل والحُبر وبرود الوشي المثقل بالذهب والتيجان، فلما شاهدوا اللباس الذي على أبي بكر وأصحابه ذهبوا مذهيهم ونزعوا ما كان عليهم... وكان منهم ذو الكلاع الحميري وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلل، فلما شاهد ما عليه أبو بكر تزينا بزِيته... وقال: لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا» [ص ٣٠٥ ج ٢]. وجاء في الإصابة في تمييز الصحابة أنه كان مع ذي الكلاع لما قدم إلى المدينة اثنا عشر ألف عبد، وفي نص آخر بالإصابة أن ذا الكلاع كان أعتق أربعة آلاف عبد لما أسلم باليمن وقدم المدينة ومعه أربعة آلاف عبد ثم «بعث إليه عمر قائلاً: بعنا هؤلاء نستعين بهم على عدو المسلمين، فقال ذو الكلاع: لا، هم أحرار، وأعتقهم كلهم في ساعة واحدة» [أه].

وكان عكرمة بن أبي جهل في مكة ووصل كتاب أبي بكر إلى أهل مكة والطائف يدعوهم إلى الجهاد فقال عكرمة: إلى متى نيسط أنفسنا وقد سبقنا القوم (أهل اليمن) إلى المواطن وقد فاز من فاز وإن كنا تأخرنا عن سبق فاللحاق، فسار في بني مخزوم إلى المدينة فضم إليه أبو بكر من وصل من تهامة والشحر وعمان والبحرين وبعثه مدداً لخالد بن سعيد.

[٥٥] - وجّه أبو بكر الجنود والمدد إلى خالد بن سعيد في أول عام ١٣ هـ فبلغ جيشه سبعة آلاف رجل فيهم ذو الكلاع وقيس بن مكشوح وحوشب ذو ظليم وعمرو بن معد يكرب ومعاذ بن جبل الأنصاري وغيرهم من الزعماء والصحابة اليمنيين، فسار ذلك الجيش إلى الشام وهو الجيش الأول، ثم تلاه الجيش الثاني بقيادة شرحبيل بن حسنة الكندي وكانوا سبعة آلاف من أهل اليمن.

[٥٦] - كان قد تلاحق أهل مكة في خمسمائة رجل إلى المدينة ومن أهل الطائف أربعمائة رجل =

الأردن، وأمر يزيد بن أبي سفيان على جمهور من انتدب إليه فيهم سهيل بن عمرو وأشباهه، وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميعهم وعين له حمص وأوصى كل واحد منهم، ولما وصل المدد إلى خالد بن سعيد وبلغه توجه الأمراء، تعجل للقاء الروم قبلهم، فاستطرد له ماهان ودخل دمشق، واقتحم خالد الشام ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى نزل مرج الصفر عند دمشق^[٥٧] فانطوت مسالح ماهان عليه وسدوا الطريق دونه وزحف إليه ماهان، ولقي ابنه سعيداً في طريقه فقتلوه^[٥٨]، وبلغ الخبر أباه خالداً فهرب فيمن معه وانتهى إلى ذي مروة قرب المدينة وأقام عكرمة رداءً لهم من خلفهم فردّ عنهم الروم فأقام قريباً من الشام^(٥٨)، وجاء شرحبيل بن حسنة إلى أبي بكر وافداً من العراق من عند خالد، فندب (أبو بكر) معه الناس وبعثه مكان الوليد إلى الأردن، ومرّ بخالد (بن سعيد) ففصل ببعض أصحابه^[٥٩]، ثم بعث أبو بكر معاوية وأمره باللحاق بأخيه يزيد وأذن

= فضم إليهم أبو بكر من لحق من أهل اليمن حتى بلغوا الفين وعقد اللواء لسعيد بن خالد بن سعيد بن العاصي فاعترض عمر بن الخطاب على تأميره فقام أبو بكر بتأخير عمرو بن العاص على ذلك الجيش وأمره أن يقصد فلسطين [ص ١١ فتوح الشام للواقدي].

[٥٧] - قال الطبري: «سار خالد بن سعيد ومعه ذو الكلاع الحميري وعكرمة... حتى بلغوا مرج الصفر من بين الواقصة ودمشق» [ص ٣٠ ج ٢/ تاريخ الطبري] وكان قيس بن مكشوح المرادي من قادة ذلك الجيش، وقال قيس بن مكشوح يذكر خط السير في قصيدة له:

جلبت الخيل من صنعاء تردي بكل مدجج كالليث حامي
إلى وادي القرى فديار كلب إلى اليرموك بالبلد الشام..

ويدل بلوغ مرج الصفر على أن ذلك الجيش الأول بقيادة خالد بن سعيد تمكن من فتح وتحرير أجزاء من الشام وتقدم في سوريا قاصداً دمشق.

[٥٨] - كان استشهاد سعيد بن خالد بن سعيد في جبهة أخرى بجبهة فلسطين حيث كان في الجيش الذي تولى عمرو بن العاص قيادته... أما خالد بن سعيد فكان في مرج الصفر باتجاه دمشق على رأس الجيش الأول، قال الطبري: «فانطوت مسالح ماهان عليه وأخذوا عليه الطرق وهو لا يشعر» [ص ٣٠ ج ٢] فتعرضت طليعة من الجيش لكمين قوة رومانية، وبسبب ذلك كان انسحاب خالد بن سعيد إلى ذي مروة بقسم من الجيش وترك قسماً من الجيش بمعكة عكرمة في موقع متقدم من الشام.

[٥٩] - كان شرحبيل بن حسنة الكندي قائد وأمير الجيش العربي الإسلامي الثاني الذي انطلق من المدينة المنورة إلى الشام في أوائل عام ١٣هـ. وقال ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: «كان شرحبيل أميراً على ربع جيش الشام، وهو أمير فلسطين» [ص ٩٣ ج ٣] وقد كانت الجيوش التي توجهت إلى الشام أربعة جيوش، الجيش الأول بقيادة خالد بن سعيد بن العاصي الذي كان من عمال اليمن ومعه زعماء وعمال وفرسان اليمن كما تقدم، والجيش الثاني بقيادة الصحابي اليمني شرحبيل بن حسنة الكندي الذي توجه إلى الأردن، وجيش =

لخالد بن سعيد بدخول المدينة^[٦٠]، وزحف الأمراء في العساكر نحو الشام^[٦١]، فعبأ هرقل عساكر الروم ونزل حمص بعد أن أشار على الروم بعدم قتال العرب ومصالحتهم على ما يريدون فأبوا ولجوا^[٦٢] ثم فرقهم على امراء المسلمين: فبعث شقيقه تدارق في تسعين ألفاً نحو عمرو بن العاص بفلسطين، وبعث جرجة بن نوذر نحو يزيد بن أبي سفيان، وبعث الدارقص نحو شرحبيل بن حسنة بالأردن، وبعث القيقلان بن نستورس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة بالجابية،

= ثالث بقيادة عمرو بن العاص توجه إلى جانب من فلسطين، والجيش الرابع بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وتوجه نحو الجابية وتم تأميره على الجميع لاحقاً.

قال البلاذري: «افتتح شرحبيل بن حسنة الكندي الأردن عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه بعد حصاره اياهم، فصالحوه على أن أمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومنازلهم، واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً، وقد فتح شرحبيل جميع الأردن وحصونها على هذا الصلح، وفتح بليان، وسوسة وافيق وجرش وبيت رأس وقدس وجولان وسواد الأردن وجميع أرضها» [ص ١٢٣ فتوح البلدان للبلاذري] - وسيأتي حديث ابن خلدون عن موقعة فحل وأنه: «ظفر المسلمون بالروم وهزموهم، فقتل من الروم ثمانون ألفاً وكان على المسلمين في وقعة فحل شرحبيل بن حسنة الكندي، فسار بهم إلى بيسان وافتتحها...» [ص ٨٦ ج-٢] ثم - كما ذكر البلاذري - «فتح شرحبيل عكا وصور وصفورية» ص ١٢٣.

[٦٠] - قام أبو بكر بتولية يزيد بن أبي سفيان قيادة الجيش الأول بدلاً عن خالد بن سعيد بن العاصي الذي كان مرابطاً في ذي المروة حيث تذكر الروايات أنه: «وَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ أَبَا أَرْوَى الدُّوسِيَّ لِيَأْخُذَ لُؤَاءَ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ فَأَخَذَ اللُّؤَاءَ مِنْهُ وَوَرَدَ بِهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَدَفَعَهُ إِلَى يَزِيدِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ، وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَتَبَ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ بِتَأْمِيرِ يَزِيدٍ، وَسَارَ يَزِيدٌ فَلَقِيَهُ بِذِي مَرْوَةَ فَسَلَّمَ إِلَيْهِ اللُّؤَاءَ هُنَاكَ - (وهو الأصوب) - فسار خالد بن سعيد محتسباً في جيش شرحبيل بن حسنة الكندي».

[٦١] - وهم أمراء الجيوش الأربعة، حيث تقدم شرحبيل بن حسنة بجيشه من المناطق التي افتتحها بالأردن إلى الجولان والتقى بأبي عبيدة بن الجراح الذي نزل بجيشه في الجابية بعد أن فتح مآب من أرض البلقاء وسار يزيد بن أبي سفيان - ومعه ذو الكلاع الحميري وقيس بن مكشوح - حتى نزل في البلقاء والتقت الجيوش الثلاثة باللقاء إلى جابية الجولان، أما عمرو بن العاص فكان بناحية من فلسطين.

[٦٢] - هو القيصر هرقل (هراكليس) تولى العرش الروماني البيزنطي عام ٦٠٤م وفي أثناء حكمه غزا الفرس انطاكية وانتصروا على الروم (عام ٦١١م) ثم سار هرقل في جيش كبير من القسطنطينية فغزا المدائن عاصمة الفرس وهزم جيش كسرى أبرويز فهرب كسرى أبرويز واسترد هرقل الصليب وأعادته إلى كنيسة القيامة بالقدس في ١٤ سبتمبر ٦٢٩م ونودي به محرراً للمسيحية ثم انتفض شيرويه بن كسرى على أبيه وقتله وعقد صلحاً مع هرقل [مجلة العربي - العدد ٢٣٠ يناير ١٩٧٨م] وبعث النبي ﷺ دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل يدعوهُ إلى الإسلام في رجب ٩هـ وكان له موقف مشهور في كتب التاريخ.

فهابهم المسلمون، ثم رأوا أن الاجتماع أليق بهم^[٦٣] وبلغ كتاب أبي بكر بذلك، فاجتمعوا باليرموك أحدا وعشرين ألفاً^[٦٤] وأمر هرقل أيضاً باجتماع جنوده ووعدهم بوصول ماهان إليهم رداً فاجتمعوا بحيال المسلمين والوادي خندق بينهم، فأقاموا بازائه ثلاثة أشهر^[٦٥] واستمدوا أبا بكر فكتب إلى خالد بن الوليد أن يستخلف على العراق المثنى بن حارثة ويلحق بهم^[٦٦]، وأمره على جند الشام.

موقعة اليرموك

ولما استمد المسلمون أبا بكر بعث إليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثه في السير إليهم، فنقذ خالد لذلك^[٦٧]، ووافى المسلمين مكانهم، عندما وافى ماهان الروم أيضاً^[٦٨]، وولى خالد قبائله وولى الأمراء قبيل الآخرين إزاءهم^[٦٩]،

[٦٣] - كان الاجتماع والتنسيق بين الجيوش الثلاثة (أبو عبيدة - شرحبيل - يزيد) قد سبق ذلك وكان فيهم خالد بن سعيد فعزم على المسير إلى موضع استشهاد ابنه بفلسطين لزيارة قبره فراجع أبو عبيدة فقال: إنما انظر قبر ولدي وارجو الله أن يلحقني به، وعزم ذو الكلاع الحميري ومعاذ بن جبل على المسير معه، فكتب معه أبو عبيدة كتاباً إلى عمرو بن العاص قال فيه: إن كان أبو بكر أمرك أن تكون معنا فسر إلينا وإن كان أمرك بالثبات في موضعك فاثبت، فسار خالد بن سعيد ومعه ذو الكلاع ومعاذ بن جبل وثلثمائة من فتيان حمير، فشهد قبر ابنه والتقى بعمرو، ثم مضى خالد وذو الكلاع ومعاذ فالتقوا بجيش روماني فتقاتلوا، وكان ذو الكلاع يقول: يا أهل حمير أبواب الجنة قد فتحت والحدود العيون قد ترخرفت، فانهزم الروم وسقط منهم ثلثمائة قتيل بما في ذلك قائدهم وهرب الباقون، وعاد العرب بالنصر وكتبوا إلى أبي بكر.

[٦٤] - بلغ عدد الجيش العربي الإسلامي ستة وثلاثين ألفاً كما سيذكر ابن خلدون في فقرة لاحقة.

[٦٥] - تم خلال تلك الفترة فتح جميع كورة حوران وتوجه شرحبيل لفتح بصرى عاصمة حوران كما سيأتي.

[٦٦] - المقصود بالعراق هنا الحيرة والنواحي التي تم فتحها صلحاً من نواحي الحيرة بالعراق آنذاك، فلم يتم افتتاح العراق إلا فيما بعد.

[٦٧] - كان بمعية خالد بن الوليد ثلاثة آلاف من الجيش العربي الإسلامي الذي كان بالعراق ومعه الصحابي اليمني القائد جرير بن عبد الله البجلي، فوصل الشام بينما كان شرحبيل الكندي يقاتل الروم في بصرى عاصمة حوران فسار إليه خالد وسانده في فتحها، ثم تلت ذلك موقعة أجنادين التي شاركت فيها كل الجيوش العربية الإسلامية في أواسط جمادى الأولى ١٣ هـ وتمت هزيمة الروم فيها كما سيأتي.

[٦٨] - كان ماهان بطريكاً وهو أعلى لقب بعد الملك الروماني، وكان على رأس المدد الروماني الذي وصل اليرموك لما وصل خالد بالمدد إلى اليرموك.

[٦٩] - كان عدد الجيش العربي الإسلامي ستة وثلاثين ألفاً تم تنظيمهم وتقسيمهم إلى ٣٦ =

فَهَزِمَ ماهان وتتابع الروم على الهزيمة وكانوا مائتين وأربعين ألفاً^[٧٠] ، وتقسّموا بين القتل والفرق في الواقوصة، والهوى في الخندق، وقُتِلَ صناديد الروم وفرسانهم، وقُتِلَ تدارق أخو هرقل^(٧٠) وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون حمص فارتحل وأخذ إلى ما وراءها لتكون بينه وبين المسلمين وأصرّ عليها وعلى دمشق.

ويقال إن المسلمين كانوا يومئذ ستة وثلاثين ألفاً^[٧١] سبعة وعشرون منها مع الأمراء وثلاثة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد، وستة آلاف ثبتوا مع عكرمة رداً بعد خالد بن سعيد^(٧١) ، وإن خالد بن الوليد سماهم كراديس ستة وثلاثين كردوساً، لما رأى الروم لقبوا كراديس، وكان كل كردوس ألفاً^(٦٩) ، وكان ذلك في شهر جمادى^[٧٢] . وبينما الناس في القتال قدم البريد من المدينة بموت أبي بكر وولاية عمر^(٧٢) فأسرّه إلى خالد وكتبه عن الناس^[٧٣] ، ثم خرج جرجة من

= كردوساً يضم كل كردوس ألف مقاتل، ولكل كردوس أمير قائد من كبار الصحابة والزعماء القادة، وتم تقسيم الكراديس إلى ثلاث مجموعات، واحدة في القلب والثانية في الميمنة والثالثة في الميسرة ولكل مجموعة من الكراديس الثلاث قائد عام، فكانت:

كراديس القلب: بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، ومعه من كبار الأمراء القادة اليمينيين دحية بن خليفة الكلبي، والقعقاع بن عمرو، ويزيد بن يحيى، وأمرؤ القيس بن عابس، وعياض بن غنم، وسبيع بن الحارث، ومذعور بن عدي، كل منهم على كردوس.

كراديس الميمنة: بقيادة شرحبيل بن حسنة الكندي وعمرو بن العاص، وكان فيها من كبار القادة اليمينيين ذو الكلاع الحميري، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، والسمرط بن الأسود الكندي، ومعاوية بن حديج السكوني، وعبد الله بن قيس الحارثي، وجندب بن عمرو الأزدي، وعمرو بن عبسة (الخوراني)، كل منهم على كردوس.

كراديس الميسرة: بقيادة يزيد بن أبي سفيان، وكان من قادتها حوشب ذو ظليم الحميري. . ولم تحدد الروايات موقع عدد من القادة اليمينيين في تلك الكراديس أمثال جرير بن عبد الله، ومعاذ بن جبل، والأشعث الكندي، وعمار بن ياسر، وبشير بن كعب الحميري، كما تم تقسيم الخيل (الفرسان) إلى فرقتين: فرقة وراء الميمنة بقيادة خالد بن الوليد، وفرقة وراء الميسرة بقيادة قيس بن مكشوح المرادي، مما يدل على علو مكانة ودور قيس بن مكشوح المرادي لمضاهاته بخالد بن الوليد الذي كان أمير الجميع.

[٧٠] - جاء في عدد من المصادر أن الروم كانوا مائة وعشرين ألفاً، وقال ابن خلدون في فقرة آتية إن مقتل تدارق أخو هرقل كان في أجنادين.

[٧١] - في نص الكتاب المطبوع من تاريخ ابن خلدون «ويقال إن المسلمين كانوا يومئذ ستة وأربعين ألفاً» بينما التفصيل ٣٦ ألفاً فصوبنا بموجبه.

[٧٢] - أي إن وقعة اليرموك في جمادى الآخرة عام ١٣هـ ومات أبو بكر الصديق في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣هـ وموقعة اليرموك ما تزال دائرة.

[٧٣] - قال ابن خلدون في فقرة لاحقة «كان أول ما أنفذه عمر من الأمور عزل خالد عن إمارة =

أمراء الروم فطلب خالداً وسأله عن أمره وأمر الإسلام فوعظه خالد فاستبصر وأسلم، وكانت وهناً على الروم، ثم زحف خالد بجماعة من المسلمين فيهم جرجة فقتل من يومه [٧٤]، واستشهد عكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو، وأصيبت عين أبي سفيان، واستشهد سلمة بن هشام، وعمرو وأبان ابنا سعيد [٧٥] وهشام بن العاصي، وهبار بن سفيان، والطفيل بن عمرو [٧٦] وأثبت خالد بن سعيد فلا يعلم أين مات بعد، ويقال استشهد في مرج الصفر في الوقعة الأولى [٧٧].

= جيوش الشام وتولية أبي عبيدة، وجاء الخبر بذلك والمسلمون واقعون عدوهم في اليرموك فكنتم أبو عبيدة الأمر كله [ص ٨٦ ج ٢].

[٧٤] - تتوجت موقعة اليرموك بالانتصار العربي الإسلامي العظيم في يوم اليرموك في أواخر جمادى الآخرة ١٣هـ (أواخر أغسطس ٦٣٤م) وجاء في كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) عن الصحابي مالك بن عبد الله الخثعمي قال: ما رأيت أشرف من رجل برز يوم اليرموك فخرج إليه علاج (أي قائد روماني) فقتله، ثم آخر فقتله، ثم انهزموا فتبعهم. فقلت: من هذا؟ قالوا: عمرو بن معد يكرب قال ابن حجر العسقلاني «كان عمرو بن معد يكرب فحلاً في الشجاعة والشعر... وشهد فتوح الشام، وقال عمرو بن العلاء: لا يُفْضَلُ على عمرو بن معد يكرب فارس في العرب وكان من فحول الشعراء» [ص ٢٠ ج ٣/ الإصابة].

[٧٥] - هو أبان بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس الذي ولاه أبو بكر الصديق على اليمن بعد ثورة قيس بن مكشوح المرادي على الأبناء الفرس وترحيل أغلبهم من اليمن (في رجب ١١هـ) وكان أبان بن سعيد صهر قيس بن مكشوح حيث جاء في كتاب الإصابة أن «كبشة بنت مكشوح المرادية أخت قيس الفارس المشهور، وكانت موصوفة بالجمال، فزوجها أخوها بابان بن سعيد لما ولي إمرة اليمن في خلافة أبي بكر» [ص ٣٩٧ ج ٤]. فأقام أبان بصنعاء والياً على اليمن إلى أن استنفر أبو بكر أهل اليمن لجهاد الروم بالشام حيث «قدم كتاب أبي بكر إلى أبان بن سعيد يخيره بين البقاء في اليمن أو الاستخلاف والقدوم للجهاد، فاستخلف أبان يعلى بن منية على صنعاء ومخاليقها واستخلف معاذ بن جبل عبد الله بن أبي ربيعة على الجند ومخاليقها، فأقر أبو بكر كلاً منهما على ما استخلف عليه» [ص ٧١ قرّة العين] وتدل القرائن على أن يعلى تم استخلافه والياً على اليمن وإن عامل الجند ومخاليقها يتبع الوالي. وقد سار أبان بن سعيد مع قيس بن مكشوح وزعماء وفرسان اليمن لجهاد الروم بالشام في الجيش الأول بقيادة أخيه خالد بن سعيد، وجاء في الإصابة أن أبان استشهد في أجنادين (٢٩ جمادى الأولى ١٣هـ) وقال ابن إسحاق وآخرون استشهد في اليرموك (أواخر جمادى الآخرة ١٣هـ) كما هنا.

[٧٦] - وقع هنا التباس فالصحابي الطفيل بن عمرو الدوسي استشهد في اليمامة عام ١١هـ والذي استشهد في اليرموك ابنه عمرو بن الطفيل.

[٧٧] - هو خالد بن سعيد بن العاصي الذي كان من عمال اليمن وأمير الجيش الأول في فتوح الشام وقد عاش بعد مرج الصفراء كما تقدم، وشهد موقعة أجنادين. وجاء في الإصابة أنه استشهد في أجنادين، وفيه قال عمرو بن معد يكرب قصيدة منها:

فقلت لباعي الخير إن تأت خالداً تُسر وترجع ناعم البال حاصداً
[ص ٤٠٧ ج ١/ الإصابة].

ويقال إن خالداً لما جاء من العراق مدداً للمسلمين بالشام طلب من الأدلاء أن يغوروا به حتى يخرج من وراء الروم، فسلك به رافع بن عمرو الطائي^[٧٨] من فزارة في بلاد كلب حتى خرج إلى الشام^[٧٩] ونحر فيها الإبل، وأغار على مضيخ فوجد به رفقة فقتلهم وأسلمهم، وكان الحرث بن الأيهم وغسان قد اجتمعوا بمرج راهط فسلك إليهم واستباحهم^[٨٠]، ثم نزل بـبصرى ففتحها^[٨١]، ثم سار منها إلى المسلمين بالواقصة وشهد معهم اليرموك، ويقال إن خالداً لما جاء من العراق إلى الشام لقي أمراء المسلمين ببصرى فحاصروها جميعاً حتى فتحوها على الجزية^(٨١)، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص، وعمرو بالغور والروم بجلق مع تدارق أخي هرقل وكشفوا عن جلق إلى أجنادين وراء الرملة شرقاً^[٨٢] ثم تزاحف الناس فاقتتلوا وانهزم الروم وذلك في منتصف جمادى الأولى من السنة وقُتل فيها تدارق^[٨٣].

ثم رجع (جيش) هرقل ولقى المسلمين بالواقصة عند اليرموك فكانت واقعة

[٧٨] - الأصوب رافع بن عميرة الطائي وهو الذي سار بخالد والجيش المدد من بلاد الحيرة بالعراق إلى الشام.

[٧٩] - لعل المقصود طريق السماوة وجبلا طيء وبادية الشام، وكانت ديار كلب تمتد إلى نواحي تدمر، قال الشاعر:

وكلبٌ لها ما بين رملة عالج إلى الحرة الرجلاء من أرض تدمر

[٨٠] - لعل المقصود الحارث بن أبي شمر الغساني فوق التباس، وكان في بصرى التي إليها توجه خالد لمساندة شرحبيل الكندي.

[٨١] - السياق الصحيح كما في فتوح الشام للواقدي وفتوح البلدان للبلاذري أن شرحبيل بن حسنة الكندي كان توجه لفتح بصرى في أربعة آلاف مقاتل، فلما وصل خالد إلى حيث أبو عبيدة والمسلمون باليرموك وعلم بذلك، سار لدعم شرحبيل الذي كان يخوض معركة كبيرة ضد جيش الروم وكان الروم في اثني عشر ألفاً ومعهم بعض عرب بصرى، فاستمرت المعركة أياماً ووصل الروم مدداً من جهة دمشق في اليوم الذي وصل فيه خالد والمعركة دائرة وكفة الروم راجحة فلما وصل خالد بالجيش الذي معه تراجع الروم إلى حصن بصرى وتحصنوا فيه، وقال خالد لشرحبيل: يا شرحبيل كيف غرت بنفسك وبمن معك، أما علمت أن هذه ميناء الشام والعراق وفيها عساكر الروم ويطارقتهم؟ فقال شرحبيل: كله برأي أبي عبيدة، فقال خالد: أبو عبيدة رجل خالص النية وليس عنده غائلة الحرب! ثم صالح خالد وشرحبيل أهل بصرى على الجزية والأمان «وكان قد سبق ذلك فتح جميع أرض كورة حوران» [ص ١٦ فتوح الشام + ص ١٢٠ فتوح البلدان للبلاذري].

[٨٢] - جلق هي دمشق ومنها انطلق الجيش الروماني بقيادة تدارق (تيدرو) وكانوا تسعين ألفاً إلى فلسطين وعسكروا في أجنادين.

[٨٣] - كانت موقعة أجنادين في أواخر جمادى الأولى قبل وفاة أبي بكر بثلاثة وعشرين يوماً.

اليرموك في رجب بعد أجنادين^[٨٤] وبلغت المسلمين وفاة أبي بكر وأنها كانت لثمان بقين من جمادى الآخرة... فكان أول ما أنفذه عمر (بن الخطاب) من الأمور عزل خالد عن إمارة الجيوش بالشام وتولية أبي عبيدة، وجاء الخبر بذلك والمسلمون مواقعون عدوهم في اليرموك فكتب أبو عبيدة الأمر كله، فلما انقضى اليرموك كما مر^[٨٥] سار المسلمون إلى فحل من أرض الأردن وبها رافضة الروم... واقتحموها عنوة وذلك في ذي القعدة، ولحقت رافضة الروم بدمشق^(٨٥).

فتح دمشق

... ثم ساروا (المسلمون) إلى دمشق وعليها نسطاس بن نسطورس^[٨٦]؛ فحاصروها سبعين ليلة وقيل ستة أشهر من نواحيها الأربع، خالد وأبو عبيدة ويزيد وعمرو كل واحد على ناحية^[٨٧]، وقد جعلوا بينهم وبين هرقل مدينة حمص، ومن دونها ذو الكلاع في جيش من المسلمين^[٨٨]، وبعث هرقل المدد إلى دمشق (وكاد

[٨٤] - الأصوب ما تقدم عن هرقل وجيش الروم في اليرموك وأن انتصار اليرموك في أواخر جمادى الآخرة ١٣ هجرية.

[٨٥] - بعث أبو عبيدة نبأ انتصار اليرموك إلى عمر بن الخطاب بمعية الصحابي اليمني القائد جرير بن عبد الله البجلي فوصل إلى عمر بالمدينة في رجب ١٣هـ واستخلف أبو عبيدة قوة باليرموك بقيادة بشير بن كعب الحميري، ثم مضى الجيش العربي الإسلامي لتحرير دمشق وكانت موقعة فحل بعد دمشق كما سيأتي.

[٨٦] - هو نيسيتوس الأمير والقائد الروماني في دمشق. وكان قد تجمع بدمشق جيش من الرومان غير قليل، أما سكان دمشق فكان غالبيتهم عرباً من غسان وقضاة وغيرها، وكان قسم من دمشق يُسمى جلق وفيه قصر جلق الغساني مقر الملوك الغساسنة، وكان جبلة بن الأيهم الغساني هو الملك الغساني آنذاك وقد أسلم.

[٨٧] - كان لدمشق ستة أبواب أو سبعة، كل منها مدخل إلى ناحية من دمشق التي يحيط بها سور منيع، فحاصر الجيش العربي الإسلامي مدينة دمشق وتمركزوا في مواجهة أبوابها ونواحيها السبع وليس الأربع بقيادة كل من:

- ١ - أبو عبيدة بن الجراح في مواجهة باب النجابية.
- ٢ - شرحبيل بن حسنة الكندي في مواجهة باب توما (ناحية شمال دمشق).
- ٣ - خالد بن الوليد في مواجهة الباب الشرقي.
- ٤ - قيس بن مكشوح المرادي في مواجهة باب الفرج أو كيسان (جنوب شرق دمشق).
- ٥ - يزيد بن أبي سفيان في مواجهة الباب الصغير.
- ٦ - عمرو بن العاص في مواجهة باب الفراديس (شمال غرب دمشق).
- ورافع بن عميرة الطائي في عسكر الزحف.

[٨٨] - تمركز ذو الكلاع الحميري على رأس قوة من فرسان حمير بين دمشق وحمص على رأس

فيهم ذو الكلاع^[٨٩]، فسقط في أيديهم وقدموا على دخول دمشق^(٨٩) وطمع المسلمون فيهم، واستغفلهم خالد في بعض الليالي فتسور سورهم من ناحيته وقتل (الوليد) وفتح الباب واقتحم البلد وكبّر وقتلوا جميع من لقوه^[٩٠]، وفضع أهل النواحي إلى الأمراء الذي يلونهم فنادوا لهم بالصلح والدخول، فدخلوا من نواحيهم صلحاً، فأجريت ناحية خالد على الصلح مثلهم^[٩١].

... وكان الفتح في رجب سنة أربع عشرة.

وبعثوا إلى عمر بالفتح (فتح دمشق)، فوصل كتابه بأن يُصرف جند العراق إلى العراق فخرجوا وعليهم هاشم بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع^[٩٢]، وخرج الأمراء إلى فحل، وأقام يزيد بن أبي سفيان بدمشق... وبعث يزيد دحية الكلبي إلى تدمر^[٩٣] وأبا زهير القشيري إلى حوران والبثنة، فصالحوهما، ووليا

= ليلة من دمشق لمنع المدد الروماني من هرقل في حمص من الوصول إلى دمشق، وكانت المعارك حول دمشق بالمجانيق والترامي والزخوف، والروم يتظرون المدد من هرقل.

[٨٩] - وقع في كتاب ابن خلدون المطبوع تصحيف في هذه الفقرة حيث جاء «... وكان فيهم ذو الكلاع» وكذلك في العبارة التي تلتها (ص ٨٦ ج ٢). وجاء النص في تاريخ الطبري كما يلي «... فلما جاءت خيول ومدد هرقل - من حمص - قاصدة دمشق أشجتها الخيول التي مع ذي الكلاع... ولما أيقن أهل دمشق - [أي الروم] - أن الإمداد لا تصل إليهم وهنوا وانقطع رجاؤهم» [ص ٥٧ و ٥٨ ج ٣ - الطبري].

[٩٠] - كانت المواجهة الأساسية في منطقة باب توما بين شرحبيل الكندي والرومان كما في كتاب فتوح الشام للواقدي، ويبدو أن خبر تسلق السور واقتحام البلد عنوة لم يقع لأن فتح دمشق تم صلحاً.

[٩١] - لم يكن لكل ناحية من نواحي دمشق صلح، وإنما بعث الرومان وأهل دمشق إلى أبي عبيدة يطلبون الصلح والأمان فأجابهم إلى ذلك «فلما كتب لهم كتاب الصلح والأمان قالوا له: قم معنا لاستلام المدينة، فقام أبو عبيدة وركب معه خمسة وثلاثون من أعيان الصحابة فدخلوا دمشق واستلموها، وكان منهم خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة الكندي ومعاذ بن جبل وقيس بن مكشوح المرادي وذو الكلاع الحميري ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وأبو هريرة وجريز بن نوفل الحميري وعبد الله بن عمرو الدوسي ونعيم بن عمرو وحسان بن النعمان ودحية الكلبي [ص ٤٥ فتوح الشام].

[٩٢] - كانت العراق تشهد آنذاك معارك كبيرة بين الجيش العربي الإسلامي بقيادة الأمير اليميني جريز بن عبد الله البجلي وبين الأمبراطورية الفارسة - كما سيأتي - فأخذ عمر بن الخطاب في بعث الإمدادات إلى جبهة العراق، وكان ممن انطلق وسار إلى العراق أيضاً قيس بن مكشوح المرادي في سبعمائة فارس، والأشعث الكندي في ألف وسبعمائة وعمرو بن معد يكرب وغيرهم.

[٩٣] - هو الصحابي الأمير اليميني الكبير دحية بن خليفة الكلبي الحميري الذي كان مبعوثاً =

عليهما^(٩٣)، ووصل الأمراء إلى فحل فيبتهم الروم فظفر المسلمون بهم وهزموهم فقتل منهم ثمانون ألفاً وكان على الناس في وقعة فحل شرحبيل بن حسنة^[٩٤] فسار بهم (شرحبيل) إلى بيسان وحاصرها فقتل مقاتلتها وصالحه الباقر فقبل منهم، وكان أبو الأعور السلمي على طبرية محاصراً لها فلما بلغهم شأن بيسان صالحوه^[٩٥] فكمل فتح الأردن صلحاً ونزلت القواد في مدائنهم وقراها وكتبوا إلى عمر بالفتح^[٩٦].

وزعم الواقدي أن اليرموك كانت سنة خمس عشرة وأن هرقل انتقل فيها من انطاكية إلى القسطنطينية وأن اليرموك كانت آخر الوقائع، والذي تقدم لنا من رواية سيف أن اليرموك كانت سنة ثلاث عشرة وأن البريد بوفاة أبي بكر قدم يوم هربت الروم فيه وأن الأمراء بعد اليرموك ساروا إلى دمشق ففتحوها، ثم كانت بعدها وقعة فحل ثم وقائع أخرى قبل شخوص هرقل (إلى القسطنطينية)، والله أعلم^[٩٧].

= رسول الله ﷺ إلى هرقل، ثم كان من قادة اليرموك وفتح دمشق ثم انطلق دحية من دمشق إلى تدمر حيث كما جاء في تاريخ الطبري أيضاً «فتح دحية بن خليفة الكلبي تدمر وولي القيام على ما بعث إلى فتحه» [ص ٥٨ ج ٢] ومكث دحية أميراً لتدمر في خلافة عمر وعثمان، ثم سكن في المزة بدمشق وعاش إلى خلافة معاوية وتوفي بمدينة دمشق.

[٩٤] - مقتضى ذلك أن موقعة فحل كانت في ذي القعدة عام ١٤هـ حيث حقق الجيش العربي الإسلامي بقيادة شرحبيل بن حسنة الكندي انتصاراً كبيراً، قال الطبري: «ولما فرغ شرحبيل من وقعة فحل نهد في الناس إلى بيسان فحاصرها أياماً (إلى أن فتحها)» [ص ٥٩ ج ٢].

[٩٥] - كان أبو الأعور من قادة جيش شرحبيل، ثم سار شرحبيل إلى طبرية وهو الذي صالحوه، حيث كما ذكر البلاذري «افتتح شرحبيل الأردن عنوة خلا طبرية فإن أهلها صالحوه على أن أمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومنازلهم واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً، وقد فتح شرحبيل جميع بقية مدن الأردن وحصونها على هذا الصلح... وفتح عكا وصور وصفورية» [ص ١٢٣].

[٩٦] - تولى شرحبيل بن حسنة الكندي إمرة الأردن وأغلب فلسطين حيث كما جاء في تاريخ الطبري «إن عمر بن الخطاب أمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها» [ص ٢٠٢ ج ٧] ولما توجه عمر بن الخطاب لاستلام القدس سار معه عمرو بن العاص وشرحبيل الكندي فدخل القدس مع عمر بن الخطاب كما ذكر ابن خلدون (ص ١٠٦ ج ٢) وقال «وكان ذلك سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة» (اه) ولما تم فتح مصر ساهم شرحبيل في الفتح ثم عاد إلى فلسطين والأردن وتم إضافة بقية فلسطين إلى إمرته بحيث كما ذكر ابن كثير في كتاب البداية والنهاية كان شرحبيل «أمير فلسطين» [ص ٩٣ ج ٧] واستمر كذلك إلى أن توفي بعد عام ٢١ هجرية لأنه شارك في فتح مصر عام ٢١هـ وقيل إنه مات قبل ذلك.

[٩٧] - انتهى هذا القسم من الفتوحات بهذه العبارة (ص ٨٧ ج ٢ - تاريخ ابن خلدون).

ولاية يعلى بن منية على اليمن ... والخبر عن أهل اليمن في فتوح العراق وفارس وما رافقها... في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان^[٤١]

ولاية يعلى بن منية على اليمن^[٤٢]

... كان بعث أبي عبيد أول بعث بعثه عمر (بن الخطاب)^[٤٣]، ثم بعث بعده يعلى بن منية إلى اليمن^[٤٤]، وأمره باجلاء أهل نجران^[٤٥] لوصية رسول الله ﷺ

[١]- استحدثنا هذا العنوان لمضامين هذا الفصل الذي يشمل ما ذكره ابن خلدون عن ولاية يعلى بن منية وعن دور اليمنيين في فتوح العراق وفارس وغيرها في خلافة عمر وعثمان التي استمر يعلى بن منية والياً لليمن خلالها.

[٢]- هو يعلى بن منية (بضم الميم وسكون النون والياء المثناة) بن أبي عبيدة الحنظلي، ويقال له يعلى بن أمية أيضاً، ويقال إن أمية اسم أبيه ومنية اسم أمه، وقد تقدم قول ابن خلدون إن يعلى بن منية كان من عمال نواحي اليمن في الجند ومخالفها لما توفي رسول الله ﷺ وفي خلافة أبي بكر (١١ - ١٣هـ) وذكرنا ولاية أبان بن سعيد بن العاصي على اليمن في خلافة أبي بكر، فلما استنفر أبو بكر أهل اليمن لجهاد الروم في الشام سار أبان بن سعيد للجهاد (عام ١٢/١٣هـ) واستخلف يعلى بن منية على صنعاء ومخالفها، وكان عبد الله بن أبي ربيعة عاملاً على الجند ومخالفها، قال ابن الدبيع «فأقر أبو بكر كلا منهما على ما استخلف فيه» [ص ٧٠ قرّة العيون] فتكون ولاية يعلى بدأت في خلافة أبي بكر لأنه كان بصنعاء حيث كما ذكر ابن خلدون «كان الولاة على اليمن ينزلون صنعاء» [اهـ جـ ٤].

[٣]- أي بعث أبي عبيد بن مسعود الثقفي إلى العراق في أول خلافة عمر بن الخطاب الذي تولى الخلافة في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣هـ.

[٤]- بما أن يعلى بن منية كان في اليمن يتبين أنه سار من اليمن إلى عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة في أول خلافته، وجاء في قرّة العيون أن عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة «أبقى عمال اليمن على حالهم» [ص ٨٠] وأن عمر بن الخطاب استدعى يعلى من اليمن مرتين وقيل بل ثلاث مرات لثلاثة أسباب [ص ٨١ قرّة العيون] ربما كان أولها بخصوص نصارى نجران.

[٥]- المقصود النصارى المسيحيين من أهل مخالف نجران، وقد تقدم أن النبي ﷺ صالحهم =

بذلك في مرضه وقال أخبرهم أنا نُجْلِيهم بأمر الله ورسوله أن لا يُترك دينان بأرض (جزيرة) العرب، ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم وفاء بدمتهم كما أمر الله^[٦].
 «... واستقر اليمن في ولاية يعلى بن منية^[٧]، ولقي عائشة

= وكتب لهم كتاباً، وكذلك كتب أبو بكر لهم كتاباً بتجديد كتاب وعهد رسول الله ﷺ لهم، وقد يقال إن عددهم كان أربعين ألفاً وهو عدد يبعث على القلق، وكان فريق منهم وهم (أهل رعاش) أسلموا في أول خلافة عمر وولاية يعلى بن منية فكتب عمر كتاباً إليهم يخبرهم بين التوبة أو الجلاء من نجران، وقال في الكتاب «فمن أبى إلا النصرانية، فإن ذمتي بريئة ممن وجدناه - بعد عشر تبقى من شهر الصوم - من النصارى بنجران. . . وأن يعلى كتب يعتذر أن يكون أكره أحداً منكم على الإسلام أو عذبه عليه» (اه).

[٦] - تم إجلاء النصارى من أهل نجران بأكملهم من اليمن إلى العراق والشام، وكتب لهم عمر بن الخطاب كتاباً إلى امراء الشام والعراق بمنحهم أرضاً مكان أرضهم باليمن وأن «جزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً» فنزل فريق منهم بالشام ونزل فريق منهم النجرانية التي بناحية الكوفة من العراق، ولم تحدد المصادر زمن ذلك ويبدو أنه بعد تمصير الكوفة.

[٧] - أوردنا هذه الفقرة من حديث ابن خلدون في الجزء الرابع بعنوان «أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه» لارتباط ذلك بما تقدم عن ولاية يعلى بن منية في الجزء الثاني (ص ٨٨ ج ٢ تاريخ ابن خلدون) وقوله: «استقر اليمن في ولاية يعلى بن منية» يُحتمل أنه يقصد استقرار اليمن لعدم وقوع ثورات وفتن كما حدث في أول خلافة أبي بكر، كما يُحتمل أنه يقصد استقرار يعلى والياً لليمن فترة طويلة، فقد مكث يعلى والياً لليمن طيلة خلافة عمر بن الخطاب (١٣هـ - ٢٣هـ) وجاء في ترجمته بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة أنه «كان عامل عمر على اليمن. . . وقال الحاكم: كان عامل عمر على نجران» [ص ٦٦٩ ج ٣] وجاء في كتاب الاستيعاب أنه «كان عاملاً على صنعاء وكذلك (على الجند) . . .» [ص ٦٦١] وفي قرة العيون أنه كان «عاملاً على صنعاء ومخاليفها» [ص ٨١] وليس في ذلك تعارض، فقد كان والياً أميراً على اليمن كلها وتتبعه نجران ومخاليفها والجند ومخاليفها إلى حضرموت وكان يقيم بصنعاء عاصمة ولاية اليمن.

وجاء في (الإصابة) و(الاستيعاب): «إن يعلى بن منية حمى لنفسه حمى، فبلغ ذلك عمر فاستدعاه (معزولاً) وأمره أن يمشي على رجله إلى المدينة فمشى من صنعاء خمسة أيام أو ستة إلى صعدة، وبلغه موت عمر - وهو بصعدة - فمضى إلى المدينة فوصلها وقد تولى عثمان الخلافة، فأعاد عثمان عاملاً على اليمن» (اه).

وجاء في (تاريخ صنعاء للرازي): أنه لما أعاد عثمان بن عفان يعلى بن منية والياً لليمن «استقبله أهل اللهو واللعب والريح حتى مشوا بين يديه ودخل صنعاء فرحاً مسروراً واحجرت النساء في منزله ودوره، وكانت دور يعلى خلف المسجد الجامع بصنعاء في غربيه عند باب المسجد الذي يدعى باب الشهابيين» [ص ١٦٥].

ومكث يعلى والياً لليمن طيلة خلافة عثمان بن عفان أيضاً (٢٣هـ - ٣٦هـ) قال ابن عبد البر في كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب): «وكان يعلى سخيماً معروفاً بالسخاء. . . وكان =

بمكة^[٨] فسار معها وحضر حرب الجمل^[٩]، . . . وكان الولاة على اليمن ينزلون صنعاء^[١٠]» (اهـ).

بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى العراق وفتوحاته^[١١]

. . . لما بلغ عمر رضي الله عنه وقعة أبي عبيد بالجسر^[١٢]، ندب الناس إلى المثنى، وكان فيمن ندب بجيله، وأمرهم إلى جرير بن عبد الله لأنه الذي جمعهم من القبائل بعد أن كانوا متفرقين، ووعدته النبي ﷺ بذلك، وشغل عن ذلك أبو بكر بأمر الردة، ووفى له عمر به، وسيّره مدداً للمثنى بالعراق^[١٣]، وبعث عصمة بن

= عظيم الشأن عند عثمان، وله يقول الشاعر:

إذا ما دعا يعلى وزيد بن ثابت
لأمر ينوب الناس أول لخطوب

[ص ٦٦٢]

[٨] - وذلك بعد مقتل عثمان بن عفان حيث سار يعلى من اليمن وانضم إلى أم المؤمنين عائشة في دعوة الثأر لعثمان.

[٩] - موقعة الجمل في البصرة بين الخليفة علي بن أبي طالب ومن معه، وعائشة وطلحة والزبير ومن معهم في عام ٣٦هـ.

[١٠] - يؤكد هذا النص أن صنعاء كانت عاصمة كل اليمن ومقر والي اليمن، وكانت دار الوالي بصنعاء هي المذكورة بأنها «دور يعلى خلف المسجد الجامع بصنعاء في غربيه عند باب المسجد الذي يدعى باب الشهابيين» كما تقدم.

[١١] - تقدم أن جرير بن عبد الله البجلي كان من كبار الزعماء والصحابة اليمنيين وأنه لما وفد إلى النبي ﷺ قال النبي ﷺ «أتاكم خير ذي يمن، على وجهه مسحة مملّك» (اهـ) وجاء في كتاب الاستيعاب أنه «. . . كان جرير بديع الجمال مفرط الطول. . . وكان عمر بن الخطاب يقول: جرير بن عبد الله يوسف هذه الأمة» [ص ٢٣٢] وكان جرير خطيباً بليغاً قوي الحجّة، وفيه قيل:

لَعَمْرُ أَبِيكَ وَالْأَنْبَاءِ تَنَمَّى
لَقَدْ جَلَى بِخَطْبَتِهِ جَرِيرُ

وكان من زعماء وعمال اليمن في عهد رسول الله ﷺ وأوائل عهد أبي بكر - كما تقدم - ثم كان من قادة الجيش العربي الإسلامي الذي بعثه أبو بكر إلى العراق بقيادة خالد بن الوليد عام ١٢ هجرية حيث تم آنذاك فتح (الحيرة) صلحاً، وكذلك (بانقيا) ونواحي من (كسكر) و(عين التمر) و(الأنبار) صلحاً، وكتب خالد كتباً لأهل تلك النواحي بما تم الصلح عليها وكان جرير من الشهود المذكورين في تلك الكتب [ص ٣٢٨ - الوثائق السياسية] ثم سار جرير مع خالد إلى الشام وشهد اليرموك وحمل نبأ نصر اليرموك إلى عمر بن الخطاب.

[١٢] - أورد ابن خلدون نبأ موقعة الجسر قبل هذه الفقرة (ص ٨٩ ج ٢) وهي موقعة كبيرة دارت في موضع الجسر (جسر الحيرة وقس الناطف بالحيرة في شعبان ١٣هـ) بين جيش فارسي كبير بقيادة مهران بن باذان ويهمن بن داؤويه ومردنشاہ وبين العرب المسلمين بقيادة أبي =

عبد الله الضبي . وكتب . . . بأن يوافوا المثنى ، وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فوافوا في جموع عظيمة حتى نصارى النمر جاؤوا وعليهم أنس بن هلال وقالوا نُقاتل مع قومنا . وبلغ الخبر إلى رستم والفيروزان فبعثا مهران الهمداني إلى الحيرة^[١٤] ، والمثنى بين القادسية وخفان فلما بلغه الخبر استبقى فرات باذقلا وكتب بالخبر إلى جرير وعصمة أن يقصدا العذيب مما يلي الكوفة فاجتمعوا هنالك^[١٥] ، ومهران قبالتهم (في) عدوة الفرات ، وتركوا له العبور

= عبيدة بن مسعود الثقفي الذي قاتل حتى استشهد ، قال ابن خلدون «وقاتل أبو زيد الطائي وكان نصرانياً أتى الحيرة لبعض أمره فقاتل حمية للعرب» وأسفرت المعركة عن انتصار الفرس حيث كما ذكر ابن خلدون «هلك من المسلمين يومئذ أربعة آلاف وهرب ألفان وبقي ثلاثة آلاف» انحاوا مع المثنى بن حارثة في بعض النواحي ، قال الطبري «وكان بين موقعة اليرموك والجسر أربعون ليلة ، وكان الذي جاء بالخبر عن اليرموك جرير بن عبد الله البجلي الحميري ، والذي جاء بالخبر عن الجسر عبد الله بن زيد الأنصاري . وأتى قُلُ المسلمين إلى المدينة ، وجزع الناس من الفرار» [ص ٦٧ ج٧] .

[١٣] - لم يكن جرير بن عبد الله مدداً للمثنى ومن معه فقط وإنما كان أيضاً أميراً وقائداً ، قال البلاذري «بعث عمر جريراً على أن يُعطى وقومه ربع ما غلبوا عليه ، فسار نحو العراق . . . وقد ندب عمر الناس إلى العراق فجعلوا يتحامونه ويتناقلون عنه . . . وقال عمر لجرير: هل لك في العراق وانفلك الثلث بعد الخمس ، فقال جرير: نعم . . .» [ص ٢٥٣ فتوح البلدان] وقال ابن كثير: «أرسل عمر بن الخطاب جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق» [ص ٢٦ ج٧/ البداية والنهاية] وكان الذين ساروا مع جرير منهم سبعمائة من بجيلة جاؤوا مع عرفجة البارقي ومنهم بقية بجيلة الذين جمعهم جرير وخلق من أزد عسير ونجران ، وكلهم من اليمن ، «وسلك جرير الطريق على فيد والثعلبة إلى العذيب فالحيرة والكوفة» وكانت الحيرة وبانقيا وغيرها قد انتقضت بعد موقعة الجسر فأعاد جرير افتتاح الحيرة صلحاً . قال البلاذري: «ثم سار جرير إلى أهل بانقيا فصالحوه ، وقبض جرير منهم ومن أهل الحيرة صلحهم وكتب لهم كتاباً» [ص ٢٤٦] .

[١٤] - هو مهران بن باذان ، الذي كان والده باذان عاملاً لكسرى في اليمن ، وكان مهران بن باذان وبهم بن داؤويه على رأس الفُرس الأبناء الذين أجلاهم قيس بن مكشوح المرادي من اليمن في الثورة التي قادها بصنعاء (رجب ١١هـ) - كما تقدم - وربما ولاه الفرس على إقليم همدان فتمت نسبه إليه ، قال الطبري «حدثني من لا أنهم من أهل العلم أن مهران كان عربياً - أي يتكلم العربية - نشأ مع أبيه باذان باليمن إذ كان عاملاً لكسرى» [ص ٧٨ ج٧] وتقدم مهران للمبارزة في موقعة البويب وهو يقول:

إن تسألوا عني فإني مهران أنا لِمَنْ أنكرني ابنُ باذان

[١٥] - كان جرير هو الأمير ويؤكد ذلك ما ذكره الطبري وابن إسحاق من أنه «لما سار جرير بن عبد الله من الكوفة إلى البويب ، كتب إليه المثنى بن حارثة: أن أقبل إلي فإبنا أنت مدد لي ، =

فأجاز إليهم . . . وعلى مجنبتَي مهزان مرزبان الحيرة (المزدكية) ومردانشاه^[١٦]، ووقف المثنى على الرايات يحرض الناس^[١٧]، فأعجلتهم فارس وخالطوهم وركدت حربهم واشتدت^(١٧) ثم حمل المثنى على مهزان فأزاله عن مركزه^[١٨]، وأصيب مسعود أخو المثنى، وخالط المثنى القلب، ووثبت المجنبات على المجنبات قبالتهم، فانهزمت الفرس، وسبقهم المثنى والمسلمون إلى الجسر فهربوا مصعدين ومنحدرين واستلحمتهم خيول المسلمين، وقُتل فيها مائة ألف أو يزيدون (من الفُرس)^[١٩]، وأحصي مائة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة، وتبعهم المسلمون إلى الليل^(١٩).

= فكتب إليه جرير: إني لست فاعلاً إلا أن يأمرني بذلك أمير المؤمنين، فكتب المثنى إلى عمر بمحل جريراً، فكتب عمر إلى المثنى: إني لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب محمد ﷺ، يعني جرير بن عبد الله^[ص ٧٨ ج ٧/ تاريخ الطبري].

[١٦] - كان من قادة الجيش الفارسي بهمن بن داذويه وكان مهزان بن باذان الأمير القائد، والمعركة المذكورة هنا هي موقعة البويب.

[١٧] - كان المثنى مصاباً بجروح بالغة من موقعة الجسر سألته الذكر، وكان جرير هو الأمير القائد في موقعة البويب حيث كما ذكر الطبري «عبى جرير الجيش، وقال: إني مكبر ثلاث تكبيرات فتهياًوا، فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم واقتتلوا قتالاً شديداً، ورأى المثنى في بعض الصفوف خللاً فبعث إلى جرير، فبعث جرير إليهم يقول: لا تفضحوا العرب اليوم، فاعتدلوا. . وقال جرير: يا معشر المسلمين عاداتكم، انصروا الله ينصركم» [ص ٧٨ ج ٧].

[١٨] - جاء في تاريخ الطبري أنه «اقتحم جرير على مهزان فاحتز رأسه، وشد المنذر بن حسان قطعته» وذكر البلاذري النبأ اليقين عن الموقعة قائلاً «التقى المسلمون وعدوهم فأبلى شرحبيل بن السمط الكندي يومئذٍ بلاءً حسناً. . وحمل المسلمون حملة رجل واحد محققين صابرين (في اليوم التالي) فقتل الله مهزان وهزم الكفرة فاتبعهم المسلمون يقتلونهم. . وكان الذي قتل مهزان جرير بن عبد الله والمنذر بن حسان» [ص ٢٥٤ فتوح البلدان للبلاذري].

[١٩] - وكذلك ذكر ابن كثير في كتاب البداية والنهاية قائلاً: «. . . واقع جرير بن عبد الله الفرس وقتل قائدهم (مهزان) وهزمهم عند النخيلة (في البويب) وغرق أكثرهم في دجلة، وتمكن منهم المسلمون بقية ذلك اليوم وتلك الليلة، فيقال إنه قُتل من الفرس يومئذٍ وغرق قريب من مائة ألف. وكانت هذه الوقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام. . وذلت لهذه الوقعة رقاب فارس. . وبعث جرير بالبشارة والأخماس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه» [ص ٢٩ ج ٧/ البداية والنهاية].

فتوح جرير بعد موقعة البويب [٢٠]

وأرسل المثنى في آثار الفرس، فبلغوا سابات فغنموا وسبوا سابات واستباحوا القرى ومخروا السواد بينهم وبين دجلة لا يلقون مانعاً^[٢١]، ورجع المنهزمون إلى رستم فاستهانوا ورضوا أن يتركوا ما وراء دجلة.

ثم خرج المثنى من الحيرة واستخلف بشير بن الخصاصية وسار نحو السواد ونزل الليس من قرى الأنبار فسميت الغزاة غزاة الأنبار الآخرة وغزاة الليس الآخرة^[٢٢]، وجاءت إلى المثنى عيون فدلته على سوق الخنافس وسوق بغداد، وأن سوق الخنافس أقرب ويجتمع بها تجار المدائن والسواد وخفراؤهم ربيعة وقضاعة، فركب إليها^(٢٢) وأغار عليها يوم سوق فاشتف السوق وما فيها وسلب الخفراء ورجع إلى الأنبار، فأتوه بالعلوفة والزد وأخذ منهم ادلاء. . وسار بهم إلى بغداد ليلاً وصبح السوق فوضع فيهم السيف وأخذ ما شاء من الذهب والفضة والجيد من كل شيء ثم رجع إلى الأنبار^(٢٢). . . ولما سمع المثنى أن جميع من

[٢٠] - كانت موقعة البويب في أواخر عام ١٣هـ، قال الطبري وابن إسحاق «وتوفي المثنى بن حارثة من إصابته في هذه السنة وهي سنة ثلاث عشرة» (اه) وكذلك ذكر ابن كثير أنه «انتقض جرح المثنى الذي كان جرحه يوم الجسر فمات في هذه السنة» [ص ٣٦] ويتبين من ذلك أن الأحداث والفتوح التي تلت موقعة البويب عام ١٤هـ كانت بتوجيه وقيادة جرير وأن المثنى كان قد مات.

[٢١] - كان المثنى قد بعث غارة إلى سابات قبل موقعة الجسر فوقع التباس في إيرادها هنا محل فتح جرير لسابات بعد موقعة البويب حيث كما جاء في تاريخ الطبري «قال جرير: يا معشر المسلمين انتدبوا إلى السيب. فإنما تنتظرون إحدى الحسينيين الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة، فساروا حتى بلغوا السيب فنصرهم الله، وأصابوا من الغنائم شيئاً كثيراً. . وكتب جرير إلى عمر يستأذنه في المضي والتقدم في بلاد فارس، فأذن لهم. . وأغاروا حتى بلغوا سابات، وتحصن أهل سابات منهم فاستباحوا القرى دونها، ورأماهم أهل الحصن بسابات ففتح المسلمون الحصن وكان أول من دخل الحصن جرير وعصمة وعاصم» [ص ٧٧ ج٧]. وكذلك قال الطبري في موضع آخر «افتتح جرير والمسلمون سابات وتكريت وميسان» [ص ٧٨ ج٧].

[٢٢] - كانت غارة المثنى إلى الأنبار وكذلك سوق الخنافس وبغداد قبل موقعة الجسر، وكان قد تم فتح الأنبار صلحاً في المسير الأول بقيادة خالد بن الوليد ثم انتقضت الأنبار وغيرها بعد انتصار الفرس في موقعة الجسر، فأعاد جرير بن عبد الله فتحها بعد موقعة البويب وفتح السيب وسابات - عام ١٤هـ - حيث «أرسل جرير غارة على سوق بغداد وهو السوق العتيق الذي كان عند قرن الصراة، فملا المسلمون يدهم من الغنائم، ثم باتوا بالسليحيين وأتوا الأنبار فحاصروها، وشنوا الغارات على نواحي الأنبار» قال البلاذري «فتح جرير بوازيج =

يملك البلاد قد انتجع شاطئ دجلة، خرج في إتباعهم فأدركهم بتكرير فغنم ما شاء وعاد إلى الأنبار^[٢٣]، ومضى عتيبة (بن النهاس) وفرات (بن حيان التغليبي) حتى أغارا على النمر وتغلب بصفين^[٢٤]، وتمكن رعب المسلمين من قلوب أهل فارس، وملكوا ما بين الفرات ودجلة.

مُتَّخَبٌ مِنْ أَخْبَارِ الْقَادِسِيَّةِ^[٢٥]

ولما دهم أهل فارس من المسلمين بالسواد^[٢٦] ما دهمهم، وهم مختلفون بين رستم والفيروزان، اجتمع عظماءهم وقالوا لهما: إمّا أن تجتمعا وإلا فنحن لكما

= الأنبار، وبها قوم من مواليه» [ص ٢٤٧] ثم فتح جرير مدينة الأنبار صلحاً، قال البلاذري «حدثني مشائخ من أهل الأنبار أنهم صالحوا في خلافة عمر بن الخطاب على أربعمئة ألف درهم وألف عباءة قطوانية في كل سنة وتولى الصلح جرير بن عبد الله البجلي، ويقال: صالحهم جرير على ثمانين ألفاً» [ص ٢٤٧]. وكذلك ذكر الطبري أنه «افتتح جرير بغداد» [ص ٧٩ ج٧].

[٢٣] - ربما كان المثنى أغار إلى تكرير قبل موقعة الجسر، أما جرير بن عبد الله فافتتحها، قال الطبري «كما فتح جرير ميسان وتكرير» (٧/٨٢).

[٢٤] - قال الطبري «وشن جرير الغارات فيما بين أسفل كسكر وأسفل الفرات وجسور مثقب إلى عين التمر وما والاها وأرض الفلاليج والغار. . . وتوغل بعض القادة منهم سبرة بن أبي رهم فكانوا في أمواه العراق. . . وكان جرير في غُضَيِّ بحيان البصرة. . . والعراق من أولها إلى آخرها مسالِح للمسلمين ينظر بعضهم إلى بعض ويغيث بعضهم بعضاً» [ص ٧/٨٢].

[٢٥] - عنوان ابن خلدون هو «أخبار القادسية» ص ٩١ ج٢، وبما أننا سنقتصر على إيراد ما ذكره ابن خلدون عن أهل اليمن والزعماء اليمنيين باعتبار ذلك يرتبط بتاريخ اليمن مع الحفاظ على السياق العام جعلنا العنوان «منتخب من أخبار القادسية».

[٢٦] - السواد هو سواد العراق فيما يلي نهر الفرات، قال أسعد بن حسان الحميري في عصر الدولة الحميرية:

لَسْتُ بِالسَّبْعِ الْيَمَانِيِّ إِنْ لَمْ تَرْكُضِ الْخَيْلُ فِي سِوَادِ الْعِرَاقِ

وقد تقدم في الهامش قول الطبري «وشن جرير الغارات فيما بين أسفل كسكر وأسفل الفرات وجسور مثقب إلى عين التمر وما والاها وأرض الفلاليج والغار، وتوغل بعض القادة. . . فكانوا في أمواه العراق» [ص ٨٢] وقال البلاذري «افتتح جرير خانقين ونواحي سواد دجلة (ص ٢٤٦) ولم يزل المسلمون يشنون الغارات فيما بين كسكر وسور أوبريسما وهريرة جاماسب وما بين الفلوجتين والنهرين. . . وفتحوا حصن مليقيا، واجلوا العجم عن مناظر كانت بالطف، وعبر بعض المسلمين نهر سورا فاتوا كوئي، ونهر الملك، وبادوريا، وكلواذي» [ص ٢٥٥].

وقد كان أغلب ذلك بعد القادسية وفتح المدائن وجولاء كما سيأتي.

حرب فقد عرضتمونا للهلكة وما بعد بغداد وتكرت إلا المدائن، فأطاعا لذلك، وفرعوا إلى بوران (بنت كسرى) يسألونها في ولد من كسرى يولونه عليهم، فأحضرت لهم النساء والسرايري وبسطوا عليهن العذاب، فذكروا لهم غلاماً من شهريار بن كسرى اسمه يزدجرد أخذته أمه عندما قتل شيرويه أبناء أبيه، فسألوا أمه عنه فدلتهم عليه عند أخواله كانت أودعته عندهم حينئذ، فجاؤوا به ابن إحدى وعشرين سنة فملكوه واجتمعوا عليه [٢٧٧]، وتبارى المرازبة في طاعته، وعين المسالحو والجنود لكل ثغر ومنها الحيرة والأبلة والأنبار، وخرجوا إليها من المدائن [٢٧٨].

وكتب (المثنى) بذلك إلى عمر [٢٧٩]. ولما وصل كتابه إلى عمر قال: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس [٣٠].

وكتب عمر إلى عماله على العرب أن يبعثوا إليه من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي [٣١]، فجاءته أفواجهم إلى المدينة، ومن كان أقرب إلى العراق

[٢٧] - هو الملك الفارسي كسرى يزدجرد.

[٢٨] - استنفر يزدجرد الأعاجم من بلاد فارس ومن خراسان (آسيا الوسطى) فتجمع في المدائن جيش كبير ثم ساروا بقيادة رستم «وهم زهاء مائة وعشرين ألفاً ومعهم ثلاثون فيلاً ورايتهم العظمى التي تدعى (درفشكايان) فعسكروا في (طيزناباذ). ثم أقبل قائد فارسي آخر على رأس جيش وعسكروا في منطقة تُسمى (رس).» [اه].

[٢٩] - وقع التباس في الرواية التي نقلها ابن خلدون بين كتاب المثنى بن حارثة بعد موقعة الجسر إلى عمر بن الخطاب (شعبان ١٣هـ). وبين كتاب جرير والمسلمين إلى عمر قبل القادسية في أواخر عام ١٤هـ وكان المثنى قد مات كما تقدم - عام ١٣هـ - وكان جرير هو الأمير والقائد بالعراق، فكتب إلى عمر بالجيوش والحشود الفارسية الضخمة.

[٣٠] - استنفر عمر بن الخطاب زعماء فرسان العرب خاصة من اليمن ومن الجيش العربي الإسلامي بالشام كما تقدم في نبأ فتح دمشق في رجب ١٤هـ أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح «بأن يصرف جند العراق إلى العراق فخرجوا وعليهم هشام بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع» (اه) قال البلاذري «وكتب عمر إلى أبي عبيدة بالشام أن أبعث قيس بن مكشوح المرادي فيمن انتدب معه، فقدم قيس متعجلاً إلى القادسية في سبعمائة» [ص ٢٥٧ فتوح البلدان للبلاذري].

[٣١] - كان من العمال الأمراء الذين كتب إليهم عمر بن الخطاب، أبو عبيدة بن الجراح أمير الشام وشرحبيل بن حسنة الكندي أمير الأردن ويعلى بن منية أمير ووالي اليمن وعمال نواحي ومخاليف اليمن من تهامة إلى عمان، والعلاء بن الحضرمي أمير البحرين، ووقع استنفار عربي كبير لمواجهة الأمبراطورية الفارسية وجيوشها، وخاصة في اليمن وبين اليمنيين داخل اليمن وخارجها.

انضم (إلى من فيها) [٣٢٢]، فلما اجتمعت عنده أمداد العرب خرج من المدينة واستخلف عليها علياً وعسكر على صرار من ضواحيها . . . فأحضر الناس واستشارهم في المسير إلى العراق، فقال العامة: سر ونحن معك فوافقهم، ثم رجع إلى أصحاب رسول الله ﷺ وأحضر علياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن (وعثمان) واستشارهم فأشاروا بمقامه وأن يبعث رجلاً آخر من الصحابة بالجنود حتى يفتح الله على المسلمين ويهلك عدوهم، فقبل ذلك ورأى فيه الصواب، وعين لذلك سعد بن أبي وقاص وكان على صدقات هوازن فأحضره وولاه حرب العراق وأوصاه . . . ثم سرحه في أربعة آلاف ممن اجتمع إليه [٣٢٣] فيهم حميضة بن النعمان بن حميضة على بارق [٣٢٤]، وعمرو بن معد يكرب [٣٢٥] وأبو سبرة بن أبي رهم على مذحج [٣٢٦] ويزيد بن الحرث الصدائي على عذرة وجنَّب [٣٢٦] . . . والحصين بن نمير ومعاوية بن حديج على السكون (من) كندة [٣٢٧] ثم أمده بعد

[٣٢٢] - في نص ابن خلدون «انضم إلى المشي» وذلك نتيجة الخلط بين ما بعد موقعة الجسر وما قيل القادسية، والصواب أن الذين كانوا أقرب إلى العراق في هذا الاستنفار انضموا إلى جرير ومن كان بالعراق، فكان من الذين توجهوا إلى العراق «قيس بن مكشوح المرادي في سبعمائة من فرسان مراد واليمن» وشرحبيل بن السنط الكندي وأغلب الزعماء والقادة اليمنيين الذين كانوا شاركوا في فتح دمشق (في رجب ١٤هـ) بحيث قال الطبري «. . . وبقي بدمشق من قواد أهل اليمن عدد منهم عمرو بن شمر بن غزية وسهم بن المسافر ومشافع بن عبد الله ودحية بن خليفة الكلبي» [ص ٥٨ ج ٧] أما البقية فتوجهوا إلى جبهة العراق وكذلك من كان في البحرين وعمان وطبي.

[٣٢٣] - سار سعد من المدينة في أربعة آلاف، قال الطبري «منهم ثلاثة آلاف من مدد أهل اليمن وألف من سائر الناس» [اه].

[٣٢٤] - بارق قبيلة من اليمن من مخاليف نجران وعسير.

[٣٢٥] - لم يكن عمرو بن معد يكرب ممن سار مع سعد وإنما بعثه عمر مدداً إليه، وكان عمرو قد شهد اليرموك وفتح دمشق - كما تقدم - ثم أتى إلى المدينة وربما أتى إلى اليمن ثم عاد إلى المدينة في فرسان من مذحج، وقد تواتر في سائر المصادر أن عمر بن الخطاب «كتب إلى سعد في القادسية إني أمددتك بألفي رجل عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد» وتضيف إحدى الروايات إنه قال «ولا توليها من الأمر شيئاً . . .» بينما الصحيح كما في طبقات ابن سعد «فاحضرهما وشاورهما في الحرب، فإن كل صانع أعلم بصناعته».

[٣٢٦] - كان مسير أبي سبرة بن أبي رهم متقدماً، وفي تاريخ الطبري «كان ممن سار مع سعد من مدد أهل اليمن ألف وثلثمائة من مذحج على ثلاثة رؤساء منهم أبو سبرة بن ذؤيب الجعفي ويزيد بن الحرث الصدائي» [اه].

[٣٢٧] - كان معاوية بن حديج السكوني على رأس أربعمائة من السكون (من الجند ونواحيها تعز) ومعه الحصين بن نمير السكوني.

خروجه بألفي يمانى وألفي فخري [٣٨]، . . وسار سعد إلى سيراف فنزلها واجتمعت إليه العساكر [٣٩]، ولحقه الأشعث بن قيس ومعه ثلاثون ألفاً [٤٠]، ثم عبى سعد كتائب من سيراف، وأمر الأمراء وعرف على كل عشرة عريفاً وجعل الرايات لأهل السابقة ورتب المقدمة والساقة والمجنبات والطلائع وكل ذلك بأمر عمر ورأيه، وبعث في المقدمة زهرة بن عبد الله . . وعلى الميمنة عبد الله بن المعتمد، وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط . . ثم أتى سعد القادسية فنزلها بحيال القنطرة بين العتيق والخندق، . . ولما أتى سعد القادسية أقام بها شهراً يشن الغارات بين كسكر والأنبار [٤١]، . . وقد بلغت أخبارهم يزدجرد وأن ما بين الحيرة والفرات قد نُهب وخُرب، فأحضر رستم ودفعه لهذا الوجه . . فعسكر رستم بساباط [٤٢] في ستين ألفاً وعلى مقدمته الجالنوس في أربعين ألفاً وساقته عشرون ألفاً وفي الميمنة الهرمزان وفي الميسرة مهران بن بهرام الرازي، وجعل ثلاثة وثلاثين فيلاً: ثمانية عشر في القلب وخمسة عشر في الجنين، وسار حتى نزل كوئي . . ثم سار رستم فنزل القادسية بعد ستة أشهر من (خروجه من) المدائن، وكان يطاول خوفاً وتقية، والملك يستحته . . ولما وصل القادسية وقف على العتيق حيال عسكر المسلمين

[٣٨] - لم يظهر المراد من قوله « . . وألفي فخري » وقد يكون «ألفي بحريني» (من أهل البحرين التي كان العلاء الحضرمي أميرها) وكان من مدد أهل اليمن «ستمائة من حضرموت والصدف عليهم شداد بن ضمعج» كما وصل «ستمائة من النخع، فقال لهم عمر: إن الشرف فيكم يا معشر النخع لمتربح سيروا مع سعد» فساروا وانضموا إليه، وكذلك فرسان همدان بقيادة سعيد بن قيس الهمداني والحارث بن سمي الهمداني .

[٣٩] - يذكر ابن خلدون في وسط هذه الفقرة عدد من كانوا بالعراق من العرب المسلمين بما مجموعه عشرة آلاف قبل وصول سعد .

[٤٠] - في تاريخ الطبري أنه «أتى الأشعث بن قيس الكندي في ألف وسبعمائة» (اه) ولعل قدومه وافق وصول أمدادات أخرى من المُستنفرين من أرجاء اليمن إلى سيراف والقادسية بحيث بلغوا مع الذين مع الأشعث ثلاثين ألفاً، وقد كان ممن وصلوا مدداً إلى جبهة العراق أبو موسى الأشعري على رأس الأشعريين، والربيع بن زياد الحارثي وكثير بن شهاب الحارثي وابن ذي السهمين الخثعمي وزهير بن سليم الأزدي وأمثالهم من زعماء وفرسان اليمن، فكان اليمينيون غالبية الجيش العربي الإسلامي .

[٤١] - وهي الغارات التي تقدمت الإشارة إليها في الهامش عن جرير بن عبد الله وشارك جرير في شنّها بعد وصول سعد .

[٤٢] - يذكر ابن خلدون في وسط هذه الفقرة إرسال عدد من الصحابة والقادة إلى يزدجرد بينهم الأشعث الكندي وعمر بن معد يكرب ومحاورة جرت مع يزدجرد وعودة الوفد حامليين تراباً إلى سعد والمسلمين واستبشار المسلمين بذلك، (ص ٩٣ ج ٢) .

والناس يتلاحقون^[٤٣] . . فأتوا يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبرادع حتى جعلوا جسراً ثم عبر رستم ونُصب له سريره وجلس عليه وضرب طياره، وعبر عسكريه وجعل الفيلة في القلب والمجنبتين عنها الصناديق والرجال والرايات أمثال الحصون، وجعل الجالوس بينه وبين الميمنة والفيرزان بينه وبين الميسرة، ورتب يزدجرد الرجال بين المدائن والقادسية وما بينه وبين رستم، رجلاً على كل دعوة تنتقل إليه ينبئهم أخبار رستم في أسرع وقت^[٤٤]، ثم أخذ المسلمون مصافهم واختط سعد قصره، وكان به عرق النساء وأصابته معه دماميل لا يستطيع معها الجلوس فصعد على سطح القصر ركباً على وسادة في صدره وأشرف على الناس، وعاب ذلك عليه بعض الناس فنزل واعتذر إليهم وأراهم القروح في جسده فعذروه^[٤٥]، . . ثم خطب الناس وحثهم على الجهاد وذكرهم بوعد الله، وذلك في المحرم سنة أربع عشرة^[٤٦]، وأخبرهم أنه استخلف خالد بن عرفطة، وأرسل جماعة من أهل الرأي لتحريض الناس على القتال مثل المغيرة وحذيفة وعاصم

[٤٣] - يذكر ابن خلدون في وسط هذه الفقرة أيضاً وفوداً ومحاورات مع رستم لم تؤد إلى نتيجة ولا طائل منها، (ص ٩٤ ج ٢).

[٤٤] - كان العرب أيضاً يتابعون ويتطلعون أخبار المواجهة بالقادسية حيث جاء في تاريخ الطبري أنه «كانت العرب تَوَقَّع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسية، ما بين العذيب إلى عدن، وفيما بين الأبله وأيلة، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها، وكانت في كل بلد مُصَيِّخة إليها تنظر ما يكون من أمرها، حتى كان الرجل ليريد الأمر فيقول: لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية، فلما كانت وقعة القادسية، بدرت امرأة على جبل صنعاء - بصنعاء - وهي تقول:

حيتكِ عني الشمس عند طلوعها	وحياكِ عني كل ناجٍ مفرد
وحيتكِ عني عصابة يمنية	حسان الوجوه آمنوا بمحمد
أقاموا لكسرى يضربون جنوده	بكل رقيق الشفرتين مهند
إذا ثوب الداعي أناخوا بكلكل	من الموت تسود الغياطل مُجرد

[ص ٢/١٤١ - تاريخ الطبري].

[٤٥] - وبسبب ذلك المرض لم يشهد سعد بن أبي وقاص موقعة القادسية، «فكان على ميمنة المسلمين في القادسية جرير بن عبد الله البجلي، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح المرادي» [ص ٤٣ ج ٧/ البداية والنهاية لابن كثير].

[٤٦] - استدرك ابن خلدون في فقرة لاحقة حيث قال «وكانت موقعة القادسية سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة» [ص ١٠٠ ج ٢] ويدل زمن فتح دمشق (رجب ١٤ هـ) وبعث القادة والمدد من دمشق وما تلا ذلك من وقائع أن القادسية لم تكن في عام ١٤ هـ وإنما في عام ١٥ هجرية.

وطليحة وقيس وغالب وعمرو، ومن الشعراء الشماخ والحطيئة والعبيدي وعبد بن الطيب وغيرهم، ففعلوا^[٤٧]، . . وبرز أهل النجدات، فأشبوا القتال، وخرج أمثالهم من الفرس، فاعتوروا الطعن والضرب وارتجزوا الشعر^[٤٨]، وأول من أسر في ذلك اليوم^[٤٩] هرمز من الملوك الكبار وكان متوجاً أسره غالب بن عبد الله الأسدي . . وطلب البراز أسوار منهم فبرز إليه عمرو بن معد يكرب فأخذه وجلده الأرض فذبحه وسلب سواريه ومنطقته، ثم حملوا بالقبيلة على المسلمين وأمالوها على بجيلة فثقلت عليهم^[٥٠]، فأرسل سعد إلى بني أسد أن يدافعوا عنهم، فجاء طليحة بن خويلد وحمل بن مالك فردوا القبيلة وخرج طليحة على عظيم منهم فقتله^(٥٠)، وعير

[٤٧] - كان خالد بن عرفطة العذري (القضاعي الحميري) من القادة وربما كان قائداً للناس (أي المشاة)، وكان جرير بن عبد الله البجلي قائد ميمنة المسلمين وقيس بن مكشوح المرادي قائد الميسرة، وكان من القادة الأشعث بن قيس الكندي، حيث - كما ذكر الطبري - «قال الأشعث الكندي: يا معشر العرب إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم اجراء على الموت ولا أسخى أنفساً عن الدنيا، تناسوا الأولاد والأزواج، ولا تجزعوا من القتل فإنه أمانى الكرام ومنايا الشهداء. وتزجل . . فترجلت بعده الصفوف . .» [اه] وجاء في كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) أنه «جعل عمرو بن معد يكرب يمر على الصفوف ويقول: كونوا أسوداً أشداء فإن الفارسي إذا ألقى رمحه يئس» وفي رواية الطبري أنه قال «يا معشر العرب كونوا أسوداً فإنما الفارسي تيس» - قال ابن حجر في الإصابة «فرمى أسوار من الأساورة عمراً بنشابة فأصاب سية قوسه فحمل عليه عمرو فطعنه فدق عنقه . . وقال اصنعوا هكذا . .» [ص ١٩ ج ٣/ الإصابة].

[٤٨] - مثال ذلك قول عمرو بن معد يكرب:

«أنا أبو ثور وسيفي ذو النون أضربهم ضرب غلام مجنون
يال زبيد إنهم يموتون»

[ص ٢٨ ج ١٤/ الأغاني].

[٤٩] - استمرت موقعة القادسية ثلاثة أيام: يوم الخميس والجمعة والسبت وانتهت يوم الأحد وسمى ابن خلدون اليوم الأول (يوم الرماة) وفي الطبري أن اليوم الأول (يوم عماس) وهو الثالث عند ابن خلدون.

[٥٠] - جاء في نيا ذلك بكتاب البداية والنهاية والطبري أنه «أدرك الأعاجم أن بأس المسلمين في الجانب الذي فيه جرير بن عبد الله البجلي - [لأنه كان قائد الميمنة] - فوجهوا إليهم جيشاً في ستة عشر فيلاً، وجعلوا يلقون تحت أرجل خيول المسلمين حسك الحديد، ويرشقونهم بالنشاب [النبال] وكان فيهم أسوار [ضابط فارسي] لا تكاد تسقط له نشابة، وكان عمرو بن معد يكرب يمر بالصفوف، فقال له جرير: - يا أبا ثور ثق ذلك الفارسي، فحمل عليه عمرو فاعتنقه وذبحه» وإنه «ضرب عمرو خرطوم فيل فسقط الفيل، فأخذ عمرو ينادي: أَلزِمُوا خراطيم الفيلة السيوف فإنه ليس لها مقتل إلا خراطيمها» [اه/ الطبري + الأغاني] وساهم بنو أسد في المواجهة وتم هزيمة ودحر الفرس والأفيال.

الأشعث بن قيس كندة بما يفعله بنو أسد فاستشاطوا ونهدوا معه فأزالوا الذين بإزائهم، . . وكان هذا اليوم الأول وهو يوم الرماة، ولما أصبح، دفنوا القتلى وأسلموا الجرحى إلى نساء يقمن عليهم، وإذا بنو أصبي الخيل طالعة من الشام، كان عمر بعد فتح دمشق عزل خالد بن الوليد عن جند العراق وأمر أبا عبيدة أن يؤمر عليهم هاشم بن عتبة يردّهم إلى العراق، فخرج بهم هاشم وعلي مقدمته القعقاع بن عمرو^[٥١]، فقام القعقاع صبيحة ذلك اليوم، يوم أغواث^[٥٢] وقد عهد إلى أصحابه أن يقطعوا أعشاراً بين كل عشرين مدّ البصر وكانوا ألفاً، فسلم على الناس وبشرهم بالجنود وحرصهم على القتال، وطلب البراز فخرج إليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع ونادى بالثأر لأصحاب الجسر وتضاربا فقتله القعقاع، وسر الناس بقتله ووهنت الأعاجم لذلك، ثم طلب البراز فخرج إليه الفيرزان والبندوان. وأكثر المسلمون القتل في الفرس^[٥٣]، وأخذوا الفيلة عن القتال لأنّ نوابتها تكسرت بالأمس فاستأنفوا حملها^[٥٤]، وجعل القعقاع إبلاً وجعل عليها البراقع وأركبها عشرة عشرة وأطاف عليها الخيول تحملها، وحملها على خيل الفرس فنفرت منها وركبتهم خيول المسلمين ولقي الفرس من الأبل أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة، وبارز القعقاع يومئذ ثلاثين فارسياً في ثلاثين حملة فقتلهم، كان آخرهم بزرجمهر الهمذاني، وبارز الأعور بن قطنه شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه. ولما انتصف النهار تزاحف الناس فاقتتلوا إلى انتصاف الليل، وقتلوا عامة من أعلام فارس.

[٥١] - هو الصحابي اليماني القائد القعقاع بن عمرو، وقد ذكر ابن خلدون نسبه إلى قضاة في الفصل الخامس المُتقدم.

[٥٢] - يوم أغواث هو ثاني أيام موقعة القادسية.

[٥٣] - وجاء في تاريخ الطبري أنه «كانت كتيبة من الفرس عليهم دروع لا ينفذ فيها السلاح، فازدلف لهم المسلمون فجالدوهم بالسيوف فرأوا أن السيوف لا تعمل في الحديد فارتدعوا، فحمل إليهم الأشعث بن قيس في سبعمائة من كندة خاصة، فأزالهم، وقتل قائدهم تركا الفارسي . . فقال راجز كندة:

نحن تركنا تركهم في المصطرة مختضباً من بهران الأبهرة

(اه).

[٥٤] - في العبارة تصحيف لبعض الحروف غالباً، والمقصود أن الفرس استأنفوا توجيه الأفيال وعليها قادة ورماة، قال البلاذري «وحطم عمرو بن معد يكرب فيلاً من الفيلة، وقال: ألزموا سيوفكم خراطيمها فإن مقتل الفيل خرطومها» ص ٢٥٨.

ثم أصبحوا في اليوم الثالث . . . فلما ذرّ قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع فتقدّموا والمسلمون يكبرون، فتزاحفت الكتائب طعناً وضرباً، وما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى لحق هاشم فعبى أصحابه سبعين سبعين، وكان فيهم قيس بن مكشوح المرادي فلما خالط القلب كبر وكبر المسلمون معه ثم كبر فخرق الصفوف إلى العتيق ثم عاد^[٥٥]، وقد أصبح الفرس على مواقفهم وأعادوا الصناديق على الفيلة، وأحدقوا الرجال بها يحمونها أن تُقطع وضمنها، وأقام الفرسان يحمون الرجالة فلم تنفر خيل المسلمين منها، وكان هذا اليوم يوم عماس وكان شديداً إلا أن الطائفتين فيه سواء، وأبلى فيه قيس بن المكشوح وعمرو بن معدي كرب.

. . فاختلفوا على سواء إلى المساء واقتتلوا بقية ليلتهم وتُسمى ليلة الهرير، فأرسل سعد طليحة وعمرو بن معدي كرب إلى مخاضة أسفل العسكر يقومون عليها خشية أن يؤتى المسلمون منها، فتشاوروا أن يأتوا الأعاجم من خلفهم، فجاء طليحة وراء العسكر وكبر فارتاع أهل فارس فأغار عمرو أسفل المخاضة^[٥٦] ورجع

[٥٥] - كان قدوم قيس بن مكشوح من الشام بعد انتصار اليرموك وفتح دمشق سابقاً لقدوم هاشم والقعقاع، حيث تقدم النص بأن قيس بن مكشوح تعجل ويادر إلى القادسية في سبعمائة من فرسان مراد وهمدان وكانوا - غالباً - ممن شهد معه موقعة يوم صنعاء الأول الذي فيه أطاح قيس براس شهر بن باذان عامل الفرس بصنعاء (ذي الحجة ١٠هـ) ثم في الثورة التي قادها ضد فيروز ودادويه والأبناء الفرس بصنعاء (رجب ١١هـ) ثم في موقعة اليرموك وفتح دمشق وصولاً إلى القادسية حيث قال قيس بن مكشوح بعد انتصار القادسية مشيراً إلى ذلك:

جلبتُ الخيل من صنعاء تردي	بكل مدجج كالليث سامي
إلى وادي القرى وديار كلب	إلى اليرموك بالبلد الشامي
فلما أن زوينا الروم عنها	عطفناها صواهل كالسهام
أتينا القادسية بعد شهر	مرشقة نواصيها دوامي
فناهضنا هنالك جمع كسرى	وأبناء المرازبة الطغام
على جرد مُقدمة خفاف	ضوامر شزبٍ صمّ الحوام . .

ويذكر في بيتين آخرين مقتل رستم بسيفه في يوم القادسية وهو اليوم الأخير كما سيأتي [ص ٣٦٩ شرح الدامغة].

[٥٦] - كان مع كل من عمرو وطليحة مائة من الفرسان فلما اقتحما أسفل معسكر الفرس في ليلة الهرير التحم القتال بينهم وبين الفرس، حيث - كما في تاريخ الطبري - «زحف قيس بن مكشوح في كتيبة من الفرسان فاقتحم معسكر الفرس وهو يكبر وانضم إلى عمرو وطليحة ففتكوا بالأعاجم . . [اهـ] ثم تلاحق القادة والجيش في الهجوم على المعسكر كما جاء هنا.

وزاحفهم الناس دون إذن سعد وأول من زاحفهم من الناس دون إذن سعد، زاحفهم القعقاع وقومه فحمل عليهم، ثم حمل بنو أسد، ثم النخع، ثم بجيلة، ثم كندة، وسعد يقول في كل واحدة اللهم اغفر لهم وانصرهم. . ولحق الناس بعضهم بعضاً، واختلطوا وصليل الحديد كصوت القرن إلى الصباح، وركدت الحرب وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم^[٥٧]، وسار القعقاع في جماعة من الرؤساء إلى رستم حتى خالطوا صفه مع الصبح^[٥٨]، فحمل الناس من كل جهة على من يليهم واقتتلوا إلى قائم الظهيرة^[٥٩]، فتأخر الفيرزان والهرمزان بعض الشيء وانفرج القلب^(٥٩).

[٥٧] - استمر القتال في ليلة الهرير إلى صباح اليوم التالي وهو يوم القادسية والقتال والنصر الحاسم حيث قال البلاذري «كان قتال القادسية يوم الخميس والجمعة وليلة السبت وهي ليلة الهرير ثم يوم القادسية» [ص ٢٥٩ فتوح البلدان].

[٥٨] - وهو صبح يوم القادسية، حيث كما ذكر ابن كثير في كتاب البداية والنهاية «كان على ميمنة المسلمين جرير بن عبد الله البجلي وعلى الميسرة قيس بن مكشوح المرادي» [ص ٤٣ ج٧] قال الطبري «وقام قيس بن مكشوح والأشعث الكندي وعمرو بن معد يكرب وابن ذي السهمين الخثعمي وابن ذي البردين في القبائل يحضونهم. . وقام دريد بن كعب النخعي المدحجي في النخع وقال: اسبقوا اليوم إلى الله وإلى الجهاد فإنه لا يسبق أحد إلا كان ثوابه على قدر سببه، وطيبوا بالموت نفساً إن كنتم تريدون الحياة» [اهـ] وذكر الواقدي أن عمرو بن معد يكرب قال شعراً منه:

. . فاثبتوا للقوم ضرباً
بسيوف حميرية
واخطبوا الحور إلى الله
بقتل السفارسية

[٥٩] - كان القتال شديداً وقد صورته أبيات القائد اليمني الحارث بن سميّ الهمداني الذي كان من أبطال القادسية حيث قال:

ولو شهدت رهم مكرّ جياندا
بباب قُدَيْس والأعاجم حُضْرُ
إذا لرأيت يوماً يشيبُ لوقعه
ويُعد مداهُ الأَيْفَعِي الحزورُ
إذا ما فرغنا من جلاذِ كتيبة
أتانارجال دارعون وحُسْرُ
فطاعننّ في أولاهم حين أقبلوا
وثنيئث بالمأثور حين تكررُوا
وأوجرت أسواراً من الفُرس طعنة
فشوشاً لها جارٍ من الجوف أحمر
رجاء ثواب الله لا ربّ غيرَه
وناصر دين الله - بالغيب - ينصر

[ج١٠ / الإكليل].

وكذلك أبيات القائد اليمني بشر بن ربيعة الخثعمي ومنها قوله لسعد بن أبي وقاص:

. . تذكر - هداك الله - وقع سيوفنا
بباب قُدَيْس والمكر عسير
عشية ود القوم لو أن بعضهم
يُعار جناحي طائر فيسطيرُ

وهبت ريح عاصفة فقلبت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق^[٦٠]، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير وقد قام رستم عنه فاستظل في ظل بغل وحمله، وضرب هلال بن علقمة الحمل فوق أحد العدلين على رستم فكسر ظهره، وضربه هلال بن علقمة ضربة نفحت مسكاً وضرب نحو العتيق فرمى بنفسه فيه فاقتحم هلال وجزه برجله فقتله وصعد السرير وقال: قتلت رستم ورب الكعبة إليّ إليّ، فأطافوا به وكبروا^[٦١] وقيل إن هلالاً لما قصد رستم رماه بسهم فأثبت قدمه بالركاب ثم حمل عليه فقتله واحتز رأسه ونادى في الناس قتلت رستم^(٦١)، فانهزم قلب المشركين، وقام الجالnos على الردم ونادى الفرس إلى العبور، وتهافت المقترون بالسلاسل في العتيق وكانوا ثلاثين فهلكوا. . وقتل ذلك اليوم من الأعاجم عشرة آلاف في المعركة، وقتل من المشركين في ذلك اليوم ستة آلاف دفنوا بالخذق سوى ألفين وخمسمائة قتلوا ليلة الهيرير، وجمع من الأسلاب والأموال ما لم يُجمع قبله ولا بعده مثله، وأمر سعد القعقاع وشرحبيل باتباع العدو^[٦٢]، وقد كان خرج زهرة بن حيوة قبلهما في آثارهم فلحق الجالnos يجمع

[٦٠] - يبدو أن الريح العاصفة التي هبت إنما هي عمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح، حيث تذكر الروايات أنه «حمل عمرو بن معد يكرب وحده فضرب فيهم، وفعل يومئذ بالعدو الأفاعيل، ولحق به المسلمون. . وشد عمرو على رستم وهو على فيل فضرب فيه فجذم عرقوبيه فسقط الفيل - وانقلب رستم عن سريره. . وحمل عمرو على رستم. .» قال البلاذري: «. . وقاتل قيس بن مكشوح يومئذ قتالاً شديداً وقتل رستم. .» [ص ٢٥٩] قال الهمداني «ويقال إن الذي قتل رستم كثير بن شهاب الحارثي، وقيس بن مكشوح أثبت» [ص ٣٦٩] ويؤيد ذلك قول قيس في آخر الأبيات سائلة الإيراد:

فلما أن رأيت الخيل جالت قصدت لموقف الملك الهمام
فاضرب قرنه فهوى صريعاً بسيف لا أفل ولا كهام

[٦١] - يبدو أن هلال بن علقمة قتل قائداً فارسياً آخر فظن أنه رستم، أو اشترك في قتله، قال البلاذري «ووجد بدن رستم مملوءاً ضرباً وطعناً فلم يُعلم من قاتله، وقد كان مشى إليه أيضاً عمرو بن معد يكرب وطليحة، وقيل إن زهير البجلي قتلته، وقيل هلال بن علقمة التميمي» [ص ٢٥٩ فتوح البلدان] اشتركوا مع قيس بن مكشوح في قتله لأن رستم كان بمثابة ملك.

[٦٢] - بدأت مطاردة جموع الفرس المنهزمين والمنسحبين فور انهزامهم وعبورهم نهر القادسية قاصدين المدائن، حيث «لحق بهم جرير بن عبد الله البجلي وقيس بن مكشوح وعمرو بن معد يكرب والأشعث بن قيس في فرسان من المسلمين وكان عمرو أول من اقتحم النهر. . فأصابوا وغنموا» [ص ٢٥٩ بلاذري + ص ٣٦٩ شرح الدامغة] فيكون سعد قام بتوجيه القعقاع بن عمرو وشرحبيل بن السمط الكندي بعد الذين تقدموا، فشاركوا جميعاً في تتبع الفرس عبر النهر فأصابوا وغنموا ثم عادوا إلى القادسية.

المنهزمين فقتله^(٦٢) .. وكان ممن هرب من أمراء الفرس الهرمزان وأهودوزاد بن بيهس وقارن^[٦٣] وممن استمات فقتل شهريار بن كبارا، وأسير الهَزَامُون والفردان الأهوازي وحشرشوم الهَمْدَانِي، وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبمن أصيب من المسلمين، وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله، فلما ألقى البشير قال من أين فأخبره، فقال حدثني، فقال هزم الله المشركين ففرح بذلك^[٦٤]، وأقام المسلمون بالقادسية ينتظرون كتاب عمر إلى أن وصلهم بالإقامة، وكانت وقعة القادسية سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة.

فتح المدائن وجلولاء وما بعدها

ولما انهزم أهل فارس بالقادسية انتهوا إلى بابل وفيهم بقايا الرؤساء

[٦٣] - قال البلاذري «لما انهزمت الفرس من القادسية قدم فلهم المدائن» [ص ٢٦٣].
 [٦٤] - وكان الابتهاج والفرح بانتصار القادسية في اليمن وعاصمتها صنعاء أشد وأعظم من المدينة المنورة لأن زعماء وأقيال وفرسان ورجال اليمن كانوا يمثلون الغالبية العظمى في الجيوش والقبائل العربية الإسلامية التي خاضت موقعة القادسية، ضد جيوش كسرى والأمباطورية الفارسية، وقد تقدم إيراد الأبيات التي ذكر الطبري أن امرأة أنشدتها بصنعاء يوم وصول نبأ القادسية تحية لصنعاء بالانتصار ومنها قولها تخاطب صنعاء:

«حيّتك عني الشمس عند طلوعها وحيّاك عني كل ناج مُغرّد
 وحيّتك عني عصابة يمنية حسان الوجوه آمنوا بمحمد
 أقاموا لكسرى يضربون جنوده بكل رقيق الشفرتين مهند»

[ص ١٤١/٢].

وجاء في كتاب الأغاني عن زياد مولى سعد بن أبي وقاص قال: سمعت سعداً يقول: كان لعمر بن معد يكرب موطن صالح في القادسية عظيم الغناء شديد النكاية للعدو، فقيل له: فقيس بن مكشوح، فقال: عمرو أبذل لنفسه من قيس وإن قيساً لشجاع» وجاء في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة أنه «لما افتتح المسلمون العراق أوفد سعد عمرو بن معد يكرب إلى عمر وذكر له شجاعته وحسن مؤازرته» (اهـ) وجاء في العقد الفريد أنه «لما فتحت القادسية أبلى فيها عمرو بن معد يكرب بلاء حسناً فأوفده سعد إلى عمر وكتب إليه معه بالفتح وأثنى في الكتاب على عمرو، فلما قدم على عمر سأله عن سعد، فقال: أعرابي في نمّرتة، أسد في تأموريته، يقسم بالسوية ويعدل في القضية .. فقال عمر: لشّد ما تقارضتما الثناء» (٢/٦٥) ويؤكد ذلك عدم صحة وقوع خلاف بين عمرو بن معد يكرب وسعد بسبب الغنائم، وما تم نسبه إلى عمرو من شعر إنما هو لبشر بن ربيعة الخثعمي كما في كتاب الإصابة، وبشر بن ربيعة هو القائل:

أنخت بباب القادسية ناقتي وسعد ابن وقاص علي أمير
 وسعد أمير شره دون خيره وخير أمير للعراق جرير

النخيرخان ومهران الأهوازي والهرمزان وأشباههم واستعملوا عليهم الفيرزان، وأقام سعد بعد الفتح شهرين وسار بأمر عمر إلى المدائن^[٦٥] وخلف العيال بالعتيق في جند كثيف حامية لهم، وقدم بين يديه زهرة بن حيوة وشرحبيل بن السمط وعبد الله بن المعتمر ولقيهم بعض عساكر الفرس برستن فهزموهم حتى لحقوا ببابل، ثم جاء سعد وسار في التعبية ونزلوا على الفيرزان ومن معه ببابل فخرجوا وقاتلوا المسلمين فانهزموا واقتروا فرقتين ولحق الهرمزان بالأهواز والفيرزان بنهاوند وبها كنوز كسرى، وسار النخيرخان ومهران إلى المدائن فتحصنوا وقطعوا الجسر، ثم سار سعد من بابل على التعبية وزهرة في المقدمة وقدم بين يديه بكير بن عبد الله الليثي وكثير بن شهاب السبيعي^[٦٦] حتى عبروا ولحقا بأخريات القوم فقتلوا في طريقهما إسوارين من أساورتهم ثم تقدموا إلى كوثي وعليها شهريار فخرج لقتالهم فقتل وانهزم أصحابه فافترقوا في البلاد، وجاء سعد ففعل قاتله سلبه، وتقدم زهرة إلى ساباط فصالحه أهلها على الجزية وهزم كتيبة كسرى^[٦٧]، ثم نزلوا جميعاً نهر شير من المدائن، ولما عاينوا الإيوان كبروا وقالوا.. هذا ما وعد الله. وكان

[٦٥] - المدائن هي عاصمة الأمبراطورية الفارسية الساسانية إتخذها سابور عاصمة (ح/ع) عام ٣٠٠م) بعد الاحتلال الفارسي الساساني للعراق الذي بدأ عام ٢٤١م كما تقدم، قال البلاذري «لما انهزمت الفرس من القادسية قدم فلهم المدائن، فاتبعهم المسلمون من القادسية» [ص ٢٦٣ فتوح البلدان] وكان المسير العربي الإسلامي باتجاه المدائن قد بدأ قبل مسير سعد بقيادة الأمير اليمني القائد جرير بن عبد الله البجلي الذي قال الخثعمي «وخير أمير للعراق جرير». وجاء في تاريخ الطبري أنه «تخلف سعد لما به من الوجع» وأنه «كان على ميمنة المسلمين جرير بن عبد الله» [ص ١٤١/٤] ثم سار سعد في فرقة ثانية من المسلمين باتجاه المدائن بعد جرير ثم التقى الجيشان عند النزول على نهر شير بالمدائن. [٦٦] - هو كثير بن شهاب الحارثي وكان من أبطال اليمن في القادسية وفتوح العراق وهو القائل:

وقاتلت حتى أنزل الله نصره وسعد بباب القادسية معصم
فرحنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس منهن أيم

ثم كان من القادة في المسير إلى المدائن - كما هنا - وافتتاح (كوثي) و(الرومية) حتى انتهوا إلى نهر شير من دجلة بالمدائن.

[٦٧] - جاء في تاريخ الطبري أنه «فتح جرير بن عبد الله البجلي والمسلمون ساباط..» وأنه «راماهم أهل حصن ساباط ففتح المسلمون الحصن، وكان أول من دخله جرير وعصمة وعاصم..» [ص ٧٧ و ٧٩/٤] فيكون زهرة المذكور هنا شارك في فتح ساباط مع جرير فيزول التعارض، وقد كان من أصحاب جرير القائد (زهير بن عبد شمس البجلي) الذي ذكر البلاذري مشاركته في قتل رستم بالقادسية (ص ٢٥٩ فتوح البلدان).

نزولهم عليها ذا الحجة . . . خمسة عشرة فحاصروها ثلاثة أشهر ثم اقتحموها [٦٨]، . . . وقَسَم سعد العيى بين المسلمين بعدما خَمَسه، وكانوا ستين ألفاً وكلهم كان فارساً ليس فيهم راجل، ونفل من الأخماس في أهل البلاد، وقَسَم في المنازل بين الناس، واستدعى العيالات من العتيق فأنزلهم الدور، ولم يزالوا بالمدائن حتى تم فتح جلولاء وحلوان وتكريت والموصل، واختطت الكوفة فتحولوا إليها [٦٩].

. . . وولى عمر (بن الخطاب) سعد بن أبي وقاص على الصلاة والحرب فيما غلب عليه [٧٠] وولى حذيفة بن اليمان على سقي الفرات وعثمان بن حنيف على سقي دجلة (٧٠)، ولما انتهى الفرس بالهرب إلى جلولاء وافترقت الطرق من هنالك بأهل أذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس وقفوا هنالك خشية الافتراق واجتمعوا على مهران الرازي وخذقوا على أنفسهم وأحاطوا الخندق بجسره الحديد وتقدم يزدجرد إلى حلوان [٧١]، وبلغ ذلك سعداً، فكتب عمر بذلك، فأمره أن يسرح إلى

[٦٨] - يؤكد هذا التاريخ (ذو الحجة ١٥هـ) أن موقعة القادسية كانت في عام ١٥هـ وقد حاصر المسلمون المدائن ثلاثة أشهر ثم أجازوا مخاضة نهر دجلة (نهر شيري) ودارت معركة سقط فيها النخيران قتيلاً بسيف زهير بن سليم الأزدي، وكان كسرى يزدجرد قد غادر المدائن إلى حلوان، فافتتح المسلمون المدائن (في ربيع أول ١٦هـ) وحازوا إيوان كسرى الذي قيل فيه:

القصر قصران: إيوان وغمدان والمُلك ملكان: ساسان وقحطان

[٦٩] - كان فتح المدائن في صفر وربيع أول عام ١٦هـ - كما تقدم - وتم اختطاط الكوفة وارتحل سعد إليها في محرم ١٧هـ قال الطبري: «استعمل سعد على المدائن شرحبيل بن السمط الكندي وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك وزبراء وابن السمط في لجة البحر» [ص ١٤٣ ج ٤] وكانت تولية شرحبيل على المدائن بتوجيه عمر بن الخطاب، وجاء في الإصابة والإستيعاب أن عمر ولى شرحبيل بن السمط على المدائن.

[٧٠] - يدل هذا النص على أن تولية سعد كانت محدودة على قسم من البلاد والأعمال ثم أصبح أميراً للكوفة وأعمالها، بينما كان جرير بن عبد الله البجلي أميراً وقائداً لمناطق سواد العراق في شرق الفرات ودجلة التي افتتحها بعد فتح القادسية والمدائن «وولى عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري أميراً للبصرة وأعمالها من عام ١٦هـ» [ص ٢٥٦/ البلاذري].

[٧١] - كان يزدجرد في حلوان فأرسل الأمدادات إلى الفرس بجلولاء، قال البلاذري «وجعلت الأمداد تقدم عليهم من يزدجرد في حلوان ومن الجبال، فاجتمع جمع عظيم في جلولاء. . . فقال المسلمون ينبغي أن نعاجلهم قبل أن تكثر أمدادهم» [ص ٣٦٤] وقد كان جرير بن عبد الله في الجهات القريبة من جلولاء فحشد قواته لمواجهتهم ثم وصل هاشم بالقوة من =

جلولاء هاشم ابن أخيه عتبة في اثني عشر ألفاً وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، وأن يولي القعقاع بعد الفتح ما بين السواد والجبل، فسار هاشم من المدائن لذلك في وجوه المسلمين وأعلام العرب حتى قدم جلولاء فأحاط بهم وحاصرهم في خنادقهم^[٧١]، وزاحفهم ثمانين يوماً يُنصرون عليهم في كلها، والمدد متصل من ههنا وههنا^[٧٢]، ثم قاتلوهم آخر الأيام فقتلوا منهم أكثر من ليلة الهرير وأرسل الله عليهم ريحاً وظلماً فسقط فرسانهم في الخندق وجعلوه طرقاً مما يليهم ففسد حصنه، وشعر المسلمون بذلك فجاء القعقاع إلى الخندق فوقف على بابهِ وشاع في الناس أنه أخذ في الخندق فحمل الناس حملة واحدة انهزم المشركون لها وافترقوا.. ولم يفلت منهم إلا القليل، يقال إنه قتل منهم يومئذ مائة ألف^[٧٣]، وتبعهم القعقاع بالطلب إلى خانقين^[٧٤]، وأجفل يزدجرد من حلوان إلى الري

= المدائن كما جاء هنا، وكان من وجوه المسلمين وأعلام العرب في الجيش العربي الإسلامي بجلولاء .. الأشعث بن قيس وحجر بن عدي الكندي على الميمنة، وعمرو بن معد يكرب على الخيل، وطليحة بن خويلد على الرجال» [ص ٣٦٤/ البلاذري].

[٧٢] - أرسل أبو موسى الأشعري مدداً من البصرة، وربما كان ذلك أصل ما ذكره البلاذري من أنه .. كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بالبصرة بأمره بأمداد سعد فأمد به ثمانمائة شخص في يوم القادسية» [ص ٢٥٦] فربما كان ذلك المدد في جلولاء.

[٧٣] - قال البلاذري «التقى المسلمون بالفرس وعليهم خرزاد أخو رستم فاقتلوا يومئذ - وهو يوم جلولاء - قتلاً شديداً ثم انهزم الفرس وولوا هاربيين وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً.. وكانت وقعة جلولاء في آخر سنة ١٦ هجرية» [ص ٣٦٤ فتوح البلدان] وكان الأشعث الكندي وحجر الكندي من أبطال موقعة جلولاء وقال شاعر يذكر ذلك:

ويوم جلولاء الوقيعة لم يُلَمَّ ويوم نهاوند الفتوح وتسترا

[٧٤] - أي بعد موقعة جلولاء حيث كما ذكر البلاذري: «أقام جرير بن عبد الله بجلولاء في خيل كثيفة ليكون بين المسلمين وعدوهم، ومضى المسلمون يغيرون في نواح جانب دجلة الشرقي فأتوا (مهروذ) و(الديسكرة) و(البندنجين) وفتحوها صلحاً، وأتى جرير بن عبد الله خاتمين وبها بقية من الأعاجم فقتلهم، ولم يبق من سواد دجلة الشرقي ناحية إلا غلب عليها المسلمون وصارت في أيديهم» [ص ٣٦٤] فيكون القعقاع إنما شارك في مسير جرير إلى خانقين واستكمل جرير فتح نواحي وأرجاء السواد وتمركز في جلولاء التي منها مضى المسلمون فافتتحوا «صراة جاماسب وما بين الفلوجيتين والنهرين وافتتحوا حصن مليقيا وأجلوا الأعاجم عن مناظر كانت بالطف.. وافتتحوا نهر الملك وبادرويا وكلوادي وغيرها» [ص ٢٥٥ فتوح البلدان] كما سار الأشعث بن قيس الكندي وهاشم بن عتبة في جيش من جلولاء فافتتحا (الراذانات) و(دقوقا) و(خانيخار) و(باجرمي) و(سن باراما) و(بوازيج الملك) إلى (شهرزود) [ص ٢٦٨].

«وكان عمر جعل لجرير وقومه ربع ما غلبوا عليه من السواد، فلما جمعت غنائم جلولاء - =

واستخلف عليها حشرشوم، وجاء القعقاع إلى حلوان^[٧٥] فبرز إليه حشرشوم وعلى مقدمته الرمي فقتله القعقاع وهرب حشرشوم من ورائه، وملك القعقاع حلوان وكتب إلى عمر بالفتح^[٧٦].

واستأذنوا في اتباعهم، فأبى (عمر) وقال: وددت أن بين السواد والجبل سداً حصيناً من ريف السواد فقد آثرت سلامة المسلمين على الأنفال. . . ومنع عمر من قسمة السواد ما بين حلوان والقادسية فأقره حيساً، واشترى جرير بعضه بشاطئ الفرات فردّ عمر الشراء^[٧٧].

= (وتم فتح السواد) - طلب جرير ربه، فكتب سعد إلى عمر بذلك، فكتب إليه عمر: إن شاء جرير أن يكون إنما قاتل وقومه على جعل فأعطوهم جعلهم، وإن كانوا إنما قاتلوا الله واحتسبوا ما عنده فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. فقال جرير: صدق أمير المؤمنين ولا حاجة لنا بالربيع [ص ٢٦٨ فتوح البلاذري] ومكث جرير أميراً قائداً في جلولاء والسواد. [٧٥] - كان مجيء القعقاع مدداً لجرير بن عبد الله حيث كما ذكر البلاذري «أن سعداً وجه إلى جرير بجلولاء زهاء ثلاثة آلاف من المسلمين وأمره - (بأمر عمر) أن ينهض بهم وبمن معه إلى حلوان، فلما صار جرير بالقرب من حلوان هرب يزدجرد من حلوان إلى ناحية أصبهان والري بلاد فارس] - ففتح جرير حلوان صلحاً» [ص ٢٩٩].

[٧٦] - ساهم القعقاع في فتح حلوان، والذي فتحها وكتب إلى عمر هو جرير حيث كما ذكر البلاذري «فتح جرير حلوان صلحاً وكف عنهم وأمنهم على دمائهم وأموالهم، ثم استخلف جرير على حلوان عزرة بن قيس البجلي، ومضى نحو الدينور ففتحها وفتح قرماسين على مثل ما فتح عليه حلوان، وعاد إلى حلوان فأقام بها والياً» [ص ٢٩٩]. «وحاول عزرة بن قيس البجلي فتح (شهرزور) و(صامغان) و(درازاب) وهو وال على حلوان، ثم فتحها عتبة بن فرقد السلمي وهرثمة البارقي الأزدي لما فتح بلاد الموصل وتكريت وجميع معاقل الأكراد» [ص ٣٢٧ فتوح البلدان] وذكر الطبري أن جرير بن عبد الله افتتح تكريت [ص ٨٢/٤] وذلك لأن جرير كان أمير حلوان والسواد وسائر جهاتها، وكان فتح حلوان - فيما ذكر البلاذري - عام ١٩ هـ وفيها ولي عمر بن الخطاب على الكوفة وأعمالها عمار بن ياسر العنسي، وكان أبو موسى الأشعري أمير البصرة وأعمالها وجرير بن عبد الله أمير حلوان والسواد وجهاتها.

[٧٧] - تتضمن المصادر التاريخية عدة مراسلات بين عمر وجرير بشأن أهل السواد وأرض السواد، منها كتاب من جرير إلى عمر «بأن أقواماً من أهل السواد ادّعوا عهداً. . . وادعى أهل السواد أن فارس أكرهوهم وحشروهم، فلم يُخالفوا إلينا ولم يذهبوا إلى الأرض» فكتب إليه عمر «من تم على عهده من أهل السواد ولم يعن عليكم بشيء فلهم الذمة وعليهم الجزية، وأما من ادعى أنه استكره فمن لم يخالفهم إليكم أو يذهب في الأرض فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك إلا أن تشاؤوا، وإن لم تشاؤوا فانبذ إليهم وابلغوهم بأمنهم» [ص ٤١٧/الوثائق السياسية/محمد حميد الله].

ولاية العلاء بن الحضرمي على البحرين . .
والخبر عن غزو فارس من البحرين وعزل العلاء
عن البصرة ثم المغيرة وولاية أبي موسى [٧٨]

كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي أخي بني عبد القيس صاحب البحرين [٧٩].

. . وكانت عبد القيس وبكر بن وائل وغيرهم من أحياء ربيعة قد ارتدوا بعد الوفاة وكذا المنذر بن ساوي من بعدها بقليل، فأما عبد القيس فردهم الجارود بن المعلى وكان قد وفد وأسلم ودعا قومه فأسلموا، فلما بلغهم الوفاة ارتدوا وقالوا لو كان نبياً ما مات، فقال لهم الجارود: تعلمون أن الله أنبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون أنهم ماتوا ومحمد ﷺ مات، ثم تشهد فتشهدوا معه وثبتوا على إسلامهم، وخلوا بين سائر ربيعة وبين المنذر بن ساوي والمسلمين. وقال ابن إسحاق: كان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر، وقد كان رسول الله ﷺ ولاه [٨٠]، فلما كانت الوفاة ارتدت ربيعة ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر

[٧٨] - انتقل ابن خلدون بعد حديثه السالف عن فتوح العراق إلى خبر «غزو فارس من البحرين وعزل العلاء . . الخ» [ص ١٠٩ ج ٢] ونظراً لارتباط ما ذكره عن العلاء والبحرين بحديثه عن بعث العلاء إلى البحرين [ص ٣٦ ج ٢] وعن حديثه عن «ردة الحطم وأهل البحرين وتأثير العلاء» [ص ٧٦ و ٧٧ ج ٢] استلزم السياق أن نبداً بإيراد ما تقدم عن العلاء والبحرين ليرتبط الموضوع.

[٧٩] - العلاء بن الحضرمي هو الصحابي والأمير اليمني العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي، قال الهمداني في الإكليل «كان العلاء بن الحضرمي من علية الصحابة، أغزاه رسول الله ﷺ إلى البحرين والمشقر، وأمره أبو بكر على هجر البحرين وأعمالها، وهو أول من بنى مسجداً في أرض الكفر، وأول من ضرب الجزية على الكفار وأول من نقش في خاتم الخلافة (محمد رسول الله)» [ص ٣٠/٢] قال البلاذري «وكانت أرض البحرين من مملكة الفرس - (أي تحت الاحتلال والنفوذ الفارسي) - وكان بها خلق كثير من العرب، وكان على العرب بها من قبل الفرس على عهد رسول الله ﷺ المنذر بن ساوي، فلما كانت سنة ٨هـ وجه رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوي وإلى سبيخت مرزبان هجر يدعوها إلى الإسلام أو الجزية فأسلما وأسلم جميع العرب هناك وبعض العجم، فأما المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء على الجزية وكتب بينهم وبينه كتاباً. « [ص ٨٩ فتوح البلدان].

[٨٠] - كان العلاء أميراً والياً على البحرين منذ عهد رسول الله ﷺ وجاء في كتاب (الاستيعاب =

وكان يُسمى المغرور^[٨١] فأقاموه ملكاً كما كان قومه بالحيرة^(٨١)، وثبت الجارود وعبد القيس على الإسلام، واستمرت بكر بن وائل على الردة، وخرج الحطم بن ربيعة أخو بني قيس بن ثعلبة حتى نزل بين القطيف وهجر^[٨٢]، وبعث إلى (أهل) دارين فأقاموا ليجعل عبد القيس بينه وبينهم، وأرسل إلى المغرور بن سويد أخي النعمان بن المنذر وبعثه إلى جوائى وقال: أثبت فإن ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة^[٨٣]، فحاصره المسلمون بجوائى^[٨٤]، وجاء العلاء بن

= (في معرفة الأصحاب) للقرطبي أنه «بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين ثم ولاه على البحرين إذ فتحها الله عليه وأقره عليها أبو بكر ثم عمر» [ص ١٤٦ ج ٤] وفي كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) أن العلاء «ولاه رسول الله ﷺ البحرين وتوفي رسول الله ﷺ وهو عليها فأقره أبو بكر خلافة كلها عليه» [ص ١٤٦ ج ٣]. وكان اسم البحرين يشمل بالتسميات الحالية دولة البحرين ودولة قطر ودولة الكويت وبلاد الإحساء بأكملها، وكانت مدينة هجر عاصمة بلاد البحرين آنذاك ومنذ عصور الدولة الحميرية وقد جاء ذكرها في نقوش المسند الحميرية، وكان من مدن ومراكز البحرين آنذاك - كما ذكر البلاذري - مدينة القطيف ومدينة الخط وحصن جوائا، ويبدو أن (زارة) و(السابون) و(دارين) كانت ما تزال تحت سيطرة الفرس لما مات النبي ﷺ. قال البلاذري (ولما توفي رسول الله ﷺ سأل أهل البحرين أبا بكر أن يرد العلاء عليهم ففعل» [ص ٩٢].

[٨١] - تقدم في حديث ابن خلدون عن ملوك الحيرة المناذرة قبل الإسلام أن الذي تم تملكه في البحرين لما وقعت الردة هو المنذر بن النعمان بن المنذر وأن لقبه (الغرور) بينما جاء هنا وفي الفقرات التالية (المغرور) وأنه «ابن سويد بن المنذر أخي النعمان بن المنذر» (!) وفي نص البلاذري أنه «المنذر بن النعمان بن المنذر وكان يسمى الغرور».

[٨٢] - قال البلاذري «ارتد من بالبحرين من ولد قيس بن ثعلبة مع الحطم وهو شريح بن ضبيعة وإنما سمي الحطم بقوله:

قد لفها الليل بسواق حطم

وارتد سائر من بالبحرين من ربيعة خلا الجارود ومن تبعه من قومه، وأمروا عليهم ابناً للنعمان بن المنذر يقال له المنذر، فصار الحطم حتى لحق بريعة فانضم إليها بمن معه» [ص ٩٤].

[٨٣] - في عبارات هذه الفقرة تصحيف من النسخ لبعض الكلمات، فالسياق الصائب هو أن الحطم والذين معه انضموا إلى الغرور بن المنذر والذين ملكوه وتوجهوا إلى جوائا.

[٨٤] - حوضر المسلمون في جوائا - ثم حاصر المسلمون جوائا - فيما بعد - حيث «لجأ المسلمون إلى حصن جوائا فحصرهم فيه عدوهم، ففي ذلك قال عبد الله بن حذف الكلابي:

ألا أبلغ أبسا بكر ألو كاً وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لك في شباب منك أمسوا أساري في جوائا محصرينا

الحضرمي لقتال أهل الردة بالبحرين، ومرّ باليمامة فاستنفر ثمانية بن أثال في مسلمة بني حنيفة . . ثم مرّ ببلاد بني تميم فاستقبله بنو الرباب وبنو عمرو . . فلما رأى قيس بن عاصم تلقى الرباب وبنو عمرو قدم وجاء بالصدقات إلى العلاء وخرج معه لقتال البحرين، فسار مع العلاء من بني تميم مثل عسكره ونزل هجر [٨٥]، وبعث إلى الجارود أن ينازل بعبد القيس الحطم وقومه مما يليه، واجتمع المشركون إلى الحطم إلا أهل دارين، والمسلمون إلى العلاء، وخذقوا واقتتلوا، وسمعوا في بعض الليالي ضوضاء شديدة أي جلبه وصياحاً، وبعثوا من يأتيهم بخبرها فجاءهم بأن القوم سكارى، فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم واقتحموا الخندق، وفرّ القوم هرباً فمتردّ وناج ومقتول ومأسور. وقتل قيس بن عاصم الحطم بن ربيعة [٨٥] . .

وأسر العفيف بن المنذر المغرور بن سويد بن المنذر، وقال للعلاء: أجزني، فقال له العلاء: أنت غررت بالناس، فقال لكني أنا مغرور [٨٦]، ثم أرسل وأقام بهجر، ويقال إن المغرور اسمه وليس بلقب، وقتل (العلاء) المغرور بن سويد بن المنذر [٨٦]، وقسم الأنفال بين الناس، . . وقصد الفُلال دارين [٨٧] وركبوا

[٨٥] - سار العلاء ومن معه من مدينة هجر إلى جواثا، وكان الحطم والغرور والذين معهم قد تجمعوا في جواثا، فتقاتلوا، ثم كما ذكر البلاذري «فحصرهم العلاء حتى فتح جواثا وقتل الحطم، وفي قتل الحطم قال مالك بن ثعلبة العبدي:

تركنا شريحاً قد علته بصيرة كحاشية البرد اليماني المحبّر

والبصيرة من الدم ما وقع في الأرض» [أه].

[٨٦] - جاء في فتوح البلدان أنه «كان المنذر بن النعمان يُسمى الغرور فلما ظهر المسلمون قال: لست بالغرور ولكني المغرور، ولحق هو وفلّ ربيعة بالخط (أي مدينة الخط) فأثاها العلاء ففتحها وقتل المنذر ومن معه، ويقال: إن المنذر نجا فدخل المشقر (حصن المشقر) وأرسل الماء حوله فلم يوصل إليه حتى صالح على أن يخلي المدينة فخلاها . . وقال قوم: قتل المنذر يوم جواثا، وقوم يقولون إنه استأمن ثم هرب فلحق فقتل» [ص ٩٥].

ويبدو من مجمل ذلك أنه نجا من جواثا إلى المشقر، فلما حوَصر صالح على إخلاء المدينة ولحق بالخط فقتل فيها، ولم يكن ما حدث بالبحرين ردة عن الإسلام بقدر ما كان طموحاً إلى الحكم والسلطة ونزوعاً إلى استقلالية عن مركز الخلافة.

[٨٧] - دارين: ميناء بلاد البحرين قديماً، كان يجلب إليه المسك من بلاد الهند وتأتيه السفن من فارس والهند، قال أعشى قيس الجاهلي:

يمرون بالدهناء خفافاً عيابهم ويرجعن من دارين بجر الحقائق

وقد أورد ابن خلدون نبأ فتح دارين هنا مرتباً بخبر انهزام أصحاب الغرور والحطم (أهل الردة) وأن فلول المنهزمين من أهل الردة قصدوا دارين ثم كانت المواجهة معهم وبالتالي في =

السفين إليها، ورجع الآخرون إلى قومهم، وكتب العلاء إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل بالقعود لأهل الردة في السُّبُل وإلى خصفة التميمي والمثنى بن حارثة بمثل ذلك، فرجعوا إلى دارين وجمعهم الله بها^(١٠)، ثم لما جاءته كتب بكر بن وائل وعلم حسن إسلامهم أَمَنَّ أَنْ يُوْتَى مِنْ خَلْفِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، ثُمَّ نَدَبَ النَّاسَ إِلَى دَارَيْنِ وَأَنْ يَسْتَعْرِضُوا الْبَحْرَ^[٨٨]، فارتحلوا واقتحموا البحر على الظهر^[٨٩]، وكلهم يدعو: يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حيّ يا محيي الموتى يا حيّ يا قيوم لا إله إلا أنت ربنا، ثم أجازوا الخليج يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل في مسيرة يوم وليلة^[٩٠]، فلقوا

= خلافة أبي بكر (عام ١١ - ١٢ هجرية) وقد نقل ابن خلدون هذا السياق عن رواية في تاريخ الطبري التبتت على راويها الأمور، فلجؤ الفلال إلى دارين يبدو أنه كان إلى سلطة فارسية مجوسية كانت ما تزال تسيطر على الزارة والسابون ودارين، قال البلاذري:

«تحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى واسمه فيروز بن جشيش بالزارة وانضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطف وامتنعوا من أداء الجزية، فأقام العلاء على الزارة فلم يفتحها في خلافة أبي بكر وفتحها في أول خلافة عمر، وفتح العلاء السابون ودارين في خلافة عمر عنوة، وهناك موضع يعرف بخندق العلاء.

وقال المعمر بن المثنى: غزا العلاء قرى السابون في خلافة عمر بن الخطاب ففتحها، ثم غزا مدينة الغابة وقتل من بها من العجم، ثم أتى الزارة وبها المكعبر فيروز بن جشيش فحصره، ثم إن مرزبان الزارة دعا إلى البراز فبارزه البراء بن مالك فقتله، ثم خرج رجل من الزارة مستأماً على أن يدل على شرب القوم فدله على العين الخارجة من الزارة فسدها العلاء، فلما رأوا ذلك صالحوه على أن له ثلث المدينة وثلث ما فيها من ذهب وفضة والنصف مما كان لهم خارجها» - [ص ٩٦] - أما الذين لم يصلحوا من الفرس المجوس في زارة والسابون فلحقوا بدارين.

[٨٨] - إنما كان مسير العلاء والمسلمين إلى دارين بعد فتح الزارة ومصالحة أهلها حيث كما ذكر البلاذري «قال الأحنس العامري للعلاء إنهم لم يصلحوا على دارين وذرايرهم بدارين، ودله كراز البكري على المخاضة إليهم فتقحم العلاء في جماعة من المسلمين البحر إلى دارين».

[٨٩] - أي أن العلاء وجيشه اقتحموا البحر بالخيل والجمال والحمير وراجلين وليس بالسفن، وقد أجمعت كتب تراجم الصحابة والروايات التاريخية على أن العلاء كان مجاب الدعوة، فدعا هو والذين معه بهذا الدعاء وساروا فوق البحر.

[٩٠] - قال الطبري «فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وأن ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر في بعض الحالات» [ص ٢٦٠ ج ٢] ويتبين من نص البلاذري أن الذي مشوا فوقه من البحر هو مخاضة من مياه الخليج كان يمكن اجتيازها، قال البلاذري: «فلم يشعر أهل دارين إلا =

العدو واقتتلوا، وما تركوا بدارين مُخبراً، وسبوا الذراري، واستاقوا الأموال وبلغ نفل الفارس ستة آلاف والراجل ألفين^(٩٠)، ورجع العلاء إلى البحرين وضرب الإسلام فيها بجرانه^[٩١] انتهى.

غزو بلاد فارس من ناحية البحرين وعزل العلاء ثم المغيرة وولاية أبي موسى^[٩٢]

كان العلاء بن الحضرمي على البحرين أيام أبي بكر ثم عزله عمر بقدماء بن مظعون ثم أعاده^[٩٣]، وكان العلاء يباري^[٩٤] سعد بن أبي وقاص ووقع له في قتال أهل الردة ما وقع، فلما ظفر سعد بالقادسية كانت أعظم من فعل العلاء^[٩٥] فأراد

= بالتكبير فخرجوا فقاتلوهم من ثلاثة أوجه فقتلوا مقاتلتهم وحووا الذراري والسبي، فلما رأى المكعب الفارسي ذلك أسلم، وقال كراز في ذلك:

هاب العلاء حياض البحر مقتحماً فخضت قدماً إلى كفار دارينا
[ص ٩٦ فتوح البلدان].

وقال عفيف بن المنذر في ذلك:

ألم تر أن الله ذلل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلاجل
دعونا الذي شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

[٩١] - انتهى هنا ما نقلناه من حديث ابن خلدون عن العلاء والبحرين [ص ٧٦ و ٧٧ ج ٢].

[٩٢] - أورد ابن خلدون هذا المبحث بهذا العنوان في [ص ١٠٩ ج ٢] وجاء في العنوان تصحيف أو التباس هو «... وعزل العلاء عن البصرة ثم المغيرة..» وبما أن العلاء لم يكن أميراً للبصرة وإنما للبحرين استلزم التصويب بحذف كلمة (عن البصرة) هنا.

[٩٣] - نقل ابن خلدون هذا السياق وهذا الخبر عن رواية سيف التميمي وقد نقله أيضاً ابن جرير وابن كثير وذكر أنه من رواية سيف للاحتراز مما هو معهود في رواياته من الأهواء، فالسياق الصحيح كما في كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) أن العلاء بن الحضرمي «ولاه رسول الله ﷺ البحرين وتوفي رسول الله ﷺ وهو عليها، فأقره أبو بكر خلافته كلها ثم أقره عمر بن الخطاب» [ص ١٤٦ ج ٣] وكذلك في كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) وقد تقدم نص ذلك، وقال ابن كثير في البداية والنهاية «العلاء بن الحضرمي أمير البحرين لرسول الله ﷺ وأقره عليها أبو بكر ثم عمر» [ص ١٢٠ ج ٧].

[٩٤] - في الأصل «وكان العلاء يناوي سعد بن أبي وقاص» وهو تصحيف فصولناه كما في كتاب البداية والنهاية «وكان العلاء يباري.. الخ» [اهـ] أي ينافس سعداً، وما هو مذكور عن المنافسة هنا فيه شيء من أهواء التميمي يمكن التنبيه إليه.

[٩٥] - في هذا النص إشارة إلى عظمة ما فعله العلاء بن الحضرمي، فهو الذي نشر الإسلام في بلاد البحرين بمدلولها الواسع القديم (الاحساء - قطر - البحرين - الكويت) ثم قضى على التمرد الذي سُمي بالردة في خلافة أبي بكر، فترسخ ارتباط بلاد البحرين بدولة الخلافة =

(العلاء) أن يؤثر في الفرس شيئاً، فندب الناس إلى فارس وأجابوه، وفرّقهم أجناداً بين الجارود بن المعلّى والسوار بن همام وخليد بن المنذر، وأمره على جميعهم^[٩٦]، وحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر لأنه كان ينهى عن ذلك وأبو بكر قبله خوف الغرق^[٩٧]، فخرجت الجنود إلى اصطخر وبازائهم الهريذ في أهل فارس، وحالوا بينهم وبين سفنهم^[٩٨]، فخطبهم خُليد وقال: إنما جئتم

= العربية الإسلامية، ثم بدأ في تحرير مناطق وسواحل البحرين التي كانت ما تزال تحت احتلال فارس في أول خلافة عمر الذي تولى الخلافة (في جمادى الآخرة عام ١٣هـ) والعلاء يحاصر منطقة الزارة وبها المكعب الفارسي عامل كسرى، فافتتح العلاء مناطق الزارة والسابون والغابة وميناء دارين كما تقدم. وليس صائماً المقارنة بين عظمة ما فعله العلاء وعظمة انتصار القادسية ليس لأن سعد بن أبي وقاص كان مريضاً ولم يشهد القادسية - أصلاً - وإنما لأن ما فعله العلاء وانتصار القادسية وفتح جرير لسواد العراق كلها أفعال عظيمة.

[٩٦] - كان قرار العلاء بن الحضرمي بغزو فارس بحراً بالسفن من ساحل البحرين (الخليج العربي) قراراً تاريخياً - بصرف النظر عن نتائجه اللاحقة - فالمواجهة العربية الإسلامية مع الفرس سواء في اليمن أو البحرين أو القادسية والعراق كانت كلها في البلاد العربية وقضت على التواجد الفارسي المجوسي في بلاد عربية بينما مهاجمة بلاد فارس نفسها ومواجهة الفرس في عقر دارهم كان عملاً غير مسبوق، كذلك فإن المواجهات السابقة كانت برّاً، أما الغزو البحري بالسفن فلم يسبق للعرب بعد الإسلام القيام بأي غزو بحري، فكان العلاء أول من قام بذلك.

[٩٧] - في البداية والنهاية «فحملهم العلاء في البحر، وذلك بغير إذن عمر، وكان عمر يكره ذلك لأن رسول الله ﷺ وأبا بكر ما أغزيا فيه المسلمين، فعبرت الجنود من البحرين إلى فارس - بالسفن -» [ص ٨٤ ج ٧] فلم يكن هناك نهي عن الغزو البحري، بل إن عمر بن الخطاب لم يعترض على غزوة بحرية سابقة قام العلاء بتوجيهها بقيادة الصحابي اليمني القائد هرثمة بن عرفة البارقي إلى جزيرة فارسية افتتحها هرثمة - كما سيأتي - فالنهي أو الكراهة من عمر للغزو البحري كان لاحقاً للغزو الواسع لبلاد فارس بحراً الذي قام به العلاء والذي يتواصل الخبر عنه هنا.

[٩٨] - من المفيد الإشارة هنا إلى ما يلي:

أولاً: كان العلاء بن الحضرمي قد وجه غزوة بحرية سابقة إلى فارس بقيادة هرثمة بن عرفة البارقي الأزدي حيث ذكر البلاذري في فتوح البلدان ما يلي نصه «كان العلاء بن الحضرمي وهو عامل عمر بن الخطاب على البحرين وجه هرثمة بن عرفة البارقي من الأزدي ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس، ثم كتب عمر إلى العلاء أن يُمد به عتبة ففعل» [ص ٣٧٨] وجاء في كتاب البداية والنهاية ما يلي نصه «كتب عمر إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي بمدك بهرثمة بن عرفة فإذا قدم عليك فاستشره وقربه» [ص ٤٨ ج ٧].

ثانياً: كان ذلك الغزو والفتح البحري العربي الإسلامي الأول بقيادة هرثمة بن عرفة في =

لمحاربتهم والسفن والأرض لمن غلب، ثم ناهدوهم واقتتلوا بطاوس، وقُتل الجارود والسوار، وأمر خُليد أصحابه أن يُقاتلوا رجالةً، وقُتل من الفُرس مقتلةً عظيمةً^[٩٩]، ثم خرج المسلمون نحو البصرة^[١٠٠]، وأخذ الفرس عليهم الطرق فعسكروا وامتنعوا^[١٠٠]، وبلغ ذلك عمر (بن الخطاب) فأرسل إلى عتبة بالبصرة يأمره بإنفاذ جيش كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا^[١٠١]، وأمر العلاء

= مطلع عام ١٤هـ - لأن تأمير عتبة بن غزوان على ناحية البصرة كانت آنذاك، وقد ذكر ابن خلدون أنه «نزل عتبة البصرة في ربيع سنة ١٤هـ» [ص ١٠٣ ج ٢]

ثالثاً: كان الغزو البحري الذي وجهه العلاء إلى إقليم اصطخر الفارسي في بلاد فارس (على الشاطئ الفارسي للخليج العربي) ليس في عام ١٤هـ وإنما في عام ١٥هـ لأنه بعد الانتصار العربي الإسلامي في القادسية كما تقدم، فنزلت القوة العربية الإسلامية التي وجهها العلاء في إقليم اصطخر وتركوا السفن في الشاطئ بطبيعة الحال، أما الحيلولة بينهم وبين السفن فكان في وقت لاحق.

[٩٩] - يدل الانتصار على الفرس في موقعة طاوس بإقليم اصطخر على فتح اصطخر، وقد أشار ابن كثير إلى ذلك بمناسبة حديثه عن فتح اصطخر للمرة الثانية - عام ٢٣هـ - حيث قال: «افتتح المسلمون اصطخر وهذه المرة الثانية وكان أهلها قد نقضوا العهد بعدما كان جند العلاء الحضرمي افتتحوها حين جازوا في البحر والتقوا هم والفرس في مكان يقال له طاوس» [ص ١٣٠ ج ٧] فذلك يشير إلى وقوع فتح عربي إسلامي لاصطخر على يد جند العلاء الحضرمي - آنذاك - وأن قوة إسلامية رابطت هناك، بينما عادت بقية القوة إلى البحرين والبصرة، وربما كان منهم الذين أمدّ بهم العلاء عتبة بن غزوان إلى البصرة مع هرثمة بن عرفجة البارقي ثم مع القائد اليمني حذيفة بن محصن الحميري.

[١٠٠] - في البداية والنهاية «خرجوا يريدون البصرة فغرقت بهم سفنهم ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً ووجدوا شهرك في أهل اصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا عن العدو» [ص ٨٤ ج ٧] ويرتبط بذلك قول ابن خلدون في فقرة سابقة إن أهل فارس «حالوا بينهم وبين السفن» وقوله في فقرة لاحقة «وقد تداعى إليهم بعد وقعة طاوس أهل فارس من كل ناحية» [اهـ] ويتبين من ذلك أنه بعد وقعة وطاس والفتح وتمركز قوة إسلامية في اصطخر وصلت امدادات فارسية فحوصرت القوة الإسلامية وقطعوا عليها طريق البر والبحر ولم تتمكن القوة من الإنسحاب باتجاه البصرة فصمدت في موقعها.

[١٠١] - في البداية والنهاية أن الجيش الذي تم إنفاذه كان فيهم «... عرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، والأحنف بن قيس، وعلى الجميع سبرة بن أبي رهم» [اهـ] ومؤدى ذلك أن غالبية الجيش كانوا من قوات العلاء بن الحضرمي التي بعثها العلاء مدداً إلى البصرة، لأن عرفجة بن هرثمة البارقي [أو هرثمة بن عرفجة البارقي] والذين معه وحذيفة بن محصن الحميري والذين معه بالبحرين وعمان مع العلاء الحضرمي، وقد تقدم أن أبا سبرة بن رهم من قادة مذحج بينما هنا من عامر بن لؤي، مما يعني أنهما اثنان بنفس الاسم... وقد تمكن الجيش من استنقاذ القوة المحاصرة وعادوا إلى البصرة.

بالإنصراف عن البحرين إلى سعد بمن معه^[١٠٢]، فأرسل عتبة الجنود اثني عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة والأحنف بن قيس وأمثالهم، وعليهم سيرة بن أبي رهم من عامر بن لؤي^(١٠١) فساحل بالناس حتى لقوا خليداً والعسكر، وقد تداعى إليهم بعد وقعة طاوس أهل فارس من كل ناحية، فاقتتلوا وانهزم المشركون وقُتلوا، ثم انكفأوا بما أصابوا من الغنائم واستحثهم عتبة بالرجوع فرجعوا إلى البصرة.

عزل المغيرة وولاية أبي موسى الأشعري على البصرة^[١٠٣]

ومات عتبة ببطن نخلة على رأس ثلاث سنين من مفارقة

[١٠٢] - كان أمر عمر بانصراف العلاء عن البحرين عزلاً عن إمارته للبحرين حيث كما ذكر ابن كثير «عزله عمر على البحرين وولى مكانه أبا هريرة الدوسي» [ص ١٢٠ ج٧] وأمر عمر العلاء بالمسير إلى سعد بن أبي وقاص أي إلى الكوفة. وذكر ابن كثير أن العلاء «أمره عمر على الكوفة فمات قبل أن يصل إليها» [ص ١٢٠ ج٧] ومات العلاء في طريقه من البحرين إلى الكوفة عام ١٥هـ وقيل عام ١٤هـ وقيل عام ٢١هـ.

[١٠٣] - كان أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من أوائل الصحابة اليمنيين السابقين إلى الإسلام قبل هجرة النبي ﷺ إلى يثرب، وساهم في نشر الإسلام باليمن منذ وقت مبكر، ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ من اليمن إلى يثرب على رأس بضعة وخمسين رجلاً من الأشاعر ومعه أمه (طيبة بنت وهب) واخوته الثلاثة وعمه أبو عامر وعياض بن غنم الأشعري وسيرة بن أبي رهم الأشعري فاستقروا في يثرب منذ صفر عام ٧ هجرية وأخذ أبو موسى وأصحابه أماكنهم في موكب رسول الله ﷺ.

(*) وشهد أبو موسى فتح مكة وغزوة حنين وأوطاس وغيرها مع رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ يشيد بدوره في الجهاد ويطولته «سيد الفوارس، أبو موسى» وإلى جانب فروسيته كان عالماً بتبحر في العلوم والقضاء والفقه والإفتاء «قال الإمام الشعبي: انتهى العلم إلى ستة منهم أبو موسى. . . وقال المديني: قضاة الأمة أربعة: عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت» [ص ٣٦٠/الإصابة] وتزوج أبو موسى بابنة عم رسول الله ﷺ وهي (أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب» [ص ٨/١٤١ - الطبري + الإصابة].

(*) وعاد أبو موسى إلى اليمن بعد غزوة تبوك (رجب ٩هـ) عاملاً - أميراً - لرسول الله ﷺ على مناطق من تهامة اليمن مع معاذ بن جبل الأنصاري الذي ولاه النبي ﷺ على الجند ومخاليقها، «قال البخاري: باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن. . . بعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وقال لهما: يسرا ولا تُعسرا وبشرا ولا تُنفرا. . . وتطاوعا ولا تختلقا. . الخ» [ص ٩٩/ ج٥ - البداية والنهاية] وجاء في كتاب الإصابة أنه «كان أبو موسى عامل النبي ﷺ على زيد وعدن وغيرهما من اليمن وسواحلها» [ص ٣٦٠/الإصابة] - أي مناطق قسم الجند ومخاليقها التي كان معاذ أمير سائر عمالها، وقد حج أبو موسى حجة =

سعد^[١٠٤]، واستخلف على عمله أبا سبرة بن أبي رهم فأقره عمر بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها^[١٠٥]، وكان بينه وبين أبي بكر منافرة وكانا متجاورين في مشرتين ينفذ البصر من إحداهما إلى الأخرى من كوتين، فزعموا أن أبا بكر وزيايد بن أبيه - وهو أخوه لأمه - وآخرين معهما عاينوا المغيرة على حالة قذفه بها، وأدعوا الشهادة ومنعه أبو بكر من الصلاة، وبعثوا إلى عمر، فبعث أبا موسى أميراً^[١٠٦] في تسعة وعشرين من الصحابة فيهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر^[١٠٧] ومعهم كتاب عمر إلى المغيرة (أما بعد، فقد بلغني

= الوداع سنة عشر للهجرة وله أخبار فيها [ص ٥٣ قرة العيون] ثم عاد إلى عمله في اليمن، وكان معاذ والي اليمن وسائر عمالها وأبو موسى على عمله إلى أوائل خلافة أبي بكر فساهم أبو موسى في ارساء دعائم الإسلام في اليمن.

(*) ولما استنفر أبو بكر أهل اليمن إلى الجهاد انطلق أبو موسى إلى ميادين الجهاد على رأس قومه من الأشاعر وغيرهم من تهامة، ثم انضم أبو موسى إلى عتبة بن غزوان الذي بعثه عمر إلى ناحية (الأبلة) - عام ١٤/١٣ هجرية - وكانت الأبلة ميناء على الخليج قبل البصرة وقام العلاء بن الحضرمي بإمداد عتبة بعرفجة البارقي ومن معه وحذيفة بن محصن وغيرهم، فحاربوا الهرمزان (صاحب ما بين دجلة ودجيل) حيث ذكر ابن كثير أنه «كان أبو موسى على رأس جيش البصرة والأحنف بن قيس على رأس مدد الكوفة، فنصرهم الله على الهرمزان ثم طلب مصالحتهم فكتبوا إلى عتبة فصالحه عتبة» [ص ٧/٨٣].

[١٠٤] - كان عتبة بن غزوان أمير المنطقة التي سُميت البصرة بعد اختطاط البصرة في ربيع عام ١٤هـ ونزول المسلمين إليها وفيهم أبو موسى، ومات عتبة في آخر عام ١٥ هجرية وفي أغلب الروايات عام ١٤ هجرية.

[١٠٥] - قال ابن كثير «سار عتبة إلى الحج واستخلف على البصرة أبا سبرة بن أبي رهم. فلما انصرف عتبة من الحج مات في الطريق، فولى عمر بعده بالبصرة المغيرة بن شعبة، فوليتها بقية تلك السنة والتي تليها، ثم وقع الكلام في تلك المرأة. ثم بعث عمر أبا موسى.». .

[١٠٦] - كان أبو موسى قد توجه قبل ذلك - عام ١٥هـ - إلى الشام مع عياض بن غنم الأشعري على رأس جيش بقيادة عياض بن غنم مدداً لأبي عبيدة بن الجراح حيث كما ذكر ابن كثير «افتتح أبو موسى الرها وشمشاط عنوة، ثم افتتح مع عياض حران ونصيبين وطائفة من الجزيرة. .» [ص ٩٣ ج ٧] ومكث أبو موسى في الشام إلى عام ١٦هـ ثم عاد إلى عمر بالمدينة فبعثه أميراً على البصرة.

[١٠٧] - قال عمر لأبي موسى «إني أريد أن أبعثك إلى بلد قد عشعش فيه الشيطان» وأخبره أنه يريد توليته على البصرة فقال أبو موسى «أعني بعدة من الأنصار فبعث معه البراء بن مالك وأنس بن مالك وعمران بن حصين أبا نجيد الخزاعي وعوف بن وهب الخزاعي وعثمان بن حنيف الأنصاري، وأمره بأشخاص المغيرة إلى المدينة» [ص ٣٤٠ فتوح البلدان - البلاذري].

عنك نبأ عظيم، وبعثتُ أبا موسى أميراً، فسلم إليهِ ما في يدك، والعَجَلُ)، ولما استحضرهم عمر اختلفوا في الشهادة ولم يستكملها زياد فجلد الثلاثة [١٠٨]، ثم عزل (عمر) أبا موسى عن البصرة بعمْر بن سراقَة ثم صرفه إلى الكوفة [١٠٩]،

[١٠٨] - استحضر عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة والأربعة الذين اتهموه بالزنا من البصرة إلى المدينة المنورة فشهد منهم ثلاثة واختلفت شهادة زياد بن أبيه حيث أضاف أنه لا يعلم هل التي كانت مع المغيرة امرأته أو غيرها، فجلد عمر الثلاثة بتهمة القذف وكان ذلك عام ١٦هـ. وقد ذكرنا أن يعلى بن منية كان والي اليمن طيلة خلافة عمر (١٣ - ٢٣هـ) وانفرد الرازي في تاريخ صنعاء بأن المغيرة تولى اليمن في خلافة عمر مدة سنتين بدلاً عن يعلى بن منية ثم عاد يعلى والياً لليمن، فإذا صح تولية المغيرة يكون ذلك بعد عزله من البصرة، ثم عاد يعلى والياً لليمن في خلافة عمر حتى وفاته واستمر كذلك في خلافة عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥ هجرية).

[١٠٩] - كانت تولية أبي موسى الأشعري على البصرة بعد عزل المغيرة عام ١٦هـ (ربما في ربيع الآخر ١٦هـ حينما عاد أبو موسى من الشام) فمكث أبو موسى أميراً على البصرة عدة شهور ثم عاد إلى الشام - بتكليف من عمر - وتولى نائب له الأمر بالبصرة، فلما انهى أبو موسى مهمته بالشام عاد إلى المدينة عام ١٧هـ ومنها إلى البصرة، وقد استنتجنا ذلك من ربط الوقائع والوثائق التالية:

١ - قال البلاذري: «كانت تولية أبي موسى على البصرة في سنة ١٦ هجرية ويقال سنة ١٧هـ والثبّت أن أبا موسى وليّ البصرة سنة ١٦ هجرية» [ص ٣٤١/فتوح البلدان] ويزول التعارض بأنه تولى البصرة عام ١٦هـ ثم سار إلى الشام ثم عاد أميراً للبصرة عام ١٧هـ.

٢ - إن أبا موسى لما تولى البصرة عام ١٦هـ خطب في أهلها وسمي عمر بأمر المؤمنين «فكان أول من دعا لعمر باسم أمير المؤمنين أبو موسى الأشعري، وكتب أبو موسى (لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عبد الله أبي موسى الأشعري) وكان أول من كتب بذلك، فلما قرء الكتاب على عمر قال: إني عبد الله وإني عمر وإني أمير المؤمنين والحمد لله رب العالمين» [ص ٣١٢ ج ٢/مروج الذهب] فأصبح عمر يُنادى بأمر المؤمنين من ذلك العام وهو عام ١٦ هجرية.

٣ - كان أبو موسى هو الذي أشار على عمر باتخاذ تاريخ - أي تقويم سنوي - فتم اتخاذ التقويم الهجري وذلك في عام ١٦هـ وهو أمير للبصرة، وقد أورد كتاب (الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) تحت عنوان «كتاب أبي موسى الأشعري إلى عمر في التقويم» ما يلي نصه «كتب أبو موسى إلى عمر: إنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الناس للمشورة، فوضعوا التاريخ لهجرة المدينة وكان ذلك في سنة ١٦ هجرية» [ص ٥٢١/الوثائق السياسية] وجاء في (قرة العيون) ما يلي نصه «وأبو موسى الأشعري هو الذي أشار على عمر بن الخطاب بوضع تواريخ الإسلام» [ص ٥٢ قرة العيون/تحقيق الأكوخ].

٤ - كان مسير أبي موسى إلى الشام لاستكمال افتتاح منطقة الجزيرة الفراتية التي بدأت عام ١٥هـ، وقد ذكر ابن كثير وقوع تحرك روماني في الشام باتجاه حمص وأن أهل الجزيرة مالأوا =

وردة أبو موسى فأقام (أميراً) عليها [١١٠].

بناء البصرة والكوفة [١١١]

.. بلغ عمر - (في سنة أربع عشرة) - أن العرب تغيرت ألوانهم، ورأى ذلك

= الروم على حصار أبي عبيدة، فكتب عمر بإنفاذ جيش من الكوفة والبصرة إلى أبي عبيدة بمعية القعقاع، وإنفاذ جيش إلى الجزيرة بقيادة عياض بن غنم الأشعري ومعه أبو موسى، ثم ذكر أنه «في هذه السنة فتحت الجزيرة فسار إليها عياض بن غنم وفي صحبته أبو موسى الأشعري فنزل الرها ففتحها وكذلك فتح حران صلحاً، وسار أبو موسى إلى نصيبين فافتتحها، وسار عياض إلى دارا فافتتحها، وبعث القادة ففتح كل الجزيرة..» [ص ٧٦ ج ٧].

٥ - كان أبو موسى بالشام مع أبي عبيدة بن الجراح في عام ١٨ هـ وهو عام وياء طاعون عمواس المشهور بالشام «فدعا أبو عبيدة أبو موسى وقال له: اخرج فارتد للناس منزلاً - أرضاً مرتفعة نزهة - حتى اتبعك بهم، فخرج أبو موسى ثم عاد وقد أصاب الطاعون أبو عبيدة، فسار بالناس - سوياً - إلى منطقة الجابية، ثم رُفِعَ الوباء عن الناس» [ص ٧٨ ج ٧/ البداية والنهاية] وما لبث أن مات أبو عبيدة واستخلف معاذ بن جبل وتوجه أبو موسى إلى عمر بالمدينة ثم إلى البصرة.

أما خبر ابن سراقه فكان لما سار أبو موسى لفتح أصبهان فأتاب عنه ابن سراقه كما سيأتي بعد موقعة نهاوند.

[١١٠] - عاد أبو موسى الأشعري أميراً والياً على البصرة وأعمالها عام ١٧ و ١٨ هـ وقد مكث أبو موسى أميراً والياً للبصرة طيلة خلافة عمر حتى وفاة عمر واستخلاف عثمان في ذي الحجة ٢٣ هجرية واستمر أميراً للبصرة في خلافة عثمان إلى عام ٢٩ هجرية. وقد أورد كتاب (الوثائق السياسية) كتاب عمر إلى أهل البصرة بتولية أبي موسى حيث قال عمر «أما بعد، فإني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم، ليأخذ لضعيفكم من قويمكم، وليقاتل بكم عدوكم، وليجيئ لكم فيئكم ثم ليقسمه بينكم» [ص ٤٢٤]. وأخرج البخاري عن الحسن البصري قال «ما أتى البصرة راكبٌ خيرٌ لأهلها من أبي موسى» وجاء في كتاب (رجال حول الرسول) أنه «عندما بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري إلى البصرة ليكون أميرها وواليتها جمع أهلها وقام فيهم خطيباً فقال «إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم، أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم، وانظف لكم طرقكم» وغشي الناس من الدهش والعجب ما غشيهم، فإنهم ليفهمون كيف يكون تثقيف الناس وتفقيهم في دينهم من واجبات الحاكم والأمير، أما أن يكون من واجباته تنظيف طرقاتهم، فذاك شيء جديد عليهم، بل مثير وعجيب» [ص ٧٤٤ - رجال حول الرسول/ خالد محمد خالد].

[١١١] - بالرغم من أن ابن خلدون أورد هذا العنوان (بناء البصرة والكوفة) [ص ١١٠ ج ٢] فإن ما ذكره هنا يقتصر على ما قيل من سبب بناء الكوفة، ولم يذكر ما يتصل بالبصرة وهو أن المسلمين كانوا ينتشرون في موقع ميناء الأبله وما جاورها ويغيرون على الفرس من تلك الجهات منذ عام ١٣ هـ و ١٤ هـ فكتب عمر إلى عتبة بن غزوان «أن اجمع أصحابك في =

في وجوه وفودهم، فسألهم فقالوا: وخومة البلاد غيرتنا، وقيل إن حذيفة (بن اليمان) وكان مع سعد كتب بذلك إلى عمر، فسأل عمر سعداً، فقال: غيرتهم وخومة البلاد، والعرب لا يوافقها من البلاد إلا ما يوافق إبلها، فكتب إليه أن يبعث سلمان وحذيفة فلم يرضيا إلا بقعة الكوفة فصلياً فيها ودعواً أن تكون منزل ثبات ورجعا إلى سعد، فكتب إلى القعقاع وعبد الله بن المعتمر أن يستخلفا على جندهما ويحضرا، وارتحل من المدائن فنزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة . . . وكتب إلى عمر: إني قد نزلت الكوفة بين الحيرة والفرات . . . وخيرت الناس بينها وبين المدائن ومن أعجبته تلك جعلته فيها مسلحة^[١١٢]، فلما استقروا بالكوفة ثاب إليهم ما فقدوه من حالهم^[١١٣]، ونزل أهل البصرة أيضاً منازلهم في وقت واحد مع أهل الكوفة بعد ثلاث مرّات نزلوها من قبل، واستأذنوا جميعاً في بنيان القصب^[١١٤]، فكتب عمر أنّ العسكرة أشدّ لحربكم وأذكر لكم وما أحب أن أخالفكم، فابتنوا بالقصب^(١١٤) ثم وقع الحريق في القصرين، فاستأذنوا في البناء باللبن، فقال: افعلوا ولا يزيد أحد على ثلاثة بيوت ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلمزمكم الدولة^[١١٥] . . .

= موضع واحد، واكتب إليّ بصفته، . . . فكتب إليه يصف موضع البصرة . . . فكتب إليه عمر أن أنزلها الناس، فأنزلهم إياها، فبنوا المساكن بالقصب، وبنى عتبة مسجداً من قصب، وكذلك قصر الإمارة دون المسجد في الرحبة وفيه السجن والديوان، وذلك في سنة أربع عشرة، فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو، فإذا رجعوا أعادوا بناءه فلم تزل الحال كذلك حتى تولى أبو موسى البصرة.

[١١٢]- كان اختطاط الكوفة - كما ذكر البلاذري - بعد فتح المدائن والاستقرار فيها (في عام ١٦هـ) ثم إن المسلمين استوخموا المدائن، فكتب عمر إلى سعد بأن يتخذ للمسلمين دار هجرة وأن لا يجعل بين جزيرة العرب وبينهم بحراً، فتم اختيار موضع الكوفة واختطاطها عام ١٧هـ واستخلف سعد على المدائن الأمير اليماني شرحبيل بن حسنة الكندي كما تقدم.

[١١٣]- كانت خطط أهل اليمن بالقسم الشرقي من الكوفة وكان عددهم آنذاك اثني عشر ألفاً، فكانوا أكثر أهل الكوفة [ص ٢٧٦/ البلاذري].

[١١٤]- كان بناء الكوفة والبصرة من القصب بما في ذلك قصر الإمارة والمسجد، وكان أهل البصرة إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه حتى يعودوا من الغزو.

[١١٥]- تحولت البصرة من شبه معسكر، بيوته من القصب إلى مدينة في ولاية أبي موسى الأشعري للبصرة، فهو الذي قام بتمدين البصرة، حيث - كما ذكر البلاذري وغيره من المصادر التاريخية:

١ - «بنى أبو موسى المسجد ودار الإمارة بلبن وطين، ثم زاد أبو موسى في بناء المسجد . . . ثم إن الناس اختطوا وبنوا المنازل . . . وكان من دور البصرة، دار ابن ثُعب، نُسبت إلى عبد الرحمن بن ثُعب =

فتوحات أبي موسى الأشعري فتح الأهواز والسوس وما بعدهما [١١٦]

لما انهزم الهرمزان يوم القادسية قصد خوزستان وهي قاعدة الأهواز فملكها ومَلَك سائر الأهواز، وكان أصله منهم من البيوتات السبعة في فارس، وأقام يغير على أهل ميسان ودست ميسان من ثغور البصرة، يأتي إليها من مناذر ونهر تيري من ثغور الأهواز [١١٧]. ثم طلب الهرمزان الصلح فصالحه المسلمون على الأهواز

= الحميري، وتزوج أبو موسى ابنة عبد الرحمن فولدت له أبا بردة. ولما تولى بلال بن أبي بردة البصرة لخالد بن عبد الله القسري، اتخذ دار سليمان، وكان من أكبر دور البصرة» [ص ٣٤٢ و ٣٤٥] وكان من الدور المشهورة بالبصرة «قصر أنس بن مالك الأنصاري بالبصرة» [ص ٢٤٩] ودار المهلب بن أبي صفرة الأزدي ودار الربيع بن زياد الحارثي وكثير بن شهاب وأمثالهم.

٢ - وحفر أبو موسى نهر البصرة وهو نهر الأبلّة، وكان أهل البصرة في عناء شديد بسبب المياه حيث «كان شرب الناس من مكان فوهته في دجلة فوق الأبلّة بأربعة فراسخ يجري في سبخ لا عمارة على حافته وكانت الرياح تدفنه» ففكر أبو موسى في أن يحفر ويسوق النهر إلى البصرة وأرسل وقدأ من أهل البصرة إلى عمر، فكتب عمر إلى أبي موسى بأن يحفر النهر، «فحفر أبو موسى النهر المعروف بنهر الأبلّة. . . وابتدأ أبو موسى الحفر من الأجانة وقاد النهر ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة، فصار طول نهر الأبلّة أربعة فراسخ» - [ص ٣٥٢ / البلاذري] - كما قام أبو موسى بحفر نهر معقل بالبصرة [ص ٣٥٢] وشهدت العهود التالية حفر العديد من الأنهار بالبصرة كان منها «نهر الأمير اليميني خالد القسري. . . كما حفر يزيد بن المهلب نهر يزيد بالبصرة» [ص ٣٥٨ / ٣٥١ - ف. ب.].

٣ - قام أبو موسى بمسح مناطق إمارة البصرة «فاستقرى ومسح كور دجلة وسواها، ووضع الخراج عليها على قدر احتمالها» وبلغت مساحة السواد «سنة وثلثين مليون جريب» كما بلغ خراج السواد في ولايته مائة ألف درهم (أي مائة مليون درهم). وكان عدد أهل البصرة لما تولها أبو موسى نحو عشرة آلاف، فارتفع العدد في في آخر ولاية أبي موسى إلى «ثمانين ألفاً من العرب المقاتلة، كما وصل عدد عيالهم إلى مائة وعشرين ألفاً» ووصل عدد من تم فرض الجزية عليهم «خمسمائة ألف وخمسين ألف عليج» في مناطق إمارة البصرة بما في ذلك الأهواز وغيرها من بلاد فارس التي افتتحها أبو موسى الأشعري كما سيأتي.

[١١٦] - ذكر ابن خلدون فيما يلي من خبر الأهواز غارات المسلمين إلى الأهواز ونهر تيري ومناذر في إمارة عتبة بن غزوان للبصرة عام ١٥ / ١٤ هـ رداً على غارات الهرمزان، وانتهت بالمصالحة والمهادنة آنذاك، أما الفتح فكان بعد نقض المرزبان عام ١٧ / ١٦ هـ في ولاية أبي موسى للبصرة حيث كما ذكر البلاذري في فتوح البلدان:
«غزا أبو موسى كور الأهواز، فافتتح سوق الأهواز عنوة، وفتح نهر تيري عنوة، وتولى ذلك بنفسه» [ص ٣٧٠].

[١١٧] - ذكر ابن خلدون هنا غارات المسلمين في ولاية عتبة بن غزوان للبصرة وأن غالب =

كلها ما خلا نهر تيري ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فإنه لا يرده (١١٧)، فنقض الهرمزان ومنع ما قبله وكثف جنوده بالأكراد. . وكان يزدجرد في خلال ذلك يمدّ ويحرض أهل فارس حتى اجتمعوا وتعاهدوا مع أهل الأهواز على النصر [١١٨].

فكتب عمر إلى سعد أن يبعث جنداً كثيفاً (من الكوفة) مع النعمان بن مقرن ينزلون منازل الهرمزان، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن يبعث كذلك جنداً كثيفاً (من البصرة) مع سعد بن عدي أخي سهيل ويكون فيهم البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم، وعلى الجندين أبو سبرة بن أبي رهم [١١٩].

فخرج النعمان في أهل الكوفة فخلف حرقوصاً وسلمى وحرملة إلى الهرمزان وهو برامهرمز [١٢٠] فلما سمع المرزبان بمسير النعمان إليه بادره الشدة ولقيه فانهمز

= الوائلي وكليب بن وائل الكلبي افتتحا نهر تيري ومناذر، وافتتح حرقوص السعدي سوق الأهواز فانهمز الهرمزان إلى تستر، وهذا إنما كان في ولاية أبي موسى عام ١٧/١٦ هـ وبقيادته بعد نقض المرزبان للصالح فوقع التباس في ترتيب الأحداث.

[١١٨] - يرتبط بذلك ما ذكره ابن خلدون في فقرة لاحقة - كما سيأتي - حيث قال « . . إن يزدجرد سار بعد وقعة جلولاء فنزل اصطخر ومعه سياه في سبعين ألفاً من فارس، فبعثه إلى السوس، ونزل الكلبانية، وبعث الهرمزان إلى تستر ثم كانت واقعة أبي موسى فحاصروهم فصالحوه على الجزية وسار أبو موسى إلى رامهرمز ثم إلى تستر» [ص ١١٣ ج ٢] وكان ذلك عام ١٧ هـ لأن جلولاء كانت بعد فتح المدائن في آخر عام ١٦ هـ، فأمد يزدجرد الهرمزان فحشد جيشاً كثيفاً لغزو البصرة.

[١١٩] - يدل ربط الوقائع أن الذين كتب عمر ببعثهم من الكوفة كانوا مدداً لأبي موسى الأشعري أمير البصرة الذي بادر إلى غزو الأهواز لما نقض المرزبان وحشد الفرس والزرط والأكراد وإمدادات يزدجرد لغزو البصرة حيث كما ذكر البلاذري «غزا أبو موسى كور الأهواز، فافتتح سوق الأهواز عنوة، وفتح نهر تيري عنوة، وتولى ذلك بنفسه» [اه] وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك في قوله «ثم كانت واقعة أبي موسى فحاصروهم فصالحوه على الجزية وسار إلى رامهرمز» (اه) وكانت موقعة سوق الأهواز موقعة كبيرة انهزم فيها المرزبان وجيوشه هزيمة نكراء فانسحب إلى رامهرمز، وكان من قادة جيش أبي موسى حرقوص السعدي وجزء بن معاوية الزبيدي والأسود بن سريع المدحجي القائل في أبيات عن المعركة:

.. وولى الهرمزان على جواد سريع الشد يثفنه الجميع
وخلى سرة الأهواز كرهاً غداة الجسر إذ جاز الربيع

يعني الربيع بن زياد الحارثي وقد بعثه أبو موسى لفتح مناذر فحاصرها وبعث عدداً من القادة فحاصروا رامهرمز.

[١٢٠] - يتبين من الربط أن وصول النعمان ومدد الكوفة كان بعد فتح أبي موسى لسوق الأهواز =

ولحق بتستر، وجاء النعمان إلى رامهرمز فنزلها، وجاء أهل البصرة من بعده فلحقهم خبر الوقعة بسوق الأهواز^[١٢١]. فساروا (أي جند البصرة) حتى أتوا تستر، ولحقهم النعمان فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان، وأمدهم عمر بأبي موسى وجعله على أهل البصرة^[١٢٢].

= وغيرها ومحاصرة قاده لرامهرمز حيث كما ذكر البلاذري «ولم يزل أبو موسى يفتح الأهواز رستاقا رستاقاً ونهراً نهراً والأعاجم تهرب من بين يديه فغلب على جميع أرضها إلا السوس وتستر ومناذر ورامهرمز» (ص ٣٧٠).

[١٢١] - تقدم في الهامش قول ابن خلدون «وسار أبو موسى إلى رامهرمز» فوصل مدد الكوفة والبصرة وهو محاصر إياها فانسحب الهرمزان إلى تستر قال البلاذري «وصالح أبو موسى أهل رامهرمز على ثمانمائة ألف درهم ثم فتح أبو موسى سرق على مثل صلح رامهرمز» (اه).

[١٢٢] - كان أبو موسى قد وجّه فريقاً من جيشه (جند البصرة) إلى تستر ولحقهم النعمان بمن معه من الكوفة إلى تستر، بينما توجه أبو موسى إلى مناذر فحاصرها، حتى أتاه كتاب عمر بالمسير إلى تستر، وقد سبق ذلك:

أولاً: حصار وفتح مناذر، حيث كما ذكر البلاذري: - «حاصر أبو موسى مناذر فاشتد قتال أهلها، وكان المهاجر بن زياد الحارثي أخو الربيع بن زياد الحارثي في الجيش. . فقاتل حتى استشهد. . وفيه يقول القائل:

وفي مناذر لما جاش جمعهم راح المهاجر في حل بأجمال
والبيث بيت بني الديان نعرفه في آل مذحج مثل الجوهر الغالي

واستخلف أبو موسى الربيع بن زياد الحارثي على مناذر وسار إلى السوس، ففتح الربيع مناذر عنوة، وصارت مناذر الكبرى ومناذر الصغرى بيد المسلمين، (وكان المهلب بن أبي صفرة الأزدي ممن شهد حصار وفتح مناذر). . وقال قوم: إن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى وهو محاصر مناذر أن يخلف عليها ويسير إلى السوس فخلف الربيع على مناذر. . فلما افتتحها سار الربيع إلى أبي موسى. . وولى أبو موسى على مناذر قيس بن الصلت السلمي» [ص ٣٧١ فتوح البلدان].

ثانياً: فتح السوس أو سوسة، يذكر ابن خلدون فتح السوس بعد تستر، بينما ذكر البلاذري والعديد من المصادر أن فتح السوس بعد مناذر وقبل تستر، ويبدو أنهما اثنتان (السوس) و(سوسة) فتم دمج الخبر عنهما، وكانت مدينة السوس (سوسة Susa) عاصمة الإمبراطورية الفارسية القديمة ومقر ملكها المشهور كورش Cyrus (٥٥٩ - ٥٢٠ ق.م). واستمرت عاصمة للفرس عدة قرون وكانت بجانبها مدينة أحصن تُسمى (برسيبوليس). ولما احتل الفرس العراق واتخذوا المدائن عاصمة لهم في القرن الثالث الميلادي استمرت السوس كإحدى مدنهم العظمى في بلاد فارس، فلما تم الفتح التحريري العربي الإسلامي للعراق ثم افتتاح الأهواز على يد أبي موسى - كما تقدم - سار أبو موسى إلى السوس وكان عليها أمير كبير هو - كما يذكر ابن كثير - «شهريار أخو الهرمزان» فحاصرها أبو موسى «فنازلهما حيناً، وقتل من =

فحاصروهم أشهراً، وأكثروا فيهم القتل، وزاحفهم المشركون ثمانين زحفاً سجلاً^[١٢٣]، ثم انهزموا في آخرها، واقتحم المسلمون خنادقهم وأحاطوا بها وضاق عليهم الحصار^(١٢٣).

فاستأمن بعضهم من داخل البلد بمكتوب في سهم على أن يدلهم على مدخل يدخلون منه، فانتدب لهم طائفة ودخلوا المدينة من مدخل الماء فملكوها وقتلوا المقاتلة وتحصن الهرمزان بالقلعة فأطافوا بها واستنزله على حكم عمر وأوثقوه^[١٢٤]،

= الفريقين خلق كثير، فأشرف عليه علماء أهلها، فقالوا: لا تعبوا في حصار هذا البلد.. قال ابن كثير «واتفق أنه كان في جيش أبي موسى صاف بن صياد فأرسله أبو موسى، فجاء إلى الباب فدقه فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق، ودخل المسلمون البلد وقتلوا من وجدوا - من المقاتلة - حتى نادوا بالأمان ودعوا إلى الصلح فأجابهم المسلمون إلى ذلك، وذكر ابن جرير أنهم وجدوا (قبر وجثة) النبي دانيال، وكتب أبو موسى إلى عمر في أمره فكتب إليه أن يدفنه ويغيب عن الناس موضع قبره» [ص ٨٨ ج ٧/ البداية والنهاية].

وذكر البلاذري أنه «سار أبو موسى إلى السوس فقاتل أهلها ثم حاصروهم حتى نفذ ما عندهم من الطعام فضرعوا إلى الأمان، وسأل أميرهم أن يؤمن ثمانون منهم على أن يفتح باب المدينة ويسلمها فسمي الثمانين وأخرج نفسه منهم، فأمر به أبو موسى فضربت عنقه (بمن قتل من المسلمين) ولم يعرض للثمانين وقتل من سواهم من المقاتلة وغنم الأموال وسبي الذرية» [ص ٣٧١] والسوس هذه غير السوس التي تقدم ذكرها، فإحداهما (سوسة) والأخرى (برسيوليس).

ثالثاً: افتتاح جند يسابور: قال البلاذري «وسار أبو موسى إلى جند يسابور فطلب أهلها الأمان فصالحهم، وتوجهت طائفة من أهل جند يسابور إلى الكلبيانية فوجه أبو موسى الربيع بن زياد الحارثي إلى الكلبيانية ففتحها.. واستأمنت الأساورة فأمنهم أبو موسى فأسلموا، ويقال: إنهم شهدوا تستر مع أبي موسى» [ص ٣٧٥] ومنهم القائد (سباه) الذي سيذكره ابن خلدون.

وأثناء ذلك تواصلت إمدادات يزيدجرد والفرس إلى تستر والهرمزان، فكتب عمر إلى أبي موسى بالتوجه إلى تستر وكتب عمر إلى عمار بن ياسر في الكوفة وجرير بن عبد الله البجلي أمير حلوان بالتوجه إلى تستر فتدققوا إليها بالفرسان والرجال.

[١٢٣] - كانت فرقة من المسلمين متمركزة بإزاء تستر لعدة شهور، أما موقعة تستر فكانت بعد وصول أبي موسى، وقد تحدث عنها د. خالد محمد خالد في كتاب (رجال حول الرسول) قائلاً: - «في موقعة تستر، حيث تحصن الهرمزان بجيشه فيها وجمع جيوشاً هائلة كان أبو موسى بطل هذه الموقعة.. وقد أمده أمير المؤمنين يومئذ بأعداد هائلة من المسلمين، على رأسهم عمار بن ياسر والبراء بن مالك وأنس بن مالك.. والتقى الجيشان، جيش المسلمين بقيادة أبي موسى، وجيش الفرس بقيادة الهرمزان في معركة من أشد المعارك ضراوة وبأساً.. وانسحب الفرس إلى داخل مدينة تستر المحصنة» [ص ٧٤٨].

[١٢٤] - تحرى د. خالد محمد خالد في كتاب (رجال حول الرسول) المصادر الموثوقة فيما =

واقتمسوا الفيء فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف والراجل ألف، وقتل من المسلمين في تلك الليلة البراء بن مالك ومجزأة بن ثور^[١٢٥]. ثم خرج أبو سبرة في إثر المنهزمين ومعه النعمان وأبو موسى فتزلوا على السوس، وسار ذرّ بن عبد الله الفقيمي إلى جند يسابور فنزل عليها^[١٢٦]، وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بالرجوع إلى البصرة وأمر مكانه الأسود بن ربيعة بن مالك صحابي يُسمى المقترّب^(١٢٦)، وأرسل (أبو سبرة) بالهرمزان إلى عمر في وفد منهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس فقدموا به المدينة^[١٢٧].

= تقدم من أنه «كان جيش المسلمين في موقعة تستر بقيادة أبي موسى» فلما «انسحب الفرس إلى داخل مدينة تستر المحصنة حاصرها المسلمون أياماً طويلة، حتى أعمل أبو موسى عقله وحيلته، فأرسل مائتي مقاتل مع عميل فارسي أغراه أبو موسى بأن يحتال حتى يفتح باب المدينة أمام الطليعة التي اختارها لهذه المهمة، ولم تكد الأبواب تفتح، وجنود الطليعة يقتحمون الحصن حتى انقض أبو موسى بجيشه انقضاضاً مُدمماً، واستولى على المعقل الخطير في ساعات، واستسلم قادة الفرس حيث بعث بهم أبو موسى ليرى أمير المؤمنين فيهم رأيه» (ص ٧٤٨) وكان في الأسرى الذين بعثهم أبو موسى إلى عمر أميرهم الهرمزان، وقد أخذه أبو موسى من تستر إلى البصرة مع الأسرى ثم أرسله من البصرة إلى عمر بمعية أنس بن مالك والأحنف بن قيس.

[١٢٥] - تقدم قول د. خالد «إن أمير المؤمنين أمدّ أبا موسى - قبل موقعة تستر - بأعداد هائلة من المسلمين على رأسهم عمار بن ياسر والبراء بن مالك وأنس بن مالك» (اه) وقد ذكر البلاذري أنه «كتب عمار بن ياسر إلى جرير بن عبد الله البجلي يُعلمه أن عمر بن الخطاب أمره بالمسير مدداً لأبي موسى، فاستخلف جرير على حلوان عزرة بن قيس البجلي وسار جرير حتى أتى أبا موسى (في تستر)» (ص ٢٩٩) وكذلك سار عمار بن ياسر من الكوفة إلى تستر «وعلى ميمنة عمار البراء بن عازب الأنصاري وعلى ميسرته حذيفة بن اليمان وعلى خيله قرظة بن كعب الأنصاري وعلى رجالته النعمان بن مقرن، وكان على ميمنة أبي موسى البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور السدوسي، وعلى الخيل أنس بن مالك» (ص ٣٧٣/ البلاذري) وكان في الجيش من كبار الصحابة والقادة أيضاً الأشعث بن قيس الكندي وقيس بن مكشوح المرادي وكثير بن شهاب الحارثي وعرفجة بن هرثمة البارقي الأزدي وأمثالهم، واستشهد البراء بن مالك الأنصاري ومجزأة بن ثور في معركة سقط فيها تسعمائة قتيل من الفرس يوم انسحبوا إلى المدينة وتحصنوا فيها، وما لبث أن تم الفتح والنصر للجيش العربي الإسلامي بقيادة أمير البصرة أبي موسى الأشعري.

[١٢٦] - كان مسير هؤلاء لمطاردة فلول الفرس المنهزمين الذين هربوا إلى جهات السوس وجند يسابور، بعد فتح تستر، ورجع أبو موسى إلى البصرة واستخلف المقترّب بن ربيعة على تستر واللاحق بفلول المنهزمين من تستر فسار إلى السوس مع أبي سبرة.

[١٢٧] - جاء في الأصل هنا «وأرسل أبو سبرة الهرمزان» وهو تصحيف والتباس، وإنما «أرسل =

ولما لحق أبو سبرة بالسوس ونزل عليها وبها شهريار أخو الهرمزان فأحاط بها ومعه المقترب بن ربيعة في جند البصرة فسأل أهل السوس الصلح فأجابوهم^[١٢٨]، وسار المقترب إلى ذر بن عبد الله على جند يسابور فحاصروها مدة ثم رُمي السهم بالأمان من خارج على الجزية فخرجوا لذلك فناكرهم المسلمون، فإذا عبد فعل ذلك أصله منهم فأمضى عمر أمانه^(١٢٨).

وقيل في فتح السوس إن يزدجرد سار بعد وقعة جلولاء فنزل اصطخر ومعه سياه في سبعين ألفاً من فارس فبعثه إلى السوس ونزل الكلبانية وبعث الهرمزان إلى تستر.

ثم كانت واقعة أبي موسى فحاصروهم وصالحهم على الجزية وسار إلى رامهرمز ثم إلى تستر، ونزل سياه بين رامهرمز وتستر وحمل أصحابه على صلح أبي موسى ثم على الإسلام، على أن يقاتلوا الأعاجم ولا يقاتلوا العرب ويمنعهم هو من العرب ويلحقوا بأشراف العطاء، فأعطاهم ذلك عمر، وأسلموا وشهدوا فتح تستر^[١٢٩].

= أبو موسى الهرمزان وقادة الفرس إلى عمر ليرى فيهم رأيه كما تقدم في (رجال حول الرسول) وكذلك في فتوح البلدان (ص ٣٧٣ - ٣٧٥) وغيرهما من المصادر. ولما مثل الهرمزان بين يدي عمر جرى بينهما حوار ثم أسلم الهرمزان وأسكنه عمر بالمدينة، وقد أورد ابن خلدون نص الحوار هنا.

[١٢٨]- كان أبو موسى قد افتتح السوس وجند يسابور كما تقدم قبل موقعة تستر، فلما انهزم الفرس في تستر هرب فلول من الفرس باتجاه السوس وجند يسابور فلحق بهم هؤلاء القادة (أبو سبرة/المقترب/زر) فسأل الذين هربوا إلى السوس الصلح على الجزية وكذلك الذين لاذوا بجند يسابور فتمت إجابتهم إلى ذلك، فتوهم أحد الرواة أن ذلك هو فتح السوس وجند يسابور، ونقل ابن خلدون ذلك. والصواب كما تقدم أن ما حدث هو مطاردة الفلول وأن الفتح تم بقيادة أبي موسى.

[١٢٩]- كان ذلك بعد فتح أبي موسى للسوس وسوسة وجند يسابور (قبل فتح تستر) حيث ذكر البلاذري أنه «سار أبو موسى إلى جند يسابور فطلبوا الأمان فصالحهم على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسببه ولا يعرض لأموالهم سوى السلاح، وتوجهت طائفة من أهل جند يسابور إلى الكلبانية (التي كان سياه نزلياً فيها) فوجه أبو موسى إلى الكلبانية الربيع بن زياد.

وكان شرط سياه ومن معه من الأساورة على أن يسلموا ويقاتلوا العدو «وعلى أنه إن قاتلنا العرب منعتمونا منهم وأعتموننا عليهم، وعلى أن ننزل بحيث شئنا من البلدان وعلى أن نلحق بشرف العطاء، فقال أبو موسى: بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا، قالوا: لا نرضى إلا بهذا الشرط، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر: أن أعطيهم جميع ما سألو، فصاروا مع أبي موسى ونزلوا البصرة وفرض لهم في شرف العطاء، وشهدوا تستر مع أبي موسى. «[ص ٣٦٧ و ٣٦٨].

ب - وتذكر رواية أخرى إسلامهم بعد تستر، ويبدو أنهم طائفة أخرى من الأساور اسم كبيرهم =

ومضى سياه إلى بعض الحصون في يد العجم فغدرهم وفتحته للمسلمين [١٣٠].

وكان فتح تستر وما بعدها سنة سبع عشرة وقيل ست عشرة [١٣١].

= شيرويه فقال لهم: «إن هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وإن أمرهم في الظهور كما ترون، وليس هذا عن باطل، فانظروا لأنفسكم وادخلوا في دينهم، فأجابوه إلى ذلك، فسار شيرويه في عشرة إلى أبي موسى فأخذوا ميثاقاً على ما وصفنا من الشرط وأسلموا» [ص ٣٦٨ فتوح البلدان للبلاذري] - وكانوا زهاء ثلثمائة شخص.

وذكر ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: إن هؤلاء الأساورة كانوا قد فروا بعد تستر، وبعث أبو موسى عمار بن ياسر ليلحق بهم فأجابوه إلى الإسلام، وأرسلوا وفدهم إلى أبي موسى، فكتب أبو موسى فيهم إلى عمر فكتب إليه عمر بالاستجابة لما شرطوا «وإن يفرض لهم في ألفين ألفين (من العطاء) وفرض لسته منهم في ألفين وخمسمائة، وحسن إسلامهم» [ص ٨٩ ج ٧].

[١٣٠] - كان ذلك بعد فتح تستر حيث ذكر ابن كثير «إن المسلمين حاصروا حصناً فامتنع عليهم، فجاء أحد الأساورة فرمى بنفسه في الليل على باب الحصن وضمخ ثيابه بالدم، فلما نظروا إليه حسبوا أنه منهم، ففتحوا له باب الحصن ليأووه فنار إلى البواب فقتله، وجاء بقية أصحابه فقتلوا المجوس وفتحوا - باب - الحصن» [ص ٨٩ ج ٧/ البداية والنهاية].

وكان مسير سياه والأساورة من الكلبنانية التي كان الربيع بن زياد الحارثي افتتحها فعاد إليها بعد تستر حيث كما ذكر البلاذري: - «فتح الربيع بن زياد الحارثي ثيبان من قبل أبي موسى عنوة. وفتح (أيذج) بعد قتال شديد، وفتح ثات بن ذي جرة الحميري قلعة ذي الرناق. . وفتح أبو موسى دورق عنوة» [ص ٣٧٥].

وكان ثات بن ذي جرة وكذلك الربيع بن زياد الحارثي ممن شاركوا مع قيس بن مكشوح المرادي وعمرو بن معد يكرب في الثورة ضد الفرس بصنعاء والقضاء على شهر بن باذان في يوم صنعاء الأول ثم في ثورة قيس وإجلاء الفرس من اليمن عام ١١هـ ثم في القادسية وما بعدها، حيث قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

والقادسية حيث زاحم رستم
والضاربين بكل أبيض مخذم
ومضى ربيعٌ بالجياذ مُشْرِقاً
حتى استباح قرى السواد وفارس
كنا الحماة بهن كالأشطان
والطاعنين مجامع الأضغان . .
ينوي الجهاد وطاعة الرحمن
والسهل والأجبال من مكران

يعني الربيع بن زياد الحارثي . . ومما يلحق بإسلام الأساورة قول البلاذري: - «وأما السيابجة والزط والأندغار فإنهم كانوا في جند الفرس، ممن سبوهم وجندوهم من أهل السند. فلما سمعوا بما كان من أمر الأساورة أتوا إلى أبي موسى وأسلموا، فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة . . وكانت جماعة السيابجة موكلين ببيت مال البصرة يقال إنهم أربعون ويقال أربعمائة» (أه).

[١٣١] - كان فتح الأهواز والسوس وجند يسابور عام ١٧هـ فتكون تستر عام ١٨ هجرية وقيل عام ١٩ تسعة عشر هجرية.

وقعة نهاوند وما كان بعدها من الفتوحات [١٣٢]

لما فُتحت الأهواز، ويزدجرد بمرور [١٣٣] كاتبوه واستنجدوه، فبعث إلى الملوك ما بين الباب والسند وخراسان وحلوان يستمددهم، فأجابوه واجتمعوا إلى نهاوند وعلى الفرس الفيرزان في مائة وخمسين ألف مقاتل [١٣٣].

وكان سعد بن أبي وقاص قد ألب أقواماً عليه من عسكره وشكوه إلى عمر، فبعث محمد بن مسلمة في الكشف عن أمره فلم يسمع إلا خيراً سوى مقالة من بني عيس [١٣٤]، فاستقدمه محمد إلى عمر، وخَبَرَهُ الخبر وقال: كيف تصلي يا

[١٣٢] - كانت موقعة نهاوند أكبر مواجهة مع الأمبراطورية الفارسية في بلاد فارس وُسِّمَت (فتح الفتوح) وكان من قادتها وأبطالها الأشعث الكندي وحجر الكندي، فقال الشاعر مشيراً إلى ذلك:

ويوم جلولاء الوقيعة لم يَلْمُ ويوم نهاوند الفتوح وتسترا

[١٣٣] - هو الملك الفارسي كسرى يزدرج، وقد ذكر ابن خلدون في موضع سابق أنه كان في (أصبهان) وهو الأصوب، فلما افتتح أبو موسى إقليم الأهواز الذي كان من مدنه مناذر والسوس وتستر والكلبانية واصطخر وغيرها، استنفر يزدرج بقية أقاليم الأمبراطورية الفارسية.

ومنها - كما ذكر البلاذري «أهل الري وقومس وأصبهان وهمذان والماهين، فاجتمعوا إلى يزدرج وذلك في سنة عشرين، فأمر عليهم مردانشاه والحاجب، وأخرجوا رايتهم الدرفشكايان، وكانت عدتهم يومئذ ستين ألفاً ويقال مائة ألف» [ص ٣٠٠] - فاجتمعوا إلى نهاوند - قال ابن كثير «اجتمع أهل فارس من كل فج بآرض نهاوند، حتى اجتمع منهم مائة وخمسون ألفاً، وعليهم الفيرزان، ويقال بندار، ويقال ذو الحاجب. . . وتعاهدوا وتعاقدوا على أن يقصدوا الكوفة ثم البصرة. . .» [ص ١٠١ ج ٧].

[١٣٤] - كان سعد بن أبي وقاص أمير الكوفة وأعمالها من أرض العراق (حلوان، وماسبدان، وقرقيسيا، والموصل)، وكان لكل منها أمير عامل منهم الصحابي الأمير اليماني جرير بن عبد الله الججلي أمير حلوان، فلما سار جرير إلى عمر بن الخطاب - عام ١٨ هـ. «قال له عمر: كيف تركت سعداً، فقال جرير: تركته أكرم الناس مقدرة، وأحسنهم معذرة، ميمون الأثر مرزوق الظفر، وأشد الناس عند البأس، قال عمر: فأخبرني عن حال الناس، فقال جرير: هم كسهام الجعبة، منها القائم الرائش ومنها العصل الطائش، وابن أبي وقاص ثقافها يغمز عصلها ويقيم ميلها، والله أعلم بالسرائر» [ص ٢٣٥ ج ٢ - الاستيعاب].

وقد تقدم أيضاً إشادة عمرو بن معد يكرب بسعد بن أبي وقاص لما سأله عمر عنه، أما الذين شكوه إلى عمر فزعموا أنه لا يحسن الصلاة وغير ذلك مما نلمسه أيضاً في قول بشر بن ربيعة الخثعمي اليماني:

وسعد أمير شره دون خيره وخير أمير في العراق جرير

سعد، قال: أطيل الأوليئين وأحذف الأخيرتين، قال: هكذا الظن بك، ثم قال: من خليفتك على الكوفة، قال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فأقره [١٣٥]، وشافهه بخبر الأعاجم [١٣٦] وأشار بالانسياح ليكون أهيب على العدو، فجمع عمر الناس واستشارهم بالمسير بنفسه فمن موافق ومخالف إلى أن اتفق رأيهم على أن يبعث الجنود ويقيم رداء لهم.

فولى (عمر) على حربهم النعمان بن مقرن المزني وكان على جند الكوفة. . وأمره أن يصير إلى ماء لتجتمع الجيوش عليه ويسير بهم إلى الفيرزان ومن معه [١٣٦] وكتب إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان أن يستنفر الناس مع النعمان فبعثهم مع حذيفة بن اليمان ونعيم بن مقرن [١٣٧]. . واجتمع الناس إلى النعمان وفيهم حذيفة وجريير والمغيرة وابن عمر وأمثالهم [١٣٧]. وأرسل النعمان طليحة وعمرو بن معدي كرب طليعة، ورجع عمرو من طريقه وانتهى طليحة إلى نهاوند ونفض الطرق فلم يلق بها أحداً، وأخبرها الناس.

فرحل النعمان وعبي المسلمين ثلاثين ألفاً [١٣٨].

فلما تراءى الجمعان، كبر المسلمون وحطت العرب الأثقال وتبادر أشرف

[١٣٥] - هو عبد الله بن عبد الله عتبان الأنصاري، وكان عمر قد ولي عمار بن ياسر على صلاة الكوفة وتفقيه الناس [ص ٢٦٩/ البلاذري] «واستقضى عمر في سنة ١٨هـ شريح بن الحرث الكندي على قضاء الكوفة وكعب بن سوار الأزدي على قضاء البصرة» [ص ١١٤ ج ٢] وانتهت إمارة سعد على الكوفة عام ١٩هـ وكان على جند الكوفة النعمان بن مقرن المازني.

[١٣٦] - قال البلاذري «كتب عمار بن ياسر إلى عمر بخبرهم - أي الحشد الفارسي في نهاوند - فهم عمر أن يغزوهم بنفسه. .» ثم اختار النعمان أميراً للجيش «وقال له: إن أصبت فالأمير حذيفة بن اليمان، فإن أصيب فجريير بن عبد الله، فإن أصيب فالمغيرة، فإن أصيب فالأشعث بن قيس» (اه).

[١٣٧] - المقصود بالناس هنا قادة وجند الكوفة وأعمالها. . قال ابن كثير: - «. .» وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري أن يسير بجند وأهل البصرة إلى نهاوند» [ص ١٠٨ ج ٧/ البداية والنهاية].

[١٣٨] - قال د. خالد محمد خالد في كتاب (رجال حول الرسول): «وأرسل عمر إلى المقاتلين كتابه يقول: (إذا اجتمع المسلمون فليكن كل أمير على جيشه، وليكن أمير الجيوش جميعاً النعمان بن مقرن. فإذا استشهد فليأخذ الراية حذيفة، فإذا استشهد فجريير بن عبد الله) وهكذا مضى أمير المؤمنين في تحديد قواد المعركة حتى سُمي منهم سبعة» [ص ٢٥٣] وقد ذكر البلاذري أن خامسهم الأشعث بن قيس الكندي - كما تقدم - وذكر ابن كثير أنه «كتب عمر (إذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه، والأمير على الجميع النعمان بن مقرن. فإذا =

الكوفة إلى فسطاط النعمان فيهم حذيفة بن اليمان والمغيرة بن شعبة وعقبة بن عمرو وجريز بن عبد الله وحنظلة الكاتب وبشير بن الحضاضية والأشعث بن قيس [١٣٩] ووائل بن حجر [١٤٠] وسعيد بن قيس الهمداني [١٤١].

ثم تزاحفوا للقتال يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب سجال، ثم أحجروهم في خنادقهم يوم الجمعة وحاصروهم أياماً. ثم انفض الأعاجم وانهمزوا حتى سالت أرض المعركة دماً تزلق فيه المشاة حتى زلق فيه النعمان وضُرع، وقيل بل أصابه سهم فسجاه أخوه نعيم بثوب، وتناول الراية حذيفة بن اليمان بعهده [١٤٢] وتواصوا بكتمان موته.

وذهب الأعاجم ليلاً وعميت عليهم المذاهب وعقرهم حسك الحديد ووقعوا

= قتل فحذيفة بن اليمان، فإن قتل فجرير بن عبد الله، فإن قُتل فقيس بن مكشوح المرادي، فإن قتل قيس ففلان ثم فلان حتى عدَّ سبعة» [ص ١٠٨ - ج ٧/ البداية والنهاية] وذلك بالنسبة لجيش إمارة الكوفة وأعمالها، أما جيش إمارة البصرة وأعمالها فكان بقيادة أبي موسى الأشعري حيث كما ذكر ابن خلدون في فقرة لاحقة «حضر أبو موسى الأشعري نهاوند على أهل البصرة» وقد أعطيت قيادة الجيوش للنعمان لأنه كان قائداً لجند الكوفة ولأن منطقة نهاوند تقابل أعمال إمارة الكوفة، ولم يتم تولية أمير للكوفة بشكل حاسم وإنما أقرَّ عمر عبد الله بن عبد الله بن عتبان الذي استخلفه سعد، وبما أن في الأمراء القادة من هم أعلى مكانة من النعمان بن مقرن قال عمر بن الخطاب «إذا اجتمع المسلمون فكل أمير على جيشه» ونص على سبعة من الأمراء القادة للمعركة، بينهم كبار الأمراء القادة اليمانيين الثلاثة: جريز بن عبد الله وقيس بن المكشوح والأشعث بن قيس.

[١٣٩] - كان الأشعث بن قيس على ميمنة الجيش الإسلامي في موقعة نهاوند [ص ٣٠٢ فتوح البلدان للبلاذري].

[١٤٠] - هو وائل بن حجر الحضرمي الجد الأعلى للمؤرخ ابن خلدون كما تقدم في حديثه عن حضرموت في الفصل الخامس عن قبائل اليمن.

[١٤١] - هو الأمير اليماني القائد سعيد بن قيس الهمداني، وفيه قال الشاعر حارثة بن بدر:

الله يجزي سعيد الخير نافلة أعني سعيد بن قيس قِرم همدان

وقال في قصيدة أخرى بكتاب الأغاني (ص ٢٥ ج ١٠):

.. يقودهم ملك جزل مواهبه واري الزناد لدى الخيرات مذكور

أغرَّ أبلج يُستسقى الغمام به جنابه الدهر يضحى وهو مطور

أعني سعيد بن قيس خير ذي يمن سامي العماد لدى السلطان محبور

[١٤٢] - كان عمر بن الخطاب قد نص على أن يتولى حذيفة بن اليمان القيادة إذا أصيب النعمان، فلما استشهد النعمان تولى حذيفة بن اليمان القيادة فتم النصر في موقعة نهاوند (فتح الفتوح) وانهمز الفرس «هزيمة لا تكاد نجد لها نظيراً»!

في اللهب الذي أعدوه في عسكرهم فمات منهم أكثر من مائة ألف، منهم نحو ثلاثين ألفاً في المعركة، وهرب الفيرزان بعد أن صُرع إلى همدان. . فاعترضه وقتله المسلمون على الثنية ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة وغنموا ما فيها [١٤٣].

فتوح أبي موسى والأمراء اليمينيين بعد نهاوند [١٤٤]

. . وكان أبو موسى الأشعري قد حضر نهاوند على أهل البصرة، فلما انصرف مرّ بالدينور فحاصرها خمسة أيام ثم صالحوه على الجزية [١٤٥].

وسار إلى أهل شيروان [١٤٦] فصالحوه كذلك [١٤٧].

وبعث السائب بن الأقرع إلى الصيمرة ففتحها صلحاً [١٤٨].

[١٤٣] - كانت موقعة نهاوند آخر المواقع التي شهدها فارس اليمن والعرب عمرو بن معد يكرب الزبيدي حيث أصيب عمرو بجراح خطيرة في ساعات نصر نهاوند العظيم، ثم أثبتته الجراح فمات بقرية الروذ بنهاوند (عام ٢١هـ) بعد عمر حافل بالشعر والبطولات والأمجاد في الجاهلية والإسلام تتوجت بانتصار وفتح نهاوند «ودفن عمرو بموضع يسمى كرمانشاهان».

[١٤٤] - استحدثنا هذا العنوان لأننا سنقتصر على ما ذكره ابن خلدون عن فتوح أبي موسى والقادة اليمينيين في بقية هذا الفصل ليس إلا.

[١٤٥] - فتح الدينور: وهي مدينة ومركز منطقة من إقليم هَمْدَان ببلاد فارس، فسار أبو موسى من نهاوند إلى الدينور قال البلاذري «فحاصرها أبو موسى خمسة أيام قوتل منها يوماً واحداً، ثم إن أهلها أقرّوا بالجزية والخراج وسألوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وأولادهم فأجابهم إلى ذلك، وحلّف بها عامله في خيل» [ص ٣٠٤ فتوح البلدان].

ومما يتصل بالدينور أن القائد اليمني كثير بن شهاب الحارثي بنى قصرأ في الدينور.

[١٤٦] - فتح ماسبذان: ذكر البلاذري بعد فتح الدينور أنه «مضى أبو موسى إلى ماسبذان، وقيل إنه فتح ماسبذان قبل وقعة نهاوند، فصالحوه» ومما يتصل بماسبذان في فترة لاحقة أن «زهرة بن الحارث بن منصور بن قيس بن كثير بن شهاب اتخذ بماسبذان ضياعاً» (اهـ) أما (شيروان) في نص ابن خلدون فهي الشيروان.

[١٤٧] - فتح الشيروان: وهي شيروان حيث «صالحه أهل الشيروان على مثل صلح الدينور وعلى أن يؤدوا الجزية والخراج، وبث أبو موسى السرايا فيهم فغلب على أرضها» [ص ٣٠٤ البلاذري] - وهي أيضاً من إقليم هَمْدَان.

[١٤٨] - فتح الصيمرة (مهرجانقذف): كانت الصيمرة مدينة وعاصمة منطقة (كور/مهرجانقذف) بإقليم همدان، فبعث أبو موسى لفتحها قوة بقيادة السائب بن الأقرع وهو صهره على ابنته - وهي أم محمد بن السائب - «ففتح الصيمرة مدينة مهرجانقذف صلحاً على حقن الدماء وترك السباء والصفح عن الصفراء والبيضاء وعلى أداء الجزية وخراج الأرض، وفتح جميع كور مهرجانقذف» [ص ٣٠٤ فتوح البلدان] ثم عاد أبو موسى إلى البصرة.

. . وأمر عمر (القادة المسلمين) بالانسياح في بلاد الأعاجم، وعزل عبد الله بن عبد الله بن عتبان عن الكوفة وبعثه في وجه آخر وولى مكانه ابن حنظلة حليف بني عبد قصي واستعفى فأعفاه وولى عمار بن ياسر^[١٤٩]، وأمدهم بأبي موسى^[١٥٠]، وأمّد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله ثم بعثه إلى أصبهان مكان حذيفة وولى على البصرة عمرو بن سراقه^[١٥١].

ولما فصل عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى أصبهان، وكان من الصحابة من وجوه الأنصار حليف بني حبل، فأمّده (عمر) بأبي موسى^[١٥٢].

= وكان فتح أبي موسى لذلك القسم من إقليم همذان خلال الأسابيع التي تلت موقعة نهاوند، وفي ذات الفترة قام جيش من الكوفة بقيادة حذيفة بن اليمان والقعقاع ونعيم بن مقرن بفتح قسم آخر من همذان صلحاً وأكمل الفتح جرير البجلي.

[١٤٩] - تولية عمار بن ياسر على الكوفة: ولى الخليفة عمر بن الخطاب الصحابي اليميني الكبير عمار بن ياسر العنسي إمارة الكوفة والأقاليم التابعة لها من العراق بعد موقعة نهاوند بأمد يسير. ومما يدل على الزمن «أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمار بن ياسر بعد شهرين من موقعة نهاوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الريّ ودستبي في ثمانية آلاف ففعل، وسار عروة إلى ما هناك فجمعت له الديلم وأمدهم أهل الري فقاتلوه، فأظهره الله عليهم فقتلهم واجتاحهم» [ص ٣١١/ البلاذري] وساهم أبو موسى في فتح إقليم الري ودستبي. .

[١٥٠] - فتح إقليم الريّ: قول ابن خلدون «وأمدهم بأبي موسى» أي أمد عمر القوات التي سارت من الكوفة وقادة الإنسياح في بلاد الأعاجم بأبي موسى الأشعري فسار بجيشه من البصرة إلى إقليم الريّ ودستبي الذي بدأ القائد اليميني عروة بن زيد الخيل في اجتياحه، ومما يتصل بذلك قول البلاذري «وقد كان أبو موسى غزا الريّ بنفسه» [ص ٣١٥] فيكون ساهم بفتح أنحاء من إقليم الريّ بينما فتح عروة أنحاء منها ولم يشمل الفتح جهات من الريّ ودستبي، فلما ولى عمر بن الخطاب المغيرة على الكوفة وكثير بن شهاب على إقليم الريّ «غزا كثير بن شهاب الديلم فأوقع بهم وأذعنت له البلاد وغزا البير والطيلسان» - وذلك عام ٢١ - ٢٢هـ - ثم «افتتح أبو موسى بقية أعمال الري وطالقان ودماوند» في خلافة عثمان [ص ١٩٧ ج ٥ - البدء والتاريخ للمقدسي + ص ١٩٢ - المعارف لابن قتيبة + ص ٣١٤ - البلاذري].

[١٥١] - كانت ولاية ابن سراقه بالنيابة عن أبي موسى لما سار لفتح الريّ وإقليم أصبهان عام ٢١ هجرية.

[١٥٢] - يرتبط بذلك ما ذكره ابن خلدون في موضع لاحق [ص ١٢٤] ونورده هنا ليتكامل السياق حيث قال ابن خلدون: - «خبر الأكراد وفتح بيروذ»: «اجتمع بيروذ بين نهريري ومناذر من الأهواز جموع من الأعاجم أعظمهم الأكراد، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى أن يسير إلى أقصى تخوم البصرة وردد لأمرء المنساحين، فسار إلى بيروذ وقاتل تلك =

.. فسار عبد الله بمن معه نحو أصبهان^[١٥٣] وكان على جندها (برستاق أصبهان) الأسبيدان وعلى مقدمته شهريار بن جادويه في جمع عظيم برستاق أصبهان، فاقتتلوا، وبارز عبد الله بن ورقاء شهريار فقتله، وانهزم أهل (رستاق) أصبهان، وصالحهم الأسبيدان على ذلك الرستاق، ثم ساروا إلى أصبهان وتسمى جي وملكها الفاذوسفان فصالحهم على الجزية والخيار بين المقام والذهاب، وقال ولكم أرض من ذهب^(١٥٣).

وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الأهواز فدخل معه أصبهان^[١٥٤].

= الجموع قتالاً شديداً، وقاتل المهاجر بن زياد حتى قتل، ثم وهن الله المشركين فتحصنوا منه في قلة وذلة، فاستخلف أبو موسى عليهم الربيع بن زياد (الحارثي) وسار إلى أصبهان مع المسلمين الذين يحاصرونها.. وفتح الربيع بن زياد بيروذ وغنم ما فيها.. [انتهى].
ومسير أبي موسى إلى أصبهان لا يستلزم أن يكون مدداً للمسلمين الذين تقدموا إليها بقيادة عبد الله بن عبد الله بن عتيان الأنصاري لأنه كان قد أصبح من نواب وقادة محور البصرة وفتوحاتها، فأبو موسى هو الأمير وابن عتيان من نوابه وقادته.

[١٥٣] - فتح إقليم ومدينة أصبهان: كان إقليم أصبهان من أهم أقاليم الإمبراطورية الفارسية، وكانت مدينة أصبهان عاصمة ومدينة الإقليم. وكان الملك الفارسي كسرى يزدرجرد قد اتخذ مدينة أصبهان مقراً له منذ الفتح العربي الإسلامي للعراق (فتح المدائن وجلولاء) قال ابن خلدون «وقد تقدم أن يزدرجرد سار بعد جلولاء إلى الري، ثم سار يزدرجرد والناس معه إلى أصبهان..» [ص ١٢١/٢] فكان كسرى يزدرجرد بأصبهان منذ عام ١٦ هجرية إلى أن تقدم إليها الجيش العربي الإسلامي المبعوث بقيادة عبد الله بن عتيان الأنصاري، فابتدأ بفتح رستاق أصبهان التابع للأسبيدان، ثم تقدموا إلى رستاق (جي أصبهان) التابع للفاذوسفان، وسار أبو موسى من (بيروذ) إلى أصبهان قبيل مصالحة الفاذوسفان فهو الذي صالحه وكتب له عهد الصلح كما يأتي.

[١٥٤] - كان قدوم أبي موسى بالجيش الذي معه إلى عبد الله بن عتيان ومن معه قبل مصالحة الفاذوسفان فصالحه ثم توجه إلى مدينة أصبهان ومعه عبد الله بن عتيان وعبد الله بن بدليل بن ورقاء الخزاعي وعصمة بن عبد الله وغيرهم من القادة، «فهرب يزدرجرد من أصبهان إلى إقليم (كرمان) وافتتح أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري مدينة أصبهان صلحاً وكل إقليم أصبهان» [ص ٣٠٩ - ٣١١ فتوح البلدان + ص ٣٠٦ - الإصابة في تمييز الصحابة].

وفيما يلي نص كتاب صلح وعهد أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري لأهل أصبهان:

«بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من عبد الله بن قيس للفاذوسفان وأهل أصبهان وحواليها. إنكم آمنون ما أديتم الجزية بقدر طاقتكم في كل سنة، تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم، على كل حال. وعليكم دلالة المسلم وإصلاح طريقه، وقراء يوماً وليلة، وحملان الراجل إلى مرحله، وللمسلمين نصحتكم وأداء ما عليكم، ولكم الأمان ما فعلتم، فإذا غيرتم شيئاً أو غيره =

وكتبوا إلى عمر بالفتح، فكتب (عمر) إلى عبد الله أن يسير إلى سهيل بن عدي لقتال كرمان^[١٥٥]، فاستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع^[١٥٦]، ولحق (عبد الله) سهيل قبل أن يصل كرمان.

وافتح أبو موسى قُم وقاشان^[١٥٧].

... وسار أبو موسى إلى أصبهان مع المسلمين الذين يُحاصرونها، حتى

= مُغْتَرٍ مِنْكُمْ وَلَمْ تُسَلِّمُوهُ فَلَا أَمَانَ لَكُمْ... كتب وشهد عبد الله بن قيس، وشهد عبد الله بن ورقاء وعصمة بن عبد الله^[ص ٣٣٣/الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - د. محمد حميد الله].

[١٥٥] - لعل المقصود هنا كتاب عمر بتوجيه القائد اليمني عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي قبل فتح أصبهان، حيث جاء في (فتوح البلدان) للبلاذري أنه «لما انصرف أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من نهاوند سار إلى الأهواز فاستقرأها، ثم أتى (قُم) وأقام عليها أياماً ثم افتتحها، ووجه الأحنف إلى قاشان ففتحها عنوة ثم لحق به، وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري يأمره بتوجيه عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي في جيش إلى أصبهان، فوجهه، ففتح عبد الله بن بديل (رستاق) جي صلحاً بعد قتال على أن يؤدي أهلها الخراج والعجزة وعلى أن يؤمنوا على أنفسهم وأموالهم خلا ما في أيديهم من السلاح، ووجه عبد الله بن بديل: الأحنف بن قيس وكان في جيشه إلى اليهودية فصالحه أهلها على مثل ذلك الصلح... ونزل أبو موسى بأصبهان فعرض عليهم الإسلام فأبوا، فعرض عليهم العجزة فصالحوه عليها فباتوا على صلح ثم أصبحوا على غدر فقاتلهم وأظهره الله عليهم.

وقد روي أن عمر بن الخطاب وجه عبد الله بن بديل في جيش فوافى أبا موسى وقد فتح (قُم) و(قاشان) فغزوا جميعاً أصبهان وعلى مقدمة أبي موسى الأحنف بن قيس ففتحها (اليهودية) على ما وصفنا، وفتح ابن بديل (جي)، وساروا جميعاً في أرض أصبهان فغلبوا عليها. «[ص ٣٠٩] - أما المسير إلى كرمان التي انسحب إليها يزدجرد فكان بتوجيه أبي موسى - عام ٢٢هـ - كما سيأتي - بينما كان فتح بيروذ وقم وقاشان وأصبهان عام ٢١ هجرية.

[١٥٦] - السائب بن الأقرع هو صهر أبي موسى الأشعري على ابنته وكان من قادة جيش أبي موسى... وجاء في فتوح البلدان أنه كان عبد الله بن بديل العامل على أصبهان منذ فتحها إلى أن مضت من خلافة عثمان سنة ثم ولاها عثمان السائب بن الأقرع [ص ٣٠٩] ولكنه ذكر بداية تولية عبد الله بن بديل بأنها في عام ٢٣هـ مما يوحي بأن السائب تولاه عام ٢١ - ٢٢هـ ثم تولاه عبد الله بن بديل وأعاد فتح بعض نواحيها التي انتقضت عام ٢٣هـ ومكث عاملاً عليها عام ٢٤هـ (في خلافة عثمان) ثم تولاه السائب.

[١٥٧] - فتح قُم وقاشان: أورد ابن خلدون هنا (ص ١١٨ ج ٢) أنه «افتتح أبو موسى قُم وقاشان» بعد نبال فتح أصبهان. وجاء في فتوح البلدان للبلاذري أن أبا موسى افتتح قم وقاشان ثم سار منهما إلى أصبهان فافتتحها وهو الأصوب. وقد أصبحت مدينة قم التي افتتحها أبو موسى من أهم المراكز الإسلامية في بلاد فارس (إيران) حتى اليوم.

إذا فُتحت رجع إلى البصرة^[١٥٨]، وفتح الربيع بن زياد الحارثي بيروذ وغنم ما فيها ولحق به بالبصرة وبعثوا إلى عمر بالفتح والأخماس^[١٥٩]، وأراد ضبة بن محصن العنزي أن يكون في الوفد، فلم يحبه أبو موسى فغضب وانطلق شاكياً إلى عمر بانتقائه ستين غلاماً من أبناء الدهاقين لنفسه وأنه أجاز الحطيئة بألف وولى زياد بن أبي سفيان أمور البصرة، واعتذر أبو موسى وقبّله عمر^[١٥٩].

فتح هَمْدَانِ وَقَزْوِينِ

كان أهل همدان قد صالح عليهم خسر شنوم القعقاع ونعيماً، وضمنهما، ثم انتقض، فكتب عمر إلى نعيم أن يقصدها. . فاستولى على بلادها أجمع حتى صالحوا على الجزية^[١٦٠]، وقيل إن فتحها كان سنة أربع وعشرين^[١٦١]، فبينما

[١٥٨] - أوردنا هنا بقية ما ذكره ابن خلدون في «خبر الأكراد وفتح بيروذ» عن فتح أصبهان (ص ١٢٤ ج ٢) ويتبين من ذلك أن أبا موسى عاد إلى البصرة بعد افتتاح إقليم أصبهان. . وقد ذكر ابن خلدون في نهاية الخبر عن فتح أصبهان (ص ١١٨ ج ٢) أنه «ولى عمر على الكوفة سنة إحدى وعشرين المغيرة بن شعبة وعزل عماراً» [انتهى]. وذلك يشير إلى أن فتح أصبهان وما رافقها كان سنة ٣١ هجرية - وهو الصواب - ثم أورد ابن خلدون الخبر المنقول هنا (ص ١٢٤ ج ٢) في آخر أخبار عهد خلافة عمر بن الخطاب - عام ٢٣ هـ - فهل انتقضت أصبهان فسار إليها أبو موسى مرة أخرى وافتتحها عام ٢٣ هجرية؟ . . يبدو أن الأمر كذلك، فقد تقدم ما جاء في فتوح البلدان من أن أبا موسى صالح أهل أصبهان على الجزية «فباتوا على صلح ثم أصبحوا على غدر فقاتلهم وأظهره الله عليهم» وأنه «كان فتح أصبهان وأرضها في بعض سنة ثلاث وعشرين هجرية» [ص ٣١٠ فتوح البلدان].

[١٥٩] - بعث أبو موسى بعد عودته من أصبهان إلى البصرة - عام ٢١ هـ - إلى عمر بن الخطاب بنياً فتح بيروذ وقم وقاشان وإقليم أصبهان وبخمس الغنائم، ولا بد أنه بعث أيضاً بنياً انسحاب الملك الفارسي يزدجرد من أصبهان إلى إقليم كرمان واصطخر، وبما يلزم اتخاذه إزاء ذلك والمبادرة إلى فتح بقية أقاليم بلاد مملكة الفرس وأنه «لا يزال أهل فارس يقاتلون ويتنقضون ما دام ملكهم فيهم أو حتى يهلك ملكهم فلو أذنت بالإنسياح في بلادهم فأزلنا ملكهم انقطع رجاؤهم» وأبلغ الأحنف بن قيس ذلك عمراً - عن أبي موسى - فأمر عمر بالإنسياح.

[١٦٠] - كان إقليم هَمْدَانِ إقليماً كبيراً من أقاليم الدولة الفارسية وكان (خسر شنوم) أميراً لعاصمة إقليم همدان وقسم من الإقليم سار إليه جيش إسلامي بقيادة القعقاع ونعيم بن مقرن بعد موقعة نهاوند - (عام ٢٠ هـ) - فصالحهم (خسر شنوم) على الجزية، بينما افتتح أبو موسى الأشعري آنذاك قسماً من إقليم همدان شمل الدينور وسيروان وماسبذان والصيمرة وجميع كور مهر جانقذف.

[١٦١] - القول بأن فتح همدان كان سنة ٢٤ هـ - والأصح ٢٣ هـ - هو الفتح الثاني بقيادة جرير بن عبد الله كما سيأتي.

نعيم يجول في نواحي هَمَذان إذ جاء الخبر بخروج الديلم وأهل الرّي وأسفنديار أخو رستم بأهل أذربيجان فاستخلف نعيم على هَمَذان يزيد بن قيس الهمداني [١٦٢] وسار إليهم فاقتتلوا وانهزم الفُرس . . وكتبوا إلى عمر بالفتح فأمر نعيماً بقصد الرّي . . وقيل إنّ المغيرة بن شعبة أرسل من الكوفة جرير بن عبد الله البجلي إلى هَمَذان ففتحها صلحاً وغلب على أرضها [١٦٣] ، وقيل تولاهما بنفسه وجرير على مقدمته (١٦٣) .

ولما فتح جرير هَمَذان بعث البراء بن عازب إلى قزوين ففتح ما قبلها وسار إليها [١٦٤] ،

[١٦٢] - الأصوب «سعيد بن قيس الهمداني» وهو القائد الأمير اليميني المشهور المتقدم ذكره، وكان قد أقام أميراً في همدان التي تم مصالحة أهلها وأميرها على الجزية بعد نهاوند (عام ٢١هـ) ثم انتفض إقليم همدان والكثير من نواحي فارس بعد انسحاب يزدجرد من اصبهان إلى اصطخر وكرمان وتمركزه فيها (عام ٢٢هـ) غالباً.

[١٦٣] - فتح الأمير القائد اليميني جرير بن عبد الله البجلي لأقليم همدان وتوليته على همدان: كان للصحابي الأمير اليميني القائد جرير بن عبد الله البجلي الذي وصفه النبي ﷺ بأنه «خير ذي يمن» كان له دور عظيم في القادسية وفي فتح أغلب أرجاء العراق - كما تقدم - وافتتح حلوان وتولى إمارتها وكان من قادة انتصار نهاوند.

وفي عام (٢٢/٢٣هـ) انتفض إقليم همدان الذي كان قد صولح على أداء الجزية، وكان عمر بن الخطاب قد ولي المغيرة بن شعبة على الكوفة بعد عمار بن ياسر فأمره بتوجيه جرير لافتتاح همدان . . حيث كما جاء في فتوح البلدان للبلاذري: «وجه المغيرة بن شعبة وهو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عزل عمار بن ياسر، جرير بن عبد الله البجلي إلى همدان، وذلك في سنة ٢٣هـ فقاتله أهلها، ودفع دونها، فأصيبت عينه بسهم فقال: احتسبتها عند الله الذي زين بها وجهي ونزولي ما شاء ثم سلّبتها في سبيله، ثم فتح جرير همدان على مثل صلح نهاوند، وكان ذلك في آخر سنة ٢٣هـ فقاتله أهلها ودفع عنها وغلب على أرضها فأخذها قسراً» [ص ٣٠٦] وكان ذلك هو الفتح الحقيقي لهمدان.

(*) قال البلاذري «وقال الواقدي فتح جرير همدان سنة ٢٤هـ بعد ستة أشهر من وفاة عمر بن الخطاب، وقد روى بعضهم أن المغيرة بن شعبة سار إلى همدان وعلى مقدمته جرير فافتتحها» [ص ٣٠٦] وبما أن همدان إقليم كبير فيمكن أن يكون المغيرة سار إلى إحدى نواحي ورساتيق همدان وعلى مقدمته جرير فافتتحها وعاد إلى الكوفة، بينما افتتح جرير عاصمة وسائر أرجاء إقليم همدان وتولى إمرتها، ويمكن أن إحدى نواحي إقليم همدان تأجل فتحها إلى أن فتحها جرير عام ٢٤هـ وقد مكث جرير أميراً لأقليم همدان طيلة خلافة عثمان (٢٤ - ٣٦هـ) وأرسى دعائم الإسلام في ذلك الإقليم، وساهم جرير في فتح أرمينية حيث يذكر المقدسي في (البدء والتاريخ) أنه «افتتح جرير بن عبد الله أرمينية» [ص ١٩٨ ج ٥ - البدء والتاريخ + ص ١٧٢ - القبائل العربية في المشرق - د. ناجي حسن].

[١٦٤] - كان حصن قزوين يسمى بالفارسية كشوين ومعناه الحد المحفوظ وبينه وبين الديلم =

فاستنجدوا بالديلم فوعدوهم، ثم جاء البراء في المسلمين فخرجوا لقتالهم، والديلم وقوف على الجبل ينظرون، فيئس أهل قزوين منهم وصالحوا البراء على صلح أبهر قبلها، ثم غزا البراء الديلم وجيلان (١٦٤).

فتح أذربيجان [١٦٥]

(لما) أمر عمر بالانسياح في بلاد الأعاجم.. بعث عتبة بن فرقد وبكر بن عبد الله إلى أذربيجان يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل [١٦٦].

ولما افتتح نعيم الري أمره عمر أن يبعث سماك بن خرشة الأنصاري إلى أذربيجان ممداً لبكير بن عبد الله، وكان بكير بن عبد الله عندما سار إلى أذربيجان لقي بالجبال أسفنديار بن فرخزاد.. فهزمه بكير وأسرته، فقال له: أمسكني عندك فأصالح لك على البلاد، فأمسكه وسارت البلاد صلحاً إلا الحصون، وقدم عليه سماك بن خرشة وهو في مثل ذلك وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه، وكتب بكير إلى عمر يستأذنه في التقدم، فأذن له أن يتقدم نحو الباب وأن يستخلف على ما استفتح، فاستخلف عتبة بن فرقد وجمع له عمر أذربيجان كلها فولى عتبة

= جبل، فسار البراء بن عازب ومعه حنظلة بن زيد الخيل الطائي فافتتحا حصن أبهر وصالحا أهل أبهر على الجزية، ثم ساروا إلى حصن قزوين وقاتلوهم، فلما يسوا من مساندة الديلم طلبوا الأمان والصلح فصولحوا على صلح أبهر، وقيل إنهم أسلموا، فرتب البراء معهم خمسمائة رجل من المسلمين. ثم غزا البراء الديلم حتى أدوا الجزية وغزا جيلان والبيبر والطيلسان وفتح زنجان عنوة [ص ٣١٨/ البلاذري].

[١٦٥] - كان إقليم أذربيجان اقليماً كبيراً من أقاليم الإمبراطورية الفارسية، يقع قسم منه حالياً في جمهورية إيران والقسم الآخر يُشكل حالياً جمهورية أذربيجان إلى داغستان في القوقاز، ومعنى (أذربيجان) أرض النار.

[١٦٦] - اكتمل افتتاح الموصل ونواحيها عام ٢٠هـ على يد عتبة بن فرقد السلمي وهرثمة بن عرفجة البارقي الأزدي، وولى عمر عتبة بن فرقد على الموصل، ثم - كما في فتوح البلدان للبلاذري - «عزل عمر بن الخطاب عتبة بن فرقد عن الموصل وولاها هرثمة بن عرفجة البارقي» [ص ٣٣٧] وكان ذلك لما بعث عتبة إلى أذربيجان وولاه إياها (عام ٢١/٢٢هـ).

وكان الأمير اليميني هرثمة بن عرفجة البارقي هو مؤسس العصر العروبي الإسلامي بالموصل ونواحيها، حيث كما ذكر ابن الكلبي: «أول من اختط الموصل وأسكنها العرب ومَصَرها هرثمة بن عرفجة البارقي» قال البلاذري «وكان بالموصل الحصن ويبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود، فمصرها هرثمة [أي جعلها مدينة] فأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع..» [ص ٣٢٧ فتوح البلدان/ البلاذري].

سماك بن خرشة على ما افتتحه بكير^[١٦٧]، ثم غزا عتبة بن فرقد شهرزور والصامغان ففتحهما بعد قتال على الجزية والخراج، وقتل خلقاً من الأكراد، وكتب إلى عمر أن فتوحى بلغت أذربيجان فولاه إياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل^(١٦٧).

من فتوح بقية بلاد فارس^[١٦٨]

ولما خرج الأمراء الذين توجهوا إلى فارس من البصرة افترقوا وسار كل أمير

[١٦٧] - اكتفى ابن خلدون في خبر فتح أذربيجان [ص ١٩ ج ٢] برواية واحدة عن فتحها بقيادة عتبة بن فرقد وبكير بن عبد الله وسماك بن خرشة الأنصاري (عام ٢٢/٢٢هـ) وقد سبق ذلك كما في فتوح البلدان افتتاح حذيفة بن اليمان لعاصمتها أردبيل ونواحيها صلحاً ثم عزله عمر وبعث عتبة بن فرقد فأتاه من الموصل فوجد أهل أردبيل على العهد، وانتقضت عليه نواح فغزاهما فظفر وغنم [ص ٣٢٢] وكانت أذربيجان اقليماً كبيراً مترامي الأطراف، وربما انتقض ما تم فتحه صلحاً منها، وقد ثبت في فتوح البلدان عن ما تلا ذلك أنه:

١ - «أن المغيرة بن شعبة - أمير الكوفة - غزا أذربيجان من الكوفة سنة ٢٢هـ حتى انتهى إليها ففتحها عنوة ووضع عليها الخراج، ثم أنهم كفروا فغزاهم الأشعث بن قيس الكندي ففتح حصن باجروان وصالحهم على صلح المغيرة، ومضى صلح الأشعث إلى اليوم» [ص ٣٢٢].

٢ - فتح الأمير اليميني الأشعث بن قيس الكندي لأذربيجان وولاياته إياها. . بدأ فتح الأشعث لقسم من أذربيجان وإمرته عليها في ولاية المغيرة للكوفة وآخر خلافة عمر (عام ٢٣هـ) ثم ولى عثمان بن عفان الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة فغزا الوليد أذربيجان عام ٢٥هـ ومعه الأشعث بن قيس، وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم، فلما انصرف الوليد ولى الأشعث بن قيس أذربيجان فانتقضت، فكتب إليه يستمده، فأمده بجيش من الكوفة، ففتح الأشعث أذربيجان خاناً خاناً والنخاس الحائر في كلام أهل أذربيجان - فافتتحها الأشعث وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام. . ثم ولى علي بن أبي طالب الأشعث أذربيجان، فلما قدمها وجد أكثرها قد أسلموا وقرأوا القرآن، فأنزل الأشعث في أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب ومَصْرَهَا وبنى مسجدها وتم توسيعه بعد ذلك. . . ولما نزلت العرب أذربيجان نزعت إليها عشائهم من البصرة والكوفة والشام وغلب كل قوم على ما أمكنهم وابتاع بعضهم من العجم الأرضين والجنث إليهم القرى للخفارة فصار أهلها مزار عين لهم. . ونزل الرواد الأزد تيريز وبنى بها وحصنها فنزل الناس معه، وأما الميانج وخبلائها فمنازل الهمدانيين وقد مدن عبد الله بن جعفر الهمداني محلته بالميانج، وأما كورة برزه فلأود من مذحج. . وأما أرمية فللأزد، وأما نريز فنزلها مر بن عمرو الطائي فبنى بها، ثم أنهم بنوا بأذربيجان قصوراً ومدنوها. . وفي سراة جماعة من كنده أخبرني بعضهم أنه من ولد من كان مع الأشعث بن قيس الكندي» [ص ٣٢٤ - ٣٢٥ - فتوح البلدان للبلادري].

[١٦٨] - كان أبو موسى الأشعري قد افتتح أرجاء واسعة من أقاليم بلاد فارس شملت - منذ عام =

إلى جهته، وبلغ ذلك أهل فارس فافترقوا إلى بلدانهم وكانت تلك هزيمتهم
وشتاتهم [١٦٩].

وقصد عثمان بن أبي العاصي اصطخر فزحفوا إليه بجور فهزمهم وأنخن فيهم . .
وفتح جور واصطخر ووضع عليهم الجزية . . ثم فتح كازرون والنوبندجان وغلب على
أرضها، ولحق به أبو موسى الأشعري فافتتحا مدينة شيزار وأرجان على الجزية
والخراج [١٧٠]، ويقال إن اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين،
وقيل إن عثمان بن أبي العاصي أرسل أخاه الحكم من البحرين إلى فارس في ألفين
فسار إلى توج وعلى مجنبته الجارود وأبو صفرة والد المهلب . وكان كسرى
(يزدجرد) أرسل شهرک في الجنود إلى لقائهم فالتقوا بتوج وهزمهم إلى سابور وقتل
شهرک وحاصروا مدينة سابور حتى صالح عليها ملكها واستعانوا به على قتال اصطخر
ثم مات عمر رضي الله عنه وبعث عثمان بن عفان عبيد الله بن معمر مكان عثمان بن

١٧هـ - افتتاح إقليم الأهواز ومناذر والسوس وسوسة وجند يسابور وتستر، ثم افتتح أبو
موسى - بعد موقعة نهاوند عام ١٢هـ - الدينور وماسبذان والسيروان (شيروان) ومهر
جانقذف، وساهم في فتوح الري، ثم افتتح بيروذ وقم وقاشان وإقليم أصبهان، فلما فتح أبو
موسى أصبهان انسحب يزدجرد - ملك فارس - إلى اصطخر وكرمان، وبعث أبو موسى من
البصرة إلى عمر بن الخطاب وقدأ فيهم الأحنف بن قيس يستأذن في فتح بقية بلاد فارس،
فأمر عمر بالانسيح إلى بقية بلاد فارس .

[١٦٩] - خروج الأمراء المسلمين إلى بلاد فارس من البصرة يعني أنهم من قادة أمير البصرة أبي
موسى الأشعري، فهو الذي بعثهم بعد استئذان وأمر عمر بن الخطاب . . وكذلك كتب عمر
إلى عثمان بن أبي العاص أمير البحرين بالسير والمشاركة في الفتح، فسار عثمان بن أبي
العاص بجند محور البحرين إلى إقليم اصطخر من بلاد فارس . قال البلاذري «وكتب عمر
إلى أبي موسى وهو بالبصرة أن يكاتف عثمان بن أبي العاص ويعاونه فكان أبو موسى يغزو
فارس من البصرة ثم يعود عليها» [ص ٣٨٠].

[١٧٠] - كان لأبي موسى الأشعري دور أساسي في فتح أغلب إقليم اصطخر، فبعد فتح الأهواز
والسوس - كما يذكر د . ناجي محسن - «تقدم أبو موسى إلى اصطخر وسيطر على جند
يسابور» [ص ١٦٦/ القبائل العربية في المشرق - د . ناجي محسن] ثم ساهم أبو موسى بنفسه
وبقوات أرسلها في فتح المناطق التي سار إليها عثمان بن أبي العاص من إقليم اصطخر -
عام ٢٢هـ - قال البلاذري: «واجتمع أبو موسى وعثمان بن أبي العاص في آخر خلافة
عمر، ففتحوا أرجان صلحاً على الجزية والخراج، وفتحوا شيراز وهي من أرض (إقليم)
أردشير خره على أن يكونوا ذمة يؤدون الخراج إلا من أحب منهم الجلاء ولا يقتلوا ولا
يستعبدوا، وفتحوا سينيز من أرض أردشير خره وتركوا أهلها عماراً للأرض» [ص ٣٨٠ فتوح
البلدان].

أبي العاصي وأقام محاصراً اصطخر، وأراد ملك سابور الغدر به ثم أحصر، وأصابته عبيد الله حجارة منجنيق فمات بها، ثم فتحوا المدينة فقتلوا بها بشراً كثيراً منهم [١٧١].

فتح إقليم كرمان [١٧٢]

. . وقصد سهيل بن عدي من أمراء الانسياح كرمان ولحق به عبد الله بن عبد الله بن عتبان [١٧٣]، وحشد أهل كرمان واستعانوا بالقفص وقاتلوا المسلمين في أدنى أرضهم، فهزمهم بإذن الله، وأخذ المسلمون عليهم الطريق بل الطرق، ودخل النسير بن عمرو العجلي إلى جيرفت وقتل في طريقه مرزبان كرمان، ودخل عبد الله بن عبد الله مفازة سيرزاد، وأصابوا ما أرادوا من إبل وشاء [١٧٤].

[١٧١] - كان حصار مدينة سابور ومصالحة ملكها عام ٢٣هـ وقيل عام ٢٤هـ ثم نقضوا الصلح فسار إليهم عبيد الله بن معمر فاستشهد، فسار أبو موسى وافتتحها حيث كما ذكر البلاذري: «أن أهل سابور نقضوا وغدروا، ففتحت سنة ٢٦هـ فتحها أبو موسى الأشعري وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص» [ص ٣٨١ فتوح البلدان] فاستتب الإسلام فيها، وتبقت في إقليم اصطخر بعض الجيوب تم فتحها في ولاية عبد الله بن عامر للبصرة بعد أبي موسى عام ٢٨هـ و٢٩هـ.

[١٧٢] - كرمان إقليم من أقاليم بلاد فارس، ويجاوره إقليم مكران الذي غزاه القائد اليميني الربيع بن زياد الحارثي لما افتتح أبو موسى إقليم الأهواز، وفي ذلك قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

ومضى ربيعٌ بالجياذ مُشرقاً
ينوي الجهاد وطاعة الرحمان
حتى استباح قرى السواد وفارس
والسهل والأجبال من مكران

أما إقليم كرمان فكانت عاصمته مدينة الشيرجان، فلما افتتح أبو موسى الأشعري إقليم ومدينة اصبهان - كما تقدم - انسحب كسرى يزدجرد من اصبهان إلى كرمان وتمركز فيها، وذلك عام ٢١هـ - ٢٢ هجرية.

[١٧٣] - كان سهيل بن عدي من القادة الأمراء الذين وجههم أبو موسى إلى جهة إقليم كرمان، وكان عبد الله بن عبد الله بن عتبان الأنصاري قد شارك في فتح اصبهان مع أبي موسى الأشعري، فتوجه عبد الله بن عبد الله من اصبهان إلى كرمان، وكان من أبرز الأمراء القادة مع أبي موسى في فتح اصبهان القائد اليميني عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فوجهه أبو موسى إلى كرمان، كما وجه إليها الربيع بن زياد الحارثي.

[١٧٤] - لا يتعارض ذلك مع قول ابن خلدون في الفقرة اللاحقة «وقيل إن الذي فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي» فقد اشترك أولئك القادة في فتح إقليم كرمان، حيث كما ذكر البلاذري في فتوح البلدان:

أ - «وجه أبو موسى الأشعري عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي غازياً فأتى كرمان، ومضى =

وقيل إن الذي فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، ثم أتى
الطبيين من كرمان^[١٧٥]، ثم قدم على عمر وقال أقطعني الطبيين فأراد أن يفعل،
فقيل إنها رستاقان فامتنع^(١٧٥).

فتح إقليم سجستان^[١٧٦]

وقصد عاصم بن عمرو من الأمراء سجستان ولحق به عبد الله بن عمير
وقاتلوا أهل سجستان في أدنى أرضهم فهزموهم وحصروهم بزرنج ومخروا
أرض سجستان، ثم طلبوا الصلح على مدينتهم وأرضها، على أن الفدافد
حمى، وبقي أهل سجستان على الخراج^[١٧٧]، وكانت أعظم من خراسان

= حتى بلغ الطبيين وهما حصنان يقال لأحدهما طبس وللآخر كرين، وهما جرم فيهما نخل
وهما بابا خراسان، - ففتحهما - [٣٩٤].

ب - «وجه أبو موسى الأشعري الربيع بن زياد الحارثي ففتح ما حول الشيرجان - وهي مدينة
كرمان - كما فتح وصالح أهل بم والاندغار» [ص ٣٨٣/ فتوح البلدان].

بينما فتح عبد الله بن عبد الله بن عتبان الأنصاري مفازة سيرزاد وفتح سهيل والنسير منطقة
(جيرفت) وكان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي الأمير القائد لفتوح إقليم كرمان، . . كما
توجه الربيع بن زياد الحارثي والحكم بن عمرو التغلبي وعبد الله بن عبد الله بن عتبان
الأنصاري وسهيل بن عدي إلى إقليم مكران فاقتتحوا مكران وبلغوا النهر - نهر السند -
ورجعوا إلى مكران فأقاموا بها. . . [ص ١٢٤ ج ٢/ تاريخ ابن خلدون].

[١٧٥] - كان (الطيسان) في نهاية إقليم كرمان وبداية إقليم خراسان، وكانا «هما بابا خراسان» -
كما ذكر البلاذري - فلما تم فتح كرمان انسحب كسرى يزيدجرد ملك فارس إلى مدينة مرو
بإقليم خراسان بينما مضى عبد الله بن بديل فافتتح الطبيين «فأتى قوم من أهل الطبيين
عمر بن الخطاب فصالحوه على ستين ألفاً، وكتب لهم كتاباً، . . فلما استخلف عثمان بن
عفان وولى عبد الله بن عامر البصرة سنة ٢٨هـ أو ٢٩هـ غزا ابن عامر خراسان عام ٣٠هـ
فأقر صلح الطبيين - [الذي أبرمه ابن بديل الخزاعي وكتبه عمر في إمارة أبي موسى
للبصرة] - [ص ٣٩٤ فتوح البلدان].

[١٧٦] - كان إقليم سجستان من أقاليم الإمبراطورية الفارسية، وكان أعظم وأكبر من إقليم
خراسان، وكانت مدينة (زرنج) عاصمة سجستان، وهي المذكورة في قول ابن حنبل أيام
ثورة ابن الأشعث:

نحن جلسنا الخيل من زرنجا مالك يا حجاج منا منجنا
[١٧٧] - كان ذلك المسير العربي الإسلامي الأول إلى سجستان في ولاية أبي موسى الأشعري
للبصرة وبتوجيهه، ولم يسفر عن الفتح وإنما عن مصالحة زعماء سجستان والعودة عنها،
كما حدث في جهة خراسان، وذلك في آخر خلافة عمر بن الخطاب عام ٢٣هـ أما الفتح
الحقيقي لإقليم سجستان فكان على يد الأمير اليمني القائد الربيع بن زياد الحارثي عام ٣٠
هجريه كما سيأتي.

وأبعد فروجاً يقاتلون القندهار والترك وأمماً أخرى [١٧٨].

وفي السنة الثالثة من خلافة عثمان بن عفان خرج أبو موسى الأشعري من البصرة غازياً إلى أهل آمد والأكراد لما كفروا وحمل ثقله على أربعين بغلاً من القصر بعد أن كان حض على الجهاد مشياً، فألب الناس عليه ومضوا إلى عثمان فاستعفوه منه، فعزله عثمان وولى عبد الله بن عامر بن كرز وهو ابن خال عثمان [١٧٩]. . واستعمل (عبد الله بن عامر) على فارس شريك بن الأعور الحارثي فبنى مسجدها [١٨٠]، واستخلف (ابن عامر) على البصرة زياد بن أبيه وسار إلى كرمان وقد نكثوا فبعث لحربهم مجاشع بن مسعود السلمي ولحرب سجستان الربيع بن زياد الحارثي، وسار هو إلى نيسابور وتقدمه الأحنف إلى الطبسين حصنان هما بابا خراسان فصالحه أهلها [١٨١]، وسار الربيع بن زياد الحارثي بولاية ابن عامر إلى سجستان، فقطع المفازة من كرمان حتى أتى حصن زالق فأغار عليهم يوم المهرجان وأسر دهقانهم، فافتدى بما غمر عنزة قائمة من الذهب والفضة، وصالحوه على صلح أهل فارس [١٨٢].

وسار الربيع إلى زرنج، ولقيه المشركون دونها فهزمهم وقتلهم، وفتح

[١٧٨] - ينتهي هنا كلام ابن خلدون عن سجستان في [ص ١٢٣ ج ٢] ثم يتواصل حديثه التالي عن سجستان في [ص ١٣٣ ج ٢] فأوردناه فيما يلي من قوله «وفي السنة الثالثة من خلافة عثمان . . . ليرابط الموضوع.

[١٧٩] - كان اعفاء أبي موسى من ولاية البصرة وأقاليمها في السنة الخامسة من خلافة عثمان، وذكر البلاذري اعفاء أبي موسى وتولية ابن عامر «سنة ٢٨ هجرية وقيل سنة ٢٩هـ» وقد تولى أبو موسى بعد ذلك إمارة الكوفة في خلافة عثمان عام ٣٤ هجرية.

[١٨٠] - هو الأمير اليمني شريك بن الحارث الأعور الحارثي، وقد تولى أيضاً إمارة اقليم كرمان في خلافة معاوية [ص ٣٨٤/ البلاذري].

[١٨١] - تقدم افتتاح الطبسين على يد القائد اليمني عبد الله بن بديل في ولاية أبي موسى وخلافة عمر ومصالحة أهلها وإن ابن عامر إنما أقر ذلك الصلح.

[١٨٢] - كان مسير الأمير اليمني الربيع بن زياد الحارثي إلى سجستان فاتحاً وأميراً في عام ٣٠ هجرية لما توجه عبد الله بن عامر إلى خراسان حيث كما ذكر البلاذري «توجه الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي إلى سجستان فسار حتى نزل الفهرج، ثم قطع المفازة وهي ٧٥ فرسخاً فأتى رستاق زالق فأغار على حصن زالق في يوم مهرجان فأخذ دهقانه (أي حاكم زالق) فافتدى نفسه بأن ركز عنزة ثم غمرها ذهباً وفضة وصالح الدهقان على حقن دمه وعلى أن يكون بلده كبعض ما افتتح من بلاد فارس وكرمان» [ص ٣٨٥ - فتوح البلدان].

حصوناً عدة بينها وبينه^[١٨٣]، ثم انتهى إليها (أي مدينة زرنج) وقاتله أهلها فأحجرهم وحاصرهم^[١٨٤]، وبعث مرزبانها في الأمان ليحضر، فأمنه وجلس له على شلو من أشلاء القتلى وارتفق بآخر، وفعل أصحابه مثله، فرعب المرزبان من ذلك، وصالحه على ألف جام من الذهب يحملها ألف وصيف، ودخل المسلمون المدينة^(١٨٤).

ثم سار منها إلى وادي سنارود فعبره إلى القرية التي كان رستم الشديد يربط بها فرسه، فقاتلهم وظفر بهم^(١٨٤)، وعاد إلى زرنج، وأقام بها سنة^[١٨٥] ثم سار منها إلى ابن عامر واستخلف عليها عاملاً. فكانت ولاية الربيع سنة ونصف سنة^(١٨٥)، سبى فيها أربعين ألف رأس، وكان الحسن البصري كاتباً له.

ثم استعمل ابن عامر على سجستان عبد الرحمن بن سمرة فسار إليها. وغلب على ما بينها وبين الكش من ناحية الهند وعلى ما بينها وبين الدارين من ناحية الرخج. ثم فتح كابل وزابلستان وهي بلاد غزنة فتحها صلحاً، ثم عاد إلى زرنج، إلى أن اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها أمير بن أحمر فأخرجه أهلها وانتقضوا^[١٨٦].

[١٨٣] - سار الربيع بن زياد الحارثي من زالق «إلى كركويه وهي على خمسة أميال من زالق فصالحوه ولم يقاتلوا، ثم نزل رستاقاً يقال له هيسون فصالحوه على غير قتال، ثم عاد إلى زالق وأخذ الأدلاء منها إلى زرنج وسار حتى نزل الهندمند، وعبر وادياً يقال له نوق وأتى ذوشت وهي من زرنج على ثلثي ميل فقاتلوه قتالاً شديداً، ثم كر المسلمون وهزمهم حتى اضطروهم إلى المدينة بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم أتى الربيع ناشروذ فافتتحها ومضى من ناشروذ إلى شراوذ فغلب عليها» [ص ٣٨٦ فتوح البلدان].

[١٨٤] - قال البلاذري: «حاصر الربيع مدينة زرنج بعد أن قاتله أهلها، فبعث إليه ابرويز مرزبانها يستأمنه ليصالحه، فأمر الربيع بجسد من أجساد القتلى فوضع له فجلس عليه واتكأ على آخر وأجلس أصحابه على أجساد القتلى، وكان الربيع آدم أفوه طويلاً. فلما رآه المرزبان هاله، فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب، ودخل الربيع المدينة، ثم سار إلى سناروذ وهو واد فعبره وأتى القريتين وهناك مربط فرس رستم، فقاتلوه فظفر بهم» [ص ٣٨٦].

[١٨٥] - الأصوب كما ذكر أبو عبيدة والبلاذري أن الربيع «عاد إلى زرنج وأقام بها سنتين، ثم سار منها إلى ابن عامر في البصرة، واستخلف عليها رجلاً من بني الحارث بن كعب. . . فكانت ولاية الربيع لسجستان سنتين ونصف» - [ص ٣٨٦] - منها نصف سنة في عام ٣٠هـ وعام ٣١هـ وعام ٣٢ هجرية. وهي ولايته الأولى على سجستان، ثم تولى الربيع سجستان مرة ثانية في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

[١٨٦] - تولى عبد الرحمن بن سمرة سجستان مرتين، الأولى من عام ٣٣هـ إلى أن اضطرب =

تمة الخبر عن فتوح الشام

كان أهل الجزيرة قد راسلوا هرقل وأغروه بالشام وأن يبعث الجنود إلى حمص^[١٨٧]. ولما اعتزم هرقل على قصد حمص وبلغ الخبر أبا عبيدة (بن الجراح) ضم إليه مسالحة وعسكر بفنائها وأقبل إليه خالد من قنسرين، وكتبوا إلى عمر بخبر هرقل، فكتب إلى سعد أن يذهب بل أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ويسرحهم من يومهم، فإن أبا عبيدة قد أحيط به وأن يسرح سهيل بن عدي إلى الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استدعوا الروم إلى حمص، وأن يسرح عبد الله بن عتبان إلى نصيبين ثم يقصد حران والرها، وأن يسرح الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ^[١٨٨] وأن يكون عياض بن غنم على أمراء الجزيرة هؤلاء إن كانت حرب.

= أمر عثمان بن عفان (عام ٣٥ - ٣٦هـ) ثم اضطرت وانتقضت أغلب سجستان في خلافة علي بن أبي طالب وفترة الفتنة (٣٧ - ٤٠ هجرية) فلما استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان «استعمل ابن عامر على البصرة فولى عبد الرحمن بن سمرة سجستان فأثاها ومعه المهلب بن أبي صفرة الأزدي وعباد بن الحصين، فكان يغزو البلد قد كفر أهلها فيفتحه عنوة أو يصلح أهله حتى بلغ كابل (كابول) فحاصرها وقتلهم أشهراً، ثم خرجوا يقاتلون المسلمين فضرب بن خازم فيلاً كان معهم وعقر المهلب الفيل فسقط على الباب فلم يقدروا غلقه فدخلها المسلمون عنوة، فلم يزل عبد الرحمن بن سمرة على سجستان حتى قدم زياد البصرة عام ٤٥ فأقره أشهراً ثم ولاها الربيع بن زياد الحارثي. . وكان شاه كابل (ملك كابول) جمع للمسلمين وأخرج من كان منهم بكابل، وجاء رتبيل فغلب على زابلستان والرخج، فسار الربيع بن زياد في الناس فقاتل رتبيل ببست وهزمه واتبعه حتى أتى الرخج فقاتله بالرخج ومضى ففتح بلاد الدوار» [ص ٣٨٩ فتوح البلدان] وكانت ولاية الربيع الثانية إلى عام ٥١ هجرية.

ولاية الربيع لخراسان: «ثم ولي معاوية وزياد بن أبي سفيان الربيع بن زياد الحارثي على خراسان سنة ٥١ هجرية، وسار معه زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم من أهل المصرين (البصرة والكوفة) من العرب، فأسكنهم الربيع في خراسان».

[١٨٧] - تقدم الخبر عن فتح حمص وانسحاب هرقل منها إلى أرض الروم. . وجاء في فتوح البلدان أنه «أبلى السمط بن الأسود الكندي بالشام وبحمص خاصة وهو الذي قسم منازل حمص بين أهلها. .» [ص ١٤٣/ البلاذري].

[١٨٨] - كانت قبائل تنوخ القضاعية اليمنية تنتشر في منطقة الجزيرة الفراتية وفي حمص وقنسرين، قال البلاذري: «وكان حاضر قنسرين لتنوخ مذ أول ما تنخوا بالشام نزلوه وهم في خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل، فدعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام فأسلم بعضهم وأقام على النصرانية بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، ثم إن أهل قنسرين نقضوا فوجه إليهم أبو عبيدة السمط بن الأسود الكندي فحصرهم ثم فتحها. . وقد أسلم =

فمضى القعقاع من يومه في أربعة آلاف إلى حمص، وسار عياض بن غنم وأمراء الجزيرة كل أمير إلى كورته، وخرج عمر من المدينة فأتى الجابية يريد حمص مغنياً لأبي عبيدة.

ولما سمع أهل الجزيرة خبر الجنود فارقوا هرقل ورجعوا إلى بلادهم، وزحف أبو عبيدة إلى الروم فانهزموا، وقدم القعقاع من العراق بعد الوقعة بثلاث، وكتبوا إلى عمر بالفتح، فكتب إليهم أن اشركوا أهل العراق في الغنمة.

وسار عياض بن غنم إلى الجزيرة، وبعث سهيل بن عدي إلى الرقة عندما انقبضوا عن هرقل فنهضوا معه إلا إياد بن نزار فإنهم دخلوا أرض الروم، ثم بعث عياض سهيل بن عدي وعبد الله بن عتبان وضمهما إليه، وسار بالناس إلى حران فأجابوه إلى الجزية، ثم سرح سهيلاً وعبد الله إلى الرها فأجابوا إلى الجزية وكمل فتح الجزيرة.

وكتب أبو عبيدة إلى عمر لما رجع من الجابية وانصرف معه خالد أن يضم إليه عياض بن غنم مكانه ففعل، وولى حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عقبة على عربها.

ولما بلغ عمر دخول إياد إلى بلاد الروم كتب إلى هرقل: بلغني أن حياً من أحياء العرب تركوا دارنا وأتوا دارك، فوالله لتخرجنهم أو لتخرجن النصارى إليك، فأخرجهم هرقل، وتفرق أربعة آلاف منهم فيما يلي الشام والجزيرة، وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل منهم إلا الإسلام، فكتب إليه عمر: إنما ذلك في جزيرة العرب التي فيها مكة والمدينة واليمن، فدعهم على أن لا ينصروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام. ثم وفدوا إلى عمر في أن يضع عنهم اسم الجزية فجعلها الصدقة مضاعفة، ثم عزل الوليد عنهم لسطوته وعزتهم، وأمر عليهم فرات بن حيان وهند بن عمر العجلي [١٨٩].

وقال ابن إسحاق إن فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة وإن سعداً بعث

= جماعة من أهل حاضر قنشرين في خلافة المهدي (العباسي). . . وفتح السمط مدينة قنشرين وكانت حاضر قبيلة طيء قديماً فأسلم بعضهم وصالح كثير منهم على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك بيسير إلا من شد عن جماعتهم [ص ١٥١].

[١٨٩] - تتضمن هذه الواقعة دلالات هامة على البعد القومي العربي للدولة العربية الإسلامية باعتبارها دولة العرب - مسلميهم ونصرانيهم - وكذلك استبدال الجزية على العرب المسيحيين بالصدقة المضاعفة مراعاة لعروبيتهم وعزتهم العربية.

إليها الجند مع عياض بن غنم . . ففتح عياض الرها وصالحت حران وافتتح أبو موسى نصيبين^[١٩٠] فتكون الجزيرة على هذا من فتوح أهل العراق، والأكثر أنها من فتوح أهل الشام وأن أبا عبيدة سيّر عياض بن غنم إليها، وقيل بل استخلفه لما توفي، فولاه عمر على حمص وقنسرين والجزيرة فسار إليها سنة ثمانى عشرة في خمسة آلاف فانتهدت طائفة إلى الرقة فحاصروها حتى صالحوه على الجزية والخراج على الفلاحين، ثم سار إلى حران وإلى الرها فحاصرها حتى صالحوه، ثم رجع إلى حران وصالحهم كذلك، ثم فتح سميساط وسروج وراس كيفا فصالحوه على منبج كذلك ثم آمد ثم ميفارقين ثم كفرتوثا ثم نصيبين ثم ماردين . . ثم سار إلى أرزن الروم ففتحها ودخل الدرب إلى بدليس ثم خلاط فصالحوه وانتهى إلى أطراف أرمينية، ثم عاد إلى الرقة ومضى إلى حمص فمات (بحمص)^(١٩٠).

واستعمل عمر (بن الخطاب) عمير بن سعد الأنصاري ففتح رأس عين^[١٩١]، وقيل إن عياضاً هو الذي أرسله، وقيل إن أبا موسى الأشعري هو الذي افتتح رأس عين بعد وفاة عياض بولاية عمر^(١٩١).

[١٩٠] - ليس في الروايات عن فتح مناطق الجزيرة الفراتية عام ١٧هـ أو عام ١٩هـ تعارض حقيقي، فقد افتتح عياض بن غنم الأشعري مناطق من الجزيرة عام ١٧هـ في ولاية أبي عبيدة بن الجراح، وكذلك عام ١٨هـ واشترك أبو موسى الأشعري في تلك الفتوح - كما تقدم - ثم انتقضت مناطق من الجزيرة فأعيد افتتاحها واستكمل عياض فتح الجزيرة بأكملها بعد وفاة أبي عبيدة (عام ١٨هـ) حيث ولي عمر عياضاً على حمص وقنسرين والجزيرة فاستكمل افتتاحها عام ١٩هـ ومات عام ٢٠هـ.

[١٩١] - كان عمير بن سعد بن عبيد الأنصاري من قادة وأمرأء فتح الشام، وجاء في فتوح البلدان للبلاذري أن الملك جبلة بن الأيهم الغساني ملك غسان بالشام - لما غضب في القصة المعروفة - «دخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً، فلما بلغ ذلك عمر ندم، وعاتبه عبادة بن الصامت الأنصاري فقال: لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم. وإن عمر بن الخطاب وجه في سنة إحدى وعشرين عمير بن سعد الأنصاري إلى بلاد الروم في جيش عظيم وولاه الصائفة - وهي أول صائفة كانت - وأمره أن يتلطف لجبلة بن الأيهم ويستعطفه بالقرابة بينهما ويدعوه إلى الرجوع إلى بلاد الإسلام على أن يؤدي ما كان بذل من الصدقة ويقيم على دينه، فسار عمير وعرض على جبلة ما أمره عمر بعرضه عليه فأبى إلا المقام في بلاد الروم» [ص١٤٢].

«وقال عمير بن سعد الأنصاري لعمر بن الخطاب وقدم عليه: إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس، وإنهم يخبرون عدونا بعوراتنا ولا يظهروننا على عورات عدونا، فقال عمر: فإذا قدمت فخيرهم أن تعطيه م كان كل شاة شاتين، ومكان كل بقرة بقرتين، ومكان كل =

.. ولما أدرب عياض بن غنم من الجابية رجع عمر إلى المدينة سنة سبع عشرة، وعلى حمص أبو عبيدة وعلى قنسرين خالد بن الوليد من تحته، وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان.. وعلى السواحل عبد الله بن قيس [١٩٢].

طاعون عمواس.. وتولية معاوية [١٩٣]

وأصاب الناس سنة ثمانى عشرة قحط شديد.. مع طاعون أتى على جميع الناس (بالشام وهو طاعون عمواس).. وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتفع بالمسلمين من الأرض التي هو بها، فدعا أبا موسى الأشعري يرتاد له منزلاً. ومات قبل رحيله [١٩٤].

وهلك بالطاعون أبو عبيدة [١٩٤]، ومعاذ بن جبل [١٩٥] ويزيد بن أبي سفيان [١٩٦] في آخرين أمثالهم.. ولما هلك يزيد [١٩٦] ولى عمر على دمشق مكانه

= شيء شيئين، فإذا رضوا بذلك فأعطهم إياه وأجلهم واخرها فإن أبوا فانبذ إليهم وأجلهم سنة ثم اخرها، فانتهى عمير إلى ذلك، فأبوا، فأجلهم سنة ثم اخرها [ص ١٦١].

(*) وجاء في أخبار فتح الجزيرة «أن عياض بن غنم لما فتح ما فتح من الجزيرة انصرف إلى حمص فمات بها سنة عشرين فولى عمر بن الخطاب عمير بن سعد الأنصاري ففتح عين الوردة بعد قتال شديد، وقيل إن عمر بعث أبا موسى الأشعري إلى عين الوردة فغزاهما بعد وفاة عياض، والثبت أن عميراً فتحها عنوة» [ص ١٨١/فتوح البلدان] ويمكن الجمع بين غزو أبي موسى لعين الوردة ثم افتتاح عمير إياها الفتح النهائي عام ٢١ هجرية ومسيره إلى أطراف بلاد الروم كما تقدم، وكان عمير من الصحابة الذين شاركوا في فتح جزيرة قبرص عام ٢٨ هجرية [ص ١٥٩/البلادري - فتوح البلدان].

[١٩٢] - هو الأمير اليمني القائد عبد الله بن قيس الحارثي أمير سواحل الشام ومؤسس الأسطول البحري العربي الإسلامي بساحل الشام، لذلك كان يكنى «أبو بحرية» أي (أبو البحرية) وهو قائد الأسطول البحري في فتح قبرص كما سيأتي.

[١٩٣] - انتقلنا من الخبر السابق عن تنمة فتح الشام (ص ١٠٧ و ١٠٨ ج ٢) إلى خبر طاعون عمواس (ص ١١٤ ج ٢ تاريخ ابن خلدون) ليرتبط سياق الشام.

[١٩٤] - تقدم أن أبا موسى الأشعري كان بالشام فاختره أبو عبيدة ليرتاد للمسلمين منطقة ينزلونها، وما لبث أن أصيب أبو عبيدة بالطاعون فسار أبو موسى بالمسلمين إلى منطقة الجابية ومعه أبو عبيدة فمات أبو عبيدة بالجابية ثم ارتفع وباء الطاعون عن المسلمين.

[١٩٥] - كان معاذ بن جبل الأنصاري أمير اليمن في عهد رسول الله ﷺ إلى أول خلافة أبي بكر ثم شهد فتوح الشام، وكان الرجل الثاني بعد أبي عبيدة بن الجراح. فلما مات أبو عبيدة تولى معاذ الأمر وما لبث معاذ أن مات بالطاعون في الجابية أيضاً.

[١٩٦] - كان يزيد بن أبي سفيان من أمراء وقادة فتوح الشام - كما تقدم - وتولى إمرة دمشق =

أخاه معاوية بن أبي سفيان [١٩٧] وعلى الأردن شرحبيل بن حسنة (١٩٧). . واستقضى

= وأعمالها وافتتح يزيد «صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وهي سواحل» وكان من أبرز القادة لما افتتحها سفيان بن مجيب الأزدي وسفيان بن عوف الأزدي وعبد الله بن قيس الحارثي وجنادة بن أمية الأزدي، ثم سار يزيد لافتتاح قيسارية فحاصرها ومرض أثناء ذلك - بالطاعون - في آخر عام ١٨هـ فرجع إلى دمشق واستخلف أخاه معاوية على حصار قيسارية، ومات يزيد بدمشق.

[١٩٧] - كانت تولية معاوية بن أبي سفيان على دمشق وأعمالها - وليس على الشام - في آخر عام ١٨هـ أو مطلع عام ١٩هـ في خلافة عمر بن الخطاب (١٩ - ٢٣هـ) ثم أصبح والياً للشام في خلافة عثمان عام ٢٥هـ كما سيأتي.

وكان من أبرز الأمراء والقادة اليمينيين بالشام:

١ - شرحبيل بن حسنة الكندي أمير الأردن، وقد تقدم الحديث عنه، وتم إضافة بقية فلسطين إلى إمرة شرحبيل لما سار عمرو بن العاص إلى مصر بحيث جاء في كتاب البداية والنهاية وصف شرحبيل بأنه كان (أمير فلسطين) [ص ٩٣ ج٧] ومكث أميراً للأردن وفلسطين حتى وفاته.

٢ - دحية بن خليفة الكلبي أمير تدمر، وقد تقدم الحديث عنه، وإنه سكن بدمشق ومات بها في عهد معاوية.

٣ - مالك بن بحدل الكلبي، كان من وجوه اليمانية بدمشق، وتزوج معاوية أخته (ميسون بنت بحدل الكلبي) فولدت له يزيد بن معاوية في دمشق عام ٢٥ هجرية، قال الطبري «وكان حسان بن مالك الكلبي عاملاً على فلسطين لمعاوية وكان سيد أهل فلسطين» [ص ٤٣ ج١].

٤ - سفيان بن مجيب الأزدي فاتح طرابلس وأمير بعلبك: كان سفيان بن مجيب الأزدي - كما جاء في الإصابة - «من أصحاب رسول الله ﷺ وشهد معه حجة الوداع» ثم شهد فتوح الشام وكان مع يزيد بن أبي سفيان في فتح «صيدا وعرقة وجبيل وبيروت ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر أو أول خلافة عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمها وشحنها بالمقاتلة» وكان سفيان بن مجيب الأزدي وسفيان بن عوف من الذين تولوا القيادة بتلك المناطق، وتزوج سفيان بن مجيب أخت أو عمّة معاوية حيث جاء في الإصابة أنه «زوّج معاوية بحفصة بنت أمية بن حرب» [ص ٥٧ ج٢] وجاء في فتوح البلدان أنه «لما استخلف عثمان وولي معاوية الشام وجه سفيان بن مجيب الأزدي إلى طرابلس، وكانت طرابلس ثلاث مدن مجتمعة، فبنى سفيان حصناً سمي حصن سفيان في مرج على أميال منها، وقطع المادة على أهل طرابلس من البحر والبر وحاصروهم، فلما اشتد الحصار عليهم اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا، فافتتح سفيان بن مجيب طرابلس» [ص ١٣٣] ومكث سفيان أميراً لطررابلس وجهات لبنان وكانت مدينة بعلبك مقر إمارته إلى أن مات في خلافة عثمان ما بين ٤٣ و٥٣هـ.

٥ - عمير بن سعد الأنصاري أمير الجزيرة القراتية وقنسرين وحمص.

٦ - عبد الله بن قيس الحارثي أمير البحرية والساحل.

(عمر) في سنة ثماني عشرة على الكوفة شريح بن الحارث الكندي وعلى البصرة كعب بن سوار الأزدي [١٩٨].

فتح مصر

لما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس استأذنه عمرو بن العاص في فتح مصر، فأغزاه ثم اتبعه الزبير بن العوام، فساروا سنة عشرين أو إحدى أو اثنتين أو خمس [١٩٩].

[١٩٨] - لما ولي عمر معاوية على الشام «ولى معه على القضاء رجلين من الصحابة هما: أبو الدرداء الأنصاري على قضاء دمشق والأردن وصلاتها، وعبادة بن الصامت الأنصاري على قضاء حمص وقشرين وصلاتها» [ص ١٤٦/ البلاذري] وكان قد ولي على قضاء الكوفة شريح الكندي وعلى قضاء البصرة كعب بن سوار الأزدي، فكان أولئك الأربعة الذين تولوا القضاء من اليمانيين.

[١٩٩] - قال البلاذري «كان مسير عمرو إلى مصر في سنة ١٩هـ فنزل العريش ثم أتى الفرما، فحاربهم ومضى قدماً إلى الفسطاط وقد خندق أهلها، وكان اسم المدينة اليونة فسماها المسلمون فسطاطاً، ولم يلبث عمرو بن العاص وهو محاصر أهل الفسطاط أن ورد عليه الزبير بن العوام. .» وقال في موضع آخر «فتح عمرو بن العاص مصر سنة عشرين ومعه الزبير» [ص ٢١٤ و ٢٢٢ فتوح البلدان] ويتبين من التصوص:

أ - أن مسير عمرو إلى العريش كان آخر عام ١٩هـ وكان دخوله إلى مصر عام ٢٠هـ وكان فتح مصر (الفسطاط) عام ٢٠هـ أما عام ٢١هـ فهو عام فتح الإسكندرية ثم دمياط ونواحيها وأسفل مصر (عام ٢٢هـ) أما عام ٢٥هـ فانتقضت الإسكندرية وأعيد افتتاحها.

ب - كان مسير عمرو بن العاص لفتح مصر في ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل ثم أمده عمر بن الخطاب بإثني عشر ألفاً بقيادة الزبير بن العوام وصلوا وهو في حصار اليونة (الفسطاط) وكانت غالبية الجيش من اليمانيين، وكان من أعلام الصحابة والقادة اليمانيين في جيش الفتح العربي الإسلامي لمصر كل من:

١ - عقبة بن عامر الجهني: وهو الذي افتتح أسفل مصر. . وتولى عقبة إمرة مصر عام ٤٤هـ - ٤٧هـ - وهو أول من جمع وكتب القرآن بيده في مصر.

٢ - المقداد بن الأسود الكندي وهو الذي افتتح (ما بين العريش والفرما) ثم كان من قادة فتح بابلين (٢٠هـ) ومن قادة فتح الإسكندرية (٢١هـ) ثم افتتح المقداد دمياط ونواحيها، وترك المقداد في دمياط الصحابي يزيد بن عامر الأنصاري يعلمهم شرائع الإسلام، ومات المقداد بمصر عام ٣٣هـ بعد عمر حافل بالأمجاد.

٣ - قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ولما وقعت (أرمانوسة بنت المقوقس) أسيرة في (بلبيس) في بداية الفتح، أقر عمرو بن العاص والصحابة إرسال (أرمانوسة) إلى أبيها بمعية قيس بن سعد بن عبادة فسار بها قيس وسلمها للمقوقس ودعاه قيس إلى الإسلام ودار بينهما حوار طويل أورده الواقدي في كتاب الفتوح (ص ٣٠ - ٣١) وكان ذلك (في شعبان سنة ٢٠هـ =

فاقتحموا باب اليون^[٢٠٠] ثم ساروا في قرى الريف إلى مصر، ولقيهم الجاثليق أبو مريم والأسقف وقد بعثه المقوقس . وجاء أبو مريم إلى عمرو فعرض الجزية والمنع وأخبره بما أوصى به رسول الله ﷺ في شأنهم وأجلهم ثلاثاً، ورجعوا إلى المقوقس وارطبون أمير الروم، فأبى ذلك ارطبون وعزم على الحرب، وبيّت المسلمين، فهزموه وجنده، ونازلوا عين شمس وهي المطرية، وبعثوا لحصار الفرما أبرهة بن الصباح^[٢٠١] ولحصار الإسكندرية عوف بن مالك، وراسلهم أهل البلاد وانتظروا (في) عين شمس، فحاصروهم عمرو والزبير مدة حتى صالحوهما على الجزية وأجروا ما أخذوا قبل ذلك عنوة فجرى الصلح، وشرطوا رد السبايا، فأمضاه لهم عمر بن الخطاب^[٢٠٢]، وكتبوا العهد بينهم . .

= هجرية) . . ولما تم افتتاح الإسكندرية عام ٢١هـ استخلف عمرو على الإسكندرية قيس بن سعد بن عباد لرياسة البلد وتعليم الإسلام .

٤ - عباد بن الصامت الأنصاري: وهو الذي قاد فتح الإسكندرية عام ٢١ هجرية وكان من كبار الصحابة والقادة .

٥ - معاوية بن حديج السكوني: قال ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة «شهد معاوية بن حديج السكوني فتح مصر، وكان الوafd إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية . . وهو أحد من وُلّي مصر من الصحابة» وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: - «كان معاوية بن حديج ذا رئاسة كبيرة ومطاع الكلمة وكان رأس اليمانية بمصر» (اهـ) وتولى مصر عام ٤٤هـ وعام ٤٩هـ - ٥١هـ .

٦ - سميفع بن وعلة السبائي: كان قائد فرسان عك وغافق وراشدة في فتح مصر وهو الذي اقتحم حصن الفرما .

٧ - شراحيل بن حجية المرادي: وهو الذي اقتحم حصن بابليون وكان من القادة الأبطال .

٨ - تميم بن فرع المهري، كان قائد الفرقة المهرية التي كانت تضم (٢٩٠٠ مقاتل) وهو أول من اقتحم حصن الإسكندرية .

٩ - قيس بن عمرو اللخمي، قائد فرسان لخم، واستشهد في معركة البرلس قرب الإسكندرية .

١٠ - حومل الزبيدي المذحجي، وهو الذي بارز وقتل البطريق الروماني (أرطبون) .

١١ - شريك بن قرّة المرادي، افتتح المنطقة التي سميت باسمه وهي (كوم شريك) في مصر .

١٢ - سفيان بن وهب الخولاني، وله خبر عن إقرار الخراج على مصر كما سيأتي، وكانت لخولان خطة في الجزيرة والفسطاط منذ افتتاحها .

[٢٠٠]- باب اليون: هو حصن بابليون الذي اقتحمه شراحيل بن حجية المرادي .

[٢٠١]- هو القائد اليماني أبرهة بن الصباح الحميري . . وكان ابنه (كريب بن أبرهة بن الصباح) سيد الفسطاط ومصر عام ٦٤ هجرية .

[٢٠٢]- أورد البلاذري بسند موثوق «عن سفيان بن وهب الخولاني قال: لما فتحنا مصر بغير=

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح، ونزل المسلمون الفسطاط [٢٠٣].

وجاء أبو مريم الجاثليق إلى عمرو يطلب السبايا التي بعد المعركة في أيام الأجل، فأبى عمرو ردها وقال: أغاروا وقتلوا وقسمتهم في الناس، وبلغ الخبر إلى عمر فقال من يقاتل في أيام الأجل فله الأمن، وبعث بهم إلى الرباق فردهم عليهم.

ثم سار عمرو إلى الإسكندرية، فاجتمع له مَنْ بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط، فهزمهم وأتخن فيهم، ونازل الإسكندرية وبها المقوقس وسأله الهدنة إلى مدة فلم يجبه وحاصره ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة [٢٠٤]، وقيل إن المقوقس صالح عمراً على اثني عشر ألف دينار على أن يخرج من يخرج ويقيم من يقيم باختيارهم، وجعل عمرو فيها جنداً [٢٠٤].

ولما تم فتح مصر والإسكندرية أغزى عمرو العساكر إلى النوبة فلم يظفروا، فلما كان أيام عثمان وعبد الله بن أبي سرح على مصر صالحهم على عدة رؤوس في كل ستة ويهدي إليهم المسلمون طعاماً وكسوة فاستمر ذلك فيها.

= عهد قام الزبير فقال: أقسمها يا عمرو، فأبى، فقال الزبير: والله لتقسمنها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر، فكتب عمرو إلى عمر في ذلك، فكتب إليه عمر: أقرها حتى يغزو منها جبل الحبلبة [ص ٢١٥ و ٢٢٠] أي جعلها أرضاً خراجية، وتم كتابة العهد لأهل مصر وبلغ خراج مصر في ولايته ألفي دينار وكان بعد ذلك يبلغ أربعة آلاف دينار [ص ٢٢٠/ البلاذري - فتوح البلدان].

[٢٠٣] - نزل المسلمون بموقع الفسطاط وتم اختطاط الفسطاط كمدينة وعاصمة في مصر، وكان لخولان خطة في الفسطاط والعجيزة، وكان من رؤساء خولان الذين نزلوها سفيان بن وهب الخولاني وعمرو بن قحزم الخولاني، كما كان لهمدان خطة في الفسطاط وكان منهم القائد أحمد بن عجيان الهمداني، كما كان لكل من لخم وتجبب والسكون ومراد والأزد وحضرموت والمعافر وغيرهم من قبائل اليمن الذين شهدوا فتح مصر خطة - لكل منهم - في الفسطاط وكذلك في العجيزة، وكان من الصحابة والقادة اليمنيين غير من ذكرنا عمرو بن سعيد الحضرمي وناشر بن أسد الأزدي وعبيد بن مخمر المعافري وعرفة بن الحارث الكندي ومالك بن العتامة التجيبي الذي تولى ابنه حسان بن مالك القضاء والشرطة بمصر في العصر الأموي.

[٢٠٤] - وجود روايتين عن فتح الإسكندرية عنوة أو صلحاً، يعود إلى افتتاحها مرتين، المرة الأولى (عام ٢١هـ) حيث حاصرها وقاد افتتاحها عبادة بن الصامت الأنصاري ثم أتى عمرو فتم الفتح صلحاً، قال البلاذري: - «وكتب عمرو إلى عمر بفتح الإسكندرية مع معاوية بن حديج السكوني وبعث إليه معه بخمس الغنائم» [ص ٢٢٢] أما المرة الثانية فقد أورد ابن خلدون خبرها في موضع لاحق عن (نقض أهل الإسكندرية وفتحها) كما سيأتي.

نقض أهل الإسكندرية وفتحها [٢٠٥]

لما سار هرقل إلى القسطنطينية وفارق الشام واستولى المسلمون على الإسكندرية وبقي الروم بها تحت أيديهم، كاتبوا هرقل فاستنجدوه، فبعث إليهم عسكرياً مع منوبل الخصي ونزلوا بساحل الإسكندرية لمنعهم المقوقس من الدخول إليه، فساروا إلى مصر ولقيهم عمرو بن العاص والمسلمون فهزمهم وأتبعوهم إلى الإسكندرية وأثخنوا فيهم بالقتل، وقُتل قائدهم منوبل الخصي، وكانوا قد أخذوا في مسيرهم إلى مصر أموال أهل القرى، فردها عمرو عليهم بالبينة، ثم هدم سور الإسكندرية ورجع إلى مصر [٢٠٦].

فتح أفريقية [٢٠٧]

وفي سنة ست وعشرين عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل مكانه عبد الله بن أبي سرح أخاه من الرضاعة، فكتب إلى عثمان يشكو عمراً فاستقدمه، واستقل عبد الله بالخراج والحرب وأمره بغزو أفريقية [٢٠٧].
وقد كان عمرو بن العاص سنة إحدى وعشرين [٢٠٨] سار من مصر إلى برقة

[٢٠٥] - انتقلنا من الخبر السابق عن فتح مصر [ص ١١٤ و ١١٥ ج ٢ تاريخ ابن خلدون] إلى خير (نقض أهل الإسكندرية) ص ١٢٦ ج ٢ وبذلك يتكامل خبر مصر.

[٢٠٦] - أورد البلاذري أن ملك الروم آنذاك كان قسطنطين بن هرقل، فأرسل القائد منوبل في ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة إلى الإسكندرية وكان ذلك سنة ١٢٥ هجرية ثم تقدموا إلى قرى مصر فسار عمرو بن العاص لقتالهم في خمسة عشر ألفاً من المسلمين فانهمز الروم وتحصنوا بالإسكندرية فافتتحها المسلمون عنوة وهدموا جدار الإسكندرية فتم الفتح الثاني والأخير للإسكندرية، وتولى الإسكندرية قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فأسس عصرها العروبي الإسلامي.

[٢٠٧] - المقصود بأفريقية في نصوص ابن خلدون هو تونس بصفة خاصة وأحياناً ليبيا وتونس، ونادراً كل المغرب العربي، وكانت أفريقية اسم مدينة بناها الملك اليمني أفريقيس بن ذي منار بن الرائش كمتستوطنة وقاعدة تجارية في تونس لما سار إلى بلاد المغرب وأوطن بها من كان معه من قبائل أمازيغ بن كنعان وقوات حميرية سبائية بأفريقية وبلاد المغرب وتم تعزيزهم بموجة ثانية من القبائل والقوات اليمنية الحميرية في عهد الملك ياسر بن نعم - كما تقدم التبيين في الفصل الرابع - فانقطعت تلك القبائل ببلاد المغرب وهم الذين سُموا البربر.

[٢٠٨] - كان مسير عمرو بن العاص - كما في البلاذري - سنة ٢٢ هـ من الإسكندرية إلى برقة - وهو الأصوب - وغزا طرابلس - كما هنا - وعاد إلى برقة فصالح أهلها، ولم يتربس ذلك ربما لأنه - كما جاء في فتوح البلدان - «أن عمرو بن العاص كتب في شرطه على أهل لواتة =

فصالح أهلها على الجزية، ثم سار إلى طرابلس فحاصرها شهراً وكانت مكشوفة السور من جانب البحر وسفن الروم في مرساها، فحسر القوم في بعض الأيام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين فاقتحموا البلد بين البحر والبيوت فلم يكن للروم ملجأ إلا سفنهم، فأقبل عمرو بعسكره فدخل البلد ولم تفلت الروم إلا بما خف من المراكب، ورجع إلى مدينة صبرة وكانوا قد أمنوا بمنعة طرابلس فصبحهم المسلمون ودخلوها عنوة. . ورجع عمرو إلى برقة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية (٢٠٨).

وكان أكثر أهل برقة لواتة^[٢٠٩] وكان يقال إن البربر ساروا بعد قتل ملكهم جالوت إلى الغرب وانتهوا إلى لوبية ومراقية، كورتان من كور مصر^[٢١٠]، فصارت زناتة ومغلطة من البربر إلى الغرب فسكنوا الجبال^[٢١١] وسكنت لواتة برقة وتعرف قديماً أنطابلس وانتشروا إلى السوس^[٢١٢] ونزلت هواره مدينة لبدة^[٢١٣] ونزلت نفوسة مدينة صبرة، وجلوا من كان هنالك من الروم. وأقام

= من البربر أهل برقة أن عليكم أن تبيعوا أبناءكم ونساءكم فيما عليكم من الجزية، قال الليث: فلو كانوا عبيداً ما حل ذلك منهم» [ص ٢٢٧] كما أن طرابلس حاربت عبد الله بن أبي سرح عام ٢٦هـ ولم يتم الفتح الحقيقي إلا بقيادة الأمير اليمني معاوية بن حديج السكوني كما سيأتي.

[٢٠٩] - لواتة من القبائل اليمنية الحميرية السبائية التي انتقلت من اليمن إلى المغرب في عهد أفريقيس وياسر ينعم، حيث كما جاء في الإكليل «كثامة وعُهامة وصنهاجة ولواتة وزناتة، وهم رؤساء البربر، نقلوا مع سيدهم كنيع بن يزيد يوم أشخصه أفريقيس من اليمن إلى أفريقيا» [ص ١٠١ ج ٢ - الإكليل].

[٢١٠] - الصواب أن الذي ساق قبائل البربر من اليمن وفلسطين وأسكنهم بالمغرب الملك أفريقيس ثم ياسر ينعم كما تقدم.

[٢١١] - كانت زناتة ومكلاتة تحفظ وتذكر نسبها العربي اليمني عبر الأجيال، وجاء في كتاب (البربر عرب قدامى) أنه «تنتسب مكلاتة إلى اليمن وكان سابق المظماطي النسابة البربري يقول - وكذلك أصحابه نساية البربر - «إن مكلاتة من حمير» [ص ٢٨٥] - وإن «زناتة ينسبون قبيلتهم إلى حمير، وإنه كان هناك من يقول إنها من لخم، ولخم قبيلة يمنية من كهلان» [ص ٢٥ - القصد والأمم في أنساب العرب والعجم لابن عبد البر القرطبي]

[٢١٢] - كانت أغلب لواتة يقطنون إقليم برقة بليبيا، وبرقة هي أنطابلس «وكون لواتة من حمير فهذا ما يقوله نساية البربر أنفسهم الذين يعدون بعض شعوبهم من العرب ومنهم لواتة التي يقولون إنها من حمير» [ص ٢٨٩ نهاية الأرب للنويري].

[٢١٣] - هواره من قبائل البربر الهامة والكبيرة في بلاد الجزائر والمغرب، قال اليعقوبي «وتقول =

الأفارق وهم خدم الروم^[٢١٤] وبقيتهم على صلح يؤدونه إلى من غلب عليهم، إلى أن كان صلح عمرو بن العاص، ثم إن عبد الله بن أبي سرح أمره عثمان بغزو أفريقية . . «فسار عبد الله بن أبي سرح إلى أفريقية في عشرة آلاف . . سنة ست وعشرين . . فساروا إلى طرابلس فنهبوا الروم عندها، ثم ساروا إلى أفريقية وبثوا السرايا في كل ناحية، وكان ملكهم جرجير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل^[٢١٥] ويحمل إليه الخراج، فلما بلغه الخبر جمع مائة أو عشرين ألفاً من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبيللة دار ملكهم، وأقاموا يقتتلون . . حتى غشوا الروم في خيامهم فانهمزموا وقتل كثير منهم . وحاصر ابن أبي سرح سبيللة ففتحها . . وبث جيوشه في البلاد إلى قفصة فسبوا وغنموا، وبعث عسكرياً إلى حصن الأجم وقد اجتمع به أهل البلاد فحاصره وفتحه على الأمان، ثم صالحه أهل أفريقية على ألف وخمسمائة دينار . . ثم رجع عبد الله بن أبي سرح إلى مصر بعد مقامه سنة وثلاثة أشهر^(٢١٥) .

= هواره إنهم قوم من اليمن جهلوا أنسابهم» وكذلك ذكر شهاب الدين النوري أن «هواره تقول إنهم قوم ناقلة من اليمن» [ص ٢٨٦ - البربر عرب قدامى - محمد الصباوي].

[٢١٤] - المقصود إنهم كانوا تحت الإحتلال الروماني بعد سقوط قرطاجة بيد الرومان، وكانت غالبية قبائل البربر لا يدينون لأحد .

[٢١٥] - أورد ابن خلدون خبر غزوة ابن أبي سرح هذه بتفصيل أوسع (ص ١٢٩ ج ٢) واكتفينا بالسياق وال فقرات الرئيسية، مع ملاحظة:

أ - جاء في تاريخ البلاذري أن مسير ابن أبي سرح إلى أفريقية كان سنة ٢٨ هجرية ويقال في سنة ٢٩ هجرية وهو الأصوب لأن موقعة ذات الصواري كانت عام ٣١ هـ بعد عودته من أفريقية إلى الإسكندرية كما ذكر ابن خلدون (ص ١٣٠ ج ٢) .

ب - جاء في نص ابن خلدون أن جرجير كان يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل والمقصود تحت ولاية الأباطور الروماني في القسطنطينية وهو آنذاك (قسطنطين بن هرقل) كما تقدم في خبر الإسكندرية عام ٢٥ هـ وكذلك خبر ذات الصواري عام ٣١ هـ، وكان الملك جرجير بطريكاً رومانياً - كما في تاريخ البلاذري (٢٢٨) - وقد ذكر ابن خلدون مقتله في المعركة .

ج - أورد البلاذري عن عدة مصادر «أن ابن أبي سرح صالح بطريق أفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم، . . فرجع إلى مصر ولم يول على أفريقية أحداً، ولم يكن لها يومئذ قيروان ولا مصر جامع» (اهـ) ويتفق ذلك مع ما ذكره ابن خلدون عن الرجوع إلى مصر، ومؤدى ذلك أن ما حدث كان غزواً أدى إلى غنائم ولم يترتب عليه أي استقرار عربي إسلامي وفتح حقيقي حيث عاد المسلمون إلى مصر .

فتح أفريقية بقيادة معاوية بن حُديج السكوني [٢١٦]

ولما بلغ هرقل أن أهل أفريقية صالحوا (المسلمين) بذلك المال الذي أعطوه غضب عليهم، وبعث بطريقاً^[٢١٧] يأخذ منهم مثل ذلك فنزل قرطاجنة^(٢١٧) وأخبرهم بما جاء له، فأبوا وقالوا قد كان ينبغي أن يساعدنا مما نزل بنا، فقاتلهم البطريق وهزمهم وطرد الملك الذي ولوه بعد جرجير^(٢١٧)، فلحق بالشام وقد اجتمع الناس على معاوية بعد علي رضي الله عنه، فاستجاشه على أفريقية، فبعث معه معاوية بن حديج السكوني في عسكر، فلما وصلوا الإسكندرية هلك الرومي^(٢١٧).

ومضى ابن حُديج في العساكر فنزل قمونية^[٢١٨]، وسرح إليه البطريق ثلاثين ألف مقاتل، وقاتلهم معاوية بن حُديج فهزمهم.

وحاصر معاوية حصن جلولاء^[٢١٩] فامتنع منه حتى سقط ذات سوره

[٢١٦] - حُديج (بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم) وهو - كما في كتاب الاستيعاب في تمييز الأصحاب «معاوية بن حديج بن جفنة بن قنبر بن حارثة بن عبد شمس السكوني، ويكنى أبا عبد الرحمن» - ص ٤٠٦ ج ٣ - وكان من أقبال وزعماء منطقة وقبيلة السكون (في الجند محافظة تعز باليمن) وجاء في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة أنه «وفد على رسول الله ﷺ وأخرج له البغوي وأحمد حديثاً قال فيه سمعت رسول الله ﷺ يقول غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها» (اهـ) . . وكان على رأس فرسان السكون اليمانيين في فتح مصر وهو الوafd على عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية - كما تقدم - واستقر بمصر، قال الذهبي «وكان معاوية بن حديج ذا رئاسة كبيرة ومطاع الكلمة، وكان رأس اليمانية بمصر».

وغزا معاوية بن حديج النوبة وأفريقية مع عبد الله بن أبي سرح [ص ١٠٦/ الاستيعاب].

[٢١٧] - البطريك (Patricus) كان أعلى لقب بعد الأمباطور الروماني وبمشابهة نائب الأمباطور على البلاد التي يتولاها وهي هنا شمال أفريقية - وقرطاجنة هي مدينة قرطاجة بساحل تونس . . قال ابن الأثير «وكان قد قام بأمر أفريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطريك بعد فتن كثيرة فسار إلى الشام» ولما بعث معاوية بن أبي سفيان معه معاوية بن حديج في العساكر ووصلوا إلى الإسكندرية «هلك الرومي» أي الذي كان ملكاً بعد جرجير ثم طرده البطريك (ص ٤٦ ج ٣ - الكامل).

[٢١٨] - قال ابن الأثير «ومضى ابن حديج من الإسكندرية فوصل إلى أفريقية وكان معه عسكر عظيم فنزل عند قمونية» [ص ٤٦ ج ٣ - الكامل] وكان مسيره أولاً إلى برقة وطرابلس فأصلح أمورها، ثم سار إلى قمونية (في موقع قابس أو بينها وبين سبيلطة) حيث هزم ابن حديج جيش البطريك الروماني المكون من ثلاثين ألفاً من الرومان، ولا بد أن البطريك هلك في المعركة.

[٢١٩] - حصن جلولاء هو المتقدم ذكره باسم حصن الأجم وكان المسير إليه بعد فتح =

فملكه المسلمون وغنموا ما فيه (٢١٩). ثم بث السرايا ودوخ البلاد فأطاعوا [٢٢٠] وعاد إلى مصر [٢٢١].

[٢٢٢] فتح قبرص

كان أبو عبيدة لما احتضر استخلف على عمله عياض بن غنم . . وقيل استخلف معاذ بن جبل، واستخلف عياض بعده سعيد بن حذيم الجمحي ومات سعيد فولى عمر مكانه عمير بن سعد الأنصاري [٢٢٣] ومات يزيد بن أبي سفيان

= سبيطلة، قال ابن الأثير «وحاصر معاوية بن حديج الحصن فلم يقدر عليه فانهدم سور الحصن فملكه المسلمون».

[٢٢٠] - بث معاوية بن حديج السرايا ودوخ بلاد أفريقية، وقد جاء في موضع لاحق أنه فتح سبيطلة وتبسة وكل أفريقية.

(*) - وكان معاوية بن حديج أول من اختط القيروان وأسكن بها قوات وقبائل من العرب المسلمين الذين معه، وذلك قبل عقبه بن نافع، حيث جاء في كتاب (الاستيعاب في تمييز الأصحاب) لابن عبد البر القرطبي ما يلي: «كان معاوية بن حديج قد اختط القيروان بموضع يدعى اليوم القرن، فلما تولى عقبه بن نافع أفريقية سنة خمسين لم يعجبه موضع القيروان - الذي اختطه معاوية بن حديج - فركب بالناس إلى موضع القيروان اليوم فاخططها» [ص ١٠٩ ج ٣] وكان موضع القيروان الأول الذي اختطه معاوية بن حديج السكوني متصلاً بالموضع الذي انتقل إليه عقبه حيث ما تزال من مآثر معاوية بن حديج الباقية بالقيروان «أبار في القيروان تعرف بأبار حديج وهي خارج باب مدينة تونس إلى الشرق». وكان معاوية بن حديج هو الذي بعث عقبه بن نافع لما تولى معاوية بن حديج ولاية مصر حيث - كما جاء في فتوح البلدان للبلاذري - «لما ولى معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج السكوني مصر بعث في سنة خمسين عقبه بن نافع الفهري إلى أفريقية فاخطط القيروان» [ص ٢٢٩] أي أعاد اختطاطها ووسعها - وكان معاوية بن حديج أول من أوطن العرب المسلمين بأفريقية (برقة إلى تونس) وأسس عصرها العروبي الإسلامي وهو فاتحها الحقيقي وأميرها الأول ومكث بها نحو ستين.

[٢٢١] - كانت عودة معاوية بن حديج السكوني إلى مصر عام ٤٣ هجرية - غالباً - وكان قد تولى مصر عمرو بن العاص وابنه (٤١ - ٤٤ هـ) ثم تولى مصر الأمير اليميني عقبه بن عامر الجهني (٤٤ هـ - ٤٧ هـ) ثم تولى مصر معاوية بن حديج السكوني (٤٧ هـ - ٥٠ هجرية) وفي تلك الفترة تولى الصحابي رويغ بن ثابت الأنصاري إمرة برقة وطرابلس من عام ٤٦ هجرية وكان رويغ من الصحابة ومكث أميراً عليها إلى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري لمصر والمغرب (٥٠ هـ - ٦٢ هـ) ومات رويغ الأنصاري في برقة وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد عام ٥٦ هـ وقبره مشهور في الجبل الأخضر ببرقة.

[٢٢٢] - عاد ابن خلدون من خبر فتح مصر وأفريقية كما تقدم (ص ١٢٦ - ١٣٠ ج ٢) إلى الشام وفتح قبرص (ص ١٣١ ج ٢) كما هنا.

[٢٢٣] - كان عمير بن سعد الأنصاري أمير حمص وقنسرين ومنطقة الجزيرة الفراتية من عام =

فجعل عمر مكانه على دمشق أخاه معاوية فاجتمعت له دمشق والأردن (٢٢٣) ومات عمر بن الخطاب وهو كذلك [٢٢٤] وعمير على حمص وقنسرين ثم استعفى عمير عثمان في مرضه فأعفاه وضم حمص وقنسرين إلى معاوية، ومات عبد الرحمن بن أبي علقمة وكان على فلسطين فضم عثمان عمله إلى معاوية فاجتمع الشام كله لمعاوية لستين من إمارة عثمان [٢٢٥].

وكان معاوية يلح على عمر (بن الخطاب) وكان وهو بحمص كتب إليه في شأن قبرص أن قرية من قرى حمص يسمعون أهلها نباح كلاب قبرص وصياح دجاجهم [٢٢٦]، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص صف لي البحر وراكبه، فكتب إليه هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلا السماء، والماء إن ركذ فلق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة، وراكبه دود على عود، إن مال غرق وإن نجا برق [٢٢٧]، فكتب عمر إلى معاوية: والذي بعث محمداً

= ٢١هـ إلى أيام عثمان عام ٢٥هـ وكانت تولية معاوية على دمشق عام ١٨هـ وكان على الأردن شرحبيل الكندي فلما مات شرحبيل أضيفت الأردن إلى أمير دمشق.

[٢٢٤] - توفي عمر بن الخطاب في ٢٧ ذي الحجة عام ٢٣ هجرية وتم استخلاف عثمان بن عفان.

[٢٢٥] - كان اجتماع ولاية الشام لمعاوية في أواخر عام ٢٥ هجرية، فكان أمراء مناطق الشام يتنه ومنهم:

١ - شرحبيل بن السمط الكندي أمير حمص وأعمالها.

٢ - مالك بن بحدل الكلبي أمير فلسطين.

٣ - سفيان بن مجيب الأزدي أمير طرابلس وبعليك.

٤ - عبد الله بن قيس الحارثي أمير منطقة الساحل.

٥ - جنادة بن أبي أمية الأزدي بمنطقة الساحل.

[٢٢٦] - كان الروم يستخدمون قبرص في عمليات سفنهم الحربية إلى سواحل حمص والشام، ويبدو ذلك سبباً أساسياً للتفكير بغزوها.

[٢٢٧] - لم يكن عمر يجهل البحر حتى يكتب إلى عمرو بن العاص بأن يصفه له، وكان كتاب معاوية بشأن فكرة الغزو البحري وغزو قبرص عام ٢١هـ - غالباً - وقد سبق ذلك بسبع سنوات (عام ١٤هـ/ ٦٣٥م) قيام العلاء بن عبد الله الحضرمي أمير البحرين بأول غزوة بحرية في الإسلام عن طريق ساحل الخليج العربي إلى جزيرة فارسية، وفي ذلك قال الشاعر:

هاب العلاء حياض البحر مقتحماً وخاض قُدماً إلى كفار دارينا

ثم بعث العلاء القوات بالسفن فغزوا منطقة ساحل فارس واصطخر فلما فتحوها وتمركزوا داخلها، أقبل الفرس من سائر الاتجاهات وحاصروهم وتعرضت المراكب العربية في الساحل =

بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فيستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يغرق الأرض فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر، وبالله لمسلم واحد أحب إليّ مما حوت الروم. فإياك أن تعرض لي في ذلك فقد علمت ما لقي العلاء مني^[٢٢٨]، ثم كاتب ملك الروم عمر وقاربه وأقصر عن الغزو.

ثم ألح معاوية على عثمان بعده في غزو البحر، فأجابه على خيار الناس وطوعهم^[٢٢٩]، فاختر الغزو جماعة من الصحابة فيهم أبو ذر وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت، وزوجته أم حُرّام بنت ملحان، واستعمل عليهم عبد الله بن قيس (الحارثي) حليف بني فزارة^[٢٣٠].

= للإغراق فحوصر المسلمين إلى أن وصلتهم الإمدادات برأ من البصرة وتم فك الحصار وعادوا إلى البصرة بصعوبة، فغضب عمر من العلاء وعزله واتخذ موقفاً من الغزو البحري.
[٢٢٨]- هذه العبارة الأخيرة هي التي تجسد موقف عمر فقد كتب عمر إلى معاوية «... إياك أن تعرّض للبحر، وقد علمت ما لقي العلاء مني» وكذلك قال عمر «والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل في البحر مسلماً أبداً» واتهم عمر القائد جنادة الأزدي حيث كما جاء في تاريخ الطبري «اتهمه عمر لأنه المشير» [ص ٥٢ ج ٣]- أي المشير على معاوية بالغزو البحري»
[٢٢٩]- وافق عثمان بن عفان على فكرة الغزو البحري وكتب لمعاوية - كما في تاريخ الطبري - «لا تنتخب الناس ولا تقرح بينهم، خيّرهم فمن اختار الغزو طائفاً فاحمله، ففعل، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثي» [ص ٥٢ ج ٥].

عبد الله بن قيس الحارثي أول أمير للبحر

كان الأمير اليماني القائد عبد الله بن قيس الحارثي هو الأمير للبحرية العربية الإسلامية ومؤسس أول أسطول بحري عربي إسلامي وهو من قبيلة بني الحارث بن كعب المذحجية اليمانية المشهورة بمنطقة نجران باليمن، وجاء في كتاب (الإصابة) أنه «أدرك الجاهلية وصحب معاذ بن جبل» وذلك لما ولى النبي ﷺ معاذاً على اليمن ثم شهد معه فتح الشام واستقر بإحدى مناطقها السواحلية، وقد تقدم قول ابن خلدون عن أمراء الشام عام ١٧هـ «وعلى السواحل عبد الله بن قيس» فمكث كذلك إلى عام ٢٦ هجرية حيث وافق عثمان على الغزو البحري فاستعمله معاوية على البحر فأسس عبد الله بن قيس أول أسطول بحري عربي إسلامي، وجاء في كتاب الإصابة أن عبد الله بن قيس كان يكنى (أبو بحرية وهو مشهور بكنيته) فهذه الكنية (أبو بحرية) هي بمعنى (أبو البحرية العربية الإسلامية وأمير البحر الأول)، ثم قاد عبد الله بن قيس أول غزوة بحرية حيث كما جاء في الإصابة «كان أول ما غزا في البحر سنة ٢٧ هجرية» [ص ٩٣ ج ٣/ الإصابة].

[٢٣٠]- كان عبد الله بن قيس متزوجاً من بني فزارة فالأرجح أنه (صهر بني فزارة) لا حليفهم، وقد استعمله معاوية كقائد للغزو البحري لقبرص بصفته أمير البحر وقائد القوة البحرية والنسف الحربية العربية الإسلامية التي كان عددها يزيد عن مائة مركب لما كتب معاوية إلى عثمان =

وساروا إلى قبرص [٢٣١] وجاء عبد الله بن أبي سرح من مصر [٢٣٢] فاجتمعوا عليها، وصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة ويؤدون مثلها للروم [٢٣٣] ولا منعة لهم على المسلمين ممن أرادهم من سواهم، وعلى أن يكونوا عيناً للمسلمين على عدوهم (إذا كان) طريق الغزو للمسلمين عليهم [٢٣٣].

وكانت هذه الغزاة سنة ثمان وعشرين وقيل سنة تسع وعشرين وقيل سنة ثلاث وثلاثين [٢٣٤].

وماتت فيها أم حرام سقطت عن دابتها حين خرجت من البحر وكان النبي ﷺ أخبرها بذلك [٢٣٥].

= يستأذنه في غزو قبرص عام ٢٨ هجرية فكتب إليه عثمان (إن ركبت البحر إلى قبرص بنفسك - ومعك امرأتك فاركه ماذوناً لك وإلا فلا) فلم يتردد معاوية عن الموافقة على السير مع الجيش العربي الإسلامي البحري بقيادة عبد الله بن قيس الحارثي واختار الغزو معه عدد من كبار الصحابة منهم «أبو الدرداء الأنصاري وشداد بن أوس بن ثابت الأنصاري وعبادة بن الصامت الأنصاري وزوجته أم حُرام الأنصارية وفضالة بن عبيد الأنصاري وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وجبير بن نفر الحضرمي وجنادة بن أبي أمية الأزدي وسفيان بن عوف الأزدي بالإضافة إلى معاوية بن أبي سفيان وزوجته (ميسون بنت بحدل الكلبي الحميري)».

[٢٣١] - كان السير إلى قبرص بقيادة عبد الله بن قيس في زهاء مائة مركب وذلك - كما ذكر البلاذري - «من عكا . . . وذلك في سنة ثمان وعشرين (٢٨هـ/٦٤٩م) ويقال في سنة ٢٩هـ فلما صاروا إلى قبرص ونزلوا ساحلها، فتحها الله فتح عظيماً . . .» [ص ١٥٨].

[٢٣٢] - مشاركة عبد الله بن أبي سرح من مصر إنما كانت في الغزو الثاني لقبرص عام ٣٣ هجرية كما سيأتي.

[٢٣٣] - لما فتح المسلمون قبرص عام ٢٨هـ بمعية معاوية وقيادة عبد الله بن قيس «بعث إليهم أركون قبرص يطلب الصلح وقد أذعن أهلها للصلح، فتمت المصالحة (على المبلغ الذي ذكره ابن خلدون هنا) وكان أركون قبرص يؤدي مبلغاً مماثلاً للروم فاشترط أن لا يمنعه المسلمون من أداء ذلك للروم واشترط المسلمون عليهم أن لا يقاتلوا مع من أراد المسلمين من الروم وأن يبلغوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم (إذا سار الروم عن طريق قبرص لغزو ساحل الشام)» وعاد المسلمون من قبرص . [ص ١٥٨/البلاذري].

[٢٣٤] - الذي كان عام ٣٣هـ هو الغزو الثاني لأن القبارصة ساعدوا الروم على غزو المسلمين بمراكبهم (ربما في موقعة ذات الصواري عام ٣١هـ) ثم سار إليهم عبد الله بن قيس بتوجيه معاوية «في خمسمائة مركب ففتح قبرص عنوة، فأقرهم (معاوية) على صلحهم الأول، وعلى توطين العرب فيها، وبعث إليها يائتي عشر ألفاً من العرب سكنوا فيها وبنوا بها المساجد وأسسا مدينة هناك» [ص ١٥٩/البلاذري].

[٢٣٥] - ما يزال قبر أم حُرام بنت ملحان الأنصارية مشهوراً في مسجد بقبرص يزوره الناس ويصلون فيه حتى اليوم.

وأقام عبد الله بن قيس الحارثي (أميراً) على البحر فغزا خمسين غزاة لم يُنكب فيها أحد^[٢٣٦] إلى أن نزل في بعض أيام في ساحل المرقى من أرض الروم فثاروا إليه فقتلوه^[٢٣٧]، ونجا الملاح، وكان (عبد الله بن قيس) استخلف سفيان بن عوف الأزدي على السفن، فجاء إلى أهل المرقى، وقاتلهم حتى قُتل ومعه جماعة^[٢٣٨].

[٢٣٦] - مكث عبد الله بن قيس الحارثي أميراً للبحرية وقائداً للأسطول البحري العربي الإسلامي من عام ٢٦هـ إلى عام ٥٢هـ حيث - كما جاء في الإصابة - «كان أول ما غزا في سنة ٢٧هـ ثم غزا خمسين غزاة في البحر، فلم يُنكب ولم يغرق معه أحد» [ص ٩٣ ج ٣ - الإصابة في تمييز الصحابة] وكان منها:

أ - الغزو الأول لقبرص عام ٢٨هـ (٦٤٩م).

ب - المشاركة في معركة ذات الصواري عام ٣١هـ (٦٥٢م).

ج - فتح جزيرة قبرص عام ٣٣هـ (٦٥٤م) حيث استقر بقبرص اثنا عشر ألفاً من العرب المسلمين وكانت إمارته للبحر تشمل قبرص لأن التواصل مع الذين بها كان بحراً.

د - غزوات على سواحل بلاد الروم (تركيا - القسطنطينية وغيرها) باستثناء فترة الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان حيث انقطع نشاط الفتوحات وانشغل المسلمون بحروب وصراع الفتنة إلى مقتل الخليفة علي بن أبي طالب واستتباب أمر الخلافة لمعاوية (عام ٤١هـ).

هـ - ثم تواصلت الغزوات البحرية وامتدت إلى جزيرة صقلية حيث جاء في فتوح البلدان للبلاذري أنه «غزا معاوية بن حُديج السكوني - أمير مصر وأفريقية - أيام معاوية بن أبي سفيان جزيرة صقلية وكان أول من غزاها». وغزا عبد الله بن قيس جزيرة صقلية فأصاب أصناماً من ذهب وفضة مكللة بالجواهر فبعث بها إلى معاوية، فوجه بها معاوية إلى البصرة لتحمل إلى الهند فتباع هناك ليُتمن بها» [ص ٢٣٧ - فتوح البلدان].

قال الطبري «وكان عبد الله بن قيس في غزواته يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده وأن لا يتليه بمصاب أحد منهم، فغزا خمسين غزاة في البحر لم يغرق فيها أحد ولم ينكب» [ص ٥٣ ج ٢م].

[٢٣٧] - كان عبد الله بن قيس يريد فتح ذلك الميناء الرومي فترك السفن في عرض البحر «وخرج وحده مع ملاح في قارب طليعة فنزل بالمرقى الرومي متنكراً في زي تاجر، وكان بالمرقى سؤال (أي شحاتين من الروم) فتصدق عليهم، فأسرعت امرأة من السُّؤال إلى الجند فقالت لهم: هل لكم في عبد الله بن قيس؟ قالوا: وأين هو؟ قالت: في المرقى. فقالوا: ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس؟ فقالت: أتم أعجز من أن يخفى عبد الله بن قيس على أحد، فاجتمعوا فهجموا عليه فقاتلهم حتى استشهد - رضي الله عنه في عام ٥٣هـ - وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه الذين في السفن فأخبرهم بالأمر، فهاجموا المرقى بقيادة سفيان بن عوف الأزدي فقاتلوا الروم وجعل سفيان يحث أصحابه ويشتمهم، فقالت جارية لعبد الله بن قيس (واعبد الله ما هكذا كان يقول حين يقاتل) فقال لها سفيان: وكيف كان يقول: فقالت (الغمرات ثم بنجلينا) فلزم سفيان (الغمرات ثم بنجلينا) وقاتل حتى استشهد» [ص ٥٣ ج ٢ تاريخ الطبري + ص ٤٨ ج ٣ - الكامل].

[٢٣٨] - ثم تولى قيادة البحرية الأمير اليماني القائد جنادة بن أبي أمية الزهراني الأزدي وكان =

ولاية اليمن في فتنة مقتل عثمان وخلافة علي بن أبي طالب [٢٣٩]

«.. كانت عائشة خرجت إلى مكة وعثمان محصور فقضت نسكها وانقلبت تريد المدينة فلقيت في طريقها رجلاً من بني ليث أحوالها فأخبرها بمقتل عثمان وبيعة علي بن أبي طالب [٢٤٠] فقالت: قُتل عثمان والله ظلماً ولأطلبن بدمه، فقال لها الرجل: ولم أنتِ كنتِ تقولين ما قلت؟ فقالت إنهم استتابوه ثم قتلوه، وانصرفت إلى مكة وجاءها الناس [٢٤١].. فقال عبد الله بن عامر الحضرمي، وكان عامل مكة لعثمان، أنا أول مطالب (بدم عثمان) فكان أول مجيب، وتبعه بنو أمية وكانوا هربوا (من المدينة) إلى مكة بعد قتل عثمان منهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة. وقدم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير، ويعلى بن منية من اليمن بستمائة بعير وستمائة ألف فأناخ بالأبطح [٢٤٢]، ثم قدم طلحة والزبير من

= نائب عبد الله بن قيس فاختره معاوية أميراً للبحر، وافتتح جنادة جزيرة رودس اليونانية عام ٥٣هـ (٦٧٤م) كما سيأتي في نص لاحق لابن خلدون.

[٢٣٩] - استحدثنا هذا العنوان لأننا إنما نورد ما جاء في تاريخ ابن خلدون عن اليمن وما لا يكتمل السياق إلا به من الوقائع، فتجاوزنا ما ذكره أبناء خلدون من أخبار الانتقاض على عثمان بن عفان إلى مقتله [ص ١٣٨ - ١٥٠ ج٢] وانتقلنا إلى السياق الذي أورد فيه ابن خلدون نبأ والي اليمن (يعلى بن منية الحنظلي) الذي تقدم أنه كان والي اليمن في خلافة عمر بن الخطاب ثم في خلافة عثمان بن عفان، وأورد ابن خلدون هنا [ص ١٥٣ ج٢] نبأ يعلى بن منية في فتنة مقتل عثمان.

[٢٤٠] - كان مقتل الخليفة عثمان بن عفان بالمدينة المنورة في ذي الحجة عام ٣٥ هجرية وبويع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالخلافة، بينما بعثت (نائلة بنت الغرافصة الكلبية الحميرية) وهي زوجة عثمان بقميصه الملطخ بالدماء مع النعمان بن بشير الأنصاري إلى معاوية وأهل الشام، قال ابن خلدون «ولما قدم النعمان بن بشير بقميص عثمان ملوثاً بالدم وبأصابع زوجته نائلة إلى أهل الشام وضع معاوية القميص على المنبر والأصابع من فوقه فمكث الناس يبكون مدة وأقسموا بالثأر لعثمان» [ص ١٦٩] وقال حسان بن ثابت الأنصاري في قصيدة رثاء لعثمان:

«فقد رضيينا بأرض الشام نافرة وبالأمير وبالإخوان إخوانا
لنسمعن وشيكاً في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمانا»

[٢٤١] - دعت عائشة إلى الثأر لعثمان وبعثت إلى والي اليمن يعلى بن منية وغيره من العمال والناس تستنفرهم للثأر لعثمان.

[٢٤٢] - قال ابن عبد البر القرطبي في كتاب الاستيعاب «كان يعلى بن منية - والي اليمن - عظيم الشأن عند عثمان وله يقول الشاعر:

إذا ما دعا يعلى وزيد بن ثابت لأمر ينوب الناس أو لخطوب» =

المدينة فقالت لهما عائشة: ما وراءكما؟ قالوا: تحملنا هراباً من المدينة. . فقالت (عائشة) انهضوا بنا إليهم، وقال آخرون: نأتي الشام، فقال ابن عامر إن معاوية كفاكم الشام فائتوا البصرة فلي بها صنائع ولهم في طلحة هوى، فنكروا عليه مجيئه من البصرة، واستقام رأيهم على رأيه وقالوا إن الذين معنا لا يطيقون من بالمدينة ويحتجون ببينة عليّ وإذا أتينا البصرة أنهضناهم كما أنهضنا أهل المدينة وجاهدنا فاتفقوا. . وجهزهم ابن عامر بما معه من المال ويعلى بن منية بما معه من المال والظهر^(٢٤٢) ونادوا في الناس بالحملات، فحملوا على ستمائة بعير^(٢٤٢) وساروا في ألف من أهل مكة وأهل المدينة وتلاحق بهم الناس فكانوا ثلاثة آلاف. . وأركب يعلى بن منية عائشة جمالاً اسمه عسكر اشتراه بمائة دينار وقيل بثمانين^[٢٤٣] وقيل بل كان لرجل من عريضة عرض لهم بالطريق على جمل فاستبدلوا به جمل عائشة^[٢٤٤].

. . وقد كان علي (بن أبي طالب) لما بلغه خبر طلحة والزبير وعائشة ومسيرهم إلى البصرة دعا أهل المدينة للنصرة وخطبهم فتناقلوا أولاً وأجابه زياد بن حنظلة وأبو الهيثم وخزيمة بن ثابت وأبو قتادة في آخرين. . واستخلف على المدينة تمام بن عباس وقيل سهل بن حنيف وعلى مكة قثم بن عباس^[٢٤٥] وسار

= [ص ٦٦٢/الاستيعاب].

ورفع يعلى بن منية شعار الثأر لعثمان وجمع ما كان في بيت المال باليمن من أموال وستمائة بعير (جمل) وسلاحاً وانطلق من صنعاء في موكب مهيب إلى مكة وانضم إلى عائشة ومن معها، وقد ذكر ابن كثير أيضاً «أن يعلى بن منية قدم من اليمن ومعه ستمائة ألف درهم وستمائة بعير» وذكر المسعودي في مروج الذهب قدوم يعلى من اليمن إلى عائشة ومن معها بمكة وأنه «أعطاهم يعلى أربعمائة ألف درهم وكراعاً وسلاحاً» [ص ٣٦٦ ج ٢].

[٢٤٣]- ذكر الهمداني في الإكليل أن الجمل عسكر الذي أعطاه يعلى لعائشة من وادي ظهر بصنعاء، وذكر المسعودي أنه «أعطى يعلى عائشة الجمل المسمى عسكر وكان اشتراه من اليمن بمائتي دينار» [أهـ].

[٢٤٤]- استعمل ابن خلدون هنا كلمة (قيل) لأن الثابت والمتواتر أن جمل عائشة الذي باسمه سميت موقعة الجمل هو الجمل عسكر الذي أعطاه إياها يعلى بن منية لما قدم من اليمن، ويعلى هو الذي أتاح لهم التحرك بالأموال والجمال اليمنية.

[٢٤٥]- قال ابن خلدون في موضع آخر عن ولاية اليمن ما يلي نصه:

«ولّى عليّ (بن أبي طالب) على اليمن عبيد الله بن عباس ثم عبد الله بن عباس» [ص ٢١٢ ج ٤].

وجاء في كتاب (قرة العيون) أنه لما علم علي بن أبي طالب بمسير والي اليمن يعلى بن منية مع عائشة وطلحة والزبير استعمل عبيد الله بن عباس وسعيد بن سعد بن عباد الأنصاري على اليمن «فكان عبيد الله بن العباس على صنعاء وأعمالها وسعيد بن سعد بن عباد على الجند وأعمالها» =

في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وسار معه من نشط من الكوفيين والمصريين متخفين في تسعمائة ولقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال: يا أمير المؤمنين لا تخرج منها فوالله إن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً، فبدر الناس إليه، فقال: دعوه فنعم الرجل من أصحاب محمد ﷺ [٢٤٦].

= [ص ٨٤] ويمكن القول إن ولاية سعيد بن سعد بن عبادة على الجند وأعمالها كانت في إطار ولاية عبيد الله بن عباس على اليمن بأكملها. . وقد تقدم قول ابن خلدون «وكان الولاة على اليمن ينزلون صنعاء» [ص ٢١٢ ج ٤].

وقد كان في اليمن - كغيرها من الأمصار انقسام بين مشايعين لعلي بن أبي طالب ومشايعين لعثمان وللمطالبيين بثأر عثمان ومعتزلين للفريقيين. . وكان موقف زعماء اليمنيين خارج اليمن إنعكاساً للموقف داخل اليمن، فقد كان من أبرز أنصار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عمار بن ياسر العنسي والأشتر النخعي وقيس بن مكشوح المرادي وسعيد بن قيس الهمداني وحجر بن عدي الكندي والأشعث بن قيس الكندي وأمثالهم من الصحابة والقادة اليمنيين، بينما كان من أنصار وجبهة عائشة في موقعة الجمل ثم مع معاوية بن أبي سفيان في صفين وغيرها صبرة بن شيمان الأزدي وذو الكلاع الحميري وحوشب ذو ظليم الحميري وشرحبيل بن السمط الكندي ومعاوية بن حديج السكوني والنعمان بن بشير الأنصاري وكثير بن شهاب الحارثي وأمثالهم من الصحابة والقادة اليمنيين، بينما اعتزل القتال أبو موسى الأشعري والربيع بن زياد الحارثي وجريز بن عبد الله البجلي وأمثالهم من كبار الصحابة والقادة اليمنيين.

(*) وبعد موقعة صفين (ذي الحجة ٣٦هـ) «أرسل معاوية جيشاً إلى اليمن بقيادة بسر بن أرطاة العامري. . فلما بلغ عبيد الله بن عباس قدوم بسر بن أرطاة خرج من اليمن واستخلف صهره عبد الله بن عبد المدان الحارثي، وكان عبيد الله بن عباس متزوجاً بعائشة بنت عبد الله بن عبد المدان، فلما قدم بسر بن أرطاة قتل عبد الله بن عبد المدان وابنه مالك بن عبد الله بن عبد المدان وولدين لعبيد الله بن عباس من عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان «وكذلك قتل بسر اثنين وسبعين رجلاً من الأبناء (الفرس) بصنعاء» فدانت اليمن لبسر بن أرطاة ومكث وإلياً على اليمن مدة سنة كاملة كما في تاريخ صنعاء للرازي (ص ١٧٠) ثم أرسل علي بن أبي طالب جارية بن قدامة السعدي إلى اليمن في أربعة آلاف مقاتل - عام ٤٠هـ - حيث كما يذكر الأكوخ «نكل جارية بشيعة عثمان في اليمن وقام بدور يماثل دور بسر وأصحابه. . وهكذا منيت اليمن بكارثة إثر كارثة» [ص ٨٨ هامش قرّة العيون] ويبدو من رواية ابن خلدون أن عبد الله بن عباس تولى اليمن آنذاك. . وبعد مقتل علي بن أبي طالب (رمضان ٤٠هـ) وصلح الحسن ومعاوية استتب أمر الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عام ٤١هـ.

[٢٤٦] - وبالفعل لم تعد المدينة المنورة عاصمة لدولة الخلافة بعد ذلك، وقد أورد ابن خلدون بعد هذه الفقرة (ص ١٥٨ ج ٢) أنباء موقعة الجمل وما تلا ذلك في مصر وأنباء موقعة صفين وأمر التحكيم وأمر الخوارج إلى مقتل علي بن أبي طالب ومبايعة الحسن لمعاوية بالخلافة إلى (ص ١٨٨ ج ٢) نهاية الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون. ونظراً لعدم علاقة ذلك باليمن اكتفينا بما تقدم وبالهامش والله الموفق.

أخبار اليمن وأعلام القادة والأمراء اليمينيين خارج اليمن في عصر الخلفاء الأمويين الأوائل (١)

خلافة معاوية بن أبي سفيان [٢]

«كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء (الراشدين) وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحة، ولا ينظر في ذلك إلى حديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة فإنه لم يصح، والحق أن معاوية في عداد الخلفاء وإنما أخره المؤرخون في التأليف عنهم لأمرين: (الأول) إن الخلافة لعهد كانت مغالبة لأجل العصبية التي حدثت لعصره، وأما قبل ذلك كانت اختياراً واجتماعاً فميزوا بين الحالتين فكان معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك ويُشبهون بعضهم ببعض، وحاشى الله أن يشبه معاوية بأحد ممن بعده فهو من الخلفاء الراشدين، ومن كان تلوه من الخلفاء المروانية ممن تلاه في المرتبة كذلك، وكذلك من بعدهم من خلفاء بني العباس ولا يقال إن الملك أدون رتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكاً (واعلم) أن الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية. . وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافي الخلافة والنبوة، فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين كانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل، ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا، وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو

[١] - استحدثنا هذا العنوان لهذا الفصل، ويتضمن ما ذكره ابن خلدون من أخبار اليمن واليمينيين داخل اليمن وخارجها في عصر الخلفاء الأمويين إلى عهد عبد الملك بن مروان (٤١هـ - ٨٦هـ) مع ما يقتضيه السياق من غير ذلك لتكامل الوقائع.

[٢] - أورد ابن خلدون تحليلاً متميزاً لخلافة معاوية وبداية عصر الخلفاء الأمويين، قرأنا أهمية نقل ذلك هنا كما في تاريخ ابن خلدون [ص ١٨٨ ج ٢] و[ص ٤ ج ٣] لأن السياق يستلزم ذلك.

خليفتهم، فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستفحل العصبية وتدعو لطبيعة الملك، وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إن دعوتهم ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه، والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا بالواهي. فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي ﷺ في المسلمين، ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا، وإنما سُمي خليفة بالمجاز. (الأمر الثاني) في ذكر معاوية مع خلفاء بني أمية دون الخلفاء الأربعة إنهم كانوا أهل نسب واحد وعظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه، والخلفاء الأولون مختلفو الأنساب فجعلوا في نمط واحد وألحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحوقه بهم قريباً في الفضل» [٣].

«.. ولما هلك عثمان واختلف الناس على عليّ (بن أبي طالب) كانت عساكر عليّ أكثر عدداً لمكان الخلافة والفضل، إلا أنها من سائر القبائل من ربيعة ويمن وغيرهم» [٤]، وجموع معاوية إنما هي جند الشام من قريش شوكة مضر وبأسهم نزلوا بثغور الشام منذ الفتح فكانت عصيته أشد وأمضى شوكة (٤)، ثم كسر من جناح عليّ ما كان من أمر الخوارج وشُغله بهم، إلى أن ملك معاوية وخلع الحسن نفسه.

واتفقت الجماعة على بيعة معاوية في منتصف سنة إحدى وأربعين عندما نسي الناس شأن النبوة والخوارج ورجعوا إلى أمر العصبية والتغالب وتعين بنو أمية للغلب على مضر وسائر العرب، ومعاوية يومئذ كبيرهم فلم تتعدّه الخلافة ولا ساهمه فيها غيره، فاستوت قدمه واستفحل شأنه واستحكمت في أرض مصر رياسته وتوثق عقده، وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة التي لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يداً من أهل الترشيح من ولد فاطمة وبني هاشم

[٣] - [ص ١٨٨ ج ٢] تاريخ ابن خلدون.

[٤] - ليس تحليل ابن خلدون هنا دقيقاً، فقد كان بين عساكر وأصحاب علي بن أبي طالب عدد غير قليل من قريش ومضر بل أن علياً نفسه من قريش ومضر، وكانت غالبية قاداته وعسكره من اليمن وربيعه لأنهم كانوا غالبية العرب في العراق والمشرق.

(*) وكذلك لم يكن جند الشام الذين مع معاوية «من قريش شوكة مضر» فالثابت وكما ذكر الطبري أنه «كانت غالبية جند الشام من اليمانية» [ص ٣ ج ٩] كما أن «جند مصر كانوا في الغالب من اليمن» وكان أغلب قادة جيش معاوية وجند الشام من اليمنيين أمثال (شرحبيل بن السمط الكندي، وسميفع ذو الكلاع الحميري، وحوشب ذو ظليم، والنعمان بن بشير الأنصاري، وأبو خالد بن عبد الله القسري، وعشرات غيرهم).

وآل الزبير وأمثالهم، ويصانع رؤوس العرب وقرور مضر بالإغضاء والاحتمال والصبر على الأذى والمكروه، وكانت غايته في الحلم لا تُدرك وعصابته فيها لا تُنزع ومرقاته فيها تزل عنها الأقدام»^[٥].

من عمال معاوية على الأمصار^[٦]

لما استقل معاوية بالخلافة عام الجماعة بعث العمال إلى الأمصار، فبعث على الكوفة المغيرة بن شعبة. . وكان على القضاء شريح^[٧] ولما ولي المغيرة على الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري وأقره زياد بعده وكان يغزو الديلم^[٨]،

[٥] - انتهى ما لزم إيراده من كلام ابن خلدون عن معاوية (ص ٤ ج ٣ تاريخ ابن خلدون).
[٦] - لم يذكر ابن خلدون في حديثه بعنوان «بعث معاوية العمال إلى الأمصار» [ص ٤ ج ٣] ولاية اليمن في خلافة معاوية وإنما ذكر في الفصل الخاص عن «أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه» ما يلي نصه: «ثم ولي معاوية على صنعاء فيروز الديلمي ومات سنة ثلاث وخمسين» [اهـ/ص ٢١٢ ج ٤] ويبدو من ذلك أن ابن خلدون لم يقف على المصادر التاريخية عن اليمن، حيث تعاقب على ولاية اليمن في خلافة معاوية (٤١ - ٦٠ هجرية) كل من:

- أ - عثمان بن عفان الثقفي (نحو ستين).
- ب - عتبة بن أبي سفيان (ثلاث سنوات).
- ج - النعمان بن بشير الأنصاري (المرّة الأولى).
- د - بشير بن سعد الشهابي الحميري الصنعاني.
- هـ - ثم ولي معاوية (الضحّاك بن فيروز الديلمي) وليس فيروز الديلمي، فقد كان فيروز بالمدينة ومات بها (عام ٥٣ هـ).
- و - النعمان بن بشير الأنصاري (للمرة الثانية عام ٥٩ هـ) ثم الضحّاك بن فيروز حتى وفاة معاوية في رجب ٦٠ هـ، فولى يزيد بن معاوية على اليمن الأمير اليمني بحير بن ريسان الحميري (٦٠ - ٦٤ هـ) وكان من خيرة ولاة اليمن.
- [٧] - هو العلامة اليمني القاضي شريح بن الحارث الكندي وقد تولى قضاء الكوفة منذ خلافة عمر بن الخطاب عام ١٨ هـ وله مناقب جليّة.
- [٨] - هو الأمير اليمني القائد كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي المذحجي (من بني الحرث بن كعب زعماء نجران) وكان من الصحابة والزعماء اليمنيين الذين انطلقوا من اليمن إلى ميادين الفتوحات، قال القرطبي في كتاب (الاستيعاب) «... وهو الذي قتل يوم القادسية جالينوس» [ص ٣١٨] وقال البلاذري «كان لكثير بن شهاب أثر جميل يوم القادسية» [٣١٤ + ٢٥٩] ولما تم اختطاط الكوفة - عام ١٧ هـ - اختط كثير منزلاً بالكوفة واستقر بها، وجاء في كتاب الإصابة «كان كثير بن شهاب سيد مذحج بالكوفة» [ص ٢٨٧] وتولى كثير بن =

(وولى معاوية) على البصرة بسر بن أرطأة. . ثم عزل معاوية بسراً عن البصرة وولى. . ابن عامر وجعل إليه معها خراسان وسجستان وقدمها سنة إحدى وأربعين. (فلما) عزله معاوية ولى مكانه الحارث بن عبد الله الأزدي. . ثم إن معاوية عزل الحارث بن عبد الله الأزدي عن البصرة وولى عليها زياداً (بن أبي سفيان) سنة خمس وأربعين^[٩] وجمع له خراسان وسجستان. . ثم قسم زياد ولاية خراسان على أربعة. . ثم استعمل الحكم بن عمرو الغفاري وغزا الحكم طخارستان وسار سنة سبع وأربعين إلى جبال الغور. . ولما رجع من غزاة الغور مات بمرو واستخلف على عمله أنس بن أبي أناس فلم يرضه زياد وكتب إلى خليلد بن عبد الله الحنفي بولاية خراسان ثم بعث الربيع بن زياد الحارثي في خمسين ألفاً من البصرة والكوفة^[١٠].

= شهاب إمارة وفتح الري ودستي وقزوين والديلم ببلاد فارس في خلافة عمر بن الخطاب إلى أيام عثمان - كما تقدم - ثم في خلافة معاوية - كما ذكر البلاذري - «كان كثير بن شهاب والياً لمعاوية على الري ودستي» وهو ما أشار إليه ابن خلدون هنا، ثم أعفاه معاوية من العمل في قصة طويلة أوردتها المبرد في كتاب الكامل [ص ٧٣ ج ١] فلما تولى زياد (بن أبي سفيان) قال لكثير: «أنت حازم وما مثلك يُعطل فولاه على بعض اقليم الجبل - ببلاد فارس -» وله أخبار كثيرة، ولما تولى يزيد بن معاوية الخلافة (٦١هـ) ولى كثير بن شهاب على بلاد (ماسبذان) و(مهرجانقذف) و(حلوان) و(الماهين) ببلاد فارس وقام بتشيد قصر مشهور هناك.

[٩] - كان الأمير اليمني الحارث بن عبد الله الأزدي أمير البصرة وأعمالها عام ٤٣ - ٤٥هـ وكان ثالث ولاية البصرة في خلافة معاوية.

[١٠] - أورد ابن خلدون خبر بعث الربيع بن زياد الحارثي إلى خراسان كما هنا في (ص ٩ ج ٣) ثم أورد تنمة النبأ عن الربيع بن زياد في [ص ١٤ ج ٣] فأوردنا ذلك في الفقرة التالية ليرتبط ويتكامل النبأ عن ذلك الصحابي اليمني والأمير الفاتح الربيع بن زياد بن أنس بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجي، وكان من أعلام الصحابة والزعماء اليمنيين. وجاء في كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) أنه «قال عمر بن الخطاب لأصحابه: دلوني على رجل إذا كان في القوم أميراً فكأنه ليس بأمر، وإذا لم يكن بأمر فكأنه أمير، فقالوا: ما نعرفه إلا الربيع بن زياد. فقال عمر: صدقتم» [ص ٥٠٥/الإصابة].

وقد تولى الربيع إمرة البحرين، ثم شهد القادسية وغيرها من فتوح تحرير العراق، ثم كما قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

ومضى ربيع بالجياد مُشرقاً
ينوي الجهاد وطاعة الرحمن
حتى استباح قرى السواد وفارس
والسهل والاجبال من مكران

(*) وقد تقدم في الفصل السابق الحديث عن:

«وكان زياد قد ولى الربيع بن زياد الحارثي على خراسان سنة إحدى وخمسين بعد أن هلك الحكم بن عمرو الغفاري، وبعث معه من جند الكوفة والبصرة خمسين ألفاً فيهم بريدة بن الحصيبي وأبو برزة الأسلمي من الصحابة، وغزا الربيع بلخ ففتحها صلحاً وكانوا انتقضوا بعد صلح الأحنف بن قيس، ثم فتح قهستان عنوة واستلحم من كان بناحيها من الترك ولم يفلت منه إلا قيزل طرخان وقتله قتيبة بن مسلم في ولايته، فلما بلغ الربيع بن زياد قتل حجر بن عدي سخط لذلك وقال: لا تزال العرب تُقتل بعده صبراً ولو أنكروا قتله منعوا أنفسهم من ذلك لكنهم أقرّوا فذلوا، ثم دعا بعد صلاة الجمعة لأيام من خبره وقال للناس: إني قد مللت الحياة وإني داع فأمنوا ثم رفع يديه وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً وأمن الناس، ثم خرج فما تواترت ثيابه حتى سقط فحمل إلى بيته واستخلف ابنه عبد الله ومات الربيع من يومه ثم مات ابنه بعده بشهرين» (١٠).

= أ - فتوح الربيع بن زياد في بلاد فارس في ولاية أبي موسى الأشعري للبصرة وخلافة عمر بن الخطاب وتولي الربيع بعض الأقاليم هناك.

ب - تولية الربيع بن زياد على سجستان وقيامه بافتتاح بلاد سجستان بأكملها (٢٩ - ٣٠ هـ) ومكث أميراً عليها إلى عام ٣٣ هـ.

ج - اعتزل الربيع الفتنة التي رافقت مقتل عثمان وخلافة علي وصراعه مع معاوية إلى أن اجتمع أمر الخلافة لمعاوية، وكانت سجستان انتقضت في فترة الفتنة، قال ابن عبد البر القرطبي في كتاب الاستيعاب «لما صار الأمر إلى معاوية وعزل عبد الرحمن بن سمرة عن سجستان ولاها الربيع بن زياد الحارثي، فأظهره الله على الترك وبقي أميراً على سجستان» [ص ٥١٧] وذكر البلاذري أن تولية الربيع على سجستان كانت عندما ولى معاوية زياداً على البصرة عام ٤٥ هجرية «وكان رتبيل غلب على زابلستان والرخج حتى انتهى إلى بست، فخرج الربيع بن زياد في الناس فقاتل رتبيل في بست وهزمه وتبعه حتى أتى الرخج فافتتحها كما فتح (خواش) و(قوزان بست) و(خشك) وبلاد (الدوار)» [ص ٣٨٨ فتوح البلدان/ البلاذري] كما بعث الربيع جيشاً إلى (كابول) بقيادة عبد الرحمن بن سمرة والمهلب بن أبي صفرة فتم فتحها، وامتد السلطان العربي الإسلامي في بلاد سجستان إلى كابول واستمر الربيع والياً أميراً على سجستان إلى عام خمسين هجرية.

(*) وفي عام ٥١ هجرية تولى الربيع إمرة بلاد خراسان (آسية الوسطى) فسار إليها «في خمسين ألفاً من العرب بعيالاتهم من جند وأهل الكوفة والبصرة - أي من العرب الذين كانوا استقروا بها - وكان أغلبهم من الأزد ومذحج وربيعة» . . وكان أهم من فتوحات الربيع في خراسان وولايته إياها (٥١ - ٥٣ هـ) أنه قام بتوطين ذلك العدد الكبير من العرب بعيالاتهم في بلاد خراسان (تركمنستان/أوزبكستان) إلى حدود نهر بلخ، مما أدى إلى ترسيخ العصر العروبي الإسلامي بتلك البلدان.

صوائف الشام^[١١]: ودخل المسلمون سنة اثنتين وأربعين إلى بلاد الروم فهزموهم وقتلوا جماعة من البطارقة وأثخنوا فيها^[١٢] ثم دخل بسر بن أرطأة أرضهم سنة ثلاث وأربعين وشتى بها وبلغ القسطنطينية. ثم دخل عبد الرحمن بن خالد إليها سنة ست وأربعين فشتى بها وشتى أبو عبد الرحمن السبيعي على أنطاكية، ثم دخلوا سنة ثمان وأربعين فشتى عبد الرحمن بأنطاكية أيضاً ودخل عبد الله بن قيس في تلك السنة بالصائفة^[١٣] وغزاهم مالك بن هبيرة اليشكري في البحر^[١٤] وعقبة بن عامر الجهني في البحر أيضاً بأهل مصر^[١٥].

ثم دخل مالك بن هبيرة سنة تسع وأربعين فشتى بأرض الروم^(١٤)، ودخل عبد الله بن كرز البجلي بالصائفة^[١٦] وشتى يزيد بن شجرة الرهاوي في بلاد الروم

= (***) ثم كانت واقعة قتل (حجر بن عدي الكندي) بتدبير زياد وموافقة معاوية، وقد ذكرها ابن خلدون [ص ١١ - ١٤ ج ٣] وقد أثار قتل حجر بن عدي بقية الصحابة واختار الربيع بن زياد أن يقبضه الله إليه فاستجاب الله لقبضه إليه في مطلع عام ٥٣هـ رضوان الله عليه. وقد هلك زياد بن أبي سفيان - وهو زياد بن أبيه - في رمضان ٥٣ هجرية بالطاعون [ص ١٤ ج ٣ تاريخ ابن خلدون].

[١١] - جاء في الأصل المطبوع من تاريخ ابن خلدون (طباعة مؤسسة الأعلمي - بيروت) هنا عبارة (طوائف الشام) - (ص ٩ ج ٣) - وهو تصحيف وإنما الصواب (صوائف الشام) وتسمى (الصوائف) وهي الغزوات العربية الإسلامية من الشام إلى بلاد الروم (غرب وشمال تركيا حالياً) وكانت تتم في الصيف، فإذا كانت الغزوة في الشتاء يقال «شتى بأرض الروم» أي غزاه في الشتاء.

[١٢] - كان أمير ثغور الشام وقائد الصوائف هو الأمير اليميني القائد سفيان بن عوف الغامدي الأزدي (٤٢ - ٥٣هـ) فإذا سار غيره من الأمراء والقادة في الصوائف - كما جاء هنا عام ٤٣ و ٤٦ و ٤٨ هجرية - فإنما ذلك تحت قيادة سفيان بن عوف الأزدي.

[١٣] - هو الأمير اليميني القائد عبد الله بن قيس الحارثي أمير الأسطول البحري في عهد معاوية، وقد تقدم الحديث عنه في خبر فتح جزيرة قبرص بقيادته عام ٢٨هـ وعام ٣٣ هجرية وأنه «غزا بعد ذلك خمسين غزاة في البحر» واستشهد عام ٥٣ هجرية.

[١٤] - هو الأمير اليميني القائد مالك بن هبيرة السكوني وكان من كبار قادة الجيوش بالشام في خلافة معاوية.

[١٥] - هو الصحابي الأمير اليميني (عقبة بن عامر الجهني القضاعي الحميري) وكان والي مصر وأميرها عام ٤٤هـ إلى ٤٧هـ في خلافة معاوية، ثم تولى مصر (مسلمة بن مخلد الأنصاري) بينما تولى عقبة بن عامر قيادة الغزو البحري فغزا رودس عام ٤٧هـ ثم غزا سواحل بلاد الروم - كما ذكر ابن خلدون هنا - عام ٤٨هـ وعام ٤٩هـ وسيأتي المزيد من أخباره فيما بعد.

[١٦] - هو الأمير اليميني القائد عبد الله بن كرز البجلي والدم القوي اليميني الكبير خالد بن عبد الله القسري البجلي أمير العراقيين (١٠٥ - ١٢٠هـ) كما سيأتي.

بأهل الشام^[١٧] وعقبة بن عامر بأهل مصر كذلك^(١٥) .

ثم بعث معاوية سنة خمسين جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم مع سفيان بن عوف^[١٨] وندب يزيد ابنه معهم فتناقل فتركه، ثم بلغ الناس أن الغزاة أصابهم جوع ومرض . . فحلف (معاوية) ليلحقن (يزيد) بهم فسار في جمع كثير جمعهم إليه معاوية، فيهم ابن عباس وابن عامر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري فأوغلوا في بلاد الروم وبلغوا القسطنطينية وقاتلوا الروم عليها، فاستشهد أبو أيوب الأنصاري ودفن قريباً من سورها^(١٨) . ورجع يزيد والعساكر إلى الشام^(١٨) .

ثم شتى فضالة بن عبيد بأرض الروم سنة إحدى وخمسين^[١٩٧] . (اه) .
بقية الصوائف^[٢٠] : دخل بسر بن أرطاة سنة اثنتين وخمسين أرض الروم وشتى بها وقيل رجع، ونزل هنالك سفيان بن عوف الأزدي فشتى بها وتوفي هنالك^[٢١] ثم دخل عبد الرحمن بن أم الحكم سنة ثلاث وخمسين إلى أرض الروم وشتى بها .

[١٧] - هو القائد اليمني يزيد بن شجرة الرهاوي المذحجي وكان من امراء وقادة الشام في خلافة معاوية ويزيد بن معاوية .

[١٨] - كان سفيان بن عوف الغامدي الأزدي أمير الثغور وقائد الصوائف، وبقيادته كانت الغزوة التي ذكرها ابن خلدون هنا والتي سار فيها تحت قيادته يزيد بن معاوية وأبو أيوب الأنصاري وغيرهما، وبلغ ذلك الغزو العربي الإسلامي مدينة القسطنطينية - لأول مرة - وقاتلوا الروم في القسطنطينية (استنبول) فكان الروم داخل المدينة والمسلمون خارج سورها، وفي تلك الغزوة استشهد الصحابي أبو أيوب الأنصاري عند سور القسطنطينية وتم دفنه قريباً من سورها، وما يزال موقع قبره هناك معروفاً، ورجع يزيد بن معاوية مع سفيان بن عوف والعساكر إلى الشام .

[١٩] - هو (فضالة بن عبيد الأنصاري) وكان قاضي دمشق والشام في خلافة معاوية، ومات فضالة عام ٥٣هـ فتولى قضاء الشام أبو ادريس الخولاني إلى أن توفي أيام عبد الملك بن مروان .

[٢٠] - أورد ابن خلدون الخبر المتقدم عن (صوائف الشام) في (ص ٩ ج ٣) ثم خبر (بقية الصوائف) (ص ١٨ ج ٣) وقد أوردناه هنا ليرتبط الموضوع .

[٢١] - كان غزو بلاد الروم عام ٥٢هـ بقيادة سفيان بن عوف الأزدي - كما جاء هنا بالفعل - ولكن الخبر هنا عن وفاته بأرض الروم آنذاك، يتناقض مع قول ابن خلدون في فقرة لاحقة إنه «في سنة ٥٥هـ شتى سفيان بن عوف بأرض الروم» كما يتناقض مع ما ذكره ابن خلدون في الفصل السابق عن استشهاد عبد الله بن قيس الحارثي وأن سفيان بن عوف تولى القيادة البحرية ومات آنذاك (عام ٥٣هـ) . . ويبدو أن سبب التناقض هو الخلط بين سفيان بن عوف الأزدي أمير الثغور وسفيان بن مجيب الأزدي أمير بعلبك والساحل، وكان سفيان بن عوف =

فتح جزيرة رودس: وافتتحت في هذه السنة رودس، فتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي^[٢٢] ونزلها المسلمون على حذر من الروم، ثم كانوا يعترضونهم في البحر ويأخذون سفنهم^[٢٣] وكان معاوية يدركهم بالعطاء حتى خافهم الروم^(٢٣) ثم نقلهم يزيد في ولايته.

فتح جزيرة أرواد وفي سنة أربع وخمسين فتح المسلمون جزيرة أرواد^[٢٤] قرب القسطنطينية ومقدمهم جنادة بن أبي أمية الأزدي فملكوها سبع سنين^(٢٤)، ونقلهم يزيد في ولايته^[٢٥].

وفي سنة خمس وخمسين شتى سفيان بن عوف بأرض الروم، وقيل عمر بن

= الأزدي قائداً عظيماً ومات غازياً في أرض الروم عام ٥٣ هجرية، فكتب معاوية بن أبي سفيان إلى كافة أمصار المسلمين واجناد العرب ينعاه فبكى عليه الناس في كل مسجد. [اه].

[٢٢] - هو الأمير اليميني القائد جنادة بن أبي أمية الأزدي، قال البخاري «اسم أبي أمية كبير» وكذلك في كتاب الإصابة أن اسمه (جنادة بن كبير الأزدي) واشتهر أبوه بكنيته فقيل (جنادة بن أبي أمية) وهو من بني زهران الأزدية في منطقة عسير باليمن، وكان جنادة صحابياً كما في كتاب الاستيعاب وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة «وشهد جنادة فتح مصر، وله خبر في فتح الإسكندرية مع عبادة بن الصامت الأنصاري» [ص ٢٤٣ ج١/ الاستيعاب + ص ٢٤٦ ج١ - الإصابة] ثم استقر بمنطقة ساحل الشام واشترك مع عبد الله بن قيس الحارثي في تأسيس الأسطول البحري وقيادة الغزوات البحرية منذ إمارة معاوية للشام في خلافة عثمان وغزو قبرص (عام ٢٨هـ) وحتى استشهاد عبد الله بن قيس في ميناء بلاد الروم (عام ٥٣هـ) ثم أصبح جنادة أمير البحر وقائد الأسطول بعد عبد الله بن قيس.

[٢٣] - جاء في الأصل المطبوع من الكتاب هنا «يعترضونه في البحر ويأخذون سفنه» وهو تصحيف، والصواب كما أوردناه، قال الطبري: «وفي سنة ٥٣هـ فُتحت جزيرة رودس في البحر فتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي فنزلها المسلمون واتخذوا بها أموالاً ومواشي يرعونها حولها، فإذا أمسوا أدخلوها الحصن ولهم ناطور يحذرهم ما في البحر ممن يريدهم بكيد، وكانوا أشد شيء على الروم فيعترضونهم في البحر فيقطعون سفنهم، وكان معاوية يُدّر لهم الأرزاق والعطاء، وكان الروم يخافونهم» [ص ١٦١ ج٦] وقال البلاذري «غزا جنادة رودس ففتحها عنوة وكانت غبضة في البحر، وأمره معاوية فأسكن فيها قوماً من المسلمين فأقام المسلمون برودس سبع سنين في حصن اتَّخذ لهم . . الخ» [ص ٢٣٧ فتوح البلدان].

[٢٤] - جاء في الأصل المطبوع من تاريخ ابن خلدون هنا «جزيرة أروي» والصواب «جزيرة أرواد بالقرب من القسطنطينية» كما في تاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري، وان جنادة افتتحها عام ٥٤ هجرية فأقام المسلمون فيها وفي جزيرة رودس سبع سنين.

[٢٥] - أي في خلافة يزيد بن معاوية حيث أمر جنادة بهدم حصن المسلمين في رودس وإعادةهم وكذلك في أرواد، فعاد المسلمون منهما إلى الشام.

محرز، وقيل عبد الله بن قيس^(٢١)، وفي سنة ست وخمسين كان مشتى جنادة بن أبي أمية، وقيل عبد الرحمن بن مسعود، وقيل غزا في البحر يزيد بن شجرة (الرهاوي) وفي البر عياض بن الحارث. وفي سنة سبع وخمسين كان مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم^(٢١)، وغزا مالك بن عبد الله الخثعمي في البر^[٢٦] وعمر بن يزيد الجهني في البحر.

وفي سنة ثمان وخمسين كان مشتى عمر الجهني بأرض الروم وغزا في البحر جنادة بن أبي أمية. . وفي سنة ستين غزا مالك بن عبد الله الخثعمي (أرض الروم)^(٢٦) ومَلِك جنادة بن أبي أمية رودس وهدم مدينتها^(٢٥). (أه).

الخبر عن مصر وأفريقية^[٢٧]

«وفي سنة ثلاث وأربعين توفي عمرو بن العاص بمصر فاستعمل معاوية مكانه عبد الله ابنه»^[٢٨].

«وكان عمرو بن العاص قبل وفاته استعمل عقبة بن عامر بن عبد قيس على أفريقية»^[٢٩]

[٢٦] - تولى القائد اليماني مالك بن عبد الله الخثعمي قيادة الثغور والصوائف، ومات غازياً في بلاد الروم عام ٧٥هـ فكسر المسلمون على قبره أربعين لواءً حداداً عليه.

[٢٧] - استحدثنا هذا العنوان لما ذكره ابن خلدون عن مصر وأفريقية [ص ٧ ج ٣] ثم [ص ١٠، ١١ ج ٣] وقد تقدم في الفصل السابق نص ابن خلدون بأنه «لما اجتمع الناس على معاوية بعد علي رضي الله عنه، بعث معاوية بن حديج السكوني إلى أفريقية في العساكر فنزل قمونية وسرح إليه البطريق الرومي ثلاثين ألف مقاتل فهزمهم معاوية بن حديج، وحاصر - وافتتح - حصن جولاء. ثم بث سرايا ودوخ أفريقية فأطاعوا، وعاد إلى مصر» [ص ١٣٠ ج ٢].

فكان معاوية بن حديج السكوني فاتح وأمير أفريقية في تلك الفترة زهاء سنتين (ربما ما بين عام ٤١ - ٤٣هـ) بينما كان عمرو بن العاص أميراً والياً لمصر من بداية خلافة معاوية أيضاً.

[٢٨] - اكتفى ابن خلدون بإيراد هذه الفقرة عن مصر [ص ٧ ج ٣] وجاء في فتوح البلدان للبلاذري أنه «ولى معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن عمرو بن العاص على مصر ثم عزله وولى معاوية بن حديج السكوني» [ص ٢٣٠ فتوح البلدان] وكان ذلك ما بين عام ٤٣ و عام ٤٤هـ ثم تولى مصر عقبة بن عامر الجهني (٤٤هـ - ٤٧هـ) ثم معاوية بن حديج السكوني (٤٨ - ٥١ هجرية).

[٢٩] - هو الأمير اليماني (عقبة بن عامر بن عيس بن مالك الجهني): وكان من أعيان الصحابة الذين شهدوا فتح مصر واستقر بمصر، قال ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة «... وكان عقبة بن عامر قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان شاعراً كاتباً وهو أحد من جمع القرآن» [ص ٤٨٩ ج ٣] وجاء في كتاب الجامع أن عقبة بن عامر الجهني «كان شجاعاً =

فانتهى إلى لواته (ومراته)^[٣٠] فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى، ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين غدامس وفي السنة التي بعدها ودان وكورا من كور السودان وأثنى في تلك النواحي وكان له فيها جهاد وفتوح^(٢٩).

(ثم ولى معاوية عقبة على أفريقية سنة خمسين)^[٣١] فدخل أفريقية وانضاف إليه مسلمة البربر فكثر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد لأنهم كانوا إذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا، فإذا رجعوا عنهم ارتدوا فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها العساكر من البربر فاخترت القيروان^[٣٢] وبنى بها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم.. وكملت في خمس سنين وكان يغزو ويبعث سرايا للإغارة والنهب، ودخل أكثر البربر في الإسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين^[٣٣].

ثم ولى معاوية على مصر وأفريقية مسلمة بن مخلد الأنصاري^[٣٤] واستعمل

= فقيهاً قارئاً شاعراً، ومن الرماة، وهو أحد من جمع القرآن (كتب القرآن بخط يده في مصر) وله ٥٥ حديثاً [ص ٤٥/الجامع لباطرف].

وتولى عقبة بن عامر الجهني قيادة غزوات في أفريقية (ليبيا - تونس) في ولاية عمرو بن العاص لمصر بعد غزوات ابن حديج السكوني إلى عام ٤٤ هجرية [وهو ما أشار إليه ابن خلدون هنا] ثم تولى عقبة بن عامر ولاية مصر في خلافة معاوية بن أبي سفيان عام ٤٤ هـ إلى عام ٤٧ هجرية ثم تولى غزو البحر» وكانت وفاته بمصر عام ٥٨ هـ (٦٧٨ م) وقبره بجوار مسجد عقبة بن عامر بالقاهرة «قال ابن يونس في تاريخ مصر: ومصحف عقبة بن عامر بمصر إلى الآن وفي آخره عبارة (وكتبه عقبة بن عامر بيده) [ص ٤٥ - الجامع لباطرف].

[٣٠] - جاء في الأصل بالكتاب المطبوع هكذا (ومراته) [ص ١٠ ج ٣] ولعل الصواب (ومكلاته) وهي ولواته من قبائل البربر كما تقدم.

[٣١] - وقع هنا التباس وخلط بين عقبة بن عامر الجهني وبين عقبة بن نافع الفهري، فجاء في الأصل «ثم ولاه معاوية على أفريقية سنة خمسين» (اه) بينما الذي ولى على أفريقية عام ٥٠ هجرية هو عقبة بن نافع الفهري وقد تقدم قول البلاذري: «لما ولى معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج السكوني مصر بعث في سنة خمسين عقبة بن نافع إلى أفريقية» [ص ٢٢٩] وقد تولى ابن حديج السكوني مصر عام ٤٨ هـ إلى عام ٥١ هجرية، وكان رأس اليمانية بمصر ومن كبار الصحابة والأمراء اليمانيين.

[٣٢] - تقدم نص القرطبي بأن معاوية بن حديج السكوني أول من اختط القيروان ثم أعاد عقبة بن نافع اختطاطها كما سلف التبيين.

[٣٣] - المقصود هنا في أفريقية (أي في تونس) وهو ما حدث منذ افتتاح ابن حديج إيها حتى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري.

[٣٤] - هو ثالث الولاة اليمانيين لمصر في العصر الأموي «مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري الخزرجي، كان من كبار الأمراء في صدر الإسلام، ولاه معاوية إمارة مصر عام ٤٧ هـ فأقام =

(مسلمة) على أفريقية مولاه أبا المهاجر^[٣٥] فأساء عزل عقبة واستخف به، فسير ابن مخلد الأنصاري عقبة إلى معاوية، وشكا إليه فاعتذر له ووعدته برده ثم ولاه يزيد سنة اثنتين وستين.

وذكر الواقدي أن عقبة ولي أفريقية سنة ست وأربعين فاختط القيروان ثم عزله يزيد سنة اثنتين وستين بأبي المهاجر فحينئذ قبض على عقبة وضيق عليه، فكتب

= بمصر وسير الغزاة إلى المغرب في البر والبحر» [ص ٤٨٠ ج ٣/الجامع] ثم تولى مصر الأمير اليمني معاوية بن حديج السكوني (٤٨هـ إلى ٥١ هجرية) ثم تولى مسلمة بن مخلد الأنصاري مصر وأفريقية عام ٥١ هجرية ومكث والياً لمصر وأفريقية حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان (رجب ٦٠هـ) وكذلك في خلافة يزيد بن معاوية حتى وفاة مسلمة بن مخلد عام ٦٢هـ (٦٨٢م).

ومن مآثر عهده أن مسجد القسطنطين الذي بناه عمرو بن العاص «كان مبنياً بجذوع النخل ولم يكن له صحن، وكان سقفه مبنياً بجرائد النخل ومنخفضاً جداً» فلما تولى مسلمة بن مخلد حكم مصر قام في عام ٥٣هـ «بإعادة بناء وتوسيع المسجد وزخرفة جدرانه وسقوفه وجعل له رحبة ودهنه بالطلاء، وفرش المسجد وكان قبل ذلك مفروشاً بالحصى. كما قام مسلمة بن مخلد ببناء منارة للمسجد وجعل للمنارة أربع صوامع» [أهـ] وبالتالي فإن الجامع المشهور باسم (جامع عمرو بن العاص) في مصر يعود في الواقع إلى عهد مسلمة بن مخلد الأنصاري.. وكان من أعلام اليمنيين في مصر:

أ - سليم بن عثر التجيبي الكندي الحضرمي «ولاه معاوية قضاء مصر عام ٤٠هـ ومكث قاضياً لمصر عشرين سنة، وكان عالم مصر وقاضياً وهو أول من سجل سجلاً بمصر في الموارث، وأول من قص بمصر، وكانت فيه كفايتان: كفاية علمية في قصصه وأحكامه، وكفاية إدارية في تنظيم الخراج والقضاء» [ص ٨٦ ضحى الإسلام/أحمد أمين].

ب - عبيد بن مخمر المعافري وهو أول من أقرأ القرآن في مصر، وتوفي عام ٤٠هـ (٦٦١م).
ج - عابس بن سعيد المرادي تولى شرطة مصر (منصب صاحب الشرطة) من عام ٤٩هـ ثم ولاه مسلمة بن مخلد على البحر والغزو البحري، ثم أعاده على شرطة مصر عام ٥٧هـ - ٦٠هـ واستخلفه مسلمة بن مخلد على القسطنطين عام ٦٠هـ ثم تولى القضاء والشرطة إلى ٦٨هـ.

[٣٥] - كان أبو المهاجر بن دينار الأنصاري نائباً لمسلمة بن مخلد على أفريقية (تونس - المغرب) وأنصبت جهوده على نشر الإسلام وليس الغزو، فأسلم على يده كثير من البربر كان على رأسهم (كسيلة زعيم البربر في المغرب الأوسط - الجزائر) حيث - كما ذكر ابن الأثير -: «أسلم كسيلة أيام أبي المهاجر وصحب أبا المهاجر وحسن إسلامه» [ص ٣٠٨ ج ٣ - الكامل] ثم أعاد يزيد بن معاوية عام ٦٢هـ - عقبة بن نافع الفهري أميراً على أفريقية وعاصمتها القيروان فحبس أبا المهاجر وانتهج سياسة العنف وخاض معركة ضد كسيلة زعيم البربر - عام ٦٣هـ - فاستشهد فيها عقبة وأبو المهاجر وكثير من المسلمين.

إليه يزيد يبعثه إليه وأعادته والياً على أفريقية، فحبس (عقبة) أبا المهاجر إلى أن قتلهم جميعاً كسلة ملك البرانس من البربر كما نذكر بعد» [٣٦٦].

«وولى معاوية على الكوفة سنة ثمان وخمسين عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي وهو ابن أمّ الحكم أخت معاوية. . ثم إن أهل الكوفة نقلوا عن عبد الرحمن سوء سيرته فعزله معاوية عنهم، وولى مكانه النعمان بن بشير، وقال (لعبد الرحمن) أوليك خيراً من الكوفة فولاه مصر وكان عليها معاوية بن حديج السكوني وسار (عبد الرحمن) إلى مصر فاستقبله معاوية بن حديج على مرحلتين منها، وقال: ارجع إلى حالك لا تسرفينا سيرتك في إخواننا أهل الكوفة، فرجع (عبد الرحمن) إلى معاوية (بن أبي سفيان) وأقام معاوية بن حديج في عمله» [٣٧٧]. (اه).

« . . وتوفي معاوية بن أبي سفيان في منتصف رجب سنة ستين . . لتسع عشرة سنة وأشهر من ولايته، وكان على خاتمه عبد الله بن محسن الحميري، وهو أول من اتخذ ديوان الخاتم، وكان سببه أنه أمر لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم وكتب له بذلك إلى زياد بالعراق ففرض عمر الكتاب وصير المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية وأخذ عمر برذها وحبسه فأذاها عنه أخوه عبد الله، فأحدث عند ذلك ديوان الخاتم، وحزم الكتب ولم تكن تحزم» [٣٨١].

وكان على شرطته قيس بن حمزة الهمداني فعزله بزميل بن عمرو العذري [٣٩٩]،

[٣٦٦] - انتهى هنا ما ذكره ابن خلدون عن مصر وأفريقية في (ص ١٠ - ١١ ج ٣).

[٣٧٧] - هذا النص تنمة الخبر عن مصر [ص ١٧ ج ٣ تاريخ ابن خلدون] ولم يكن معاوية بن حديج السكوني والياً لمصر آنذاك وإنما كانت ولايته عام ٤٨ - ٥١ هـ ثم تولى مصر مسلمة بن مخلد (٥١ - ٦٠ هـ)، فلما بعث معاوية بن أبي سفيان عبد الرحمن بن أمّ الحكم أميراً لمصر عام ٥٨ هـ تصدى له معاوية بن حديج وورده من مصر لأن معاوية بن حديج كان ذا مكانة عظيمة حيث - كما ذكر الذهبي - «كان ذا رياسة كبيرة ومطاع الكلمة وكان سيد اليمانية بمصر» وجاء في الإكليل أنه «كان معاوية بن حديج السكوني إذا وفد إلى دمشق قُلت له الطريق، والتقليس أن يُضرب عليها قباب الريحان» [ص ٢٣١ ج ٢/ الإكليل] ومات بمصر عام ٦٢ هـ ودفن في جبل المقطم بالقاهرة.

[٣٨١] - ديوان الخاتم هو ديوان ختم وتوثيق رسائل الخليفة وقراراته وأوامره، فكان عبد الله بن محسن الحميري أول من تولى ديوان الخاتم في الإسلام.

[٣٩٩] - كان قائد شرطة معاوية هو قائد شرطة دمشق عاصمة دولة الخلافة، وقد تعاقب على ذلك قائدان يمنيان في خلافة معاوية هما: قيس بن حمزة الهمداني ثم زميل بن عمرو العذري الحميري. . ولقد كان أغلب قادة جيش الشام والشغور وأمراء الشام من اليمنيين وقد تقدم ذكر بعضهم، ومن لم يذكرهم ابن خلدون (حسان بن مالك الكلبي أمير فلسطين =

وعلى القضاء فضالة بن عبيد الأنصاري وبعده أبو إدريس عائذ بن عبد الله الخولاني^[٤٠]. (انتهى).

من أبناء اليمن وأعلام اليمنيين في عهد يزيد بن معاوية^[٤١]

«بويح يزيد بن معاوية بعد موت أبيه^[٤٢] وعلى المدينة الوليد بن عتبة بن أبي

= وهو خال يزيد بن معاوية) و(سفيان بن مجيب الأزدي أمير طرابلس وبعلبك) و(الضحاك بن سلامة بن ذي فائش الحميري الذي ولاه معاوية على أرمينية) وزرعة بن سيف بن ذي يزن الحميري وحيوة بن شرح بن ذي الكلاع الحميري وأمثالهم من الأمراء والقادة اليمنيين بالشام غير من تقدم ذكرهم من الولاة والأمراء اليمنيين في مصر والمغرب والعراق وفارس وخراسان وأمراء البحر.

(*) قال ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة: «وكان معاوية مستشرفاً لأخبار حمير» [ص ١٠١ ج ٣] وذات مرة دخل عمرو بن العاص إلى مجلس معاوية وهو يمشي مزهواً فقال معاوية متمثلاً:

وأقبل يمشي مستخياً كأنه شراحيل ذو همدان أو سيف ذو يزن

(*) قال المسعودي في مروج الذهب: كان معاوية يخصص جزءاً من ليله في سماع «أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتهما» [ص ٥٦ ج ٢] واستقدم معاوية من اليمن عبيد بن شريه الجرهمي وكان عالماً بأخبار وتاريخ اليمن وملوكها في عصور التاريخ الحضاري والحميري التليد، «فكتب إليه معاوية يستقدمه من اليمن ليأخذ منه الأخبار ويؤلفها كتاباً» فكان عبيد بن شريه يروي التاريخ، ومعاوية يستمع ويناقش عبيداً أحياناً. وتم تدوين ذلك في كتاب «أخبار الملوك الماضين لعبيد بن شريه الجرهمي» وهو أول كتاب في التاريخ تم تدوينه بعد الإسلام.

[٤٠] - كان فضالة بن عبيد الأنصاري قاضي دمشق والشام، فلما توفي عام ٥٣هـ ولي معاوية على قضاء دمشق والشام أبو إدريس عائذ بن عبد الله الخولاني الذي مكث إلى أيام عبد الملك بن مروان، وكان على قضاء البصرة وأعمالها القاضي اليمني عمران بن الحصين الخزاعي، وعلى قضاء الكوفة القاضي شريح الكندي، بينما كان قاضي مصر في خلافة معاوية القاضي سليم بن عثر التجيبي الحضرمي، فأسس اليمنيون دعائم الدولة العربية الإسلامية في سائر المجالات، وكان إسهامهم الكبير في خلافة معاوية من الأسس التي رسخت عروبية عصر الخلفاء الأمويين للدولة العربية الإسلامية.

(*) وقد تحدث ابن خلدون بتفصيل واسع عن واقعة قتل (حجر بن عدي الكندي) بأمر وموافقة معاوية، وهي واقعة أدت إلى استياء شديد، واعترف معاوية بأن الحلم غاب عنه في قتل حجر وكان من أصحاب حجر بن عدي الذين تم اعتقالهم الأرقم بن عبد الله الكندي، قال ابن خلدون «وشفع وائل بن حجر (الحضرمي) في الأرقم فتركه معاوية» [ص ١٣ ج ٣] ووائل بن حجر الحضرمي هو الجد الأعلى لابن خلدون.

[٤١] - استحدثنا هذا العنوان للاقتصار على ما ذكره ابن خلدون عن الولاة والأمراء البارزين في

عهد يزيد [ص ١٩ و ١٣٦ ج ٣] واستكمال ما يتصل باليمن حيث تركز حديث ابن خلدون

عن ذلك العهد في أبناء استشهاد الحسين وبعض الفتن مما يخرج عن موضوعنا.

[٤٢] - كان معاوية قد أخذ البيعة ليزيد قبل وفاته - عام ٥٩هـ - بتأييد قوي من اليمنيين، فقد =

سفيان^[٤٣] وعلى مكة عمر بن سعيد بن العاصي، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد
وعلى الكوفة النعمان بن بشير^[٤٤] (اه).

= ذكر المسعودي في مروج الذهب أن معاوية حينما خطب بشأنبيعة يزيد في جامع دمشق «قام رجل من ذي الكلاع فأشار إلى معاوية وقال: أنت أمير المؤمنين فإذا مُت فأمر المؤمنين يزيد، فمن أبي فهذا، وأخذ بقائم سيفه فسأله، فقال له معاوية: أقعد فأنت أخطب الناس» [ص ٣٧ ج ٣] وكانت أم يزيد هي (ميسون بنت بحدل الكلبي الحميري) لذلك وجد تأييداً واسعاً من اليمنيين.

[٤٣] - كان عتبة بن أبي سفيان - وهو أخو معاوية - قد ولاه معاوية على اليمن (ح/ عام ٤٣هـ) فمكث والياً لليمن «سنتين وقيل ثلاث سنين» وكان رجلاً صالحاً ثم عاد إلى أخيه معاوية بالشام وولى معاوية النعمان بن بشير الأنصاري على اليمن.

[٤٤] - كان النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي الأزدي «أول مولود في الإسلام من الأنصار، وكان شاعراً مقلماً وخطيباً مفوهاً وفارساً مغواراً وكريماً نجداً» [ص ٩١ قرّة العيون] ومن جيد شعر النعمان قصيدة قال فيها:

«.. فمن سبأ أصلي وفرعي ومحتدي
تنازعني منها الجدود الأكارم
لنا من بني قحطان سبعين تُبعاً
أدانت لهم بالخروج منها الأعاجم
وحسان ذو الشعبين منا ويُعرش
وذو يزن تلك البحور الخضارم»

وقد ولاه معاوية على اليمن عام ٤٦هـ ومكث عدة سنوات ثم تولى النعمان بن بشير ولاية اليمن للمرة الثانية عام ٥٨هـ ثم ولاه معاوية على الكوفة عام ٥٩هـ فاستخلف النعمان على اليمن «بشير بن سعد الأعرج الشهابي الصنعاني الحميري» فكان النعمان والياً للكوفة لما تولى يزيد الخلافة (رجب ٦٠هـ) إلى ما قبل خروج الحسين بن علي بن أبي طالب إلى الكوفة ومات بحمص عام ٦٥هـ.

(**) ولم يذكر ابن خلدون هنا ولاية اليمن، وكان قد تولاهما - كما في (قرّة العيون) «النعمان بن بشير الأنصاري ثم بشير بن سعد الأعرج الشهابي ثم الضحّاك بن فيروز الديلمي حتى وفاة معاوية، ثم ولي يزيد بن معاوية على اليمن بحير بن ريسان الحميري..» (اه). وكان بحير بن ريسان الحميري من أقبال منطقة الجند ومخالفها باليمن، وفيه قال الشاعر أبو دهل - كما في كتاب الأغاني:

بحير ابن ريسان الذي سكن الجند
يقول له الناس الجواد ومَن ولد
له نفحات حين يُذكر فضله
كسيل ربيع في ضحاضحه سند

وتولى بحير بن ريسان اليمن طيلة خلافة يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤هـ) حيث كما قال المؤرخ الأکوع «كان بحير بن ريسان الحميري سيداً كريماً وزعيماً نبلاً وأميراً عظيماً، يعطي العطاء الجزل ويشيب الشعراء بأسنى الجوائز، وكان شقيقاً على الرعية رقيقاً بهم، حسن السيرة، نشر العدل في ربوع اليمن ومدّ عليه سرادق الاستقرار والرخاء» [ص ٥٩ هامش قرّة العيون].

«وكان معاوية مات وولاته على النواحي من ذكرناه»^[٤٥] . . وعلى كرمان شريك بن الأعور^(٤٥) وولى يزيد على خراسان - سنة إحدى وستين - سالم بن زياد فبعث أخاه يزيد إلى سجستان، وقاتل يزيد بن زياد أهل كابل فهزموه، فبعث سالم على سجستان طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي^(٤٥) وبعث يزيد سنة اثنتين وستين عقبة بن نافع فحبس أبا المهاجر واستخلف على القيروان زهير بن قيس البلوي^(٤٥) وتوفي في هذه السنة مسلمة بن مخلد الأنصاري أمير مصر . . ثم هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين»^(٤٥) .

فترة الصراع المرواني - الزبيري^[٤٦]

ولما هلك يزيد ولى أهل البصرة عليهم عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ويُلقب به، وهرب عبد الله بن زياد إلى الشام وجاء إلى الكوفة عامر بن مسعود من قبل ابن الزبير^[٤٧] . . ثم بويع مروان - بالشام^[٤٨] -

[٤٥] - يقصد ابن خلدون من ذكرهم من الأمراء والولاة في عهد معاوية . . وقد ذكر ابن خلدون هنا من الأمراء اليمانيين شريك بن الأعور الحارثي أمير كرمان ببلاد فارس وطلحة بن عبد الله الخزاعي أمير سجستان وزهير بن قيس البلوي الحميري أمير القيروان بالإضافة إلى مسلمة بن مخلد أمير مصر . ومات يزيد بن معاوية في ١٧ ربيع الأول عام ٦٤ هجرية .

[٤٦] - تولى الخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية ابنه (معاوية بن يزيد بن معاوية) وكان مريضاً وما لبث أن مات في جمادى عام ٦٤ هـ، ورفض أن يستخلف أحداً وترك الأمر شورى بين المسلمين فاندلعت الفتن بعد وفاته وتحقق قول الشاعر:

إنني أرى فتنة تغلى مراجلها والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وقد اخترنا هنا إيراد ما ذكره ابن خلدون عن الولاة في تلك الفترة [ص ١٣٧ ج ٣] ويتضمن ذلك إيجازاً لمعالم تلك الفترة .

[٤٧] - كان عبد الله بن الزبير قد أعلن خلافته في مكة بينما شهدت العراق عدة حركات واتجاهات ولم يحسم أمر الخليفة بالشام .

[٤٨] - حسم الزعماء اليمانيون بالشام أمر اختيار ومبايعة مروان بن الحكم بعد اتفائه مع حسان بن مالك الكلبي الحميري حيث كما جاء في مروج الذهب «كان حسان رئيس قحطان وسيدها بالشام» واشترط حسان على مروان شروطاً لليمانيين منها «أن يكون لهم الأمر والنهي (بالشام) وصدر المجلس، وإن كل ما يكون من حلّ وعقد فعن رأي منهم ومشورة، وأن يفرض لألفي رجل منهم ألفين ألفين (في العطاء) وإذا مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه، فرضي مروان» [ص ٩٥ ج ٣ مروج الذهب] وبذلك تمت مبايعة مروان بالشام في سنة ٦٤ هجرية .

وسار إلى مصر فملكها من يد عبد الرحمن بن حجاج القرشي داعية ابن الزبير^[٤٩] . . وولى (مروان) على مصر ابنه عبد العزيز فلم يزل عليها والياً إلى أن هلك سنة خمس وثمانين^[٥٠] .

وخلع أهل خراسان بعد يزيد (بن معاوية) سالم بن زياد واستخلف المهلب بن أبي صفرة^[٥١] ثم ولى سالم عبد الله بن حازم فاستبد بخراسان إلى حين، ثم أخرج أهل الكوفة عمر بن حريث خليفة ابن زياد وبايعوا لابن الزبير، وقدم المختار بن أبي عبيد أميراً على الكوفة من قبله بعد ستة أشهر من مهلك يزيد، وامتنع شريح من القضاء أيام الفتنة وغلب المختار على ابن مطيع عامل ابن الزبير بالكوفة سنة ست وستين^(٥١) .

ومات مروان سنة خمس وستين وولى عبد الملك بن مروان^[٥٢] .

وولى ابن الزبير أخاه مصعباً على البصرة . . ثم ملك عبد الملك العراق سنة إحدى وسبعين^(٥٢) واستعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن أسيد، وعلى الكوفة أخاه بشر بن مروان، وكان على خراسان عبد الله بن حازم بدعوة ابن الزبير فقام بكبير بن وشاح التميمي بدعوة عبد الملك وقتله . . وكان على المدينة طلحة بن

[٤٩] - سار مروان إلى مصر مع حسان بن مالك الكلبي وأمراء وقادة اليمانيين بالشام، ولم يكن الأمر في مصر قد جُسم لعبد الرحمن بن حجاج داعية ابن الزبير حيث كما ذكر المسعودي في مروج الذهب «كان كريب بن الصباح بن مرثد الحميري سيد القسطنطين وزعيمها آنذاك» فكان تجاوب كريب بن الصباح وقادة اليمانية بمصر مع مروان وحسان هو أساس انضواء مصر .

[٥٠] - هو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز فتولى، عبد العزيز مصر وما يليها من شمال أفريقيا، وكان سائر الأمراء ورجال الدولة والقادة في ولايته من اليمانيين كما سيأتي .

[٥١] - هو الأمير اليماني القائد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وكانت الفتن والحركات تعصف بالعراق ومشارقتها ومنها حركة التوابين وفتنة المختار بن أبي عبيد الثقفي وحركات الخوارج . وكان للمهلب والقادة اليمانيين دور أساسي في الانضواء تحت خلافة ابن الزبير كبديل لتلك الفتن ولو إلى حين .

[٥٢] - قال المسعودي في مروج الذهب «قام حسان الكلبي في الناس خطيباً ودعاهم إلى بيعة عبد الملك بعد مروان فلم يخالف حسان في ذلك أحد» [ص ٩٩ ج ٣] - وتواصلت الفتن والصراعات ثم انضوى العراق تحت خلافة عبد الملك عام ٧١هـ بعد مقتل مصعب بن الزبير، وكانت مبايعة المهلب بن أبي صفرة لعبد الملك بن مروان عاملاً أساسياً في استتباب الأمر بالعراق .

عبد الله بن عوف بدعوة ابن الزبير فبعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان فغلبه عليها . .

. . وولى (عبد الملك) على الحجاز واليمن واليمامة الحجاج بن يوسف وبعثه من الكوفة لحرب ابن الزبير^[٥٣] وعزل طارقاً من المدينة وصار من جنده .

. . ثم قُتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين وانفرد عبد الملك بالخلافة^[٥٤] .

اليمن وأعلام اليمنيين في خلافة عبد الملك بن مروان^[٥٥]

«جعل عبد الملك اليمن في ولاية الحجاج لما بعثه لحرب ابن

[٥٣] - كان قد تولى اليمن بعد بحير بن ريسان الحميري - في فترة الصراع الزبيري المرواني - ولاية لابن الزبير، قال ابن الديبع: «استعمل عبد الله بن الزبير على اليمن الضحاك بن فيروز الديلمي ثم عزله بعبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ثم عزله بأخيه عبيدة بن الزبير، ثم عزله بحنش بن عبد الله الفقيه الصنعاني» [ص ٩٧ قرة الأكوغ] ويبدو أن الوضع لم يكن مستقراً باليمن، ويوجد غموض كامل بالنسبة لتولية كل من عبد الله بن عبد الرحمن وعبد الله بن المطلب وعبيدة بن الزبير حيث قال المؤرخ القاضي محمد الأكوغ «هؤلاء الثلاثة لم أقف على ترجمة لهم ولا مدة إقامتهم في الولاية» [ص ٩٧ هامش قرة العيون] وكذلك دخلت اليمن في سلطان الخوارج وتولى حكمها نجده بن عامر الخارجي الذي شملت حركته نجد واليمامة وعمان واليمن، ثم غادر اليمن هو وأصحابه إلى اليمامة (عام ٧٠ - ٧١هـ) .

أما الفقيه حنش الصنعاني فإنه - كما ذكر الأكوغ - «ولاه ابن الزبير صنعاء فأقام أربعة أشهر، وقُتل ابن الزبير، ووصل أصحاب الحجاج إلى صنعاء فأسروه وأخذوه إلى مكة مقيداً، فوجه به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان» (اه) ثم سار حنش الصنعاني في فتوح المغرب مع حسان الغساني وكانت له مآثر كثيرة .

[٥٤] - اقتحم الحجاج ومن معه من أهل الشام الحرم المكي وقتلوا عبد الله بن الزبير في جمادى الآخرة ٧٣هـ قال الأكوغ «تولى قتله رجل من مراد» .

[٥٥] - بويغ عبد الملك بن مروان بالخلافة في الشام عام ٦٥هـ على يد حسان بن مالك الكلبي الحميري والقادة اليمنيين بالشام ثم مصر كما تقدم، فكان اليمانيون عماد الدولة لهم «الأمر والنهي، وصدر المجلس، وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي منهم ومشورة» في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان من أعلام اليمنيين بالشام:

أ - روح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك، ولما دخلت العراق في سلطان عبد الملك عام ٧١هـ ولى عليها أخوه بشر بن مروان وترك معه روح بن زنباع وزيراً =

الزبير سنة اثنتين وسبعين» [٥٦].

«ثم قُتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين وانفرد عبد الملك بالخلافة . . وعزل خالد بن عبد الله عن البصرة وضمها إلى أخيه بشر . . وفي سنة أربع وسبعين استقضى أبا إدريس الخولاني [٥٧] وأمر بشراً أخاه أن يبعث المهلب بن أبي صفرة لحرب الأزارقة . . ثم ولى عبد الملك سنة خمس وسبعين الحجاج بن يوسف على العراق .

. . وكان على أفريقية زهير بن قيس البلوي [٥٨].

= ومشيراً وقال له «لا ينبغي أن تقطع أمراً دون روح بن زنباع . . الخ» [ص ١١٨ ج ٤ مروج الذهب].

ب - الوزير رجاء بن حيوة الكندي وهو الذي أشرف على بناء قبة الصخرة بالمسجد الأقصى (عام ٦٦ - ٧٣هـ) وقال عنه ابن كثير إنه «تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية» [ص ٣٠٤ ج ٩ - البداية والنهاية].

ج - قبيصة بن ذؤيب الخزاعي «كان صاحب ديوان الخاتم والسكة وبيت المال، وتأتيه الأخبار والكتب قبل عبد الملك بن مروان» [ص ١٠١ ج ٣ - الكامل لابن الأثير] وبما أنه كان صاحب ديوان السكة وبيت المال فإن سك النقود العربية الإسلامية الأولى في عهد عبد الملك بن مروان عام ٧٤ هجرية كان من إنجازاته . . وقد توفي عام ٨٧هـ.

د - سليمان بن سعد التخوي القضاعي الحميري وهو كما ذكر البلاذري «أول من ولى الدواوين كلها في الإسلام» [ص ١٩٦]. وذلك في خلافة عبد الملك ثم الوليد، وقام سليمان بن سعد في عام ٨١هـ بإنجاز تاريخي هو تعريب دواوين الدولة.

هـ - يحيى بن قيس الغساني صاحب وقائد شرطة عبد الملك، بينما كان سفيان بن الأبرد الكلبي قائد الجيش.

[٥٦]- أورد ابن خلدون هذا النص في سياق «أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه» [ص ٢١٣ ج ٤] فلما استتب الأمر لعبد الملك وولى الحجاج على العراق عام ٧٥هـ، ولى عبد الملك على اليمن محمد بن يوسف الثقفي فمكث والياً لليمن حتى وفاته في خلافة الوليد بن عبد الملك عام ٩١ هجرية.

[٥٧]- هو أبو إدريس عائذ بن عبد الله الخولاني قاضي دمشق والشام، وكان من كبار العلماء وله أقوال ومناقب مأثورة منها قوله: «قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دنس في ثياب نقية» [ص ٣٤ ج ٩/ البداية والنهاية] وتوفي بدمشق عام ٨٠ هجرية.

[٥٨]- هو الأمير اليمني زهير بن قيس البلوي، من قبيلة بلي التي قال شاعرها المثلث:

«بلي وبهراء وخولان إخوة لعمرو ابن حاف فرع من قد تفرعا»

وكان زهير بن قيس أمير القيروان عام ٦٢هـ لما سار عقبة بن نافع بالجيش غازياً المغرب فلما =

فقتله البربر سنة تسع وستين [٥٩].

وشُغل عبد الملك بفتنة ابن الزبير، فلما فرغ منها بعث إلى أفريقية سنة أربع وسبعين حسان بن النعمان الغساني في عساكر لم يُر مثلها فأثخن فيها وافترقت جموع الروم والبربر وقتل الكاهنة [٦٠] كما نذكر في أخبار أفريقية.

(وكان على مصر عبد العزيز (بن مروان) فلم يزل عليها والياً إلى أن

= هزم كسيلة البربري المسلمين واستشهد عقبه وأبو المهاجر عام ٦٣هـ رجع المسلمون إلى القيروان وأصبح زهير أمير أفريقية (ليبيا إلى القيروان) منذ عام ٦٣هـ في خلافة يزيد بن معاوية، ثم منذ انضواء مصر في خلافة مروان وعبد الملك بن مروان وتولية عبد العزيز بن مروان على مصر (عام ٦٤/٦٥هـ) حيث - كما ذكر البلاذري - «استعمل عبد الملك أخاه عبد العزيز على مصر، فولى أفريقية زهير بن قيس البلوي ففتح زهير بلاد السوس» [ص ٢٣١ - فتوح البلدان].

[٥٩] - كان مقتل زهير في معركة مع الروم وليس البربر حيث كما ذكر ابن كثير: غزا الروم برقة - بحراً - فسار زهير إليهم ومعه أربعون نفساً فقط، فوجد الروم فأراد أن يكف عن قتالهم حتى يلحقه العسكر فقال الذين معه: يا أبا شداد احمل بنا عليهم، فحملوا فاستشهدوا جميعاً [ص ١٧ ج ٩/ البداية والنهاية] وقال البلاذري «انصرف زهير إلى برقة فبلغه أن جماعة من الروم خرجوا في مراكب لهم فعاثوا، فتوجه إليهم في خيل فلقيهم فاستشهد ومن معه، فقبره هناك وقبورهم تدعى قبور الشهداء» [ص ٢٣١].

[٦٠] - هو الأمير اليميني القائد حسان بن النعمان بن عدي الغساني، وكان قد تولى إمرة أفريقية بعد زهير بن قيس من قبل عبد العزيز بن مروان عام ٧١هـ - كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (ص ٣١٧ ج ٨) إلا أن الصراع الزبيرى المروانى كان قد شغل المسلمين، فلما انتهى ذلك بمقتل ابن الزبير، بعث عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان أميراً على رأس جيش عظيم غالبيتهم من اليمن واليمنيين، فافتتح حسان ما كان بيد الروم من تونس والسواحل حتى هرب فلول الروم بالسفن إلى صقلية. ثم سار حسان عام ٧٦هـ إلى المغرب الأوسط وهزم كاهنة البربر المتحالفة مع الروم، وبذلك بدأ عهد استقرار وترسيخ الدولة العربية الإسلامية في بلاد المغرب العربي ودخل البربر في دين الله أفواجاً وقام حسان بتجنيد ١٢٠٠٠ من البربر في الجيش، وقام بتفخيم جامع القيروان وكان (عبد الرحمن بن رافع التنوخي اليماني أول قاضي للقيروان) كما تولى حنش الصنعاني عشور أفريقية، وقام حسان بإنشاء دار الصناعة في تونس والتي صنعت عدداً ضخماً من السفن التي تم على ظهرها - فيما بعد - فتح الأندلس، وقد مكث حسان أميراً على بلاد المغرب إلى عام ٨٥ هجرية.

هلك سنة خمس وثمانين، فولى عبد الملك عليها ابنه عبد الله بن عبد الملك^[٦١] - (اه) - ^[٦٢].

ولاية المهلب على خراسان وخبر سجستان^[٦٣]

وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن خراسان وسجستان وضمهما إلى الحجاج بن يوسف، فبعث المهلب بن أبي صفرة على خراسان، وقد كان فرغ من حرب الأزارقة فاستدعاه وأجلسه معه على السرير وأحسن إلى أهل البلاء من أصحابه وزادهم^[٦٤]، وبعث عبيد الله بن أبي بكره على سجستان.

[٦١] - كان من أعلام اليمينيين بمصر في فترة ولاية عبد العزيز بن مروان وخلافة عبد الملك (٦٥ - ٨٥ هجرية):

أ - كريب بن أبرهة بن الصباح بن مرثد الحميري وكان سيد الفسطاط ورأس اليمانية بمصر ومن أهل مشورة عبد العزيز بن مروان «وقد رأه أحدهم يخرج من عند عبد العزيز بن مروان، وكان تحت ركابه - [أي موكب كريب] خمسمائة رجل من حمير» (ص ٢٢٤ - الجامع).

ب - زياد بن حناطة التجيبي وكان صاحب وقائد الشرطة واستخلفه عبد العزيز بن مروان على إمرة مصر حين خرج إلى الشام وافداً على أخيه عبد الملك بن مروان، فتولى زياد حكم مصر بالنيابة، وتوفي عام ٧٥هـ ثم تولى منصب صاحب الشرطة (عبد الرحمن بن حسان التجيبي ٧٦ - ٨٤هـ).

ج - عبد الرحمن بن جحيرة الخولاني وقد تولى بيت المال والقضاء والقصاص (٦٩ - ٨٣هـ) وكان له دور علمي كبير في مصر.

د - عياض بن غنم التجيبي أمير الإسكندرية.

هـ - مالك بن شراحيل الهمداني قاضي مصر (٦٩ - ٨٤هـ) ثم تولى قضاء مصر يونس بن عطية الحضرمي (٨٤ - ٨٦هـ).

و - جناب بن مرثد الرعيني، كان من كبار القادة واستخلفه عبد العزيز بن مروان على إمرة مصر فتولاها بالنيابة. . وتوفي عام ٨٣هـ.

ز - قرة بن شريك، وهو أمير ووالي مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك عام ٩٠ - ٩٦هـ.

[٦٢] - ينتهي هنا ما نقلناه عن تاريخ ابن خلدون في خبر الولاية [ص ١٣٧ ج ٣].

[٦٣] - تحدث ابن خلدون في (ص ٤٣ ج ٣) عن تولية المهلب حرب الأزارقة الخوارج عام ٧٤هـ حيث قضى المهلب على حركات الخوارج في الأهواز وكرمان وأنحاء فارس، وتولى المهلب إمرة الأهواز في تلك الفترة ثم تولى خراسان كما هنا (ص ٤٦ ج ٣).

[٦٤] - لما قدم المهلب من الأهواز وجهات فارس عام ٧٨هـ إلى البصرة «أجلسه الحجاج - أمير العراق - إلى جانبه، وقال: المهلب والله كما قال الشاعر:

وقللدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا =

فأما المهلب فقدم ابنه حبيباً إلى خراسان^[٦٥] فلم يعرض لأمية ولا لعماله حتى قدم أبوه المهلب بعد سنة من ولايته، وسار في خمسة آلاف وقطع النهر الغربي وما وراء النهر وعلى مقدمته أبو الأدهم الرماني في ثلاثة آلاف فنزل على كش^[٦٦] وجاءه ابن عم ملك الختل^[٦٧] يستنجده على ابن عمه فبعث معه ابنه يزيد، فبيّت عساكر ملك الختل^(٦٧) وقتل الملك^(٦٧)

= ما زال يحلب هذا الدهر أشطره يكون مُتبعاً طوراً ومُتبعاً.. وهي أربعة أبيات.

وكان للمهلب بن أبي صفرة الأزدي اليماني سجل حافل بالأمجاد في العراق ومشارقتها، فقد شارك في قيادة غزوات في سجستان بلغت مدينة كابول عام ٤١ - ٥٠ هجرية [ص ٣٨٨/ فتوح البلدان للبلاذري] وبلغت غزواته آنذاك بلاد السند حيث ذكر البلاذري أنه «غزا المهلب بلاد بنه واللاهور والقيقان بالسند عام ٤٤هـ» [ص ٤٠١/ البلاذري] ومنها غزوات بلغت إلى باب سمرقند عام ٥٥ - ٦٠هـ [ص ٤٠١/ البلاذري] ثم كان له دور مشهود في إخماد حركات وفتن الخوارج وحركة المختار الثقفي «وقال الأحنف بن قيس: البصرة بصره المهلب» [ص ٢٤٠/ الكامل] فقد كان المهلب زعيم البصرة وأعمالها ورأس اليمانية فيها.

[٦٥] - كان حبيب بن المهلب أحد أبناء المهلب الذين اشتهروا بالبطولة والمناقب المحموده، وقد وصفهم كعب بن معدان الأشقري لما سأله الحجاج عنهم فقال كعب «.. هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفها، فالمغيرة سيدهم نار ذاكية وصعدة عالية، ويزيد فارس شجاع ليث غاب ويحرجم عباب، وقيصة أسخاهم، وعبد الملك سم ناقع وسيف قاطع، وحبيب الموت الذعاف، طود شامخ وفخر باذخ.. الخ» [ص ٢٩٤ ج٢ - الكامل لابن المبريد + ص ٥٥ ج١٣ - الأغاني].

[٦٦] - قطع المهلب نهر بلخ فغزا بلاد كش وحاصرها وهي من بلدان ما وراء النهر بأسية الوسطى حيث كما قال الشاعر:

وتقدمت أزد العراق ومذحج للموت يجمعها أبوها الأكبر والأزد تعلم أن تحت لوائها ملك قراسية، وموت أحمر

[٦٧] - جاء في الأصل بكتاب تاريخ ابن خلدون - طبعة دار الأعلمي - هنا (ص ٤٦ ج٣) «وجاء ابن عمر الختن» والصواب «وجاء ابن عم ملك الختل» وجاء في الفقرة التالية «فبيّت ابن العم عساكر الختن وقتل الملك وجاءه صر يريد قلعته» [أهـ] والصواب «فبيّت عساكر ملك الختل وقتل الملك، وحاصر يزيد قلعته» (أهـ) حيث كما ذكر الطبري «افتتح يزيد بن المهلب بلاد الختل وغزا بلاد السبل ثم مضى وغزا قلعة بلاد نسف فهزم جيوش الترك» [ص ٣ و٤ ج١/ الطبري] وفي ذلك قال الراجز:

يزيد يا سيف أبي سعيد قد علم الأقوام والمجنود
والجمع يوم المجمع المشهود إنك يوم الترك صلب العود

وحاصر يزيد قلعتهم حتى صالحوه بما رضي، ورجع [٦٨].

وبعث المهلب ابنه حبيباً في أربعة آلاف، ووافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً، وكبس بعض جنده في قرية فقتلهم وأحرقها ورجع إلى أبيه [٦٩].

وأقام المهلب يحاصر كش سنتين حتى صالحوه على فدية [٧٠].
وأما عبيد الله بن أبي بكره فأقام بسجستان [٧١] ورتبيل على صلحه يؤدي الخراج ثم امتنع [٧٢] فأمر الحجاج ابن أبي بكره بغزوه واستباحة بلاده [٧٣] فسار في أهل المصريين [٧٤] وعلى أهل الكوفة شريح بن هانئ من أصحاب علي [٧٥] فدخل

[٦٨] - المقصود قلعة بلاد NSF حيث هزم يزيد جيشاً كبيراً من الترك، وفي ذلك قال كعب الأشقري من قصيدة عن يزيد بن المهلب:

والترك تعلم إذ لاقى جموعهم إن قد لاقوه شهاباً يفرج الظلما

[٦٩] - غزا وافتتح حبيب بن المهلب (ربنجن) ببلاد بخارى (أوزبكستان) فوافاه ملك بخارى في أربعين ألفاً، فظفر بهم حبيب [ص ٤ ج ٨ / الطبري].

[٧٠] - وبذلك افتتح المهلب بلاد كش صلحاً وعاد من بلدان ما وراء النهر إلى مرو عاصمة بلاد خراسان فأقام بها.

[٧١] - كانت تولية عبيد الله بن أبي بكره على سجستان في مطلع عام ٧٨هـ وفي ذات الوقت - وكما في تاريخ الطبري - «كان الحجاج وَجَّه هميان بن عدي السدوسي إلى كرمان مسلحة لها وليمد عامل سجستان إن احتاج إلى مدد، فعصى هميان ومن معه فكتب الحجاج إلى عبد الرحمن بن الأشعث لمحاربتة، فسار عبد الرحمن إليه وهزمه، ثم أقام عبد الرحمن بموضعه» [ص ٨ ج ٤ / س ٧٨].

وكان عبد الرحمن بن الأشعث الكندي من كبار الأمراء القادة اليمنيين بالعراق ومشارقتها، وولاه عبد الملك بن مروان على إقليم الري ببلاد فارس لما بعث المهلب لحرب الأزارقة وولاه على الأهواز، واشترك عبد الرحمن في قيادة المعارك ضد الخوارج مع المهلب في الأهواز، فكان له دور مشهود أشار إليه أعشى همدان في قوله يثني على ابن الأشعث:

ويوم أهوازك لا تنسه ليس الشناء والذكر بالذاتر

وذات مرة رفض عبد الرحمن أن يتحصن في خندق واستهان بالخوارج فقال له المهلب «لا يهونوا عليك يا بن أخي فإنهم سباع العرب. والله لا أبرح أو تضرب عليك خندقاً» فاستجاب عبد الرحمن إرضاءً للمهلب وتم النصر على الخوارج، ثم تولى عبد الرحمن بن الأشعث إقليم كرمان عام ٧٨هـ كما تقدم، بينما سار عبيد الله بن أبي بكره داخل إقليم سجستان.

[٧٢] - كان (رتبيل) لقباً لملوك سجستان وما يليها من بلاد كابول (أفغانستان) في تلك العصور.

[٧٣] - في الأصل المطبوع «فأمر الحجاج ابن أبي بكره فغزوه واستباحوا بلاده» [ص ٤٦ ج ٣] هو تصحيف، والصواب كما أوردناه.

[٧٤] - أهل المصريين: المقصود أهل الكوفة وأهل البصرة.

[٧٥] - هو القائد اليمني شريح بن هانئ المرادي.

بلاد رتبيل وتوغل فيها حتى كانوا على ثمانية عشر فرسخاً من مدينتهم، وأنخن واستباح وخرّب القرى والحصون.

ثم أخذ الترك عليهم القرى والشعاب حتى ظنوا الهلكة، فصالحهم عبيد الله على الخروج من أرضهم على أن يعطيهم سبعمائة ألف درهم، وأنكر ذلك عليه شريح وأبى إلا القتال وحرّض الناس ورجع، وقُتل حين قُتل في ناس من أصحابه (٧٦).

ونجا الباقون وخرجوا من بلاد رتبيل ولقيهم الناس بالأطعمة، فكانوا يموتون إذا شعوا فجعلوا يطعمونهم السمن قليلاً قليلاً حتى استمروا [٧٦].

ولاية ابن الأشعث على سجستان وفتوحاته

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في غزو بلاد رتبيل، فأذن له، فجهز عشرين ألف فارس من الكوفة وعشرين ألفاً من البصرة واختار أهل الغنى والشجاعة وأزاح عليلهم وأنفق فيهم ألفي ألف سوى أعطياتهم، وأخذهم بالخيال الرائعة والسلاح الكامل [٧٧]، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث [٧٨] وكان (الحجاج) يبغضه ويقول أريد قتله. ويخبر الشعبي بذلك عبد الرحمن فيقول أنا أزيه من سلطانه [٧٩] فلما بعثه على ذلك الجيش تنصح أخوه إسماعيل للحجاج

[٧٦]- كان حجم الهزيمة والكارثة أكبر من ذلك، فقد هلك أغلب الجيش الإسلامي بما في ذلك عبيد الله بن أبي بكر، وسيطر العدو على ما كان بيد المسلمين من إقليم سجستان كما تدل على ذلك رسالة الحجاج إلى عبد الملك بن مروان حيث قال الحجاج فيها: «أما بعد . . . فإن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل، وقد اجترأ العدو بالذي أصابه على أهل الإسلام، فدخلوا بلادهم وغلبوا على كل حصونهم وقصورهم، وقد رأيت أن أوجه إليهم جنداً من أهل المصريين فأحببت أن أستطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك». [اه/تاريخ الطبري - أحداث عام ٧٨هـ] فوافق عبد الملك بن مروان على بعث الجيش بقيادة الأمير اليماني عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي.

[٧٧]- سُمي ذلك الجيش «جيش الطواويس» لأنهم «تجهزوا بالخيول الروائع والسلاح الكامل والدروع والخوذ» - أو كما قال ابن خلدون في فقرة تالية: «وكان يُسمى جيش الطواويس لحسن زيهم».

[٧٨]- كان عبد الرحمن بن الأشعث الكندي أميراً قائداً في كرمان، فاستدعاه الحجاج وولاه قيادة جيش الطواويس وولاية سجستان.

[٧٩]- كان الحجاج حاسداً لابن الأشعث وحاقداً عليه بسبب مكانته الكبيرة، ويروى أنه قال: «ما رأيته قط إلا أردت قتله» وكان الإمام الشعبي (علامة التابعين) واقفاً مع الحجاج ذات =

وقال لا تبعثه فإني أخشى خلافه فقال: هو أهيب لي من أن يخالف أمري.

وسار عبد الرحمن في الجيش وقدم سجستان واستنفرهم وحذر العقوبة لمن يتعدى^[٨٠] وساروا جميعاً إلى بلاد رتبيل، وبذل (رتبيل) الخراج فلم يقبل منه، ودخل (عبد الرحمن) بلاده فحواها شيئاً فشيئاً وبعث عماله عليها^[٨١] ووضع المسالِح بالنواحي^[٨٢] والإرصاد على العقاب والشُعاب^(٨٢) وامتلات أيدي الناس بالغنائم، ومنع من التوغل في البلاد إلى قابل^[٨٣].

= يوم، فمَرَّ ابن الأشعث من أمامهما فقال للحجاج للشعبي: «انظر إلى مشيته والله لهممت أن أضرب عنقه» فأخبر الشعبي ابن الأشعث بمقولة الحجاج فقال ابن الأشعث: «وأنا كما يشاء الحجاج، إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه، فاجهد الجهد إذا طال بي وبه المقام» وكان الحجاج قد اخضع وأذل زعماء ورجالات الكوفة والبصرة، ولم يبق سوى عظيمين هما المهلب بن أبي صفرة وعبد الرحمن بن الأشعث سليل ملوك اليمن، لذلك كان الحجاج حاسداً له وحاقداً عليه مما يدل على أن توليته سجستان كانت بأمر عبد الملك بن مروان.

[٨٠] - سار عبد الرحمن بن الأشعث إلى سجستان قائداً لجيش الطواويس وأميراً لسجستان [التي كانت إقليمياً كبيراً يشمل حالياً جزءاً من إيران وأجزاء واسعة من أفغانستان وباكستان] فاستعاد عبد الرحمن المدن والحصون التي كان العدو سيطر عليها، فلما صار بمدينة (زرنج) - العاصمة - جمع المسلمين وقام فيهم خطيباً حيث «صعد عبد الرحمن المنبر فحمد الله وأثنى عليه، واستنفر الناس لجهاد عدوهم الذي استباح بلادهم وأباد خيارهم» وقال: «ياكم أن يتخلف منكم رجل فيُحلَّ بنفسه العقوبة» (اهـ) فاستجاب له الجميع وانضموا إلى جيش الطواويس الذي أعاد فتح سجستان بقيادة ابن الأشعث.

[٨١] - اجتاح عبد الرحمن ما يلي سجستان من بلاد الترك وهي بلاد رتبيل وجهات أفغانستان حيث كما يذكر الطبري «سار عبد الرحمن بن الأشعث بالجنود حتى دخل أول بلاد الترك فأخذها... وأخذ ملك الترك (رتبيل) يدع الأرض ستاقاً رستاقاً وحصناً حصناً، وطقق ابن الأشعث كلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً وبعث معه أعواناً، ووضع البُرد (البريد) فيما بين كل بلد وبلد...» [اهـ].

[٨٢] - جاء في الأصل المطبوع من الكتاب هنا «ورجع المسالِح بالنواحي» [ص ٤٧ ج ٣] وهو تصحيف، والصواب «وضع المسالِح بالنواحي» والمسالِح هي الحاميات المسلحة... حيث كما جاء في تاريخ الطبري بعد الفقرة السابقة «وجعل الأرصاد على العقاب والشُعاب، ووضع المسالِح بكل مكان مخوف» [اهـ] وكذلك جاء في كتاب مروج الذهب للمسعودي أنه «حارب ابن الأشعث من يلي سجستان من ملوك الهند والترك وهم أنواع يقال لهم الغوز والخلج والطغرغر» [ص ١٣٨ ج ٣/ مروج الذهب].

[٨٣] - قال الطبري: «لما حاز ابن الأشعث من أرض الترك أرضاً عظيمة، حبس الناس عن الوغول في بلاد الترك وقال: تكفي بما أصبناه من بلادهم حتى نعرفها ويجتريء المسلمون على طرقها ثم نتعاطى في العام المقبل بقية أرضهم وأقصى بلادهم وحصونهم» [اهـ].

وقد قيل في بعث عبد الرحمن بن الأشعث غير هذا، وهو أن الحجاج كان قد أنزل هميان بن عديّ السدوسي^[٨٤] مسلحة بكرمان إن احتاج إليه عامل السند وسجستان، فعصى هميان^(٨٥) فبعث الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث فهزمه وأقام بموضعه، ثم مات عبيد الله بن أبي بكره فولاه الحجاج مكانه، وجهاز إليه هذا الجيش وكان يُسمى جيش الطواويس لحسن زيهم.

أخبار ثورة ابن الأشعث ومقتله^[٨٥]

ولما وصل كتاب ابن الأشعث إلى الحجاج كتب إليه يوبخه على القعود عن التوغل ويأمره بالمضئ لما أمره به من هدم حصونهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم، وأعاد عليه الكتاب بذلك ثانياً وثالثاً، وقال له إن مضيت وإلا فأخوك إسحاق أمير الناس^[٨٦] فجمع عبد الرحمن الناس وردّ الرأي عليهم وقال قد كثأ عزمنا جميعاً على ترك التوغل في بلد العدو، ورأينا رأياً، وكتبت بذلك إلى الحجاج، وهذا كتابه يستعجزني ويستضعفني ويأمرني بالتوغل بكم، وأنا رجل منكم.

فثار الناس وقالوا لا نسمع ولا نطيع للحجاج، وقال أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني: اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن، فتنادى الناس

[٨٤] - جاء في الأصل (هميان بن عدي السدي) ثم «... فمضى هميان» والصواب «السدوسي» ثم «فعصى هميان» وليس هناك تعارض مع الخبر الأول.

[٨٥] - عنوان ابن خلدون هنا هو «أخبار ابن الأشعث ومقتله» [ص ٤٧ ج ٣] وقد بدأت ثورة ابن الأشعث بخلع الحجاج (عام ٨٠هـ) ولكن - وكما يذكر الدكتور ناجي حسن - «حينما عظم جمع ابن الأشعث خلع عبد الملك بن مروان وسمى نفسه ناصر المؤمنين» [ص ١٤٧/ القبائل العربية في المشرق - د. ناجي حسن] وسيأتي نص ابن خلدون عن خلع عبد الملك ومبايعة ابن الأشعث.

[٨٦] - كان عبد الرحمن بن الأشعث قد كتب إلى الحجاج «بما فتح الله عليه من بلاد العدو، وبما صنع للمسلمين وبالرأي الذي رآه لهم بالاكْتفاء بما تم فتحه من بلاد العدو والإقامة بها حتى نجيبها ونعرفها ويجتريء المسلمون على طرقها ثم نتعاطى في العام المقبل بقية أرضهم وأقصى بلادهم وحصونهم» وجاء الكتاب الأول من الحجاج باستحسان ما فعل ابن الأشعث والرأي الذي رآه ثم ما لبث أن وصل كتاب ثان من الحجاج يأمره بالتوغل بالمسلمين في بقية بلاد الترك والهند، كما وصل كتاب ثالث من الحجاج بذلك. وكان الحجاج حسوداً حقوداً، ازعجته انتصارات وفتوح ابن الأشعث وحكمته، فخشي أن يؤدي ذلك مستقبلاً إلى تولية ابن الأشعث مكانه، فأمره بسرعة التوغل في بلاد العدو، مما يعني هلاك ابن الأشعث والمسلمين.

من كل جانب: فعلنا فعلنا، وقال عبد المؤمن بن شبيب بن ربيعي: انصرفوا إلى عدو الله الحجاج فانفوه عن بلادكم، ووثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من العراق وعلى النصر له، ولم يذكر عبد الملك [٨٧]، وصالح عبد الرحمن رتبيل على أنه إن ظهر فلا خراج على رتبيل ما بقي من الدهر وإن هُزم منعه ممن يريده.

وجعل عبد الرحمن على بست عياض بن هميان الشيباني، وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمي، وعلى كرمان حرثة بن عمر التميمي [٨٨].

[٨٧] - كانت الواقعة المذكورة هنا السبب المباشر للثورة ومبايعة عبد الرحمن بن الأشعث، الكندي، ولكن أسباباً وتراكمات سابقة هي العوامل الرئيسية للثورة ومنها السخط من سياسة الحجاج وما قام به الحجاج من بطش وارهاب وقتل في العراق ومكة منذ عام ٧٤ هجرية ومنها السخط على بني أمية وما حدث من ممارسات سابقة تركت جروحاً في القلوب مثل واقعة قتل حجر بن عدي الكندي (عام ٥١ هـ) ثم قتل الحسين بن علي بن أبي طالب وأصحابه في كربلاء وما تلا ذلك من فتن وخروب في العراق والحجاز حتى قيام الحجاج باقتحام الحرم المكي وقتل ابن الزبير عام ٧٣ هـ.

ويذكر الدارسون: من العوامل الرئيسية لثورة عبد الرحمن بن الأشعث استعادة مجد اليمن القديم، فيقول المستشرق الدكتور فلهوزن «إن اليمنيين كانوا ممثلين في هذه الثورة تمثيلاً ضخماً لأنهم نظروا إلى ابن الأشعث على أنه رجلهم الخاص» [ص ٨٥/ حياة الشعر في الكوفة].

ويقول الدكتور ناجي حسن - أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة بغداد - «كانت ثورة ابن الأشعث محاولة جديفة للتخلص من سيطرة مضر، سيما وأن معظم القبائل العربية القوية في العراق كانت قحطانية... ولهذا فإن ابن الأشعث حينما عظم جمعه خلع عبد الملك بن مروان وسمى نفسه ناصر المؤمنين» [ص ١٤٧/ القبائل العربية في المشرق].

ويقول الدكتور يوسف خليفة: «لما كانت ثورة ابن الأشعث التي اشعل نيرانها ضد الخليفة عبد الملك بن مروان واليه على العراق، كان أعشى همدان هو شاعر هذه الثورة بدون منازع... فقد وجد في العصبية اليمنية صخرة عاتية تصلح مقاماً لوكره، فشد جناحيه إلى ابن الأشعث سليل ملوك اليمن القدماء... فقد كانت نفس الأعشى تسيطر عليها نزعة ارسنقراطية عميقة، أثارها فيه شعوره بمجد اليمن القديم، وبأن زعيمه سليل ملوك اليمن القدماء وأنه يعمل لإعادة ذلك المجد... فاعلم الظن أن الأعشى لم يكن يتمثل ثورة ابن الأشعث ثورة سياسية بقدر ما كان يتمثلها محاولة لاسترداد اليمانية ملكهم القديم، وهو في هذا لم يكن إلا ممثلاً لشعور اليمانية الذين نظروا إلى الثورة من هذه الزاوية، فكانوا لهذا أسرع الطوائف استجابة لابن الأشعث» [ص ٨٠/ حياة الشعر في الكوفة].

[٨٨] - كان عبد الرحمن بن الأشعث - كما يصفه البجاوي - «من القادة الشجعان الدهاء، وقد تم له مُلك سجستان وكرمان وفارس» - [ص ٤٧٥/ أيام العرب في الإسلام] - وكان ذلك بعد =

ثم سار إلى العراق في جموعه، وأعشى همدان بين يديه (يجري) بمدحه وذم الحجاج [٨٩] وعلى مقدمته عطية بن عمير العنبري [٩٠].

ولما بلغ فارس (٩١) بدأ للناس في أمر عبد الملك وقالوا إذا خلعنا الحجاج فقد خلعناه، فخلعه الناس وبايعوا عبد الرحمن على السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والمُحلين وخلعهم [٩١].

= انطلاق الثورة وخلق الحجاج ومبايعة ابن الأشعث في سجستان مطلع عام ٨٠هـ حيث استجابت سائر بلاد سجستان لابن الأشعث، ثم سار إلى كرمان وكان بها عامل للحجاج فانهزم عامل الحجاج ودخلت بلاد كرمان ومكران في سلطان ابن الأشعث ثم تلتها بلاد فارس، وكان من عمال وأمرء ابن الأشعث كما في تاريخ الطبري: «عبد الله بن عامر البعاز من بني مشاجع استعمله عبد الرحمن على زرنج (سجستان) واستعمل عبد الرحمن على كرمان رجلاً من بكر بن وائل يقال له عياض البكري، وكان بسطام بن مصقلة الشيباني عاملاً لعبد الرحمن على الريّ (فارس)...» [ص ٢٧ - ٢٩ ج ٩].

[٨٩] - هكذا في الأصل: «وأعشى همدان بين يديه يجري بمدحه وذم الحجاج» [ص ٤٨ ج ٣] ولعل الأصوب «يرتجز بمدحه وذم الحجاج» حيث قال أعشى همدان غداة الانطلاق قصيدة ارتجز بها بين يدي عبد الرحمن بن الأشعث منها:

«... إنا سمونا للكفور الفتان
سار بجمع كالدبى من قحطان
... فقل لحجاج وليّ الشيطان
فانهم ساقوه كأس الذيفان
بالسيد الغطريف عبد الرحمن
ومن معد جاء ابن عدنان
يثبت لجمع مذحج وهمدان
ومُلحقوه بقري ابن مروان...»

[٩٠] - كان عطية العنبري على مقدمة جيش ابن الأشعث لما اجتاح بلاد فارس (إيران) فاكسح نواحيها وكان الحجاج لا يبعث إليه بخيل إلا هزمها، فانضوت سائر بلاد وأقاليم فارس (الريّ، أصبهان، الأهواز) تحت لواء ابن الأشعث، وقال أعشى همدان قصيدة يخاطب فيها عبد الرحمن بن الأشعث [وهو: ابن الأشج] قائلاً:

«يا ابن الأشج قريع كندة
أنت الرئيس ابن الرئيس
فانهض فديت لعله
... فإذا جعلت دروب فارس
فابعث عطية بالخيل
... ثبّت حجاج ابن يوسف
لا أبالي فيك عتبا
وأنت أعلى الناس كعبا
يجلوبك الرحمن كريا
خلفهم درياً فديرا
يكبهن (عليه) كبا
خرّ من زلق فتمبا»

[٩١] - لما انضوت بلاد فارس (إيران) في سلطان عبد الرحمن بن الأشعث بويع عبد الرحمن بالخلافة وتلقب بانصر المؤمنين، وجاء في تاريخ الطبري أنه «كان أول الناس خلق عبد الملك بن مروان (الضنحابي) تيحان بن ابجر، وقال: أيها الناس إني خلعت أبا ذبان (عبد=

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره ويستمده [٩٢].

وكتب المهلب إلى الحجاج بأن لا يعترض أهل العراق حتى يسقطوا إلى أهلهم، فنكر كتابه، واتهمه [٩٣].

وجند عبد الملك الجند إلى الحجاج، فساروا إليه متتابعين، وسار الحجاج من البصرة فنزل تستر وبعث مقدمة الخيل فهزمهم أصحاب عبد الرحمن بعد قتال شديد وقتل منهم جمع كثير، وذلك في أضحى إحدى وثمانين، وأجفل الحجاج

= الملك بن مروان) كخلعي قميصي، فخلع الناس عبد الملك ووثبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث فبايعوه».

«وكانت بيعة ابن الأشعث: نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجهاد أمة الضلالة الموحلين» وكان العلامة التابعي سعيد بن جبير كاتباً لابن الأشعث ومن أول المبايعين إياه بالخلافة «فإذا قالوا نعم على ما تقدم من شروط البيعة بايع» [٨/٨٢ - ٤٠٢].

وبذلك أصبح ناصر المؤمنين عبد الرحمن بن الأشعث الكندي خليفة للمسلمين شملت خلافته بلاد سجستان وبلاد كرمان وبلاد فارس بأكملها فزحف لمواجهة الحجاج وجيشه بالعراق يتقدمه قول أعشى همدان:

نُبِئْتُ حِجَّاجَ ابْنِ يَوْسُفَ خَرَمَ مِنْ زَلْقِ فِتْبَا
... فابعث عطية بالخيول يكتبهن عليه كبا

[٩٢] - قال ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: «فلما بلغ الحجاج ما صنعوا - [من خلع عبد الملك بن مروان ومبايعة ابن الأشعث] - كتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك ويستعجله في بعث الجنود إليه... فلما وصل البريد بكتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك، ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد فأقرأه كتاب الحجاج... ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج وتجهيزه في الخروج إلى ابن الأشعث، وجعلت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك بخير ابن الأشعث صباحاً ومساءً، أين نزل، ومن أين ارتحل، وأي الناس إليه أسرع، وجعل الناس يلتفون على ابن الأشعث من كل جانب حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف رجل» [ص ٣٦ ج ٩/البتاية والنهاية].

[٩٣] - لم يبادر المهلب إلى تأييد الثورة ومبايعة عبد الرحمن بن الأشعث وفي الوقت نفسه لم يرسل جيوشه لقتال ابن الأشعث ونصرة الحجاج، وإنما كتب إلى ابن الأشعث قائلاً: «الله الله، انظر إلى الجماعة فلا تفرقها... الخ» وكتب إلى الحجاج ينصحه بعدم التصدي لجند ابن الأشعث (أهل العراق) حتى يستقروا لدى أهلهم، فقال الحجاج: «فعل الله بالمهلب وفعل... والله مالي نظر، ولكن لابن عمه نصح» (اه). ويبدو أن المهلب لم يعترض من أراد من قادته وجنده الانضمام إلى ابن الأشعث حيث كان في صف ابن الأشعث القائد (عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي) وهو من وجوه أصحاب المهلب ومن أعيان الأزديين وكانت امرأة عبد الرحمن بن الأشعث هي مليكة ابنة أخي عبد الله بن يزيد الأزدي».

إلى البصرة ثم تأخر عنها إلى الغاوية، وراجع كتاب المهلب فعلم نصيحته [٩٤].

ودخل عبد الرحمن البصرة فبايعه أهلها وسائر نواحيها، لأن الحجاج كان اشتد على الناس في الخراج وأمر من يدخل الأمصار أن يرجع إلى القرى يستوفي الجزية فنكر ذلك الناس وجعل القرى يبكون منه، فلما قدم عبد الرحمن بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك [٩٥].

ثم اشتد القتال بينهم في المحرم سنة اثنتين وثمانين وتزاحفوا على حرب الحجاج وخلع عبد الملك وانهزم أهل العراق وقصدوا الكوفة وانهزم منهم خلق كثير، وفشا القتل في القرى فقتل منهم عقبة بن عبد الغافر الأزدي في جماعة استلحموا معه وقتل الحجاج بعد الهزيمة عشرة آلاف وكان هذا اليوم يُسمى يوم الراوية [٩٦].

واجتمع من بقي بالبصرة على عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وبايعوه فقاتل بهم الحجاج خمس ليال ثم لحق بابن الأشعث بالكوفة ومعه طائفة من أهل البصرة [٩٧].

[٩٤] - كانت موقعة تستر في مطلع عام ٨١هـ وكان على مقدمة ابن الأشعث عبد الله بن أبان الحارثي، وكان ابن حلزة يتقدم الصفوف قائلاً:

نحن جلسنا الخيل من زرنجا مالك يا حجاج منا منجى

لتبعجن بالسيوف بعجا أولتفرن فذاك احجى

وكذلك الطفيل بن عامر بن وائلة الكناني الذي قال أبياتاً منها:

ألا أبلغ الحجاج أن قد أضله عذاب بأيدي المؤمنين مُصيب

متى نهبط المصريين يهرب (محمد) وليس بمنجى ابن اللعين هروب

فانهزم الحجاج وجيشه هزيمة نكراء حيث كما يذكر الطبري وابن كثير «انهزمت مقدمة الحجاج، وقتل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كبيراً نحو ألف وخمسمائة... فلما جاء خبر الهزيمة إلى الحجاج قال لأصحابه: ارجعوا إلى البصرة فإنها أرفق بالجند، وتراجع الحجاج إلى البصرة، وتبعتهم خيول ابن الأشعث لا يدركون منهم شاذاً إلا قتلوه، ومضى الحجاج هارباً لا يلوي على شيء» [ص ٣٧ ج ٨هـ].

[٩٥] - قال ابن كثير: «دخل عبد الرحمن بن الأشعث البصرة وخطب بالناس في جامع البصرة، وبايعهم وبايعوه... ووافقهم وبايعه جميع من في البصرة من الفقهاء والقراء والشيوخ والشباب» [ص ٣٧ ج ٨هـ/البداية والنهاية].

[٩٦] - جاء خبر يوم الراوية هنا في سياق مضطرب، ولعل الأصوب أن يوم الراوية كان في العام التالي لانصواء البصرة والكوفة في سلطان ابن الأشعث عام ٨١ هجرية.

[٩٧] - كان عبد الرحمن بن عباس حفيد عبد المطلب بن هاشم هذا عاملاً لعبد الرحمن بن =

ولما جاء عبد الرحمن الكوفة وخليفة الحجاج عليها عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي وثب به مطر بن ناجية من بني تميم مع أهل الكوفة فاستولى على القصر وأخرجه، فلما وصل ابن الأشعث لقيه أهل الكوفة وحفّت به همدان وجاء إلى القصر فمنعه مطر، فصعد الناس القصر وأخذوه فحبسه عبد الرحمن ومَلَك الكوفة [٩٨].

= الأشعث على البصرة، وقد جاء في تاريخ الطبري أنه: جاء إلى ابن الأشعث وباعه بعد دخول ابن الأشعث الكوفة، ثم أصبح عاملاً على البصرة ثم كان قائد خيل ابن الأشعث في موقعة دير الجماجم. [ص ١٧/ج ٩].

[٩٨] - كان انضواء الكوفة في سلطان ابن الأشعث بعد البصرة يمثل ذروة انتصارات ثورة ودعوة عبد الرحمن بن الأشعث بعد انهزام الحجاج ومن معه في تستر، ثم انهزام وانسحاب الحجاج من البصرة والغاوية إلى الكوفة ثم انسحابه من الكوفة وهزيمة جنوده، بينما تقدم عبد الرحمن بن الأشعث إلى الكوفة وهنا:

أ - قال الطبري: «لما أقبل عبد الرحمن بن الأشعث إلى الكوفة، خرج أهل الكوفة يستقبلونه، فلما دنا منها مال إليه أهل الكوفة كلهم وسبقت همدان إليه فحفت به... إلا أن طائفة من تميم قد أتوا مطر بن ناجية فأرادوا أن يقاتلوا دونه فلم يطبقوا الناس، فصعد الناس القصر وأخذوه فحبسه عبد الرحمن بن الأشعث ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه وباعه مطر ومن معه» [ص ١٥ ج ٩].

ب - جاء في تاريخ الطبري وابن الأثير أنه: «لما دخل ابن الأشعث الكوفة مال إليه وباعه سائر أهل الكوفة» قال الطبري: «وتفوضت إليه المسالِح والثغور» - أي انضمت إليه وباعته بما في ذلك الأكراد [ص ٢٧ ج ٩].

ج - وقال ابن كثير في كتاب (البداية والنهاية): «دخل ابن الأشعث الكوفة فبايعه أهلها، وتفاقم الأمر، وكثر متابعو ابن الأشعث... واتسع الخرق على الراقع». [ص ٤٠ ج ٩/البداية والنهاية] وتلك العبارات الموجزة ذات دلالات غنية على المدى الذي بلغته ثورة وخلافة عبد الرحمن بن الأشعث الكندي، فقد انضوت تحت سلطانه بلدان سجستان ومكران وفارس والعراق وأقبل الناس يبايعونه من المسالِح والثغور بما في ذلك عدد غير قليل أقبلوا إليه من البحرين وعمان ومكة والمدينة وربما أيضاً من اليمن.

د - جاء في تاريخ الطبري أنه: «خطب عبد الرحمن بن الأشعث في الكوفة فقال: ألا إن بني مروان يعيرون بالزرقاء، والله ما لهم نسب أصح منه، إلا وأن بني أبي العاص اعلاج من أهل صفوربه، فإن يكن هذا الأمر في قريش فعنّا فقئت بيضة قريش، وإن يك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس» [ص ١٦ ج ٩] وكان ذلك في معرض الرد على مزاعم بعض أشياع بني مروان في اشتراط النسب القرشي في من يتولى الخلافة بينما عبد الرحمن بن الأشعث كندي من اليمن، وفي ذلك الاطار قال أعشى همدان قصيدته الذالية في ناصر المؤمنين الخليفة عبد الرحمن بن الأشعث حيث قال:

* يَأبَى إِلَهَ وَعَزَّ دِينَ مُحَمَّدٍ وَجَدُورُ مُلْكٍ قَبْلَ آلِ ثَمُودِ =

ثم إن الحجاج استعمل على البصرة الحكم بن أيوب الثقفي ورجع إلى الكوفة فنزل [دوير فيرة]^[٩٩]، ونزل عبد الرحمن بن الأشعث دير الجماجم واجتمع إلى كل واحد إمداده وخذق على نفسه^[١٠٠].

= أن [تُنسبوا] كذممين عروقهم
 * كم من أب لك كان يعقد تاجه
 ما قصرت بك أن تنال مدى العلا
 *... وإذا سألت المجد أين محله
 بين الأشج وبين قيسٍ باذخ
 في الناس إن نُسبوا عروق عبيد
 بجبين أبلج مقولٍ صنديد
 آباء مكرمة وإرث جدود
 فالمجد بين محمد وسعيد
 بخ بخ لولده وللمولود...»
 [يعني عبد الرحمن بن الأشعث].

[٩٩] - استعمال الحجاج للحكم بن أيوب على البصرة كان قبل انضواء البصرة في سلطان ابن الأشعث حيث انسحب الحجاج إلى الكوفة فانضوت البصرة ثم الكوفة في سلطان ابن الأشعث فانسحب الحجاج إلى منطقة (دير قرّة) بين الكوفة والشام وتمركز فيها... قال المسعودي في مروج الذهب:

«وكان الحجاج يكتب إلى عبد الملك ذاكراً جيوش ابن الأشعث وكثرتها ويسأله الإمداد، وقال في كتابه: واغوثاه يا الله، واغوثاه يا الله، واغوثاه يا الله، فأمدّه عبد الملك بالجيوش وكتب إليه: يا لبيك، يا لبيك، يا لبيك» (اهـ). فاجتمعت جيوش عبد الملك من الشام ومصر إلى الحجاج في (دير قرّة).

[١٠٠] - كان عبد الرحمن بن الأشعث بالكوفة حيث كان كما وصفه أعشى همدان في قصيدته الدالية بعد الأبيات السالفة.

«قِرْمُ إذا سامى القروم ترى له
 وإذا دعا (لكريهة) حشدت له
 يمشون في جلق الحديد كأنهم
 وإذا دعا في آل كندة (أجفلوا)
 وشباب مأسدة كأن سيوفهم
 في كل ملحمة بروق رعود
 أعراق مجد طارف وتليد
 همدان تحت لوائه المعقود
 أسدُ الإياء سمعن زأراً أسود
 بكهول صدقٍ سيد ومسود
 في كل ملحمة بروق رعود

وكان كل من تبقى من أصحاب رسول الله ﷺ وكل التابعين الفقهاء علماء الأمة وأعلام المفكرين والفقهاء القراء قد خلعوا عبد الملك بن مروان وبايعوا عبد الرحمن بن الأشعث بالخلافة وقد ذكرت المصادر منهم:

أ - الصحابة: أنس بن مالك الأنصاري، سهل بن سعد، جابر بن عبد الله، تيحان بن أبيجر، عامر بن وائلة، عقبة الجهضمي.

ب - أعلام التابعين: وقد ذكر ابن كثير من الذين خلعوا عبد الملك وبايعوا عبد الرحمن بن الأشعث كلاً من «محمد بن سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، جبلة بن زحر الجعفي، عامر الشعبي، سعيد بن جبير، كميل بن زياد النخعي، عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبو البخثري الطائي، عبد الرحمن بن العباس، =

وبعث عبد الملك (بن مروان) ابنه عبد الله وأخاه محمداً في جند كثيف وأمرهما أن يعرضاً على أهل العراق عزل الحجاج، ويجري عليهم أعطياتهم كأهل الشام، وينزل عبد الرحمن (ابن الأشعث) إلى أي بلد شاء عاملاً لعبد الملك، فوجم الحجاج لذلك وكتب إلى عبد الملك: إن هذا مما يزيدهم جرأة، وذكره بقضية عثمان وسعيد بن العاصي، فأبى عبد الملك من رآيه، وعرض عبد الله ومحمد بن مروان ما جاء به عبد الملك، وتشاور أهل العراق بينهم، وأشار عليهم عبد الرحمن بقبول ذلك وأن العزة لهم على عبد الملك لا تزول، فتواثبوا من كل جانب منكرين ذلك ومجددين الخلع، وتقدمهم في ذلك عبد الله بن دواب السلمي وعمير بن تيحان^[١٠١].

ثم برزوا للقتال^[١٠٢] وجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي وعلى يسارته عمارة بن تميم اللخمي وعلى الخيل سفيان بن الأبرد الكلبي وعلى الرجالة عبد الله بن حبيب الحكمي^[١٠٣] وجعل عبد الرحمن على ميمنته

= مسلم بن سيار، أبو مرانة العجلي، النظر بن أنس بن مالك، عقبة بن وشاح، سيار بن سلامة، مالك بن دينار، الحسن البصري، وأخوه سعيد بن أبي الحسن، وأبو عبدة بن عبد الله بن مسعود، وعطاء بن السائب... وغيرهم من التابعين الأخيار والعلماء الأبرار [ص ٥٠ - ٥٣/ج ٩ - البداية والنهاية].

(*) وقال ابن كثير: «... وعبد الرحمن هذا هو ابن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي... والعجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه وليس من قريش وإنما هو كندي من اليمن... فكيف يعمدون إلى خليفة قد بوع بالإمارة على المسلمين من سنين فيعزلونه وهو من صليبة قريش ويباعون لرجل كندي من اليمن...» [ص ٥٤ ج ٩/ البداية والنهاية]. ونقول إن ذلك دليل على أن أحاديث الخلافة في قريش لم تكن قد ظهرت إلى ذلك العصر والزمان... (***) وقد بلغ عدد جيش عبد الرحمن بن الأشعث لما سار إلى دير الجماجم أكثر من مائة وخمسين ألفاً.

[١٠١] - ربما أراد ابن الأشعث أن يختبر أصحابه، وقد جاء في كتاب الكامل لابن المبرد أنه: «خطب عبد الرحمن بن الأشعث فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة، تضرب به يميناً وشمالاً فلا تلبث أن تموت» [ص ١٦١ ج ١ - الكامل] - وما لبث أن التحم الجيشان في موقعة دير الجماجم بعد موقعة يوم الرواية.

[١٠٢] - وذلك في موقعة دير الجماجم، حيث كما جاء في فقرة تالية: «اقتتلوا بقية سنتهم» أي بقية عام ٨٢هـ وأن القتال تواصل في العام التالي (٨٣هـ) ما يزيد على مائة يوم إلى جمادى الآخرة ٨٣هـ، بينما تدل عدة مصادر على أن موقعة دير الجماجم استمرت مائة يوم فقط - [من الثلاثاء للييلة مضت من ربيع الأول حتى جمادى الآخرة عام ٨٣هـ] - وهو الأصوب.

[١٠٣] - كانت غالبية جيش عبد الملك بن مروان الذي تولى الحجاج قيادته من يمانية الشام =

الحجاج بن حارثة الخثعمي وعلى ميسرته الأبرد بن قرّة التميمي وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وعلى رجالته محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعلى مجنبيه عبد الله بن رزم الحرشي، وعلى القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي وفيهم سعيد بن جبير وعامر الشعبي وأبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلي [١٠٤].

ثم أقاموا يتزاحفون كل يوم ويقتلون بقية سنتهم^(١٠٣)، وكتيبة القراء معروفة بالصبر يحملون عليها فلا تنتقض، فعبأ الحجاج ثلاث كتائب مع الجراح بن عبد الله الحكمي^(١٠٤) وحملوا على القراء ثلاث حملات، وجبلة يحرض القراء ويبيتهم والشعبي وسعيد بن جبير كذلك، ثم حملوا على الكتائب ففرقوها وازالوها عن مكانها، وتأخر جبلة عنهم ليكون لهم فئة يرجعون إليه، وأبصره الوليد بن نجيب الكلبي فقصدته في جماعة من أهل الشام وقتله، وجيء برأسه إلى الحجاج، وقدموا عليهم مكانه، وظهر القتل في القراء^(١٠٥).

ثم اقتتلوا بعد ذلك ما يزيد على مائة يوم، كثر فيها القتلى والمبارزة، ثم اقتتلوا يوماً في منتصف جمادى الآخرة وحمل سفيان بن الأبرد (الكلبي) في ميمنة الحجاج على ميسرة عبد الرحمن (ابن الأشعث) فانهزم الأبرد بن قرّة من غير قتال^[١٠٥] فتقوضت صفوف الميمنة وركبهم أصحاب الحجاج ثم انهزم عبد الرحمن وأصحابه^(١٠٦).

ومضى الحجاج إلى الكوفة ومحمد بن مروان إلى الموصل وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام، وأخذ الحجاج الناس على أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر، وقتل من أبى ذلك، ودعا بكميل بن زياد صاحب عليّ فقتله لاقتصاصه، ثم أقام بالكوفة شهراً وأنزل أهل الشام في بيوت أهل الكوفة.

= ومصر، فكافة القادة المذكورين هنا كانوا من اليميين (سفيان بن الأبرد الكلبي، عمارة اللخمي، عبد الله الحكمي، الجراح الحكمي، الوليد بن نجيب الكلبي).

[١٠٤] - القراء هم علماء التابعين وفقهاء الأمة وقاتلوا قتالاً باسلاً إلى جانب ابن الأشعث الذي باعوه بالخلافة واستشهد كثير منهم.

[١٠٥] - كانت بطولة سفيان بن الأبرد الكلبي وخيانة الأبرد بن قرّة التميمي سبب انهزام ابن الأشعث في دير الجماجم وانسحابه إلى البصرة.

[١٠٦] - دارت موقعة مسكن في المدخل إلى البصرة في شعبان ٨٣هـ فانتهصر جيش الشام وتراجع ابن الأشعث إلى البصرة وانسحب منها إلى بلاد فارس.

ولحق ابن الأشعث بالبصرة^[١٠٦] فاجتمع إليه جموع المنهزمين ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ولحق به محمد بن سعد بن أبي وقاص بالمدائن وسار نحو عبد الرحمن معه مصقلة بن هبيرة الشيباني، كان قدم عليه قبل الهزيمة من الري وكان انتقض بها ثم غلب عليها ولحق بعبد الرحمن فكان معه، وباع عبد الرحمن خلق كثير على الموت، ونزل مسكن^[١٠٦] وخندق عليه وعلى أصحابه، والحجاج قبالتهم، وقتلهم خالد بن جرير بن عبد الله وكان قدم من خراسان في بعث الكوفة فقاتلهم خمسة عشر يوماً من شعبان أشد قتال، وقتل زياد بن غنيم القيني وكان على مسالح الحجاج فهذ منهم، ثم باكروا القتال وحمل بسطام بن مصقلة في أربعة آلاف من فرسان الكوفة والبصرة كسروا جفون سيوفهم وحملوا على أهل الشام فكشفوهم مراراً، وأحاط بهم الرماة فقتلوهم، وحمل عبد الملك بن المهلب على أصحاب عبد الرحمن فكشفوهم ثم حمل أصحاب الحجاج من كل جانب، فانهزم عبد الرحمن وأصحابه^[١٠٧] وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه وأبو البخترى الطائي، ومضى ابن الأشعث نحو سجستان، ويقال إن بعض الأعراب جاء إلى الحجاج فدلّه على طريق من وراء معسكر ابن الأشعث فبعث معه أربعة آلاف من ورائه وأصبح الحجاج فقاتله واستطرد له حتى نهب معسكره، وأقبلت السرية من الليل إلى معسكر ابن الأشعث وكان الغرقى منهم أكثر من القتلى. وجاء الحجاج إلى المعسكر فقتل من وجد فيه، وكان عدة القتلى أربعة آلاف منهم عبد الله بن شداد بن هادي وبسطام بن مصقلة وعمر بن ربيعة الرقاشي وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم^[١٠٧].

ولما سار ابن الأشعث إلى سجستان^[١٠٨] أتبعه الحجاج بالعساكر وعليهم عمارة بن تميم اللخمي ومعهم محمد بن الحجاج، فأدركوه بالسوس فقاتلوه

[١٠٧] - أدت نتائج موقعة مسكن بالبصرة إلى انبساط سيطرة عبد الملك بن مروان وعامله الحجاج على البصرة وسائر العراق وخروجها من سلطان عبد الرحمن بن الأشعث الذي انسحب إلى بلاد فارس، بينما ساد العراق بطش وطغیان رهيب.

[١٠٨] - الصواب أن ابن الأشعث سار من البصرة إلى بلاد فارس، أما سجستان فكانت مرحلة لاحقة، ويتفق ذلك مع ما ذكره ابن خلدون عن معركة الجيش الذي بعثه الحجاج مع ابن الأشعث في (السوس) بفارس ثم في سابور (جند يسابور) بفارس، كما أرسل الحجاج قوة إلى (الري) وأدت نتائج معارك السوس والري وسابور إلى انبساط سلطة عبد الملك بن مروان على بلاد فارس، فانسحب ابن الأشعث إلى كرمان ثم رحل منها إلى سجستان عام ٨٤هـ.

وانهزم إلى سابور واجتمع إليه الأكراد وقاتلوا العساكر قتالاً شديداً، فهزموا وخرج عمارة، ولحق ابن الأشعث بكرمان فلقية عامله بها، وهياً له النزول فنزل^[١٠٩].

ثم رحل ابن الأشعث إلى زرنج^[١٠٩] فمنعه عامله من الدخول فحاصرها أياماً، ثم سار إلى بست^(١١٠) وعليها من قبله عياض بن هميان بن هشام السدوسي الشيباني ثم استغفله فأوثقه، وكان رتبيل ملك الترك قد سار ليستقبله ونزل على بست (وتهدد عياضاً) وحمل رتبيل (ابن الأشعث) إلى بلاده وأنزله عنده^[١١٠].

واجتمع المنهزمون فانفقوا على قصد خراسان ليلتئموا بعشائرتهم وأقاموا للصلاة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث يستقدمونه فقدم عليهم، وأثناهم عن قصد خراسان مخافة من سطوة يزيد بن المهلب وأن يجتمع أهل الشام وأهل خراسان، فأبوا وقالوا بل يكثر بها تابعنا، فسار معهم إلى هراة فهرب عنهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة، فخشي الانتقاص وقال إنما أتيتكم وأمركم جميعاً وأنا الآن منصرف إلى صاحبي الذي جئت من عنده يعني رتبيل، ورجع عنهم في قليل^[١١١].

وبقي معظم العسكر مع عبد الرحمن بن عباس في سجستان فسار إلى خراسان في عشرين ألفاً. . . وسار نحوه يزيد بن المهلب والتقوا فافترق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبرت معه طائفة ثم انهزموا، وأمر يزيد بالكف عنهم، وأسر جماعة منهم. . . وبعث بالأسرى إلى الحجاج^[١١١].

[١٠٩] - زرنج وبست هما مراكز إقليم سجستان، ولم يكن مسير ابن الأشعث إلى سجستان لتبقى تحت سلطانه ويقاتل منها وإنما كانت طريقه إلى رتبيل ملك الترك (في أفاصي سجستان وافغانستان) حيث قرر ابن الأشعث اللجوء السياسي إلى رتبيل، وتؤكد عدة روايات في مصادر أخرى عدم وقوع أي صدام بين ابن الأشعث وعامله في (بست) وإنما أقام فيها ابن الأشعث وكتب إلى رتبيل برغبته في اللجوء إليه، فاستجاب رتبيل وجاء بنفسه إلى (بست) لاصطحاب ابن الأشعث إلى بلاد رتبيل.

[١١٠] - كان اجتماع المنهزمين من أصحاب ابن الأشعث إلى سجستان واتفاقهم على المسير إلى خراسان قبل رحيل ابن الأشعث إلى بلاد رتبيل، فالتقى بهم في (بست) أو غيرها، وحاول اقناعهم بعدم المسير إلى خراسان ليس لوجود ابن المهلب فقط وإنما لأنه كان قد اقتنع بانتهاء المواجهة ولم يكن مسيره معهم إلى (هراة) يمثل إرادته، فأعطاه هروب ابن سمرة مبرراً للعودة والمسير إلى بلاد رتبيل حيث كان قد قرر اللجوء والاستقرار.

[١١١] - ذكر ابن خلدون في (ص ٥١ ج ٣) تفاصيل مواجهة يزيد بن المهلب لأولئك الذين ساروا إلى خراسان وبعث فريق من الأسرى إلى الحجاج وتفاصيل إعدام الحجاج لهم ولغيرهم، ولكن السياق يتيح الاكتفاء بما أوردناه من كلامه.

.. ولما انصرف عبد الرحمن بن الأشعث من هراة إلى رتبيل، قال له علقمة بن عمر الأودي: لا أدخل معك دار الحرب لأن رتبيل إن داخل إليه الحجاج فيك وفي أصحابك قتلكم أو سلمكم إليه ونحن خمسمائة قد تبايعنا على أن نتحصن بمدينة حتى نأمن أو نموت كراماً، وزحف إليهم عمارة بن تميم اللخمي وحاصرهم حتى استأمنوا فخرجوا إليه [١١٢].

وتتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في عبد الرحمن بن الأشعث يرهبه ويرغبه، وكان عبيد بن مسمع التميمي من أصحاب ابن الأشعث وكان رسوله إلى رتبيل أولاً، فأنس به رتبيل، وأغرى القاسم بن الأشعث أخاه عبد الرحمن بقتله، فخافه وزير لرتبيل أخذ العهد من الحجاج بتسليم عبد الرحمن إليه على أن يكف (الخراج) عن أرضه سبع سنين، فأجابه رتبيل، وخرج إلى عمارة سراً، وكتب عمارة إلى الحجاج بذلك، فأجاب وكتب له بالكف عنه عشر سنين، وبعث إليه رتبيل برأس عبد الرحمن، وقيل مات عبد الرحمن بالسل فقطع (رتبيل) رأسه وبعث به، وقيل أرسله مقيداً مع ثلاثين من أهل بيته إلى عمارة، فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح القصر فمات فبعث عمارة برأسه، وذلك سنة أربع أو خمس وثمانين [١١٣].

[١١٢] - كان عمارة بن تميم اللخمي قد أصبح أميراً لسجستان في اطار ولاية الحجاج للعراق ومشارقتها - عام ٨٤هـ - وخلافة عبد الملك بن مروان.

[١١٣] - انتهت حياة الخليفة اليمني الثائر عبد الرحمن بن الأشعث الكندي بموته وهو لاجئ في بلاد رتبيل بمدينة اسمها (الرحج) في جهات باكستان وأفغانستان عام ٨٥ هجرية، وأياً كانت حقيقة ظروف وفاته فقد استجاب رتبيل إلى قطع رأسه وإرساله إلى الحجاج وعبد الملك بن مروان مقابل خراج وجزية عشر سنين، ووصل رأس ابن الأشعث إلى عبد الملك في دمشق وتم عرض الرأس في الشام ومصر، وقيل في ذلك (رأس بمصر وجثة بالرحج).

وربما ترك عرض رأس ابن الأشعث في الشام ومصر شعوراً بالندم لدى يمانية الشام ومصر الذين لولا مساندتهم لعبد الملك بن مروان لاكتملت خلافة الدولة العربية الإسلامية لعبد الرحمن بن الأشعث الكندي، وهو شعور لم يظهر بين يمانية الشام ومصر إلا في زمن لاحق حين دبر الوليد بن يزيد بن عبد الملك قتل الأمير اليمني خالد بن عبد الله القسري عام ١٢٧ هجرية، فغضب يمانية الشام ومصر على بني مروان وعبرت قضاةهم عن الندم لما كان منهم في مواجهة ثورة وخلافة عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ثم ثورة وخلافة يزيد بن المهلب كما سيأتي.

(*) وقد استقصى ابن خلدون ما حدث في بقية عهد عبد الملك بن مروان من أحداث، نشير في هذا الهامش إلى ما يتصل منها بأعلام اليمنيين ونهاية عهد عبد الملك بن مروان: =

أ - وفاة الأمير الكبير المهلب بن أبي صفرة الأزدي أمير خراسان في (مرو) عاصمة خراسان عام ٨٢هـ وقد أورد ابن خلدون وصايا وحكم المهلب في وفاته (ص ٥٣ ج ٣) وقيل فيه أشعار كثيرة مثل قصيدة (نهار بن توسعة) ومنها:

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب
إذا قيل أي الناس أولى بنعمة على الناس قلناه ولا نتهيب
تطيف به قحطان قد عصبت به وإخوانها من حي بكر وتغلب

ب - ولاية يزيد بن المهلب على خراسان بعد أبيه وكانت له وإخوته فتوحات ومناقب في بلاد خراسان وما يليها، وأدى عدم تأييده لعبد الرحمن بن الأشعث، بل وقيامه بالتصدي لمن سار من أصحاب ابن الأشعث إلى خراسان (عام ٨٣ - ٨٤هـ) إلى علو مكانته لدى عبد الملك بن مروان، كما ظهر كزعيم وأمير يميل إليه أهل العراق ومشارقتها، فأخذ الحجاج في تدبير المكائد لعزل يزيد بن المهلب وتلفيق اتهامات مالية ضده، قال الطبري: «كان الحجاج أذل أهل العراق وغيرهم ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن الأشعث غير يزيد بن المهلب» [ص ٩/٤٤].

و«كتب الحجاج إلى يزيد أن استخلف أخاك المفضل وأقبل، فاستخلف يزيد المفضل وقدم إلى الكوفة في ربيع الآخر عام ٨٥ هجرية» وقام الحجاج بتدبير خطة لحبس يزيد وإخوته.

ج - توفي عبد الملك بن مروان منتصف شوال سنة ست وثمانين هجرية وتولى الخلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ - جمادى الآخرة ٩٦هـ) وكان الحجاج قد تمكن من تنفيذ خطته بشأن يزيد بن المهلب وإخوته وحبسهم، فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة (عام ٩٦هـ) قام بتولية يزيد بن المهلب على العراق ومشارقتها، فكان هلاك الحجاج في شوال عام ٩٥هـ وتولية يزيد بن المهلب على العراق عام ٩٦هـ محل ابتهاج كبير في أرجاء عديدة من الدولة العربية الإسلامية.

من أبناء اليمن وأعلام اليمنيين في عهود الخلفاء الأمويين

الوليد بن عبد الملك - سليمان بن عبد الملك

- عمر بن عبد العزيز - يزيد بن عبد الملك، وثورة يزيد بن المهلب^[١]

في خلافة الوليد بن عبد الملك^[٢]

توفي عبد الملك بن مروان منتصف شوال سنة ست وثمانين، وتولى الوليد بن عبد الملك بن مروان، فولى الوليد لأول ولايته على المدينة عمر بن عبد العزيز فولى على القضاء أبا بكر بن عمر بن حزم^[٣] وولى الحجاج^[٤] على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمي^[٥] وولى على قضائها

[١] - استحدثنا هذا الفصل والعنوان لنقل ما ذكره ابن خلدون عن اليمن واليمنيين في عهود الخلفاء المذكورين عام ٨٦هـ - ١٠٥هـ.

[٢] - اكتفينا في النص التالي بما ذكره ابن خلدون عن الولاة في عهد الوليد (ص ١٣٧ ج ٣) ولم يذكر بينهم والي اليمن في خلافة الوليد لأنه كان ما يزال محمد بن يوسف الثقفي الذي ولاه عبد الملك عام ٧٤هـ واستمر والياً لليمن حتى وفاته باليمن في رجب ٩١هـ فتولى اليمن أيوب بن يحيى الثقفي إلى وفاة الوليد عام ٩٦هـ.

[٣] - كان منصب القضاء من أرفع المناصب ويتولاه كبار علماء الأمة وكانوا في غالبيتهم من اليمنيين، فكان أبو بكر بن عمرو بن حزم قاضي المدينة (الحجاز) وكان أبو بكر بن أبي موسى الأشعري قاضي الكوفة (العراق) وفي الفترة ذاتها كان قاضي القيروان (شمال أفريقية) هو العالم اليمني عبد الرحمن بن رافع التنوخي (٨٠ - ١١٣هـ) وكان الفقيه حنش الصنعاني يتولى عشور أفريقيه، وكان على قضاء مصر عبد الواحد بن عبد الرحمن السكوني (٨٦ - ٩٠هـ) ثم عمران الكندي ثم القاضي عياض بن عبد الله الأزدي قاضي مصر (٩٣ - ٩٧هـ) وكلهم يمانيون، وكذلك كان قاضي دمشق في خلافة الوليد وهو (عبد الله بن عامر اليحصبي الرعيني، وكان من كبار العلماء وتوفي عام ١١٨هـ).

[٤] - استمر الحجاج بن يوسف الثقفي والياً للعراق ومشارقتها في خلافة الوليد، واتسم عهد الحجاج بالتعسف والطغيان.

[٥] - هو الأمير والقائد اليمني الجراح بن عبد الله الحكمي المذحجي أمير البصرة في خلافة الوليد، وتولى عدة بلدان فيما بعد كما سيأتي.

عبد الله بن أذينة وعلى قضاء الكوفة أبا بكر بن أبي موسى الأشعري (٣) .

وفي سنة تسع وثمانين ولى الوليد على مكة خالد بن عبد الله القسري [٦٦] .

وكان على مصر عبد الله بن عبد الملك ، ولاء عليها أبوه فعزله الوليد في هذه السنة وولى مكانه قره بن شريك . . ومات قره بن شريك سنة ست وتسعين [٧٧] .

. . وكان على طنجة في قاصية المغرب طارق بن زياد عاملاً لمولاه موسى بن نصير عامل الوليد على القيروان [٨٨] فأجاز البلاد والبحر إلى بلاد

[٦٦] - هو الأمير اليميني خالد بن عبد الله القسري أمير مكة في خلافة الوليد (٨٩ - ٩٦هـ) قال ابن كثير: «وحفر خالد بن عبد الله بئراً عند ثنية طوى وثنية الحجون فجاءت عذبة الماء طيبة وكان يستقي منها الناس» [ص ٧٦ ج ٩/ البداية والنهاية] وقد تولى خالد فيما بعد ولاية العراق وكان يوصف بأنه رأس اليمينيين كما سيأتي .

[٧٧] - هو الأمير اليميني قره بن شريك العبسي المرادي، من بني عبس بن زوف المرادي بطن من مذحج استقروا في منف الفيوم بمصر، وليس من عبس الحجازية [ص ٧٩١ ج ٢ - الجامع لبا مطرف] .

وقد تولى الأمير اليميني قره بن شريك ولاية مصر عام ٨٩هـ - وفي الجامع عام ٩٠هـ - ومكث حاكماً والياً لمصر حتى وفاته عام ٩٦هـ، وسجلت المصادر التاريخية من مآثر عهده بمصر: أ - تعريب دواوين الدولة بمصر بمساهمة سليمان الخشني اليماني الذي قام بتعريب دواوين الدولة بالشام .

ب - تدوين أصحاب العطاء بمصر وهو نوع من التدوين والاحصاء للجنود والقبائل العربية بمصر [ص ٢٢٧/ الجامع] .

ج - بناء جامع الفيوم بمصر [ص ١٦٩ ج ٩/ البداية والنهاية لابن كثير] ويؤكد ذلك أن قره بن شريك من بني عبس بن زوف المرادي الذين استقروا بالفيوم .
ولما مات قره بن شريك عام ٩٦هـ تولى مصر أمير يميني آخر هو عبد الملك بن رفاعة اللخمي (٩٦ - ٩٩هـ) كما سيأتي .

[٨٨] - هو الأمير اليماني الفاتح موسى بن نصير اللخمي، وهو خامس الولاة الأمراء اليمينيين لبلاد المغرب العربي الذين كان أولهم معاوية بن حديج السكوني ثم أبو المهاجر الأنصاري ثم زهير بن قيس البلوي ثم حسان بن النعمان الغساني في خلافة عبد الملك (٧٤ - ٨٦هـ) ثم موسى بن نصير اللخمي في خلافة الوليد (٨٧ - ٩٦هـ) حيث:

أ - استكمل موسى بن نصير افتتاح أرجاء وسواحل المغرب الأقصى ومنها طنجة إلى سواحل المغرب على المحيط الأطلسي، فكان أول أمير في الإسلام لكل بلاد المغرب العربي (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا) .

ب - قام بنشر الإسلام في أرجاء المغرب فأسلمت كل قبائل البربر التي بدأ إسلامها وتجنيداً في عهد حسان بن النعمان بحيث قال ابن كثير «أسلم أهل المغرب على يد موسى بن نصير وبث فيها الدين والقرآن» (٨هـ) .

الأندلس وافتتحها سنة اثنتين وتسعين كما نذكر في أخبارها [٩].

وفي سنة ثلاث وتسعين عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز وولى خالد بن عبد الله على مكة وعثمان بن حيان على المدينة [١٠].

ومات الحجاج سنة خمس وتسعين ثم مات الوليد سنة ست وتسعين [١١] - [١٢].

= ج - كانت القيروان هي عاصمة ومقر موسى بن نصير واستعمل طارق بن زياد على طنجة، وأعطى موسى بن نصير اهتماماً كبيراً لـ«دار الصناعة» بتونس التي أنشأها حسان بن النعمان لصناعة السفن بحيث تمت صناعة عدد ضخم من السفن الحربية التي حملت المسلمين إلى بلاد الأندلس.

[٩] - أفرد ابن خلدون أبناء المغرب والأندلس بفصول خاصة من كتابه، وتتلخص وقائع فتح الأندلس فيما يلي:

أ - حملة طريف المعافري: في عام ٩١هـ (٧١٠م) جهز موسى بن نصير حملة استشكافية فدائية إلى ساحل الأندلس قوامها أربع سفن وخمسمائة رجل بقيادة القائد اليمني طريف بن مالك المعافري، فنزلت حملة طريف في جزيرة وساحل الأندلس التي سميت منذ ذلك الزمن وحتى يومنا باسم (جزيرة طريف) وباسم (رأس طريف Cape Tarifa) بساحل الأندلس تخليداً لذلك القائد اليمني طريف بن مالك المعافري، وقامت الحملة بعمليات ناجحة وعادت بالمعلومات القيمة اللازمة للفتح.

ب - المرحلة الأولى من الفتح: في عام ٩٢هـ (٧١١م) كلف موسى بن نصير القائد طارق بن زياد بتنفيذ المرحلة الأولى من الفتح على رأس سبعة آلاف مقاتل (غالبيتهم من البربر) ثم أمده موسى بن نصير بخمسة آلاف مقاتل (غالبيتهم من اليمنيين) بقيادة طريف بن مالك المعافري، فتم للمسلمين هزيمة القوط الاسبان في معركة مشهورة (في ١٩ يوليو ٧١١م/رمضان ٩٢هـ) وتم تنفيذ المرحلة الأولى من فتح بلاد الأندلس بقيادة طارق ومشاركة طريف بن مالك عام ٩٢ هجرية.

ج - المرحلة الثانية من الفتح: ثم سار موسى بن نصير إلى الأندلس في رمضان ٩٣هـ (يوليو ٧١٢م) على رأس (١٨٠٠٠ مقاتل) كان غالبيتهم من اليمنيين والبربر، فقام موسى بن نصير بافتتاح (اشبيلية) وعشرات المدن والمناطق واستكمل فتح الأندلس، وتولى موسى بن نصير حكم الأندلس فكان أول عربي يحكم الأندلس (٩٣ - ٩٧هـ) وأسس العصر العربي الإسلامي بالأندلس.

[١٠] - كان خالد بن عبد الله القسري أميراً لمكة منذ عام ٨٩هـ - كما تقدم - فمكث كذلك حتى وفاة الوليد عام ٩٦هـ.

[١١] - ذكر ابن خلدون خبر وفاة الحجاج في شوال ٩٥هـ ووفاة الوليد بن عبد الملك في منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦ هجرية.

[١٢] - انتهى هنا ما نقلناه من حديث ابن خلدون عن ولاة عهد الوليد (ص ١٣٧ ج ٣) وليس في حديثه التفصيلي عن عهد الوليد ما يستلزم النقل سوى ما كان من أمر يزيد بن المهلب.

من أخبار يزيد بن المهلب [١٣]

« . . تولى يزيد بن المهلب على خراسان بعد موت أبيه - وذلك سنة اثنتين وثمانين - وكتب له الحجاج بالعهد عليها، ثم وضع يزيد العيون على نيزك [١٤] حتى بلغه خروجه عن قلعته، فسار إليها وحاصرها ففتحها وغنم ما كان فيها من الأموال والذخائر، وكانت من أحسن القلاع وكان نيزك إذا أشرف عليها يسجد لها [١٤].

ولما فتحها يزيد بن المهلب [١٥] كتب إلى الحجاج بالفتح، وكان كاتبه يعمر العدواني، فكتب: إنا لقينا العدو فمنحنا الله أكتافهم فقتلنا طائفة وأسرونا طائفة ولحقت طائفة برؤوس الجبال ومهامة الأودية وأهضام الغيطان وأفناء الأنهار. . . » (اه).

عزل يزيد عن خراسان [١٦]

يقال إن الحجاج وفد إلى عبد الملك ومرّ في طريقه براهب قيل له إن عنده علماً من الحدّثان، فقال: هل تجدون في كتابكم ما أنتم فيه، قال نعم. . . فقال: فما تجدون من صفة ملكنا، قال: صفته كذا، قال: ثم من؟ قال: آخر اسمه الوليد. . . قال: فمن تجد بعدي؟ قال: رجل يدعى يزيد. قال أتعرف صفته، قال لا

[١٣] - النص التالي من حديث ابن خلدون عن عهد عبد الملك بن مروان [ص ٥٣ ج ٣] وكان ليزيد بن المهلب وإخوته فتوحات في خراسان وما يليها من بلاد الترك (آسية الوسطى) في ولاية أبيه المهلب بن أبي صفرة لخراسان (٧٨ - ٨٢ هـ) حيث غزا يزيد وافتتح بلاد المختل وبلاد نسف، كما افتتح حبيب بن المهلب ربنجن من بلاد بخارى وقد تقدم نبأ ذلك.

[١٤] - نيزك هو ملك قلعة وبلاد باذغيس بآسية الوسطى وكانت من أمنع قلاع بلاد الترك ومقر الملك نيزك.

[١٥] - أشادت قصائد كعب الأشقري بفتح يزيد بن المهلب لباذغيس ومنها قصيدة أشاد فيها بيزيد قائلاً:

.. نفى نيزكاً عن باذغيس ونيزك
بمنزلة أعياء الملوك اغتصابها
وقصيدة أخرى منها قوله:

وباذغيس التي من حلّ ذروتها
عزّ الملوك فإن شاء جار أو ظلما
منيعة لم يكدها قبله ملك
إلا إذا واجهت جيشاً له وجما
.. لما أطاف بها ضاقت صدورهم
حتى أقروا له بالحكم فاحتكما
.. فهل كسيب يزيد أو كئائلة
إلا الفرات وإلا النيل حين طما

[١٦] - أورد ابن خلدون هذا العنوان والنص التالي في (ص ٥٤ ج ٣) فانقلنا إليه ليترابط الموضوع.

أعرف صفته إلا أنه يغدر غدرة. فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب، ووجل منه^[١٧]، وقدم على عبد الملك ثم عاد إلى الكوفة وكتب إلى عبد الملك يذم يزيداً وآل المهلب وأنهم زبيريّة، فكتب إليه أن وفاءهم لآل الزبير يدعوهم إلى الوفاء لي، فكتب إليه الحجاج يخوفه غدريهم وما يقول الراهب، فكتب إليه عبد الملك: إنك أكثرت في يزيد بن المهلب فانظر من تولى مكانه، فسمى له قتيبة بن مسلم فكتب له أن يوليه، وكره الحجاج أن يكاتبه بالعزل فاستقدمه وأمره أن يستخلف أخاه المفصل. . . وخرج يزيد في ربيع سنة خمس وثمانين، وكتب الحجاج إلى المفصل بولاية خراسان، ثم عزل المفصل لتسعة أشهر من ولايته وولى قتيبة بن مسلم.

وقيل سبب عزل يزيد أن الحجاج أذل أهل العراق كلهم إلا آل المهلب^(١٧)، وكان يستقدم يزيد فيعتل عليه بالحروب. . . ثم استقدمه بعد ذلك فقال إنني أغزو خوارزم فكتب الحجاج: لا تغزها، فغزها وأصاب سبياً وصالحه أهلها^(١٧). . . ولما ولي المفصل خراسان غزا (بادغيس) ففتحها وأصاب مغنماً فقسمه، ثم غزا شومان فغنم وقسم ما أصابه^[١٨].

حبس يزيد بن المهلب وإخوته^[١٩]

حبس الحجاج يزيداً وإخوته سنة ست وثمانين وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان^[٢٠]

[١٧] - ذكر الطبري من الأسباب الحقيقية لتأمر الحجاج على يزيد بن المهلب أنه «كان الحجاج أذل أهل العراق وغيرهم ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن الأشعث غير يزيد بن المهلب» [ص ٤٤ ج ٨] وكانت انتصارات وفتوحات يزيد بن المهلب وثناء الناس والشعراء على يزيد وإخوته من أسباب تأمر الحجاج على يزيد وإخوته.

[١٨] - كانت ولاية المفصل بن المهلب من ربيع آخر ٨٥هـ إلى ٨٦هـ وافتتح بلاد (أخرون) لا بادغيس وغزا شومان وفي ذلك قال كعب الأشقري:

لعمرى لقد صال المفصل صولة أباحت بشومان المناهل والكللا

[١٩] - أورد ابن خلدون هذا العنوان والخبر التالي في أنباء عهد الوليد (ص ٦٤ ج ٣) وانتقلنا إليه ليتربط ما ذكره ابن خلدون عن يزيد بن المهلب.

[٢٠] - كان قدوم يزيد بن المهلب من خراسان وعاصمتها (مرو) إلى البصرة والكوفة باستدعاء الحجاج في ربيع الآخر ٨٥هـ حيث - كما في تاريخ الطبري - «لم يمر يزيد بن المهلب ببلد إلا فرشوا له الراحين» [ص ٤٤ ج ٨] وكان ذلك مما زاد حقد الحجاج وخوفه من المكانة العظيمة التي باتت ليزيد بن المهلب، ولكنه لم يتعرض له، فأقام بالكوفة بينما كان أخوه المفصل بخراسان تزداد مكانته كما قال كعب الأشقري:

فأقاموا في محبسهم إلى سنة تسعين^[٢١١] وبلغه أن الأكراد غلبوا على فارس، فعسكر قريباً من البصرة للبعث وأخرج معه بني المهلب وجعلهم في فسطاط قريباً منه ورتب عليهم الحرس من أهل الشام، ثم طلب منهم ستة آلاف ألف، وأمر بعذابهم، ثم كف عنهم وجعل يستأديهم^[٢٢٢] وبعثوا إلى أخيهم مروان وكان بالبصرة أن يعد لهم خيلاً، وكان حبيب منهم يعذب بالبصرة، فصنع يزيد للحرس طعاماً كثيراً وأمر لهم بشراب فأقاموا يتعاقرون، واستغفلهم يزيد والمفضل وعبد الملك وخرجوا ولم يفتنوا لهم، ورفع الحرس خبرهم إلى الحجاج فخشىهم على خراسان وبعث البريد إلى قتيبة يخبره ليحذرهم.

= ترى ذا الغنى والفضل من كلِّ معشر
عصائب شتى ينتوون المفضلاً
فمن زائر يرجو فواضل سيِّبه
وأخري يقضي حاجة قد ترحلاً
كما كانت له وإخوته فتوحات ومناقب في خراسان وما يليها وكذلك حبيب بن المهلب أمير
كرمان، فقام الحجاج بعزل المفضل بعد تسعة أشهر (في عام ٨٦هـ) واستقدمه مع اخوته من
خراسان وولى عليها قتيبة بن مسلم الباهلي، وفي ذلك قال الفرزدق:
بكت جزعاً مروا خراسان إذ رأته
تبذل النظرى القصير أنوفه
بها باهلياً بعد آل المهلب
بكل فنيق يرتدي السيف مُعصب
فدل ذلك على المكانة والشعبية الكبيرة ليزيد بن المهلب وإخوته، وامتد القلق من تلك
المكانة الكبيرة من الحجاج إلى الوليد نفسه.

[٢١١] - كان حبس يزيد وإخوته، كما ذكر الطبري عام ٨٧هـ واختلق الحجاج لذلك تهمة مطالبة
يزيد بستة آلاف ألف (درهم) أنفقها في ولايته لخراسان وقام بمصادرة ثلاثة آلاف ألف
(درهم) من أموال بني المهلب في البصرة.

[٢٢٢] - بالرغم من التهم التي لفقها الحجاج وبالرغم من الحبس والتعذيب كان صبر يزيد مما
يغيظ الحجاج حيث قال ابن كثير عن تعذيبهم في السجن «كان أصبرهم يزيد بن المهلب
فكان لا يُسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا، وكان ذلك يغيظ الحجاج» [ص ٧٨
ج ٩]. . وكان مما يغيظ الحجاج أكثر مكانة يزيد ومدح الشعراء إياه حتى وهو في السجن،
ومنهم الشاعر (حمزة بن بيض) حيث زار يزيد بن المهلب في السجن ومدحه بقصيدة
ذكرها الأصفهاني في كتاب الأغاني ومنها قوله:

أغلق دون السماح والجود والنجدة باب حديد أشبُّ
ابن ثلاث وأربعين مضت لا ضرعٌ واهنٌ، ولا نكب
.. برزت سبق الجواد في مهل وقصرت دون سعيك العرب

فقال له يزيد: ويحك أتمدحني على هذه الحال، والله لقد أسأت إذ نوهت باسمي في غير وقت
تنويه. . فقال حمزة: لقد كنت يا يزيد حرزاً للناس طالما أحسنت الثواب والرفد فلا بأس أن
نسلفك الآن. .»

وكان يزيد قد ركب السفن إلى البطائح، واستقبلته الخيل المعدة له هناك، وساروا إلى الشام على السماوه ومعهم دليل من كلب^[٢٣] ونمى خبرهم إلى الحجاج فبعث إلى الوليد بذلك، وقدموا إلى فلسطين فنزلوا على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي، وكان كريماً على سليمان فأخبره بحالهم وأنهم استجاروا به من الحجاج فقال اتتني بهم فقد أجزتهم^[٢٤].

وكتب الحجاج إلى الوليد أن بني المهلب خانوا مال الله وهربوا مني فلحقوا بسليمان^[٢٥] فسكن ما به لأنه كان خشيبهم على خراسان كما خشيبهم الحجاج وكان غضباً للمال الذي ذهبوا به، فكتب سليمان إلى الوليد أن يزيد عندي وقد أمنتته، وكان الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فأدى نصفها وأنا أؤدي النصف^[٢٦] فكتب الوليد لا أؤمنه حتى تبعث به، فكتب سليمان: لأجيشن معه. فكتب الوليد: إذن لا أؤمنه. فقال يزيد لسليمان: لا يتشاءم الناس بي لكما فاكتب معي وتلطف ما أطقت. فأرسله وأرسل معه ابنه أيوب، وكان الوليد أمر أن يُبعث مقيداً، فقال سليمان لابنه: ادخل على عمك أنت ويزيد في سلسلة، فقال الوليد لما رأى ذلك:

[٢٣] - تمكن يزيد واخوته من الهروب من سجن الحجاج بخطة مشهورة اعتبرها الناس شجاعة نادرة ومنهم الفرزدق حيث قال في ذلك:

فلم أر كالمهط الذين تتابعوا على الجذع والحراس غير نيام
مضوا، وهُم مستيقنون بانهم إلى قدر آجالهم وجمام ..

(الخ - تاريخ الطبري).

[٢٤] - كان وهيب بن عبد الرحمن الأزدي من عمال وقادة الأردن وفلسطين، وقال عبد الجبار بن يزيد الكلبي الحميري مثنياً عليه لموقفه مع يزيد:

ألا جعل الله الأخلاء كلهم فداءً على ما كان لابن المهلب
لنعم الفتى يا معشر الأزد اسعفت ركابكم بالوهب شرقي منكب

.. الخ [ص ٧٢ ج ٨/ الطبري].

[٢٥] - كان سليمان بن عبد الملك بن مروان أفضل واتقى أبناء عبد الملك وكان هو ولي العهد المنصوص له بالخلافة بعد الوليد، وكان سليمان في الرملة بفلسطين - مقر اقامته - فلما أبلغه وهيب بن عبد الرحمن الأزدي بوصول يزيد بن المهلب واخوته إليه هارين من الحجاج (قال سليمان: اتتني بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبداً وأنا حي، فجاء بهم إلى سليمان فأكرمهم وأقام يزيد في كنف سليمان) [ص ٩٨ ج ٩/ ابن كثير].

[٢٦] - كان سليمان يعلم بأن تهمة مطالبة يزيد بالمال من مكائد الحجاج، ولم يكن الوليد يجهل ذلك، ولكنه تعهد بدفع ما تبقى من المال الذي ادعاه الحجاج لكي لا يدع مبرراً للتمسك بيزيد بن المهلب.

لقد بلغنا من سليمان! ثم دفع أيوب كتاب أبيه بالشفاعة وضمأن المال عن يزيد، فقرأه الوليد واستعطفه أيوب في ذمة أبيه وجواره، وتكلم يزيد واعتذر، فأمنه الوليد، ورجع يزيد إلى سليمان، وكتب الوليد إلى الحجاج بالكف عنهم فكف عن حبيب وأبي عيينة وكانا عنده^[٢٧] وأقام يزيد عند سليمان يهدي إليه الهدايا ويصنع له الأطعمة^[٢٨].

ولما كان في سنة ثلاث وتسعين كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد يقص عليه أفعال الحجاج بالعراق وما هم فيه من ظلمه وعدوانه^[٢٩]. . . ولما قتل الحجاج سعيد بن جبير، كان إذا نام يرى سعيد بن جبير في منامه آخذاً بمجامع ثوبه يقول يا عدو الله فيم قتلتنني، فينتبه مرعوباً يقول ما لي ولسعيد بن جبير^(٢٩)، وتوفي الحجاج في شوال سنة خمس وتسعين لعشرين سنة من ولايته العراق. . . ثم توفي الوليد في منتصف جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين. . . [اه/٣٠].

[٢٧] - أجاز الوليد أمان سليمان وأسقط الاتهامات الباطلة التي لفقها الحجاج على يزيد واخوته وأمر الحجاج بالكف عن حبيب بن المهلب وأبي عيينة عبد الملك بن المهلب، فكف الحجاج عنهما، بينما أقام يزيد بن المهلب والمفضل في قصر سليمان بالرملة من الشام، فكان ذلك مما جعل الناس يشيدون بسليمان كما في قول حمزة بن بيض مادحاً سليمان:

.. سرت خوف بني المهلب بعدما نظروا إليك بسم موت ناقع
ليس الذي ولاك ربك منهم عند الإله وعندهم بالضائع

[٢٨] - كان سليمان بن عبد الملك تصل إليه الهدايا فيهدي منها ليزيد بن المهلب ويأمر بصنع أفخم الطعام ليزيد واخوته، وكان سليمان يستشير يزيد بن المهلب فيما يعرض من أمور، وفي كيفية إصلاح أمر الأمة.

[٢٩] - كان طغيان الحجاج بالعراق وقيامه بقتل العلماء واذلال الناس ومضاعفة الخراج عليهم من الأمور المذكورة بالتفصيل في كتب التاريخ، وكان آخر مظاهر طغيان الحجاج قيامه بقتل العالم الكبير سعيد بن جبير عام ٩٥هـ ثم مات بعده بأيام.

[٣٠] - انتهى ما نقلناه من أخبار عهد الوليد في تاريخ ابن خلدون [ص ٦٧ ج ٣] وقد وصفه ابن خلدون بأنه «كان من أفضل خلفاء بني أمية» وقد شهد عهده بناء الجامع الأموي بدمشق، وكان لولاية عهده مناقب كثيرة وخاصة الأمير اليماني قره بن شريك أمير مصر، وموسى بن نصير أمير المغرب العربي وفتاح الأندلس وخالد القسري أمير مكة، وقام أيوب بن يحيى والي اليمن (٩١ - ٩٦هـ) بتوسيع عمران الجامع الكبير بصنعاء، ومما يتصل باليمن في عهد الوليد قصة الشاعر وضاح اليمن وهي مشهورة ومذكورة في كتاب الأغاني وغيره من كتب التراث والأدب.

.. في خلافة سليمان بن عبد الملك [٣١]

لما مات الوليد بويح سليمان من يومه وهو بالرملة [٣٢].
 فعزل عثمان بن حيان عن المدينة في آخر رمضان وولى عليها أبو بكر بن
 محمد بن عمرو بن حزم [٣٣].
 وعزل ولاة الحجاج عن العراق، فولى يزيد بن المهلب على المصريين وعزل
 عنهما يزيد بن أبي مسلم [٣٤].
 وبعث يزيد أخاه زياداً على عُمان [٣٥] وأمر سليمان يزيد بن المهلب بنكبة آل

[٣١] - تحدث ابن خلدون عن عهد سليمان بن عبد الملك في (ص ٦٨ - ٧٤ ج-٣) وسنقل هنا ما يتصل باليمن واعلام اليمنيين في خلافته.

[٣٢] - بويح وتولى سليمان بن عبد الملك الخلافة في منتصف جمادى الآخرة عام ٩٦هـ ومات في صفر ٩٩هـ وكان من أفضل خلفاء بني أمية، ووصفه ابن كثير بأنه «مفتاح الخير» فأزال مظالم الحجاج وولاته واتخذ عمر بن عبد العزيز مشيراً ووزيراً ثم استخلفه من بعده بمشورة الأمير اليمني رجاء بن حيوة الكندي أمير فلسطين ووزير سليمان بن عبد الملك - كما يأتي - وكان القائد اليمني كعب بن جابر العنسي صاحب وقائد شرطة سليمان بن عبد الملك كما كان سليمان بن نعيم الحميري هو كاتب وأمين سليمان بن عبد الملك.

[٣٣] - هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري أمير المدينة المنورة (الحجاز) في خلافة سليمان بن عبد الملك.

(**) أما اليمن فكان واليها (أيوب بن يحيى الثقفي) فعزله سليمان وولى على اليمن (عروة بن محمد السعدي) وقد أشار إليه ابن خلدون في أنباء عهد عمر بن عبد العزيز، وكان عروة والياً لليمن في خلافة سليمان (٩٦ - ٩٩هـ) وخلافة عمر (٩٩ - ١٠١هـ) حيث كما قال القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكوخ في هامش قرعة العيون «كان عروة السعدي من اصلح الولاة الذين تولوا اليمن وازدهم في المال واتقاهم الله، وقد حفظ له التاريخ هذه المنقبة العظيمة، فخلده بالرحمات والذكر الحسن» [اه].

[٣٤] - تولى الزعيم اليماني يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي إمارة العراقيين في شوال ٩٦هـ فرجع ما كان قد عمّ البلاد والعباد من الظلم والجور في ولاية الحجاج وأطلق الأسرى والرهائن ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول وبذل الأعطية بالعراق وأعاد تنظيم الخراج والغنى الزيادة التي كان الحجاج فرضها، مع أمور حسنة كثيرة، فأشاد به العلماء والشعراء ومنهم كعب بن معدان الأشقري حيث قال:

.. شفيت صدوراً بالعراقيين بعدما تجاوب فيها النائحات الصواوح
 مددت الندى والجود للناس كلهم فهم شرع فيه صديق وكاشح

واستتاب يزيد بن المهلب على البصرة سفيان بن عبد الله الكندي، وكان على قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى الأشعري.

[٣٥] - كان الحجاج قد بعث إلى عمان (خيار بن صبرة المجاشعي) فحارب أميرها (سعيد بن عباد=

أبي عقيل قوم الحجاج وبني أبيه وببسط أصناف العذاب عليهم فولى على ذلك عبد الملك بن المهلب^[٣٦].

«وفي سنة ست وتسعين مات قرّة بن شريك والي مصر^[٣٧] وفي سنة سبع وتسعين عزل سليمان موسى بن نصير عن أفريقية وولى مكانه محمد بن يزيد القرشي حتى مات سليمان فعزل واستعمل عمر مكانه إسماعيل بن عبد الله^[٣٨] . . .» [اهـ].

خير ولاة السند^[٣٩]

كان الحجاج قد ولى ثغر السند ابن عمه محمد بن القاسم الثقفي . . ولم يزل

= الجلندي الأزدي حتى لجأ سعيد بن عباد وسليمان بن عباد الجلندي إلى شرق أفريقية وأساء خيار المجاشعي السيرة في عمان ونكل بأهلها، فلما تولى يزيد بن المهلب العراقيين تولى أخوه (زيد بن المهلب) إمرة عمان وبسط العدل في ربوعها [ص ٣٢ تاريخ عمان للازكوي+ مصادر تاريخ عمان ص ٣٣].

[٣٦] - الثابت أن آل أبي عقيل وهم أقارب الحجاج تم تفريقهم في أعمال بسيطة بالنواحي ومنها اليمن كما في كتاب البداية والنهاية لابن كثير.

[٣٧] - هذه الفقرة من حديث ابن خلدون عن الولاية (ص ١٣٧ ج ٣) وقد جاء فيها بعد خبر موت قرّة بن شريك (فراغ نحو سطر) - مكان اسم والي مصر بعده وهو الأمير اليمني (عبد الملك بن رفاعة اللخمي والي مصر في خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦ - ٩٩هـ وكان عادلاً عفيف النفس فاضلاً) ومن كلامه «إذا دخلت الهدية من الباب خرجت الأمانة من الطاقة» [اهـ/الجامع ليامطرف].

[٣٨] - مكث موسى بن نصير أميراً لبلاد المغرب بأكملها عشرين سنة (٨٧ - ٩٦هـ) وكذلك الأندلس (٩٣ - ٩٦هـ) ثم استخلف على الأندلس ابنه الأمير عبد العزيز بن موسى (٩٦ - ٩٨هـ) وعلى المغرب عبد الله بن موسى بن نصير، وقدم موسى بن نصير إلى سليمان في دمشق فأعفاه من الولاية، وكان موسى بن نصير قد جاوز السبعين من عمره وحج مع سليمان بن عبد الملك عام ٩٧هـ ومات بالمدينة المنورة. أما إسماعيل بن عبد الله الذي ولاه عمر بن عبد العزيز على المغرب عام ٩٩هـ فهو إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر الأنصاري.

[٣٩] - أورد ابن خلدون خبر السند في (ص ٦٦ ج ٣) وقد نقلناه هنا لأنه في خلافة سليمان بن عبد الملك، وقد ذكر البلاذري في (فتوح البلدان) أنه:

أ - «غزا المهلب بن أبي صفرة الأزدي ثغر السند في أيام معاوية سنة ٤٤هـ فأتى (بنيه) و(اللاهور) وهما بين (الملتان) و(كابل) فلقية العدو، فقاتله ومن معه، وفي (بنيه) يقول الأزدي:

ألم تر أن الأزدي ليلة بيتوا ببنة كانوا خير جيش المهلب» =

عاملاً على السند إلى أن وُلِّي سليمان بن عبد الملك فعزله وولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي على السند مكانه^[٤٠] فقيده يزيد وبعث به إلى العراق فحبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط وعذبه في رجال من قرابة الحجاج على قتلهم لأخيه، وكان الحجاج قتل أخاه آدم على رأي الخوارج، ومات يزيد بن أبي كبشة - بالسند - لثمانى عشرة ليلة من مقدمه^(٤٠).

فولى سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب^[٤١] فقدمها وقد رجع ملوك السند إلى ممالكهم ورجع حليشة بن داهر إلى (برهمناباد)^[٤٢] فنزل

= ب - « . . واستعمل زياد (بن أبي سفيان لما ولاه معاوية العراق عام ٥٤هـ) على الشجر راشد بن عمرو الجديدي من الأزدي، فأتى مكران ثم غزا القيقان فظفر، ثم غزا الميد فقتل» [ص٤٢٢/ البلاذري] وفيه قال الشاعر:

غزا السند ميمون النقيبة حازمٌ من الأزدي، جلدأ للصعاليك رافعُ
ترى عينه ما لا يرون إذا سما بعيني قطامي خضيب الأشاجع
وإن الجديدي ابن عمرو على الكرى وغب السرى، صقرٌ بعلياء واقع

ج - ثم كان من يتولى مكران يغزو ويفتح في ثغر السند ومنهم حبيب بن المهلب أمير مكران وكمران وعزله الحجاج - عام ٨٧هـ - كما تقدم، وولى على ثغر السند محمد بن القاسم الثقفي فكانت له حروب وغزوات «وعبر نهر مهران مما يلي بلاد راسل ملك قصة من السند والهند، وحاربهم داهر ملك السند فقتل داهر . . قال ابن الكلبي: الذي قتل داهر القاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن الطائي» [ص٤٢٦/ البلاذري].

[٤٠] - هو الأمير اليمني القائد يزيد بن أبي كبشة السكسكي، وكان الوليد بن عبد الملك قد ولاه على العراق (الكوفة) بعد موت الحجاج - في شوال ٨٥هـ - فلما تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك وولى يزيد بن المهلب على العراق - في شوال ٩٦هـ - ولى سليمان يزيد بن أبي كبشة السكسكي على السند فسار إليها، وكان محمد بن القاسم الثقفي قد تراجع من (الملتان) ونهر مهران إلى (الدور والثغور) لما أتاه خبر موت الحجاج فسيطر ملوك الهند على البلاد، فلما تولى يزيد بن أبي كبشة السند ما لبث أن مات بعد ١٨ ليلة من مقدمه إلى السند عام ٩٦ هجرية.

[٤١] - هو الأمير اليمني القائد حبيب بن المهلب الأزدي وكان أمير كرمان إلى عام ٨٧هـ ثم تعرض للتكنيل والحبس مع يزيد بن المهلب بمكيدة الحجاج - كما تقدم - ثم استعاد مكانته لما تولى سليمان الخلافة، فولى يزيد بن المهلب على العراق وولى حبيب بن المهلب على السند بعد يزيد بن أبي كبشة السكسكي، فتولى حبيب بن المهلب بلاد السند وأعاد افتتاح ما انتقض منها.

[٤٢] - جاء في الأصل بكتاب تاريخ ابن خلدون - المطبوع - (ص ٦٤ ج ٣) هنا ما يلي نصه «ورجع حبشة بن داهر إلى . . [ثم فراغ غير مكتوب] ثم في الفقرة التالية « . . وأعطاه أهل الروم الطاعة» وفي الفقرة الأخيرة «فأسلم حبشة . . [أهـ] فقمنا بالتصويب من تاريخ =

حبيب على شاطئ مهراة وأعطاه أهل الدور الطاعة وحابر فظفر، ثم أسلم الملوك لما كتب عمر بن عبد العزيز يدعوهم إلى الإسلام على أن يملكهم وهم أسوة بالمسلمين فيما لهم وعليهم، فأسلم حليشة والملوك وتسموا بأسماء العرب [٤٣].

ولاية يزيد بن المهلب خراسان [٤٤]

كان يزيد بن المهلب لما ولاء سليمان العراق - على الحرب والصّلات والخراج - استكره أن يحيف على الناس في الخراج فتلحقه المذمة كما لحقت الحجاج ويخرب العراق، وإن قصر عن ذلك لم يقبل منه، فرغب من سليمان أن يعفيه من الخراج وأشار عليه بصالح بن عبد الرحمن مولى تميم فولاه سليمان على الخراج وبعثه قبل يزيد، فلما جاء صالح إلى يزيد ضيق عليه صالح، فقد كان يزيد يطعم على ألف خوان [٤٥] فاستكرها صالح، فقال يزيد: أكتب ثمنها عليّ وغير ذلك، وضجر يزيد [٤٥].

= البلاذري. فاسم ملك السند هو «حليشة بن داهر» وعاصمته التي كان عاد عليها اسمها (برهمناباد) والمدينة الأخرى اسمها (الدور) حيث قال البلاذري «واستعمل سليمان بن عبد الملك حبيب بن المهلب على السند فقدمها وقد رجع ملوك الهند إلى ممالكهم فرجع حليشة بن داهر إلى برهمنا باد، ونزل حبيب على شاطئ نهر مهراة فأعطاه أهل الدور الطاعة وحابر فظفر» [ص ٤٢٨/ فتوح البلدان للبلاذري] ومكث حبيب بن المهلب والياً على السند في خلافة سليمان (٩٦ - ٩٩هـ) إلى أوائل خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠٠هـ) وأسلم حليشة وملوك السند كما تقدم.

[٤٣] - ذكر ابن خلدون بعد هذه الفقرة الولاية اللاحقين للسند إلى نهاية العصر الأموي [ص ٦٧ ج ٣] واستلزم السياق الاقتصار على عهد سليمان بن عبد الملك.

[٤٤] - أورد ابن خلدون هذا العنوان والخبر التالي في سياق تاريخ عهد سليمان بن عبد الملك (ص ٦٩ ج ٣) وقال في حديثه عن الولاية إنه «في سنة ٩٦ قتل قتيبة بن مسلم بخراسان لانتفاضه على سليمان وولاهها سليمان يزيد بن المهلب» [ص ١٣٨ ج ٣] ومؤدى ذلك أن سليمان ضم خراسان إلى والي العراق يزيد بن المهلب بعد قيام وكيع بن أسود بقتل قتيبة بن مسلم متهماً إياه بأنه خلع سليمان أو أراد أن يخلعه، فتولى وكيع الأمر بخراسان فكتب سليمان بضمها إلى يزيد بن المهلب في أواخر عام ٩٦هـ وهو السياق الأصوب.

[٤٥] - كان يزيد بن المهلب يطعم الناس يوماً ألف خوان من الطعام لأن أحوال الناس كانت ضاقت في أيام الحجاج، وكان يزيد هو الذي استعمل صالح بن عبد الرحمن على جباية الخراج، والغنى الزيادة التي كان الحجاج فرضها، فالخبر المذكور هنا فيه نظر وهو لتقديم تفسير وتبرير لضم خراسان إلى يزيد بن المهلب إلى جانب العراق، بينما لا يحتاج الأمر =

وجاء خبر خراسان ومقتل قتيبة فطمع يزيد في ولايتها، ودس عبد الله بن الأهثم على سليمان أن يوليه خراسان ولا يشعره بطلبته بذلك، وسيره على البريد، فقال له سليمان إن يزيد كتب إلي يذكر علمك بالعراق، فقال نعم بها ولدت وبها نشأت، ثم استشاره فيمن يوليه خراسان، ولم يزل سليمان يذكر الناس وهو يرددهم ثم حذره من وكيع وغدره، قال: فسَمُّ أنت، قال: شريطة الكمال والإجازة ممن أشير به وإذا علم يكره ذلك، ثم قال: هو يزيد بن المهلب، فقال سليمان: العراق أحب إليه، فقال ابن الأهثم: قد علمت ولكن نُكرهه فيستخلف على العراق ويسير إلى خراسان^(٤٥)، فكتب سليمان عهد يزيد على خراسان وبعثه مع ابن الأهثم، فلما جاءه بعث ابنه مخلدًا على خراسان^[٤٦]. وكانت قيس تطالب بثأر قتيبة وتزعم أنه لم يخلع فأوصى سليمان يزيد: إن أقامت قيس بيثة أنه لم يخلع أن يقيد به من وكيع^[٤٧].

= إلى تبرير، فقد كانت خراسان تابعة لولاية الحجاج أمير العراق فأصبحت كذلك لما تولى يزيد بن المهلب العراق، ويؤكد ذلك أنه لما كتب سليمان بعهد يزيد على خراسان بعث إليها ابنه مخلد بن يزيد ومكث يزيد أميراً والياً بالعراق.

[٤٦] - سار (مخلد بن يزيد بن المهلب) إلى خراسان وتولاها وعمره (١٨ عاماً) حيث قال الأصفهاني «.. وفد الكميث بن زيد إلى مخلد بن يزيد بن المهلب وهو يخلف أباه على خراسان وكان واليها وله ثماني عشرة سنة، ومدحه الكميث بقصيدته التي أولها «هلا سألت معالم الأطلال» كما مدحه بقصيدته التي يقول فيها «هلا سألت منازلًا بالأبرق» فأعطاه مخلد مائة ألف درهم سوى العروض والحملان، فقدم الكميث الكوفة في هيئة لم ير مثلها» [ص ١٩ ج ١٥/الأغاني] وقام مخلد بن يزيد بضبط أمور ولاية خراسان وما وراء النهر (آسية الوسطى) وكانت له فتوحات ومناقب، وقال حمزة بن بيض يشيد بمخلد بن يزيد قصيدة، منها:

.. فإنك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدب منهم ما نشأت ونعم لعمرك ما أدبوا
.. فهتمك فيها جسام الأمور وهمم لداك أن يلعبوا..

[ص ١٥ ج ١٥/الأغاني]

[٤٧] - كان ذلك لما بعث يزيد بن المهلب ابنه الأمير مخلد إلى خراسان حيث كما جاء في تاريخ الطبري والأغاني «تقدم مخلد إلى خراسان فأخذ وكيعاً فعاقبه وحبسه» [اهـ] وأصلح مخلد سائر أمور بلاد خراسان وما وراء النهر وأعاد وحدة وقوة العهد العربي الإسلامي، وأثنى عليه الناس والشعراء، وقال الشاعر حمزة بن بيض في قصيدة مدحه بها:

ليت المشارق والمغرب أصبحت تحيا وأنت أميرها وإمامها

[ص ٢٢ ج ١٥/الأغاني].

ثم سار يزيد بعده - أي بعد مخلد إلى خراسان - واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكمي^[٤٨] وعلى البصرة عبد الله بن هلال الكلابي، وعلى الكوفة حرملة بن عمير اللخمي ثم عزله لأشهر ببشير بن حيان النهدي^[٤٩].

فتح جرجان وطبرستان^[٥٠]

كان يزيد بن المهلب يريد فتحهما - أي جرجان وطبرستان - لما أنهما كانتا للكفار وتوسطا بين فارس وخراسان ولم يصبهما الفتح^(٥٠)، وكان يقول وهو في جوار سليمان بالشام إذا قُصت عليه أخبار قتيبة وما يفعله بخراسان وما وراء النهر: ما فعلت جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت قومس وأبرشهر^[٥١] ليست هذه الفتوح بشيء فالشأن في جرجان.

[٤٨] - هو الأمير اليميني القائد الجراح بن عبد الله الحكمي المذحجي وكان قد تولى البصرة في ولاية الحجاج للعراق - كما تقدم - ثم كان من الأمراء القادة في ولاية يزيد بن المهلب للعراق (عام ٩٦ - ٩٩هـ) فاستخلفه يزيد على واسط لما سار إلى خراسان.
ثم - كما ذكر البلاذري في فتوح البلدان: «وَلِيَ الجراح بن عبد الله الحكمي أرمينية فنزل برذعة - في أرمينية - فرجع إليه اختلاف مكابيلها وموازينها فأقامها على العدل والوفاء، واتخذ مكياً يدعى الجراحي، فأهلها يتعاملون به إلى اليوم» [ص ٢٠٨] وذلك في ولايته الأولى (٩٩هـ) أو في ولايته الثانية في عهد يزيد بن عبد الملك (١٠٤ - ١٠٥هـ) كما سيأتي - وقد ذكر البلاذري أن «عدي بن عدي بن عميرة الكندي» كان «والي أرمينية» في خلافة سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز - [ص ٢٠٨/ فتوح البلدان].

[٤٩] - يؤكد استخلاف يزيد هؤلاء الأمراء النواب على واسط والبصرة والكوفة - وهي مراكز ولاية العراق - على استمرار ولايته للعراق لما سار إلى خراسان (في شعبان أو شوال عام ٩٧هـ) فكان من نوابه بالعراق الجراح الحكمي بواسط وعبد الله بن هلال - ثم سفيان بن عبد الله الكندي - بالبصرة وحرملة اللخمي، ثم ببشير بن حيان النهدي القضاعي الحميري بالكوفة (عام ٩٧ - ٩٩هـ).

[٥٠] - بهذا العنوان انتقل ابن خلدون إلى وقائع فتح يزيد بن المهلب لجرجان وطبرستان وما جاورهما (ص ٧٢ ج ٣) وكان ذلك هو سبب مسير يزيد بن المهلب من العراق إلى خراسان في أواسط عام ٩٧هـ فمر على ابنه مخلد في مرو عاصمة خراسان ثم مضى منها قاصداً بلاد جرجان وطبرستان ودهستان في آخر عام ٩٧هـ أو مطلع عام ٩٨هـ.

(*) وكانت بلاد جرجان قد امتنعت عن الفتح من فجر الفتوحات «وحال أهل جرجان بين الناس والطريق الأعظم إلى خراسان وغيرها، فلم يكن أحد من المسلمين يسلك طريق خراسان إلا على وجل وخوف من أهل جرجان، فكان طريق المسلمين إلى خراسان من فارس إلى كرمان... ثم مرو خراسان» [ص ١٢٠ ج ٨/ تاريخ الطبري + ص ١٧٠ ج ٩ - البداية والنهاية].
[٥١] - جاء في الأصل المطبوع من تاريخ ابن خلدون هنا «وأفسدت يوسس ونيسابور» [ص ٧٢ ج ٣] =

فلما ولاه سليمان خراسان، سار إليها في مائة ألف من أهل العراق والشام وخراسان سوى الموالي والمتطوعة^[٥٢] ولم تكن جرجان يومئذ إنما هي جبال ومخارم يقوم الرجل على باب منها فيمنعه.

فتح دهستان

فابتدأ يزيد بدهستان^[٥٣] فحاصرها وبها طائفة من الترك، فكانوا يخرجون فيقاتلون وينهزمون في كل يوم ويدخلون حصنهم، ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه دهقان دهستان يسأل في الصلح ويسلم المدينة وما فيها فصالحه، وأخذ ما فيها من الأموال والكنوز والسبي ما لا يحصى، وقتل أربعة عشر ألفاً من الترك، وكتب إلى سليمان بذلك^[٥٤].

ثم سار يزيد إلى جرجان^[٥٥] وكان سعيد بن العاصي صالحهم على الجزية مائة ألف في السنة، فكانوا أحياناً يُجبون مائة وأحياناً مائتين وأحياناً ثلثمائة وربما أعطوا ذلك وربما منعوا ثم كفروا ولم يعطوا خراجاً ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا الطريق إلى خراسان وبقي أمر جرجان حتى جاء يزيد فصالحوه^[٥٦].

فتح طبرستان

ولما فتح يزيد دهستان وجرجان طمع في طبرستان، فاستعمل عبد الله بن

= وهو تصحيف والصواب «وأفسدت قومن وأبرشهر» وقد صوبناه من تاريخ الطبري وفتح البلدان والبداية والنهاية.

[٥٢] - تقدم تبين أنّ ولاية يزيد لخراسان كانت بالإضافة إلى العراق، وكان مسيره بهذا العدد الكبير لفتح البلدان الممتعة.

[٥٣] - جاء في الأصل المطبوع هنا وفي الفقرات التالية (قهستان) والصواب (دهستان) أما قهستان فكانت باتجاه الصين وافتتحها يزيد بن المهلب فيما بعد.

[٥٤] - افتتح يزيد بن المهلب دهستان في أوائل عام ٩٨هـ بعد معارك شديدة وحصار انتهى باستسلام ملك دهستان الدهقان، وكتب يزيد بالفتح والنصر إلى سليمان بن عبد الملك [ص ١١٨ - ١٩٩ ج ٨/ تاريخ الطبري].

[٥٥] - وقع في سياق ابن خلدون هنا تقديم وتأخير، والسياق الأدق أن يزيد بن المهلب لما افتتح دهستان سار إلى طبرستان وبدأ بفتح «البحيرة»، جزيرة في البحر بينها وبين دهستان خمسة فراسخ - في بحر قزوين حالياً - فافتتحها [ص ١٢٠ ج ٨/ الطبري] ثم افتتح (البياسان) و(اندرستان) [ص ١٢٢ ج ٨] ثم طبرستان وجرجان.

[٥٦] - أورد الطبري وقائع فتح يزيد بن المهلب لجرجان في سبع صفحات [ص ١٢٠ - ١٢٦ ج ٨] وسوف يورد ابن خلدون طرفاً من ذلك بعد فتح طبرستان وهو السياق الصحيح.

معمر اليشكري على بياسان ودهستان وخلف معه أربعة آلاف فارس، وسار يزيد إلى أدنى جرجان من جهة طبرستان ونزل بآمد واستعمل راشد بن عمرو في أربعة آلاف، ودخل بلاد طبرستان، فسأله صاحبها الأصبهذ في الصلح وأن يخرج من طبرستان، فأبى يزيد ورجا أن يفتحها، ووجه أخاه عيينة من وجهه، وابنه مخلد بن يزيد من وجهه وإذا اجتمعوا فعينة على الناس.

واستجاش الأصبهذ أهل جيلان والديلم، والثقوا، فانهزم المشركون وتبعهم المسلمون إلى الشعاب وصعد المشركون في الجبل فامتنعوا على المسلمين، وصعد أبو عيينة بمن معه خلفهم فهزمهم المشركون في الوعر فكفوا، وكاتب الأصبهذ أهل جرجان ومقدمهم المرزبان أن يبيتوا للمسلمين عندهم ليقطعوا المادة عن يزيد والطرق بينه وبين جرجان ووعدهم بالمكافأة على ذلك، فساروا بالمسلمين وهم غادون وقتل عبد الله بن معمر وجميع من بقي معه ولم ينج أحد. وكتبوا إلى الأصبهذ بأخذ المضايق والطرق، وبلغ ذلك يزيد وأصحابه فعظم عليهم وهالهم، وفرغ يزيد إلى حيان النبطي وكان قد غرّمه مائتي ألف درهم بسبب أنه كتب إلى ابنه مخلد كتاباً فبدأ بنفسه، فقال له: لا يمنعك ما كان مني إليك من نصيحة المسلمين وقد علمت ما جاءنا من جرجان فاعمل في الصلح، فأتى حيان الأصبهذ ومث إليه بنسب العجم وتنصل له وقتل له في الذروة والغارب حتى صالحهم الأصبهذ على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين وأربعمائة رجل، على يد كل رجل منهم ترس وطيلسان وجام من فضة وخرقة حرير وكسوة، فأرسل يزيد لقبض ذلك ورجع حيان^[٥٧].

[٥٧] - كان قبول الأصبهذ بمصالحة يزيد بن المهلب على أداء تلك الجزية الباهظة والأموال العظيمة للدولة العربية الإسلامية سنوياً بعد أن ألحق المسلمون بقيادة يزيد هزائم كبيرة بجيوش وقوم العدو في دهستان وطبرستان، منها ما أشار إليه ابن خلدون في فقرة سابقة من أنه «قتل أربعة عشر ألفاً من الترك» ومنها ما ذكره ابن خلدون في فقرة لاحقة من أنه «سار يزيد إلى البحيرة جزيرة في البحر على خمسة فراسخ من دهستان وهما من جرجان مما يلي خوارزم وحاصر - ملكها - صول شهراً حتى سأل الصلح على نفسه وماله وثلمائه ويسلم إليه البحيرة فأجابه يزيد وخرج صول عن البحيرة وقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً - (مجموع قتلى العدو في الحرب!) وأمر إدريس بن حنظلة أن يحصي ما في البحيرة ليعطي الجند فلم يقدر، وكان فيها من أنواع الطعام ومن الذهب والفضة شيء كثير» [ص ٧٣ ج ٣] ثم استسلم اصبهذ طبرستان واستجاب إلى الصلح على أموال وجزية عظيمة والدخول في طاعة الدولة الإسلامية، فتم بذلك فتح إقليم طبرستان.

فتح جرجان

. . ولما صالح يزيد أصهبذ طبرستان كما قدمناه سار إلى جرجان وعاهد الله إن ظفر بهم ليطحنّ القمح على سائل دمائهم ويأكل منه، فحاصرهم سبعة أشهر وهم يخرجون إليه فيقاتلونه ويرجعون وكانوا ممتنعين في الجبل والأوعار، وقصدهم رجل من عجم خراسان وانتهى إلى معسكرهم وعرف الطريق إليه ودل الأدلة على معالمه، وأتى يزيد فأخبره، فانتخب ثلثمائة رجل مع ابنه مخلد وضم إليه جهم بن زحر وبعثه وذلك الرجل يدل بهم، وواعدهم يزيد أن يناهضهم العصر من الغداة، ولما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطربت النيران ونظر العدو إلى النار فهالهم وحاموا للقتال آمنين خلفهم، فناشبههم يزيد إلى العصر، وإذا بالتكبير من ورائهم فهربوا إلى حصنهم واتبعهم المسلمون فأعطوا ما بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فقتل المقاتلة وسبى الذرية وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى وادي جرجان، ومكن أهل الثأر منهم . . وقتل منهم (في الحرب) أربعين ألفاً [٥٨].

[٥٨] - لما أتم يزيد بن المهلب فتح إقليم جرجان «كتب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك، أما بعد، فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً وصنع للمسلمين أحسن الصنع، فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف وكسرى بن قباد وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومن بعدهما من الخلفاء حتى فتح الله ذلك لأمير المؤمنين كرامة من الله وزيادة في نعمه عليه» [ص ١٢٦ ج ٨ - تاريخ الطبري].

وقد أدت الإجراءات التي اتخذها يزيد بن المهلب لما افتتح جرجان - بالرغم من مساوتها - إلى انتشار الأمان والإسلام في بلاد جرجان وطبرستان وما جاورها (دهستان والبحيرة وبياسان واندريستان) وتأمين الطريق منها إلى أرجاء خراسان (آسيا الوسطى) وإلى أرمينية (القوقاز) عبر القرون التالية . . وأشادت قصائد الشعراء بيزيد بن المهلب وفتوحاته العظيمة، ومنها قول حاجب بن ذبيان المازني:

كم من كميّ في الهياج تركته	يهوى لفيّه مجدلاً مقتولا
جللت مفسرق رأسه ذا رونق	عضب المهزة صارماً مصقولا
قدت الجياد وأنت غر يافع	حتى اكتهلت ولم تزل مأمولا . . .

(البحر).

وقال في قصيدة أخرى:

شم الغيث وانظر، ويك أين تبعجت	كلاه، تجدها في يد ابن المهلب
يداه يدٌ يخزي بها الله من عصي	وفي يده الأخرى حياة المعصب

وبنى يزيد مدينة جرجان ولم تكن بُنيت قبل، ورجع إلى خراسان، وولى على جرجان جهم بن زحر الجعفي^[٥٩] - [اه].

وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز

ثم توفي سليمان بدابق من أرض قنسرين سنة تسع وتسعين في صفر منها، وقد كان في مرضه أراد أن يعهد إلى ولده داود ثم استصغره، وقال له كاتبه رجاء بن حيوة^[٦٠] ابنك غائب عنك بقسطنطينية ولا يعرف حياته من موته، فعدل

= وقام يزيد بن المهلب بتشييد مدينة جرجان فأصبحت عاصمة لإقليم جرجان في تلك البلاد من آسية الوسطى.

[٥٩] - عاد يزيد من جرجان إلى مرو عاصمة بلاد خراسان، قال ابن كثير «وغزا يزيد بن المهلب قهستان من أرض الصين فحاصرها ولم يزل حتى تسلمها. . وأخذ منها من الأموال والأمتعة ما لا يجد ولا يوصف كثرة وقيمة وحسناً» [ص ١٧٥ ج٩].

قال الطبري «واستعمل يزيد بن المهلب على طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب، وعلى سمرقند وكش ونسف وبخارى معاوية بن يزيد بن المهلب» [ص ١٢١ ج٨] - كما استعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي، وكان مخلد معه بخراسان، وكان نواب يزيد بن المهلب في العراق (البصرة والكوفة) كما تقدم، وتمتد نيابتهم إلى بلاد فارس.

وفيما كان يزيد بن المهلب في خراسان بعد تلك الفتوحات، مات الخليفة سليمان بن عبد الملك في صفر عام ٩٩ هجرية، وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز، فقام عمر بتولية عمال جدد على البصرة والكوفة، واستمر يزيد بن المهلب والياً لخراسان وما إليها (آسية الوسطى) إلى عام ١٠٠ هجرية كما سيأتي. . ومما قيل في يزيد بن المهلب قول الشاعر عبد الملك بن سلام السلولي:

ما زال سيبك يا يزيد بحوزتي حتى ارتويتُ وُجودكمُ لا ينكرُ
أنت الربيع إذا تكونُ حُصاصةً عاش السقيم به وعاش المقتُرُ
فسقاك ربك حيث كنت مخيلةً ربا سحائبها تروحُ وتبكرُ

[ص ١٢٢ ج٨/ الطبري].

[٦٠] - هو الوزير الأمير اليميني رجاء بن حيوة الكندي، ولم يكن كاتباً لسليمان وإنما كان وزير سليمان وأمير فلسطين، وكان - كما وصفه ابن كثير - : «كان كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية» [ص ٣٠٤ ج٩/ البداية والنهاية].

(*) فلما مرض سليمان وأراد أن يكتب باستخلاف أحد أبنائه «قال له رجاء: ما تصنع يا أمير المؤمنين؟ إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على الناس الرجل الصالح، فقال سليمان: أنا أستخير الله ولم أعزم» ثم صرف سليمان - بعد يومين - النظر عن استخلاف ابنه داود بمشورة رجاء بن حيوة ثم قال سليمان «فكيف ترى عمر بن عبد العزيز؟ فقال رجاء: اعلمه والله فاضلاً خيراً، قال سليمان: هو كذلك» [ص ١٥٢ ج٣/ الكامل]. وكان قرار سليمان =

إلى عمر بن عبد العزيز، وقال له: إني والله لأعلم أنها تكون فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده^(٦٠)، وكان عبد الملك قد جعل ذلك له.

وكتب (سليمان) بعد البسملة: هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعدك يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم^[٦١] وختم الكتاب، ثم أمر كعب بن جابر العنسي صاحب الشرطة^[٦٢] أن يجمع أهل بيته، وأمر رجاء بن حيوة أن يدفع لهم كتابه، وقال أخبرهم أنه كتابي فليبايعوا من وليت فيه، فبايعوا رجلاً رجلاً وتفرقوا^[٦٣] وأتى عمر إلى رجاء يستعلمه ويناشده الله والمودة ليستعفى من ذلك، فأبى، وجاء هشام أيضاً يستعلمه ليطلب حقه في الأمر، فأبى، فانصرف أسفاً أن يخرج الأمر من بني عبد الملك^(٦٣).

ثم مات سليمان فجمع رجاء أهل بيته فقرأ عليهم الكتاب، فلما ذكر عمر، قال هشام: والله لا نبايعه، فقال له رجاء: والله نضرب عنقك، فقام أسفاً يجرح رجليه حتى جاء إلى عمر بن عبد العزيز وقد أجلسه رجاء على المنبر، فبايعه^(٦٣) واتبعه الباقون، ودُفن سليمان وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

وكان (يزيد بن عبد الملك) غائباً عن موت سليمان ولم يعلم بببيعة عمر،

= بأن يجعل يزيد بعد عمر للسبب الذي ذكره ابن خلدون هنا ليس إلا، فقد كان غير محمود السيرة.

[٦١] - كان كاتب سليمان بن عبد الملك هو «سليمان بن نعيم الحميري» وقيل «سلامة بن نعيم» ولا بد أنه كتب الكتاب.

[٦٢] - هو القائد اليميني كعب بن جابر العنسي قائد وصاحب شرطة سليمان بن عبد الملك، وبالتالي قائد الشرطة في عاصمة دولة الخلافة، فقال له سليمان: ادع بني مروان، فأرسل كعب إلى بني مروان وجمعهم إلى بيت سليمان وهو مريض مرض الموت.

[٦٣] - أخذ منهم رجاء بن حيوة البيعة لمن اسمه في الكتاب دون ذكر الاسم فبايعوا، ثم قالوا له: ندخل ونسلم علي أمير المؤمنين فقال رجاء: نعم، فدخلوا وسلموا عليه وأكدوا مبايعتهم لمن اسمه في الكتاب وانصرفوا. . . لذلك أتى كل من عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك يستعلمون رجاء بن حيوة عن الذي له البيعة فأبى أن يخبرهم. . .

(*) وفي اليوم التالي مات سليمان فكتب رجاء الخبر واستدعى بني مروان إلى المسجد وقام بترتيب الحرس مع كعب بن جابر في الغرفة والمسجد، فلما اجتمعوا طلب منهم أن يبايعوا لمن في الكتاب مرة ثانية، فبايعوا بوجود شخصيات الدولة، ثم أعلن رجاء موت سليمان وقرأ الكتاب باستخلاف عمر بن عبد العزيز، وهدد هشام بن عبد الملك كما هو مذكور في نص ابن خلدون هنا، فتمت المبايعات لعمر بالخلافة.

فَعَقَدَ لَوَاءً وَدَعَا لِنَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى دِمَشْقَ ثُمَّ بَلَغَهُ عَهْدُ سَلِيمَانَ فَجَاءَ إِلَى عَمْرٍ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ بَلَّغْنِي أَنَّ سَلِيمَانَ لَمْ يَعْهَدَ فَخَفْتُ عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْ تُنْهَبَ، فَقَالَ عَمْرٌ: لَوْ قَمْتُ بِالْأَمْرِ لَقَعَدْتُ فِي بَيْتِي وَلَمْ أَنْزَعَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَحِبُّ لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرَكَ [٦٤] - اهـ - .

من الولاية في خلافة عمر بن عبد العزيز [٦٥]

وَاسْتَعْمَلَ عَمْرٌ - فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ - عَلَى الْبَصْرَةِ عَدِيَّ بْنَ أَرْطَأَةَ الْفَزَارِيَّ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدِ بْنِ الْخَطَّابِ [٦٦] وَوَلَّى عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ أَرْطَأَةَ [٦٧].

وَوَلَّى عَلَى أَفْرِيْقِيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ [٦٨].
وَعَلَى الْأَنْدَلُسِ السَّمْحَ بْنَ مَالِكِ الْخَوْلَانِيَّ [٦٩].

[٦٤] - لَمْ يَكُنْ بِمَقْدُورِ يَزِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَلَا غَيْرِهِ سِوَى قَبُولِ الْأَمْرِ الْوَاقِعِ وَلَوْ إِلَى حِينٍ! ...
[٦٥] - انْتَقَلْنَا هُنَا إِلَى حَدِيثِ ابْنِ خَلْدُونَ عَنِ الْوَلَاةِ [ص ١٣٨ ج ٣] وَلَمْ يَذْكَرْ ابْنَ خَلْدُونَ وَالِيَّ الْيَمَنِ حَيْثُ اسْتَمَرَ (عُرُوقُ بَنِ مُحَمَّدِ السَّعْدِيِّ وَالْيَأْ لِيْمَنِ فِي خِلَافَةِ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ثُمَّ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ) كَمَا سَلَفَ التَّبَيُّنُ.

[٦٦] - كَانَ عَلَى الْعِرَاقِ (الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ) فِي خِلَافَةِ سَلِيمَانَ يَزِيدِ بْنِ الْمَهْلَبِ ثُمَّ نَوَّابَهُ لَمَّا سَارَ إِلَى خِرَاسَانَ، فَلَمَّا تَوَلَّى عَمْرُ الْخِلَافَةَ (صَفَرُ ٩٩ هـ) وَوَلَّى عَدِيَّ بْنَ أَرْطَأَةَ وَعَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةَ لَمْ يَعْهَدَ يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ وَالْيَأْ عَلَى الْعِرَاقِ وَإِنَّمَا اسْتَمَرَ وَالْيَأْ عَلَى خِرَاسَانَ وَمَا إِلَيْهَا مِنْ أَسْيَا الْوَسْطَى حَيْثُ كَمَا جَاءَ فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ: «كَتَبَ عَمْرٌ لَمَّا وَتَّى الْخِلَافَةَ إِلَى يَزِيدِ بْنِ الْمَهْلَبِ بِخِرَاسَانَ: أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ سَلِيمَانَ كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَبَضَهُ وَاسْتَخْلَفَنِي.. وَإِنَّ الَّذِي وَلَانِي اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَقَدَّرَ لِي لَيْسَ عَلَيَّ يَهِينٌ، وَقَدْ بَايَعَ مِنْ قَبْلُنَا، فَبَايَعَ مِنْ قَبْلِكَ، فَلَمَّا قَدَّمَ الْكِتَابَ عَلَى يَزِيدِ بْنِ الْمَهْلَبِ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَبَايَعُوا» [ص ١٣٨ ج ٨]. وَسَيَأْتِي نَبَأُ يَزِيدَ بَعْدَ ذَلِكَ (عَامَ ١٠٠ - ١٠١ هـ) - كَمَا أوردَهُ ابْنُ خَلْدُونَ بِالتَّفْصِيلِ.

[٦٧] - ذَكَرَ ابْنُ خَلْدُونَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ (ص ٧٦ ج ٣) أَنَّ وَالِيَّ عَمْرِ عَلَى الْمَدِينَةِ كَانَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ الصَّوَابُ.

[٦٨] - هُوَ - كَمَا فِي الْكِتَابِ الْجَامِعِ وَكِتَابِ الْكَامِلِ وَغَيْرِهِمَا - إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمَهَاجِرِ الْأَنْصَارِيِّ بِالْوَلَاءِ (مَوْلَى الْأَنْصَارِ) وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ (عَامَ ٩٩ - ١٠١ هـ) ثُمَّ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ لِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ (عَامَ ١٠١ هـ) وَشَهِدَتْ الْمَغْرِبَ مُضْطَرَبًا، ثُمَّ تَوَلَّاهَا الْأَمِيرُ الْيَمَنِيُّ بَشْرُ بْنُ صَفْوَانَ الْكَلْبِيِّ (١٠٢ - ١٠٩ هـ) وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَمَا سَيَأْتِي، فَاسْتَقَرَّتْ أُمُورُ الْمَغْرِبِ.

[٦٩] - هُوَ الْأَمِيرُ الْيَمَنِيُّ السَّمْحُ بْنُ مَالِكِ الْخَوْلَانِيَّ أَمِيرَ الْأَنْدَلُسِ وَالْفَاتِحَ الْعَرَبِيَّ الْأَوَّلَ لِفَرَنْسَا، وَكَانَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ مُضْطَرَبًا وَالْمَخَاطِرَ الدَّاخِلِيَّةَ وَالخَارِجِيَّةَ تَحِيْطُ بِهِمْ، فَقَامَ =

ثم في سنة إحدى ومائة عزل إسماعيل عن أفريقية وولاها يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج، فلم يزل عليها إلى أن قُتل^(٦٨) وكان على مصر أسامة بن زيد وليها بعد قرّة بن شريك^[٧٠].

خبر عزل يزيد بن المهلب وحجسه والولاية على أعماله^[٧١]

ولما استقرت البيعة لعمر كتب في سنة مائة إلى يزيد بن المهلب أن يستخلف

= عمر بن عبد العزيز بتولية السمع بن مالك الخولاني على الأندلس عام ٩٩هـ وأمره بدراسة وتقييم الوضع ليتخذ عمر قراراً ببقاء أو انسحاب المسلمين من الأندلس، يقول المؤرخ الفرنسي جوزيف رينو: «وكان السمع بن مالك الخولاني مُدبراً حكيماً وقائداً بأسلاً وسائساً حازماً ذا دراية بتسيير الأمور، فقام بإصلاح الأمور ورتق الفتوق، ووازن بين الدخل والخرج، وأنصف الجند في المرتبات. . واستمال الإسبان المسيحيين وعاملهم معاملة عادلة كريمة أدت إلى إرضائهم. . وكتب السمع إلى الخليفة عمر قائلاً: إن الإسلام ينمو وينتشر وتمتد شماريخه بسرعة، وأنه لا يبعد اليوم الذي تصبح فيه تلك البلاد بأسرها تابعة لدين الإسلام» [ص ٧١ - رينو]. وقام السمع بأعمال عمرانية واسعة كان من أهمها تسوير مدينة قرطبة وبناء قنطرة قرطبة لأول مرة.

(*) وفي عام ١٠٠ هجرية (٧١٩م) - وكما يذكر المؤرخ الفرنسي جوزيف رينو - «أجاز السمع بن مالك من إسبانيا إلى بلاد فرنسا تفيض بجيوشه أقطارها. . ومضى فاتحاً جنوب فرنسا حتى افتتح مدينة اربونة NARBONNE وقام بتحصينها ووضع الحاميات في المدن المجاورة» [أه] فاستمرت اربونة بيد العرب نحو ثلاثة قرون وازدهرت آنذاك، وباسم السمع سُمي شارع السمع (Rue de Zama) في اربونة الذي يحمل اسم ذلك الأمير اليميني العربي الفاتح حتى اليوم.

(**) وفي عام ١٠١ هـ (٧٢٠م) تقدم السمع داخل فرنسا وافتتح (البيرائه) و(لانغدوق) و(دوقية اكيثانية).

(***) وفي عام ١٠٢ هـ (٧٢١م) حاصر السمع مدينة تلوزة، وأرسل قسماً من الجيش بقيادة عنبة الكلبي وعبد الرحمن الغافقي لفتح جهات من شرق جنوب فرنسا، وبينما كان السمع يحاصر مدينة تلوزة أقبل جيش افرنجي كبير من سائر بقية أرجاء فرنسا، فاستشهد السمع في تلوزة بعد ملحمة وبطولة نادرة عام ١٠٢ هـ وقيل عام ١٠٣ هـ.

[٧٠] - كان أسامة بن زيد التنوخي اليماني صاحب ديوان الخراج بمصر فتولاها بالنيابة فترة سيرة، أما ولاة مصر بعد قرّة بن شريك فكان «عبد الملك بن رفاعة اللخمي والي مصر في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ) ثم الأمير اليميني أيوب بن شرحبيل بن الصباح الحميري والي مصر في خلافة عمر بن عبد العزيز، وكانت مدة ولايته سنتين ونصف - ومات بمصر في عام ١٠١ هـ وانتقل من اليمن إلى مصر في عهده خمسة آلاف رجل» [ص ٢١٣/الجامع لبا مطرف].

[٧١] - بهذا العنوان أورد ابن خلدون نبأ عزل يزيد عن خراسان [ص ٧٥ ج ٣] والحبس المزعوم =

على أعماله ويقدم، فاستخلف مخلداً ابنه وقدم من خراسان [٧٢].

وقد كان عمر ولي على البصرة عدي بن أرطأ الفزاري، فكتب إلى عدي بن أرطأة أن يقبض على يزيد بن المهلب ويبعثه مقيداً، فلما نزل يزيد واسط وركب السفن يريد البصرة، بعث عدي بن أرطأة موسى بن الرحبية الحميري فلقبه في نهر معقل عند الجسر فقيده وبعث به إلى عمر [٧٣].

وكان عمر يبغضه ويقول إنه مرء وأهل بيته جابرة [٧٤] فلما طالبه بالأموال التي كتب بها إلى سليمان من خمس جرجان، قال إنما كتبت لأسمع الناس وعلمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بذلك، فقال له عمر: اتق الله وهذه حقوق المسلمين لا يسعني تركها ثم حبسه بحصن حلب [٧٥].

= ولم يورد أي تفصيل لأحداث عهد عمر بن عبد العزيز سوى ذلك ونياً عمال خراسان بعده، وقد نقل ابن خلدون في هذا الخبر روايات ضعيفة نقلها الرواة دون تحقيق ودون ربط للوقائع وإدراك وجه الحقيقة.

[٧٢] - مؤدى هذا السياق أن البيعة لم تستقر لعمر إلا في عام ١٠٠هـ بينما الصحيح أن البيعة له استقرت منذ البداية (صفر ٩٩هـ) وأخذ له يزيد البيعة بخراسان كما تقدم ومكث يزيد والياً على خراسان في خلافة عمر إلى أوائل عام ١٠٠هـ ثم كتب إليه عمر بالقدوم إليه وأن يستخلف على أعماله فاستخلف يزيد على خراسان مخلد بن يزيد وتوجه إلى دمشق.

[٧٣] - قد يكون أصل هذا الخبر أن يزيد بن المهلب لما وصل إلى واسط وركب السفن يريد البصرة قام بمرافقته موسى الحميري - بتعليمات من عمر إلى عامل البصرة - فاختلف البعض مزاعم القبض والقيود مما يتناقض مع مسير يزيد بنفسه قاصداً دمشق.

[٧٤] - تزعم الرواية أن عمر بن عبد العزيز كان يبغض يزيد بن المهلب وآل المهلب ويقول إن آل المهلب جابرة، ومثل ذلك إنما يليق بالحجاج وليس عمر بن عبد العزيز، وقد استمر أغلب آل المهلب في أعمالهم بعد استدعاء يزيد إلى دمشق، فقد كان مخلد بن يزيد والياً لخراسان بعد أبيه وكان مدرك بن المهلب أميراً على سجستان، ومعاوية بن يزيد بن المهلب أميراً على سمرقند وبخارى وحاتم بن قبيصة أميراً على طخارستان.

[٧٥] - لم يكن عمر بن عبد العزيز ليطلب يزيد بن المهلب بأموال أو يحبسه إلا بينة، بينما ذكر ابن خلدون في فقرة لاحقة قدوم مخلد بن يزيد إلى عمر، وقول مخلد لعمر «يا أمير المؤمنين إن كانت لك بينة فخذها بها... الخ» وكذلك ذكر ابن كثير [ص ١٨٨ ج ٩] وبموجب الرواية يكون عمر حبس يزيد بدون بينة، مطالباً إياه بأموال، ولم يوافق على اليمن ولا على دفع المبلغ المزعوم من يزيد ولا مخلد، وهو موقف لا يتفق مع عقل ولا منطق ويدل على التلفيق الواضح من بعض القصاصين لخبر الحبس، وإن أصل الواقعة لا تتجاوز أن عمر بن عبد العزيز أراد بقاء يزيد بن المهلب في دمشق أو حلب لاعتبارات استحسناها، فلما أتى مخلد أفنعه عمر بذلك، قال ابن كثير «وكان عمر يقول: مخلد خير من أبيه» [ص ١٨٨].

وبعث عمر الجراح بن عبد الله الحكمي والياً على خراسان مكانه [٧٦] وانصرف
مخلد بن يزيد فقدم على عمر واستعطفه لأبيه (٧٥) وقال له: يا أمير المؤمنين إن كانت
لك بيّنة فخذها بها وإلا فاستحلفه وإلا فصالحه أو فصالحني على ما تسأل، فأبى عمر
ذلك، وشكر من مخلد ما فعل (٧٥) ثم البس يزيد جبة صوف وحمله على جمل
ليسيره إلى دهلك. . فدخل سلامة بن نعيم الخولاني على عمر وقال أردد يزيد إلى
محبسه لئلا يتزعه قومه فإنهم قد غضبوا فرده إلى أن كان من أمر فراره ما نذكر [٧٧].

ولاية الجراح ثم عبد الرحمن بن نعيم على خراسان

ولما عزل يزيد عن خراسان وكان عامل جرجان جهم بن زحر الجعفي،
أرسل عامل العراق على جرجان عاملاً مكانه فحبسه جهم وقيده، فلما جاء الجراح
إلى خراسان أطلق أهل جرجان عاملهم، ونكر الجراح على جهم ما فعل وقال:
لولا قربتك مني ما سوغتك هذا، يعني أنّ حكماً وجعفاً معا ابنا سعد العشيرة [٧٨].
ثم بعث - الجراح البعوث - في الغزو، ووفد على عمر وفد فكلّم فيه بعضهم
عمر بأنه يغزي الموالي بلا عطاء ولا رزق، ويؤاخذ من أسلم من أهل الذمة
بالخراج، فكتب عمر إلى الجراح انظر من صلى قبلك فخل عنه الجزية فسارع
الناس إلى الإسلام فراراً من الجزية، فامتحنهم بالختان، وكتب إلى عمر بذلك،
فكتب إليه عمر أن الله بعث محمداً داعياً ولم يبعثه جابياً، واستقدم الجراح
واستخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم القشيري [٧٩]. .

[٧٦] - كان الجراح بن عبد الله الحكمي من نواب يزيد بن المهلب ثم تولى أرمينية كما تقدم في
أواخر عهد سليمان إلى خلافة عمر ثم ولاه عمر على خراسان كلها - أو بعضها - عام ١٠٠
هجريّة مع وجود مخلد بن يزيد وغيره من العمال الأمراء في أقاليم خراسان.

[٧٧] - يذكر ابن خلدون في فرار يزيد لما أدرك الموت عمر بن عبد العزيز سبباً حقيقياً يدحض
ما ورد هنا من تلفيقات، فقد كان يزيد بن عبد الملك وراء استدعاء يزيد بن المهلب وتقيد
إقامته في دمشق أو حلب حتى وفاة عمر كما سيأتي.

[٧٨] - يعني أن قبيلة حكم وقبيلة جعفي من قبائل سعد العشيرة المذحجية اليمنية وتلك هي
القرابة بينهما.

[٧٩] - كانت ولاية الجراح بن عبد الله الحكمي على خراسان في خلافة عمر نحو خمسة أشهر،
وقال ابن كثير (سنة وخمسة أشهر إلى رمضان عام ١٠٠هـ) وكان الجراح قبل ذلك أميراً
على أرمينية، كما تولى أرمينية منذ خلافة سليمان بن عبد الملك (الأمير اليمني عدي بن
عميرة الكندي) قال البلاذري «وولى سليمان بن عبد الملك عدي بن عدي بن عميرة
الكندي بلاد أرمينية ثم ولاه إياها عمر بن عبد العزيز، وهو صاحب نهر عدي بالبيلقان»
[ص ٢٠٨/ فتوح البلدان].

وفاة عمر بن عبد العزيز وبيعة يزيد بن عبد الملك

ثم توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان ودفن بها لسنتين وخمسة أشهر من ولايته ولأربعين من عمره. . . ولما مات ولي بعده يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان كما تقدم، وقيل لعمر حين احتضر أكتب إلى يزيد فأوصه بالأمة فقال بماذا أوصيه إنه من بني عبد الملك، ثم كتب: أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تُقال العثرة ولا تقدر على الرجعة إنك تترك ما أترك لمن لا يحمدك وتصير إلى من لا يعذرك والسلام.

ولما ولي يزيد عزل أبا بكر بن محمد بن عمر بن حزم الأنصاري عن المدينة وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، وغير كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز، وكان من ذلك شأن خراج اليمن، فإن محمداً أخا الحجاج جعل عليهم خراجاً مجدداً وأزال ذلك عمر إلى العشر أو نصف العشر وقال: لئن يأتيني من اليمن حبة ذرة أحب إليّ من تقرير هذه الوظيفة، فلما ولي يزيد أعادها وقال لعامله خذها منهم ولو صاروا حرضاً^[٨٠] - [أه] - .

ثورة يزيد بن المهلب^[٨١]

يزيد بن المهلب يلحق بالبصرة

قد تقدم لنا خبر يزيد بن المهلب فلم يزل محبوساً^[٨٢] حتى اشتد مرض

= قال ابن كثير «وقال البخاري في صحيحه: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وستناً، من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص» [ص ١٨٩ ج ٩/ البداية والنهاية].

وقد تولى خراسان بعد الجراح الأمير اليميني أيضاً عبد الرحمن بن نعيم إلى أيام يزيد بن عبد الملك.

[٨٠] - كان والي اليمن في خلافة سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز هو (عروة بن محمد السعدي) وساد اليمن في عهده العدل والاستقرار، فلما تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك عزل عروة عن ولاية اليمن، وولى (مسعود بن عوف الكلبي) على اليمن، وربما كانت تولية مسعود بن عوف الكلبي بعد ثورة يزيد بن المهلب.

[٨١] - عاد ابن خلدون، بعد خبر وفاة عمر وبيعة يزيد بن عبد الملك - كما تقدم - إلى خبر يزيد بن المهلب [ص ٧٦ ج ٣] وقد استحدثنا هذا العنوان لأن سائر المصادر والدراسات تستخدم مصطلح ثورة يزيد بن المهلب، بصرف النظر عن أنه بويغ بالخلافة كما سيأتي.

[٨٢] - تقدم تبين أن أصل ما قيل عن حبس يزيد بن المهلب تدل القرائن على إنما هو إقامته =

عمر بن عبد العزيز فعمل في الهرب مخافة يزيد بن عبد الملك؛ لأن زوجته بنت أخي الحجاج، وكان سليمان أمر ابن المهلب بعذاب قرابة الحجاج كلهم، فنقلهم من البلقاء وفيهم زوجة يزيد بن عبد الملك وعذبتها، وجاءه يزيد بن عبد الملك إلى منزله شافعاً فلم يشفعه، فضمن حمل ما قرّر عليها فلم يقبل، فتهدده، فقال له ابن المهلب: لئن وليت أنت لأرمينك بمائة ألف سيف، فحمل يزيد بن عبد الملك عنها مائة ألف دينار^[٨٣]، ولما اشتد مرض عمر خاف ابن المهلب من ذلك، وأرسل إلى مواليه أن يغدوا له بالإبل والخيول في مكان عينه لهم، وبعث إلى عامل حلب باشفاقه من يزيد بن عبد الملك وبذل له المال وإلى الحرس الذين يحفظونه فخلّى سبيله وأتى إلى دوابه فركبها ولحق بالبصرة^[٨٤]، وكتب إلى عمر: إني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك^[٨٥] ولكن خفت أن يقتلني يزيد شر قتلة^(٨٥)، فقرأ عمر الكتاب وبه رمق،

= بدمشق أو حلب لاعتبارات استحسناها عمر بن عبد العزيز في ذلك لما أعفاه من ولاية خراسان واستقدمه إلى دمشق عام ١٠٠هـ.

[٨٣] - جاء هذا الخبر في كتاب البداية والنهاية لابن كثير بأنه «كان يزيد بن عبد الملك يقول: لئن وليت لأقطعن من يزيد بن المهلب طائفة. وذلك أنه لما ولي العراق عاقب بيت الحجاج أصهار يزيد بن عبد الملك» [ص ٩١/٩]. وهذا السياق أكثر منطقية لأن من غير المعقول أن يقوم ابن المهلب بتعذيب زوجة يزيد بن عبد الملك وهو أخو الخليفة سليمان بن عبد الملك آنذاك، فأصل الأمر هو - إذن - النعمة على يزيد بن المهلب منذ تولى العراق ومشارقتها في خلافة سليمان (٩٦ - ٩٩هـ) فكان يزيد بن عبد الملك ناقماً على ابن المهلب ويتوعد ويتهدد منذ تلك الفترة للسبب المذكور أو لغيره من الأسباب.

فلما تولى عمر الخلافة كان يزيد بن عبد الملك هو الخليفة بعده - أي بمثابة ولي العهد - وله مكانته وقدرته وسلطته، ولا يمكن القول بأنه لا يمكن أن يشير على عمر بتولية عدي بن أرطاة على البصرة وعبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة، لما ولاهما عمر على البصرة والكوفة - بل إن الوقائع اللاحقة تؤكد أنهما من رجال وطينة يزيد بن عبد الملك، فاقترضت ولاية يزيد بن المهلب على خراسان، ولا يمكن القول بأن يزيد بن عبد الملك لا يمكن أن يشير بعزل ابن المهلب عن خراسان وأكثر من ذلك، وإن عمر اكتفى باستقدمه إلى دمشق وأن يقيم فيها أو في حلب فذلك هو الأقرب إلى الصحة.

[٨٤] - إن وجود المهلب في حلب - أو كما في الطبري والكامل - بدمشق، ومعه مواليه وعلمانه ورواحله من الإبل والخيول يؤكد أنه لم يكن سجيناً وإنما كان مقيماً هناك بأمر الخليفة عمر فلم يجد صعوبة في مغادرتها واللحاق بالبصرة. [٨٤]

[٨٥] - جاء في نص الطبري أنه «كتب إلى عمر: إني والله ما خرجت إلا حين بلغني مرضك، ولو رجوت حياتك ما خرجت، ولكني خشيت من يزيد بن عبد الملك» - ص ١٩١ ج ٩/ وهذه الصيغة تؤكد مجمل ما تقدّم.

فقال اللهم إن كان ابن المهلب يريد بالمسلمين سوءاً فأحِقْ به وهُضْبه [٨٦]، اهـ.

بدايات ثورة ابن المهلب

فلما بويح ليزيد بن عبد الملك [٨٧]، كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة وعدي بن أرطاة بالبصرة، بهربه والتحرز منه، وأمر عدي أن يأخذ آل المهلب بالبصرة فحبس المفضل وحبيب ومروان ابني المهلب، وبعث عبد الحميد من الكوفة جنداً عليهم هشام بن ساحق بن عامر فأتوا العذيب، ومرّ يزيد بن المهلب عليهم فوق الطقطقانة فلم يقدموا عليه [٨٨]، ومضى نحو البصرة، وقد جمع عدي بن أرطاة أهل البصرة وخذق عليها وبعث على خيلها المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي، وجاء يزيد في أصحابه الذين معه وانضم إليه أخوه محمد (بن المهلب) فيمن اجتمع إليه من قومهم، وبعث عدي بن أرطاة على كل خمس من أخماس البصرة رجالاً، فعلى الأزد المغيرة بن زياد بن عمر العتكي، وعلى تميم محرز بن حمدان السعدي، وعلى بكر نوح بن شيبان بن مالك بن مسمع، وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود، وعلى أهل العالية عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، وهم - أي أهل العالية - قريش وكنانة وبجيلة وختعم وقيس عيلان ومزينة، فلم يعرضوا ليزيد [٨٩]، وأقبل فنزل، واختلف الناس إليه (٨٩)،

[٨٦] - جاء في نص الطبري أنه «قال عمر: اللهم إن كان ابن المهلب يريد بالأمة سوءاً فاكفهم شره» [اهـ] فدعاء عمر يحتمل أنه لا يريد بالمسلمين شراً وإنما خيراً. فقد كان الشر - كل الشر - هو يزيد بن عبد الملك.

[٨٧] - بويح ليزيد بن عبد الملك غداة وفاة عمر بن عبد العزيز بموجب عهد سليمان في رجب ١٠١هـ وقد وصفه - فيما بعد - أبو حمزة بن عوف الأزدي الخارجي بأنه «غلام سفیه غیر مأمون على شيء من أمور المسلمين، يأكل الحرام ويشرب الحرام... وكان يُجلس حيابة عن يمينه وسلامة عن شماله تغنيانه بمزامير الشيطان، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصاً بعينها، حتى إذا أخذ الشرب منه كل مأخذ قد ثوبه ثم التفت إلى إحداهن فقال: ألا أظير... أتأذنان لي أن أظير...» [اهـ].

[٨٨] - لم يتعرض يزيد بن المهلب للكوفة والقوات المتمركزة فيها بمعية هشام بن ساحق (ذو القطيفة) وإنما تياسر عنهم إلى البصرة فقال الفرزدق:

وسار ابن المهلب لم يُعَرَّجْ وعَرَسَ ذو القطيفة من كنانة
وياسر والتياسر كان حزمأ ولم يقرب قصور الطقطقانة

[٨٩] - بل وجه عدي بن أرطاة قوة بقيادة المغيرة الثقفي فحمل عليهم محمد بن المهلب في الخيل فانهمزوا ودخل يزيد جانباً من البصرة.

وأرسل إلى عدي بن أرطاة أن يطلق له إخوته فينزل البصرة حتى يأخذ لنفسه أماناً من يزيد (بن عبد الملك)، وبعث حميد بن أخيه عبد الملك بن المهلب يستأمن له من يزيد بن عبد الملك فأجاره خالد القسري وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد بن عبد الملك له ولأهله، وقد كان (يزيد بن المهلب) بعد منصرف حميد فرّق في الناس قطع الذهب والفضة فانثالوا عليه، وعدي بن أرطاة يعطي درهمين درهمين^[٩٠]، ثم تناجزوا الحرب، وحمل أصحاب يزيد على أصحاب عدي فانهمزوا، ودنا يزيد من القصر وخرج عدي بنفسه فانهمز أصحابه^[٩١]، وخاف أخوة يزيد وهم في الحبس أن يقتلوا قبل وصوله فأغلقوا الباب وامتنعوا، فجاءهم الحرس يعالجون الباب فأجفلهم الناس عنه، فخلوا عنهم، وانطلقوا إلى أخيه، ونزل يزيد دار مسلم بن زياد إلى جنب القصر، وتسوّر القصر بالسلام وفتحته، وأتى بعدي بن أرطاة فحبسه^[٩٢].

تصعيد الثورة ومبايعة ابن المهلب

«ولما ظهر يزيد بن المهلب على البصرة استوثق له أهل البصرة»^[٩٣] وهرب

[٩٠] - وفي ذلك قال الفرزدق:

أظنّ رجال الدرهمين يسوقهم إلى الموت آجال لهم ومصارعُ
فأحزمهم من كان في قعر بيته وأيقن أن الأمر لا شك واقعُ

[٩١] - وكان أصحاب عدي بن أرطاة من تميم وقيس متمركزين بالمربد فوجه إليهم يزيد بن المهلب قوة بقيادة دارس فأجفلوا وهربوا منهزمين فقال الفرزدق في ذلك:

تفرقت الحمراء إذ صاح دارسُ ولم يصبروا تحت السيوف الصوارم
جزى الله قيساً عن عدي ملامة ألا صبروا حتى تكون ملاحمُ

[٩٢] - وبذلك أصبحت البصرة بيد يزيد بن المهلب.

[٩٣] - أورد ابن خلدون خير مبايعة يزيد بن المهلب في فقرة لاحقة بصيغة «استوثق له أهل

البصرة، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان . . الخ» - كما سيأتي - وبما أن السياق السليم للأحداث هو وقوع ذلك بعد ظهوره على البصرة وحبس عاملها عدي بن أرطاة، استلزم أن نشير إلى ذلك هنا لترباط الأحداث، ومن نصوص ذلك الحدث التاريخي:

أ - قال ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: «استحوذ يزيد بن المهلب على البصرة، وذلك بعد محاصرة طويلة وقاتل طويل، فلما ظهر عليها بسط العدل في أهلها وبذل الأموال وبعث نوابه في الجهات والنواحي . . وقد بايعوه على السمع والطاعة وعلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى أن لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج» [ص ٢٢٠ ج ٩].

ب - وجاء في تاريخ الأمم والملوك للطبري: «إن يزيد بن المهلب لما استجمع له البصرة قام =

رؤوس البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر إلى الكوفة والشام^[٩٤]، وخرج المغيرة بن زياد بن عمر العتكي إلى الشام فلقي خالداً القسري وعمر بن يزيد الحكمي وقد جاؤوا بأمان يزيد بن المهلب مع حميد بن أخيه، فأخبرهما بظهور يزيد على البصرة وحبسه عدياً، فرجعا إلى وعد لهما، ولم يُقبِلَا^[٩٥]، وقبض عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة على خالد بن يزيد بن المهلب^[٩٦] وحماد بن

= فيهم فحمد الله وأثنى عليهم ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ. وكان النظر بن أنس بن مالك يدعو الناس إلى يزيد بن المهلب ويقول: يا عباد الله ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز» [ص ١٤٨ - ١٤٩ ج٨] فكان موقف النظر بن أنس بن مالك مثل موقف أبيه الصحابي أنس بن مالك لما بايع عبد الرحمن بن الأشعث الكندي بالخلافة وكذلك كان أغلب أبناء الصحابة والتابعين، أما الحسن البصري الذي كان ممن بايع عبد الرحمن بن الأشعث ونجا آنذاك بصعوبة فلم يتجاوب مع مبايعة يزيد بن المهلب حيث جاء في تاريخ الطبري أنه «مَرَّ الحسن البصري على الناس وقد اصطفوا صفين ونصبوا الرايات والرماح وهم يقولون يدعوننا يزيد بن المهلب إلى سيرة العمرين. . الخ» [ص ١٥٠ ج٨] ويهمننا من ذلك أن مبايعة يزيد بن المهلب كانت تتضمن عبارة «وسيرة العمرين».

ج - وجاء في كتاب الأعلام وغيره من المصادر أن يزيد بن المهلب لما بويع تلقب بلقب «القحطاني» وهو لقب يستحضر الحديث النبوي عن القحطاني المنتظر من جهة ويستحضر النسب اليماني القحطاني ليزيد بن المهلب من جهة أخرى، فكان يزيد بن المهلب ثاني خليفة يمني تآثر بعد عبد الرحمن بن الأشعث الكندي.

[٩٤] - هذا النص عن هروب رؤوس البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر إلى الكوفة والشام يشير إلى حقيقة أهم، وهي أن الغالبية العظمى من القبائل في البصرة ونواحيها وما يليها من الجهات والنواحي بايعوا يزيد بن المهلب، وتلك الغالبية هم قبائل اليمن وربيعة، ومما يتصل بذلك قول ثابت بن قطنة الأزدي (شاعر ثورة يزيد بن المهلب) في قصيدة بعثها إلى يزيد بن المهلب من خراسان حيث قال ثابت بن قطنة:

إن امرأً حذبت ربيعة حوله والحبي من يمن وهاب كؤودا
لضعيف ما ضمت جوانح صدره إن لم يلف إلى الجنود جنودا
أيزيد كُنْ في الحرب إذ هيجتها كأبيك لا رعشاً ولا رعديدا . .

[الخ - ص ٥٢ و ٥٣ ج ١٣/ الأغاني].

[٩٥] - كان خالد بن عبد الله القسري من أكبر رؤساء اليمانيين بالشام وكذلك عمر بن يزيد الحكمي، وكان ليزيد بن المهلب علاقة وروابط بهما وبيمانية الشام، وكان يؤمل أنهم سيقفون معه في الوقت المناسب كخليفة يمني قحطاني بل ما كان يشك في ذلك كما سيأتي .

[٩٦] - المعروف أن اسم ابن يزيد بن المهلب هو (مخلد بن يزيد بن المهلب) وقد مات موتاً طبيعياً في العام السابق لثورة أبيه .

زحر وحملهما وسيرهما إلى الشام فحبسهما يزيد حتى هلكا بالسجن، وبعث يزيد بن عبد الملك إلى أهل الكوفة يشني عليهم ويُمنّهم الزيادة، وجهاز (يزيد بن عبد الملك) أخاه مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد إلى العراق في سبعين ألف مقاتل أو ثمانين ألفاً من أهل الشام والجزيرة فقدموا الكوفة ونزلوا النخيلة، ولما سمع ابن المهلب بوصول مسلمة وأهل الشام خطب بالناس وشجعهم للقائهم وهون عليهم أمرهم وأخبرهم أن أكثرهم له [٩٧]، واستوثق له (أي ليزيد بن المهلب) أهل البصرة، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان [٩٨]، وبعث إلى

[٩٧] - كان يزيد بن المهلب يأمل أن يمانية الشام والجزيرة الفراتية سينضمون إليه في الوقت المناسب ولن يكونوا ضده، وقال في ذلك: «إن أهل الشام سبعة سيوف: خمسة معي واثان ضدي» ومن الثابت أن غالبية أهل وجند الشام من اليمانية وأن غالبية جند وقادة ذلك الجيش من اليمينيين، ولكن نبأ ذلك الجيش كان في عام ١٠٢هـ وقد سبق ذلك أبناء البصرة والأمصار التي بايعت ابن المهلب عام ١٠١هـ كما في النص والهامش التالي.

[٩٨] - عاد ابن خلدون هنا إلى سياق الأحداث بعد ظهور يزيد بن المهلب على البصرة، ويتبين من التحقيق ما يلي:

١ - البصرة ونواحيها: استوثقت ليزيد بن المهلب وبويع بالخلافة وبسط العدل في أهلها، وقد تقدمت نصوص ذلك.

٢ - الأهواز وفارس وكرمان: انضوت تحت لواء يزيد بن المهلب وبعث عماله قتلوها، وهو نفس نص الطبري حيث قال الطبري «فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان» [ص ١٤٨ ج ٨].

٣ - قنذابيل والسند وسجستان: قال الطبري: «وبعث يزيد بن المهلب وداع بن حميد الأزدي أميراً على قنذابيل» [ص ١٥٧ ج ٨] وجاء في تاريخ البلاذري أن يزيد بن المهلب استعمل مدرك بن المهلب ثم معاوية بن يزيد على سجستان» [ص ٣٩٢] وامتدت الجهات التي انضوت تحت لواء يزيد بن المهلب من كرمات وقنذابيل إلى السند حيث يذكر كتاب الكامل لابن المبرد موقعة في السند بين نواب وأصحاب ابن المهلب والجيش المرواني في آخر وقائع ثورة ابن المهلب [ص ١٦٥ ج ٢].

٤ - البحرين (منطقة الخليج العربي): حيث جاء في تاريخ الطبري أنه: «كان يزيد بن المهلب استعمل على البحرين هرم بن قرار العبدي الربيعي» [ص ١٥٨] وكان ذلك عام ١٠١هـ وجاء في أخبار موقعة (العقر) قول المفضل ليزيد بن المهلب «أرى أن تنزل واسط حتى يأتيك مدد أهل البحرين وعمان» [ص ١٥٥] مما يؤكد انضواءها تحت لواء ابن المهلب.

٥ - عمان: كما انضوت عمان تحت لواء ابن المهلب، حيث كما يذكر د. فاروق عمر: «لما ثار يزيد بن المهلب بعث أخاه زياد بن المهلب والياً لعمان فتسلم زياد الولاية دون مقاومة، وبقي والياً على عمان حتى بعد القضاء على ثورة أخيه يزيد بن المهلب» [ص ٣٣ - مصادر التاريخ العماني - د. فاروق عمر - ط ١٩٧٩م].

خراسان مدرك بن المهلب وعليها عبد الرحمن بن نعيم فبعث بنو تميم ليمنعوه ،
ولقيه الأزدي على رأس المفازة فقالوا: ارجع عنا حتى نرى مآل أمركم [٩٩].

موقعة العقر

ثم خطب يزيد الناس يدعوهم إلى الكتاب والسنة ويحثهم على الجهاد وأن
جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم، ونكر ذلك الحسن البصري
والنظر بن أنس بن مالك وتابعهما الناس في النكير [١٠٠]، وسار يزيد من البصرة

= ٦ - الامتداد إلى اليمن والمدينة المنورة: من المحتمل امتداد التجاوب مع يزيد بن المهلب
إلى اليمن التي كان واليها عروة بن محمد السعدي، وقد كان ابن عمه [الورد بن عبد الله
السعدي من كبار أصحاب وقادة يزيد بن المهلب في موقعة العقر إلى أن وقع أسيراً عام
١٠٣هـ] - [ص ١٥٨ ج ٨/ الطبري] أما المدينة المنورة فيذكر الطبري أنه «جعل ابن المهلب
على ربيع أهل المدينة في موقعة العقر عبد الله بن سفيان بن المغفل الأزدي» [ص ١٥٢ ج ٨]
وكان ممن قدم إلى يزيد من الحجاز يزيد بن الحكم بن أبي العاص فقال ليزيد بن المهلب:

إن بني مروان قد باد ملكهم فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعُر
فقال يزيد: ما شعرت. فقال ابن الحكم بن أبي العاص:

فعض ملكاً، أومت كريماً وإن تمت وسيفك مشهوراً بكفك تُعذر

فقال يزيد: «أما هذا فعسى» [ص ١٥٥ ج ٨/ الطبري].

[٩٩] - وقع تصحيف وخلط في النص عن مدرك بن المهلب وخراسان، والصواب: أن عبد
الرحمن القشيري بعث بني تميم لقتال مدرك بن المهلب في مفازة خراسان، وبلغ ذلك
الأزد فخرجوا في الفي فارس فلحقوا بني تميم فتراجع بنو تميم واستقبلت الأزدي ومن معها
مدرك بن المهلب عند رأس المفازة وانضروا تحت لوائه، وفي ذلك قال ثابت بن قننة
قصيدة منها:

ألم تردوسراً منعت اخاها وقد حشدت لتقتله تميم
... فما حملوا ولكن نهنتهم رماح الأزدي والعز القديم ..

[الخ - ص ١٤٩ ج ٨ ط ٢].

[١٠٠] - وقع هنا خلط والتباس بين خطاب يزيد بن المهلب في البصرة حيث دعا الناس إلى
الكتاب والسنة وبايعوه كما تقدم، وكان النظر بن أنس بن مالك يدعو الناس إلى يزيد بن
المهلب بينما كان الحسن البصري ضد ذلك، وتابع الناس النظر بن أنس وبايعوا يزيد بن
المهلب، حيث كما قال ثابت بن قننة الأزدي ليزيد بن المهلب:

كل القبائل بايعوك على الذي تدعو إليه وتابعوك وساروا

أما الخطاب الثاني ليزيد فكان قبيل موقعة العقر حيث دعا السميدع الكندي وجماعة القراء إلى
تحكيم الكتاب والسنة فقبل مسلمة بن عبد الملك وأهل الشام ذلك خديعة، ودعا يزيد بن
المهلب أصحابه إلى القتال والمسير إلى العدو، «فقال السميدع ليزيد بن المهلب: إنهم قد =

إلى واسط واستخلف عليها أخاه مروان بن المهلب، وأقام بواسط أياماً ثم خرج منها سنة اثنتين ومائة واستخلف عليها أخاه معاوية، وقدم أخاه عبد الملك بن المهلب إلى الكوفة فاستقبله ابن الوليد فاقتتلوا وانهزم عبد الملك وعاد إلى يزيد^(١٠١)، وأقبل مسلمة (بن عبد الملك بن مروان) على شاطئ الفرات إلى الأنهار فعقد الجسر وعبر وسار حتى نزل على يزيد بن المهلب وفرغ إليه ناس من أهل الكوفة^(١٠١) وكان عسكره مائة وعشرين ألفاً^(١٠٢)، وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن (عامل الكوفة) قد عسكر بالنخيلة وشق المياه، وجعل الأرصاد على أهل الكوفة أن يفزعوا إلى يزيد بن المهلب وبعث بعثاً إلى مسلمة مع صبرة بن عبد الرحمن بن مخنف فعزل مسلمة عبد الحميد عن الكوفة واستعمل عليها محمد بن عمر بن الوليد بن عقبة^(١٠١)، ثم أراد يزيد بن المهلب أن يبعث أخاه محمداً بالعساكر يبيتون مسلمة، فأبى عليه أصحابه وقالوا قد وعدناهم بالكتاب والسنة

= قبلوا بكتاب الله وسنة نبيه فليس لنا أن نقاتلهم ولا نزيدهم بسوء، وقال أبو روية وكان رأس طائفة من المرجئة ومعه أصحاب له: صدق السميذع هكذا ينبغي. فقال لهم يزيد: ويحكم أتصدقونهم، إنما أرادوا أن يكفوكم عنهم حتى يعملوا في المكر، فوالله ما رأيت رجلاً أكر ولا أبعد غوراً من هذه الجردة الصفراء يعني مسلمة، فرفضوا وانكروا المسير وبدأ القتال» [ص ١٥٣ ج ٨/ط] وقد أورد ابن خلدون ذلك في فقرة لاحقة يستقيم بها الخبر.

[١٠١] - يتبين من ذلك أن (واسط) كانت قد انضوت أيضاً تحت سلطان ابن المهلب، وكذلك أغلب أهل الكوفة فقام مسلمة بن عبد الملك بن مروان بعزل عامل الكوفة (عبد الحميد بن عبد الرحمن) وتولية (محمد بن عمر بن الوليد بن عقبة) وهو الذي قاتل عبد الملك بن المهلب في الكوفة، فلما انسحب عبد الملك بن المهلب من الكوفة إلى يزيد بن المهلب أقبل كثير من أهل الكوفة وانضموا إلى يزيد بن المهلب، فلما وقعت موقعة العقر «كان على أهل الكوفة المفضل بن المهلب، وعلى ربيع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي، وعلى ربيع كندة وربيعه محمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي» [ص ١٥٢ ج ٨/الطبري].

[١٠٢] - كان جيش يزيد بن المهلب - وكما يذكر ابن كثير أيضاً: «نحو مائة وعشرين ألفاً بايعوه على السمع والطاعة وعلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ» [ص ٢٢٠ ج ٩/البداية والنهاية] وقال الشاعر القطامي بن الحصين بالكوفة:

لعلّ عيني أن ترى يزيدا	يقود جيشاً جحفاً شديدا
تسمع في الأرض له وثيدا	لا برماً (كان) ولا حسودا
ولا جباناً في الوغى رعديدا	ترى ذوي التاج له سجودا
مكفرين خاشعين قودا	وأخرين رحبوا وفودا
لا ينقض العهد ولا المعهودا	من نفر كانوا هجاناً صيدا

ووعدوا بالإجابة فلا نغدرهم، فقال يزيد: ويحكم تصدقونهم، إنهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم إليه، والله ما في بني مروان أمكر ولا أبعد غوراً من هذه الجرداة الصفراء يعني مسلمة^[١٠٣].

فأقام مسلمة بن عبد الملك يطاول يزيد بن المهلب ثمانية أيام ثم خرج يوم الجمعة منتصف صفر، فعبى أصحابه وعبى العباس بن الوليد كذلك، والتقوا، واشتد القتال، وأمر مسلمة أصحابه فأحرقوا الجسر فسطح دخانه، فلما رآه أصحاب يزيد انهزموا^[١٠٤]، واعترضهم يزيد يضرب في وجوههم حتى كثروا عليه فرجع^[١٠٥]، وترجل يزيد في أصحابه وقيل له: قُتل أخوك حبيب، فقال: لا خير في العيش بعده ولا بعد الهزيمة^[١٠٦]، ثم استمات (يزيد) ودلف إلى مسلمة لا يريد

[١٠٣] - كانت خدعة التحكيم قبيل موقعة العقر أول مظاهر وأسباب هزيمة جيش وثورة ابن المهلب.

[١٠٤] - لما قام مسلمة بذلك الهجوم الغادر في يوم العقر، «قال يزيد بن المهلب للسميدع: يا سميدع أراي أم رأيكم ألم أعلمكم ما يريد القوم، فقال السميدع: بلى والله كان الرأي رأيك وأنا ذا معك لا أزيالك، وقاتل سميدع وأصحابه مع يزيد قتالاً شديداً حتى قتل سميدع فيما بعد» وهجم أصحاب مسلمة على فرقة من جيش يزيد بقيادة حبيب بن المهلب فقاتل حبيب حتى قُتل بعد ملحمة باسلة - فلما علم يزيد بمقتله قال: «لا خير في العيش بعد حبيب، قد كنت والله أبغض العيش مع الهزيمة فوالله ما ازددت له إلا بغضاً، فامضوا قدماً» - (اه).

[١٠٥] - «وقال أبو روية ليزيد: ذهب الناس، فهل لك أن تنصرف إلى واسط فإنها حصن حتى يأتيك مدد أهل البصرة وأهل عمان والبحرين... فقال يزيد: قبح الله رأيك، أنت تقول هذا، الموت أيسر عليّ من ذلك، فقال أبو روية: إنني أتخوف عليك، أما ترى ما حولك من جبال الحديد، فقال يزيد: أما أنا فما أبايها جبال حديد كانت أم جبال نار، وتمثل بقول أعشى همدان (شاعر ثورة ابن الأشعث):

أبالموت حشنتني عباد وإنما رأيت منايا الناس يشقى ذليلها
فما ميتة إن مئتها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها» [اه]

[١٠٦] - تذكّر يزيد بن المهلب موقف ومصير أول خليفة يماني ثائر قبله وهو عبد الرحمن بن الأشعث الكندي، حيث - كما جاء في كتاب الكامل لابن المبرد: «قال يزيد بن المهلب في يوم العقر وهو اليوم الذي قُتل فيه: قاتل الله ابن الأشعث ما كان عليه لو غمّص عينيه ساعة للموت ولم يكن قتيل نفسه» [ص ١٨٢ ج١] ومن ذلك قال المفضل بن المهلب:

... وما هي إلا رقدة ثورت العلى لِرَهْطِكَ ما حثت روائم نيب

[ص ١٨٢ ج١/الكامل].

غيره فعطف عليه أهل الشام فقتلوه هو وأصحابه وفيهم أخوه محمد^[١٠٧]، وبعث مسلمة برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع ابن الوليد بن عقبة، وقيل إن الذي قتله الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي وخاف أن ينزل فيأخذ رأسه فأخذه غيره^(١٠٧)، وكان المفضل بن المهلب يقاتل في ناحية المعترك وما علم بقتل يزيد، فبقي ساعة كذلك يكر ويفر حتى أخبر بقتل إخوته فافترق الناس عنه ومضى إلى واسط^[١٠٨]، وجاء أهل الشام إلى عسكر يزيد فقاتلهم أبو روبة رأس الطائفة المرجئة ومعه جماعة منهم قتال صدق، فقاتلوا ساعة من النهار ثم انصرفوا، وأسر مسلمة ثلاثمائة أسير حبسهم بالكوفة، وجاء كتاب يزيد (بن عبد الملك) إلى محمد بن عمر بن الوليد بقتلهم فأمر العريان بن الهيثم صاحب الشرطة بذلك وبدأ بشمانين من بني تميم فقتلهم، ثم جاء كتاب يزيد بإعفائهم فتركهم، وجاء الخبر بمقتل يزيد إلى واسط فقتل ابنه معاوية عدي بن أرطاة ومحمداً ابنه ومالكاً وعبد الملك ابناً مسمع في ثلاثين - شخصاً^[١٠٩] - ورجع إلى البصرة بالمال والخزائن واجتمع بعمه المفضل وأهل بيته، وتجهزوا للركوب في البحر^[١١٠]، وركبوا إلى قنديل وبها

[١٠٧] - اقتحم يزيد جيش العدو على بردون له أشهب، وقاتل حتى قُتل ومعه محمد بن المهلب، أما الذي قتل يزيد بن المهلب فالثابت الصحيح أنه القحل بن عياش الكلبي من فرسان يمانية الشام، وقال الأصفهاني في كتاب الأغاني: «كان ثابت بن قطنه مع يزيد بن المهلب في يوم العفر فلما خذله أهل العراق وفروا عنه وقتل، قال ثابت بن قطنه يرثيه: كل القبائل تابعوك على الذي تدعو إليه ويابعوك وساروا حتى إذا حمس الوغي وجعلتهم أن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك وبعض قتلٍ عارٍ»

[ص ٥٣ ج ١٣/ الأغاني].

[١٠٨] - قاتل المفضل بن المهلب قتالاً باسلاً ومعه محمد بن إسحاق بن الأشعث الكندي وعثمان بن إسحاق بن الأشعث والنعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي وعامر بن العميل الأزدي وأمثالهم ثم انسحب إلى واسط والبصرة، وقال ابن زهير: «ما رأيت رجلاً من العرب مثل منزلة المفضل بن المهلب، كان أغشى للناس بنفسه ولا أضرب بسيفه ولا أحسن تعبئة لأصحابه منه، فأخذ الطريق إلى واسط والبصرة» (اهـ) وبويع المفضل في البصرة بعد يزيد بن المهلب.

[١٠٩] - انتقد ثابت بن قطنه قيام معاوية بن يزيد بن المهلب بقتل عدي بن أرطاة الفزاري ومن معه من شيعة بني مروان قاتلاً:

«... ما سرنى قتلُ الفزاري وابنه
عدي ولا أحببت قتل ابن مسمع
ولكنها كانت معاوي زلّة
وضعت بها أمرى على غير موضع»

[١١٠] - بويع المفضل في البصرة وكان يريد الثبات والقتال في البصرة، ثم مال إلى رأي هرم =

وداع بن حميد الأزدي وواه عليها يزيد بن المهلب، ملجأ لأهل بيته إن وقع بهم ذلك، فركبوا البحر بعيالهم وأمواهم إلى جبال كرمان، فنزلوا بها، واجتمع إليهم الفلّ من كل جانب^[١١١]، وبعث مسلمة مدرك بن ضب الكلبي في طلبهم^[١١٢]، فقاتلهم، وقُتل من أصحاب المفضل؛ النعمان بن إبراهيم ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث، وأسر ابن صول دهستان، وهرب عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث فقتل وحُمل رأسه إلى مسلمة بالبصرة^[١١٣]، ورجع ناس من أصحاب بني المهلب فاستأمنوا وأمنهم مسلمة: منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي التميمي^[١١٤]، ومضى آل المهلب ومن معهم إلى قنذاييل فمنعهم وداع بن حميد من دخولها بعد أن كان خرج معهم لقتال عدوهم^[١١٥]، وكان مسلمة قد ردّ مدرك بن ضب الكلبي بعد هزيمتهم في جبال

= بن قرار العبدي عامل البحرين وغيره من أهل الرأي بالانسحاب إلى فارس وكرمان لتجنب البصرة معرة ويطش جيش الشام، وقال المفضل بن المهلب:

هل الجود إلا أن نجود بأنفس	على كل ماضي الشفرتين قضيب
وما خير عيش بعد قتل محمد	وبعد يزيد والحرون حبيب
ومن هراً أطراف القنا خشية الردي	فليس لمجد صالح بكسوب
وما هي إلا رقدة تورث العلى	لرهطك ما حئت روائم نيب

[ص ١/١٨٢ - الكامل لابن المبرد].

[١١١] - لم يكن مسيرهم إلى قنذاييل وإنما إلى فارس وما يليها من كرمان، وكان فيها عمال يزيد بن المهلب ولحق بهم الفلّ من جيش وأصحاب ابن المهلب من العراق والبحرين والأهواز وفارس واجتمعوا في كرمان بقيادة المفضل بن المهلب.

[١١٢] - كان مدرك بن ضب الكلبي من قادة يمانية الشام وبعثه مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش من أهل الشام فقاتلهم في كرمان قتالاً شديداً - (في آخر عام ١٠٢هـ أو مطلع ١٠٣هـ) - وقاتل المفضل حتى قُتل، ورثه ثابت بن قطنة بأبيات منها قوله:

كان المُفضلُ عزاً في ذوي يمنٍ وعصمة وثمناً للمساكيننا

[١١٣] - جرح عثمان بن الأشعث جراحة شديدة ثم قُتل في حلوان.

[١١٤] - كان الورد بن عبد الله السعدي ابن عم عروة بن محمد السعدي والي اليمن، وكانت مشاعر اليمن مع ابن المهلب.

[١١٥] - جاء في الأصل: «فمنعهم وداع بن حميد من دخولها وخرج معهم لقتال عدوهم» والصواب أنه كان معهم ثم بعث مسلمة إلى قنذاييل هلال بن أحوز التميمي فقاتلهم وبعث بالأمان إلى وداع بن حميد فمال إليه، وسقطت قنذاييل، وذكر ابن المبرد في الكامل أن فرقة من بني المهلب وأصحابهم كانوا - أو انسحبوا - إلى السند والهند حيث دارت آخر معارك ثورة يزيد بن المهلب عام ١٠٣هـ واكتمل القضاء عليها.

كرمان وبعث في إثرهم هلال بن أحوز التميمي فلحقهم بقندابيل، فتعبوا لقتاله، وبعث هلال راية أمان فمال إليه وداع بن حميد وعبد الملك بن المهلب، وافترق الناس عن آل المهلب، ثم استقدموا فاستأمنوا فقتلهم عن آخرهم (وفيه) المفضل وعبد الملك وزيد ومروان بنو المهلب ومعوية بن يزيد بن المهلب، (ولحق) المنهال بن أبي عيينة بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب برتبيل ملك الترك^[١١٦]، وبعث هلال بن أحوز برؤوسهم وسببهم وأسراهم إلى مسلمة فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك فسيرهم يزيد إلى العباس بن الوليد في حلب فنصب الرؤوس، وأراد مسلمة أن يبتاع الذرية فاشتراهم الجراح بن عبد الله الحكمي بمائة ألف وخلي سبيلهم^[١١٧]، ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيئاً، ولما قُدم بالأسرى على يزيد بن عبد الملك وكانوا ثلاثة عشر أمر يزيد فقتلوا وكلهم من ولد المهلب، واستأمنت هند بنت المهلب لأخيها عيينة إلى يزيد بن عبد الملك فأمنه^[١١٨]، وأقام عمر وعثمان عند رتبيل حتى

[١١٦] - جاء في تاريخ الطبري أنه نجا ولحق برتبيل ملك الترك في آسية الوسطى «أبو عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب» وكذلك نجا إلى جرجان وأعالى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد بن المهلب وعبد الرحمن بن يزيد بن المهلب والجديع بن علي الأزدي خال يزيد بن المهلب وغيرهم.

[١١٧] - كان ذلك الموقف من الأمير اليمني القائد الجراح بن عبد الله الحكمي تعبيراً عن نوع من تعاطف بعض قادة يمانية الشام مع آل المهلب، كما سبق أيضاً موقف الأمير اليمني خالد بن عبد الله القسري وعمر بن يزيد الحكمي وحصولهما على الأمان ليزيد بن المهلب وأهله في بداية الثورة تجنباً لقتال كان من المحتم أن يخوضه يمانية الشام ضد ثورة يزيد بن المهلب الذي كان يظن ويقول: «إن أهل الشام سبعة سيوف: خمسة معي واثنان ضدي» ولكن سيوف يمانية الشام وقفت ضد يزيد بن المهلب كما وقفت قبل ذلك ضد ثورة وخلافة عبد الرحمن بن الأشعث الكندي، بحيث قال ثابت بن قطن (شاعر ثورة ابن المهلب) في قصيدة لاحقة توعده وعاتب فيها يمانية الشام:

... عشائرننا التي تبغى علينا تحاربنا زكاً عاماً فعاماً
ولولاهم وما جلبوا علينا لأصبح وسطنا ملكاً هماماً

[١١٨] - كان ثابت بن قطن يتوجه بقصائده في رثاء يزيد بن المهلب وأصحابه إلى هند بنت المهلب، ومنها قوله في القصيدة السابقة:

.. فلا والله لا أنسى يزيداً ولا القتلى التي قُتلت حراماً
فَعَلِيّ أن أبوء بأخيك يوماً يزيداً أو أبوء به هشاماً
وعَلِيّ أن أقود الخيل شعثاً شواذب ضمراً تقصُّ الأكاما... =

أَمَنُهُمَا أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ وَقَدَمَا عَلَيْهِ بِخِرَاسَانَ [١١٩]، [انتهى].

= وتوالت قصائد ثابت بن قطنه عبر السنين التالية ومنها قصيدة قال فيها:
أبى طول هذا الليل أن يتصرما وهاج لك الهَمُّ الفؤاد المتيما
أرقتُ ولم تارق معي أم خالد وقد أرتقت عيناى حولاً مُجرماً . . .
على ملكٍ - يا صاح - بالعقر جبت كتائبه واستورد الموت مُعلماً . . .
(يعني بالملك يزيد بن المهلب) ويتعهد ثابت بالثأر ولو طالَت الأيام، فيقول مخاطباً هند بنت المهلب:

. . . وفي غَيْرِ الأيام يا هند فاعلمي
. . . فإِنَّا لِحلالون بالشغر لا نرى
. . . أبونا أبو الأنصار عمرو ابن مالك
وقد كان في غسان مجدُّ يَعدُّه
لطالب وترِ نظرةٍ إن تلوما
به ساكناً إلا الخُميس العرمرما
وهم ولدوا عوفاً وكعباً واسلما
وعادية كانت من المجد معظماً

ويقول الدكتور حسين عطوان في كتابه (الشعر العربي في خراسان) تعليقاً على قصائد ثابت بن قطنه الأزدي اليماني: «خابت كل الآمال التي عقدها ثابت على الثورة والتي كان يرجو أن تتوج بفوز ابن المهلب بالخلافة، فتحول يرثيه ويرثي الهالكين من أسرته، وبالمثل تتضح في مراثيه لهم عصبية اليمانية الحادة ويتضح فيها عداؤه السافر للأمويين، فهو لا ينفث فيها أناته وزفراته التي ضاق بها صدره لمصرعهم بل يحملها كذلك دفاعاً عن ثورتهم، واعتداداً بماضيهم في الجاهلية (ماضي اليمينيين) وبحاضرهم في الإسلام، مما يجعلهم أهلاً للخلافة، كما يحملها وعيداً للأمويين وأنه لن يغتفر لهم ذنبهم مهما امتدت الأيام بهم، بل سينتقم منهم، ويسخط سخطاً شديداً على العشائر اليمانية الشامية التي دعمتهم وأتاحت لهم التغلب على المهالبة، لأنه كان يفترض أن تؤيد المهالبة لما يربط بينها وبينهم من أواصر النسب».

ويقول د. حسين عطوان معلقاً على قصيدة ثابت بن قطنه الميمية إنه: «ينذر فيها بني أمية والعشائر اليمانية الشامية التي ساعدتهم والتي دمروا بها المهالبة الأزديين اليمينيين، فقد كان ينتظر منها أن تباع المهالبة وتقاتل معهم لكي يظفر يزيد بن المهلب بالخلافة» - [ص ٢٤٥ و ٢٤٣ - الشعر العربي في خراسان].

ولكن يمانية الشام بزعامة قبيلة كلب كانوا ينظرون إلى الموقف من زاوية أن السيادة الحقيقية في اغلب أقاليم الدولة العربية الإسلامية هي لليمانيين وخاصة يمانية الشام وأن الوضع القائم لصالحهم، ولم يتغير موقف يمانية الشام إلا غداة مقتل خالد بن عبد الله القسري (عام ١٢٦هـ) فانقلبوا على بني أمية وساهموا في إسقاط الدولة الأموية.

[١١٩] - هو الأمير اليماني أسد بن عبد الله القسري وقد تولى خراسان في خلافة هشام بن عبد الملك عام (١٠٦هـ - ١٢٠هـ) - كما سيأتي - ثم كان لأبي عون عبد الملك بن يزيد بن المهلب والنجديع بن علي الأزدي دور كبير في الثورة ضد بني أمية وقيام الدعوة العباسية في خراسان وإسقاط الدولة الأموية عام ١٣١هـ كما سيتبين بعد استيفاء الحديث عن عصر الخلفاء الأمويين.

من الولاة وأعلام اليمانيين في خلافة يزيد بن عبد الملك [١٢٠]

ولى يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة على العراق وخراسان . . . ثم استاء من مسلمة في أمر الجراح فعزله وولى مكانه عمر بن هبيرة - سنة ثلاث أو أربع ومائة - وولى ابن هبيرة على خراسان سعيداً الحريشي [١٢١]، وفي سنة ثلاث ومائة جمع يزيد مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك وولى على الطائف عبد الواحد بن عبد الله القسري، وفي سنة أربع ومائة . . . عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن مكة والمدينة وولى عليهما مكانه عبد الواحد بن عبد الله القسري [١٢٢]، وعزل ابن هبيرة سعيداً الحريشي عن خراسان وولى عليها مسلم بن سعيد الكلابي [١٢٣]، وولى على قضاء الكوفة الحسين بن حسين الكندي، وفي سنة أربع ومائة ولى يزيد على

[١٢٠] - بدأت خلافة يزيد بن عبد الملك بوفاة عمر بن عبد العزيز في رجب ١٠١هـ واستتب له منصب الخلافة بعد القضاء على ثورة الخليفة اليماني الثائر يزيد بن المهلب واستشهاده في موقعة العقر (صفر ١٠٢هـ) واكتمال القضاء على ثورته (عام ١٠٣هـ) واستمرت خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان حتى وفاته في شعبان سنة ١٠٥ هجرية .

وكان يزيد بن عبد الملك قد عزل عروة بن محمد السعدي عن ولاية اليمن وولى على اليمن مسعود بن عوف الكلبي وهو من الأمراء والقادة اليمانيين بالشام، فمكث مسعود بن عوف الكلبي والياً لليمن حتى وفاة يزيد بن عبد الملك (١٠٢ - ١٠٥ هجرية).

[١٢١] - هو الأمير اليماني القائد سعيد بن عمرو الحريشي المدحجي، وقد حقق بامطرف في كتاب الجامع نسب سعيد الحريشي إلى مدحج، وتولى سعيد بن عمرو الحريشي إمارة خراسان عام ١٠٣ - ١٠٤هـ في ولاية ابن هبيرة على العراق وخراسان، وكان سعيد الحريشي ي كاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بولاية ابن هبيرة فعزله عن خراسان وحبسه بالعراق، فلما تولى العراق الأمير اليماني خالد بن عبد الله القسري - عام ١٠٥هـ - أخرج سعيداً وأكرمه، فعاد إلى الشام، وولاه هشام بن عبد الملك قيادة الجيش في غزو أرمينية وبلاد الخزر (القوقاز) بمعية مسلمة بن عبد الملك (١٠٩ - ١١٠هـ) ثم بعثه هشام بن عبد الملك على رأس جيش إلى بلاد الخزر بعد استشهاده الجراح الحكمي (عام ١١٢هـ) فغزا بلاد الخزر وفتك بهم وأقام بذلك الشجر سنتين إلى عام ١١٤هـ وكان من أعلام الأمراء والقادة بالشام .

[١٢٢] - هو الأمير اليماني عبد الواحد بن عبد الله القسري أمير الحجاز، تولى الطائف عام ١٠٣هـ ثم تولى مكة والمدينة المنورة (الحجاز) عام ١٠٤هـ وذلك كما قال ابن خلدون «في شوال سنة أربع ومائة، وأحسن عبد الواحد القسري السيرة فأحبه الناس» [ص ٨٤ ج ٣/العبر] ومكث عبد الواحد القسري أميراً على الحجاز إلى أوائل خلافة هشام (عام ١٠٧هـ) .

أرمينية واذربيجان الجراح بن عبد الله الحكمي^[١٢٣]، وكان على مصر أسامة بن زيد^[١٢٤]، . . . وعلى القيروان بشر بن صفوان^[١٢٥]، ومات يزيد بن عبد الملك سنة خمس ومائة وتولى هشام بن عبد الملك فعزل ابن هبيرة عن العراق وولاه خالد بن عبد الله القسري . . . ومات في سنة تسع ومائة عامل القيروان بشر بن صفوان^(١٢٥)، - [١٢٦هـ/].

ولاية الجراح على أرمينية وفتح بلنجر^(١٢٦)

. . . كان الخزر وهم التركمان استجاشوا بالقفجاق وغيرهم من أنواع الترك

[١٢٣] - هو الأمير والقائد اليمني الجراح بن عبد الله الحكمي المذحجي وقد تقدم الحديث عنه مراراً وسيأتي نص كلام ابن خلدون عن ولايته على أرمينية واذربيجان وفتوحاته في بلاد القوقاز.

[١٢٤] - هو الأمير اليمني أسامة بن زيد التنوخي وكان صاحب ديوان الخراج في مصر فتولى مصر مؤقتاً، ثم ولي يزيد بن عبد الملك على مصر الأمير اليمني بشير بن صفوان الكلبي (١٠١ - ١٠٢هـ) وفي تلك الفترة (١٠٢هـ) ثار أهل المغرب على عاملها يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج وقتلوه، فكتب يزيد بن عبد الملك إلى بشر بن صفوان الكلبي بالمسير إلى المغرب والياً عليها، وولى يزيد بن عبد الملك على مصر أخاه الأمير اليمني حنظلة بن صفوان الكلبي فتولى حنظلة بن صفوان مصر (عام ١٠٢هـ إلى ١٠٦هـ) في خلافة يزيد بن عبد الملك إلى أول خلافة هشام، كما تولاها مرة ثانية عام ١١٩ - ١٢٤هـ كما يأتي.

[١٢٥] - هو الأمير اليمني بشر بن صفوان الكلبي أمير بلاد المغرب العربي (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا) في خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠٢ - ١٠٥هـ) ثم في خلافة هشام بن عبد الملك إلى أن مات بشر بن صفوان في القيروان عاصمة بلاد المغرب عام ١٠٩ هجرية (٧٢٧ ميلادية).

(***) وفي تلك الفترة تولى الأندلس بعد استشهاد السمع بن مالك الخولاني أمير الأندلس في فرنسا عام ١٠٣هـ الأمير اليمني الفاتح عنبسة بن سحيم الكلبي أمير الأندلس (١٠٣ - ١٠٧هـ) في خلافة يزيد بن عبد الملك إلى أوائل خلافة هشام بن عبد الملك، وافتتح عنبسة الكلبي في عام ١٠٦هـ مناطق شاسعة في جنوب وشرق فرنسا ومات عام ١٠٧هـ (٧٢٥م).

[١٢٦] - انتهى ما نقلناه هنا عن الولاية في خلافة يزيد بن عبد الملك كما في تاريخ ابن خلدون ص ١٣٨ ج ٣.

(١٢٦) بهذا العنوان تحدث ابن خلدون عن ولاية الجراح وفتوحاته (ص ٨٣ ج ٣) في خلافة يزيد بن عبد الملك عام ١٠٤هـ - ١٠٥هـ ونشير هنا إلى ما يلي:

أ - تطلق المصادر التاريخية العربية اسم (أرمينية) أو (أرمينية واذربيجان) على أقاليم بلاد القوقاز التي تشمل بالتسميات الحالية (جمهورية أذربيجان - أرمينية - داغستان - الشاشان وانغوشيا - جورجيا - إلى إقليم الشركس في روسيا بالقوقاز).

ولقوا المسلمين بمرج الحجارة فهزموهم واحتوى التركمان على معسكرهم وغنموا ما فيه^[١٢٧]، وقدم المنهزمون على يزيد بن عبد الملك فولى على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وأمدّه بجيش كثيف^[١٢٨]، وسار الجراح لغزو الخزر فعادوا للباب والأبواب^[١٢٩]، ونزل الجراح برذعة فأراح بها قليلاً^(١٢٨)، ثم سار نحوهم وعبر نهر الكر، وأشاع الإقامة ليرجع بذلك عيونهم إليهم، ثم أسرى من ليلته وأجدّ السير إلى مدينة الباب والأبواب فدخلها^(١٢٩)، وبث السرايا للغارة، وزحف إليه التركمان الخزر وعليهم ابن ملكهم، فلقبهم الجراح عند نهر الزمان واشتد القتال بينهم، ثم انهزم التركمان وكثر القتل فيهم وغنم المسلمون ما معهم وساروا حتى نزلوا على الحصن ونزل أهلها على الأمان^(١٢٩)، ثم سار (الجراح) إلى مدينة برغوا فحاصرها ستة أيام ثم نزلوا على الأمان (فتلقاهم)^[١٣٠] ثم سار بالمسلمين إلى بلنجر وقتلهم التركمان دونها فانهزموا، وافتتح الحصن عنوة وغنم

= ب - تولى الأمير اليمني الجراح بن عبد الله الحكمي أرمينية وجهاتها في خلافة سليمان بن عبد الملك (عام ٩٨ - ٩٩هـ) إلى أوائل خلافة عمر بن عبد العزيز (عام ٩٩ - ١٠٠هـ) كما تولى أرمينية عدي بن عدي الكندي قال البلاذري: «وولى سليمان بن عبد الملك عدي بن عدي بن عميرة الكندي على أرمينية ثم ولاه أياها عمر بن عبد العزيز وهو صاحب نهر عدي بالبيلقان» كما تولاهما الجراح ثم ولى عمر بن عبد العزيز الجراح على خراسان عام ١٠٠هـ ومكث عدي الكندي والياً على أرمينية ثم ولى يزيد بن عبد الملك معلق بن صفار البهراني ثم عزله - وفي ولايته كان تحالف الخزر والتركمان على المسلمين وانهزام المسلمين - «وولى الحارث بن عمرو الطائي فغزا أهل اللكز ففتح رستاق حسمدان» [ص ٢٠٨ - فتوح البلدان للبلاذري].

[١٢٧] - وذلك عام ١٠٣هـ وكان على المسلمين معلق البهراني، فهزموهم الخزر واحلافهم وغنموا معسكرهم.

[١٢٨] - قال البلاذري: «وولى يزيد بن عبد الملك الجراح بن عبد الله الحكمي من مذبح أرمينية فنزل برذعة فرُفع إليه اختلاف مكابيلها وموازينها فأقامها على العدل والوفاء واتخذ مكابلاً يدعى الجراحي فأهلها يتعاملون به إلى اليوم» [ص ٢٠٨]. وكانت «مدينة برذعة هي مدينة الشغر كله» [ص ١٩٨] أي أن برذعة كانت عاصمة الحكم العربي الإسلامي بتلك البلاد.

[١٢٩] - مدينة الباب والأبواب: كانت المدينة الرئيسية على ساحل بحر قزوين في جمهورية أذربيجان إلى داغستان حالياً.

[١٣٠] - قال البلاذري: «ثم سار الجراح حتى قطع النهر المعروف بالسور وصار إلى الخزر فقتل منهم مقتلة عظيمة وقاتل أهل بلاد حمزين، ثم صالحهم على أن نقلهم إلى رستاق خيزان وجعل لهم قريتين منه» [ص ٢٠٨].

المسلمون جميع ما فيه، فأصاب الفارس ثلثمائة دينار، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً، ثم أن الجراح أرجع حصن بلنجر إلى صاحبه ورد عليه أهله وماله على أن يكون عيناً للمسلمين على الكفار^[١٣١]، ثم نزل الجراح على حصن الوبيد وكان به أربعون ألف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال اعطوه اياه^[١٣٢]، ثم تجمع الخزر والتركمان وأخذوا الطرق على المسلمين فأقام (الجراح) في رستاق شكبي وكتب إلى يزيد بالفتح وطلب المدد^[١٣٣] وكان ذلك آخر عهد يزيد، وبعث هشام بعد ذلك إليه المدد وأقرّه على العمل^[١٣٤]. - [انتهى].

[١٣١] - كانت بلنجر مدينة محصنة كبيرة عند نهر بلنجر من أرمينية فافتتحها الجراح وجيشه عام ١٠٤هـ كما هو مذكور هنا.

[١٣٢] - قال البلاذري: «وأوقع الجراح بأهل غوميك وسبى منهم» ويقابل ذلك ما ذكره ابن خلدون عن حصن الوبيد هنا.

[١٣٣] - كان الجراح بعد الفتوحات المتقدمة وكما ذكر البلاذري: «نزل الجراح رستاق شكبي وشتا جنده ببرذعة والبيلقان» ثم كان تجمع الخزر والتركمان بعد ذلك في أواسط عام ١٠٥ هجرية (فحاربهم الجراح في صحراء ورتان» - [ص ٢٠٨ فتوح البلدان].

[١٣٤] - توفي يزيد بن عبد الملك في شعبان ١٠٥هـ وتولى الخلافة هشام بن عبد الملك فأقرّ الجراح على ولاية أرمينية وأذربيجان وأمدّه بجيش من أهل الشام فافتتح الجراح (تفليس) - عاصمة جورجيا - وغيرها.

وسياتي نبأ ذلك إلى استشهاد الجراح - عام ١١٢هـ - في خلافة هشام بن عبد الملك.

أخبار اليمن وأعلام اليمنيين في عهود الخلفاء الأمويين

هشام بن عبد الملك - الوليد بن يزيد - يزيد بن الوليد -
مروان بن محمد - وثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي -
إلى نهاية الدولة الأموية [١]

وفاة يزيد وبيعة هشام بن عبد الملك [٢]

توفي يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة خمس ومائة لأربع سنين من خلافته وولي بعده أخوه هشام بن عبد الملك بعهدته إليه وكان بحمص فجاءه الخبر بذلك فعزل عمر بن هبيرة عن العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري . . . وتوفي هشام بن عبد الملك بالرصافة في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة لعشرين سنة من خلافته، [أه].

من الولاة واعلام اليمنيين في خلافة هشام [٣]

ولى هشام - سنة خمس ومائة - على العراق خالد بن عبد الله القسري [٤]،

[١] - استحدثنا عنوان هذا الفصل لنقل ما ذكره ابن خلدون عن اليمن واعلام اليمنيين خارج اليمن في خلافة هشام (١٠٥ - ١٢٥هـ) والوليد بن يزيد (١٢٥ - ١٢٦هـ) ويزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦ - ١٢٧هـ) ومروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين (١٢٧ - ١٣١هـ) وفي عهده شهدت اليمن ثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الذي ثار وبويع بالخلافة (١٢٩ - ١٣٠هـ) وينتهي هذا الفصل بنهاية عصر الخلفاء الأمويين وبداية عصر الخلفاء العباسيين للدولة العربية الإسلامية.

[٢] - بهذا العنوان استهل ابن خلدون حديثه عن عهد هشام بن عبد الملك كما في الفقرة التي تلي ذلك (ص ٨٥ ج ٣) واستكملناه بحديث ابن خلدون عن وفاته (ص ١٠٣ ج ٣) ليتكامل الاطار الزمني لخلافة هشام.

[٣] - نظراً لأن حديث ابن خلدون التفصيلي عن عهد هشام لم يتضمن إلا أنباء بعض الأمصار وولاتها، انتقلنا إلى حديثه عن الولاة في عهد هشام (ص ١٣٩، ١٤٠ ج ٣) حيث ذكر ولاية كافة الأمصار مما يتيح معرفة عامة بالولاة واعلام اليمنيين في ذلك العهد، ثم سننقل ما يتصل بأعلام اليمنيين في حديثه التفصيلي عن عهد هشام بن عبد الملك.

[٤] - هو الأمير اليمني خالد بن عبد الله القسري والي العراق ومشارقتها وخراسان والسند في =

واستعمل خالد على خراسان أخاه أسد بن عبد الله سنة سبع ومائة^[٥]، وولى على السند الجنيد بن عبد الرحمن^[٦]، وعزل هشام عبد الواحد القسري عن الحجاز وولى مكانه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي واستقضى بالمدينة محمد بن صفوان الجمحي ثم عزله واستقضى الصلت الكندي، وعزل هشام الجراح بن عبد الله الحكمي عن أرمينية وأذربيجان وولى مكانه أخاه مسلمة فولى عليها الحارث بن عمر الطائي^[٧]، وكان على اليمن سنة ثمان ومائة يوسف بن عمر الثقفي^[٨] . . .

. . وفي سنة تسع ومائة مات عامل القيروان بشر بن صفوان^[٩] فولى هشام

= خلافة هشام من عام ١٠٥هـ إلى عام ١٢٠هـ وقد تحدث عنه ابن خلدون بالتفصيل كما سيأتي.

[٥] - هو الأمير اليمني الفاتح أسد بن عبد الله القسري والي خراسان وما إليها من آسية الوسطى عام ١٠٧ - ١٠٩هـ ثم عام ١١٧هـ إلى ١٢٠هـ وقد تحدث عنه ابن خلدون بالتفصيل كما سيأتي.

[٦] - كانت ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المري للسند في اطار ولاية خالد بن عبد الله القسري إلى عام ١١١هـ ثم تولى السند الأمير اليمني الحكيم بن عوانة الكلبي أمير السند (١١١ - ١١٧هـ) وسيأتي الحديث عن السند بالتفصيل.

[٧] - هو الأمير اليمني الجراح بن عبد الله الحكمي أمير أرمينية وأذربيجان إلى أوائل خلافة هشام (١٠٥ - ١٠٧هـ) ثم تولاها الأمير اليمني الحارث بن عمرو الطائي . . . ثم عاد الجراح أميراً على أرمينية وأذربيجان (١١١ - ١١٢هـ) كما سيأتي بالتفصيل.

[٨] - كان والي اليمن في خلافة يزيد بن عبد الملك الأمير اليمني مسعود بن عوف الكلبي (١٠٢ - ١٠٦هـ) ثم ولى هشام على اليمن:

أ - يوسف بن عمر الثقفي (١٠٦هـ - ١٢٠هـ) ثم استقدمه هشام من اليمن وولاه على العراق عام ١٢٠هـ.

ب - الصلت بن يوسف الثقفي (١٢٠هـ - ١٢٥هـ) ومكث الصلت والياً لليمن في عهد الوليد بن يزيد (١٢٥ - ١٢٦هـ).

ثم سقط الصلت قتيلاً في ثورة طالب الحق كما سيأتي.

[٩] - هو الأمير اليمني بشر بن صفوان الكلبي أمير بلاد المغرب العربي (شمال أفريقيا) منذ عام ١٠٢هـ وفي خلافة هشام إلى أن مات بالقيروان عام ١٠٩ هجرية.

وفي تلك الفترة تولى الأندلس الأمير اليمني عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٣ - ١٠٧هـ) وقام عنبسة بن سحيم الكلبي بمواصلة فتوح فرنسا التي كان بدأها السمع بن مالك الخولاني، فقام عنبسة الكلبي (عام ١٠٦هـ) بافتتاح (قرقشونة) و(نيم) من جنوب فرنسا، ثم افتتح (ليون) و(ماسون) و(شالمون) و(ديجون) من شرق فرنسا بعد أن عبر نهر الرون المشهور، قال المؤرخ الأوروبي (إيزيدور): «إن فتوحات عنبسة كانت فتوحات حذق ومهارة أكثر منها فتوحات قوة وبطش» وقال جوزيف رينو «تضاعف في أيام عنبسة خراج بلاد الغال بفرنسا» =

مكانه عبيدة بن عبد الرحمن بن الأغرّ السلمي، فعزل عبيدة يحيى بن سلمة الكلبي عن الأندلس^[١٠] واستعمل حذيفة بن الأخصب الأشجعي ثم عزل لسته أشهر ووليها عثمان بن أبي لسعة الخثعمي^[١١]، وفي سنة عشر ومائة جمع خالد بن عبد الله الصلاة والأحداث والشرط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبي بردة الأشعري، وفي سنة إحدى عشرة ومائة ولي هشام على خراسان الجنيد بن عبد الرحمن (المري)، وولى على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وعزل مسلمة، وفيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل أفريقية وعثمان بن أبي لسعة عن الأندلس^(١١) وولى مكانه الهيثم بن عبيد الكناني.. ومات الهيثم عامل الأندلس - سنة اثنتي عشرة - وولوا على أنفسهم مكانه محمد بن عبد الله الأشجعي شهرين، وتولى بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي وغزا افرنجة فاستشهد^[١٢]، فولى عبيدة - عامل أفريقية - مكانه عبد الملك بن قطن الفهري، ثم عزل عبيدة عن أفريقية وولى مكانه عبد الله بن الحبحاب وكان على مصر فسار إليها^[١٣].. وفي سنة ست عشرة ومائة

= (اه) وفي عام ١٠٧ هـ افتتح عنيسة (لانجزر) ثم (سانس) - جنوب باريس - فأصيب هناك بجراح، ومات عنيسة بالأندلس عام ١٠٧ هـ (٧٢٥ م).

[١٠] - هو الأمير اليميني يحيى بن سلمة الكلبي أمير الأندلس بعد عنيسة الكلبي من عام ١٠٧ هـ إلى أوائل عام ١١٠ هجرية.

[١١] - هو الأمير اليميني عثمان بن أبي لسعة الخثعمي، تولى الأندلس عام ١١٠ هـ إلى عام ١١١ هجرية.

[١٢] - هو الأمير اليميني الفاتح عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي العكي الأزدي، من قبيلة عك الأزدي بتهامة اليمن، وكان من نواب عنيسة الكلبي في الأندلس وفي أربونة جنوب فرنسا، ثم تولى عبد الرحمن الغافقي بلاد الأندلس عام ١١٢ هـ وقام بتفخيم بناء قنطرة قرطبة المشهورة، ثم انطلق فاتحاً شمال غرب فرنسا عام ١١٣ هـ «وأوغل في مقاطعتي أكتانية وبورغونية وافتتح مدينة (بورردو) ودحر جيش شارل مارتل ملك فرنسا» ثم تقدم عبد الرحمن الغافقي - عام ١١٤ هـ - فاتحاً شمال فرنسا وحشد شارل مارتل الإفرنج والجرمانيين لمواجهة فنشبت معركة (بواتيه) المشهورة ببلاط الشهداء حيث استشهد عبد الرحمن الغافقي في ٧/ أكتوبر/ ٧٣٢ م الموافق ١٤ شعبان ١١٤ هجرية.

[١٣] - كان عبد الله بن الحبحاب الأنصاري من ولاية مصر في الفترة (١٠٦ - ١٠٩ هـ) والتي تولى مصر خلالها كل من:

أ - عبد الله بن الحبحاب.

ب - حفص بن الوليد الحضرمي عام ١٠٨ هـ.

ج - عبد الملك بن رفاعة اللخمي تولاها ١٥ يوماً ومات عام ١٠٩ هـ.

(*) ثم تولى مصر الأمير اليميني الوليد بن رفاعة اللخمي عام ١٠٩ هـ إلى وفاته عام ١١٧ هـ. =

استعمل عبد الله بن الحبحاب على الأندلس عقبة بن الحجاج القيسي مكان عبد الملك بن قطن... وفي سنة سبع عشرة ومائة ولى هشام على أفريقية والأندلس عبد الله بن الحبحاب، وكان على مصر فسار إليها واستخلف على مصر ولده وولى على الأندلس عقبة بن الحجاج وعلى طنجة ابنه إسماعيل وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع وأغراه إلى صقلية سنة ١٢٢ ثم استدعاه لفتنة البربر كما نذكر في أخبارهم^(١٣)، وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة قُتل كلثوم بن عياض الذي بعثه هشام لقتال البربر بالمغرب^[١٤]، وتوفي عقبة بن الحجاج أمير الأندلس وقيل بل خلعه وولى مكانه عبد الملك بن قطن ولايته الثانية، وفي سنة أربع وعشرين ومائة تغلب بلج على الأندلس ثم مات وكان سار إليها من فل كلثوم بن عياض لما قتله البربر بالمغرب^(١٤)، وولى هشام على الأندلس أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي^[١٥] فأمر

= (***) بينما تولى عبد الله بن الحبحاب الأنصاري بلاد المغرب العربي (شمال أفريقية) عام ١١٦هـ وجمع له هشام ولاية الأندلس إلى جانب المغرب عام ١١٧هـ - أو منذ عام ١١٦هـ - فكان أمراء الأندلس نواباً له، واستمر كذلك إلى عام ١٢٢هـ فشهد المغرب الأقصى فتنة بربرية ذكرها ابن خلدون في أخبار المغرب والبربر فمات ابن الحبحاب فيها عام ١٢٢هـ.

[١٤] - هو الأمير اليميني كلثوم بن عياض القشيري المذحجي، وكان عامل دمشق في خلافة هشام بن عبد الملك حيث ذكر الطبري وقور حرائق في بعض دور دمشق، فقال كلثوم بن عياض عامل دمشق: إن الحرائق من عمل موالي خالد بن عبد الله القسري، فأذن له هشام بحبس آل خالد ومواليه وكان خالد في غزوة إلى بلاد الروم آنذاك (عام ١٢٢هـ) ثم قام صاحب شرطة دمشق بالقبض على العصاة التي أشعلت الحرائق، واتضح عدم صحة اتهامات كلثوم بن عياض لموالي خالد فأطلق هشام سراحهم، ولما رجع خالد من الغزو غضب لذلك غضباً شديداً - [ص ١٩ ج ٩/ الطبري].

(***) ثم ولى هشام كلثوم بن عياض على المغرب التي شهدت آنذاك حركة تمرد بربرية قوية، فسار كلثوم إلى المغرب وحارب المتمردين فقتل في حربه إياهم بأواخر عام ١٢٣هـ - [ص ٢٥٤ ج ٤/ الكامل لابن الأثير] - ثم تولى المغرب حنظلة بن صفوان الكلبي - عام ١٢٤هـ - وأعاد الاستقرار إلى ربوعها.

[١٥] - هو الأمير اليميني أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي أمير الأندلس (١٢٤ - ١٣٠هـ) وكان حازماً شجاعاً فصيحاً شاعراً، وقيل إنه «أفرط في التعصب لقومه من اليمانية» وذلك - غالباً - بعد مقتل خالد بن عبد الله القسري بتدبير الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (عام ١٢٦هـ) وما تلا ذلك من ردود فعل وثورات وفتن امتدت من خراسان شرقاً إلى الأندلس غرباً في خلافة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين (١٢٧ - ١٣١) وكان أبو الخطار حسام الكلبي قد قال (بعد مقتل خالد القسري غالباً):

أقادت بنو مروان قيساً دماناً وفي (السيف) إن لم يعدلوا حكم عدل
 كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ولم تعلموا من كان ثم له الفضل =

حنظلة بن صفوان أن يوليه فولاه^[١٦]، وكان ثعلبة بن خزامة الجرابي قد ولوه بعد بلج فعزله أبو الخطار - وتولى الأندلس - [١٧] - [١٨]هـ/ [١٨].

ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق^[١٩]

- لما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة في شعبان سنة خمس ومائة - عزل

= وقيناكم حر القنا بنحورنا وليس لكم خيلٌ تعدُّ ولا رجل وقال ابن الأثير: إن أبا الخطار قال هذه الأبيات في خلافة هشام عام ١٢٤هـ فلما بلغ ذلك هشاماً قام بتوليته على الأندلس [ص ١٦٠ ج ٣/الكمال].

[١٦] - هو الأمير اليميني حنظلة بن صفوان الكلبي، وكان قد تولى مصر عام ١٠٢هـ إلى عام ١٠٦هـ، ثم:

أ - في الفترة (١٠٦ - ١٠٩هـ) تولى مصر كل من عبد الله بن الحبحاب ثم حفص بن الوليد الحضرمي ثم عبد الملك بن رفاعة اللخمي.

ب - ثم تولى مصر الأمير اليميني الوليد بن رفاعة اللخمي (١٠٩ - ١١٧هـ) ومن الحوادث في أيامه أنه أذن ببناء كنيسة بالحمراء فثار وهيب اليحصبي فقتل، فخرج القراء بالفسطاط غضباً لمقتله فأصلح الوليد بن رفاعة الأمر وتم بناء الكنيسة بالحمراء وعرفت بعد ذلك بأبي الميناء، وكان الوليد بن رفاعة محمود السيرة ومات عام ١١٧هـ.

ج - ثم تولى مصر الأمير اليميني عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي من بني فهم الجمرات اللخمين، وكان من رجال الحديث الثقة كما كان قائد شرطة مصر من عام ١٠٩هـ ثم ولاه هشام على مصر فتولاها سنتين (١١٧ - ١١٨هـ) ثم عزله هشام بسبب غارة رومية على ساحل مصر.

د - ثم تولى مصر للمرة الثانية حنظلة بن صفوان الكلبي عام ١١٩هـ فمكث والياً لمصر سبع سنوات (١١٩ - ١٢٤هـ).

هـ - ثم تولى حنظلة بن صفوان الكلبي بلاد المغرب بأكملها (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) عام ١٢٤هـ بالإضافة إلى أن أمير الأندلس (أبو الخطار حسام الكلبي) كان أميراً بتولية منه، فمكث حنظلة والياً لبلاد المغرب إلى وفاة هشام بن عبد الملك (في ربيع الآخر ١٢٥هـ) ثم في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦هـ) وخلافة يزيد بن الوليد (١٢٦ - ١٢٧هـ) ثم في أوائل خلافة مروان إلى عام ١٢٩ هجرية.

و - وفي تلك الفترة تولى مصر بعد حنظلة بن صفوان الأمير اليميني حفص بن الوليد الحضرمي (١٢٤ - ١٢٨هـ).

[١٧] - مكث أبو الخطار أميراً لبلاد الأندلس إلى اندلاع الفتن أيام مروان بن محمد ومقتل أبي الخطار عام ١٣٠هـ/ ٧٤٨م فكان أبو الخطار حسام الكلبي آخر حكام الأندلس في إطار الدولة العربية الإسلامية الكبرى.

[١٨] - انتهى ما نقلناه من حديث ابن خلدون الإجمالي عن الولاية في خلافة هشام بن عبد الملك (ص ١٤٠ ج ٣).

[١٩] - استهل ابن خلدون حديثه التفصيلي عن عهد هشام بن عبد الملك بخبر تولية خالد بن =

ابن هبيرة عن العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري فسار إلى العراق من يومه [٢٠]، . . . وغزا مسلم بن سعيد - (أمير خراسان) - الترك فعبر النهر . . . ولما قطع مسلم النهر ولحقه من لحق من أصحابه سار إلى بخارى فلحقه بها كتاب خالد بن عبد الله القسري بولايته وسار لاتمام غزاته [٢١]، فسار إلى فرغانة، وبلغه أن خاقان قد أقبل إليه فارتحل، ولحقه خاقان بعد ثلاث مراحل لقي فيها طائفة من المسلمين فأصابهم، ثم أطاف بالعسكر وقاتل المسلمين وقتل المسيب الرباحي

= عبد الله القسري على العراق (ص ٨٥ ج ٣) ولم يتوسع في الخبر عن خالد وانتقل إلى خراسان فأوردنا ذلك كما في سياق ابن خلدون، وكان خالد من عظماء اليمانيين وهو (خالد بن عبد الله بن أسد بن كرز القسري البجلي) وكان قد تولى إمرة مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٩ - ٩٦هـ) ثم أقام بالشام وكان من رؤساء اليمانيين بالشام ومن وجوه أهل الشام وذوي الرأي والمشورة على الخلفاء، ويقول الدكتور ناجي حسن «ولا يخفى أن خالد بن عبد الله وإن كان ذا نزعة يمانية إلا أن هذا الشعور لم يطغ على سياسته بالشكل الذي يجعله منساقاً وراء الأهواء» [ص ١٦٠/ القبائل العربية في المشرق].

[٢٠] - تولى الأمير اليماني خالد بن عبد الله القسري ولاية العراق ومشارقتها في شوال ١٠٥هـ/ مارس ٧٢٤م ودام حكمه للعراق إلى عام ١٢٠هـ حيث - كما تؤكد الدراسات - «وقف خالد حياته على السعي لإقرار السلام والنهوض بالعراق من الناحية الاقتصادية، فقد ساد العراق السلام والأمن خلال عهده الطويل، واحتفل بالزراعة، فحُففت البطائح واستصلح كثير من الأراضي البكر للزراعة، وشق الأنهار، وحققت جهوده المثمرة الرفاهية للبلاد» وكذلك وُفق خالد توفيقاً كبيراً في تنمية أمواله الخاصة علاوة على جهوده في تحقيق رفاهية البلاد، فجمع على الأيام ثروة طائلة» وكان خالد أكرم وأجود من الريح المرسله، يروى أنه «كان إذا جلس يوضع المال بين يديه ويقول: إن هذه الأموال ودائع لا بدّ من تفرقتها» وفيه قال الشاعر:

إليك ابن كرز الخير أقبلت راغباً	لستجبر مني ما وهى وتبديدا
إلى الماجد البهلون ذي الحلم والندى	وأكرم خلق الله فرعاً ومحتدا
إذا ما أناس قصرُوا بفعالهم	نهضت فلم تلتق هنالك مفقدا
فيا لك بحرأ يغمر الناس موجه	إذا يُسال المعروف جاش وأزيدا
. . فلو كان في الدنيا من الناس خالد	لجود بمعروف لكنت مخلدا

[٢١] - كانت ولاية خالد بن عبد الله القسري تشمل العراق ومشارقتها وبلاد خراسان، وكان مسلم بن سعيد الكلابي القيسي أميراً لخراسان لابن هبيرة والي العراق السابق (١٠٤ - ١٠٥هـ) وشهدت خراسان في تلك الفترة العديد من الفتن التي أوهنت المسلمين مما أتاح للترك وملكهم خاقان احتلال أجزاء من البلاد، فلما تولى خالد القسري العراق وتم ضم خراسان إليه كتب إلى مسلم بن سعيد باستمرار ولايته على =

والبراء من فرسان المهلب وأخو غورك وثار الناس في وجوههم، ورحل مسلم بالناس والترك مطيفون بهم بعد أن أمر باحراق ما ثقل من الأمتعة فأحرقوا ما قيمته ألف ألف، وأصبحوا قريب النهر دونه أهل فرغانة والشاش فأمر مسلم الناس أن يخرطوا سيوفهم ويحملوا، فأفرج أهل فرغانة والشاش عن النهر ونزل مسلم بعسكره ثم عبر من الغد واتبعهم ابن خاقان . . . واتوا خجندة وقد أصابتهم مجاعة وجهد، ولقيهم هنالك كتاب أسد بن عبد الله القسري أخي خالد بولايته على خراسان واستخلافه عبد الرحمن بن نعيم فقرأ مسلم الكتاب وقال سمعاً وطاعة [٢٢٢].

ولاية أسد القسري على خراسان - للمرة الأولى - [٢٢٣]

استعمل خالد بن عبد الله على خراسان أخاه أسد بن عبد الله (سنة سبع ومائة) فقدم ومسلم بن سعيد بفرغانة، فلما رجع وأتى النهر ليقطعه منعه الأشهب بن عبد الله التميمي وكان على السفن بآمد حتى عرف أنه الأمير فأذن له، ثم عبر أسد النهر ونزل بالمرج [٢٢٤]، وكان على سمرقند هانئ بن هانئ فخرج

= خراسان - وذلك عام ١٠٦هـ - وكان مسلم بن سعيد قد بدأ في المسير لقتال العدو فواصل المسير للغزو.

[٢٢٢] - أسفرت المواجهات مع الترك عن تراجع كبير للمسلمين وحوصرت سمرقند وغيرها، فتم تولية أسد بن عبد الله على خراسان.

[٢٢٣] - تولى الأمير اليميني أسد بن عبد الله القسري بلاد خراسان مرتين، المرة الأولى عام ١٠٦هـ - ١٠٩هـ - أو عام ١٠٧ - ١٠٩هـ كما في تاريخ ابن خلدون لذلك أضفنا عبارة (المرة الأولى) إلى عنوان ابن خلدون هنا، أما المرة الثانية فكانت عام ١١٧ - ١٢٠هـ - كما سيأتي - ويتألف اسم خراسان من كلمتين (خر) ومعناها (الشمس) و(أسان) ومعناها (المشرقة) فهي بلاد الشمس المشرقة، وتضم بالتسميات الحالية جمهورية تركمانستان وجمهورية أوزبكستان حيث سمرقند وبخارى كما تضم إقليم خراسان بأعالي إيران وإقليم بلخ بأفغانستان وتمتد إلى جهات تاجيكستان وسائر آسية الوسطى، وكانت مدينة (مرو) هي عاصمة بلاد خراسان.

[٢٢٤] - كانت تولية أسد على خراسان بكتاب من الخليفة هشام إلى خالد القسري، فسار أسد إلى (مرو) العاصمة - أولاً - وقام بتجميع الصفوف ثم سار قاصداً سمرقند التي كانت محاصرة، وقد عبر أسد النهر ونزل المرج - كما في نص ابن خلدون - وهو (مرج السفد) فخرج الناس لاستقباله «فأتوه بالمرج وهو جالس على حجر، فتفائل الناس فقالوا: أسد على حجر، إن عند هذا خيراً» (اه).

بالناس وتلقى أسداً وادخله سمرقند^[٢٥]، وبعث أسد إلى عبد الرحمن بن نعيم بالولاية على العسكر فقبل بالناس إلى سمرقند^(٢٥)، ثم عزل أسد هائناً عنها وولى مكانه الحسن بن أبي العمرطة الكندي، وقدم مسلم بن سعيد على أسد بن عبد الله بخراسان فكان يكرمه، ثم غزا أسد بن عبد الله الغور وهي جبال هراة، فوضع أهلها أثقالهم في الكهوف ولم يكن إليها طريق فاتخذ أسد التواييت ووضع فيها الرجال ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه^[٢٦]، ثم قطع أسد النهر وجاءه خاقان ولم يكن بينهما قتال، وقيل عاد مهزوماً من الجسر^[٢٧]، ثم سار (أسد) إلى غورين وقتلها، وأبلى نصر بن سيار ومسلم بن

[٢٥] - تضمن مسير أسد إلى سمرقند ودخوله إياها فك حصار الترك على سمرقند وصددهم عنها، وبعث أسد إلى عبد الرحمن بن نعيم (الغامدي الأزدي) بتوليته قيادة عسكر المسلمين الذين كانوا مع مسلم بن سعيد بين فرغانة وخجندة فتم تجميع قوة المسلمين في سمرقند وبخارى واستعمل أسد على سمرقند الحسن الكندي وعاد إلى مرو عاصمة خراسان يدير شؤون الولاية، وكان ذلك في أوائل عام ١٠٧هـ.

[٢٦] - ابتدأ أسد بن عبد الله - كما في تاريخ الطبري - بغزو وفتح (غوجستان) حيث استسلم حاكمها (نمرون) ودخل مع قومه في الإسلام، ثم غزا بلاد الغور التي منها (أزب) و(صك) حيث «حمل ملكها وأهاليها أثقالهم وأموالهم وكنوزهم وأخفوها في كهف ليس له طريق» ثم حاربوا أسد بن عبد الله فهزمهم وفتح البلاد، ثم استخرج الأموال والأثقال من الجبل كما هو مذكور.

(**) وكان في موكب أسد بن عبد الله الشاعر ثابت بن قطنة الأزدي (شاعر ثورة ابن المهلب) حيث يقول الدكتور عطوان: «اعتزل ثابت بن قطنة الحياة العسكرية والأدبية بعد إخفاق ثورة المهالبة، وأصبح خائفاً ضائعاً من الولاة القيسيين بخراسان. . حتى تولى أسد بن عبد الله القسري خراسان فلمعت شخصية ثابت واسترد مكانته وانحلت عقدة لسانه» [اهـ] وسجلت قصائد ثابت بن قطنة فتوحات أسد بن عبد الله كما في قصيدته البائية حيث قال:

أرى أسداً تضمن مفضعات	تهيبها الملوكة ذور الحجاب
سما بالخيل في أكناف مرو	توفزهن بين هلا وهاب
إلى غورين حيث حوى أزب	وصك بالسيوف وبالحراب
.. ملاحم لم تدع لسراة كلب	مفاخرة ولا لبني كلاب

[٢٧] - لما غزا أسد بلاد خاقان فيما يلي سمرقند وبخارى من بلاد ما وراء النهر حشد الخاقان جيشاً عظيماً فرأى أسد عدم صواب التوغل في بلاد خاقان واكتفى بما حقق من غنائم وأحرق مسالح الخاقان وعاد إلى بلخ، ثم غزا واقتنح بلاد الغورين فأذعت له ملوك الترك وأدت الجزية، وفي ذلك قال ثابت بن قطنة قصيدة منها:

أحور، وانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم بما فيه^[٢٨]، وكان أسد بن عبد الله في ولايته على خراسان يتعصب حتى أفسد الناس^[٢٩]، وضرب نصر بن سيار بالسياط وعبد الرحمن بن نعيم وسورة بن أبجر والبختري بن أبي درهم وعامر بن مالك الحماني وحلقهم وسيرهم إلى أخيه وكتب إليه أنهم أرادوا الوثوب بي، فلامه خالد وعثفه وقال: هلا بعثت برؤوسهم^(٢٩) وخطب أسد يوماً فلعن أهل

= أرى أسداً في الحرب إذ نزلت به
تناول أهل السبل خاقان ردؤه
وقارح أهل الحرب فاز وأوجبا
فحرق ما استعصى عليه وخربا
.. أتتك وفود الترك ما بين كابل
وغورين إذ لم يهربوا منك مهربا

[٢٨] - وفي تلك الفترة - عام ١٠٨هـ - قام أسد بن عبد الله بعمل تاريخي كان أهم من كل الفتوحات وهو تشييد مدينة بلخ، حيث «اختار أسد أرضاً مستوية تتوسطها الأنهار، ثم ألزم أهل كل مدينة وناحية من ولاية خراسان ببناء جزء من المدينة، ثم جعل على المدينة سوراً له سبعة أبواب، وبعد السور الأول سورين يبعدان عنه ١٢ فرسخاً، ويحيط بقراها ومزارعها.. وبعد أن تم بناء المدينة نقل أسد إليها العرب والمسلمين الساكنين في (البروقان) بوسط خراسان إلى مدينة بلخ، واقطع كل من له بالبروقان مسكن مسكناً بقدر مسكنه، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً، وخلط بين السكان منعاً للعصبية» فأصبحت بلخ مدينة إسلامية عاصمة، وفي ذلك قال الشاعر أبو البريد البكري يشني على أسد بن عبد الله قصيدة أورد منها الطبري [ص ١٨٩ ج ٨] قوله فيها مادحاً أسد بن عبد الله:

يا خير ملك ساس أمر رعية
إن المباركة التي حصنتها
إني على صدق اليمين لحالف
عصم الذليل بها وقر الخائف
فمضى لك الاسم الذي يرضى به
عنك البصير بما نويت اللاطف

[٢٩] - لقد شاع في الروايات اتهام أسد بن عبد الله بالعصبية بحيث قال د. حسين عطوان أيضاً: - «تعصب أسد بن عبد الله لقومه اليمانية، وأهان المضرية، وضرب نصر بن سيار ونفراً معه بالسياط وسيرهم إلى أخيه خالد مدعياً أنهم أرادوا الوثوب عليه» (اهـ) بينما الواقع هو أن بعض القيسية المضرية هم الذين كانوا يثيرون العصبية والعداء على خالد بن عبد الله وأخيه أسد منذ تولية خالد على العراق بدلاً عن ابن هبيرة (القيسي) وتولية أسد على خراسان بدلاً عن مسلم الكلابي (القيسي) بحيث - كما تنطق الدراسات - «خلقت القيسية حول خالد منذ اللحظة الأولى التي تولى فيها جواً مشعباً بروح العداء أكرهه على التحول إلى قومه اليمانية برغم حيدته» أما حبس نصر بن سيار ومن معه فقد اقترن ذلك بقدم داعية لبني العباس اسمه (زياد أبو محمد) إلى خراسان عام ١٠٩هـ فأخذ ينشط في دعوته، وكان لا بد أن يمنع أسد التماذي في ذلك بحكم مسؤوليته فشملت الإجراءات نصراً ومن معه عن طريق الخطأ غالباً فاستغل المتعصبون للقيسية ذلك لتصعيد الحملة ضد خالد وأسد.

خراسان^[٣٠]، فكتب هشام بن عبد الملك إلى خالد: أعزل أخاك، فعزله في رمضان سنة تسع ومائة^(٣٠) وولى مكانه الحكم بن عوانة الكلبي فقعد عن الصائفة تلك السنة^[٣١]، فاستعمل هشام على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي وأمره أن يراجع خالد^[٣٢].

أخبار ولاية السند^[٣٣]

وتولى الجنيد بن عبد الرحمن على السند أيام هشام بن عبد الملك^[٣٤]، فأتى شط مهرا ن ومنعه حليشة بن داهر العبور، وقال: إني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي ولست آمنك، فأعطاه الرهن^[٣٥]، ثم ردّها حليشة وكفر

[٣٠] - ليس في خطبة أسد لعناً لأهل خراسان وقد أوردها الطبري وابن الأثير حيث تقول الروايات إن أسد بن عبد الله خطب في المنبر وقال «من يروم ما قبلي أو يترمرم، وخالد أخي، ومعني اثنا عشر ألف سيف يماني» فاستغل المتعصبون ذلك لإقناع هشام بن عبد الملك بعزل أسد عن ولاية خراسان - على الأقل - فكتب هشام إلى خالد بإعفاء أسد من ولاية خراسان فأعفاه في رمضان ١٠٩هـ فعاد أسد إلى العراق وساعد خالد على إدارة شؤون ولاية العراق ومشارقتها إلى أن كتب هشام إلى خالد بعودة أسد والياً على خراسان عام ١١٧هـ كما يأتي.

[٣١] - ربما كان المقصود أن الحكم بن عوانة الكلبي كان في غزوة الصائفة ببلا د الروم في تلك السنة.

[٣٢] - كانت ولاية أشرس السلمي (القيسي) لخراسان في إطار الولاية العليا لخالد بن عبد الله وتم عزل أشرس عام ١١١هـ.

[٣٣] - تقدم الخبر عن السند في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وولاية حبيب بن المهلب على السند وأن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام على أن يملكهم على بلادهم فأسلم حليشة بن داهر والملوك، ونستكمل هنا بقية ما ذكره ابن خلدون عن السند (ص ٦٦ ج ٣) لكون ذلك في خلافة هشام.

[٣٤] - كانت ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المري للسند تابعة لولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق ومشارقتها حيث كما ذكر البلاذري: «ولى هشام بن عبد الملك الجنيد على السند، فلما تولى خالد بن عبد الله القسري العراق كتب هشام إلى الجنيد يأمره بمكاتبته» [ص ٤٢٩ - فتوح البلدان].

[٣٥] - يعني حليشة بالرجل الصالح عمر بن عبد العزيز، ثم بعد عبارة «.. ولست آمنك» كما في تاريخ البلاذري «فأعطاه رهناً وأخذ منه رهناً بما على بلاده من الخراج، ثم تراذاً الرهن وكفر حليشة وحارب، وقيل إنه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه..»

وحارب فحاربه الجنيد في السفن وأسره ثم قتله^(٣٥)، وهرب صصه بن داهر إلى العراق شاكياً لغدر الجنيد فلم يزل يؤنسه حتى جاءه فقتله^[٣٦]، ثم غزا الجنيد الكيرج من ثغر الهند وكانوا نقضوا فاتخذ كباشاً نطاحة ثم صك بها سور المدينة فثملها ودخل فقتل وسبى وغنم، وبعث العمال إلى مرمد والمندل ودهنج، وبعث جيشاً إلى أزين فأغاروا عليها وأحرقوا ربضها وحصل عنده سوى ما حمل أربعون ألف ألف وحمل مثلها^[٣٧]، ثم ولي تميم بن زيد العتبي فضعف ووهن ومات قريباً من الديبل، وفي أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند وتركوا مراكزهم. ثم ولي الحكم بن عوانة الكلبي^[٣٨]، وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصة، فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى المسلمين^(٣٨)، وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم وكان يفوض إليه عظام الأمور، وأغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر، أمره الحكم فبنى مدينة وسماها المنصورة وهي التي كان امراء السند ينزلونها، واستخلص الحكم ما كان غلب عليه العدو ورضي الناس بولايته^[٣٩]،

[٣٦] - بعد مقتل حليشة (هرب صصه بن داهر وهو يريد أن يمضي إلى العراق ليشكو الجنيد إلى خالد القسرى، فلم يزل الجنيد يستميله ويؤنسه حتى أقبل إليه فقتله).

[٣٧] - انتهت ولاية الجنيد على السند بتوليته على خراسان بدلاً عن أشرس السلمي حيث تم عزل أشرس السلمي عن خراسان عام ١١١ هـ وتولية الجنيد بدلاً عنه، فولى خالد على السند تميم بن زيد العتبي فضعف ثم مات بالقرب من الديبل.

[٣٨] - هو الأمير اليمني الحكم بن عوانة الكلبي أمير بلاد السند (١١٢ - ١١٧ هـ) واستهل الحكم الكلبي ولايته للسند ببناء مدينة المحفوظة، قال البلاذري: «فبنى الحكم بن عوانة الكلبي من وراء البحيرة مما يلي الهند مدينة سماها المحفوظة، وجعلها مأوى للمسلمين وملاذاً ومَصْرَها - أي جعلها مدينة عاصمة - وقال لمشايخ كلب من أهل الشام: ما ترون أن نسميها، فقال بعضهم دمشق وقال بعضهم حمص، وقال رجل منهم نسميها تدمر، فقال: دمر الله عليك يا أحمر ولكنني أسميها المحفوظة» ثم أمر الحكم بن عوانة ببناء مدينة ثانية دون البحيرة سماها المنصورة، قال البلاذري «وهي التي ينزلها العمال اليوم» [ص ٤٣١] أي أنها أصبحت عاصمة ومقر أمراء السند.

[٣٩] - لما استخلص الحكم ما كان غلب عليه العدو ورضي الناس بولايته «كان خالد بن عبد الله القسرى يقول: واعجبا وليت فتى العرب فرفض يعني تميماً ووليت أبخل الناس فُرضي به» [ص ٤٣١/فتوح البلدان].

ثم قُتل الحكم وضعفت الدولة الأموية عن الهند^[٤٠]، - [اه].

ولاية الجراح الحكمي الثانية على أرمينية واستشهاده^[٤١]

قد كان تقدم لنا دخول الجراح إلى بلاد الخزر سنة أربع ومائة وانهزامهم أمامه وأنه أثنخن فيهم ومَلَك بلنجر وردها على صاحبها وأدركه الشتاء فأقام هناك^[٤٢]، وأن هشاماً أقره على عمله^[٤٣]، ثم ولاه أرمينية فدخل بلاد التركمان من ناحية تفليس سنة إحدى عشرة ومائة^[٤٤]، ففتح

[٤٠] - انتهت ولاية الحكم الكلبي باستشهاده عام ١١٧هـ وقد تولى السند الأمير اليميني منصور بن جمهور الكلبي في أواخر عصر الدولة الأموية إلى أوائل العصر العباسي [ص ٤٣١ فتوح البلدان للبلاذري].

[٤١] - كان الأمير اليميني الجراح بن عبد الله الحكمي المذحجي أميراً والياً على أرمينية وأذربيجان في خلافة يزيد بن عبد الملك عام ١٠٤ - ١٠٥هـ - كما تقدم - حيث «افتتح بلاد حمزين ثم صالحهم على أن نقلهم إلى رستاق خيزان وجعل لهم قريتين منه، وأوقع بأهل غوميك وسبى منهم وافتتح بلنجر» (اه).

[٤٢] - بعد تلك الفتوح - وكما ذكر البلاذري - «أقام الجراح في (شكي) و(شتاجنده) ببرذعة والبيلقان، وكانت مدينة برذعة عاصمة ولاية أرمينية وأذربيجان (وأقام الجراح مكابيلها وموازينها على العدل والاستواء).

[٤٣] - أقر هشام بن عبد الملك الجراح الحكمي على ولايته نحو سنتين (١٠٦ - ١٠٧هـ) ثم ذكر ابن خلدون في خبر الولاة - كما تقدم - أنه «عزل هشام الجراح بن عبد الله الحكمي عن أرمينية وأذربيجان وولى مكانه أخاه مسلمة بن عبد الملك فولى عليها الحرث بن عمرو الطائي» [اه] ثم قال ابن خلدون «وفي سنة إحدى عشرة ومائة ولى هشام على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وعزل مسلمة» [اه/ص ١٣٩ ج ٣] وكان أمر المسلمين في أرمينية قد ضعف في فترة ولاية مسلمة، فلما عاد الجراح والياً عليها عاذت قوة المسلمين في بلاد أرمينية (القوقاز).

[٤٤] - تفليس هي عاصمة جورجيا في بلاد القوقاز حالياً، فلما أعاد الجراح بن عبد الله الحكمي افتتاحها عام ١١١هـ - وكما ذكر البلاذري - «كتب الجراح بن عبد الله الحكمي لأهل تفليس كتاباً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الجراح بن عبد الله لأهل تفليس من رستاق منجليس من كورة جوزان، إنه أتوني بكتاب أمان لهم من حبيب بن مسلمة على الإقرار بصغار الجزية وإنه صالحهم على أرضين لهم وكروم وأرحاء يقال لها واري وسابينا من رستاق منجليس وعن طعام وديدونا من رستاق قحويط من جرزان على أن يؤدوا عن هذه الأرحاء والكروم في كل سنة مائة درهم بلا ثمانية، فأنفذت لهم أمانهم وصلحهم، وأمرت الإيراد عليهم، فمن قرىء عليه كتابي فلا يتعدى ذلك فيهم إن شاء الله» (اه).

الجراح مدينتهم البيضاء وانصرف ظافراً^[٤٥]، فاجتمع الخزر والترك من ناحية اللاف وزحف إليهم الجراح سنة اثنتي عشرة، ولقيهم بمرج أردبيل، فاقتتلوا أشد قتال، وتكاثر العدو عليه فاستشهد ومن معه^[٤٦].

وقد كان الجراح استخلف أخاه الحجاج على أرمينية، ولما قُتل طمع الخزر وهم التركمان وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل^[٤٧]، وقيل كان قتله ببلنجر^[٤٨]، ولما بلغ الخبر هشاماً دعا سعيداً الحريشي^[٤٩] فقال: بلغني أن الجراح انهزم، قال: الجراح أعرف بالله من أن ينهزم ولكن قُتل - (أو قاتل فقتل) - فابعثني على أربعين من دواب البريد وابعث إلي كل يوم أربعين رجلاً مدداً، واكتب إلى امراء الأجناد يواسوني، ففعل، وسار الحريشي فلا يمر بمدينة إلا ويستنهض أهلها فيجيبه من أراد الجهاد، ووصل مدينة أزور فلقية جماعة من أصحاب الجراح فردهم معه، ووصل إلى خلط فحاصرها وفتحها وقسم غنائمها، ثم سار عنها يفتح القلاع والحصون إلى

[٤٥] - شملت فتوحات الجراح بلاد جورجيا وغيرها من أرجاء القوقاز، وتم ترسيخ السلطان العربي الإسلامي في ربوعها، وشهدت تلك الفترة توطين «أربعة وعشرين ألفاً من أهل الشام العرب من أهل العطاء في مدينة باب الأبواب» بأذربيجان وداغستان حالياً أسكنهم فيها مسلمة بن عبد الملك أو الجراح الحكمي [ص ٢٠٩/ فتوح البلدان].

[٤٦] - قال البلاذري عن ذلك «جاشت الخزر وعبرت الروس (معهم) فحاربهم الجراح في صحراء ورتان، ثم انحازوا إلى ناحية أردبيل فواقعهم الجراح على أربعة فراسخ مما يلي أرمينية فاقتتلوا ثلاثة أيام، فاستشهد ومن معه فسمي ذلك النهر نهر الجراح ونسب جسر عليه إلى الجراح أيضاً» [ص ٢٠٨/ فتوح البلدان].

ولا بد أن جسر الجراح نُسب إليه لأنه لأنه الذي قام ببناء الجسر على ذلك النهر في مرج أردبيل بأرمينية، كما بنى السمع بن مالك الخولاني وعبد الرحمن الغافقي جسر قرطبة في الأندلس آنذاك.

[٤٧] - تدل الوقائع اللاحقة أنهم لم يقاربوا الموصل وإنما بلغوا مدينة ورتان من أذربيجان وحاصروها.

[٤٨] - لعل الذي قتل في بلنجر هو الحجاج - أو العجاج - بن عبد الله الحكمي شقيق الجراح.

[٤٩] - هو الأمير اليميني القائد سعيد بن عمرو بن أسود الحريشي المذحجي، وقد استقصى بامطرف نسبه إلى مذحج في كتابه (الجامع) وكان سعيد الحريشي قد تولى خراسان كما تقدم، ثم عاد إلى الشام إلى أن تم بعثه وتوليته على أرمينية وأذربيجان بعد استشهاده الجراح.

برذعة فنزلها، وكان ابن خاقان يومئذ بأذربيجان يحاصر مدينة ورتان منها ويعيث في نواحيها، فبعث الحريشي إلى أهل ورتان يخبرهم بوصوله، فأخرج العدو عنهم، ووصل إليهم الحريشي^[٥٠]، ثم اتبع العدو إلى أردبيل، وجاءه بعض عيونه بأن عشرة آلاف من عساكرهم على أربعة فراسخ منه، ومعهم خمسة آلاف بيت من المسلمين أسارى وسبايا، فبيتهم وقتلهم أجمعين ولم ينج منهم أحد واستنقذ المسلمين منهم. وسار إلى باجروان فجاءه عين آخر ودلّه على جمع منهم فسار إليهم واستلحمهم أجمعين واستنقذ من معهم من المسلمين، وكان فيهم أهل الجراح وولده فحملهم إلى باجروان، ثم زحف إليه جموع الخزر مع ابن ملكهم^[٥١] والتقوا بأرض زرند، واشتد القتال، والسبي في معسكر الكفار فبكى المسلمون رحمة لهم وصدقوا الحملة فانهمز الكفار واتبعهم المسلمون إلى نهر أرس وغنموا ما كان معهم من الأموال واستنقذوا الأسرى والسبايا وحملوهم إلى باجروان، ثم تناصر الخزر في ملكهم ورجعوا فنزلوا نهر البيلقان واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزموا فكان من غرق أكثر ممن قتل، وجمع الحريشي الغنائم وعاد إلى باجروان فقسمها وكتب إلى هشام بالفتح^[٥٢]، واستقدمه هشام وولى أخاه مسلمة على أرمينية وأذربيجان^[٥٣].

[٥٠] - قال البلاذري «فوقع سعيد الحريشي الخزر وقد حاصروا ورتان فكشفهم عنها وهزمهم». [ص ٢٠٨].

[٥١] - ابن ملك الخزر هو ابن خاقان، وكان خاقان لقباً لملوك الترك في آسية الوسطى والقوقاز يقال لكل ملك منهم خاقان.

[٥٢] - بعد تلك الفتوح انسحب الخزر «فأتوا ميمذ من أعالي أذربيجان، فلما تهيأ الحريشي لقتالهم، أتاه كتاب مسلمة بن عبد الملك - (وقد ولاه هشام بن عبد الملك على أرمينية) - يلوم سعيداً على قتاله الخزر قبل قدومه ويعلمه أن قد ولى أمر العسكر عبد الملك بن مسلم العقيلي، وقام مسلمة بحبس سعيد الحريشي في برذعة، وبعث العسكر إلى بعض بلاد الخزر، فلما علم هشام بذلك أمره بإخراج الحريشي من السجن وكتب إلى مسلمة: أتركهم بميمذ قد تراهم وتطلبهم بمنقطع التراب [ص ٢٠٩/فتوح البلدان].

[٥٣] - تولى مسلمة أذربيجان وأرمينية لفترة ثم - كما ذكر البلاذري - «ثم ولى هشام بعد مسلمة سعيد الحريشي على أرمينية وأذربيجان فتولاها وأقام بالشغر سنتين، ثم تولاها بعده مروان بن محمد» (اه) فمكث مروان إلى أن تولى الخلافة عام ١٢٧هـ.

ولاية أسد القسري الثانية على خراسان [٥٤]

كتب عاصم الهلالي [٥٥] إلى هشام سنة سبع عشرة أن خراسان لا تصلح إلا

[٤] ١ - تقدم نبأ الولاية الأولى للأمير اليميني أسد بن عبد الله القسري على خراسان (١٠٧ -

١٠٩هـ) وإن جماعة من القيسية أثاروا هشام بن عبد الملك ضده واتهموه بالتعصب لليمانية فأعفاه هشام عن ولاية خراسان واستعمل عليها:

١ - أشرس بن عبد الله السلمي القيسي، وكان أشرس يتعصب ضد اليمانية وقام في عام (١١٠هـ) بعزل الحسن الكندي عن إمرة سمرقند واستعمل عليها المجسر السلمي فابتهجت القيسية بذلك كما قال قائلهم:

كانت سمرقند أحقبا بيمانية فالיום تحسبها قيسية مضر

كما حبس الشاعر ثابت بن قطنة الأزدي وغيره، وقام أشرس بمطالبة من كان أسلم من الترك بالجزية واستخف بالدهاقين والعجم بحيث كما ذكر ابن خلدون «كفرت الصفد وبخارى واستجاشوا بالترك وخاقان» [ص ٨٧ ج ٣] وألحق الترك وخاقان هزائم كبيرة بأشرس والمسلمين واستشهد الشاعر ثابت بن قطنة في إحدى المعارك ضد الترك، ثم عزل هشام أشرساً عن خراسان.

٢ - الجنيد بن عبد الرحمن المري القيسي، ولاء هشام على خراسان بعد عزل أشرس عام ١١١هـ وفي ولايته اشتدت قوة الترك وخاقان، وأحقت بالجنيد والمسلمين هزيمة كبيرة على يد جيش خاقان الترك، فقال الشاعر ابن عرس العبدي قصيدة منها:

كنا قديماً يتقى بأسنا وندراً الصادر بالوارد
حتى مُنينا بالذي شامنا من بعد عز ناصراً أئد
جنيذ ما عيصك منشوبة نبعا ولا جدك بالصاعد
خمسون ألفاً قتلوا ضيعة وأنت منهم (دعوة) الشارد
إلى أن قال في آخرها:

قصيدة حبرها شاعر تسعى بها السُرد إلى خالد

وقال ابن عرس العبدي في قصيدة أخرى إلى خالد بن عبد الله القسري والي العراق:

فمن مُبلغ عني الوكأ صحيفة إلى خالد من قبل أن نتوزع
بأن بقايانا وأن أميرنا إذا ما عددناه الذليل الموقع
هُم أطعموا خاقان فينا وجنده ألا ليتنا كنا هشيماً يززعع

ومات الجنيد بخراسان - عام ١١٦هـ - والوضع فيها بالغ الخطورة من حيث انتصارات خاقان والترك - من جهة - وفتنة الحارث بن سريح التميمي الذي أعلن الدعوة بخراسان لآل البيت فأجابه كثيرون عام ١١٦هـ.

٣ - عاصم بن عبد الله الهلالي القيسي: تولى خراسان بعد الجنيد عام ١١٦هـ ووصل الأمر في ولايته إلى درجة الإنهيار ولم تبق بيده من بلاد خراسان سوى (مرو) و(نيسابور)، أما بقية البلاد فييد خاقان والترك أو بيد الحارث بن سريح، وإزاء ذلك التدهور كتب هشام بن عبد الملك إلى خالد القسري بتولية أسد بن عبد الله القسري خراسان للمرة الثانية.

[٥٥] - هو عاصم بن عبد الله الهلالي أمير خراسان وكان أحقق السياسية فحبس عمال الجنيد =

أن تُضم إلى العراق ليكون مددها قريب الغوث^(٥٥)، فضم هشام خراسان إلى خالد بن عبد الله القسري وكتب إليه ابعث أخاك يصلح ما فسد، فبعث خالد أخاه أسداً، فسار وعلى مقدمته محمد بن مالك الهمداني^[٥٦]، ولما بلغ عاصم الخبر راود الحارث بن سريج على الصلح، وأن يكتب جميعاً إلى هشام يسألانه الكتاب والسنة، فإن أبي اجتماعاً، وأبى بعض أهل خراسان ذلك فانتقض الأمر بينهما واقتتلا فانهزم الحارث وأسر من أصحابه كثير قتلهم عاصم وبعث بالفتح إلى هشام مع محمد بن مسلم العنبري فلقيه أسد بالري، وجاء أسد إلى خراسان فحبس عاصماً وطالبه بمائة ألف درهم، وأطلق عمارة بن حزيم وعمال الجنيد^(٥٦)، ولم يكن لعاصم بخراسان إلا مرو ونيسابور، وكانت مرو الروذ للحارث بن سريج وآمل لخالد بن عبيد الله الهجيري على مثل رأي الحارث^[٥٧]، فبعث أسد عبد الرحمن بن نعيم في أهل الكوفة والشام إلى الحارث (بمرو الروذ) وسار هو بالناس إلى آمل^[٥٨]، فخرج إليه زياد القرشي مولى حيان النبطي في العسكر فهزمهم أسد

= وتعصب ضد اليمانية، بينما استفحل أمر الحرث بن سريج وسيطر على كثير من مدن وأقاليم خراسان كما استولى خاقان على كثير من البلاد.

[٥٦] - سار الأمير اليماني أسد بن عبد الله القسري من العراق إلى خراسان - مطلع عام ١١٧هـ - في نحو خمسة آلاف رجل وعلى مقدمته محمد بن مالك الهمداني ومعه عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الأزدي، فنزل في (الدندانقان) وهزم أصحاب الحرث بن سريج هناك، ثم مضى إلى (مرو الشاهجان) فحبس عاصماً لتواطئه مع الحرث بن سريج، وأحضر أسد عمال الجنيد (القيسيين) الذين كانوا موقوفين وقال لهم «أسير فيكم بسيرتنا أم بسيرة قومكم، قالوا: بل بسيرتك، فخلى سبيلهم».

[٥٧] - مرو التي كانت بيد الحرث بن سريج هي (مرو الروذ) أما مرو التي نزل فيها أسد فهي (مرو الشاهجان) ويقال لهما (مروا خراسان).

[٥٨] - كان أمر الحارث بن سريج التميمي قد تعاضم بخراسان وخلع الخليفة هشام بن عبد الملك عام ١١٦هـ ودعا للبيعة للرضا من آل البيت وسار إلى بلخ، وكان عليها نصر بن سيار فهزمه واستولى على بلخ واستحل سفك دماء المسلمين وسيب النساء. واستعمل على بلخ سليمان بن عبد الله بن حازم ثم استولى على الجوزجان ومرو الروذ وآمل وطخارستان وتحالف مع دهاقين الجوزجان والغاريات وملك الطالقان وغيرهم من الترك الكفار وبلغ جيشه سبعين ألفاً، فلما بعث خالد بن عبد الله القسري أمير العراق أخاه أسد إلى خراسان - عام ١١٧هـ - كتب الكميث بن زيد الأسدي إلى الحارث وأصحابه قصيدة منها:

ألا أبلغ جماعة أهل مرو على ما كان من ناءٍ ويُعيد
.. فلا تهنوا ولا ترضوا بخسف ولا يغزوكم أسدٌ فيردي
وكيف وأنتم سبعون ألفاً رماكم خالدٌ بشبيهه فرد..

وحاصرهم حتى سألوا الأمان، واستعمل عليهم يحيى بن نعيم بن هيرة الشيباني، وسار أسد إلى بلخ وقد بايعوا سليمان بن عبد الله بن حازم^[٥٩] فسار حتى قدمها، ثم سار منها إلى ترمذ والحارث بن سريج محاصر لها^[٦٠] وأعجزه وصول المدد إليها فخرج إلى بلخ، وخرج أهل ترمذ فهزموا الحارث وقتلوا أكثر أصحابه^(٦٠)، ثم سار أسد إلى سمرقند، ومر بحصن زمّ وبه أصحاب الحارث فبعث إليهم وقال: إنما نكرتم منّا سوء السيرة ولم يبلغ ذلك النساء واستحلال الفروج ولا مظاهرة المشركين على مثل سمرقند، واعطاهم الأمان... فخرجوا إلى الأمان وساروا معه إلى سمرقند، واعطاهم الأمان على تسليم سمرقند فأنزلهم على الأمان^[٦١]، ثم رجع أسد إلى بلخ وسرح جديعاً الكرمانى إلى القلعة التي فيها ثقل الحارث وأصحابه في طخارستان^[٦٢]، فحاصرها وفتحها وقتل مقاتلتهم... وانتقض على الحارث أربعمائة وخمسون من أصحابه بالقلعة ورئيسهم جرير بن ميمون القاضي فقال لهم الحارث: إن كنتم مفارقى ولا بد فاطلبوا الأمان وإن طلبتموه بعد رحيلي لا يعطونه لكم، فأبوا إلا أن يرتحل، فبعثوا بطلب الأمان فلم يجبههم إليه وسرح جديعاً الكرمانى في ستة آلاف فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه، وحمل خمسين

= وقد وصف الكميت أسداً بأنه (شبية قرد) من باب الهجاء وإلا فقد كان أسد بن عبد الله (شبية الليث) كما وصفه ثابت بن قطة قائلاً:

فما يغمر الأعداء من ليث غابة أبي ضاريات حرشوه فعقباً

فلما قَدِمَ أسد خراسان استمال الناس بالترهيب والترغيب والعفو، ثم أخذ في مواجهة أصحاب الحارث المتمردين بحملات إلى عدة مناطق في وقت واحد، فأرسل عبد الرحمن بن نعيم إلى مرو الروذ وسار هو إلى أمل فانهزم أصحاب الحارث في المنطقتين.

[٥٩] - كان سليمان بن عبد الله بن حازم عاملاً للحارث بن سريج على بلخ وقد ذكر ابن خلدون ذلك (ص ٩٢ ج ٣) فاستعاد أسد مدينة بلخ.

[٦٠] - كان الحارث بن سريج قد تحالف مع الترك وحاصر ترمذ، كما اشترك أصحابه مع الترك في حصار سمرقند، وقد ذكر الطبري أنه «مضى أسد من بلخ بالسفن إلى ترمذ» فلما وصلها خرج أهل ترمذ واشتركوا مع أسد في هزيمة الحارث ومن معه شر هزيمة.

[٦١] - استعاد أسد حصن (زم) وفك الحصار عن سمرقند وتسلمها وكذلك مدينة بخارى وأعاد السلطان العربي الإسلامي في أرجاء بلاد خراسان وما وراء النهر.

[٦٢] - كان الحارث التميمي قد تحصن في قلعة (التبوشكان) في طخارستان، فبعث إليه أسد القائد اليميني الجديع الكرمانى الأزدي وهو خال الخليفة اليميني الثائر يزيد بن المهلب فافتتح قلعة (التبوشكان) وتم بذلك القضاء على آخر معقل للحارث التميمي والمتمردين، وهرب الحارث التميمي إلى خاقان ملك الترك والتحق به.

منهم إلى أسد فيهم ابن ميمون القاضي، فقتلهم وكتب إلى الكرمانى بإهلاك
الباقيين [٦٣].

«أسد... آخر عظماء الفاتحين» [٦٤]

واتخذ أسد بن عبد الله مدينة بلخ داراً، ونقل إليها الدواوين [٦٥]، ثم غزا
طخارستان وأرض جيغويه فغنم وسبى [٦٦]، ولما كانت سنة تسع عشرة ومائة غزا
أسد بن عبد الله بلاد الختل فافتتح منها قلاعاً وامتلاّت أيدي العسكر من السبى
والشاء [٦٧]، وكتب ابن السائحي [شاه أهي] صاحب البلاد يستجيش خاقان على

[٦٣] - الثابت أن أسد بن عبد الله عفا عن القادة والفرسان الذين كانوا تابعوا الحارث التميمي،
وكان من أبرزهم سليمان بن كثير الخزاعي اليماني فقال لأسد «نحن والله كما قال الشاعر:
لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري
تدري ما قصتنا، صيدت والله العقارب بيدك، أيها الأمير: إنا اناس من قومك» فعفا أسد بن
عبد الله عنه كما عفا عن غيره وأعاد وحدة الصف العربي الإسلامي بالعمو والحلم حيث كما
قال فيه الشاعر:

«أسد ابن عبد الله جلل عفوه أهل الذنوب فكيف من لم يذنب»

[٦٤] - كان أسد بن عبد الله القسري آخر عظماء الفاتحين وهم كل من ١ - السمخ بن مالك
الخولاني أمير الأندلس والفتاح العربي الأول لجنوب فرنسا (٩٩ - ١٠٣هـ) ثم ٢ -
عنبسة بن سحيم الكلبي أمير الأندلس وفتح شرق فرنسا عام (١٠٦ - ١٠٧هـ) ثم ٣ - عبد
الرحمن الغافقي الأزدي فاتح شمال فرنسا إلى أن استشهد في موقعة بواتيه عام ١١٤هـ/
٧٣٢م وكذلك ٤ - الأمير اليماني الجراح بن عبد الله الحكمي أمير أرمينية وأذربيجان إلى
استشهاده عام ١١٢هـ بأقاصي بلاد القوقاز ثم ٥ - القائد اليميني سعيد الحريشي في أرمينية
وأذربيجان ببلاد القوقاز (١١٣ - ١١٤هـ + ١١٧هـ). وكذلك ٦ - الأمير اليميني الحكم بن
عوانة الكلبي أمير السند وباني مدينة المحفوظة ومدينة المنصورة في السند (١١٢ - ١١٧هـ)
و٧ - الأمير اليميني أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان وما يليها من آسية الوسطى عام
(١٠٧ - ١٠٩هـ) ثم عام (١١٧ - ١٢٠هـ) فاستحدثنا هذا العنوان لتبيين ذلك.

[٦٥] - كان أسد بن عبد الله قد قام ببناء مدينة بلخ في ولايته الأولى لخراسان - عام ١٠٨هـ -
كما تقدم، ثم في عام ١١٧ - ١١٨هـ اتخذها داراً ومقرّاً له وعاصمة لولاية خراسان بدلاً
عن (مرو) ونقل إليها دواوين الدولة، فازدهرت بلخ، وفي بناء أسد إياها، قال الشاعر:

بنى ابن عبد الله حصناً، ومجده قديماً، إذا عد القديم وأنجبا
ففي بلخ، الحصن المبارك، عصمة لجندك إذ هاب الجبان وارهبا

[٦٦] - في عام ١١٨هـ غزا أسد طخارستان، وافتتح أرض جيغويه، وجاء في الأصل (غزا
طخارستان وأرض جبوتة) وهو تصحيف، فصوبناه من تاريخ الطبري.

[٦٧] - غزا وافتتح أسد في مطلع عام ١١٩هـ بلاد (غرزك) وسار منها إلى (خداش) - في =

العرب ويضعفهم له، فتجهز وخفف من الأزودة استعجالاً للعرب، فلما أحس به ابن السائحي بعث بالندير إلى أسد فلم يصدقه فأعاد عليه أني الذي استمدت خاقان لأنك معرت البلاد ولا أريد أن يظفر بك خشية من معاداة العرب واستطالة خاقان عليّ، فصدقه حينئذ أسد وبعث الاثقال مع إبراهيم بن عاصم العقيلي الذي كان ولي سجستان وبعث معه المشيخة كثير بن أمية وأبا سفيان سليمان بن كثير الخزاعي وفضيل بن حيان المهري وغيرهم وأمدّهم بجند آخر، وجاء في إثرهم فانتهى إلى نهر بلخ وقد قطعه إبراهيم بن عاصم بالسبي والاثقال، فخاض النهر من ثلاثة وعشرين موضعاً، فما استكمل العبور حتى طلعت لهم الترك، وعلى المسلحة الأزدي وتميم فحمل خاقان عليهم فانكشفوا، فرجع أسد إلى عسكره وخذق، وظنوا أن خاقان لا يقطع النهر، فقطع النهر إليهم وقاتله المسلمون في معسكرهم وياتوا والترك محيطون بهم فلما أصبحوا... هزمتهم مسلحة المسلمين، فصعد خاقان على تل حتى رأى المسلمين من خلفهم وأمر الترك أن يأتوهم من هنالك ففعلوا وخالطوهم في معسكرهم، وإذا بالغبار قد رهج والترك يتنحون قليلاً قليلاً، وجاء أسد ووقف على التل الذي كان عليه خاقان وخرج إليه بقية الناس، ومضى خاقان يقود أسرى من المسلمين ويسوق الإبل الموقورة وأراد أهل العسكر قتالهم فمنعهم أسد [٦٨]... ومضى أسد إلى بلخ فعسكر في مرجها حتى جاء الشتاء فدخل البلد وشتى بها.

وكان الحارث بن سريج بناحية طخارستان فانضم إلى خاقان وأغراه بغزو خراسان وزحفوا إلى بلخ، وخرج أسد يوم الأضحى فخطب الناس وعرفهم بأن الحارث بن سريج استجلب الطاغية ليطفئ نور الله ويبدل دينهم، وحرّضهم على الاستنصار بالله وقال: أقرب ما يكون العبد لله ساجداً ثم سجد وسجد الناس وأخلصوا الدعاء، وخرج أسد للقائهم، وقد استمدّ خاقان من وراء النهر وأهل طخارستان وجيغويه في ثلاثين ألفاً، وجاء الخبر إلى أسد، وأشار بعض الناس بالتحصن منهم بمدينة بلخ وأن يستمدّ خالداً وهشاماً، فأبى أسد إلا اللقاء فخرج

= تاجيكستان حالياً - فهرب من بقي من جيش العدو إلى الصين، ثم سار أسد من بلخ شمالاً غازياً بلاد الختل - مما يلي أوزبكستان حالياً - من بلاد الترك، فافتتح منها قلاعاً وعاد جيشه منها بالسبي والغنائم الوفيرة.

[٦٨] - لم يواصل أسد الفتح ولم يلحق بجيش الخاقان بسبب قدوم فصل الشتاء وعدم صواب التقدم إلى داخل بلاد الختل وخابان في الشتاء، فدل ذلك على خبرة ومهارة أسد، وخابت آمال العدو.

واستخلف على بلخ الكرمانى الجديع بن علي، . . . وصلى (أسد) بالناس ركعتين وطول ثم دعا وأمر الناس بالدعاء ونزل من وراء القنطرة ينتظر من تخلف، ثم بدا له وارتحل، فلقي طليعة خاقان وأسر قائدهم، وسار حتى نزل على فرسخين من الجوزجان [٦٩]، ثم أصبحوا وقد تراءى الجمعان، وأنزل أسد الناس ثم تهيأ للحرب ومعه الجوزجان (٦٩)، وحملت الترك على الميسرة فانهزموا إلى رواق أسد، فشدت عليهم الأزدي وبنو تميم والجوزجان من الميمنة فانكشفوا إلى خاقان وقد انهزم والحرث معه، واتبعهم الناس يقتلونهم واستاقوا مائة وخمسين ألفاً من الشاء ودواب كثيرة، وسلك خاقان غير الجادة، ولحقهم أسد عند الطريقة، وسلك الجوزجان بعثمان بن عبد الله طريقاً يعرفونها حتى نزلوا على خاقان وهو آمن، فتركوا الأبنية والقصور تغلي وبناء العرب والموالي والعسكر مشحون من أنية الفضة، وركب خاقان والحرث يمانع عنه، وأعجلوا امرأة خاقان عن الركوب فقتلها الخصي الموكل بها، وأقام أسد خمسة أيام - في الجوزجان - وانصرف إلى بلخ لتاسعة من خروجه ونزل الجوزجان وخاقان هارب أمامه [٧٠]، وانتهى خاقان

[٦٩] - الجوزجان هي بلاد قازاقستان التي هي جمهورية كازاخستان بأسية الوسطى واداني روسيا حالياً.

[٧٠] - كان الانتصار أسد على خاقان عظيم ملوك الترك وهروب خاقان أصداء كبيرة، وقال

الشاعر ابن السجف المجاشعي مُشيداً بأسد:

لو سرت في الأرض تقيس الأرضاً	تقيس منها طولها والعرضاً
لم تلق خيراً مرةً ونقضاً	من الأمير أسد وامضاً
أفضى إلينا الخير حين أفضى	وجمع الشمل وكان رفضاً
مافاتة خاقان إلا ركضاً	قد فض من جموعه ما فوضاً

وقد غزا أسد بعد ذلك أيضاً إلى أقاصي بلاد الجوزجان وأقاليم (سان) و(جزة) وأقاصي بلاد الختل فافتتح وعاد إلى بلخ، بينما واصل خاقان هروبه (إلى جونة الطخاري) ثم إلى بلاده (في جهات روسيا غالباً) وكان أسد بن عبد الله يكنى أبا المنذر، فقال الشاعر أبو هند الأسدي مادحاً آخر عظماء الفاتحين:

أبا منذر زمت الأمور فقستها	وساءلت عنها كالحريص المساوم
فما كان ذو رأي من الناس قِسْتُه	برأيك إلا مثل رأي البهائم
أبا منذر لولا مسيرك لم يكن	عراق، ولا انقادات ملوك الأعاجم
ولا حج بيت الله مُدَّ حج ركباً	ولا عمّر البطحاء بعد المراسم
فكم من قتيل بين سان وجزة	كثير الأيادي من ملوك قماقم
تركت بأرض الجوزجان تزوره	سبأً وعقباناً لحز الغلاصم
فدتك نفوس من تميم وعامر	ومن مضر الحمراء عند المآزم

إلى جونة الطخاري فنزل عليه، وانصرف أسد إلى بلخ^[٧١]، ... ثم وصل خاقان بلاده وأخذ في الاستعداد للحرب... ولأعب خاقان بالنرد كورصول يوماً، فغمزه كورصول فأبغ وتشاجر، فصك كورصول يد خاقان، فحلف خاقان ليكسرن يده، فتنحى وجمع ثم بيّت خاقان فقتله، وافترق الترك، وحملوا خاقان وتركوه بالعراء فحمله بعض عظمائهم ودفنه. وكان أسد بعث بالفتح من بلخ إلى خالد بن عبد الله فأخبره وبعث به إلى هشام (بن عبد الملك)، فلم يُصدق، (!) ثم بعث أسد القاسم بن نجيب بقتل خاقان، فحسدت قيس أسداً وخالداً^[٧٢]، وقالوا لهشام: استقدم مقاتل بن حيان، فكتب بذلك إلى خالد، فأرسل إلى أسد أن يبعث به، فقدم على هشام، والأبرش وزيره جالس عنده، فقص مقاتل بن حيان عليه الخبر، فسَرَ (هشام) بذلك^[٧٣]، ... ثم غزا أسد الختل بعد مقتل خاقان، وقدم مصعب بن عمر الخزاعي إليها فسار إلى حصن بدر طرخان... وغلب على القلعة، وبعث أسد العساكر في بلاد الختل فامتلات أيديهم من الغنائم والسبي^[٧٤].

[٧١] - وبعث أسد نبأ الفتح والانتصارات رسولاً إلى أخيه خالد بن عبد الله أمير العراق فبعث خالد الرسول إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فدخل الرسول دمشق وهو يكبر ثم دخل قصر هشام وهو يكبر، والناس يكبرون لتكبيره، ودخل إلى هشام وهو يكبر، وهشام يكبر لتكبيره، ثم قال له: ما وراءك، فقال: الفتح يا أمير المؤمنين وأخبره بفتح بلاد الجوزجان والختل وهزيمة وهروب خاقان، فنزل هشام من سريره وسجد شكراً لله تعالى [ص ٢٣٩ ج ٨/ تاريخ الطبري].

[٧٢] - وكذلك قال الطبري «فحسدت القيسية خالداً وأسداً» وليس المقصود كل القيسية وإنما فريق من المتعصبين للقيسية ضد اليمانية وكان بينهم ولي العهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأشخاص في الشام والعراق يحقدون على خالد بسبب ما حققه من نجاح عظيم في ولاية العراق وما حققه أسد من انتصارات في خراسان وغير ذلك من الانتصارات للأمراء والقادة اليمانيين في العراق والسند وخراسان وأرمينية وغيرها، وكان خالد قد أصبح رأس اليمانيين.

[٧٣] - أكد مقاتل بن حيان لهشام بن عبد الملك سائر نجاحات وانتصارات أسد ومقتل خاقان فسر هشام بذلك.

[٧٤] - ثم عاد أسد إلى مدينة بلخ حيث ذكر الطبري في أنباء عام ١٢٠هـ وقائع الاحتفال بيوم المهرجان (عيد النيروز/ الربيع) في بلخ وأن الأمراء والدهاقين من الترك وغيرهم من الأعاجم قدموا على أسد بالهدايا، وكان منها قصر من فضة وقصر من ذهب وأباريق من ذهب ومن فضة وصحاف من ذهب وفضة وكرة من ذهب فوضعوا الهدايا في السماط (أمام مجلس أسد) حتى امتلأ السماط.

«ثم قام دهقان هراة - وكان كبير دهاقين العجم - فخطب قائلاً: أيها الأمير، إننا معشر العجم =

وفاة أسد بن عبد الله

وفي ربيع الأول سنة عشرين ومائة توفي أسد بن عبد الله القسري بمدينة بلخ^[٧٥]، واستخلف جعفر بن حنظلة النهرواني فعمل أربعة أشهر، ثم جاء عهد نصر بن سيار بالعمل في رجب - [أهـ] - .

عزل خالد القسري وولاية يوسف الثقفي على العراق

وفي هذه السنة - سنة عشرين ومائة - عزل هشام خالداً عن أعماله جميعها بسعاية أبي المثنى وحسان النبطي وكانا يتوليان ضياع (خالد) بالعراق فنقلوا على خالد وأمر الأشدق بالنهوض على الضياع، وانتهى ذلك حسان بعد أبي المثنى، (فنقلوا إلى هشام) أن غلته في السنة ثلاثة عشر ألف ألف، فوقرت في نفس هشام، وأشار عليه بلال بن أبي بردة والعريان بن الهيثم أن يعرض أملاكه على هشام

= حكمتنا الدنيا أربعمائة سنة . . وكانت الرجال عندنا ثلاثة: ميمون النقية أينما توجه فتح البلدان، أو رجل تمت مروءته - وجاز الحلم والعقل والوقار - فإن كان كذلك عَظُمَ وتولى وقُدِمَ، أو رجل رحب صدره وبسط يده، فُرِجِي، فإن كان كذلك وُلِّيَ وقُدِمَ. وإن الله جعل صفات أولئك الثلاثة الذين ملكنا بهم الدنيا فيك أيها الأمير، فما نعلم أحداً هو أتم كتخذانية منك فلا يستطيع أحد أن يعتدي على صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير . . ومن يُمن نقيتكَ فتوحاتك وإنك هزمت خاقان وفتحت الأركان، . . وإنك بنيت الايوانات في المفاوز فيجىء الجائي من المشرق والأخر من المغرب فلا يجد إلا أن يقول: سبحان الله ما أحسن ما بنى أسد، وأما رحب صدرك وبسط يدك فإننا ما ندري أي المالين أقرّ لعينك، أمال قدم عليك أم مال خرج من عندك بل أنت بما خرج أقرّ عيننا، فضحك أسد - وحمد الله - وشكرهم .
ولما قام أسد بتوزيع تلك الهدايا على الناس قال نهار بن توسعة:

تَقْلُونَ إن نادى لروع مُثوبٌ وأنتم غداة المهرجان كثيرُ
[ص ٢٤١ ج٨/ تاريخ الأمم والملوك].

[٧٥] - لما توفي الأمير العربي اليمني أسد بن عبد الله القسري - آخر عظماء الفاتحين - في ربيع أول عام ١٢٠هـ (٧٣٨م) بمدينة بلخ، قال الشاعر ابن عرس العدي الربيعي:

نعى أسد ابن عبد الله ناع فربيع القلبُ للملك المُطاع
ببلخ وافق المقدور يسري وما لقضاء ربك من دفاع
. . سُقيت الغيث إنك كنت غيثاً مريعاً عند مرتاد السنجاع

وقال الشاعر سليمان بن قُتّة، بالكوفة أو دمشق قصيدة منها:

«سقى الله بلخا، سهل بلخ وحزنها ومروى خراسان السحاب المجمما
وما بي لثغسقاء ولكن حفرة بها غيبوا ملكاً كريماً معظما
مُراجم أقوام، ومردى عظيمة، وطلاب أوتار، عفرناً عثمثما . .»

ويضمنون له الرضا فلم يُجهِم [٧٦] ، ثم شكّا من خالد بعض آل عمرو الأشدق بأنه أغلظ له في القول بمجلسه، فكتب إليه هشام يويخه ويأمره بأن يمشي ساعياً على

[٧٦] - تقدم القول إنّ خالد بن عبد الله القسري «توفّق توفيقاً كبيراً في تنمية أمواله الخاصة علاوة على جهوده المثمرة في تحقيق الرفاهية للبلاد» فأملك خالد كانت مصادرهما معروفة ومشروعة ولم يكن في ذلك ما يمكن أن يثير هشاماً، وإنّما - كما تقدم قول ابن خلدون - «حسدت القيسية خالداً وأسداً» وكان نفر من القيسية يحرضون على خالد ويستغلون الفرص للتشيع عليه ومن ذلك:

١ - أنّ خالد بن عبد الله قام ببناء كنيسة للعرب المسيحيين من أهل العراق بالكوفة، وكانت أم خالد مسيحية من أهل الكتاب فاستغل القيسية المتعصبون ذلك وطاوعهم الفرزدق الشاعر فأخذ في الإثارة ضد خالد بأشعار منها قوله:

عليك أمير المؤمنين بخالد وأصحابه لا ظهر الله خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لأمه ويهدم من بغض الصلاة المساجدا

[ص ٧٥ ج ٢/ الكامل لابن المبرد].

وقد أسلفنا ذكر وقوع مثل ذلك التشيع في مصر ضد والي مصر الأمير اليميني الوليد بن رفاعة اللخمي (١٠٩ - ١١٧هـ) لما أذن ببناء كنيسة للمسيحيين فأثار بعض المتعصبين فتنة بسبب ذلك، فأصلح الوليد بن رفاعة الأمر وتم بناء الكنيسة، لذلك فإن محاولة الإثارة ضد خالد بسبب بناء كنيسة في العراق لم تنجح، لأن ما قام به يتفق مع روح وتسامح الإسلام.

٢ - كانت العصبية ضد خالد القسري تتصل بأغراض سياسية لأنه كان من رؤساء وأعلام اليمينيين وكان اليمينيون عماد الدولة الأموية، فأراد بعض الطامحين إلى الخلافة وأعداء الأمويين إيجاد فرقة بين اليمينيين والأمويين، وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وبعض الهاشميين طلبوا من الكميث بن زيد الأسدي أن يهجو اليمانية وقالوا له «لعل فتنة تحدث بسبب ذلك فيخرج من بين أصحابها بعض ما نحب، فقال الكميث قصيدته التونية التي هجا فيها اليمانية وافتخر بالمضرية وأنهم أفضل من قحطان، فاشتعلت العصبية بسببها» [ص ٢٤٣ ج ٣] وذكر الأصفهاني في كتاب الأغاني سعي البعض لدى الكميث ليهجو اليمانية فقال لهم: «إنّ خالد بن عبد الله مُحسن إليّ فلا أقدر على ذلك» فما زالوا حتى اقتنعوه فتنكر للإحسان وقال يحرض على خالد:

بكت المنابر من فزارة شجوها فالآن من قَسِرَ تَصْخُجٌ وتخشعُ
وملوك ختندف أسلمونا للعدى لله دُرُّ مَلُوكِنَا ما تصنعُ ..

[الخ ص ٣٠٠ ج ٢/ الكامل لابن المبرد].

ثم قال قصيدته التونية في هجاء اليمينيين وهي أول قصائد الدوامغ وقد رد عليها حكيم بن عياش الكلبي ثم دعبيل الخزاعي وغيرهما.

٣ - كان عطف خالد بن عبد الله على الإمام زيد بن عليّ وأقاربه ومنحه إياهم أموالاً هو السبب الرئيسي الذي استغله الخصوم في التحريض على خالد فنجحوا بذلك، وسيأتي نص ابن خلدون عن تلك الحقيقة التي كانت هي سبب عزل خالد.

قدمه إلى بابه ويترضاه، ونميت عنه إلى هشام أقوال كثيرة وأنه يستقل ولاية العراق فكتب إليه هشام: يا ابن أم خالد بلغني أنك تقول ما ولاية العراق لي بشرف، كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً وأنت من بجيلة القليلة الذليلة^[٧٦] . . . ثم كتب هشام إلى يوسف بن عمر الثقفي وهو باليمن يأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه إلى العراق فقد ولاه ذلك^[٧٧] . . . وأن يأخذ خالدًا وعماله فيعذبهم، فأخذ الأولاد وسار من يومه واستخلف على اليمن ابنه الصلت^[٧٧] وقدم في جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة، فنزل النجف وأرسل مولى كيسان فجاء بطارق (نائب خالد بالكوفة) فضربه ضرباً مبرحاً ودخل الكوفة، وبعث عثمان بن عطاء بن مقدم إلى خالد بالحمة فقدم عليه وحبسه وصالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابه على سبعة آلاف ألف، وقيل أخذ منه مائة ألف^[٧٨]، وكانت ولايته العراق خمس عشرة سنة^[٧٩]، ولما ولي يوسف نزلت الذلة بالعراق في العرب وصار الحكم فيه إلى أهل الذمة.

خير خالد والإمام زيد بن علي^[٨٠]

وظهر زيد بن علي بالكوفة خارجاً على هشام داعياً للكتاب والسنة وإلى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين والعدل في قسمة الفيء وزدّ المظالم وأفعال الخير ونصر أهل البيت. واختلف في سبب خروجه فقيل إن يوسف بن عمر الثقفي لما كتب في خالد القسري، كتب إلى هشام أنه شيعة لأهل البيت، وأنه ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار وردّ عليه

[٧٧] - كان يوسف بن عمر الثقفي أميراً على اليمن (١٠٦ - ١٢٠هـ) وكان على استعداد لتكرار فظائع جده الحجاج والقيام بأي عمل مشين إذا تولى العراق فقام هشام بتوليته (ربما بمشورة الوليد بن يزيد) فسار إلى العراق، وتولى اليمن ابنه (الصلت بن يوسف الثقفي) كما سلف التبيين.

[٧٨] - روايات حبس خالد وتغريمه بل وتعذيبه تتنافى مع الوقائع التي تلت ذلك، والصحيح أن حبسه إنمّا كان في خلافة الوليد بن يزيد.

[٧٩] - كانت ولاية خالد للعراق من ١٠٥ - ١٢٠هـ - أي ١٥ سنة - ساد خلالها الأمن والاستقرار والرخاء ربوع العراق وحدث نهضة اقتصادية كبرى.

[٨٠] - بدأت أحداث ثورة الإمام زيد بن علي عام ١٢١هـ ثم كان خروجه وثورته بالكوفة في محرم وصفر عام ١٢٢هـ، وقد أورد ابن خلدون نبأ ذلك بعنوان «ظهور زيد بن علي ومقتله» [ص ٩٨ - ١٠٠ ج ٣] ويتضمن ذلك ما يتصل بخالد بن عبد الله القسري وعلاقته بالإمام زيد، فنقلنا هنا ما ذكره ابن خلدون عن ذلك [ص ٩٨]، وبما أنّ ابن خلدون أورد بقية النبأ عن ذلك في الخبر عن خالد (ص ١٠١ ج ٣) استلزم الربط الانتقال إلى ذلك ليتكامل النبأ عن خالد وعلاقته بالإمام زيد.

الأرض، وأنه أودع زيداً وأصحابه الوافدين عليه مالا، وكان زيد قد قدم على خالد بن عبد الله بالعراق هو ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن عباس فأجازهم ورجعوا إلى المدينة، فبعث هشام إليهم وسألهم فأقرّوا بالجائزة وحلفوا على ما سوى ذلك وأنّ خالداً لم يودعهم شيئاً، فصدقهم هشام وبعثهم إلى يوسف فقابلوا خالداً وصدقهم الآخر، وعادوا إلى المدينة ونزلوا القادسية، ثم راسل أهل الكوفة زيداً فعاد إليهم^[٨١]، . . . وقد تقدم لنا خبر ولاية يوسف بن عمر على العراق وأنه حبس خالداً وأصحابه عمال العراق وخراسان، فأقام خالد بحبسه في الحيرة مع أخيه إسماعيل وابنه يزيد بن خالد والمنذر ابن أخيه أسد، واستأذن يوسف هشاماً بعدائه فأذن له . . . ثم أمر هشام باطلاقه سنة إحدى وعشرين، فأتى خالد إلى قرية بازاء الرصافة فأقام بها حتى خرج زيد بن علي وقتل وانقضى أمره^[٨٢] فسعى يوسف بخالد عند هشام بأنه الذي داخل زيداً في الخروج^[٨٣]. فردّ هشام سعائته ووبخ رسوله وقال: لسنا نتهم خالداً في طاعة^(٨٣).

[٨١] - انتهى ما نقلناه من كلام ابن خلدون (ص ٩٨ ج ٣) وقد أورد بعد ذلك خبر خروج زيد إلى مقتله، فانتقلنا إلى حديثه عن خالد (ص ١٠١ ج ٣) كما في النص التالي ابتداءً بقوله: «وقد تقدم لنا خبر ولاية يوسف . . الخ» ليتكامل الخبر عن خالد.

[٨٢] - كان خالد في (واسط) فغادرها في شوال ١٢١هـ ونزل في قرية بإزاء الرصافة فأقام بها بقية عام ١٢١هـ ومحرم وصفر عام ١٢٢هـ بينما كان الإمام زيد قد سار إلى الكوفة فواجهت ثورته موقفاً سلبياً من الشيعة لأنهم قالوا له: ما تقول في الشيخين (أبي بكر وعمر) فقال زيد: رحمهما الله وغفر لهما . . الخ، ففارقوه ونكثوا بيعته فسماهم زيد الرافضة، ثم أخذ يوسف بن عمر الثقيفي في بعث الجيوش ضد الإمام زيد وأصحابه، وآل الأمر إلى مقتل الإمام زيد في صفر ١٢٢هـ، وتم قطع رأس الإمام زيد وبعث يوسف بن عمر الثقيفي برأس زيد إلى هشام فنصبه على باب دمشق وقام يوسف بصلب جثمان زيد في الكناسة، وتمكن يحيى بن زيد من النجاة إلى فارس وخراسان في نفر من الزيدية [انظر ص ٩٩ - ١٠٠ ج ٣].

[٨٣] - جاء في تاريخ الطبري نص ذلك كما يلي: «وكتب يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك أنّ أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همّة أحدهم قوت عياله، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقووا بها حتى تاقت أنفسهم إلى الخلافة، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد، والدليل على ذلك نزول خالد بالقرية على مدرجة العراق يستنشى أخبارها. وأرسل يوسف الكتاب مع ابن حزن القيني، فلما قرأ هشام الكتاب سكت برهة، ثم قال للقيني: كذبت وكذب من أرسلك، ومهما اتهمنا خالداً فلسنا نتهمه في طاعة» [ص ١٨ ج ٩/ تاريخ الطبري].

«خبر خالد القسري في الشام»

وسار خالد إلى الصائفة^[٨٤]، وأنزل أهله دمشق وعليها كلثوم بن عياض القشيري وكان يبغض خالدًا^[٨٥]، فظهر في دمشق حريق في ليالٍ، فكتب كلثوم إلى هشام بأن موالي خالد يريدون الوثوب إلى بيت المال ويتطرقون إلى ذلك بالحريق كل ليلة في البلد، فكتب إليه هشام بحبس الكبير منهم والصغير والموالي فحبسهم، ثم قبض على صاحب الحريق وأصحابه^[٨٦] وكتب بهم الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج (إلى هشام) ولم يذكر فيهم أحداً من آل خالد ومواليه^(٨٦) فكتب هشام إلى كلثوم يوبخه ويأمره باطلاق آل خالد، وترك الموالي فشفع فيهم خالد عند مقدمه من الصائفة. فلما قدم خالد دخل منزله وأذن للناس فاجتمعوا ببابه فوبخهم وقال: إن هشاماً يسوقنا إلى الحبس كل يوم، ثم قال: خرجت غازياً سامعاً مطيعاً فحبس أهلي مع أهل الجرائم كما يفعل بالمجرمين، ولم يغير ذلك أحد منكم، أخفتم القتل أخافكم الله، والله ليكفنني عني هشام أو لأدعونني إلى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الأصل، يعني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس^[٨٧]، وبلغ ذلك هشاماً فقال خرف أبو الهيثم^(٨٧) ثم تابعت كتب يوسف بن

= وكان هشام حكيماً فتجنب إيذاء خالد حتى لا يتعصب اليمينيون لخالد فتهتز أركان الدولة، واكتفى بقدوم خالد إلى دمشق ومعه أخوه إسماعيل وابن أخيه المنذر، وأبناء خالد يزيد وهشام وسعيد ومحمد، وموالي خالد وأهل بيته، فأقام خالد وإياهم بدمشق.

[٨٤] - الصائفة هي الغزو الصيفي من ثغور الشام إلى بلاد الروم، فسار خالد في غزوة الصائفة عام ١٢٢هـ.

[٨٥] - كان كلثوم بن عياض عامل دمشق من شيعة ولي العهد الوليد بن يزيد، وكان الوليد وراء موقفه من خالد القسري غالباً.

[٨٦] - كانت الحرائق من صنع عصابة يرأسها رجل يقال له أبو العمرس فيشعلون الحرائق، فإذا وقع الحريق أغاروا يسرقون، فتم القبض على أبو العمرس وعصابته، واتضح بذلك عدم صحة الاتهام الملقق من كلثوم ضد آل خالد ومواليه، فكتب هشام بإطلاق سراحهم.

[٨٧] - نص الخبر كما في تاريخ الطبري أنه «قال خالد: خرجت غازياً في سبيل الله سامعاً مطيعاً، فخلفت في عقبي وأهل بيتي فحبسوا كما يفعل بأهل الجرائم، فما منع عصابة منكم أن تقوم وتقول علام هذا، أخفتم القتل أخافكم الله، ثم قال: ما لي ولهشام، ليكفنني عني هشام أو لأدعونني إلي من لو دعوت له تداعت من أقطارها، وقد أذنت لكم أن تبلغوا هشاماً، فلما بلغ هشام ما قال خالد تغاضى عن ذلك وقال: خرف أبو الهيثم» [ص ١٩ ج ٩].

[٨٨] - الثابت أن هشام بن عبد الملك بعث كلثوم بن عياض إلى المغرب لقتال البربر الذين =

عمر إلى هشام بطلب يزيد بن خالد فأرسل إلى كلثوم بإنفاذه إليه فهرب يزيد فطلبه كلثوم من خالد وحبسه فيه فكتب إليه هشام بتخليته ووبخه [٨٨] - اهـ - [٨٩].

وفاة هشام وبيعة الوليد بن يزيد [٩٠]

توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، لعشرين سنة من خلافته، وولي بعده الوليد بن أخيه يزيد بعهد يزيد بذلك، وكان الوليد متلاعباً وله مجون وشراب وندمان، وأراد هشام خلعه فلم يمكنه وكان يضرب من يأخذه في صحبته . . . فلما تولى الوليد كتب من وقته إلى عمه العباس بن عبد الملك أن يأتي الرصافة فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده وعماله وخدمه . . . فأنتهى العباس لما أمره به الوليد، ثم استعمل الوليد العمال وكتب إلى الآفاق بأخذ البيعة فجاءته بيعتهم [٩١]، ثم عقد الوليد من سنته لابنيه الحكم وعثمان بعده وجعلهما وليي عهده، وكتب بذلك إلى العراق وخراسان، - اهـ - .

مقتل خالد بن عبد الله القسري

ولما ولي الوليد بن يزيد استقدم خالداً، وقال: أين ابنك؟ قال: هرب من هشام وكنا نراه عندك حتى استخلفك الله فلم نره، . . فقال الوليد: إنما خلفته طلباً للفتنة، فقال خالد: إنا أهل بيت طاعة، فقال: لتأتيني به أو لأزهقن نفسك، فقال:

= تمردوا بالمغرب الأقصى - كما تقدم في خبر الولاة - فسار كلثوم إلى المغرب وقتله البربر عام ١٢٣هـ، بينما خبر هروب يزيد بن خالد كان عام ١٢٤هـ أو بعد موت هشام، فلا يصح حبس خالد إلا لما مات هشام وتولى الوليد بن يزيد.

[٨٩] - انتهى ما نقلناه من كلام ابن خلدون عن خبر خالد بالشام [ص ١٠٥ ج ٣] وقد ذكر ابن خلدون بعد ذلك خبر حبس خالد ومقتله في خلافة الوليد بن يزيد، وسنورد ذلك بعد خبر وفاة هشام وبيعة الوليد لتتربط الأحداث.

[٩٠] - بهذا العنوان ذكر ابن خلدون وفاة هشام وبيعة الوليد [ص ١٠٣ ج ٣] وقد أوردنا جوهر ما ذكره ابن خلدون عن ذلك.

[٩١] - ومنهم يوسف بن عمر الثقفي والي العراق ونصر بن سيار والي خراسان ومروان بن محمد والي أرمينية، وكان يحيى بن زيد بخراسان فبعث نصر بن سيار الجنود في طلبه بأمر الوليد، فلحقوا به في الجوزجان وكان معه سبعون رجلاً، فقاتلهم حتى أصيب بسهم في جبهته فمات وقتل أصحابه جميعاً، وبعثوا برأس يحيى بن زيد إلى الوليد وصلب شلوه بالجوزجان.

والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فضربه الوليد، ولما قدم يوسف بن عمر بالأموال (إلى الوليد) اشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف، فقال له الوليد: إن يوسف يشتريك بكذا فاضمنها لي قبل أن أدفعك إليه، فقال: ما عهدت العرب تُباع والله لو سألتني عوداً ما ضمنته^[٩٢]، فدفعه الوليد إلى يوسف فألبسه عباءة وحمله على غير وطاء وعذبه عذاباً شديداً وهو لا يكلمه ثم حمله إلى الكوفة فاشتد في عذابه^[٩٣]، ثم قتله ودفنه في عباءة، فيقال إنه قتله بشيء وضعه على وجهه، وقيل وضع على رجليه الأعواد وقام عليها الرجال حتى تكسرت قدماه، وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة^[٩٤].

مقتل الخليفة الوليد بن يزيد

لما ولي الوليد لم يقلع عما كان عليه من الهوى والمُجون حتى نُسب إليه في ذلك كثير من الشناعات مثل رميه المصحف بالسهم حين استفتح فوقع على قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وينشدون له في ذلك بيتين تركتهما لشناعة مغزاهما^[٩٥]، ولقد ساءت القالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه^[٩٦]، . . وأما حكاية مقتله فإنه لما تعرّض له بنو عمه ونالوا من عرضه أخذ في

[٩٢] - مقولة البيع والشراء لا يمكن أن تصح، والمشهور أن يوسف الثقفي ادعى عليه بخمسين ألف ألف أثناء ولايته للعراق، وذلك بتدبير واتفاق بين الوليد وبين يوسف بن عمر، أما الدافع الحقيقي لتدبير حبسه فكان عصبية أكيدة.
[٩٣] - كان حبس خالد في أواسط أو أواخر عام ١٢٥هـ فقال في ذلك رجل من عبس اللخمية اليمنية:

ألا إن بحر الجود أصبح ساجياً أسير ثقيف مُوثقاً في السلاسل
فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل
وانتشرت بين الناس قصيدة منسوبة إلى الوليد يذم فيها اليمانية ويفتخر بالقيسية، ومنها:
وهذا خالبد فينا أسيراً ألا منعوه إن كانوا رجالاً

وقد أشار إليها ابن خلدون كما سيأتي، فازداد اليمانيون حنقاً على الوليد بسبب ذلك الشعر.
[٩٤] - لما قتل خالد ثار اليمانية بالشام وغيرها وأدى ذلك إلى مقتل الوليد وقتل يوسف بن عمر كما سيأتي.

[٩٥] - البيتان هما: -

أتوعدُ كل جبار عنيد فها أنذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشر فقبل يارب منقسنسي الوليد

[٩٦] - يمكن نفي الكفر واستباحة نساء أبيه وما إلى ذلك، أما غير ذلك فهو متواتر، قال =

مكافأتهم فضرب سليمان ابن عمه هشام مائة سوط وحلقه وغرّبه إلى معانٍ من أرض الشام فحبسه إلى آخر دولته وحبس أخاه يزيد بن هشام، وفرّق بين ابن الوليد وبين امرأته وحبس عدة من ولد الوليد (بن عبد الملك)، فرموه بالفسق والكفر واستباحة نساء أبيه وخوفوا بني أمية منه، وطعنوا عليه في تولية إبنه: الحكم وعثمان العهد مع صغرهما، وكان أشدهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد لأنه كان يتنسك فكان الناس إلى قوله أميل، ثم فسدت اليمانية عليه بما كان منه لخالد القسري، وقالوا إنما حبسه ونكبه لامتناعه من بيعة ولديه^[٩٧]، ثم فسدت عليه قضاة، وكانت اليمن وقضاة أكثر جند الشام، واستعظموا ما كان من بيعه خالداً ليوسف بن عمر الثقفي^[٩٨]، وصنعوا على لسان الوليد قصيدة معيرة لليمنية بشأن خالد^[٩٩]، فازدادوا

= الطبري: «كان الوليد بن يزيد قبل خلافته مستخفاً بالدين ومنهمكاً بالخلاعة والمجون، فلما ولي الخلافة لم يزد في ذلك إلا تمادياً، وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه الهلاك... إفساده على نفسه اليمانية وهم عظم جند الشام» [ص ٣ ج ٩].

[٩٧] - أدى حبس خالد القسري إلى استياء وغضب يمانية الشام ومواجهة التعصب بتعصب يمانى واسع ضد الباطل.

[٩٨] - قضاة من اليمن وهم (قضاة بن مالك بن حمير) وإنما كان أغلب أهل الشام من قبائل قضاة ثم من بقية قبائل اليمن، وكانت القبائل اليمنية غير القضاعية هي التي بدأت باستنكار حبس خالد، فلما وصل الأمر إلى التعذيب والقتل انضمت قضاة إليهم، واستعظموا ما كان من تسليم خالد ليوسف بن عمر وحبسه - وليس بيعه - فكل النصوص تنطق بالحبس والتعذيب بالسلاسل والقيود ليس إلا، بحيث كما قال الطبري: «أفسد الوليد على نفسه اليمانية وهم عظم جند أهل الشام» [ص ٣ ج ٩].

[٩٩] - ليس ثابتاً أن القصيدة صنعها بعض اليمنيين على لسان الوليد، فقد ذكر الطبري أنه «قال الوليد بن يزيد فيما زعم هيثم بن عدي شعراً يذم أهل اليمن ويذكر شأن خالد، وقال العامري إن هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد لتحريض اليمانية عليه وهو الأرجح» (اه). ونرى أن قصيدة الكميت بن زيد الأسدي في هجاء اليمانية وهي القصيدة النونية الدامغة التي قيلت قبيل ذلك بيسير وأدت إلى قتل الكميت وهو في مجلس يوسف بن عمر على يد بعض الحراس اليمنيين قد خلقت أجواء للتعصب وأن الوليد انساق وراء ذلك التعصب، بحيث لا نستبعد أن تكون القصيدة له، وقد أوردها الطبري وهي ١٤ بيتاً يفتخر فيها بالقيسية على اليمانية إلى أن يقول في شأن خالد:

وهذا خالد فينا اسيراً	ألا منعه وإن كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديماً	جعلنا المخزبات له ظلالا
فلو كانوا قبائل ذات عزّ	لما ذهب صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوباً اسيراً	يُسامرُ من سلاسلنا الثقالا

حنقاً (لما روي ذلك الشعر)^[١٠٠]، واتوا إلى يزيد بن الوليد بن عبد الملك فارادوه على البيعة، وشاور عمر بن زيد الحكمي، فقال شاور أخاك العباس وإلا فأظهر أنه قد بايعك فإن الناس له اطوع، فشاور العباس فيها عن ذلك، فلم يتنه ودعا الناس سراً وكان بالبادية، وبلغ الخبر مروان بن محمد بأرمينية فكتب إلى سعيد بن عبد الملك يعظم عليه الأمر ويحذره الفتنة ويذكر له أمر يزيد، فأعظم ذلك سعيد وبعث بالكتاب إلى العباس فتهدد أخاه يزيد فكتمه فصدقه، ولما اجتمع ليزيد أمره أقبل إلى دمشق لأربع ليالٍ متنكراً معه سبعة نفر على الحمر وقد بايع له أكثر أهلها سراً وأهل المزة، وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج وعلى شرطته أبو العجاج كثير بن عبد الله السلمي، وتواعد يزيد مع أصحابه بعد المغرب بباب الفرديس ثم دخلوا المسجد فصلوا العتمة ولما قضوا الصلاة جاء حرس المسجد لإخراجهم فوثبوا عليهم، ومضى يزيد بن عنبة السكسكي إلى يزيد بن الوليد فجاء به إلى المسجد في زهاء مائتين وخمسين وطرقوا باب المقصورة فأدخلهم الخادم فأخذوا أبا العجاج وهو سكران وخازن بيت المال... وأخذوا سلاحاً كثيراً كان بالمسجد، وأصبح

[١٠٠] - جاء في الأصل بتاريخ ابن خلدون عبارة: «فازدادوا حنقاً» فقط فأكملنا العبارة من تاريخ الطبري حيث قال: «فازداد الناس حنقاً على الوليد لما روي هذا الشعر، وقال حمزة بن بيش:

وَصَلَّتْ سَمَاءَ الضَّرِّ بِالضَّرِّ بَعْدَمَا زَعَمَتْ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنَا سَتَقْلِيحُ
فَلَيْتَ هَشَاماً كَانَ حَيًّا يَسُونَا وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نُرْجَى وَنَطْمَعُ

فلما أتى نبأ مقتل خالد القسري قال الشاعر بشر بن علباء الكلبي القضاعي الحميري قصيدة أوردتها الطبري منها:

... أَعَدُّوا آلَ حَمِيرٍ إِذَا دُعِيتُمْ سَيُوفَ الْهِنْدِ وَالْأَسَلِ الْنَهَالَا
... سَنَبِكِي خَالِدًا بِمَهْنَدَاتٍ وَلَا تَذْهَبُ صَنَائِعُهُ ضَلَالَا

ومنها:

(بنا ملك المملك من قریش
... لإخوان الأشاعت قتلوهم
فقد كانت جذام على أخيهم
وأبناء المهلب نحن ضلنا
هربنا ان نساعدهم عليكم
وأودى جد من أودى فزالا
وما وطئوا ولا لاقوانكالا
ولسخم يقتلونهم شلالا
وقائعهم وما صلتهم مصالا
وقد أخطأ مساعدكم وفالا...)

وكانت قصيدة الكلبي بمثابة بيان انطلاق ثورة يمانية الشام لأول مرة ضد البيت الأموي، وبالرغم من أنهم اقتنعوا يزيد بن الوليد بأن يبايعوه ويخلعوا ويقتلوا الوليد فإن شرارة الثورة وتداعياتها كانت أكبر من أن تقف عند ذلك الحد.

الناس من الغد من النواحي القريبة مائتين للبيعة^[١٠١]، ثم بعثوا عبد الرحمن بن مصادي في مائتي فارس فجاء بعبد الملك بن محمد بن الحجاج من قصره على الأمان^(١٠١)، ثم جهز يزيد الجيش إلى الوليد بمكانه في البادية مع عبد العزيز بن الحجاج ومنصور بن جمهور (الكلبي)... وأشار على الوليد أصحابه أن يلحق بحمص فيتحصن بها قال له ذلك يزيد بن خالد بن يزيد وخالفه عبد الله بن عنبسة وقال ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره وحرمه قبل أن يقاتل، فسار إلى قصر النعمان بن بشير ومنعه أربعون من ولد الضحاك وغيره، وجاء كتاب العباس بن الوليد بأنه قادم عليه، وقاتلهم عبد العزيز ومنصور بن جمهور بعد أن بعث إليهم زياد بن الحصين الكلبي يدعوهم إلى الكتاب والسنة فقتله أصحاب الوليد، واشتد القتال بينهم^[١٠٢].. وأرسل الوليد إلى عبد العزيز بخمسين ألف دينار وولاية حمص ما بقي، على أن ينصرف عنه فأبى، ثم قاتل قتالاً شديداً حتى سمع النداء بقتله وسبه، فدخل القصر فأغلق الباب وطلب الكلام من أعلى القصر فكلمه يزيد بن عنبسة السكسكي فذكره بجرمه^(١٠٢)... ثم دخل الوليد الدار، فتسوروا عليه وأخذ يزيد بن عنبسة بيده يقيه لا يريد قتله، وإذا بمنصور بن جمهور في جماعة معه ضربوا الوليد واجتزوا رأسه^[١٠٣]،... وكان قتله آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، لسنة وثلاثة أشهر من بيعته.

[١٠١] - كان الذين قاموا بالأمر في دمشق إلى أن سيطروا عليها من اليمانية بدمشق، حيث كما قال شاعرهم بعد وصف ما حدث:

فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها قد استوثقوا من كل عاتٍ ومارد
وفي الصباح التالي تدفق الناس من نواحي وضواحي دمشق لمبايعة يزيد بن الوليد بدلاً عن الوليد وتمت المبايعة.

[١٠٢] - ذكر الطبري من القادة اليمانيين الذين زحفوا إلى قصر الوليد وحاربوه وحاصروه في القصر (حصن البخراء) يزيد بن عنبسة السكسكي، منصور بن جمهور، حميد بن حبيب اللخمي، النضر بن عمر الجرشي، يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، عمارة بن أبي كلثم الأزدي، ولما هاجموا قصر الحصن، ضرب بشر بن هلباء الكلبي باب القصر بسيفه وهو يقول:

سنبكي خالداً بمهندات ولا تذهب صنائعه ضلالاً
[١٠٣] - ومما قيل في قتل الخليفة الوليد بن يزيد من شعر، قال خلف بن خليفة المذحجي أبياتاً منها:

لقد سَكَنْتُ كَلْبُ وَاَسْبَاقَ مَذْحَجٍ صَدَى كَانَ يَزْقُو لَيْلُهُ غَيْرَ رَاقِدٍ
تَرَكْنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ مُكَبِّاً عَلَى خَيْشُومِهِ غَيْرَ سَاجِدٍ =

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك [١٠٤]

لما قُتل الوليد خطب الناس يزيد فذمه وثلبه، ثم وعدهم بحسن الظفر والاقتصار عن النفقة في غير حاجاتهم وسد الثغور والعدل في العطاء والأرزاق ورفع الحجاب وإلا فلکم ما شئتم من الخلع، وكان يُسمى الناقص لأنه نقص الزيادة التي زادها الوليد في اعطيات الناس وهي عشرة عشرة وردّ العطاء كما كان أيام هشام وباع لأخيه إبراهيم بالعهد (١٠٤).

تولية الولاة والعمال [١٠٥]

... واستعمل يزيد على حمص معاوية بن يزيد بن الحصين [١٠٦]، وكان لما قُتل الوليد وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه، وتولى منهم سعيد وضبعان ابنا روح، وكان ولد سليمان (بن هشام) ينزلون فلسطين فأحضروا يزيد بن سليمان وولوه عليهم وبلغ ذلك أهل الأردن فولوا عليهم محمد بن عبد الملك، وبعث يزيد (بن الوليد) سليمان بن هشام في أهل دمشق

= وقال أبو محجن مولى خالد بن عبد الله القسري:

سائل وليدأ وسائل أهل عسكره غداة صبحه شؤبونا البرد

هل جاء من مضر نفس فتمنعه والخيل تحت عجاج الموت تطرد...

وقال نصر بن سعيد الأنصاري يثني على يزيد بن خالد القسري قصيدة منها:

أبلغ يزيد بني كرز مُغلغلة أني شُفيثٌ بغيب غير موتور

.حكمت سيفك إذ لم ترض حكمهم والسيف يحكم حكماً غير تعذير...

[١٠٤]- كانت خلافة يزيد بن الوليد من جمادى الآخرة ١٢٦هـ إلى ذي الحجة ١٢٦هـ حيث توفي آخر ذي الحجة لخمسة أشهر من خلافته فبريع لأخيه إبراهيم من بعده فانتقض عليه الناس فكانت خلافته نحواً من ثلاثة أشهر، وحاربه وخلعه مروان بن محمد.

[١٠٥]- لم يذكر ابن خلدون والي اليمن، وقد تقدم ما ذكره ابن خلدون عن والي اليمن يوسف بن عمر الثقفي، فلما ولاه هشام على العراق (عام ١٢٠هـ) تولى اليمن الصلت بن يوسف الثقفي إلى مقتل الوليد (جمادى الآخرة ١٢٦هـ) فلما تولى يزيد بن الوليد الخلافة ولى على اليمن الأمير اليمني الضحّاك بن وائل السكسكي فمكث الضحّاك السكسكي والياً لليمن في خلافة يزيد وأخيه إبراهيم (رجب ١٢٦هـ - ربيع الثاني ١٢٧هـ).

[١٠٦]- هو الأمير اليمني القائد معاوية بن يزيد بن الحصين السكوني أمير حمص وأعمالها، وكانت حمص قد شهدت حرباً بعد مقتل الوليد وسار إليها يزيد بن خالد بن عبد الله القسري في جيش أصحاب يزيد بن الوليد، فلما استتب الأمر تولى حمص معاوية بن يزيد بن الحصين السكوني وكان من قادة اليمانية بالشام.

وأهل حمص... وبعث إلى ابنيّ روح بالإحسان والولاية فرجعاً بأهل فلسطين... وولى على فلسطين ضبعان بن روح^[١٠٧] وعلى الأردن إبراهيم بن الوليد. وولى يزيد منصور بن جمهور على العراق وخراسان، ولم يكن من أهل الدين وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية وحنقاً على يوسف لقتله خالد القسري، وكان لما بلغ يوسف (بن عمر الثقفي) قتل الوليد ارتاب في أمره وحبس اليمانية لتجتمع المضرة إليه فلم ير عندهم ما يُحب، فأطلق اليمانية، وأقبل منصور وكتب من عين البقر إلى قواد الشام في الحيرة بأخذ يوسف وعماله، فأظهر يوسف الطاعة. ولما قرب منصور لحق (يوسف) بالشام سراً، وبعث يزيد بن الوليد خمسين فارساً لتلقيه فلما أحس بهم هرب واختفى، ووُجد بين النساء فأخذه وجاءوا به إلى يزيد فحبسه مع ابني الوليد حتى قتلهم مولى ليزيد بن خالد القسري^[١٠٨]، ولما دخل منصور بن جمهور الكوفة لأيام خلت من رجب أفاض العطاء وأطلق من كان في السجون من العمال^[١٠٩]، واستعمل منصور أخاه على الري وخراسان فسار لذلك فامتنع نصر بن سيار من تسليم خراسان له^[١١٠]، ثم عزل يزيد منصور بن جمهور لشهرين من ولايته وولى على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وقال: سر إلى العراق فإن أهله يميلون إلى أبيك، فسار وانتقاد له أهل العراق وسلم إليه منصور العمل وانصرف إلى الشام، وبعث عبد الله العمال إلى الجهات،.. وكتب إلى نصر بن سيار بعهدته على خراسان^(١١٠).

[١٠٧] - هو الأمير اليماني ضبعان بن روح بن زنباع الجذامي أمير فلسطين، وقد كان والده روح بن زنباع أميراً لفلسطين عام (٦٤ - ٨٤هـ) وله أبناء كثيرة.

[١٠٨] - تم القبض على يوسف بن عمر الثقفي بالبلقاء وهو في زي النساء، واقتيد إلى حبس دمشق فمكث في السجن إلى أن ظهر أمر مروان بن محمد، فقام يزيد بن خالد القسري بقتل يوسف بن عمر في السجن (ربيع ١٢٧هـ) وبما أن يوسف بن عمر كان والياً لليمن (١٠٦ - ١٢٠هـ) فهو أول من مات مقتولاً من الذين تولوا اليمن بعد الإسلام.

[١٠٩] - هو الأمير اليماني منصور بن جمهور الكلبي وكان له دور كبير في الثورة على الوليد ومقتله - كما تقدم - ثم تولى العراق في رجب ١٢٦هـ لمدة شهرين حيث ما لبث أن ولى يزيد على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فسلم إليه منصور العمل وعاد إلى الشام.

[١١٠] - كان نصر بن سيار بمثابة زعيم المتعصبين للقيسية في خراسان منذ ولاية أسد بن عبد الله القسري الأولى لخراسان، ثم كان عامل يوسف بن عمر الثقفي والي العراق بعد موت أسد وعزل خالد عن العراق (عام ١٢٠هـ) فولاه يوسف على خراسان، فكان من أشياخ يوسف والوليد بن يزيد حتى مقتل الوليد (جمادى الآخرة ١٢٦هـ).

بدايات ثورة جديع الكرمانى بخراسان

ولما قدم على نصر عهد خراسان من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق انتقض عليه جديع بن علي الكرمانى، وهو أزدى وإنما سمي الكرمانى لأنه ولد بكرمان، وقال لأصحابه: هذه فتنة فانظروا لأموركم رجلاً، فقالوا له أنت وولوه^[١١١]، وكان الكرمانى قد أحسن إلى نصر بن سيار فى ولاية أسد بن عبد الله^[١١٢] فلما ولي نصر عزله عن الرياسة بغيره فتباعد ما بينهما^[١١٣]، وأكثر على نصر أصحابه فى أمر الكرمانى فاعتزم على حبسه وأرسل صاحب حرسه ليأتى به وأراد الأزد أن يخلصوه فأبى، وجاء إلى نصر يُعدّ عليه أياديه قبله، (وعدّد عليه نصر أياديه قبله) فى مراجعة يوسف بن عمر فى قتله والغرامة عنه وتقديم ابنه للرياسة ثم قال فبدلت ذلك بالإجماع على الفتنة فأخذ يعتذر ويتنصل، وأصحاب نصر يتحاملون عليه مثل مسلم بن أحرور وعصمة الأسدي ثم ضربه وحبسه فى آخر رمضان سنة ست وعشرين، ثم نقب السجن واجتمع له ثلاثة آلاف، وكانت الأزد قد بايعوا عبد الملك بن حرملة على الكتاب والسنة فلما جاء الكرمانى قدّمه عبد الملك، ثم عسكر نصر على باب مرو الروذ واجتمع إليه الناس وبعث سالم بن أحرور فى الجموع إلى الكرمانى، وسفر الناس بينهما على أن يؤمنه نصر وأجاب نصر إلى ذلك وجاء الكرمانى إليه، وأمره بلزوم بيته، ثم بلغه عن نصر شيء فعاد إلى حاله وكلموه فيه فأمنه^[١١٤]، فلما عُزل منصور بن جمهور عن العراق وولى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، خطب نصر فذم ابن جمهور وأثنى على عبد الله، فغضب الكرمانى لابن جمهور وعاد لجمع المال واتخاذ السلاح، وكان يحضر الجمعة فى ألف وخمسمائة، ويصلى خارج المقصورة^(١١٣)، ثم اظهر الخلاف

[١١١] - الجديع بن علي الكرمانى الأزدى هو خال يزيد بن المهلب - أو خال أبناء يزيد بن المهلب - وكان الجديع من كبار العمال والقادة فى ولاية أسد بن عبد الله على خراسان حتى وفاة أسد عام ١٢٠هـ وكان رئيس الأزد.

[١١٢] - أى لما تولى نصر خراسان فى ولاية يوسف الثقفى للعراق والأحداث التى ذكرها ابن خلدون بعد هذه الفقرة كانت آنذاك.

[١١٣] - يتبين من السياق أن جديع الكرمانى كان رأس الأزد بل رأس كل اليمانية فى خراسان، بينما كان نصر بن سيار رأس القيسية أكثر منه أميراً لخراسان.

[١١٤] - ذكر الطبرى أنه «كاتب الجديع الكرمانى بكر بن فراس البهرانى (القضاعي الحميرى) عامل جرجان» [ص ٣٩ ج ٩]، وكانت هذه التطورات بعد موت يزيد بن الوليد وظهور أمر مروان بن محمد كما سيأتى.

وبعث إليه نصر سالم بن أهور فأفحش في صرفه، وسفر بينهما الناس في الصلح على أن يخرج الكرمانى من خراسان، وتجهز للخروج إلى جرجان^(١١٤).

وفاة يزيد وبيعة أخيه إبراهيم

ثم توفي يزيد آخر سنة ست وعشرين لخمسة أشهر من ولايته، ويقال إنه كان قدرياً، وبايعوا لأخيه إبراهيم من بعده إلا أنه انتقض عليه الناس ولم يتم له الأمر وكان يُسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالإمارة، وأقام على ذلك نحواً من ثلاثة أشهر ثم خلعه مروان بن محمد على ما نذكر^[١١٥].

مسيرة مروان بن محمد إلى الشام^(١١٥)

لما توفي يزيد وولّي أخوه إبراهيم وكان مضعفاً انتقض عليه مروان بن محمد لوقته وسار إلى دمشق، فلما انتهى إلى قنسرين وكان عليها بشر بن الوليد عاملاً لأخيه يزيد ومعه أخوهما مسرور فدعاهم مروان إلى بيعته ومال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة وخرج بشر للقاء مروان، فلما تراءى الجمعان مال ابن هبيرة وقيس إلى مروان واسلموا بشراً ومسروراً فأخذهما مروان وحبسهما، وسار بأهل قنسرين ومن معه إلى حمص، وكانوا امتنعوا من بيعة إبراهيم، فوجه إليهم إبراهيم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك في جند أهل دمشق فكان يحاصرهم. فلما دخل مروان رحل عبد العزيز عنهم وبايعوا مروان، وخرج للقائه سليمان بن هشام في مائة وعشرين ألفاً ومروان في ثمانين ألفاً فدعاهم إلى الصلح وترك الطلب بدم الوليد على أن يطلقوا ابنه الحكم وعثمان وليّ عهده فأبوا وقتلوا، وسرب عسكرياً جاؤوهم من خلفهم فانهزموا واثخن فيهم أهل حمص^[١١٦]، فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً وأسروا مثلها ورجع إلى مروان الفل وأخذ عليهم البيعة للحكم وعثمان ابني الوليد، وحبس يزيد بن العفار والوليد بن مصاد الكلبيين فهلكا في حبسه وكانا ممن شهد قتل الوليد، وهرب يزيد بن خالد القسري إلى دمشق فاجتمع مع إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج وتشاوروا في قتل الحكم وعثمان خشية أن

[١١٥] - كان مروان بن محمد بن مروان الأموي والياً على أذربيجان والجزيرة الفراتية والموصل، فلما مات يزيد وبويع إبراهيم انتقض مروان وسار مطالباً بثأر الوليد وبمبايعة الحكم بن الوليد وبعده عثمان بن الوليد وليّ عهد الوليد.

[١١٦] - كان أهل حمص بقيادة الأمير اليمني معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير السكوني وهم الذين رجحوا كفة مروان.

يطلقهما مروان فيثأراً بأبيهما^[١١٧]، وولوا ذلك يزيد بن خالد القسري فبعث مولاه أبا الأسد فقتلتهما، وأخرج يوسف بن عمر (الثقفي) فقتله^[١١٨]، واعتصم أبو محمد السفيناني ببيت في الحبس فلم يطيقوا فتحه، وأعجلهم خيل مروان فدخل دمشق، وأتى بابني الوليد ويوسف بن عمر مقتولين فدفنهما، وأتى بأبي عمر السفيناني في قيوده فسلم عليه بالخلافة وقال إن ولي العهد جعلها لك ثم بايعه وسمع الناس فبايعوه، وكان أولهم بيعة معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير وأهل حمص، ثم رجع مروان واستأمن إليه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام، وكان قدوم سليمان من تدمر بمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية فبايعوا لمروان^[١١٩].

المعارضة اليمينية لخلافة مروان بن محمد^[١٢٠]

انتقاض الناس على مروان

ولما رجع (مروان) إلى حران (١٢٠/ب)، راسل ثابت بن نعيم

[١١٧] - تقدم أن مروان أخذ البيعة للحكم وعثمان ابني الوليد فيكون ذلك السبب الأرجح لقتلهما.

[١١٨] - هو يوسف بن عمر الثقفي الوالي الأسبق لليمن والعراق وقاتل الإمام زيد بن علي والأمير خالد بن عبد الله القسري، وكان في السجن - كما تقدم - فقتله يزيد بن خالد القسري ثم انسحب يزيد بن خالد القسري وأقام في غوطة دمشق.

[١١٩] - ورجع مروان إلى (حران) فأقام بها، وحران في سورية.

[١٢٠] - استحدثنا هذا العنوان لكونه أدق في التعبير عن الثورات والأحداث التي اندلعت ضد خلافة مروان بن محمد الذي كان متعصباً لنزعة قيسية متطرفة ضد اليمانيين فاندلعت معارضة وثورات يمانية ضد الحكم الأموي في أرجاء الدولة العربية الإسلامية، ونشير هنا إلى ما يلي:

أ - يقول القاضي سعدي أبو جيب في كتاب (مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية): «كان معاوية مؤسس الدولة الأموية يعتمد في تدعيم عرشه على اليمانية... وبقيت السيادة لليمنية حتى جاء هشام بن عبد الملك. وجاء الوليد بن يزيد - فناصر القيسية على اليمنية - وقرب القيسية مما حدا بالقبائل اليمنية أن تجتمع وتتكاتف وتبايع يزيد بن الوليد، وتقضي على الوليد وتقتله حتى إذا تولى يزيد الخلافة اعتمد على اليمانية... فكان بديهيّاً أن يعتمد مروان على القيسية اعتماداً كلياً لسبيين: أولهما أنه قام يطالب بدم الوليد وكان أحوال الوليد من قيس، وثانيهما: أن قيساً كانت تتمركز بالجزيرة (الفراتية) ومروان سيد الجزيرة لهذا فإنه لما أتاه نعي يزيد دعا قيساً فاستجابت له...» [ص ١١١].

ب - ويقول عن سبب إقامة مروان في (حران) بدلاً عن العاصمة (دمشق): «وربما كان عذر مروان في نقل العاصمة إلى حران أنها كانت مركز القيسية... ولا يمكن أن يبقى عند =

(الجدامي) [١٢١] من فلسطين أهل حمص في الخلاف على مروان، فأجابوه، وبعثوا إلى من كان بتدمر ممن طلب، وجاء الأصبح بن دواله الكلبى وأولاده، ومعاوية السكسكى فارس أهل الشام وغيرهما في ألف من فرسانهم، ودخلوا حمص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين ومائة، وزحف مروان في العساكر من حران ومعه إبراهيم المخلوع وسليمان بن هشام، ونزل عليهم ثالث يوم الفطر وقد سدوا أبوابهم، فنادى مناديه ما دعاكم إلى النكث، قالوا لم ننكث ونحن على الطاعة، ودخل عمر الوضاح في ثلاثة آلاف فقاتله المحتشدون هنالك للخلاف وخرجوا من

= سواهم، وهو من جهة أخرى لا يثق بالجيش الشامى واليمانيون فيه أكثره» [ص ١٤٧].

ج - إن عصبية مروان بن محمد تجلت في عزل وتعيين بعض الولاة والأمراء بما في ذلك والى اليمن، فقد عزل مروان الأمير اليمنى (الضحاك بن وائل السكسكى) عن ولاية اليمن وولى عليها (قاسم بن عمر الثقفى) شقيق (يوسف بن عمر الثقفى) الذى كان من أمره ما تقدم حتى قتله يزيد بن خالد القسرى، فتولى قاسم بن عمر اليمن وقلبه حاقد على اليمنيين وكان معه (الصلت بن يوسف بن عمر الثقفى) ويفسر ذلك سياسة العسف والجور التى سلكها قاسم بن عمر، وكانت من عوامل اندلاع ثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندى في اليمن عام ١٢٩هـ.

(*) وفي مصر كان والى مصر هو (حفص بن الوليد الحضرمى ١٢٤ - ١٢٧هـ) فقام مروان بن محمد بعزله وتولية (حسان بن العتاهية التجيبى) وهو أيضاً يمنى ولكنه من أشياع مروان وكانت توليته كتمهيد لغيره، فثار على حسان بن العتاهية فريق واسع من جند وأهل مصر وأخرجوه من دار الإمارة وأعادوا حفص بن الوليد (وهو كاره للفتنة) وبعث مروان (حوثره ابن سهيل) أميراً لمصر فاجتمع فريق من جند وأهل مصر إلى حفص يسألونه مواجهة حوثره فرفض حفص، فدخل حوثره مصر (الفسطاط) فجاءه حفص ليُسلم عليه فقبض عليه ثم ضرب عنقه (مطلع ١٢٨هـ) فكان ذلك من مظاهر العصبية المروانية القيسية المتطرفة التى اشعلت بركان المعارضة اليمنية.

(***) وفي بلاد المغرب (شمال أفريقيا) كان واليها الأمير اليمنى حنظلة بن صفوان الكلبى (١٢٤ - ١٢٧هـ) وتعصب (عبد الرحمن بن حبيب الفهرى) للقيسية واندلعت الفتنة في المغرب وعاد حنظلة إلى مصر عام ١٢٧هـ أو عام ١٢٩هـ.

(***) وفي الأندلس كان واليها الأمير اليمنى (أبو الخطار حسام الكلبى) من عام ١٢٤هـ - فلما تولى مروان الخلافة امتدت العصبية إلى الأندلس ويقال إن أبا الخطار «أفرط في التعصب لقومه من اليمانية» ولكن القيسية الذين وقفوا ضده انهزموا ولاذوا بالقائد اليمنى (ثوابة بن سلامة الأزدي) فسيطر على قرطبة وتولاها عام ١٢٨هـ ثم - كما ذكر ابن خلدون - «في سنة ١٢٩ ولى مروان يوسف بن حبيب الفهرى على الأندلس بعد ثوابة بن سلامة» [ص ١٤١ ج-٣] وسقط أبو الخطار قتيلاً عام ١٣٠هـ.

[١٢١] - هو الأمير اليمنى ثابت بن نعيم الجدامى.

الباب الآخر، وجفل مروان في اتباعهم، وعلا الباب، فقتل منهم نحو خمسمائة وصلبهم، وهدم من سورها علوه، وأفلت الأصبغ بن دوالة وابنه قرافصة (بن الأصبغ الكلبي)^[١٢٢]، ثم بلغ مروان وهو بحمص خلاف أهل الغوطة - (غوطة دمشق) - وأنهم ولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحاصروا دمشق وأميرها زامل بن عمر، فبعث مروان إليهم أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحرث وعمر بن الوضاح في عشرة آلاف فلما دنوا من دمشق حملوا عليهم وخرج إليهم من كان بالمدينة فهزموهم وقتلوا يزيد بن خالد القسري وبعثوا برأسه إلى مروان^[١٢٣]، وأحرقوا المزة وقرى البرامة. ثم خرج ثابت بن نعيم^[١٢٤] في أهل

[١٢٢] - لم يلبث الأصبغ وقرافصة الكلبي وغيرهما من القادة اليمانيين بحمص وقنسرين وغيرهما من الشام أن اقتنعوا - في العام التالي (١٢٨هـ) - سليمان بن هشام بن عبد الملك بالثورة وابعوه فتمركز في قنسرين فوقعت حرب مع جيش مروان سقط فيها الآلاف، ثم انسحب سليمان إلى حمص وصمدت حمص عشرة أشهر في مواجهة قوات ومنجنقات مروان، وكان سليمان بن هشام قد غادرها إلى تدمر والعراق، ثم استأمن أهل حمص مروان، . . . وقد ذكر ابن خلدون خبر حركة سليمان بن هشام بعد أحداث دمشق وفلسطين التالية (ص ١١٤ ج ٣) وتكتفي بهذه الإشارة إليها لأن موضوعنا هو ما ذكره ابن خلدون من أخبار اليمن واعلام اليمانيين كما سلف التبيين.

[١٢٣] - كان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري من رؤساء اليمانية وكبار القادة والأمراء، وكان له دور قيادي في الثورة ضد الخليفة الوليد بعد مقتل خالد بن عبد الله حتى سقط الوليد قتيلاً وتولى يزيد بن الوليد الخلافة، فكان يزيد بن خالد من كبار الأمراء بدمشق والشام في عهده، فلما حاصر مروان دمشق قام يزيد بن خالد بقتل يوسف بن عمر الثقفي والحكم وعثمان ابني الوليد - كما تقدم - ثم ثار وبويع في غوطة دمشق وحارب جيش مروان إلى أن سقط قتيلاً في أواخر عام ١٢٧هـ، بينما كان قد لحق بالكوفة والعراق كل من:
أ - إسماعيل بن عبد الله القسري: وكان له دور أساسي في الحركات التي اندلعت بالعراق كما يأتي.

ب - محمد بن خالد بن عبد الله القسري: وقد انضم فيما بعد إلى الدعوة العباسية وقاد العمل الحربي بالكوفة ونواحيها ضد ابن هبيرة عامل مروان (عام ١٣١هـ) فسيطر على الكوفة وأعلن نهاية الدولة الأموية وبداية العصر العباسي بالعراق في ٦ محرم ١٣٢هـ وكان يقال لمحمد بن خالد القسري «سيد اليمن».

[١٢٤] - هو الأمير اليمني القائد ثابت بن نعيم الجذامي، وكان من قادة الجيش الذي بعثه هشام بن عبد الملك لاختماد حركة تمرد بربرية في المغرب الأقصى عام ١٢٢هـ مع كلثوم بن عياض، ثم عاد إلى الشام وكان من القادة في أرمنية وأذربيجان، وكان له أدوار في الأحداث اللاحقة إلى أن تغلب مروان بن محمد على الخلافة «وكان ثابت بن نعيم يتقلد ديوان فلسطين للخليفة إبراهيم بن الوليد» [ص ٧١/ الوزراء والكتاب] ويقول القاضي سعدي أبو جيب: «بايع ثابت بن نعيم =

فلسطين وحاصر طبرية وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، فبعث مروان إليه أبا الورد فلما قرب منه خرج أهل طبرية عليه فهزموه ولقيه أبو الورد منهزماً فهزمه أخرى، وافترق أصحابه وأسر ثلاثة من ولده وبعث بهم إلى مروان وتغيب ثابت^[١٢٥] وولى مروان على فلسطين الرماحس بن عبد العزيز الكناني فظفر بثابت بعد شهرين وبعث به إلى مروان موثقاً فقتله وأولاده الثلاثة وبعثهم إلى دمشق فصلبوا، ثم سار مروان إلى ترمذ من دير أيوب، وبعث وزيره الأبرش الكلبي إليهم وأجابوا إلى الطاعة وهرب نفر منهم إلى البلد وهدم الأبرش سورها ورجع بمن أطاع إلى مروان.

خبر إسماعيل القسري ومنصور بن جمهور بن العراق ومشارقتها

... لما بويح إبراهيم بن الوليد بعد أخيه واضطرب الشام وسار مروان إلى دمشق حبس عبد الله بن عمر^[١٢٦] عبد الله بن معاوية عنده^[١٢٧] فلما ظفر مروان بإبراهيم سار إسماعيل بن عبد الله القسري إلى الكوفة وقاتله عبد الله بن عمر ثم خاف إسماعيل أن يفتضح فكفوا خبرهم، فوعدت العصبية بين الناس من ايثار عبد الله بن عمر بعضاً من مضر بالعطاء دون غيرهم، فثارت ربيعة فبعث إليهم أخاه عاصماً ملقياً بيده فاستحيوا ورجعوا^[١٢٨]، واجتمعت الشيعة إلى عبد الله بن معاوية فبايعوه وأدخلوه قصر الكوفة وأخرجوا منه عاصم بن عمر فلاحق بأخيه بالحيرة^[١٢٩]، وبايع الكوفيون عبد الله بن معاوية ومعهم منصور بن جمهور

= مروان بن محمد بدمشق، على ما يظهر، فولاه فلسطين بناء على رغبة أهلها، إلا (أنه ما لبث أن) كاتب اليمانية وراسلهم ودعاهم إلى خلع مروان، وليس عمل ثابت بمستغرب، فهو يمانى العصبية، بل هو رأس اليمانية في زمنه» [ص ٢٩].

[١٢٥] - لحق ثابت بن نعيم بمصر «فدخلها ومعه جماعة من اليمانية، ودعوا الناس إلى خلع مروان، فاستجاب لهم أهل مصر ولم يخالفه منهم أحد (ص ١٠٧ ولاة مصر) ويظهر أن دخول ثابت إلى مصر كان باتفاق مع واليها حفص بن الوليد الحضرمي، ولم يطل المقام بثابت في مصر، فقد تصدى لقتاله زيان بن عبد العزيز بن مروان وهزمه، وبعد ذلك قبض عليه الرماحس» [ص ٣٠/ مروان وأسباب سقوط الدولة الأموية].

[١٢٦] - أي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أمير العراق ليزيد بن الوليد.

[١٢٧] - أي عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

[١٢٨] - توقف إسماعيل القسري عن قتال عبد الله بن عمر لوقوع تطور هام ذكره ابن خلدون في خبر الولاة قاتلاً: «ولى مروان على العراق النضر بن سعيد الحرشي وامتنع عبد الله بن عمر عن تسليم العمل إليه ووقعت الفتنة بينهم» [ص ١٤١ ج ٣].

[١٢٩] - تداخلت الأحداث في العراق حيث - كما يوجزها القاضي سعدى أبو جيب: «كان =

وإسماعيل أخو خالد القسري وعمر بن العطاء وجاءته البيعة من المدائن وجمع الناس وخرج إلى عبد الله بن عمر بالحيرة فسرح للقائه مولاه ثم خرج في إثره وتلاقيا، وبايعه منصور بن جمهور وإسماعيل أخو خالد القسري وعمر بن العطاء، . . . ثم انهزم ابن معاوية إلى الكوفة، وأقام في القصر ومعه ربيعة والزيدية على أفواه السكك يقاتلون ابن عمر، ثم أخذت ربيعة الأمان لابن معاوية ولأنفسهم وللزيدية وسار ابن معاوية إلى المدائن وتبعه قوم من أهل الكوفة فتغلب بهم على حلوان والجبال وهمذان وأصبهان والري، وأقام بأصبهان^[١٢٩]، وانضم إليه قواد من أهل الشام فسار إلى سالم بن المسيب عامل عبد الله بن عمر على شيزار فقتله سنة ثمان وعشرين . . . وجبى المال وبعث العمال وكان معه منصور بن جمهور وسليمان بن هشام وأتاه شيبان الخارجي ثم أتاه أبو جعفر المنصور وعبد الله ابن أخيه عيسى، ولما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة (والياً) على العراق أرسل نباتة بن حنظلة الكلابي على الأهواز وأن يقاتل عبد الله بن معاوية^[١٣٠]، ثم بعث يزيد بن هبيرة بعد نباتة بن حنظلة ابنه داود بن يزيد في العساكر إلى عبد الله بن معاوية وعلى مقدمته داود بن ضبارة، وبعث معن بن زائدة من وجه آخر فقاتلوا عبد الله بن معاوية وهزموه^(١٣٠) وهرب منصور بن جمهور إلى السند وعبد الرحمن بن يزيد إلى عمان^[١٣١]، [أهـ].

= النضر بن سعيد في الكوفة ومعه المضربة، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز في الحيرة ومعه اليمانية، والحرب بينهما مستعرة، وفي ذلك الجو قدم الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي إلى الكوفة ومعه ثلاثة آلاف مقاتل . . . وبايحاء من منصور بن جمهور الكلابي بايع ابن عمر الضحاك في اواخر شوال ١٢٧هـ بينما عاد النظر بن سعيد ومن معه إلى مروان بن محمد، فأرسل - فيما بعد - يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري بالعساكر . . . ودارت معركة انتهت بقتل الضحاك عام ١٢٨هـ.

(*) وأثناء ذلك ظهر أمر عبد الله بن معاوية وجرت بينه وبين عبد الله بن عمر معارك أسفرت عن انهزام عبد الله بن معاوية ثم خروجه من الكوفة إلى المدائن ثم أصبهان، وكان منصور بن جمهور الكلابي وإسماعيل القسري قد بايعا في من معهما من اليمانية، فكان منصور معه لما بات في أصبهان وبلاد فارس.

[١٣٠] - تولى وسيطر يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق - عام ١٢٨هـ - وبعث الجيوش لقتال عبد الله بن معاوية ومن معه في أصبهان والري واصطخر ببلاد فارس فانهزم عبد الله بن معاوية وهرب إلى جهات خراسان وما لبث أن قتل في طريق خراسان عام ١٢٨هـ.

[١٣١] - تمكن منصور بن جمهور الكلابي من بسط سيادته على بلاد السند وتولى حكمها بصفة الاستقلالية عن خلافة مروان بن محمد، واستمرت السند تحت حكم منصور بن جمهور إلى ما بعد سقوط الدولة الأموية.

وسياتي الخبر عن عمان في وقائع ثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي في اليمن.

ثورة جديع الكرمانى الأزدي فى خراسان [١٣٢]

لما وقعت الفتنة بخراسان بين نصر والكرمانى [١٣٣]، خاف نصر أن يستظهر الكرمانى عليه بالحرث بن سريج وكان مقيماً ببلاد الترك منذ اثنتى عشرة سنة كما مرّ، فأرسل مقاتل بن حيان النبطى يراوده على الخروج من بلاد الترك بخلاف ما يقتضى له الأمان من يزيد بن الوليد: أن يرد عليه ما أخذ منه، ووصل (الحرث بن سريج) سنة سبع وعشرين فى جمادى الآخرة، وانزله نصر بمرو، وردّ عليه ما أخذ

[١٣٢] - استحدثنا هذا العنوان، وقد تقدم ما ذكره ابن خلدون عن أمر جديع بن علي الكرمانى الأزدي فى (ص ١١٠ ج ٣) ثم أورد الخبر التالى المتصل بجديع الكرمانى فى (ص ١١٢ ج ٣) ثم خبر الثورة بعنوان «غلبة الكرمانى على مرو وقتله الحرث بن سريج» فى (ص ١١٥ ج ٣) فاستصوبنا ربط إيراد ذلك هنا ونشير إلى ما يلي:

أ - إن جديع بن علي الكرمانى الأزدي هو خال أبناء يزيد بن المهلب - (الخليفة اليمنى الثانى عام ١٠١ - ١٠٢هـ) - ويذكر الطبرى فى أخبار ثورة جديع الكرمانى عام ١٢٨هـ أنه قال «كانت غايى فى طاعة بنى مروان أن تقلدنى السيوف لأطالب بثار بنى المهلب» [ص ٤١ ج ٩].

ب - إن بدايات ثورة جديع الكرمانى كانت ذات صلة بانطلاق المعارضة اليمنىة فى الشام لخلافة مروان بن محمد أو تحرك يزيد بن خالد القسرى فى دمشق، فقد ذكر الطبرى قدوم أبى الزعفران مولى أسد القسرى إلى خراسان وأن نصر بن سيار استدعى جديع الكرمانى وسأله عن أبى الزعفران «فقال: ما ذنبى إن كان أبو الزعفران جاء فوالله ما وارىته ولا أعلم مكانه» [ص ٤٠] وقال فى موضع آخر «وكاتب الكرمانى بكر بن فراس البهرانى عامل جرجان» وقال «بعث عهد الكرمانى مع أبى الزعفران مولى أسد بن عبد الله القسرى» [ص ٣٩ ج ٩] فظهور ووجود مولى أسد القسرى فى تلك الاتصالات التى رافقت بدايات ثورة جديع الكرمانى تكتسب أهمية خاصة.

[١٣٣] - تقدم قول ابن خلدون «كان جديع الكرمانى يحضر الجمعة فى ألف وخمسمائة» وأن «الأزد ولّوه» ثم «أظهر الخلاف وبعث إليه نصر بن سيار - أمير خراسان - وسفر بينهما الناس فى الصلح على أن يخرج الكرمانى من خراسان وتجهز للخروج إلى جرجان» (اه) وكان ذلك بعد وصول كتاب يزيد بن عمر بن هبيرة والى مروان على العراق بعهد نصر بن سيار على خراسان - غالباً - والمقصود بخروج الكرمانى من خراسان هو الخروج من عاصمة خراسان (مدينة مرو ونواحيها) . . وقد «خرج جديع الكرمانى من مرو إلى (نوش) فى المرج، فاجتمع إليه أصحابه هناك فصلّى بهم الغداة وهم زهاء ألف، فما انجلت الشمس حتى وافاه إلى المرج نحو ثلاثة آلاف من الأزد وغيرهم» وقال خلف بن خليفة (الأزدي أو المذحجي):

أصجروا للمرج أجلئى للعمى فلقد أصحرا أصحاب السرب
إن مرج الأزد مرج واسع تستوي الأقدام فيه والركب

له، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهماً وأطلق أهله وولده وعرض عليه أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل، وقال: لست من الدنيا واللذات في شيء وإنما أسألك كتاب الله والعمل بالسنة وبذلك أساعدك على عدوك وإنما خرجت من البلاد منذ ثلاث عشرة سنة انكاراً للجور فكيف تزيدني عليه، وبعث إلى الكرمانى: إن عمل نصر بكتاب الله عضدته في أمر الله وإلا اتبعتك إن ضمنت لي القيام بالعدل والسنة، ثم دعا قبائل تميم فأجاب منهم ومن غيرهم كثير واجتمع إليه ثلاثة آلاف وأقام على ذلك^[١٣٤]، ولما ولي مروان وولى على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، كتب يزيد إلى نصر بعهدده على خراسان، فبايع لمروان بن محمد، فارتاب الحرث وقال: ليس لي أمان من مروان، وخرج فعسكر وطلب من نصر أن يجعل الأمر شورى، فأبى، ثم عرض عليه نصر ولاية ما وراء النهر فلم يقبل وقال له: فابدأ بالكرمانى فاقتله وأنا في طاعتك، ثم اتفقا على تحكيم جهم - بن صفوان وهو رأس الجهمية - ومقاتل بن حيان، فاحتكما بأن يُعزل نصر ويكون الأمر شورى، فأبى نصر، فخالفه الحارث، وقدم على نصر جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة منهم عاصم بن عمير الضريمى وأبو الديال الناجى ومسلم بن عبد الرحمن وغيرهم فكانوا معه^[١٣٥]، وأمر الحارث أن تُقرأ سيرته - وما يدعو إليه - في الأسواق والمساجد، واتاه الناس، وقرئت - سيرته - على باب نصر، فضرب غلمان نصر قارئها، وتجهزوا للحرب ونقب الحارث سور مرو من الليل ودخل بالنهار فاقتتلوا، فركب سالم بن أحور حين أصبح فقاتل الحارث وهزمه، وبعث نصر إلى الكرمانى وكان في الأزدي وربيعه^(١٣٥). . فجاء نصر على الأمان وحادثهم، واغلظوا له القول فارتاب ومضى، وبعث الحارث ابنه حاتماً إلى الكرمانى يستجيشه، فقال له أصحابه: دع عدوك يضطربان، ثم - سار الكرمانى -

[١٣٤] - كان هدف نصر بن سيار أن يكون الحرث بن سريج التميمى إلى جانبه كنوع من تكتيل القيسية في مواجهة جديع الكرمانى واليمانية الذين معه، ولكن الحرث بن سريج أصبح طرفاً ثالثاً يتظاهر بالحياد حيث «اجتمع إليه ثلاثة آلاف وأقام على ذلك» وينتهي بهذه الفقرة ما ذكره ابن خلدون في (ص ١١٢) ثم يتواصل الخبر في (ص ١١٥ جـ ٣) كما في الفقرات التالية ابتداءً بقوله «ولما ولي مروان . .» أو بالتحديد لما ولي مروان يزيد بن هبيرة على العراق وسيطر عليها عام ١٢٨هـ - كما تقدم - بينما عسكر جديع الكرمانى في المرج .

[١٣٥] - في ذات الوقت وصل وانضم إلى جديع الكرمانى سورة بن محمد الكندى وعبد الرحمن بن جامع الكندى وخالد ومزيد المهلب وغيرهم من أعلام اليمانيين ومن ربيعة حلفاء اليمن .

بعد يومين وناوش القتال أصحاب نصر فهزمهم وصرع تميم بن نصر ومسلم بن أهور^[١٣٦]، وخرج نصر من مرو من الغد فقاتلهم ثلاثة أيام وانهزم - من - الكرمانى وأصحابه، ونادى مناد: يا معشر ربيعة واليمن إن أبا سيار قُتل فانهزمت مضر ونصر، وأرسل إليه الحارث أنى كافٍ عنك فإنَّ اليمانية يعيرونني بانهزامكم فاجعل أصحابك إزاء الكرمانى، ولما انهزم نصر غلب الكرمانى على مرو^[١٣٧]، ثم اعتزل عن الحارث بشر بن جرموز الضبى في خمسة آلاف وقال إنما كنا نقاتل معك طلباً للعدل، فأما إن حاربت الكرمانى للعصية فنحن لا نقاتل، فدعا الحارث الكرمانى إلى الشورى فأبى، فانتقل (بشر إلى) الحارث، وأقاموا أياماً، ثم ثلم الحارث السور ودخل البلد فقاتله الكرمانى قتالاً شديداً فهزمه وقتله وأخاه سواده... وبشر بن جرموز وجماعة من بني تميم، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة فانهزم الباقون، وصفت مرو لليمن وهدموا دوراً للمضرية^(١٣٦) [أه/ [١٣٨]].

[١٣٦] - ذكر الطبرى أنه «كان على ميمنة جدبج الكرمانى داود بن شعيب وخالد ومزيد المهلب وعلى مسيرته سورة الكندى وعبد الرحمن بن جامع الكندى» (أه).

[١٣٧] - انهزم نصر بن سيار وانسحب إلى (أبرشهر) بتخوم فارس وأصبحت مرو خراسان بيد الجدبج بن على الكرمانى الأزدي واليمانيين حيث كما قال ابن خلدون في فقرة تالية «وصفت مرو لليمن» وكان ذلك في أواخر عام ١٢٨هـ.

ومما قيل بعد ذلك من أشعار قول عباد بن الحارث التميمى في قصيدة إلى نصر بن سيار:

ألا يا نصر قد برح الخفاء وقد طال التمنى والرجاء
وأصبحت المزون بأرض مرو تقضي في الحكومة ما تشاء
[المزون: لقب الأزد بالأعجمية]:

يجوز قضاؤها في كل حكم على مضر وإن جار القضاء
وحمير في مجالسها قعود ترقرق في رقابهم الدماء
فإن مضر بذا رضيت وذلت فطال لها المذلة والشقاء

[١٣٨] - وقد توصلت الأحداث والمواجهات في خراسان عام ١٢٩هـ وتمكن نصر بن سيار من دخول مرو بخديعة تم فيها قتل الجدبج وعدد من أصحابه، «فلما دخل نصر مرو أقبل على بن الجدبج وقد جمع جمعاً كثيراً فقاتل نصر بن سيار وهزمه وأخرجه من مرو» [ص ٩٢ ج ٩ - الطبرى] فتولى على بن الجدبج الكرمانى الأزدي الزعامة في (مرو) خراسان، بينما كان منصور بن جمهور الكلبي قد بسط سيادته في السند... وفي تلك الأجواء اندلعت ثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى في اليمن، وقد تحدث ابن خلدون عنها في سياق مستقل عن هذه الأحداث وما تلاها وهو سياق الحديث عن الخوارج ولكن ثورة طالب الحق كانت وثيقة الصلة بمجمل الأحداث في خراسان والسند والعراق والشام آنذاك وإليها تنتقل.

ثورة وخلافة طالب الحق في اليمن [١٣٩]

خبر أبي حمزة وطالب الحق

كان اسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الأزدي البصري [١٤٠]، وكان من الخوارج الإباضية [١٤٠]، وكان يوافي مكة كل موسم يدعو إلى خلاف مروان، وجاء عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق سنة ثمان وعشرين ومائة وهو من

[١٣٩] - استحدثنا هذا العنوان لثورة وخلافة طالب الحق، وقد تحدث عنها ابن خلدون في سياق حديثه عن حركات الخوارج بعنوان (خبر أبي حمزة وطالب الحق) - [ص ١٦٦ ج ٣] - ونشير هنا إلى ما يلي:

أ - إن ثورة طالب الحق كانت أكبر من مجرد حركة خارجية، وإنما - كما قال القاضي عبد الله الشماحي: «إن اليمن استمرت في غليان مذهبي وسياسي تجمع إلى أن انفجر بثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي» [ص ٨٥ - اليمن الإنسان والحضارة].

ب - إن مروان بن محمد ولى علي اليمن (قاسم بن عمر الثقفي) وهو - كما أسلفنا - شقيق يوسف بن عمر الثقفي الذي قتل خالد القسري فثارت اليمانية لمقتله على الخليفة الوليد بن يزيد وقتلوه ثم قتل يزيد بن خالد القسري يوسفاً في بداية خلافة مروان الذي تعصب ضد اليمانية فولى قاسم بن عمر على اليمن فمارس قاسم سياسة عسف وجور في اليمن وكان معه (الصلت بن يوسف بن عمر الثقفي) وبينما اندلعت المعارضة اليمانية ضد خلافة مروان والحكم الأموي في أرجاء الدولة العربية الإسلامية - كما تقدم - ومنها ثورة الجديع بن علي الأزدي في خراسان - وهو خال يزيد بن المهلب - ولحق عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب بعمان اتجهت الأنظار إلى طالب الحق عبد الله بن يحيى في اليمن ليقود الثورة ويقوم بالخلافة، وقد ذكر المؤرخ المدائني أنه «قال طالب الحق: رأيت باليمن جوراً ظاهراً وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة فقلت لأصحابي: ما يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه...» [ص ٩٧ ج ٢ - الأغاني للأصفهاني].

[١٤٠] - كان أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي من رجالات الأزديين بالبصرة، ومن رجال الفكر والمذهب الإباضي الذي يعتبر الخلافة حقاً لكل مسلم يختاره المسلمون، ويقول د. فاروق عمر «بدأت الدعوة الإباضية في البصرة تجد لها أنصاراً منذ سحق ثورة يزيد بن المهلب على يد الأمويين عام ١٠٢هـ/ ٧٢٠م فتبنى الأزدي المذهب الإباضي». وأنه «انتشرت الإباضية بين أزد البصرة وانتقلت إلى أزد عمان» [ص ٣٦ - مصادر التاريخ العماني] وكذلك امتد فكر المذهب الإباضي إلى اليمن وخاصة في شبام بحضرموت وغيرها من مدن اليمن.

(*) وقد ذكر المدائني أنه «كتب عبد الله بن يحيى إلى أبي عبيدة الأزدي ومسلمة بن أبي كريمة وكان ينزل في الأزدي بالبصرة وغيرهما يشاورهم في الخروج، فكتبوا إليه: إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل...» (اه) وشملت الاتصالات عمان وشخصيات من اليمن ثم سار أبو حمزة إلى مكة حيث التقى بطالب الحق في حج عام ١٢٨هـ.

حضر موت [١٤١]، فقال له انطلق معي فإني مطاع في قومي، فانطلق معه إلى حضر موت، وبايعه على الخلافة [١٤٢].

انضمام مكة في دولة طالب الحق [١٤٣]

ثم بعثه عبد الله بن يحيى سنة تسع وعشرين ومائة مع بلج بن عقبة الأزدي

[١٤١] - هو (عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحسن بن جعشم الخير بن أسد بن ناعمة الصديقي) [ص ٢٢ ج ٢/الإكليل] المشهور بعبد الله بن يحيى الكندي وعبد الله بن يحيى الحضرمي وتلقب بطالب الحق، قال المدائني: «... كان مجتهداً عابداً وكان خيرة من عباد الله» [ص ٩٧ ج ٢٠ - الأغاني] وجاء في كتاب قرة العيون أنه «كان صاحب فقه وعلم وزهد، فصيحاً بليغاً خطيباً مفوهاً» [ص ١١٢] وفي تاريخ الرازي أنه «كان متولياً القضاء في حضر موت» [١هـ] وفي هامش الإكليل أنه كان «... مجتهداً عابداً شجاعاً باسلاً» [ص ٢٢ ج ٢].

[١٤٢] - بويع طالب الحق بالخلافة في شبام بحضر موت - أوائل عام ١٢٩هـ - قال المدائني «دعا عبد الله بن يحيى أصحابه فبايعوه فقصدها دار الإمارة وكان على حضر موت إبراهيم بن جبلة - عامل قاسم الثقفي - فحبسوه يوماً ثم أطلقوه فلقق بصنعاء... وأقام عبد الله بن يحيى بحضر موت وكثر جمعه وشخص إليه أبو حمزة الأزدي وبلج بن عقبة الأزدي في رجال وبايعوه» [ص ٩٧ ج ٢ - الأغاني] وجاء في تاريخ الطبري وكتاب الكامل أنه «بايعه أبو حمزة بالخلافة» [ص ٢٩٧ ج ٤].

(*) وانطلق طالب الحق إلى (لحج وأبين) ثم (الجدد) وهزم جيوش الثقفي وانضم إلى طالب الحق أقبال اليمن وسار إلى صنعاء، ودارت معركة على مشارف صنعاء فسقط قاسم بن عمر الثقفي ويوسف بن عمر قتلى فدخل طالب الحق صنعاء «وأتاه الناس من كل جانب وأطاعته وبايعته كل بلاد اليمن» قال المسعودي «ونودي عبد الله بن يحيى بأمر المؤمنين» [ص ٢٥٧ مروج الذهب].

[١٤٣] - انتقل ابن خلدون من ذكر مبايعة طالب الحق عبد الله بن يحيى بالخلافة إلى ذكر قيامه ببعث أبي حمزة إلى مكة، ولم يذكر ما سبق ذلك مما تفيد الإشارة إليه بإيجاز فيما يلي:
أ - لما دخل طالب الحق صنعاء - في أوائل عام ١٢٩هـ - خطب على منبر جامع صنعاء خطبة تتيح المعرفة السليمة بفكر ودعوة طالب الحق منها قوله «أيها الناس: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإجابتنا إليهما، الإسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا، رضينا بالحلال حلالاً لا نبغي به بدلاً وحرمتنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا... ونشهد أن الله صادق فيما وعد، عدل فيما حكم، وندعو إلى توحيد الرب، واليقين بالوعد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية لأهل ولاية الله والعداوة لأعداء الله...» [الخ. الخطبة ص ٩٨ ج ٢/الأغاني].

ب - بويع طالب الحق في صنعاء وسائر أرجاء اليمن إلى عمان شرقاً والطائف شمالاً «ونودي بأمر المؤمنين» - كما ذكر المسعودي في مروج الذهب - وقال المدائني «أقام عبد =

في سبعمائة، فقدموا مكة^[١٤٤]، وحكموا بالموقف، وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فطلبهم في المواعدة حتى ينقضي الموسم^[١٤٥]، وأقام للناس حجهم، ونزل بمنى^[١٤٦]، وبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبيد الله بن حسن بن الحسن ومحمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد (بن أبي بكر الصديق) وعبيد الله بن عمرو بن حفص بن عمر (بن الخطاب) وربيعة بن أبي عبد الرحمن في أمثالهم، فكشّر في وجه العلوي والعثماني، وانبسط إلى البكري والعمري وقال لهما: ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبيوكما، فقال له عبيد الله بن حسن: ما جئنا للتفضيل بين آبائنا وإنما جئنا برسالة من الأمير^[١٤٧]، وربيعة يخبرك بها، ثم احكموا معه المواعدة إلى

= الله بن يحيى بصنعاء يُحسن السيرة ويلين جانبه ويكف عن الناس» [ص ٩٨ ج ٢٠] - وجاء في قرة العيون أنه «لما دخل عبد الله بن يحيى صنعاء أعاد الطمأنينة إلى أهلها ويسط رواق العدل والأمان في ربوع اليمن وخوطب بأمر المؤمنين» [ص ١١٢] وجاء في هامش الإكليل أنه «...» نشر العدل وأقام السنة لما دخل صنعاء» [ص ٢٢ ج ٢] وفي كتاب (تاريخ حضرموت لبامطرف) أنه «أقام طالب الحق في صنعاء وأحسن السيرة وقصده الشعراء ومدحوه، وأتته سادات القبائل من كل أرجاء اليمن» [ص ٤٥].

ج - كان علم دولة طالب الحق يتكون من اللون الأحمر والأسود، حيث قال ابن الحصين واصفاً جند طالب الحق ومشيراً إلى العلم:

تحت العجاج وفوقهم خرقٌ يخفقن من سود ومن حُمر

[١٤٤] - كانت القوة التي بعثها طالب الحق إلى مكة تتكون من سبعمائة شاب من الفرسان تلقوا تدريبات خاصة في مدرسة شبه عسكرية بصنعاء وسموا باسم (الشراة) وكان قادتهم أبو حمزة بن عوف الأزدي وبلج بن عقبة وإبراهيم بن الصباح الصدفي الذي كان يسمى أبرهة الهجان، وفيه قال ابن الحصين:

وأخيك أبرهة الهجان أخي الـ حرب العوان مُلقح الجمر
.. يجتاحها بأفل ذي شطب غضب المضارب قاطع البتر

[١٤٥] - كان عبد الواحد بن سليمان أمير المدينة ومكة لمرwan بن محمد فتصالح مع أبي حمزة وأصحابه «على أن الجميع آمنون بعضهم من بعض حتى انتهاء الحج وحتى يفر الناس النفر الأخير».

[١٤٦] - قال أصحاب عبد الواحد له «إنك أخطأت في مهادنتهم فلو حملنا عليهم ما كانوا إلا أكلة رأس» فبعث عبد الواحد وقدأ إلى أبي حمزة يطلب نقض الصلح وكان المبعوث الرسمي في الوفد (ربيعة بن عبد الرحمن الأموي).

[١٤٧] - لم يكن أبو حمزة يقصد التفضيل وإنما كان يذكر أن السير بسيرة العمريين (أبي بكر وعمر) من أسس ثورة ودعوة طالب الحق.

مدتها [١٤٨]، وفرّ عبد الواحد في النفر الأول [١٤٩]، فمضى إلى المدينة [١٥٠].

انضواء المدينة المنورة في دولة طالب الحق

(لَمَّا فرّ عبد الواحد ومضى إلى المدينة) [١٥١] ضرب على أهلها البعث، وزادهم في العطاء عشرة، وبعث عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن عثمان، وانتهوا إلى قديد [١٥٢]، وجاءتهم رسل أبي حمزة يسألونهم التجافي عن حربهم وأن يخلوا بينهم وبين عدوهم [١٥٣]، فلما نزلوا قديد وكانوا مترفين ليسوا بأصحاب

[١٤٨] - لم يقبل أبو حمزة نقض الاتفاق فتم تأكيد المواعدة إلى أن ينفر الناس النفر الأخير.
[١٤٩] - كان فرار عبد الواحد فور بدء القتال بعد النفر الأخير حيث ألحقت الفرقة اليمانية هزيمة مذهلة بعبد الواحد، وقال الشاعر في ذلك:

زار الججيج عصابة قد حالفوا دين الإله ففر عبد الواحد
ترك الإمارة والحلائل هارباً ومضى يُخبط كالبعير الشارد

[١٥٠] - مضى عبد الواحد وقلول جنوده وأصحابه إلى المدينة، بينما انضوت مكة في دولة وخلافة طالب الحق في ذي الحجة ١٢٩هـ. وألقى أبو حمزة خطبة بليغة في مكة ذكرها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين (ص ١٢٢ ج ٢) ويوبع طالب الحق بالخلافة في مكة.

[١٥١] - جاء سياق ابن خلدون بعد قوله في الفقرة السابقة «وفر عبد الواحد في النفر الأول فمضى إلى المدينة» ثم قال «وضرب على أهلها البعث. . الخ» فأعدنا الفقرة السابقة للربط، ونشير هنا إلى أنه «كتب عبد الواحد إلى مروان بن محمد يعتذر عن إخراجه من مكة، فكتب مروان يبعث الجيش وأهل المدينة مع عبد العزيز العثماني إلى مكة».

[١٥٢] - كان عبد العزيز عامل المدينة لمروان بن محمد، وكان قد لحق بالمدينة ناس كثير من قريش ومكة وضرب البعث على أهالي نواحي المدينة فاجتمع إليه نحو خمسة آلاف، قال المدائني إن أكثرهم «من القبائل والموالي» وكان الجند وقريش نحو ثلاثة آلاف فبلغوا نحو ثمانية آلاف، قال الأصفهاني «وكانت قريش أكثر الناس وبهم كانت الشوكة» فساروا قاصدين مكة ونزلوا قديد - بين المدينة ومكة - قال الطبري «فكانوا لا يشكون أن أبا حمزة وأصحابه في أيديهم».

(*) وكان أبو حمزة الأزدي قد علم بمسيرهم فأرسل فرقة بقيادة بلج بن عقبة ثم لحق بهم فوصل قديد في ٧ صفر ١٣٠هـ.

[١٥٣] - أرسل أبو حمزة إليهم بلج بن عقبة في ثلاثين رجلاً من أصحابه وأهل مكة، فسألوا عبد العزيز العثماني ومن معه من قريش والمدينة أن «ادخلوا في السلم وعاونوا أهل الحق، وإنما خرجنا لقتال أهل الفساد ومن جار في الحكم. . فانظروا لأنفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة. .» - يعني مروان بن محمد - فقال أميرهم عبد العزيز لبلج بن عقبة «أرجع إلى أصحابك فليس بيننا وبينكم إلا السيف» وقال أبو صخر الهذلي يتوعد جند أبي حمزة:

دونكم ذا يمن فأقبلوا وواجهوا القوم ولا تستخرجوا

حرب [١٥٤]، فطلع عليهم أصحاب أبي حمزة من الغياض، فأثخنوا فيهم، وكان قتلاهم نحو سبعمائة من قريش [١٥٥]، وبلغ الخبر إلى عبد الواحد فلحق بالشام، ودخل أبو حمزة المدينة منتصف صفر سنة ثلاثين ومائة [١٥٦]، وخطب على المنبر، وأعلن بدعوته ووعظ وذكّر، وردّ مقالات من عابهم وسقّه رأيهم [١٥٧]، وأحسن السيرة في أهل المدينة واستمالهم [١٥٨]، حتى سمعوه يقول: من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر [١٥٩]، وأقام - في المدينة - ثلاثة أشهر، ثم ودعهم وسار نحو الشام [١٦٠].

نهايات ثورة وعهد طالب الحق

(وسار أبو حمزة نحو الشام)، وكان مروان قد سرّح إليهم عبد الملك بن

= عبد العزيز القُلبِيّ الأحولُ أقسم لا ينفلي ولا يرجلُ ..

[١٥٤] - كان بعضهم فقط من المترفين القرشيين، وكان أحدهم يقول قبل المعركة «من يشتري مني سبي أهل اليمن» فلما وقعت المعركة «كان في أول المنهزمين فدخل منزله، وأراد أن يقول لجاريته: أغلقي الباب، فقال لها: غاق باق، دهشاً، ولم تفهم الجارية قوله حتى أوماً إليها بيده، فأغلقت الباب» [ص ١٠١ ج ٢٠/الأغاني].

[١٥٥] - قال الطبري «لم يفلت منهم إلا الشريد وقُتل أميرهم عبد العزيز» وذكر المدائني إنه «بلغ قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً، منهم من قريش والجند والموالي ألفان ومائة وخمسون رجلاً» قال الواقدي «كانت عدة من قتل من قريش بقديد سبعمائة رجل».

[١٥٦] - بعث أبو حمزة أولاً بلج بن عقبة «فدخل بلج المدينة بغير حرب، ودخلوا في طاعته وكف عنهم» [ص ١٠٢ ج ٢٠/الأغاني] ثم سار أبو حمزة ودخل المدينة، وذكر ابن كثير أن دخوله المدينة في ١٩ صفر ١٣٠هـ [ص ٣٥ ج ٩/البداية والنهاية].

ثم بعث أبو حمزة فرقة بقيادة بلج بن عقبة إلى وادي القرى بأعالي الحجاز فتمركز فيها، وبذلك انضوت المدينة وسائر الحجاز في سلطان دولة وخلافة طالب الحق التي شملت أغلب الجزيرة العربية.

[١٥٧] - كانت خطبة أبي حمزة من أبلغ الخطب السياسية والفكرية والدينية والتاريخية وقد أوردتها الأصفهاني في كتاب الأغاني، والجاحظ في البيان والتبيين وغيرهما من المصادر.

[١٥٨] - أحسن أبو حمزة السيرة في المدينة وكان على شرطته بالمدينة المفضل الأنصاري، وكان ممن بايع طالب الحق وانضوى تحت لواء أبي حمزة بمكة والمدينة أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب المشهور ببيكار بن محمد العدوي، وعبيد الله بن عمرو بن حفص بن عمر، وسُمّي مولى بني أبي بكر الصديق والعالم اللغوي بشكست بن عبد العزيز وغيرهم.

[١٥٩] - تأويل ذلك أن الزاني والسارق لا يفعل ذلك وهو مؤمن، وهذه قضية فيها خلافات واجتهادات عديدة.

[١٦٠] - كان مسير أبي حمزة إلى وادي القرى للزحف إلى الشام أو التصدي للجيش المرواني القادم من الشام.

محمد بن عطية بن هوازن في أربعة آلاف ليقاتل الخوارج حتى يبلغ اليمن^[١٦١]، فلقي أبا حمزة في وادي القرى، فانهزمت الخوارج وقُتل أبو حمزة، ولحق فلهم بالمدينة، وسار ابن عطية في إثرهم إلى المدينة فأقام بها شهراً، ثم سار إلى اليمن واستخلف على المدينة الوليد ابن أخيه عروة، وعلى مكة رجلاً من أهل الشام^[١٦٢]، وبلغ عبد الله طالب الحق مسيره إليه وهو بصنعاء، فخرج للقاءه، واقتتلوا، وقُتل طالب الحق^[١٦٣]، وسار ابن

[١٦١] - بلغ مجموع الجيش الذي بعثه مروان بن محمد لقتال طالب الحق وأصحابه عشرين ألفاً، منهم أربعة آلاف من فرسان جيش مروان ونحو ستة عشر ألفاً من القبائل والموالي وفلول المنهزمين السابقين بحيث بلغ عدد الجميع كما قال شاعرهم أبو صخر الهذلي «عشرين ألفاً كلهم مُسربل» ومن المهم الإشارة هنا إلى ما يلي:

أ - إن بعث الجيش المرواني كان بعد ثلاثة أشهر من دخول المدينة المنورة في سلطان طالب الحق وقائد جيشه أبي حمزة، أي في جمادى الأولى عام ١٣٠هـ.

ب - إن نصر بن سيار عامل مروان على خراسان، كان في تلك الفترة يواجه علي بن الجديع الكرمانى الأزدي في خراسان، وكان أبو عون عبد الملك بن يزيد بن المهلب الأزدي يقود عمليات واسعة من جرجان، وكان لعبد الرحمن بن يزيد نشاط في جهات فارس، وكانت الرسائل تتتابع من نصر بن سيار إلى مروان بن محمد يطلب الإمدادات وقال في إحداها: «فتحن يا أمير المؤمنين في أمر هائل يتكفأ بنا تكفؤ السفينة عند هبوب العاصفة، فنحن من إخواننا اليمانية وَاغْتَامَهُمْ ورعاهم فيما نتوقع منهم لما قد شملهم من ورائهم الخيـث - (أبو عون) - على مثل لجة البحر، وقد أملنا غياث أمير المؤمنين وورود خيله وفرسانه...» وقال في رسالة أخرى «قد أطبقت علينا الطالقان والروذ وبلخ، وهذه مرو قد بلغوا فيها ما بلغوا، ثم يأتيهم أهل جرجان وصاحبهم الذي انغل البلاد وأفسد جرجان وهو أبو عون...» [ص ٢٩٣ - أخبار الدولة].

ج - إن مروان بن محمد لم يستجب إلى إرسال الجيش والمدد إلى نصر ومحور خراسان وفارس وإنما أرسل الجيش لمواجهة طالب الحق والخطر الزاحف من اليمن والمدينة، وربما كان في تقدير مروان بن محمد أن القضاء على ثورة طالب الحق سيؤدي إلى انهيار الثورة (الفرع) في خراسان والمشرق أو أن يسير الجيش المرواني إلى هناك بعد الانتهاء من مواجهة طالب الحق والسيطرة على اليمن.

[١٦٢] - استغرقت معارك ابن عطية والجيش المرواني ضد أصحاب طالب الحق في وادي القرى والمدينة إلى أن سيطر على مكة ذلك الشهر (جمادى أولى ١٣٠هـ) وسقط فيها الآلاف من الجيش المرواني ثم توجه إلى اليمن.

[١٦٣] - كان طالب الحق قد انطلق من صنعاء وتمركز في وادي بيشة إلى الطائف بحيث - كما ذكر المسعودي - «التقى طالب الحق بابن عطية في ناحية الطائف فكانت بينهم حرب عظيمة» [ص ٢٥٨ ج٣] ثم دارت معركة حاسمة في وادي بيشة حيث «ترجل طالب الحق في ألف فارس وقاتلوا قتالاً شديداً، وقتل طالب الحق وحده مائة فارس من القوم ثم سقط =

عطية إلى صنعاء وملكها^[١٦٤]، وجاءه كتاب مروان بإقامة الحج بالناس، فسار في اثني عشر رجلاً ومعه أربعون ألف دينار، وخلف ثقله بصنعاء، ونزل (الحرف)^[١٦٥] فاعترضه ابن جمانة المرادي في جمع^(١٦٥) وقال له ولأصحابه: أنتم لصوص فاستظهر بعهد مروان فكذبوه، وقاتلهم فقتلوه^[١٦٦]. - [اه].

تطورات ثورة اليمانية بخراسان وظهور أبي مسلم والدعوة العباسية^[١٦٧]

قد ذكرنا من قبل أن جديع بن علي الكرمانى قتل الحرث بن سريج فخلصت له مرو وتنحى نصر عنها^[١٦٨]، ثم بعث نصر سالم بن أهور في رابطته وفرسانه إلى مرو فوجد يحيى بن نعيم الشيباني في ألف رجل من ربيعة ومحمد بن المثنى في سبعمائة من الأزدي وأبو الحسن بن الشيخ في ألف منهم والحري السغدي في

= قتيلاً - وكان ذلك في جمادى الآخرة ١٣٠هـ - وسقط في تلك المعركة عدة آلاف من الجيش المرواني، وقد شهدت جبهة خراسان تحولاً هاماً في تلك الفترة (جمادى الآخرة - رجب ١٣٠هـ) هو ميل اليمينيين إلى الدعوة العباسية. ففوق ذلك بعد مقتل الخليفة اليماني الشائر طالب الحق عبد الله بن يحيى الصدفي الكندي الحضرمي له دلالات هامة، بحيث ربما يمكن القول إن اليمينيين انتقلوا إلى البديل للهدف الذي سقط وبات هدفهم إسقاط الدولة الأموية.

[١٦٤] - لم يتمكن ابن عطية من السيطرة على صنعاء ونواحيها إلا بعد معارك استغرقت عدة أشهر كما في كتاب الأغاني ثم «خلف ثقله في صنعاء» وسار ببقية جيشه من صنعاء إلى الجند وأبين قاصداً مدينة شبام في حضرموت ولم يتبق من جيشه حين وصل شبام سوى عدة مئات وانسحب عبد الله بن معبد عامل طالب الحق في شبام إلى فلاة حضرموت، وذلك في أواخر عام ١٣٠هـ.

[١٦٥] - لم يظهر المراد بـ(الحرف) أما المذكور باسم (ابن جمانة المرادي) فهو (جمانة بن أحسن الصدفي) وكان عبد الملك بن عطية في شبام فسار منها مع من تبقى من جيشه يريد مكة، ولم يتبق من جيشه سوى خمسين رجلاً أو ١٢ فقط! فلحق به جمانة الصدفي مع عدد من فرسان وأصحاب طالب الحق.

[١٦٦] - قال جمانة الصدفي لابن عطية «يا عدو الله أترى أن الله يمهلك أو تطمع في الحياة وقد قتلتم طالب الحق وأبا حمزة، فقتل ابن عطية وبقية أصحابه جميعاً» [ص ١١٤ ج ٢٠ / الأغاني] ثم ما لبثت أن سقطت الدولة الأموية.

[١٦٧] - تعود بعد خبر ثورة طالب الحق في اليمن إلى بقية وتطورات ثورة اليمانية بخراسان بقيادة جديع الكرمانى (ص ١١٩ ج ٣).

[١٦٨] - لما انضوت مرو - عاصمة خراسان - تحت لواء جديع بن علي الكرمانى انسحب نصر بن سيار عامل خراسان لمروان إلى (أبرشهر).

ألف من اليمن، فتلاحى سالم وابن المثنى وشتم سالم الكرمانى فقاتلوه فهزموه، وقتل من أصحابه نحو مائة، فبعث نصر بعده عصمة بن عبد الله الأسدي فكان بينهم مثل ما كان أولاً، فقاتلهم السغدى فانهزم السغدى وقُتل من أصحابه أربعمائة ورجع إلى نصر، فبعث نصر مالك بن عمر التميمي فاقتتلوا كذلك وانهزم مالك، قتل من أصحابه سبعمائة ومن أصحاب الكرمانى ثلثمائة.

ولما استيقن أبو مسلم^[١٦٩] أن كلا الفريقين قد أثنخ في صاحبه وأن لا مدد لهم^[١٧٠]، . . كتب إلى نصر بن سيار والكرمانى أن الإمام أوصانى بكم ولا أعدو رأيه فيكم، ثم كتب يستدعي الشيعة، أسد بن عبد الله الخزاعي بنسا ومقاتل بن حكيم بن غزوان، وكانوا أول من سود، ونادوا يا محمد يا منصور ثم سود أهل أبي ورد ومرو الروذ وقرى مرو، فاستدعاهم أبو مسلم وأقبل فنزل بين خندق الكرمانى وخندق نصر، وهابه الفريقان، وبعث إلى الكرمانى: إني معك وقبل فانضم أبو مسلم إليه، وكتب نصر بن سيار إلى الكرمانى يحذره منه ويشير بدخول مرو ليصالحه فدخل، ثم خرج من الغد وأرسل إلى نصر في إتمام الصلح في مائتي فارس، فرأى نصر فيه غرة فبعث إليه ثلثمائة فارس فقتلوه. وسار ابنه^[١٧١] إلى أبي مسلم وقاتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الإمارة إلى بعض الدور ودخل أبو مسلم مرو فبايعه علي بن الكرمانى، وقال له أبو مسلم: أقم على ما أنت عليه حتى أمرك بأمرى^[١٧٢]، وكان نصر بن سيار، حين نزل أبو مسلم بين خندقه

[١٦٩] - كان أبو مسلم الخراساني قد بدأ ينشط في الدعوة العباسية بتكليف من إبراهيم بن محمد (الإمام) وكان الشخصية الرئيسية بخراسان هو النقيب اليمنى الشيخ سليمان بن كثير الخزاعي - الذي كان أسد بن عبد الله القسري عفا عنه وأكرمه - فكتب (الإمام) إبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم وسليمان بن كثير، قال ابن خلدون «وجاء أبو مسلم إلى مرو وأعطى كتاب الإمام لسليمان بن كثير وفيه الأمر بإظهار الدعوة . . ثم بثوا الدعوة . . ونزل أبو مسلم في قرية من قرى مرو . . ثم سار أبو مسلم إلى مرو فنزل على سليمان بن كثير الخزاعي في آخر رمضان من سنة تسع وعشرين، ونصر بن سيار يقاتل الكرمانى» [ص ١١٧ ج ٣].

[١٧٠] - الأرجح أن أبا مسلم كتب إلى الكرمانى وانضم إليه كما سيذكر ابن خلدون في فقرة تالية .

[١٧١] - بعد مقتل جديع الكرمانى - وكما جاء في تاريخ الطبري - «أقبل علي بن الجديع الكرمانى وقد جمع جمعاً كثيراً فسار بهم إلى نصر بن سيار، فقاتله، وهزمه، وأخرجه من مرو» [ص ٩٣ ج ٩].

[١٧٢] - جاء في تاريخ الطبري «أن دخول أبي مسلم إلى مرو كان في ٩ جمادى الآخرة ١٣٠هـ - وأنه طابق علي بن الجديع على حرب نصر بن سيار» [ص ٩٧ ج ٩] - ويمكن ملاحظة أن =

وخذق الكرمانى ورأى قوتهم، كتب إلى مروان بن محمد يعلمه بخروج أبى مسلم وكثرة من معه ودعائه لإبراهيم بن محمد^[١٧٣]، وقال:

أرى خلل الرماد وميض جمر
فإنّ النار بالعودين تذكو
فإن لم تطفئوها يخرجوها
أقول من التعجب ليت شعري
فإن يك قومنا أضحوها نياماً
فقل: قوموا فقد حان القيام

فوجده مشتغلاً بحرب الضحاك بن قيس، فكتب إليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأحثهم التلؤلؤ قبلك، فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده^[١٧٤]، وصادف وصول كتاب نصر إلى مروان عثوره على كتاب من إبراهيم الإمام لأبى مسلم يوبخه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمانى إذ أمكنته، ويأمره أن لا يدع بخراسان من يتكلم بالعربية^[١٧٥]، فلما قرأ مروان الكتاب بعث إلى عامله بالبلقاء أن يسير إلى الحيسة فيبعث إليه بإبراهيم بن محمد مشدود الوثاق، فحبسه مروان.

= ذلك التاريخ كان بعد مقتل طالب الحق مما قد يشير إلى تحول زعماء اليمانية في خراسان والمشرق إلى الدعوة العباسية بعد مقتل طالب الحق وليس قبل ذلك.
(*) وتولى علي بن الجديع الأمر في (مرو) ومعه أخوه عثمان وزيراً، فقال الشاعر أبو بكر بن إبراهيم يمدحهما قصيدة منها:

.. إني لمرتحلٌ أريد بمدحتي
أخوين فوق ذرى الأنام ذراهما
أعني علياً أنه ووزيره
عثمان ليس يذل من والاهما
.. وهما أزالا عن عريكة مُلكه
نصراً ولاقى الذل إذ عاداهما..

[١٧٣] - كانت رسالة نصر بن سيار إلى مروان بن محمد تذكر في أغلبها ثورة اليمانيين بقيادة الكرمانى ونشاط أبى عون عبد الملك بن يزيد بن المهلب، وقال فيها: «.. فنحن يا أمير المؤمنين في أمر هائل يتكفأ بنا، تكفؤ السفينة عند هبوب العاصفة، ونحن من إخواننا اليمانية واغتمامهم ورعاهم فيما نتوقع منهم..» وقال في رسالة أخرى: «قد أطبقت علينا الطالقان والروذ وبلخ وما على شط النهر، وهذه مرو قد بلغوا فيها ما بلغوا، ثم يأتيهم أهل جرجان وصاحبهم الذي انغل البلاد وأفسد جرجان وسيّر في كور خراسان وهو صاحب طاعتهم أبو عون» [ص ٢٣٩ - أخبار الدولة العباسية].

[١٧٤] - كان الانشغال الرئيسى لمروان بمواجهة ثورة طالب الحق فأرسل الجيوش إلى المدينة واليمن لمواجهته كما تقدم.

[١٧٥] - المشهور أنه أمره بذلك في شأن القيسية المضربة فقط وأمره بالاعتماد على اليمانية وربيعه.

.. وتعاقد نصر وابن الكرمانى وقبائل ربيعة واليمن ومضر على قتال أبى مسلم^[١٧٦] .. وجمع أبو مسلم أصحابه ودس سليمان بن كثير إلى ابن الكرمانى يذكره بثأر أبيه من نصر، فانتقضوا^(١٧٦)، .. ثم أرسل علي بن الكرمانى إلى أبى مسلم - (وكان فى الماخران) - أن يدخل مرو من ناحيته ليدخل هو وقومه من الناحية الأخرى^[١٧٧]، فلم يطمئن لذلك أبو مسلم وقال: ناشبهم الحرب من قبل، فناشب ابن الكرمانى نصر بن سيار الحرب ودخل مرو من ناحيته، وبعث أبو مسلم بعض النقباء فدخلوا معه ثم سار وعلى مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعى وعلى يمينته مالك بن الهيثم وعلى يسارته القاسم بن مجاشع فدخل مرو والفريقان يقتتلان، ومضى إلى قصر الإمارة وهو يتلو ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها، وأمر الفريقين بالإنصراف فانصرفوا إلى معسكرهم وصفت له مرو، وأمر بأخذ البيعة من الجند، وتولى أخذها أبو منصور طلحة بن زريق أحد النقباء الذين اختارهم محمد بن علي من الشيعة حين بعث دعائه إلى خراسان^[١٧٨]، وكانوا اثني عشر رجلاً، فمن خزاعة سليمان بن كثير^[١٧٩] ومالك بن الهيثم، وزباد بن صالح وطلحة بن زريق وعمر بن أعين، ومن طيء: قحطبة بن شبيب بن خالد بن سعدان، ومن تميم: أبو عينة موسى بن كعب ولاهز بن قريط والقاسم بن مجاشع وأسلم بن سلام، ومن بكر بن وائل: أبو داود خالد بن إبراهيم الشيبانى وأبو علي الهروي ويقال شبل بن طهمان وكان عمر بن أعين مكان موسى بن كعب وأبو النجم إسماعيل بن عمران مكان أبى علي الهروي وهو ختن أبو مسلم، ولم يكن أحد من النقباء والدة غير أبى منصور طلحة بن زريق بن سعد وهو أبو زينب الخزاعى وكان قد شهد حرب ابن الأشعث وصحب المهلب وغزا معه، وكان أبو مسلم يشاوره فى الأمور، [اه/١٨٠].

[١٧٦] - تحدث ابن خلدون عن ذلك بالتفصيل (ص ١١٨ و ١١٩ ج ٣) ولكن ذلك لم يتم، فقد تمكن سليمان بن كثير الخزاعى اليماني من الحيلولة دون ذلك وبقاء صف اليمن وربيعه ضد نصر بن سيار وخليفته مروان بن محمد.

[١٧٧] - كان ذلك الدخول فى جمادى الآخرة ١٣٠هـ - كما تقدم - ما لم يكن مرة ثانية بعد ذلك.

[١٧٨] - هو القائد اليماني أبو طلحة بن زريق الخزاعى وكان والده من أصحاب الخليفة اليماني الثائر عبد الرحمن بن الأشعث الكندي.

[١٧٩] - هو الزعيم اليماني سليمان بن كثير الخزاعى وكان يوصف بأنه «شيخ نقباء الدعوة لأبى العباس».

[١٨٠] - انتهى ما نقلناه من كلام ابن خلدون فى (ص ١٢٤ ج ٣) وقد ذكر بعد ذلك وقائع غير مترابطة منها مقتل علي بن جديع الكرمانى فى طريق نيسابور بتدبير أبى مسلم ومقتل عثمان بن جديع فى بلخ بتدبير أبى مسلم.

مسير قحطبة للفتح [١٨١]

وفي سنة ثلاثين ومائة قدم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم من عند الإمام إبراهيم، وقد عقد له لواء على محاربة العدو، فبعثه أبو مسلم في مقدمته وضم إليه العساكر وجعل إليه التولية والعزل وأمر الجنود بطاعته^(١٨١)، وقد كان أبو مسلم حين غلب على خراسان بعث العمال على البلاد؛ فبعث سباع بن النعمان الأزدي على سمرقند وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان، ومحمد بن الأشعث الخزاعي على طبرسين، وجعل مالك بن الهيثم على شرطته، وبعث قحطبة الطائي إلى طوس ومعه من القواد: أبو عون عبد الملك بن يزيد^[١٨٢] وخالد بن برمك وعثمان بن نهيك وحازم بن خزيمة وغيرهم، فهزم أهل طوس وأفحش في قتلهم، ثم بعث أبو مسلم القاسم بن مجاشع إلى نيسابور، وكتب إلى قحطبة بقتال تميم بن نصر بالسودقان ومعه ابن سويد وأصحاب شيبان وأمه عشرة آلاف مع علي بن معقل، فزحف قحطبة إليهم ودعاهم بدعوته وقتلهم فقتل تميم بن نصر وجماعة عظيمة من أصحابه يقال بلغوا ثلاثين ألفاً واستبيح معسكرهم، وتحصن الباقي بالمدينة فافتحمها عليهم، وخلف خالد بن برمك على قبض الغنائم، وسار (قحطبة) إلى نيسابور فهرب منها نصر بن سيار إلى قومس، ثم تفرق عنه أصحابه فسار إلى نبتة بن حنظلة بجرجان، وكان يزيد بن هبيرة بعثه مدداً لنصر فأتى فارس وأصبهان ثم سار إلى الري ثم إلى جرجان، وقدم قحطبة نيسابور فأقام بها رمضان وشوال، ثم ارتحل إلى جرجان وجعل ابنه الحسن على مقدمته، وانتهى إلى جرجان، وأهل الشام بها مع نبتة . . فتقدم قحطبة للقتال وعلى ميمته ابنه الحسن فانهزم أهل الشام وقتل نبتة في عشرة آلاف منهم . . وذلك في ذي الحجة من السنة، فملك قحطبة جرجان . . وسار نصر من قومس إلى خوار الري وعليها أبو بكر العقيلي، وكتب إلى ابن هبيرة بواسطة يستمده فحبس رسله فكتب مروان إلى ابن هبيرة فجهز ابن هبيرة جيشاً كثيفاً إلى نصر وعليهم ابن عطيف، ثم بعث قحطبة ابنه الحسن إلى محاصرة نصر في خوار الري في محرم سنة إحدى وثلاثين ومائة، . . وقدم نصر بن سيار (إلى) الري فأقام بها

[١٨١] - بهذا العنوان تحدث ابن خلدون (ص ١٢٤ ج ٣) عن خبر القائد اليميني قحطبة بن شبيب الطائي، وكان أبرز القادة الذين قضوا على دولة الخلافة الأموية وأسسوا دولة الخلافة العباسية .

[١٨٢] - هو القائد اليميني أبو عون عبد الملك بن يزيد المهلب الأزدي .

يومين وارتحل، فلما بلغ نهاوند مات لاثني عشر من ربيع الأول من السنة ودخل أصحابه همدان.

استيلاء قحطبة الطائي على الري

ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن بن قحطبة خزيمة بن حازم، وأقبل قحطبة من جرجان وقدم زياد بن زرارة القشيري وكان قد قدم على طاعة أبي مسلم واعتزم على اللحاق بابن ضبارة، فبعث قحطبة في إثره المسيب بن زهير فهزمه وقتل عامة من كان مع ابن معاوية ورجع، ولحق قحطبة ابنه الحسن إلى الري، فخرج عنها حبيب بن يزيد النهشلي (عامل مروان) وأهل الشام، ودخلها الحسن بن قحطبة في صفر^[١٨٣]، ثم لحق به أبوه، وكتب بالخبر إلى أبي مسلم. وأقام قحطبة بالري^(١٨٣)، ولما ورد كتاب قحطبة على أبي مسلم ارتحل عن مروان ونزل نيسابور، ثم سير قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله الري بثلاث ليال، فسار عنها (إلى نهاوند، وكان سار إليها مالك بن أدهم الباهلي - عامل همدان - وأهل الشام - الذين معه - وأهل خراسان) إلى نهاوند ونزل على أربعة فراسخ من المدينة^[١٨٤]، وأمدّه قحطبة بأبي الجهم بن عطية مولى بأهله في سبعمائة، وأقام الحسن محاصراً لها.

استيلاء قحطبة على أصبهان ومقتل ابن ضبارة وفتح نهاوند

قد تقدم لنا أن ابن هبيرة^[١٨٥] بعث ابنه داود بن يزيد لقتال عبد الله بن معاوية^(١٨٥) باصطخر وبعث معه عامر بن ضبارة، فهزموه واتبعوه إلى كرمان سنة تسع وعشرين، فلما بلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بجرجان سنة ثلاثين، كتب إلى ابنه داود وابن ضبارة بالمسير إلى قحطبة، فسار ابن كرمان في خمسين ألفاً ونزلوا أصبهان، وبعث إليهم قحطبة جماعة من القواد عليهم مقاتل بن حكيم الكعبي فنزلوا قُوم، وسار

[١٨٣] - يتبين من ذلك أن هلاك نصر بن سيار كان بعد انضواء بلاد الري بيد الحسن بن قحطبة في صفر ١٣١هـ حيث ارتحل نصر من الري إلى نهاوند، فلما بلغها مات في ربيع الآخر ١٣١ بينما انضوت الري تحت لواء قحطبة.

[١٨٤] - جاء في الأصل هنا «... ثم سير قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله الري بثلاث ليال، فسار عنها مالك بن أدهم وأهل الشام وخراسان إلى نهاوند ونزل على أربعة فراسخ من المدينة» [ص ١٢٦ ج ٣] ويدل السياق على سقوط بعض الكلمات فصوبناه كما هنا ليستقيم الخبر.

[١٨٥] - أي يزيد بن هبيرة الفزاري القيسي والي مروان على العراق، أما عبد الله بن معاوية فهو حفيد جعفر بن أبي طالب وقد تقدم خبره.

قحطبة إلى نهاوند مدداً لولده الحسن الذي حاصرها، فبعث مقاتل بذلك - (أي بأمر أصبهان إلى) - قحطبة، فسار حتى لحقه، وزحفوا للقاء داود وابن ضبارة وهم في مائة ألف وقحطبة في عشرين ألفاً، وحمل قحطبة وأصحابه، فانهزم ابن ضبارة وقُتِل، واحتووا ما كان في معسكرهم مما لا يُعبر عنه من الأصناف، وذلك في رجب، وطير قحطبة بالخبر إلى ابنه الحسن، وسار إلى أصبهان^[١٨٦] فأقام بها عشرين ليلة، ثم قدم على ابنه فحاصروا نهاوند ثلاثة أشهر إلى آخر شوال ونصبوا عليها المجانيق، وبعث قحطبة بالأمان إلى من كان في نهاوند من أهل خراسان فلم يقبلوا^[١٨٧] فبعث إلى أهل الشام، فقالوا: أشغل عنا أهل المدينة بالقتال نفتح لك المدينة من ناحيتنا، ففعلوا، وخرجوا إليه جميعاً، فقتلوا أهل خراسان^(١٨٦) وفيهم أبو كامل وحاتم بن شريح وابن نصر بن سيار وعاصم بن عمير وعلي بن عقيل وبيهس، وكان قحطبة لما جاء إلى نهاوند بعث ابنه الحسن إلى جهات حلوان وعليها عبد الله بن العلاء الكندي فتركها وهرب^[١٨٨].

فتح أبي عون الأزدي لشهرزور وناحية الموصل

ثم بعث قحطبة عبد الملك بن يزيد^[١٨٩] ومالك بن الهيثم في أربعة آلاف إلى شهرزور، وبها عثمان بن سفيان وعلي مقدمته عبد الله بن مروان، فقاتلوا عثمان آخر ذي الحجة فانهزم وقُتِل، ومَلِك أبو عون بلاد الموصل^(١٨٩)، وقيل إن عثمان هرب إلى عبد الله بن مروان، وغنم أبو عون عسكره وقتل أصحابه، وبعث إليه قحطبة بالمدد، وكان مروان بن محمد بحرّان، فسار في أهل الشام والجزيرة

[١٨٦] - انضوت أصبهان تحت لواء وحكم قحطبة الطائي في رجب ١٣١هـ ثم فتح نهاوند في آخر شوال ١٣١هـ.

[١٨٧] - المقصود الذين كانوا مع نصر بن سيار من جند وأهل خراسان وكانوا من القيسية المتعصبين ضد اليمانية غالباً، وكان جند أهل الشام من اليمانية فمالوا إلى قحطبة الطائي.

[١٨٨] - لم يرغب عبد الله الكندي عامل حلوان في القتال فخرج من حلوان وأتاح للحسن بن قحطبة دخول حلوان وهزيمة داود بن يزيد من حلوان إلى أبيه يزيد بن هبيرة.

[١٨٩] - هو القائد اليماني أبو عون عبد الملك بن يزيد المهلبّي الأزدي - ولا بد أنه نجل يزيد بن المهلب الذي ثار ويبيع بالخلافة وقتل عام ١٠٢هـ كما تقدم - وكان له دور في اشعال ثورة اليمانية بخراسان ثم انضوى في الدعوة العباسية، فلما انضوت بلاد فارس (الريّ) - أصبهان - نهاوند - وغيرها) تحت لواء قحطبة الطائي - وكما جاء في تاريخ الطبري - «توجه أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي إلى شهرزور - من نهاوند - فقاتل وهزم عثمان بن سفيان وقتل عثمان ثم أقام أبو عون بناحية الموصل» [ص ١٨٠ ج ٩].

والموصل، ونزل الزاب الأكبر، وأتوا شهرزور في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

حرب ابن هبيرة مع قحطبة ومقتلهما وفتح الكوفة

ولما قدم على يزيد بن هبيرة ابنه داود منهزماً من حلوان، خرج يزيد للقاء قحطبة في مدد لا يحصى، وكان مروان أمده بحوثة بن سهيل الباهلي فسار معه حتى نزل حلوان واحترف الخندق الذي كانت فارس احتفرت أيام وقعة حلوان، وأقبل قحطبة إلى حلوان ثم عبر دجلة إلى الأنبار، فرجع ابن هبيرة مبادراً إلى الكوفة وقدم إليها حوثة في خمسة عشر ألفاً، وعبر قحطبة الفرات من الأنبار لثمان من المحرم سنة اثنتين وثلاثين، وابن هبيرة معسكر على فم الفرات وعلى ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة ومعه حوثة وقلّ بن ضبارة، . . والفريقان يسيران على جانب الفرات، . . ثم عبر قحطبة - من مخاضه - وقاتل حوثة وابن نباتة فانهمز أهل الشام، وقُتل قحطبة^[١٩٠]، وشهد مقاتل الكعبي بأن قحطبة عهد لابنه الحسن بعده، فبايع جميع الناس لابنه الحسن وكان في سرية فبعثوه إليه وولوه^(١٩٠)، وأوصى قحطبة بأمر الشيعة إلى أبي سلمة الخلال وزير آل محمد^[١٩١]، ولما انهزم ابن نباتة وحوثة لحقوا بابن هبيرة فانهمز إلى واسط واستولى الحسن بن قحطبة على ما في معسكرهم.

وبلغ الخبر الكوفة فثار بها محمد بن خالد القسري^[١٩٢] بدعوة الشيعة، خرج ليلة عاشوراء، وعلى الكوفة زياد بن صالح وعلى شرطته عبد الرحمن بن بشير العجلي، وسار (محمد بن خالد إليهم) فهرب زياد ومن معه من أهل الشام ودخل القصر، ورجع إليه حوثة ومن معه ولزم القصر، ثم جاء قوم من بجيلة من أصحاب حوثة فدخلوا في الدعوة ثم آخرون من كنانة ثم آخرون من النجيلة^[١٩٣]

[١٩٠] - بمقتل قحطبة ببيع وتولى مكانته القيادة نجله الأمير اليميني القائد الحسن بن قحطبة الطائي في حوالى ٩ محرم ١٣٢هـ.

[١٩١] - هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني اليماني وكان من أعلام الشخصيات اليمنية البارزة في العراق.

[١٩٢] - هو الأمير اليميني محمد بن خالد القسري - نجل خالد بن عبد الله القسري الذي كان مقتله عام ١٢٦هـ هو الداء القاتل الذي سكن جثمان الدولة الأموية وأدت مضاعفاته إلى سقوطها.

[١٩٣] - جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية أنه «تسلل عن ابن هبيرة كثير من أصحابه من أهل =

فارتحل حوثره نحو ابن هبيرة، وكتب محمد بن خالد إلى قحطبة وهو لم يعلم بهلاكه، فقرأه الحسن على الناس وارتحل نحو الكوفة فصباحها لرابعة من مسيره^(١٩٣)، وقيل إن الحسن بن قحطبة سار إلى الكوفة بعد قتل ابن هبيرة وعليها عبد الرحمن بن بشير العجلي فهرب عنها، وسبق محمد بن خالد القسري وخرج (للقائه) في أحد عشر رجلاً فلقي الحسن ودخل معه، وأتوا إلى أبي سلمة فاستخرجوه من بني سلمة، وعسكر بالنجيلة ثم نزل حمام أعين، وبعث الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة، وبايع الناس أبا سلمة حفص بن سليمان الخلال وزير آل محمد، واستعمل محمد بن خالد القسري على الكوفة وكان يسمى الأمير حتى ظهر أبو العباس السفاح^[١٩٤]، وبعث حميد بن قحطبة إلى المدائن في قواد، والمسيب وخالد بن مرمل إلى دير فناء وبسام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز وبها عبد الرحمن بن عمر بن هبيرة فقاتله بسام فانهزم إلى البصرة وعليها سالم الباهلي عاملاً لأخيه، وبعث بسام في إثره سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب والياً على البصرة^[١٩٥]، فجمع سالم الباهلي قيسا ومضر وبني أمية، وجاء قائد من قواد ابن

= اليمن فلحقوا بمحمد بن خالد القسري» وسيطر محمد بن خالد على الكوفة واعلن قيام الدولة والخلافة الجديدة في ٦ محرم ١٣٢هـ [ص٣٧٦ و٣٧٠ - أخبار الدولة].

[١٩٤] - كان الأمير محمد بن خالد القسري قد سيطر على الكوفة وكان محمد بن خالد أول من أعلن قيام الدولة والخلافة (العباسية) - دون التصريح باسم أبي العباس وإنما باسم الرضا من آل البيت - وكان محمد بن خالد ممن بايع أبا العباس السفاح سراً بمكة، ثم ثار بالكوفة وأعلن قيام الدولة والخلافة الجديدة في الكوفة يوم الاثنين ٦ محرم ١٣٢هـ «وكان محمد بن خالد يُسمى الأمير حتى ظهور أبي العباس السفاح» [ص١٢٠ ج٩/تاريخ الطبري] وكان قدوم أبي العباس وأقاربه سراً إلى الكوفة في شهر صفر سنة ١٣٢هـ ثم ظهر وبوع بالكوفة في ١٢ ربيع عام ١٣٢هـ.

[١٩٥] - هو الأمير اليميني سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب - حفيد الخليفة اليميني الثائر يزيد بن المهلب - وفي تلك الفترة - «توجه عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب إلى عين التمر، ووجه عماله على الكور في السهل والجبل» [ص٣٦٨ - أخبار الدولة العباسية] وقد تقدم أن عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب كان قد لجأ إلى عمان فأقام بها فيكون أقبل منها إلى البصرة أواخر عام ١٣١هـ.

- ومن المهم هنا إدراك أن كافة أبرز الأمراء والقادة في تلك الأيام التاريخية الحاسمة كانوا من اليمينيين، وكان أبرزهم:

١ - قحطبة الطائي الذي اجتاحت السلطان الأموي في خراسان وجرجان وبلاد فارس ثم أجاز بالجيوش إلى حلوان بالعراق.

٢ - أبو عون عبد الملك بن يزيد المهلب الأزدى الذي هزم الجيش الأموي في شهرزور=

هبيرة في ألفي رجل، وجمع سفيان اليمانية وحلفاءهم من ربيعة، واقتتلوا في صفر، وقتل ابن سفيان واسمه معاوية فانهزم لذلك، ثم جاء إلى سالم أربعة آلاف مدداً من عند مروان فقاتل الأزدي ولم يزل بالبصرة حتى قُتل ابن هبيرة فهرب عنها، واجتمع ولد الحرث بن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر فولوه أياماً حتى قدم أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي من قبيل أبي سلمة، فلما بويع أبو العباس السفاح ولاها سفيان بن معاوية (١٩٥هـ)، [اهـ/١٩٦].

= وتمركز بناحية الموصل في ذي الحجة ١٣١هـ.

٣ - الحسن بن قحطبة الطائي الذي هزم جيش ابن هبيرة الأموي في حلوان وواسط بعد مقتل أبيه وتولى مكانة أبيه القيادية.

٤ - عبد الرحمن بن يزيد المهلب الذي سيطر على عين التمر وبعث عماله على الكور في السهل والجبل.

٥ - محمد بن خالد القسري الذي سيطر على الكوفة في ٦ محرم ١٣٢هـ وتولى إمارتها فكان الأمير حتى ظهور أبي العباس.

٦ - سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب الذي قاد المواجهات في البصرة، فلما ظهر أبو العباس ولاه أميراً على البصرة.

٧ - طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي - ابن أخي عبد الرحمن بن الأشعث الذي ثار وبويع بالخلافة عام ٨٠ - ٨٣هـ، وكان طلحة ممن ثار بالكوفة مع محمد بن خالد ثم وجهه أبو سلمة مدداً لأبي عون في الموصل وموقعة الزاب كما يأتي.

٨ - سليمان بن كثير الخزاعي شيخ نقباء الدعوة بخراسان.

٩ - محمد بن الأشعث الخزاعي قائد الطبسين وما إليها من خراسان وفارس.

١٠ - سباع بن النعمان الأزدي أمير سمرقند.

١١ - حميد بن قحطبة الطائي في المدائن والأهواز.

١٢ - الوزير أبو سلمة حفص بن سليمان الهمداني وهو «أول من سمي بالوزير، وكان وزير أبي العباس السفاح».

[١٩٦] - انتهى كلام ابن خلدون عن الأحداث المتقدمة (ص ١٢٨ ج ٣) ثم تحدث ابن خلدون

عن خبر بيعة أبي العباس السفاح - بعد مقتل إبراهيم بن محمد الذي حبسه مروان كما تقدم - وأن أبا العباس وأقاربه قدموا إلى الكوفة في صفر ١٣٢هـ وظهر أبو العباس وبويع بالكوفة في ١٢ ربيع الأول ١٣٢هـ وبعث العمال والقادة إلى الجهات وبعث المدد إلى أبي عون عبد الملك في الزاب، [ص ١٢٨ - ١٢٩] ثم عاد ابن خلدون إلى خبر أبي عون وموقعة الزاب فانتقلنا إلى ذلك لتتربط الأحداث.

وكان مروان بن محمد - آخر الخلفاء الأمويين - قد اتخذ مدينة حران عاصمة ومقرّاً بدلاً من دمشق - كما تقدم - فسار من حران في جند وأهل الجزيرة الفراتية والشام وبني أمية ومن مال إليهم من نواحي الموصل فكانوا مائة وعشرين ألفاً. . . وفي رواية ابن عساكر مائة ألف، وقيل =

هزيمة مروان بالزباب وهروبه ومقتله بمصر

قد ذكرنا أن قحطبة أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي إلى شهرزور فقتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل، وأن مروان بن محمد سار إليه من حران في مائة وعشرين ألفاً، ونزل الزباب^[١٩٦]، وسار أبو عون إلى الزباب، ووجه أبو سلمة: عيينة بن موسى والمنهال بن قبان وإسحاق بن طلحة^[١٩٧] كل واحد في ثلاثة آلاف مدداً له^[١٩٧]، فلما بويع أبو العباس بعث مسلمة بن محمد في ألفين وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن رباعي الطائي في ألفين ودارس بن فضلة في خمسمائة كلهم مدد لأبي عون^[١٩٧]، ثم ندب (أبو العباس) أهل بيته إلى المسير إلى أبي عون، فانتدب عبد الله بن عليّ فسار وقدم على أبي عون فتحول له عن سرادقه بما فيه^[١٩٨]، ثم أمر عيينة بن موسى بخمسة آلاف تعبر النهر من الزباب أول جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وقاتل عساكر مروان إلى المساء ورجع، فتفقد مروان الجسر من الغد وقدم ابنه عبد الله وعبر، فبعث عبد الله بن عليّ المخارق بن غفار في أربعة آلاف فانهزم أصحاب المخارق، . . وعاجلهم عبد الله بن عليّ بالحرب قبل أن يفشوا الخبر وعلى ميمته أبو عون وكان عسكره نحواً من عشرين ألفاً وقيل اثني عشر ألفاً^[١٩٩]، وأرسل مروان إليه في المواعدة فأبى، وحمل الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم وهو صهر مروان على ابنته فقاتل أبا عون حتى انهزم إلى عبد الله بن عليّ، فأمر الناس فحملوا ومشى قدماً ينادي يا لثارات إبراهيم وبشعار يا محمد يا منصور^[٢٠٠]، وأمر مروان

= مائة وخمسين ألفاً، فسار بهم لقتال أبي عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، ونزل الزباب في محرم سنة ١٣٢هـ.

[١٩٧] - إسحاق بن طلحة هو طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي، وكان ثالث ثلاثة قادة ساروا مدداً لأبي عون في تسعة آلاف جندي (في صفر ١٣٢هـ) فبلغ جيش أبي عون زهاء خمسة عشر ألفاً - وربما أكثر - ثم أمده أبو العباس بستة آلاف جندي فبلغ جيش أبي عون عشرين ألفاً ونيف (في ربيع ١٣٢هـ) وبدأت المناوشات بينه وبين جيش مروان في الزباب.

[١٩٨] - كان مسير عبد الله بن عليّ العباسي - وهو عم أبو العباس السفاح - لاعتبارات معنوية، وبما أنه عم الخليفة سلمة أبو عوان سرداقه والمركز الأول، بينما استمر أبو عون هو القائد الفعلي للمواجهة مع مروان وجيشه في الزباب.

[١٩٩] - تؤكد الأعداد سالفة الذكر لجيش أبي عون أن عددهم كان لا يقل عن عشرين ألفاً، والذي نرجحه أن عددهم أكبر من ذلك بكثير.

[٢٠٠] - إن شعار يا لثارات إبراهيم ويا محمد يا منصور كان شعاراً ورمزاً «جمع كل الناقمين»

القبائل بأن يحملوا فتخاذلوا واعتذروا حتى صاحب شرطته، ثم ظهر الخلل فأباح الأموال للناس على أن يقاتلوا فأخذوها من غير قتال فبعث ابنه عبد الله يصددهم عن ذلك فتبادروا بالفرار وانهزموا وقطع مروان الجسر وكان من غرق أكثر ممن قتل [٢٠١]، . . . وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة [٢٠٢]، وأقام عبد الله في عسكره سبعة أيام واحتاز عسكر مروان بما فيه وكتب بالفتح إلى أبي العباس السفاح.

وسار مروان منهزماً إلى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمر الثعلبي وابن خزيمة الأسدي فقطعا الجسر ومنعاه العبور إليهم، وقيل هذا أمير المؤمنين، فتجاهلوه وقالوا أمير المؤمنين لا يفر ثم أسمعوه الشتم والقبائح، فسار إلى حران وبها أبان بن أخيه [٢٠٣]، وسار إلى حمص، وجاء عبد الله إلى حران فلقى أبو مسعود فأمنه، ولما بلغ مروان حمص أقام بها ثلاثاً وارتحل، فاتبعه أهلها لينهبوه فقاتلهم وهزمهم وأثنخ فيهم [٢٠٤]، وسار إلى دمشق وعليها الوليد ابن عمه فأوصاه

= على بني أمية وصهرهم في بوتقة واحدة» - كما قال القاضي سعدي أبو جيب الذي يمضي قائلاً: «أما جند مروان فكانوا من أهل الجزيرة وأهل الشام ومعه بنو أمية، ولئن كان ولاء أهل الجزيرة لمروان فليس من المعقول أن يكون أهل الشام على مثل ذلك الولاء له . . . وكان من الواجب على مروان أن يلحظ هذا وأن يختار جنده من قيس فقط وبعبارة ثانية من أهل الجزيرة . . . فعندما استعد الفريقان للهجوم الكبير أمر مروان قبيلة قضاة (اليمانية) أن تبدأ القتال فأبت، وأخذت كل قبيلة تأبى طاعة أمره وتحيله إلى قبيلة أخرى» [ص ١١٦ - مروان بن محمد وسقوط الدولة الأموية].

[٢٠١] - أرسل مروان ابنه عبد الله إلى مؤخرة الجيش ليحرس المال، فظن من رآه يتراجع إلى مؤخرة الجيش حيث كان المال، أن الجيش انهزم، فانهزموا، وكذلك انهزم مروان بعد قطع الجسر، وهرب مع فلوله إلى الموصل.

[٢٠٢] - كانت هزيمة مروان وجيشه في الزاب صباح يوم السبت ١١ جمادى الآخرة ١٣٢هـ (٧٥٠ ميلادية).

[٢٠٣] - لما سار مروان إلى حران - وكما ذكر المؤرخ المسعودي - دعا مروان إسماعيل بن عبد الله القشيري فاستشاره في المسير إلى بلاد الروم - جهات تركيا - وتجميع الصفوف والمواليين إليها ثم التحرك منها، فأشار عليه إسماعيل بالمسير إلى داخل الشام وليس إلى الروم، ولم يدرك مروان - إلا فيما بعد - أن إسماعيل قد غشه في الرأي لأنه كان ناقماً كغيره من اليمانية.

[٢٠٤] - سار مروان نحو قنسرين ومنها إلى حمص «فلما اجتاز مروان ببلاد قنسرين أوقعت قبيلة تنوخ (اليمانية) بساقته ووثب به أهل حمص» [ص ٢٦٤ ج ٣/ مروح الذهب] فقاتلهم مروان =

بقتال عدوه^[٢٠٥]، وسار إلى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي^[٢٠٦]، فأرسل إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي فأجاره^[٢٠٧]، ثم سار عبد الله بن عليّ في إثره من حران وانتهى إلى قنج فأطاعه أهلها، وقدم عليه أخوه عبد الصمد بعثه السفاح مدداً في ثمانية آلاف، وافترق قواد الجيش على أبواب دمشق فحاصروها أياماً ثم دخلوها عنوة لخمسة من رمضان واقتتلوا بها كثيراً، وقتل عاملها الوليد بن معاوية بن عبد الملك^(٢٠٥)، وأقام عبد الله بدمشق خمسة عشرة ليلة، وارتحل يريد فلسطين^(٢٠٦) فأجفل مروان إلى العريش^(٢٠٧) وجاء عبد الله فنزل نهر أبي فطرس ووصله هناك كتاب السفاح بأن يبعث صالح ابن عليّ في طلب مروان.

= ثم مضى إلى دمشق، ودخلت حمص في العهد الجديد، وكان عبد الله بن علي العباس وأبو عون عبد الملك الأزدي قد تبعاه إلى حران ثم إلى حمص فانضوت حمص في دعوتهما.

[٢٠٥] - لما سار مروان إلى دمشق وكان عليها الوليد بن معاوية بن عبد الملك «وثب بدمشق الحارث بن عبد الرحمن الحرشي المذحجي» [ص ٢٦٤/ مروج الذهب] وحرص الوليد على تفادي الفتنة فاقتنع مروان بعدم دخول دمشق وأوصى الوليد بقتال عدوه وسار إلى فلسطين.

(*) وما لبثت أن وصل عبد الله بن علي وأبو عون بجيشهما إلى دمشق - كما ذكر ابن خلدون في فقرات تالية - وأثناء حصار دمشق - وكما ذكر الطبري - وقعت داخل جيش دمشق «العصبية بين اليمانية والنزارية» وساند اليمانية العهد الجديد مما أتاح دخول جيش عبد الله بن علي وأبي عون الأزدي دمشق في ٥ رمضان ١٣٢هـ وانتصارهم على الوليد بن معاوية ومن معه داخل دمشق بمساندة اليمانية، لذلك قال عبد الله بن علي العباسي - في موقف لاحق - ليمانية دمشق والشام - «... السلطان سلطانتكم، والدولة دولتكم... أنتم دفعتم إلينا دمشق... وبكم قوام أمرنا» [ص ٧٥ - التاريخ الإسلامي - د. فاروق عمر].

[٢٠٦] - لما سار مروان إلى فلسطين «ثار فيها الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع الجذامي اليماني ومنعه من دخولها» [ص ٢٦٤ مروج الذهب] وهزم الحكم بن ضبعان قوات مروان في نهر أبي فطرس بفلسطين - قرب يافا - فلاذ مروان بعبد الله بن يزيد الجذامي فأجاره واتاح له الوصول إلى العريش. ثم وصل عبد الله بن علي وأبي عون إلى فلسطين ونهر أبي فطرس في شوال ١٣٢هـ.

[٢٠٧] - لما أجار عبد الله بن يزيد الجذامي مروان بن محمد ثم أجفل مروان إلى العريش - وكما قال المسعودي -: «علم مروان أن إسماعيل بن عبد الله القشيري قد غشه في الرأي ولم يحضه النصيحة وأنه فرط في مشاورته إياه، إذ شاور رجلاً من قحطان متعصباً مع قومه... ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيئاً» [ص ٢٦٤ ج ٣/ مروج الذهب] ثم مضى مروان إلى مصر، حيث قال الشاعر:

لجّ الفرار بمروان فقلت له عاد الظلومُ ظليماً همّه الهرب =

مقتل مروان في مصر واكتمال سقوط الدولة الأموية [٢٠٨]

فسار صالح بن علي في ذي القعدة وعلى مقدمته أبو عون وعامر بن إسماعيل الحارثي [٢٠٩] فأجفل مروان إلى النيل، ثم إلى الصعيد، ونزل صالح

= أين الفرار وترك الملك إذ ذهب عنك الهوينا فلا دين ولا حسب [٢٠٨] - استحدثنا هذا العنوان لخاتمة هذا الفصل، وبما أن الخاتمة كانت في مصر، نشير إلى معالم الوضع في مصر:

أ - كان الأمير اليمني حفص بن الوليد الحضرمي والياً لمصر (١٢٤ - ١٢٧هـ) فلما تولى مروان الخلافة وأظهر التعصب على اليمانية واندلعت الفتن والحركات اليمانية ضده بالشام - كما تقدم - قام بعزل حفص بن الوليد الحضرمي عن مصر وتولية حسان بن العتاهية فثار عليه فريق واسع من جند وأهل مصر وأخرجوه من دار الإمارة وأعادوا حفص بن الوليد الحضرمي.

ولما ثار ثابت بن نعيم الجذامي بفلسطين والشام وانهزم - في أواخر عام ١٢٧هـ - «سار ثابت من فلسطين إلى مصر، فدخلها ومعه جماعة من اليمانية، ودعوا الناس إلى خلع مروان، فاستجاب لهم أهل مصر، ولم يخالف منهم أحد» - [ص ١٠٧ - ولاة مصر] - قال القاضي سعدي أبو جيب «ويظهر أن دخول ثابت إلى مصر كان باتفاق مع واليها حفص بن الوليد» [ص ٣٠ - مروان وسقوط الدولة الأموية] - وتؤكد استجابة جند وأهل مصر لثابت أن غالبيتهم كانوا من اليمانية . . «ولم يبطل بثابت المقام في مصر، فقد تصدى لقتاله زيان بن عبد العزيز بن مروان وقتله وهزمه» - [ص ٣٠ - مروان . . . + ص ١٠٩ ولاة مصر] - ثم عاد ثابت إلى فلسطين فقتل بها، في شوال ١٢٨هـ.

ب - وكان مروان قد بعث في عام ١٢٨هـ (حوثره بن سهيل الباهلي القيسي) أميراً لمصر فوصل في فرقة من جند مروان، فاجتمع فريق من جند وأهل مصر إلى حفص بن الوليد يسألونه أن يقاتلوا حوثره ويمنعوه، فرفض حفص فدخل حوثره مصر (الفسطاط) فجاءه حفص ليُسلم عليه، فقبض عليه ثم ضرب عنقه. وانتهج حوثره سياسة تعصب ضد اليمانية، فلما زحف قحطبة الطائي وأصحابه إلى العراق - آخر عام ١٣١هـ - بعث مروان حوثره بن سهيل مدداً لابن هبيرة، فانهزم ابن هبيرة وحوثره في محرم ١٣٢هـ وهلكوا كما تقدم نبأ ذلك.

ج - آنذاك (في محرم ١٣٢هـ) ولى مروان على مصر (عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمي اليماني) وكان متولياً على خراج مصر فولاه مروان على مصر، ربما في محاولة لاستمالة بعض اليمانية، فلما هرب مروان من فلسطين إلى مصر في شوال ١٣٢هـ كان عبد الملك بن مروان بن موسى اللخمي هو والي مصر.

[٢٠٩] - جاء في مروج الذهب أنه «سار صالح بن علي ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد وعامر بن إسماعيل المذحجي فلحقوا مروان بمصر . . .» [ص ٢٦١ ج ٣] وفي نص ابن خلدون (عامر بن إسماعيل الحارثي) ويجمع القولين والنسبين أن بني الحارث بن كعب من مذحج، فيكون عامر بن إسماعيل حارثياً مذحجياً يمانياً.

الفسطاط^[٢١٠]، وتقدمت عساكره فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا منهم، ودلوهم على مكانه ببوصير، فسار إليه أبو عون، وبيته هنالك خوفاً من أن يفضحه الصبح، فانهزم مروان وطعن فسقط في آخر ذي الحجة الحرام وقُطع رأسه وبعث به طليعة أبي عون إليه فبعث إلى السفاح . . وكان طليعة أبي عون عامر بن إسماعيل الحارثي^[٢١١]، [اهـ/٢١٢].

[٢١٠] - يدل ذلك على أن والي مصر (عبد الملك بن مروان بن موسى اللخمي) وجند وأهل مصر لم يساندوا مروان بن محمد ومالوا إلى العهد الجديد وبالتالي - كما سلف قول المسعودي - «لم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيئاً» فقد كان أمير مصر وغالبية جندها وأهلها من اليمانية كما هو الحال في الشام وغيرها.

[٢١١] - كان مقتل مروان بن محمد - آخر الخلفاء الأمويين - بسيف عامر بن إسماعيل الحارثي المذحجي اليماني في قرية (بوصير) بصعيد مصر، وكان ذلك - كما في تاريخ ابن عساكر - «في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٢ هجرية». - [تاريخ ابن عساكر ص ١٩٧/١٦] - وجاء في مروج الذهب وتاريخ الطبري أن مقتله كان لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ [اهـ] وبذلك اكتمل سقوط دولة وخلافة بني أمية.

[٢١٢] - انتهى هنا ما أوردناه من حديث ابن خلدون [ص ١٣٢ ج ٣] وقد تحدث ابن خلدون بعد ذلك عن قيام العباسيين بتتبع وقتل الأمويين في كل مكان وأنه «لم يفلت منهم إلا الرضعاء أو من هرب إلى الأندلس مثل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وغيره ممن تبعه من قرابته . . . وانقرضت دولة بني أمية» (اهـ).

أخبار اليمن وأعلام اليمنيين في عصر الخلفاء العباسيين الأوائل للدولة العربية الإسلامية^[١]

في خلافة أبي العباس السفاح^[٢]

لما استقام الأمر لأبي العباس السفاح وهو عبد الله بن الحارثية^(٢)، وولى على الكوفة والسواد عمه داود بن علي^[٣] ثم عزله وولاه على الحجاز واليمن واليمامة^[٤]. ثم توفي داود سنة ثلاث وثلاثين فولى مكانه على الحجاز واليمامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الممدان الحارثي^[٥] وعلى اليمن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد الممدان الحارثي^[٦]، وولى السفاح على البصرة

[١] - استحدثنا هذا الفصل والعنوان لنقل ما ذكره ابن خلدون عن اليمن وأعلام الشخصيات والولاة اليمنيين في عصر الخلفاء العباسيين الأوائل، وسوف نقتصر على ما ذكره في حديثه عن الولاة وما يستلزمه السياق من أخبار تتصل باليمن وبالأمراء والقادة اليمنيين.

[٢] - هو أول الخلفاء العباسيين أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان يقال له ابن الحارثية نسبة إلى أمه الحارثية اليمنية وهي (ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد الممدان بن الديان الحارثي) وقد بويع أبو العباس سراً بمكة عام ١٣٠هـ ثم صار إلى الكوفة (صفر ١٣١هـ) وبويع في (ربيع ١٣١هـ) ومات في ذي الحجة ١٣٦هـ.

[٣] - كان الأمير اليمني محمد بن عبد الله القسري أول أميراً للكوفة في العصر العباسي (منذ ٦ محرم ١٣٢هـ) ثم تولى بعض نواحي المشرق ثم تولى إمرة المدينة المنورة بعد زياد الحارثي (١٤١ - ١٤٤هـ) وكان أبو جعفر المنصور يسميه (سيد اليمن).

[٤] - أرسل داود بن علي (عمر بن عبد المجيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) أميراً على اليمن فأقام بصنعاء شهراً واحداً فقط ومات بصنعاء في شهر جمادى الآخرة ١٣٢هـ ثم تولى اليمن الأمير اليمني (محمد بن عبد الله بن يزيد الحارثي) كما سيأتي.

[٥] - هو الأمير اليمني (زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الممدان بن الديان الحارثي) أمير المدينة ومكة واليمامة منذ توليته في ربيع الأول ١٣٣هـ حتى وفاة أبي العباس (في ذي الحجة ١٣٦هـ) ثم إلى عام ١٤١هـ.

[٦] - هو - كما في كتاب قرة العيون وغيره من المصادر - (محمد بن عبد الله بن يزيد بن عبد

سفيان بن معاوية المهلبي^[٧] ثم عزله وولى مكانه عمه سليمان بن علي وأضاف إليه كور دجلة والبحرين وعمان^[٨] وولى عمه إسماعيل بن عليّ الأهواز وعمه عبد الله بن عليّ على الشام، وأبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي على مصر^[٩] وأبا مسلم الخراساني على خراسان، وولى عمه عيسى بن عليّ على فارس فسبقة إليها محمد بن الأشعث^[١٠] من قبل أبي مسلم، فلما قدم عليه عيسى همّ محمد بقتله وقال: أمرني أبو مسلم أن أقتل من جاءني بولاية من غيره ثم أقصر عن قتله واستحلفه بإيمان لا مخارج لها أن يعلو منبراً ما عاش ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد فوفى عيسى بذلك بقية عمره، واستعمل بعده على فارس عمه إسماعيل بن عليّ» [أه/]^[١١].

الثوار بالنواحي في خلافة أبي العباس^[١٢]

كان المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة قد ولاه أبوه على اليمامة، فلما قُتل

= (المدان الحارثي) وقد تولى اليمن في رجب ١٣٢هـ فأقام بصنعاء عاصمة ولاية اليمن وبعث أخاً له إلى عدن، ثم مرض محمد بصنعاء فمات بها ومات أخوه بعدن في اليوم نفسه [ص ١٢٠ قرة العيون] ثم تولى اليمن:

ب - عبد الله بن مالك بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، تولى اليمن أربعة أشهر ومات بصنعاء (عام ١٣٣هـ).

ج - علي بن الربيع بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي (فمكث والياً على اليمن أربع سنين وأشهرًا) إلى أوائل خلافة أبي جعفر المنصور.

[٧] - هو الأمير اليميني سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب أول أمير للبصرة وأعمالها في العصر العباسي.

[٨] - كان الوالي على عمان (جناح بن عبادة الهنائي الأزدي) حيث «انتخب الأباضية - في عمان - الجلندي بن مسعود الأزدي إماماً سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م تحت سمع وبصر الوالي العباسي جناح بن عبادة الأزدي» [ص ٣٧ - تاريخ عمان].

[٩] - هو الأمير اليميني أبو عون عبد الملك بن يزيد المهلبي الأزدي أول ولاة مصر في العصر العباسي (١٣٢ - ١٣٥هـ).

[١٠] - هو الأمير اليميني محمد بن الأشعث الخزاعي أمير فارس - عام ١٣٢هـ - ثم بعثه أبو العباس إلى شمال أفريقيا عام ١٣٣هـ فبسط سلطان الدولة في ربوعها وكان أول ولاة بلاد المغرب بأكملها في العصر العباسي.

[١١] - انتهى الخبر عن الولاية في عهد أبي العباس [ص ١٧٧/ج-٣].

[١٢] - بعنوان «الثوار بالنواحي» أورد ابن خلدون [ص ١٧٨ ج-٣] عدة وقائع تتصل بقيادة وأمراء يمينيين فأوردناها لذلك، ومنها أحداث ذات صلة باليمن هي أحداث عمان.

يزيد بن هبيرة امتنع هو باليمامة فبعث إليه زياد بن عبد المدان بالعساكر من المدينة^[١٣] مع إبراهيم بن حبان السلمي فقتله وقتل أصحابه وذلك سنة ثلاث وثلاثين^(١٣)، وفيها خرج شريك بن شيخ أسحار على أبي مسلم ونقض أفعاله واجتمع إليه أكثر من ثلاثين ألفاً فبعث إليه أبو مسلم زياداً بن صالح الخزاعي فقاتله وقتله^[١٤]، وفيها الفتنة بين أخشيد فرغانة وملك الشاش واستمد الأخشيد ملك الصين فأمدّه بمائة ألف مقاتل وحصروا ملك الشاش حتى نزلوا على حكم ملك الصين فلم يعرض له ولا لقومه بسوء، وبعث أبو مسلم زياداً بن صالح^(١٤) لاعتراضهم فلقبهم على نهر الطرار فظفر بهم وقتل منهم نحواً من خمسين ألفاً وأسر نحواً من عشرين ألفاً ولحق بقيتهم بالصين وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين، ثم انتقض بسام بن إبراهيم بن بسام من فرسان أهل خراسان وسار من عسكر السفاح جماعة على رأيه سراً إلى المدائن، فبعث السفاح في إثرهم خازم بن خزيمه فقاتلهم وقتل أكثرهم واستباحهم وبلغ ما وانصرف فمرّ بذات المطامير وبها أخوال السفاح من بني عبد المدان في نحو سبعين من قرابتهم ومواليهم^[١٥] وقيل له إنّ المغيرة من أصحاب بسام عندهم، فسألهم عنه، فقالوا مرّ بنا مجتازاً فهتدّهم إن لم يأخذه، فأغلظوا له في القول، فقتلهم أجمعين ونهب أموالهم وهدم دورهم^(١٥) وغضبت اليمانية لذلك ودخل بهم زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي^(١٣) إلى السفاح، وشكوا إليه ما فعل بهم، فهتمّ السفاح بقتله، وبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخلوا على السفاح وذكراه سابقة الشيعة وطاعتهم وأنهم أثروكم على الأقارب والأولاد وقاتلوا من خالفكم، فإن كان لا بد من قتله فابعثه لوجه من الوجوه فإن قُتل فهو الذي تريد وإن ظفر فلك، فبعثه إلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان من عمان مع شيبان بن عبد العزيز الشكري، وبعث معه سبعمائة

[١٣] - هو الأمير اليماني زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي أمير الحجاز واليمامة (١٣٣ - ١٤١هـ).

[١٤] - هو القائد اليماني زياد بن صالح الخزاعي، كان من كبار القادة في ولاية خراسان وما وراء النهر ومن النقباء الاثني عشر للدعوة العباسية، ومما يدل على قيادته وبطولته الفذة أنه تصدر لمائة ألف جندي صيني بعثهم ملك الصين إلى فرغانة التابعة للدولة الإسلامية فحاربهم وهزمهم وقتل بهم زياد الخزاعي كما جاء هنا. وذكر ابن خلدون في فقرة أخرى أنه «استخلف أبو مسلم زياد بن صالح علي سمرقند وبخارى فكان أميرها».

[١٥] - كان في ذات المطامير بنواحي المدائن من العراق بيت من بني عبد المدان، أما غالبيتهم فكانوا باليمن ومنهم أخوال أبي العباس.

رجل فحملهم سليمان بن علي من البصرة في السفن وقد انضم إليه من أهله وعشيرته ومواليه وعدة من بني تميم من البصرة، فلما أرسوا بجزيرة ابن كاوان، قدم خازم فضله ابن نعيم المنشلي في خمسمائة إلى شبان فانهزم هو وأصحابه وكانوا صفرية وركبوا إلى عمان فقاتلهم الجلندي في الأباضية^[١٦٦] فقتل شبان ومن معه، ثم ركب خازم بن خزيمة إلى ساحل عمان فنزل وقاتل الجلندي أياماً أمر خازم أصحابه في آخرها أن يجعلوا على أطراف أستنهم المشاقة وذروها بالنفط ويشعلوها بالنيران ويرموها في بيوت القوم وكانت من خشب، فلما اضطرت فيها النار شغلوا بأهليهم وأولادهم عن القتال فحمل عليهم خازم وأصحابه، وقتل الجلندي وعشرة آلاف، فبعث خازم برؤوسهم إلى البصرة فبعثها سليمان إلى السفاح فندم^[١٧]، . . ثم بلغ السفاح انتفاض منصور بن جمهور بالسند^[١٨] فبعث

[١٦] - الجلندي بن مسعود الأزدي أول إمام للأباضية - بعد مقتل الخليفة الثائر طالب الحق عبد الله بن يحيى الحضرمي الذي كان سلطانه يشمل اليمن وامتد إلى الأباضية في عمان (١٢٩ - ١٣٠هـ) - ثم «انتخب الأباضية في عمان الجلندي بن مسعود - كأول إمام للأباضية - عام ١٣٢هـ تحت سمع وبصر الوالي العباسي على عمان جناح بن عبادة الأزدي وكذلك ابنه محمد بن جناح الذي خلفه في الولاية، وقد تدفق العديد من الأباضية من اليمن - خاصة من - حضرموت إلى صحار بعمان بعد إعلان الإمامة الأباضية» [ص ٣٧ - مصادر التاريخ العماني - د. فاروق عمر].

[١٧] - كان جناح بن عبادة الأزدي أمير عمان ثم ابنه محمد يتجنب الصدام مع الجلندي والأباضية لاعتبارات قبلية - أزدية يمانية - «ثم بعث أبو العباس القائد خازم بن خزيمة التميمي لمحاربة الخوارج - (الأباضية) في عمان فوقعت ضعارك عنيفة وطلب خازم من الأباضية إعلان ولائهم للخليفة العباسي فرفض الإمام الجلندي مسعود ذلك، فوقعت معركة جلفار [عام ١٣٤هـ/ ٧٥١م] حيث انتهت بمقتل الجلندي والعديد من الأباضية، وبذلك قُضي على الإمامة الأباضية الأولى في عمان» (ص ٣٨/ التاريخ العماني - د. فاروق عمر).

(**) ولكن حركة الأباضية ما لبثت أن عادت شوكتها بعد ثماني سنوات في حضرموت ومناطق من اليمن (بقيادة عمرو بن يزيد الحضرمي) مما أدى إلى قيام أبي جعفر المنصور ببعث معن بن زائدة الشيباني والياً على اليمن لمحاربة الخوارج - الأباضية - في ذي الحجة ١٤٢هـ. وقد أشرنا إلى ذلك هنا لوجود ارتباط لذلك بما حدث في عمان عام ١٣٤هـ.

[١٨] - هو الأمير اليميني منصور بن جمهور الكلبي الذي كان تولى العراق في خلافة يزيد بن الوليد (١٢٦هـ) ثم كان من الأمراء والقادة اليمينيين الذين ثاروا على خلافة مروان بن محمد وحارب عمال وجيش مروان في العراق وفارس (١٢٧ - ١٢٨هـ) ثم انسحب إلى =

صاحب شرطته موسى بن كعب واستخلف مكانه على الشرطة المسيب بن زهير، فسار موسى لقتال ابن جمهور فلقية بتخوم الهند وهو في نحو اثني عشر ألفاً، فانهزم، ومات عطشاً في الرمال^(١٨)، ورحل عامله على السند بعياله وثقلته فدخل بهم بلاد (الختل)، ثم انتقض زياد بن صالح فيما وراء النهر^[١٩]، فسار أبو مسلم إليه من مرو، وبعث أبو داود خالد بن إبراهيم - عامل بلخ - نصر بن راشد إلى ترمذ ليمنعها من زياد، فلما وصل إليها خرج عليه ناس من الطالقان فقتلوه فبعث مكانه عيسى بن ماهان فتبع قتلة نصر وقتلهم، وسار أبو مسلم فانتهى إلى آمد ومعه سباع بن النعمان الأزدي. وكان السفاح قد دس معه إلى زياد بن صالح أن ينتهز فرصة في أبي مسلم فيقتله، ونمى الخبر إلى أبي مسلم فحبس سباعاً في آمد وسار عنها وأمر عامله بقتله، ولقيه قواد زياد في طريقه وقد خلعوا زياداً، فدخل أبو مسلم بخارى، ونجا زياد إلى دهقان هناك، فقتله وحمل رأسه إلى أبي مسلم، [اه].

موت السفاح وبيعة المنصور

كان أبو العباس السفاح قد تحول من الحيرة إلى الأنبار في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين فأقام بها سنتين، ثم توفي بها في ذي الحجة سنة ست وثلاثين لثلاث عشرة ليلة خلت منه، ولأربع سنين وثمانية أشهر من لدن بويغ، وكان قبل موته قد عهد بالخلافة لأخيه أبي جعفر ومن بعده لعيسى ابن أخيهما موسى وجعل العهد في ثوب وختمه بخواتيمه ودفعه إلى عيسى. ولما توفي السفاح وكان أبو جعفر بمكة^[٢٠] فأخذ البيعة على الناس عيسى وكتب إليه بالخبر. . . وقدم أبو جعفر الكوفة سنة سبع وثلاثين وسار منها إلى الأنبار فسلم إليه عيسى بيوت الأموال والدواوين واستقام أمر أبي جعفر.

= بلاد السند فدانت له وتولى حكمها دون ارتباط بالأمويين حتى سقوط الدولة الأموية وكذلك في أوائل الخلافة العباسية حتى وقوع الأحداث والحرب التي أشار إليها ابن خلدون هنا وقد ذكرها البلاذري بالتفصيل في فتوح البلدان، ثم تولى السند الأمير اليميني موسى بن كعب الخثعمي.

[١٩] - هو القائد اليميني زياد بن صالح الخزاعي أمير بخارى وسمرقند (أوزبكستان حالياً) وقد تقدم الحديث عنه.

[٢٠] - كان أبو جعفر المنصور والياً على أرمينية فاستخلف الحسن بن قحطبة الطائي على أرمينية وحين عام ١٣٦هـ، أما أمير مكة فكان زياد الحارثي.

في خلافة أبي جعفر المنصور [٢١]

الولاية في خلافة المنصور [٢٢]

. . كان السفاح قد ولى عمه داود بن علي الحجاز واليمن واليمامة ثم ولاه على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان، وتوفي داود بن علي سنة ثلاث وثلاثين، فولى مكانه على اليمن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان، وعلى مكة والمدينة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي وهو عم محمد بن يزيد^[٢٣]، وفيها - أي سنة ثلاث وثلاثين - بعث محمد بن الأشعث إلى أفريقية ففتحها^[٢٤]، وفي سنة أربع وثلاثين بعث السفاح

[٢١] - أبو جعفر المنصور - ثاني الخلفاء العباسيين - تولى الخلافة بعد وفاة أبي العباس السفاح في ١٣ ذي الحجة ١٣٦هـ - كما تقدم - ودامت خلافته إلى عام ١٥٨ هجرية وإياه عنى الشاعر الحسن بن هانئ حيث قال مادحاً حفيد أبي جعفر المنصور:

وما مثل منصوريك منصور هاشم ومنصور قحطان إذا عُذَّ مفخرُ
فمن ذا الذي يرمي بسهميك في العلا وعبد مناف والداك وحمير

يعني أبا جعفر المنصور العباسي والقيل منصور بن عبد الله الحميري الذي تزوج أبو جعفر المنصور ابنته (أروى بنت منصور الحميري) والدة (محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور) وهي شقيقة الأمير اليماني يزيد بن منصور الحميري، وكان أبو جعفر المنصور شديد الاعتزاز باليمنيين.

وقال لابنه وولي عهده محمد المهدي «عليك بأهل اليمن والإقبال عليهم بوجهك وبزك، واعرِفْ حقهم، فإنهم دعائم النبوة وعدة الإسلام» [ص ٢١٨ ج ٣ تاريخ الموصول] وفي عهده - عام ١٤٦هـ - تم تشييد مدينة بغداد فأصبحت عاصمة ومقرّاً للخلفاء العباسيين بدلاً عن الأنبار التي كان أبو العباس اتخذها عاصمة عام ١٣٤هـ.

[٢٢] - بدأ ابن خلدون حديثه عن الولاية في عهد المنصور (ص ٢٠٠ ج ٣) بذكر عدد من الولاية في عهد أبي العباس لارتباط العهدين واستمرار بعضهم واستدراك بعض من لم يذكرهم فأوردنا ذلك من قوله « . . كان السفاح قد ولى عمه داود بن علي الحجاز واليمن واليمامة» وذلك عام ١٣٢هـ فولى داود على اليمن محمد بن عبد الله الحارثي كما تقدم.

[٢٣] - استمر الأمير اليماني زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي والياً على الحجاز واليمامة منذ توليته في خلافة أبي العباس (في ربيع الآخر ١٣٣هـ) إلى رجب ١٤١هـ في خلافة أبي جعفر المنصور، وكان علي بن الربيع الحارثي عاملاً لزياد على مكة عام ١٣٣هـ.

(*) (*) أما والي اليمن فهو (محمد بن عبد الله بن يزيد بن عبد المدان الحارثي) - كما في قرة العيون - فلما مات تولى اليمن (عبد الله بن مالك الحارثي) وكانت ولايته أربعة أشهر ومات بصنعاء ثم تولاهما علي بن الربيع كما يأتي.

[٢٤] - هو الأمير اليماني محمد بن الأشعث الخزاعي الذي كان أميراً على بلاد فارس - عام =

صاحب الشرطة موسى بن كعب لقتال منصور بن جمهور وولاه مكانه على السند^[٢٥] فاستخلف مكانه على الشرطة المسيب بن زهير، وتوفي عامل اليمن محمد بن يزيد فولى مكانه علي بن الربيع بن عبيد الله الحارثي^[٢٦] ولما استخلف المنصور وانتقض عبد الله بن علي وأبو مسلم^[٢٧] ولي - المنصور - على خراسان أبا داود خالد بن إبراهيم . . ثم هلك خالد بن إبراهيم سنة أربعين، فولى مكانه عبد الجبار بن عبد الرحمن^[٢٨] فانقض لسنة من ولايته فبعث المنصور ابنه المهدي على خراسان وفي مقدمته خازم بن خزيمة فظفر بعبد الجبار^(٢٨)، وتوفي

= ١٣٢هـ - ثم بعثه أبو العباس إلى شمال أفريقية - بلاد المغرب العربي - وكانت ما تزال مضطربة منذ أواخر العصر الأموي فسار إليها محمد بن الأشعث وبسط سلطان الدولة في ربوعها - عام ١٣٣هـ - ومكث والياً أميراً عليها إلى عام ١٣٧هـ فكان أول حاكم لبلاد المغرب بأكملها (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) في العصر العباسي، وكذلك كان الأمير اليمني أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي أول حاكم لمصر في العصر العباسي كما تقدم.

[٢٥] - هو الأمير اليمني منصور بن جمهور الكلبي، وقد استمر حاكماً لبلاد السند إلى عام ١٣٤هـ كما يأتي في أخبار السند.

[٢٦] - هو ثالث الولاة اليمنيين لليمن في العصر العباسي (علي بن الربيع بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي) ومكث والياً لليمن «أربع سنين وأشهرًا» - [ص ١٢٠ قرّة العيون] - وذلك إلى أوائل خلافة أبي جعفر ثم تولى اليمن:

(*) «عبد الله بن الربيع الحارثي» في عام ١٣٧هـ ومكث والياً لليمن «أربع سنين ونصف» إلى نهاية عام ١٤٢هـ ثم تولى المدينة المنورة كما سيأتي، بينما تولى اليمن معن بن زائدة الشيباني (١٤٣ - ١٥٢هـ).

[٢٧] - تحدث ابن خلدون بالتفصيل عن انتقاض عبد الله بن علي العباسي أمير الشام - عام ١٣٧هـ - وكان ممن تصدى له الأمير اليمني الحسن بن قحطبة الطائي والي أرمينية والأمير حميد بن قحطبة الطائي والأمير اليمني القائد مالك بن الهيثم الخزاعي [ص ١٨١ ج ٣] وبعد انتهاء تلك الفتنة كان خير انتقاض أبي مسلم الخراساني، وكان للأمير اليمني (جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي) دور في تسليم أبي مسلم نفسه، ووصف المؤرخ المسعودي جريراً بن يزيد القسري بأنه «كان واحد أهل زمانه وداهية عصره» وقتل المنصور أبا مسلم في شعبان ١٣٧هـ [ص ١٨٢ - ١٨٣ ج ٣].

[٢٨] - هو الأمير اليمني عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي: تولى بلاد خراسان عام ١٤٠هـ ثم وقع اتهامه بالانتقاض والثورة فانهزم واعتقل، فأعدمه أبو جعفر المنصور وذلك عام ١٤٢هـ وبعث بولده إلى دهلك فزلهم بها، وأقام المهدي بخراسان إلى عام ١٤٩هـ ثم رجع إلى بغداد وتولى خراسان حميد بن قحطبة الطائي (١٥٠ - ١٥٩هـ) حتى وفاة أبي جعفر المنصور وخلافة المهدي.

سليمان بن عليّ عامل البصرة سنة أربعين فولى مكانه سفيان بن معاوية^[٢٩]، ومات موسى بن كعب بالسند وولى مكانه ابنه عيينة فانتقض فبعث المنصور مكانه عمر بن حفص بن أبي صفرة^[٣٠]، وولى المنصور على مصر في هذه السنة - (سنة أربعين) - حميد بن قحطبة^[٣١] وولى على الجزيرة والشغور والعواصم أخاه العباس بن محمد^[٣١] وعزل عمه إسماعيل عن الموصل وولى مكانه مالك بن الهيثم الخزاعي^[٣٢]، . . وفي سنة ست وأربعين عزل حميد بن قحطبة عن مصر وولى مكانه نوفل بن الفرات^[٣٣] ثم عزله وولى - على مصر - يزيد بن حاتم بن

[٢٩] - هو الأمير اليميني سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب وكان أميراً للبصرة في أول عهد أبي العباس - كما تقدم - ثم عاد وتولى البصرة والجهات التابعة لها عام ١٤٠هـ إلى عام ١٤٦هـ.

(*) وكان من أعلام اليمانيين بالبصرة الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (١٠٠ - ١٧٥هـ) وهو كما قال الأستاذ أحمد أمين: «ذو العقل الجبار المبتكر الذي قلّ أن يوجد له نظير في علماء ذلك العصر، فهو أول مبتكر للمعاجم العربية وهو أول مبتكر لعلم العروض، وهو الذي اخترع علم الموسيقى العربية، وهو الذي عمل النحو الذي نعرفه إلى اليوم» [ص ٢٩٠ - ضحى الإسلام].

(**) وكان يتوافد إلى اليمن عدد من العلماء منهم (معر بن راشد البصري) فاستقر بصنعاء ومات بها عام ١٥٠هـ أو عام ١٥٢هـ.

(***) ولما تولى اليمن معن بن زائدة الشيباني - عام ١٤٣هـ - اعتقل الزعيم اليميني عباد بن محمد الشهابي الصنعاني وأرسله إلى أبي جعفر المنصور في إطار التصدي للمعارضة في اليمن فعفا عنه المنصور، قال الهمداني في الإكليل «ونزل عباد بن محمد الشهابي لدى يمانية البصرة من الأزدي ثم من المهالبة، وكان مع عباد بعض بنيه وكانوا من أحسن العرب فروسية، وكانت المهالبة تباهي أهل البصرة جميعاً بهم» [ص ٤٧٥ ج١ - الإكليل] وقد رجع عباد الشهابي إلى صنعاء وله أبناء كثيرة في الإكليل.

[٣٠] - هو الأمير اليميني عمر بن حفص بن أبي صفرة الأزدي أمير بلاد السند: (من عام ١٤٢) وسيأتي خبر ابن خلدون عن السند بالتفصيل.

[٣١] - هو الأمير اليميني حميد بن قحطبة الطائي، وكان قد تولى إقليم الجزيرة الفراتية والشغور (عام ١٣٧هـ - ١٤٠هـ) ثم تولى مصر، وكانت ولايته لمصر كما في نص ابن خلدون هنا - عام ١٤٠هـ إلى ١٤٦هـ - وفي مصادر أخرى (١٤٢ - ١٤٥هـ) ثم تولى حميد بن قحطبة ولاية خراسان وأقاليم ما وراء النهر (١٥٠ - ١٥٩هـ) ومات بخراسان - وهو أمير عليها - عام ١٥٩م.

[٣٢] - هو الأمير اليميني مالك بن الهيثم الخزاعي، وكان من كبار الأمراء والقادة في خراسان وفارس والشام ثم تولى الموصل (١٤٠ - ١٤٦هـ).

[٣٣] - تولى مصر بعد حميد بن قحطبة الأمير اليميني عوف بن وهب البجلي لفترة يسيرة (عام ١٤٥هـ) ثم نوفل بن الفرات كذلك.

قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة^[٣٤]، وولى المنصور على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري^[٣٥] ثم اتهمه في أمر ابن أبي الحسن فعزله - سنة أربع وأربعين^(٣٥) - وولى مكانه رباح بن عثمان المزني ولما قتله أصحاب محمد المهدي ولى مكانه عبد الله بن الربيع الحارثي^[٣٦] ولما قتل إبراهيم أخو المهدي

[٣٤] - هو الأمير اليمني يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي، وكان رأس اليمانية في البصرة والمشرق وكان من القادة في مواجهة المتمردين والخوارج بالجزيرة الفراتية عام ١٣٧هـ وقاد مواجهة ضد الخوارج الأزارقة في الأهواز وبلاد فارس، قال الأصفهاني «وعقد له المنصور لواء الإمارة على كور الأهواز وسائر ما افتتحه. واستفرغ ابن المولى - الشاعر محمد بن عبد الله بن مسلم - شعره في مدح يزيد بن حاتم ومن ذلك قوله»:

يا واحد العرب الذي أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير
ومنها قصيدة وصف فيها آل المهلب بأنهم:

كواكب دجن كلما انقض كوكب بدا منهم بدر منير وكوكب
وتولى يزيد بن حاتم ولاية مصر عام ١٤٦هـ ومكث والياً على مصر إلى عام ١٥٢هـ وفيه قال ابن المولى أيضاً:

يا واحد العرب الذي دانته له قحطان قاطبة وساد نزارا
رشت الندى، ولقد تكسر ريشه، فعلا الندى فوق البلاد وطارا

ثم تولى يزيد بن حاتم بلاد المغرب (شمال أفريقية) حتى توفي عام ١٧٠هـ.

[٣٥] - هو الأمير اليمني محمد بن خالد بن عبد الله القسري، وكان أول أمير للكوفة في العصر العباسي - كما تقدم - ثم تولى المدينة المنورة وما إليها من الحجاز عام ١٤١هـ وكان أبو جعفر المنصور يسميه (سيد اليمن) فمكث والياً على المدينة إلى عام ١٤٤هـ ثم اتهمه بالتهاون في القبض على محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بمحمد النفس الزكية.

(*) وكانت قضية محمد النفس الزكية سبب عزل زياد بن عبيد الله الحارثي الذي كان والياً على الحجاز عام ١٣٦هـ إلى ١٤١هـ حيث قدم محمد إلى المدينة فتلطف له زياد ثم قال له: الحق بأبي بلاد الله شئت، فتواري محمد - ولحق بعدن ثم السند - فلما علم المنصور بذلك عزل زياد الحارثي واستدعاه مقيداً من المدينة فخرج أهل المدينة يسلمون عليه ويودعونه، وأوضح زياد موقفه من اعتقال أو قتل آل علي بن أبي طالب في بيت قال فيه:

أكلّف ذنّب قوم لست منهم وما جنت الشمال على اليمين

ثم أقام زياد الحارثي في العراق، وكان ممن يستشيرهم المنصور.

[٣٦] - كان الأمير اليمني عبد الله بن الربيع الحارثي والياً على اليمن منذ أوائل خلافة المنصور حيث تولى اليمن في محرم ١٣٧هـ ومكث والياً لليمن إلى ١٤٢هـ وقد شهدت اليمن - عام ١٤١هـ - ظهور ونمو حركة أباضية خارجية امتدت من حضرموت إلى مناطق عديدة كما كان لقضية محمد النفس الزكية تأثيرها في جهات صعدة غالباً، ولم يرغب عبد الله بن =

سنة خمس وأربعين ولى المنصور على البصرة سالم بن قتيبة الباهلي وولى على الموصل ابنه جعفرأ مكان مالك بن الهيثم وبعث معه حرب بن عبد الله من أكابر قواده، ثم عزل سالم بن قتيبة عن البصرة سنة ست وأربعين وولى مكانه محمد بن سليمان وعزل عبد الله بن الربيع عن المدينة^(٣٦) وولى مكانه جعفر بن سليمان، وولى سنة ثمان وأربعين على الموصل خالد بن برمك لافساد الأكراد في نواحيها، . . وفي سنة خمسين عزل جعفر بن سليمان عن المدينة وولى مكانه الحسن بن زيد بن الحسن، وفي سنة إحدى وخمسين عزل عمر بن حفص عن السند وولى مكانه هشام بن عمرو الثعلبي وولى عمر بن حفص على أفريقية^[٣٧]، ثم بعث يزيد بن حاتم من مصر مدداً له وولى مكانه بمصر محمد بن سعيد^[٣٨]،

= الربيع أن يحارب قومه فسار إلى المنصور واستخلف ابنه، فلحق به ابنه في ذي الحجة ١٤٢هـ، وبعث المنصور معن بن زائدة الشيباني فتولى اليمن وحارب الخارجين وقتك بكثير منهم في ولايته (١٤٣ - ١٥٢هـ).

(##) بينما تولى عبد الله بن الربيع الحارثي المدينة المنورة وما إليها من الحجاز عام ١٤٤هـ إلى ١٤٦هـ وهو والد الربيع بن عبد الله والحارثي الذي تولى اليمن في خلافة الرشيد.

[٣٧] - المقصود بأفريقية - شمال أفريقية وهي بلاد المغرب العربي (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا) وقد تولاها:

١ - الأمير اليمني محمد بن الأشعث الخزاعي وهو أول ولايتها في العصر العباسي (عام ١٣٣هـ) ثم تولاها مرة ثانية (١٤٢ - ١٤٨هـ).

٢ - الأمير اليمني عمر بن حفص الأزدي الذي كان والياً لبلاد السند ثم تولى بلاد المغرب العربي (١٥١ - ١٥٣هـ) ومات بها.

٣ - الأمير اليمني يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب والي مصر (١٤٦ - ١٥٢هـ) ثم سار إلى بلاد المغرب كأمير لبعض أقاليمها ونائب لعمر بن حفص، فلما مات عمر تولى يزيد بن حاتم بلاد المغرب عام ١٥٤هـ حتى وفاة أبي جعفر المنصور ١٥٨هـ ثم إلى عام ١٧٠هـ.

[٣٨] - تعاقب على ولاية مصر في خلافة أبي جعفر المنصور من الولاة اليمنيين كل من:

١ - محمد بن الأشعث الخزاعي عام ١٤١هـ (أو قبل ذلك).

٢ - حميد بن قحطبة الطائي عام ١٤٠ - ١٤٦هـ (حسب ما ذكره ابن خلدون) وفي مصادر أخرى (١٤٢ - ١٤٥هـ).

٣ - مالك بن عوف البجلي لم يذكره ابن خلدون وذكر مكانه نوفل بن الفرات وكان ما بين (١٤٥ - ١٤٦هـ).

٤ - يزيد بن حاتم المهلبى عام ١٤٦ - ١٥١هـ (أو إلى أوائل عام ١٥٢هـ ثم تولى مصر محمد الكاتب ومولاه مطر).

٥ - عبد الجبار الأزدي (ربما كانت ولايته متقدمة لأنه مات بعد توليته خراسان كما تقدم إلا إذا كان غيره).

وفي هذه السنة قُتل معن بن زائدة الشيباني بسجستان كما تقدم فقام بأمره يزيد ابن أخيه يزيد فأقرّه المنصور ثم عزله [٣٩] ، وفي هذه السنة . . ولى على الموصل إسماعيل بن خالد بن عبد الله القسري [٤٠] ، ومات أسيد بن عبد الله أمير خراسان فولى مكانه حميد بن قحطبة [٤١] ، وفي سنة ثلاث وخمسين توفي عبيد الله ابن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة فاستقضى شريك بن عبد الله النخعي [٤٢] ، وكان - الوالي - على اليمن يزيد بن منصور [٤٣] ، وفي سنة خمس وأربعين بل أربع وخمسين عزل

= ٦ - عبد الله بن عبد الرحمن السكوني (١٥٤ - ١٥٥هـ).

٧ - محمد بن عبد الرحمن السكوني من عام ١٥٥هـ أو ١٥٧هـ إلى وفاة المنصور واستمر والياً لمصر إلى عام ١٦١.

[٣٩] - لم يذكر ابن خلدون أن معن بن زائدة الشيباني تولى اليمن وقد تولاهما عام ١٤٣ - ١٥١هـ وقضى على حركة للأباضية وقتل زعيمها عمرو بن يزيد الأشباوي الحضرمي في شبام بحضرموت ثم ولاه المنصور على سجستان - عام ١٥١هـ - فسار إليها وتولى اليمن ابنه (زائدة بن معن) فلحق بمعن بن زائدة إلى سجستان محمد بن عمرو بن يزيد الأشباوي وأخوه فتفكرا حتى قتلا معن بن زائدة ثاراً بأبيهما عام ١٥١هـ أو كما قال ابن كثير عام ١٥٢هـ.

[٤٠] - هو الأمير اليمني إسماعيل بن خالد القسري شقيق محمد بن خالد القسري سالف الذكر.

[٤١] - كان الأمير اليمني حميد بن قحطبة الطائي قد تولى مصر وغيرها ثم تولى خراسان عام ١٥١هـ إلى ١٥٩هـ.

[٤٢] - كان شريك بن عبد الله النخعي المذحجي من العلماء والقضاة اليمنيين المشهورين ومنهم أيضاً عبد الله بن لهيعة الحضرمي قاضي مصر (١٥٤ - ١٥٦هـ) وكان من كبار العلماء في ذلك العصر الإمام عبد الرحمن الأوزاعي الهمداني بالشام والإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري وامتد مذهبهما إلى الآفاق.

[٤٣] - هو الأمير القليل اليماني يزيد بن منصور (بن عبد الله بن يزيد بن شهر بن مثوب الحميري سليل الملك شمر ذي الجناح الحميري) وفي مروج الذهب (يزيد بن منصور بن عبد الله بن سهم بن ذي سرح من ولد ذي رعين من ملوك حمير) . . كان والده منصور بن عبد الله الحميري من كبار أقبال اليمن وتزوج أبو جعفر المنصور ابنته (أروى بنت منصور الحميري) وهي أخت (يزيد بن منصور) فقال الشاعر يمدح حفيد أبي جعفر المنصور:

فما مثل منصوريك منصور هاشم ومنصور قحطان إذا عُدَّ مفخراً
فمن ذا الذي يرمي بسهميك في العلا وعبد مناف والداك وحمير

(***) وقد تقلد يزيد بن منصور الحميري الإمارة والولاية في عدة مناطق وكان أميراً على البصرة عام ١٥٢هـ ثم تولى يزيد بن منصور اليمن عام ١٥٣هـ ومكث والياً على اليمن إلى عام ١٥٩م «وكان يزيد بن منصور الحميري أميراً شهماً كريماً، ساد اليمن في عهده الاستقرار والعدل والأمان» [ص ١٢٤/قرة العيون].

عن الجزيرة أخاه العباس وأغرمة مالا وولى مكانه موسى بن كعب الخثعمي [٤٤]. . .
 وفي سنة سبع وخمسين عزل محمد بن الكاتب عن مصر وولى مكانه مولاه
 مطرا، وعزل هشام بن عمر عن السند وولى مكانه معبد بن الخليل، وفي سنة ثمان
 وخمسين عزل موسى بن كعب عن الموصل لشيء بلغه عنه فأمر ابنه المهدي أن يسير
 إلى الرقة مُوريا بزيارة القدس ويكفل طريقه على الموصل فقبض عليه، وكان (قد) ورد
 على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الأكراد بها وسخط موسى بن كعب
 فأشار عليه المسيب بن زهير بخالد بن برمك فعزل موسى بن كعب وولاه [٤٤]. . . ولم
 يزل خالد على الموصل حتى وفاة المنصور، [١هـ/ [٤٥].

= وقد قدم إليه بصنعاء الشاعر النحوي اللغوي أبو محمد يحيى بن مبارك اليزيدي وله فيه أشعار في
 كتاب الأغاني (ص ٨٠ ج ١٨) وكانت اليمن حافلة بالشعراء وأعلام الفكر والزماء آنذاك أمثال:
 - محمد بن كثير بن حجر الأكلبي الخولاني زعيم خولان بصعدة، وله قصائد وأخبار كثيرة
 في الإكليل، وهو القائل:

سراة بني الذلفاء في الحرب نُصرتي ومُغرق قومي يبتنون المكارما
 يدبون حولي في الحديد كُبزل تظفل ظماء للورود حوائما

(الخ. القصيدة).

وقد قام محمد بن كثير بزيارة الخليفة المهدي بن المنصور (١٥٨ - ١٦٩ هـ).
 - محمد بن أبان الخنفرى الحميري، كان من أعلام فرسان وأقيال وشعراء اليمن وله قصائد
 كثيرة في الإكليل.
 - أحمد بن يزيد القشبي، وله أخبار وقصائد في الإكليل (ج ١) وكان من أعلام فرسان
 وشعراء اليمن.

*) قال ابن الديبع «أقام يزيد بن منصور في اليمن - والياً عاها - إلى أن توفي أبو جعفر
 المنصور في ذي الحجة ١٥٨ هـ، فلما تولى المهدي بعد أبيه المنصور أقر خاله يزيد بن
 منصور على اليمن ثم كتب إليه بعد سنة أن يستخلف على عمله ويسير إلى مكة ليقيم الحج
 ففعل» [ص ١٢٤ قرة العيون] وقال القاضي الأكوخ في الهامش «أقام يزيد بن منصور في اليمن
 خمس سنين ثم استدعاه أبو جعفر المنصور واستعمل الفرات بن سالم على اليمن، ثم ولي
 المهدي يزيد بن منصور على اليمن مرة ثانية حينما تولى الخلافة فأقام في اليمن سنة ثم
 انفصل عنها في شوال ١٥٩ هـ لإقامة الحج، ويقال إنه لما سار من اليمن استخلف عبد
 الخالق بن محمد الشهابي» [ص ١٢٤ هامش قرة العيون].

[٤٤] - هو الأمير اليماني موسى بن كعب الخثعمي، وكان قد تقلد الإمارة والولاية في عدة
 أقاليم، ثم تولى الموصل والجزيرة الفراتية (١٥٤ - ١٥٨ هـ) وهو غير (موسى بن مضغّب
 الخثعمي) الذي تولى مصر في خلافة المهدي (١٦٧ - ١٦٨ هـ) غالباً.

[٤٥] - انتهى ما نقلناه من حديث ابن خلدون عن الولاة في عهد أبي جعفر المنصور [ص ٢٠٠ -
 ٢٠٢ ج ٣] وقد كانت غالبية ولاة وأمراء الولايات والأقاليم في أرجاء الدولة من اليمانيين . . .

الخبر عن ولاة وولاية السند

كان أبو العباس السفاح ولي على السند منصور بن جمهور [٤٦]. ثم بلغ السفاح انتقاض منصور بن جمهور بالسند فبعث صاحب شرطته موسى بن كعب - في سنة أربع وثلاثين - لقتال منصور بن جمهور وولاه على السند مكانه [٤٦]. ومات موسى بن كعب بالسند - سنة أربعين - وولى مكانه ابنه عيينة فانتقض فبعث المنصور مكانه عمر بن حفص بن أبي صفرة .

انتقاض عيينة وتولية عمر بن حفص على السند [٤٧]

في سنة اثنتين وأربعين انتقض عيينة بن موسى بن كعب بالسند وكان عاملاً عليها من بعد أبيه، وكان أبوه يستخلف المسيب بن زهير على الشرطة فخشي المسيب إن حضر عيينة عند المنصور أن يوليه على الشرطة، فحذره المنصور وحرضه على الخلاف فخلع الطاعة، وسار المنصور إلى البصرة وسرح من هنالك عمر بن حفص بن أبي صفرة العتكي لحرب عيينة وولاه على السند والهند فورد السند وغلب عليها، [اه].

ولاية عمر بن حفص ثم هشام بن عمر على السند (٤٧)

كان على السند أيام المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة ويُلقب مرامي ألف رجل [٤٨] ولما كان أمر خروج محمد

[٤٦] - تقدم الخبر عن الأمير اليماني (منصور بن جمهور الكلبي) وأنه تغلب على بلاد السند واستقل بحكمها في خلافة مروان بن محمد وآخر الدولة الأموية. . . وقد ذكر ابن خلدون في أخبار الولاة أن أبا العباس السفاح ولي منصور بن جمهور على السند فأوردنا ما ذكره ابن خلدون عن ذلك في خبر الولاة [ص ١٧٩ و ٢٠٠ ج ٣].

وقال البلاذري «لما كان أول الدولة العباسية بعث أبو مسلم الخرساني عبد الرحمن بن مسلم العبدي، وولاه السند، وسار حتى وصل إلى منصور بن جمهور الكلبي وهو بالسند فلقبه منصور فقتله وهزم جنده، فلما بلغ أبا مسلم ذلك عقد لموسى بن كعب التميمي ثم وجهه إلى السند فلما قدمها كان بينه وبين منصور بن جمهور نهر مهران، ثم التقيا فهزم منصوراً وجيشه، وخرج منصور مفلولاً حتى ورد الرمل فمات عطشاً» [ص ٤٣١ فتوح البلدان].

[٤٧] - أورد ابن خلدون خبر انتقاض عيينة وتولية عمر بن حفص في أخبار عهد المنصور (ص ١٨٧ ج ٣) فأوردناه هنا لتتربط الأحداث ثم أوردنا خبر ولاية عمر بن حفص ثم هشام بن عمر (ص ١٩٨ ج ٣) ليتكامل الخبر عن ولاة وولاية السند.

[٤٨] - هو الأمير اليماني عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة العتكي الأزدي، =

المهدي^[٤٩] بعث ابنه عبد الله الأشتر إلى البصرة ليدعو له فسار من هنالك إلى عمر بن حفص وكان يتشيع فأهدى له خيلاً ليتمكن بها من لقائه، ثم دعاه فأجاب وبأيع له وأنزله عنده مختفياً ودعا القواد وأهل البلاد فأجابوا، فمزق الاعلام وهياً لبسة من البياض يخطب فيها، وهو في ذلك إذ فاجأه الخبر بقتل المهدي فدخل على ابنه أشتر وعزاه، فقال له: الله في دمي، فأشار عليه عمر بن حفص باللحاق بملك من ملوك السند عظيم المملكة وكان معروفاً بالوفاء فأرسله إليه بعد أن عاهده عليه واستقر عند ذلك الملك وتسلسل إليه جماعة من الزيدية نحواً من أربعمائة، وبلغ ذلك المنصور فغاظه . . وولى هشام بن عمر الثعلبي على السند وعزل عمر بن حفص عنها ثم حدث فتق بأفريقية فبعثه إليها^[٥٠].

إحداث فتنة بين اليمانية والمضرية . . وبناء الرصافة للمهدي^[٥١]

لما رجع المهدي من خراسان قدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة والبصرة فأجازهم وكساهم وجملهم، وكذلك أبو جعفر المنصور^[٥٢]، ثم شعب عليهم الجند فأشار عليهم قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بأن يفرق بينهم ويستكفيه في ذلك، وأمر بعض غلمانه أن يعترضه بدار الخلافة ويسأله بحق الله

= وكان عمر بن حفص يلقب «هزار مرد» - بالفارسية - أي «مرامي ألف رجل» كما قال ابن خلدون، وتولى عمر بن حفص بلاد السند عام ١٤٢هـ إلى عام ١٥١ هجرية.

[٤٩] - المقصود محمد بن الحسن الطالبي الذي خرج على المنصور وشملت حركته مناطقاً عديدة حتى مقتله.

[٥٠] - تقدم في خبر الولاية أن ولاية عمر بن حفص على السند إلى عام ١٥١هـ ثم عزله المنصور عن السند وولاه شمال أفريقية عام ١٥١هـ فمكث والياً عليها حتى وفاته عام ١٥٤هـ ثم تولى السند في خلافة المهدي - عام ١٦٠هـ - الأمير اليميني روح بن حاتم المهلبى (١٦٠ - ١٦٢هـ) ثم المغيرة المهلبى (إلى ١٨٣هـ) ثم داود بن يزيد بن حاتم (١٨٤ - ٢٠٥هـ) كما سيأتي.

[٥١] - انتقل ابن خلدون بعد ذكر خبر ولاية السند إلى ذكر (بناء الرصافة للمهدي) [ص ١٩٩ ج ٣] - فذكر واقعة قيام قثم بن عباس بإشعال فتنة بين اليمانية والمضرية، فأوردناه لاتصال ذلك باليمن، ثم ذكر خبر مقتل معن بن زائدة [ص ١٩٩ ج ٣] فأوردنا ذلك لأن مقتل معن بن زائدة كان بسبب ما اقترفه أثناء ولايته لليمن.

[٥٢] - كانت عودة المهدي بن أبي جعفر المنصور من خراسان عام ١٤٩هـ ثم تولى خراسان الأمير اليميني حميد بن قحطبة الطائي عام ١٥١ - ١٥٩هـ.

ورسله والعباس وأمير المؤمنين أبي الحسين: من أشرف اليمن أم مضر، فقال مضر، كان منها رسول الله ﷺ وفيها كتاب الله وعندها بيت الله ومنها خليفة الله، فغضبت اليمن إذ لم يذكر لها فضلاً، ثم كبح بعضهم بغلة قثم فامتنت مضر وقطعوا الذي كبحها فتشاجر الحيان، وتعصبت لليمن ربيعة، والخرسانية للدولة، وأصبحوا أربع فرق، وقال قثم للمنصور أضرب كل واحدة بالأخرى، . . فقبل رأيه، وأمر صالحاً صاحب المصلى ببناء الرصافة للمهدي (٥٢).

مقتل معن بن زائدة [٥٣]

كان المنصور قد ولى على سجستان معن بن زائدة الشيباني، وأرسل إلى رتبيل في الضريرة التي عليه فبعث بها عروضاً زائدة الثمن، فغضب معن وسار إلى الرجح وعلى مقدمته يزيد ابن أخيه يزيد ففتحها وسبى أهلها وقتلهم، ومضى رتبيل إلى عزمه وانصرف معن إلى بست فشتى بها، ونكر قوم من الخوارج سيرته فهجموا عليه وقتكوا به في بيته [٥٤]، وقام يزيد بأمر سجستان وقتل قاتليه [٥٥] واشتدت على

[٥٣] - كان معن بن زائدة الشيباني من قبيلة ربيعة حلفاء اليمن، وولاه أبو جعفر المنصور على اليمن بعد (عبد الله بن الربيع الحارثي الذي كان والياً لليمن ١٣٧هـ - ١٤٢هـ) وكانت اليمن قد شهدت اندلاع حركة أباضية واسعة بقيادة عمرو بن يزيد الأشباوي الحضرمي كما وقعت حركة بصعدة بقيادة (عمر بن زيد الغالبي الخولاني) فولى أبو جعفر المنصور معن بن زائدة على اليمن وقال له «قد وليتك اليمن فأبسط السيف فيهم» - يعني في الخارجيين على الدولة - فقدم معن إلى اليمن وتولاها عام ١٤٣هـ إلى ١٥١هـ وفتك بالأباضية وغيرهم وامتدت المعارك التي خاضها من صعدة إلى حضرموت حيث ذكر الهمداني أن «محمد بن أبان الخنفري قاوم معن بن زائدة بصعدة وأخذ بثأر عمر الغالبي لأن معن قتله في المنضح» وكانت لمعن باليمن أيام وعليه أيام [ص ٤٠١ شرح الدامغة] وشهدت حضرموت معارك عنيفة بين معن بن زائدة وبين عمرو بن يزيد الحضرمي انتهت بمقتل عمرو بن يزيد في شبام، ثم ولاه أبو جعفر المنصور سجستان عام ١٥١هـ.

[٥٤] - الخوارج اللذان قتلوا معن بن زائدة بسجستان إنما هما عمرو بن يزيد الأشباوي الحضرمي وأخوه، لحقا به من اليمن للثأر بأبيهما فتنكرا بشخصية عمال بناء إلى أن قاما بقتل معن بن زائدة في بيته بسجستان عام ١٥١هـ وقيل عام ١٥٢هـ وتفاصيل ذلك في شرح الدامغة.

[٥٥] - الصواب أن عمرو بن يزيد وأخاه قتلا معن بن زائدة وعادا إلى حضرموت باليمن، وقيل في ذلك قصائد كثيرة منها قول ابن الصعقب النهدي:

فما الفتك إلا كفتك ابن عمرو وقد لدف في الروع روعاً قرينا
فأصبح في أهله راضياً وقد قر بالفتك منها العيون =

أهل البلاد وطأته، فتحيل بعضهم بأن كتب إلى المنصور على لسانه كتاباً يتضجر من كتب المهدي إليه ويسأله أن يعفى من معاملته، فأغضب ذلك المنصور وأقرأ المهدي كتابه وعزله وحبسه ثم شفع فيه شخص إلى مدينة السلام فلم يزل مجفواً حتى بُعث إلى يوسف البرم بخراسان. [اه].

خبر الصوائف [٥٦]

كان أمر الصوائف قد انقطع منذ سنة ثلاثين ومائة بما وقع من الفتن، فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين أقبل قسطنطين ملك الروم إلى ملطية ونواحيها فنازل حصن (كمخ) [٥٧]، واستنجدوا أهل ملطية فأمدوهم بثمانمائة مقاتل فهزمهم الروم وحاصروا ملطية، والجزيرة (مفتونة) [٥٧] وعاملها موسى بن كعب (بحران) [٥٧] فسلموا البلد على الأمان لقسطنطين ودخلوا إلى الجزيرة، وخرب الروم ملطية ثم ساروا إلى (قالقلا) ففتحوها [٥٧]، . .

. . وبعث صالح بن علي من فلسطين سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدروب [٥٨]، وفي سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم فأخذ ملطية عنوة

= ثم ولى أبو جعفر المنصور على اليمن يزيد بن منصور الحميري فاستقرت أحوال اليمن وسادها العدل والاستقرار في عهده.

[٥٦] - أقرد ابن خلدون خبر الصوائف [ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ج ٣] بعد حديثه عن الولاة . . والصوائف هي الغزوات الصيفية من ثغور الشام إلى بلاد الروم في غرب وشمال تركيا حالياً.

[٥٧] - جاء في الأصل بتاريخ ابن خلدون تصحيف من الناسخين غالباً كما يلي:

أ - « . . فنازل حصن بلخ » (اه) والصواب « حصن كمخ » كما في تاريخ البلاذري [ص ١٩٠ فتوح البلدان].

ب - « . . والجزيرة مفتونة » (اه) والصواب كما في تاريخ البلاذري « والجزيرة يومئذ مفتونة » [ص ١٩٠].

ج - « وعاملها موسى بن كعب بخراسان » والصواب « وعاملها موسى بن كعب بحران » [ص ١٩٠ ف. ب] وهو الأمير اليمني موسى بن كعب الخثعمي أمير الجزيرة الفراتية وثغورها آنذاك.

د - « ثم ساروا إلى قالقلا وفتحوها » (اه) وفي تاريخ البلاذري « وهدم الروم ملطية . . وهدموا حصن قلوذيه » [اه].

[٥٨] - قال البلاذري « كتب المنصور إل صالح بن علي يأمره ببناء ملطية وتحصينها في سنة تسع وثلاثين » فيكون ذلك بعد غزو قسطنطين ملك الروم لملطية - بثغور الشام - وهدمه إياها عام ١٣٨هـ، وبالتالي عام ١٣٩هـ.

وهدم سورها وعفا عن أهلها^(٥٨) فغزا العباس بن محمد الصائفة ومعه عماء صالح وعيسى، وبنى ما خربه الروم من سور ملطية ورد إليها أهلها وأنزل بها الجند^(٥٨) ودخل دار الحرب من (درب الحدث) وتوغل في أرضهم ودخل جعفر بن حنظلة البهرائي من درب ملطية^[٥٩]، وفي سنة تسع وثلاثين كان الفداء بين المسلمين والروم في أسرى قاليقلا وغيرهم^[٦٠]، ثم غزا بالصائفة سنة أربعين ومائة عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ومعه الحسن بن قحطبة، وسار إليهم قسطنطين ملك الروم في مائة ألف فبلغ جيحان وسمع كثرة المسلمين فأحجم عنهم ورجع^[٦١]، ولم تكن بعدها صائفة إلى سنة ست وأربعين لاشتغال المنصور بفتنة بني حسن،

[٥٩] - كان الأمير اليميني الحسن بن قحطبة الطائي صاحب الدور الرئيسي في إعادة بناء ملطية حيث كما ذكر البلاذري: «وجه المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والياً على الجزيرة وثغورها ومعه الحسن بن قحطبة الطائي في الجنود، فقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة فتوافى معه سبعون ألفاً فعسكر على ملطية - سنة ١٤٠هـ - فأخذ في بناء ملطية، وكان الحسن بن قحطبة ربما حمل الحجر حتى يناوله البناء وجعل يغذي الناس ويعشيهم من ماله مبرزاً مطابخه، فغاظ ذلك عبد الوهاب فكتب إلى أبي جعفر يعلمه أنه يطعم الناس وأن الحسن يطعم أضعاف ذلك التماساً لأن يطوله. وأن له منادين ينادون الناس إلى طعامه، فكتب إليه أبو جعفر: إن الحسن يطعم من ماله وتطعم من مالي، وما كتبت إلا من قلة همتك وسفه رأيك. وكتب إلى الحسن أن أطمع الناس ولا تتخذ منادياً، فكان الحسن يقول من سبق إلى شرفة فله كذا، فجد الناس في العمل حتى فرغوا من بناء ملطية ومسجدها في ستة أشهر، وبنى للجند الذي أسكنوها لكل عرافة [أي لكل عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلاً] بيتان سفليان وعلتتان فوقهما واصطبل، وبنى لها - أي لملطية - مسلحة على ثلاثين ميلاً منها، ومسلحة على نهر يدعى قباقب يدفع في الفرات. . وبنى حصن قلوذيه (اهـ)»

[٦٠] - هو القائد اليميني جعفر بن حنظلة البهرائي القضاعي الحميري، من قبيلة بهراء التي قال الشاعر مثلم بن قرط البلوي:

«بلي وبهراء وخولان إخوة لعمر وابن حاف فرع من قد تفرعا»

فغزا جعفر البهرائي بلاد الروم من درب ملطية بينما غزاها صاحبه من (درب الحدث) وكان في الأصل (درب الحرث) فصبوبناه وكان (درب الحدث) من أهم دروب ثغور الشام إلى بلاد الروم [ص ١٩٣ - ١٩٥ فتوح البلدان].

[٦١] - كان الأمير اليميني القائد الحسن بن قحطبة الطائي أميراً قائداً وعبد الوهاب بن إبراهيم العباسي والياً، حيث كما ذكر البلاذري: «أقبل قسطنطين الطاغية ملك الروم في أكثر من مائة ألف فنزل (نهر) جيحان، فبلغه كثرة العرب فأحجم عنها» وكان مع عبد الوهاب في تلك الغزاة نصر بن مالك الخزاعي اليماني ونصر بن سعد الكاتب مولى الأئصار، فقال:

تكنفك النصران: نصر ابن مالك ونصر ابن سعد، عز نصرك من نصر

وفي سنة ست وأربعين خرج الترك والخزر من باب الأبواب وانتهوا إلى أرمينية وقتلوا من أهلها جماعة ورجعوا، وفي سنة سبع وأربعين أغار استرخان الخوارزمي في جمع من الترك على أرمينية فغنم وسبى ودخل تفليس فعاث فيها، وكان حرب بن عبد الله مقيماً بالموصل في ألفين من الجند، فأمره المنصور بالمسير لحرب الترك مع جبريل بن يحيى فانهمزوا، وقُتل حرب في كثير من المسلمين^[٦٢]، وفيها - أي سنة ست وأربعين ومائة - غزا بالصائفة مالك بن عبد الله الخثعمي من أهل فلسطين ويقال له ملك الصوائف^[٦٣]، فغنم غنائم كثيرة وقسمها بدرب الحدث^[٦٤]، وفي سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة العباس بن محمد ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث فدخلوا أرض الروم وعاثوا ورجعوا، ومات محمد بن الأشعث في طريقه في سنة إحدى وخمسين^[٦٥]، . . وفي سنة خمس وخمسين طلب ملك الروم الصلح على أن يؤدي الجزية، وغزا بالصائفة يزيد بن أسيد السلمي، وغزا بالصائفة سنة ست وخمسين معيوف بن يحيى من درب الحدث ولقي العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا^[٦٦]، وفي سنة ثمان وخمسين توفي

[٦٢] - ثم تولى أرمينية الأمير اليميني الحسن بن قحطبة الطائي، والمقصود بأرمينية هي بلاد القوقاز التي تشمل أرمينية وأذربيجان وداغستان وجورجيا وعاصمتها تفليس، وتليها بلاد الخزر بأعالي القوقاز وجهات روسيا حالياً، قال البلاذري «انتقض أهل أرمينية في ولاية الحسن بن قحطبة الطائي وكان رئيسهم موشائيل الأرمني فبعث إليه أبو جعفر المنصور الإمداد وعليهم عامر بن إسماعيل (المدحجي) فواقع الحسن موشائيل فقتل وقُضت جموعه واستقامت الأمور للحسن بن قحطبة الطائي، وهو الذي ينسب إليه نهر الحسن بالبيلقان، والباغ الذي يُعرف بباغ الحسن بمدينة بردعة، والضياع المعروفة بالحسنية» [ص ٢١٢/فتوح البلدان].

[٦٣] - هو الأمير اليميني القائد مالك بن عبد الله الخثعمي وكان من القادة اليمينيين بفلسطين ثم تولى إمرة وقيادة الصوائف، قال البلاذري «... ويقال له مالك الصوائف، غزا بلاد الروم سنة ست وأربعين ومائة وغنم غنائم كثيرة» [ص ١٩٥].

[٦٤] - جاء في الأصل (وقسمها بدرب الحرث) والصواب (درب الحدث) قال البلاذري: «قتل مالك بن عبد الله الخثعمي من غزو بلاد الروم، فلما كان من درب الحدث على خمسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرهوة أقام فيها ثلاثاً فقسم سهام الغنائم، فسميت تلك الرهوة رهوة مالك» [ص ٩٥/فتوح البلدان].

[٦٥] - هو الأمير اليميني محمد بن الأشعث الخزاعي، الذي كان والياً لشمال أفريقيا (بلاد المغرب) ثم تولى مصر (١٤١هـ) ثم بلاد المغرب (إلى ١٤٨هـ) ثم شارك في قيادة غزوات الصوائف إلى بلاد الروم (١٤٩ - ١٥١هـ) ومات في عودته منها عام ١٥١هـ.

[٦٦] - تولى بعد ذلك إمرة الشغور وقيادة الصوائف الأمير اليميني الحسن بن قحطبة الطائي في =

أبو جعفر المنصور منصرفاً من الحج ببئر ميمون لستّ خلت من ذي الحجة، [أه]. .

.. في خلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور [٦٧]

«لما مات أبو جعفر المنصور منصرفاً من الحج ببئر ميمون في السادس من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، لم يحضر (موته) إلا خدمه والربيع مولاه فكتموا الأمر، ثم غدا أهل بيته على عادتهم فدعا عيسى بن علي العم ثم عيسى بن موسى بن محمد ولي العهد ثم الأكابر وذوي الأنساب ثم عامتهم فبايعهم الربيع للمهدي^(٦٧) - وبايع موسى بن المهدي - الناس -

= خلافة المهدي - عام ١٦١هـ - وكان ميخائيل الرومي غزا في ثمانين ألفاً فبلغ عمق مرعش فقتل وأحرق وسبى من المسلمين، وقتل ثمانية العيسى وكان قد تولى الصائفة، «فوجه المهدي - سنة إحدى وستين - الحسن بن قحطبة فساح في بلاد الروم فثقلت وطأته على أهلها حتى صوروه في كنائسهم، وكان دخول الحسن - إلى بلاد الروم - من درب الحدث فنظر إلى موضع مدينتها فأخبر أن ميخائيل خرج منه فارتاد الحسن موضع مدينته هناك، فلما انصرف كلم المهدي في بنائها وبناء طرسوس، فأمر المهدي بتقديم بناء مدينة الحدث» وتولى علي بن سليمان إنشاء مدينة الحدث وكان بناؤها باللبن وتوفي المهدي مع فراغهم من بنائها سنة ١٦٩هـ [ص ١٩٤ فتوح البلدان للبلاذري].

[٦٧] - هو ثالث الخلفاء العباسيين محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور «ويكنى المهدي أبا عبد الله، وأمه أروى بنت منصور بن عبد الله الحميري سليل ذي رعين وذو الجناح من ملوك حمير» [ص ٣١٩ مروج الذهب + ص ١٢٣ قرة العيون]. [وقد أورد ابن خلدون خبر موت أبي جعفر المنصور وبيعة المهدي [ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ج٢] فأوجزنا نقل جوهر ما ذكره عن ذلك إلى أخذ البيعة له بمكة، - في الفقرات الأولى - ثم نص كلام ابن خلدون من قوله «ثم بعث موسى بن المهدي . . الخ».

(**) وكانت مبايعة المهدي وبدء خلافته في أواسط ذي الحجة ١٥٨هـ - ودامت خلافته إلى عام ١٦٩هـ - وكان والي اليمن لما تولى المهدي الخلافة هو الأمير اليميني يزيد بن منصور الحميري (١٥٣ - ١٥٩هـ) - خال المهدي - فمكث يزيد بن منصور والياً لليمن إلى أواخر عام ١٥٩هـ حيث كما ذكر الطبري: «انصرف يزيد بن منصور بكتاب المهدي إليه يأمره بالانصراف إليه وتوليته الموسم - موسم الحج - وإعلامه باشتياقه إليه وإلى قربه» [ص ٣٣٠ ج٩/ تاريخ الطبري] وقال ابن كثير: «حج بالناس سنة تسع وخمسين يزيد بن منصور الحميري وكان والياً للمهدي على اليمن فولاه الموسم واستقدمه عليه شوقاً إليه» [ص ١٣٢ ج٩/ البداية والنهاية] - فاستخلف يزيد بن منصور على اليمن عبد الخالق بن محمد الشهابي الصنعاني الحميري فتولاها حتى تولية رجاء بن روح بن زنباع (عام ١٦٠هـ كما سيأتي في حديث ابن خلدون عن الولاة) كما تولى اليمن (منصور بن يزيد بن منصور الحميري ١٦٤ - ١٦٥هـ).

لأبيه في مكة»، - [اه].. ثم بعث موسى بن المهدي والربيع بالخبر والبردة والقضيب وخاتم الخلافة إلى المهدي وخرجوا من مكة، ولما وصل الخبر إلى المهدي منتصف ذي الحجة اجتمع إليه أهل بغداد وبايعوه، وكان أول ما فعله المهدي حين بويع أنه أطلق من كان في حبس المنصور إلا من كان دم أو مال أو ممن يسعى بالفساد، وكان فيمن أطلق يعقوب بن داود وكان محبوساً مع الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن، فلما أطلق ساء ظن الحسن بن إبراهيم وبعث إلى من يثق به بحفر سرب يفضي إلى محبسه وبلغ ذلك يعقوب بن داود فجاء إلى ابن علاثة القاضي وأوصله إلى أبي عبيد الله الوزير^[٦٨] ليوصله إلى المهدي فأوصله واستخلاه فلم يحدثه حتى قام الوزير والقاضي وأخبره بتحقيق الحال، فأمر بتحويل الحسن ثم هرب بعد ذلك ولم يظفر به وشاور يعقوب بن داود في أمره فقال: أعطه الأمان وأنا أحضره، وأحضره، ثم طلب من المهدي أن يجعل له السبيل في دفع أمور الناس وراء بابه إليه فأذن له.. ثم تقدمت منزلته وسقطت منزلة أبي عبيد الله^(٦٨)، .. [اه].

(**) قال الأصفهاني في كتاب الأغاني «وكان المهدي محباً لأخواله» واجتمع في مجلس المهدي ذات مرة أبو محمد اليزيدي النحوي والكسائي النحوي وغيرهم «فقال أبو محمد اليزيدي للمهدي: يا أمير المؤمنين كيف يُنشد البيت الثالث في هذه الأبيات:

يا أيها السائلي لأخبره عمن بصنعاء من ذوي الحسب
حميرُ سادتها تُقرُّ لها بالفضل طُراً ججاج العرب
وإن من خيرهم وأكرمهم أو خيرهم نية أبو كرب

فقال المهدي: كيف تنشده أنت؟ قال أبو محمد: أو خيرهم نية أبو كرب، على إعادة إن - كأنه قال إن خيرهم نية أبو كرب. فقال الكسائي: هو والله قالها الساعة. فتبسم المهدي وقال للكسائي: إنك لتشهد لأبي محمد وما تدري» [ص ٧٧ - ج ١٨/ الأغاني] - وأبو كرب هو يزيد بن منصور الحميري أو منصور بن يزيد بن منصور الحميري وكان يزيد والياً على اليمن ومقيماً بصنعاء - عام ١٥٨هـ - ثم كان منصور بن يزيد والياً على اليمن ومقيماً بصنعاء عام ١٦٤ - ١٦٥هـ.

[٦٨] - هو الوزير أبا عبيد الله معاوية بن عبد الله الأشعري اليماني، وزير الخليفة المهدي إلى عام ١٦١هـ ثم أقصاه المهدي كما سيأتي خبر ابن خلدون عن ذلك بعنوان «نكبة الوزير أبي عبيد الله الأشعري».

(**) وأبو عبيد الله الأشعري هو «جد محمد عبد الوهاب الكاتب المشهور» [ص ٣٢٢ ج ٣/ مروج الذهب].

نكبة الوزير أبي عبيد الله الأشعري [٦٩]

كان أبو عبيد الله الأشعري قد اتصل بالمهدي أيام أبيه المنصور، فلطفت عنده منزلته واستوزره وسار معه إلى خراسان^[٧٠]، وعظمت به بطانة المهدي فأكثروا فيه السعاية، وكان الربيع يدرأ عنه ويعرض كتبه على المنصور ويحسن القول فيه، فكتب المنصور إلى المهدي بالوصاية به وأن لا يقبل فيه السعاية، ولما مات المنصور وقام الربيع ببيعة المهدي وقدموا إلى بغداد، جاء الربيع إلى باب أبي عبيد الله الأشعري قبل المهدي، فعذله ابنه الفضل (ابن الربيع) على ذلك، فقال هو صاحب الرجل وينبغي أن نعامله بغير ما كنا نعامله وإياك أن تذكر ما كنا نصنع في حقه أو تمنن بذلك في نفسك، فلما وقف ببابه أمهله طويلاً من المغرب إلى العشاء، ثم أذن له فدخل عليه وهو متكئ فلم يجلس ولا أقبل عليه، وشرع الربيع يذكر أمر البيعة، فكفه، وقال: قد بلغنا أمركم، فلما خرج استطال عليه ابنه الفضل بالعدل فيما فعل بأنه لم يكن الصواب، فقال له: ليس الصواب إلا ما عملته، ولكن والله لأنفقن مالي وجاهي في مكروهه، وجدّ (الربيع) في السعاية فيه فلم يجد طريقاً إليها لاحتياظه في أمر دينه وأعماله، فأتاه من قبل ابنه محمد ودس إلى المهدي بعرضه لحرمة وأنه زنديق، حتى إذا استحكمت التهمة فيه أحضره المهدي، في غيبة من أبيه، ثم قال له: اقرأ - (آي من القرآن) - فلم يحسن، فقال لأبيه: ألم تقل إن ابنك يقرأ القرآن، فقال: فارقني منذ سنين وقد نسي، فأمر به المهدي فقتل، واستوحش من أبي عبيد الله وساءت منزلته إلى أن عزله عن ديوان الرسائل ورده إلى الربيع، وارتفعت منزلة يعقوب بن داود عند المهدي وعظم شأنه، فاستوزره المهدي، وأنفذ عهده إلى جميع الآفاق بوضع الأماناء ليعقوب وكان لا ينفذ كتاب المهدي حتى يكتب يعقوب إلى يمينه بإنفاذ ذلك.

. . فلما استوزره المهدي جمع الزيدية وولاهم شرقاً وغرباً^[٧١]، وكثرت

[٦٩] - بما أن ابن خلدون ذكر الوزير أبا عبيد الله الأشعري ويعقوب بن داود في خبر مبايعة المهدي بالخلافة - كما تقدم - استصوبنا إيراد كلامه عن نكبة الوزير أبي عبيد الله [ص ٢٠٩] ثم نكبة يعقوب بن داود [ص ٢١١] هذا لترباط الأبناء.

[٧٠] - كان مسير المهدي إلى خراسان في عهد أبيه - عام ١٤١هـ - كما تقدم، فتكون وزارة أبي عبيد الله للمهدي بدأت منذ ذلك الحين كوزير لولي العهد (١٤١ - ١٥٨هـ) ثم وزيراً له بعد صيرورته خليفة (١٥٨ - ١٦١هـ).

[٧١] - كان يعقوب بن داود بن طهمان شيعياً من أهل خراسان يميل إلى الزيدية وكان في السجن فأطلقه المهدي كما تقدم خبر ذلك ثم استوزره عام ١٦٢هـ، ثم كان من أمره ما =

السعاية فيه من البطانة بذلك وبغيره، وكان المهدي يقبل سعائتهم حتى يروا أنها قد تمكنت، فإذا غداً عليه تبسم. وكان المهدي مشتهراً بالنساء فيخوض معه في ذلك وفيما يناسبه، وسامره في بعض الليالي وجاء ليركب دابته وقد نام الغلام، فلما ركب نفرت الدابة من قعقة ردائه فسقط ورمحته فانكسر، فانقطع عن المهدي وتمكن أعداؤه من السعاية حتى سخطه وأمر به فحبس، وحبس عماله وأصحابه، . . وبقي - محبوساً - أيام المهدي والهادي، ثم أُخرج وقد عمي وسأل من الرشيد المقام بمكة فأذن له» [اه].

الولاية أيام المهدي

عزل المهدي سنة تسع وخمسين عمه إسماعيل عن الكوفة وولى عليها إسحاق بن الصباح الكندي ثم الأشعثي^[٧٢] . . . وعزل قثم بن عباس عن اليمامة وولى مكانه الفضل بن صالح، وعزل مطراً مولى المنصور عن مصر وولى مكانه أبا ضمرة محمد بن سليمان^[٧٣]، وعزل عبد الصمد بن علي عن المدينة وولى مكانه محمد بن عبد الله الكثيري ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن محمد بن عبد

= ذكره ابن خلدون عن (نكبة الوزير يعقوب) عام ١٦٦هـ كما أوردناه هنا.
[٧٢] - هو الأمير اليماني إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي، أمير الكوفة وما كان إليها بالعراق إلى بلاد فارس من عام ١٥٩هـ (إلى ١٦٧هـ أو ١٦٩هـ) ووهب إسحاق بن الصباح للشاعر نصيب جارية حسناء، فقال نصيب:
« . . ظفرت بها من أشعثي مُهذب أغرطويل الباع، جَم المواهب
فدأ لك يا إسحاق كلُّ مُبخلٍ ضجور، إذا عضت شداد النواهب . .
الخ [ص ٣٣ ج ٢٠/ الأغاني].

وكان الشاعر نصيب مولى المهدي يفد من الحجاز إلى إسحاق بن الصباح الكندي بالكوفة بين حين وآخر، وقال نصيب مادحاً إياه:

«فتى من بني الصباح يهتئ للندى كما اهتئ مسنون الغرار عتيق
.. وإن عُدَّ أنساب الملوك وجدته إلى نسب يعلوهم ويفوق
.. وما في بني الصباح إن بعد المدى على الناس إلا سابق وعريق . .
الخ. القصيدة ص ٣٣ ج ٢٠ - الأغاني].

[٧٣] - كان الأمير اليماني محمد بن عبد الرحمن السكوني هو والي مصر (عام ١٥٥ - ١٦١هـ) كما في كتاب ولاية مصر وكتاب الجامع، مما يوحى بأن مطراً مولى المنصور إنما كان يتولى بعض الدواوين ثم تولى مصر (ح/ عام ١٦١هـ) ثم تولى مصر محمد بن سليمان هذا (عام ١٦١هـ) ثم - كما ذكر ابن خلدون في فقرة لاحقة - «عزل المهدي محمد بن سليمان عن مصر وولى مكانه سلمة بن رجاء» وهو الأمير اليمني سلمة بن رجاء.

الرحمن بن صفوان ثم عزله وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالي، وتوفي معبد بن الخليل عامل السند فولى مكانه روح بن حاتم بإشارة وزيره أبي عبيد الله [٧٤]، وتوفي حميد بن قحطبة بخراسان [٧٥] فولى عليها مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد ثم سخطه سنة ستين فعزله [٧٦] وولى معاذ بن مسلم، وولى على سجستان حمزة بن يحيى وعلى سمرقند جبريل بن يحيى فبنى سورها وحصنها، وكان عن اليمن رجاء بن روح [٧٧]، (وفي سنة ستين) ولى المهدي على قضاء الكوفة شريك بن عبد الله النخعي [٧٨]، وولى على فارس والأهواز ودجلة قاضي البصرة عبيد الله بن الحسن ثم عزله وولى مكانه محمد بن سليمان، وولى على السند

[٧٤] - هو الأمير اليماني روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدى، تولى بلاد السند (عام ١٥٩هـ و ١٦٠هـ إلى ١٦١هـ) وكان أخوه: الأمير يزيد بن حاتم والياً لشمال أفريقيا (بلاد المغرب العربي بأكملها) منذ عام ١٥٤هـ وطيلة خلافة المهدي إلى أن توفي بها عام ١٧٠هـ وقد تولى روح بن حاتم البصرة بعد ولايته للسند كما يأتي.

[٧٥] - هو الأمير اليماني حميد بن قحطبة الطائي والي بلاد خراسان وما وراء النهر منذ عام ١٥٠هـ إلى وفاته بخراسان عام ١٥٩هـ.

[٧٦] - هو الأمير اليماني أبو عون عبد الملك بن يزيد المهلب الأزدى، كان له دور كبير في القضاء على الدولة الأموية وهزيمة مروان بن محمد في موقعة الزاب إلى هلاك مروان بمصر - عام ١٣٢هـ - ثم تولى أبو عون مصر وكان أول ولايتها في العصر العباسي، ثم تولى مهام قيادية في أوائل خلافة المهدي، ثم تولى خراسان وما وراء النهر عام ١٥٩هـ - ١٦٠هـ، وكان أبو عون قد تقدم في السن فأعفاه المهدي من الولاية فعاد أبو عون إلى البصرة وأقام بها، وذكر الطبري «أن أبا عون مرض فعاده المهدي فإذا منزل متواضع، فجلس المهدي على وسادة بين يدي أبي عون، فبره المهدي وتوجع لعلته وقال له: أوصني بحاجتك وسلني ما أردت واحتكم في حياتك ومماتك. . فشكره أبو عون وقال: يا أمير المؤمنين حاجتي أن ترضى عن عبد الله بن أبي عون. . فلما انصرف المهدي من منزل أبي عون قال لبعض من كان معه: لا تكونوا مثل أبي عون، والله ما كنت أظن منزله إلا مبيتاً من الذهب والفضة، وأنتم إذا وجدتم بنيتم بالساج والذهب» [ص ١٧ ج ١٠] ومات أبي عون بالبصرة ما بين عام ١٦١ و ١٦٥هـ.

[٧٧] - هو والي اليمن الأمير اليماني رجاء بن روح بن زنباع الجذامي، تولى رجاء اليمن بعد (عبد الخالق الشهابي الذي كان يزيد بن منصور الحميري استخلفه على اليمن لما صار إلى المهدي في ذي الحجة ١٥٩) - كما تقدم - ثم ولى المهدي على اليمن رجاء بن روح بن زنباع - عام ١٦٠هـ - فتولى اليمن «ثلاثة عشر شهراً» - إلى أواسط ١٦١هـ - وكان رجاء قد بلغ من الكبر عتياً.

[٧٨] - هو القاضي شريك بن عبد الله النخعي المذحجي اليماني، وكان من أعلام القضاة أيضاً القاضي عافية بن يزيد الأزدى.

بسظام بن عمر، وولى على اليمامة بشرا بن المنذر^[٧٩]، وفي سنة إحدى وستين ولى على السند نصر بن محمد بن الأشعث^[٨٠]، واستقضى عافية القاضي مع ابن علاثة بالرصافة^(٧٨).. وولى عيسى بن لقمان على مصر، ويزيد بن منصور على سواد الكوفة^[٨١]، وحسان السروري على الموصل، وبسظام بن عمر الثعلبي على أذربيجان وعزله من السند.

.. (وفي سنة إحدى وستين) عزل المهدي محمد بن سليمان أبا ضمرة عن مصر وولى مكانه سلمة بن رجاء وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور^(٨١)، وعلى أحداثها إسحاق بن منصور، وولى على اليمن محمد بن سليمان^[٨٢]، (وفي سنة ثلاث وستين) عزل علي بن سليمان عن اليمن وولى مكانه عبد الله بن سليمان^(٨٢)

[٧٩] - هو الأمير اليميني بشر بن المنذر البجلي أمير اليمامة والعروض من عام ١٦٠هـ وهو من أحفاد الصحابي اليميني جرير بن عبد الله البجلي.

[٨٠] - هو الأمير اليميني نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي والي بلاد السند (١٦١ - ١٦٥هـ) وكان روح بن حاتم المهلبى والياً للسند (١٥٩ - ١٦١هـ) ثم تولاه لعدة أشهر بسظام بن عمر، ثم نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي إلى وفاته عام ١٦٥هـ. وجاء في الأصل (محمد بن الأشعث) والصواب (نصر بن محمد بن الأشعث) وأما محمد بن الأشعث فقد مات عام ١٥١هـ كما تقدم.

[٨١] - هو الأمير اليميني يزيد بن منصور الحميري، وكان والياً لليمن (١٥٣ - ١٥٩هـ) ثم استقدمه المهدي لاشتياقه إليه - وهو خال المهدي كما تقدم - فأقام بمعبة المهدي، وكان عبد الخالق الشهابي نائباً ليزيد بن منصور على اليمن.

(**) وفي عام ١٦٠هـ حج المهدي واستخلف على بغداد ابنه الهادي وخاله يزيد بن منصور [ص ٢٠٩ ج ٣ - ابن خلدون].

(**) وفي عام ١٦١هـ تولى يزيد بن منصور سواد الكوفة، وولى المهدي على اليمن رجاء بن روح بن زنباع - كما تقدم - وكانت ليزيد بن منصور مكانة كبيرة ومما يتصل بذلك أنه «في عام ١٦٤هـ سار المهدي إلى بيت المقدس - فلسطين - ومعه يزيد بن منصور، وقام المهدي بعزل إبراهيم بن صالح عامل فلسطين، فسأل يزيد بن منصور المهدي أن يرد إبراهيم بن صالح على فلسطين فاستجاب له المهدي ورده عليها» [ص ١٦٤ ج ١٠ - الطبري].

[٨٢] - انتهت ولاية رجاء بن روح بن زنباع على اليمن في أواسط عام ١٦١هـ - وكان قد بلغ من الكبر عتياً - فولى المهدي على اليمن:

أ - علي بن سليمان العباسي، أما محمد بن سليمان فإثماً تولى دجلة وأهواز فارس - كما ذكر ابن خلدون في موضع سابق - فأقام علي بن سليمان باليمن «سنة وخمسة أشهر ثم سار إلى بغداد واستخلف واسع بن عصمة باليمن».

ب - عبد الله بن سليمان العباسي، تولى اليمن في ربيع آخر عام ١٦٣هـ فمكث سبعة أشهر، وقيل تسعة أشهر، ثم عزله المهدي بتهمة الاثراء غير المشروع. قال الطبري «عزل المهدي =

وعزل سلمة بن رجاء عن مصر^[٨٣] وولى مكانه عيسى بن لقمان ثم عزله لأشهر وولى مكانه مولاه واضحاً ثم عزله وولى مكانه يحيى الحريشي^[٨٤] . . . [٨٥هـ/] وفي سنة ثلاث وستين ولى المهدي ابنه هارون الرشيد على المغرب كله وأذربيجان وأرمينية^[٨٦] وعزل يحيى الحريشي عن أصبهان وولى مكانه الحكم بن سعيد^[٨٧] . . . وكان على الحجاز واليمامة جعفر بن سليمان، وعلى الكوفة إسحاق بن الصباح، وعلى البحرين والبصرة وفارس والأهواز محمد بن سليمان فعزله سنة أربع وستين وولى مكانه صالح بن داود، وكان على السند (نصر بن) محمد بن الأشعث .

وفي سنة خمس وستين ولى على البصرة روح بن حاتم^[٨٨] وعلى البحرين والبصرة وفارس والأهواز النعمان مولى المهدي وعلى الموصل أحمد بن إسماعيل، وفي سنة ست وستين . . . ولى على المدينة إبراهيم ابن عمه، وعزل منصور بن يزيد عن

= عبد الله بن سليمان عن اليمن ووجه من يستقبله ويفتش متاعه ويحصي ما معه، ثم أمر بحبسه حين قدم حتى أقر بما أقر به من المال والجوهر والعنبر . . . وولى المهدي على اليمن منصور بن يزيد الحميري» .

ج - منصور بن يزيد بن منصور الحميري، تولى اليمن عام ١٦٤هـ - ١٦٦هـ ثم استدعاه المهدي واتخذ مشيراً له كما سيأتي .

[٨٣] - هو الأمير اليمني سلمة بن رجاء (بن حيوة الكندي) تولى مصر - كما ذكر الطبري أيضاً (عام ١٦١هـ) وكانت ولايته لمصر - كما في نص ابن خلدون هنا - إلى عام ١٦٣هـ .

[٨٤] - كان يحيى الحريشي المذحجي من ولاة مصر ثم تولى طبرستان وجهات أصبهان - من عام ١٦٣ - ١٦٤هـ - فتولى مصر إبراهيم بن صالح ثم الأمير اليمني موسى بن مصعب الخثعمي والي مصر (١٦٧ - ١٦٨هـ) .

[٨٥] - انتهى ابن خلدون من خبر الولاية إلى ١٦٣هـ [ص ٢٠٨ ج ٣] ثم ذكر وقائع، ثم عاد إلى تنمة خبر الولاية في [ص ٢١٢ ج ٣] وهو ما إليه نتقل .

[٨٦] - تولى الأمير اليمني القائد الحسن بن قحطبة الطائي عام ١٦١هـ - ١٦٢هـ قيادة الصوائف في ثغور الشام وبلاد الروم، وله أخبار كثيرة في ولايته لأذربيجان وقيادته للصوائف أسلفنا الإشارة إليها في عهد أبي جعفر المنصور .

[٨٧] - تولى يحيى الحريشي المذحجي أصبهان ثم تولى طبرستان والرويان وما جاورها (١٦٣ - ١٦٧هـ) ثم عاد إلى طبرستان عام ١٦٨هـ .

[٨٨] - هو الأمير اليماني روح بن حاتم المهلبى وكان قد تولى السند (١٦٠ - ١٦١هـ) ثم تولى البصرة (١٦٥ - ١٦٨هـ) وذكر الطبري في خبر وفاة عيسى بن موسى بالكوفة عام ١٦٧هـ أنه «كان والي الكوفة يومئذ روح بن حاتم» مما يعني أنه تولى البصرة والكوفة معاً .

اليمن^[٨٩] وولي مكانه عبد الله بن سليمان الربيعي^[٩٠] وكان على مصر صالح بن إبراهيم، وتوفي سنة سبع وستين عيسى بن موسى بالكوفة^(٨٨)، وعزل يحيى الحريشي عن طبرستان والرويان وما كان إليه وولاه عمر بن العلاء . . ثم بعث سنة ثمان وستين يحيى الحريشي في أربعين ألفاً إلى طبرستان^(٨٧)، وحج بالناس - سنة سبع وستين - إبراهيم ابن عمه يحيى وهو على المدينة ومات بعد قضاء الحج فولى مكانه إسحاق بن موسى بن عليّ، وولى على اليمن سليمان بن يزيد الحارثي^[٩١] . . [اهـ] - ومات المهدي في المحرم سنة تسع وستين ومائة - [اهـ] .

. . في خلافة موسى الهادي بن المهدي^[٩٢] .

. . كان موت المهدي في المحرم سنة تسع وستين ومائة، وبويع ابنه موسى

[٨٩] - هو والي اليمن الأمير اليماني منصور بن يزيد بن منصور الحميري وكانت ولايته لليمن عام ١٦٤ - ١٦٦هـ، قال ابن كثير «وفيها - أي ١٦٦هـ - أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يفعل أحد ذلك قبل هذه السنة» [اهـ] وقال الطبري «أمر المهدي بإقامة البريد بين المدينة ومكة واليمن بغالاً وإبلأ، ولم يكن هناك بريد قبل ذلك» [اهـ] وكان ذلك إما في ولاية منصور بن يزيد أو بمشورته بعد انتهاء ولايته حيث استدعاه المهدي وكان من أهل مشورته . وقد تولى منصور بن يزيد ولاية خراسان في خلافة الرشيد .

[٩٠] - هو عبد الله بن سليمان النوفلي، وقد تولى اليمن عدة أشهر بعد منصور بن يزيد .

[٩١] - هو الأمير اليماني سليمان بن يزيد بن عبد الله بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي وقد تولى اليمن لمدة «سنة وعشرة أشهر» - كما في قرة العيون - وإن ولايته كانت عام ١٦٦هـ - ١٦٧هـ، بينما وفقاً لتحديد ابن خلدون تكون ولايته عام ١٦٧ - ١٦٨هـ وقد تم في عام ١٦٧هـ سك النقود لأول مرة في اليمن وتم العثور على قطعة نقدية منها، وقد تم السك في صنعاء عاصمة ولاية اليمن .

(*) وقد تولى اليمن بعده الأمير اليماني عبد الله بن محمد بن الأشعث الخزاعي حتى وفاة المهدي في محرم ١٦٩ هجرية . وله أخبار وأشعار مع نصيب الشاعر لما أتى نصيب إلى صنعاء فمدحه فلم يثبه فقال يهجو قصيدة منها:

سأكسوك من صنعاء ما قد حرمتني مقطعة تبقى على قدم الدهر
إذا طويت كانت وضوحك طيها وإن نشرت زادتك طياً على النشر . .

[الخ ص ٢٨ ج ٢٠ / الأغاني] .

[٩٢] - هو رابع الخلفاء العباسيين موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، وكان المهدي قد أخذ البيعة وعهد بالخلافة بعده إلى ولده الهادي ثم لولده هارون =

الهادي لما بلغه موت أبيه وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان، وكان الرشيد لما توفي المهدي والعسكر بما سيدان نادى في الناس بالعطاء تسكيناً وقسم فيهم مائتين مائتين فلما استوفوها تنادوا بالرجوع إلى بغداد وتشايعوا إليها واستيقنوا موت المهدي، فأثوا باب الربيع وأحرقوه وطالبوا بالأرزاق ونقبوا السجون، وقدم الرشيد بغداد في إثرهم، فبعثت الخيزران^[٩٣] إلى الربيع - (لتسكين الجند بإعطائهم الأرزاق)^[٩٤] فامتنع يحيى خوفاً من غيرة الهادي وأمرت الربيع بتسكين الجند فسكنوا، وكتب الهادي إلى الربيع يتهدده فاستشار يحيى في أمره وكان يثق بوذه فأشار عليه بأن يبعث ابنه الفضل يعتذر عنه وتصحبه الهدايا والتحف ففعل، ورضي الهادي عنه، وقدم الهادي إلى بغداد (بعد) عشرين يوماً فاستوزر الربيع وهلك لمدة قليلة من وزارته، [١هـ/ ٩٥].

. . وكانت أمه الخيزران في أول خلافته تستبد عليه بالأمر، فعكف الناس (عليها) واختلفت المواكب (إليها)^[٩٦] ووجد الهادي لذلك، فكلّمته يوماً في حاجة فلم يجبها، فقالت قد ضمنتها لعبد الله بن مالك، فغضب الهادي وشمته، وحلف لا قضيتها، فقامت مغضبة، فقال مكانك وإلا انتفيت من قرابتي من رسول الله ﷺ لئن بلغني أن أحداً من قوايدي وخاصتي وقف ببابك لأضربن عنقه ولأقبضن ماله،

= الرشيد بن المهدي، فلما مات المهدي تولى موسى الهادي وذلك في ٢٣ محرم سنة ١٦٩هـ وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر. قال المسعودي (وكان الهادي قاسي القلب، شرس الأخلاق، صعب المرام، كثير الأدب، محباً له، وكان شديداً شجاعاً جواداً سخياً) [ص ٣٣٥ ج٣ مروج الذهب].

[٩٣] - هي الأميرة اليمانية «الخيزران بنت القليل عطاء الجرشي من بني أسامة من الأزدي، وكانت الخيزران ملكة حازمة متفقهة عالمة، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي الهمداني» [ص ٤٣٣/ الجامع لبامطرف] وكانت الخيزران تساند زوجها الخليفة المهدي في إدارة أمور الدولة بمشورتها وآرائها الثاقبة وهي أم موسى الهادي وهارون الرشيد.

[٩٤] - جا في الأصل «فبعثت الخيزران إلى الربيع فامتنع يحيى . .» ويتبين من السياق سقوط عبارة من الناسخ أو الطبع فأوردناها بين قوسين (لتسكين الجند بإعطائهم الأرزاق) كما يدل السياق، ويحيى هو يحيى البرمكي.

[٩٥] - انتهى ما نقلناه من كلام ابن خلدون عن بيعة الهادي [ص ٢١٤ ج٣] ثم أوردنا الخير عن والدته الخيزران في كلام ابن خلدون عن وفاة الهادي [ص ٢١٧ ج٣] لأن الخبر في أول خلافة الهادي.

[٩٦] - في الأصل «فكف الناس واختلفت المواكب» والمقصودان القادة والأمراء والوزراء كانوا يتوجهون إليها لقضاء أمور الدولة.

ما للمواكب تغدو وتروح عليك، أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك، إياك إياك لا تفتح بابك لمسلم ولا ذمي، فانصرفت وهي لا تعقل، ثم قال لأصحابه: أيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه، ويقال فعلت أم فلان وصنعت، فقالوا لا نحب ذلك، قال فما بالكم تأتون أمي فتتحدثون معها.

فيقال إنه لما جدّ في خلع الرشيد^[٩٧] خافت عليه منه، فلما ثقل مرضه وصت بعض الجوارى فجلسن على وجهه فمات^[٩٨].

من الولاية أيام الهادي^[٩٩]

(وأما الولاية أيام الهادي) فكان على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى مكة والطائف عبد الله بن قثم^[١٠٠]، وعلى اليمن

[٩٧] - كان الهادي يبغض الرشيد فقرر خلع الرشيد من الولاية بعده والبيعة لابنه جعفر الهادي وقد ذكر ابن خلدون خبر ذلك بالتفصيل.

[٩٨] - أورد ابن خلدون هذه المقولة بعد أن ذكر في بداية خبر وفاة الهادي أنه «خرج الهادي إلى حديقة الموصل فمرض واشتد مرضه هنالك ثم توفي في ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وقيل أنه توفي بعد أن عاد من حديقة الموصل ويقال إن أمه الخيزران وصت بعض الجوارى عليه فقتلته» [أهـ] فالأصل أنه مرض ومات وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر.

[٩٩] - أورد ابن خلدون في حديثه عن الولاية العمال أيام الهادي أسماء الولاية في الجزيرة العربية والعراق وفارس فقط، لذلك نشير إلى أنه كان من الولاية أيضاً:

١ - الأمير اليمني يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، والي بلاد المغرب العربي (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) وقد استمر والياً عليها منذ عام ١٥٤هـ إلى وفاته عام ١٧٠هـ في خلافة هارون الرشيد، وقد ذكر ابن خلدون ذلك في أيام الرشيد.

٢ - الأمير اليمني محمد بن حميد بن قحطبة الطائي، كان قائد جند الهادي لما بعثه المهدي إلى طبرستان وما والاها عام ١٦٧ - ١٦٩هـ وتولى بعض أقاليم تلك الجهات.

٣ - ولاية مصر، لم يتبين ترتيب ولاية مصر، وقد كان منهم:

- الأمير اليمني موسى بن مصعب الخثعمي (١٦٧ - ١٦٨هـ).

- الأمير اليمني عسامة المعافري (١٦٨ - ١٦٩هـ).

[١٠٠] - شهدت مكة والمدينة (الحجاز) - عام ١٦٩هـ - ثورة وظهور الحسين بن علي بن

الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ودارت أحداث ومعارك انتهت بمقتل الحسين في موضع (فخ) على ستة أميال من مكة، ومقتل العديد من آل علي بن أبي طالب ومن معهم، قال

ابن خلدون «وأقلت من المنهزمين إدريس بن عبد الله (بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) فأتى مصر وعلى بريدها أصبح مولى صالح بن منصور وكان يتشيع لآل علي فحمله على

البريد إلى المغرب ووقع بمدينة (وليلة) من أعمال طنجة، وكان لإدريس وابنه إدريس وأعقابهم

حروب - بالمغرب» [ص ٢١٦ ج ٣] وهم أجداد الأدارسة.

إبراهيم بن سلم بن قتيبة^[١٠١]، وعلى اليمامة والبحرين سويد القائد الخراساني، وعلى عمان الحسن بن سليم الحواري، وعلى الكوفة موسى بن عيسى بن موسى وعلى البصرة ابن سليمان، وعلى جرجان الحجاج مولى الهادي وعلى قومس زياد بن حسان وعلى طبرستان والرويان صالح بن عميرة، وعلى الموصل هاشم بن سعيد بن خالد وعزله الهادي لسوء سيرته وولى مكانه عبد الملك وصالح بن علي، [اه].

من أخبار اليمن وأعلام اليمنيين في خلافة هارون الرشيد^[١٠٢]

لما مات الهادي، جاء هرثمة بن أعين إلى الرشيد فأخرجه وأجلسه للخلافة، وأحضر الرشيد يحيى البرمكي فاستوزره، وكان يحيى يصدر عن رأي الخيزران أم الرشيد^[١٠٣].

[١٠١] - كان والي اليمن في أول خلافة الهادي هو الأمير اليمني عبد الله بن محمد بن الأشعث الخزاعي، فوَقعت في اليمن حركات خروج عديدة منها حركة أباضية خارجية يدل عليه قول نصيب الشاعر لعبد الله بن محمد بن الأشعث:

لقد كنت في سلاح سلحت مخافة الحرورية الشارين، داع إلى الضر

بحيث كما ذكر اليعقوبي «لم تزل اليمن مضطربة أيام موسى الهادي كلها» فتعاقب على ولايتها.

١ - إبراهيم بن سليمان الباهلي، وهو المذكور باسم (إبراهيم بن مسلم بن قتيبة) عند ابن خلدون وليس إلا إبراهيم بن سليمان الباهلي، وكانت ولايته نحو شهر واحد أو شهرين، ثم عزله الهادي وولى على اليمن:

٢ - الربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثي، قال اليعقوبي «ثم اضطربت اليمن على الربيع بن عبد الله الحارثي» ثم تولاها.

٣ - الحصين بن كثير العبدي، نحو شهر أو شهرين، ثم صرفه الهادي واستعمل مكانه:

٤ - أيوب بن جعفر الهاشمي، فترة يسيرة، «ثم رد الهادي على اليمن:

٥ - الربيع بن عبد الله الحارثي» فتولى اليمن إلى وفاة الهادي.

وبما أن فترة خلافة الهادي بأكملها كانت «سنة وثلاثة أشهر فقط» فإن الأمير الربيع بن عبد الله الحارثي هو الذي تولى اليمن أغلب تلك الفترة حتى وفاة الهادي في ربيع الأول ١٧٠هـ.

[١٠٢] - هو خامس الخلفاء العباسيين هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، تولى الخلافة في ١٨ ربيع أول ١٧٠هـ (٧٨٦م) وكان ابن إحدى وعشرين سنة وشهرين، ودام عهده ٢٣ سنة وستة أشهر، حيث توفي في ٤ جمادى الآخرة ١٩٣هـ (٨٠٩م) وهو ابن ٤٤ سنة وأربعة أشهر [ص ٣٤٧ ج ٣ مروج الذهب]

[١٠٣] - هي - كما تقدم - الأميرة الملكة اليمانية الخيزران بنت عطاء الجرشية، بينما أورد ابن خلدون أنها «بنت عطاء الكندي» في ذكره لتولية خال الرشيد حيث قال «خاله =

وعزل الرشيد لأول خلافته عمر بن عبد العزيز العمري عن المدينة وولى مكانه إسحاق بن سليمان، وتوفي يزيد بن حاتم عامل أفريقية - سنة إحدى وسبعين ومائة - فولى مكانه روح بن حاتم [١٠٤].

وكان على خراسان أبو الفضل العباس بن سليمان الطوسي ثم عزله وولى مكانه جعفر بن محمد بن الأشعث [١٠٥] فسار إلى خراسان وبعث ابنه العباس إلى كابل فافتتحها وافتتح سابهار وغنم ما كان فيها ثم استقدمه الرشيد فعزله وولى مكانه ابنه العباس [١٠٦].

وولى الرشيد سنة إحدى وسبعين على صدقات ثعلب روح بن صالح الهمداني فوقع بينه وبين ثعلب خلاف وجمع لهم الجموع فبيّتوه وقتلوه في جماعة من أصحابه . .

وتوفي سنة أربع وسبعين والي الرشيد إسحاق بن سليمان على السند ومكران [١٠٧].

= الغطريف بن عطاء الكندي» وكانت الخيزران - كما تقدم - «ملكة حازمة متفقهة عالمة» قال الطبري «وكانت الخيزران هي الناظرة في الأمور، وكان يحيى البرمكي يعرض عليها الأمور ويصدر عن رأيها» [ص ٥٠ ج ١٠].

(**) وكان أخوها الأمير اليماني الغطريف بن عطاء أول ولاية اليمن في خلافة الرشيد، فقد تولى الغطريف اليمن في أول خلافة الرشيد (في ربيع الآخر ١٧٠هـ) حيث «تولى الغطريف اليمن، والفوضى منتشرة والحبل مضطرب، فقام بإصلاح الأمور، ورأب الصدع فعادت الأمور إلى مجاريها وساد الهدوء والاستقرار أرجاء اليمن . . وكان الغطريف كيساً لبيباً بصيراً بالأمور، وأقام الغطريف باليمن - كما في تاريخ الجندي - ثلاث سنين وسبعة أشهر» واستدعاه الرشيد إلى بغداد - عام ١٧٣هـ - فاستخلف عباد بن محمد الشهابي وسار إلى الرشيد، وربما كان ذلك بسبب وفاة الخيزران عام ١٧٣هـ. وقال ابن خلدون في موضع آخر «كان يحيى البرمكي يصدر عن رأي الخيزران أم الرشيد، فلما ماتت استبد بالأمور».

[١٠٤] - هو الأمير اليماني روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، وكان قد تولى بلاد السند (١٦٠ - ١٦١هـ) وولاية البصرة (١٦٤ - ١٦٨هـ) فلما مات يزيد بن حاتم تولى روح بن حاتم ولاية شمال أفريقية (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) عام ١٧١هـ حتى وفاته عام ١٧٦هـ كما يأتي في حديث ابن خلدون عن الولاة، وكان روح بن حاتم «موصوفاً بالعلم والحزم والشجاعة».

[١٠٥] - هو الأمير اليماني جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي، وكان صاحب خاتم الخلافة إلى عام ١٧١هـ ثم تولى خراسان (١٧١ - ١٧٣هـ).

[١٠٦] - هو الأمير الفاتح العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث فاتح كابول وسابهار، ثم تولى بلاد خراسان وأقاليمها عام (١٧٣ - ١٧٥هـ).

[١٠٧] - لم يذكر ابن خلدون هنا الذي تولى السند، ويبدو أن سطرأ سقط على الناسخ أو في =

واستقضى يوسف بن أبي يوسف في حياة أبيه .

وفي سنة خمس وسبعين عقد لابنه محمد بن زبيدة ولاية العهد ولقبه الأمين وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين بسعاية خاله عيسى بن جعفر بن المنصور ووساطة الفضل بن يحيى البرمكي، وفيها - أي سنة خمس وسبعين ومائة - عزل الرشيد العباس بن جعفر عن خراسان [١٠٨] وولاها خاله الغطريف بن عطاء الكندي [١٠٩].

= طباعة الكتاب، وقد كان الأمير اليماني المغيرة بن يزيد بن حاتم والياً على بلاد السند إلى أن مات بها عام ١٨٣ هـ ولم يتضح تاريخ بداية ولايته .

[١٠٨] - في ولاية العباس بن جعفر الخزاعي لخراسان، وقعت عام ١٧٤ - ١٧٥ هـ حركة قوية للخوارج، وكان القائد اليماني مالك بن علي الخزاعي يتولى طريق خراسان ومنطقة الجبل، وكان من عظماء الأمراء القادة «فعاث الشراة بالجبل عيثاً شديداً، فخرج إليهم مالك بن علي الخزاعي وقد وردوا حلوان فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم عنها وما زال يقاتلهم ويتبعهم حتى بلغ منطقة (حدان) فقاتلوه فيها وأصابوه بضربة قاتلة على رأسه، فرده أصحابه إلى حلوان، فما إن بلغها حتى مات، فدفنوه بباب حلوان وبنيت لبقبره قبة هناك . . وقال الشاعر بكر بن النطاح يرثيه :

يا عين جودي بالدموع السجام على الأمير اليماني الهمام
على فتى الدنيا وصنيدها وفارس الدين وسيف الأنام . .

[الخ، القصائد في كتاب الأغاني ص ١٥٨ ج ١٧].

[١٠٩] - هو الأمير اليماني الغطريف بن عطاء، وكان والياً لليمن كما ذكرنا في هامش سابق حيث سها ابن خلدون عن ذكر ذلك، وكانت ولاية الغطريف لليمن مدة «ثلاث سنين وسبعة أشهر» سادها الهدوء والاستقرار والرخاء، وقام الغطريف بسك النقود في صنعاء وقد تم العثور على قطع منها، وعليها اسم الخليفة هارون الرشيد والي اليمن الغطريف» .

ولما سار الغطريف إلى الرشيد عام ١٧٣ هـ استخلف عباد بن محمد الشهابي الصنعاني الحميري على اليمن ثم عاد الغطريف ومكث باليمن إلى أواخر عام ١٧٤ هـ حيث استقدمه الرشيد ثم ولاه خراسان عام ١٧٥ هـ بينما تولى اليمن بعد الغطريف :

٢ - الأمير اليماني الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، وقد تولى اليمن «في آخر سنة ١٧٤ هـ وفي ولايته حصل الثلج بصنعاء ولم يكن حصل قبل ذلك مثله» [ص ١٢٨ قرّة العيون] وكان الربيع شاعراً أديباً وكان حريصاً على المال العام، وله أخبار وأشعار كثيرة مع الشاعر نصيب منها قول نصيب الشاعر :

أجدتُ مشهراً في كل أرض فعجل يا ربيع مشهرات
يمانية تخيرها يمان منمنمة البيوت مُقطعات . .

وقوله :

ألا أبلغا عني الربيع رسالة ربيع بني عبد المدان الأكارم =

الفتنة بدمشق بين اليمانية والمضرية

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية، ورأس المضرية أبو الهيدام بن عامر بن عمارة من ولد خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري . وكان أصل الفتنة بين قيس وبين اليمانية، أن اليمانية قتلوا منهم رجلاً فاجتمعوا لثأره، وكان على دمشق عبد الصمد بن علي فجمع كبار العشائر ليصلحوا بينهم، فأمهلتهم اليمانية وبيتوا المضرية فقتلوا منهم ثلاثمائة أو ضعفها، ثم استجاشوا (أي الطرفان) بقبائل قضاة وسليم فلم ينجدوهم، وأنجدتهم (أي المضرية) قيس وساروا معهم إلى اللقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة، وطالت الحرب بينهم، وعُزل عبد الصمد عن دمشق وولي مكانه إبراهيم بن صالح بن علي، ثم اصطلحوا بعد سنتين، ووفد إبراهيم على الرشيد وكان هواه مع اليمانية فوقع في قيس عند الرشيد، واعتذر عنهم عبد الواحد بن بشر .

واستخلف إبراهيم على دمشق ابنه إسحاق فحبس جماعة من قيس وضربهم، ثم وثب غسان برجل من ولد قيس بن العبسي فقتلوه، واستنجد أخوه بالدواقل من حوران فأنجدوه وقتلوا من اليمانية نفرأ، ثم وثب اليمانية بكليب بن عمر بن الجنيدي بن عبد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوه، فجاءت أم الغلام سابة إلى أبي الهيدام، فقال انظريني حتى ترفع دماؤنا إلى الأمير فإن نظر فيها وإلا فأمر المؤمنين ينظر فيها، وبلغ ذلك إسحاق وحضر عنده أبو الهيدام فلم يأذن له، ثم قتل بعض الدواقل رجلاً من اليمانية وقتلت اليمانية رجلاً من سليم ونهبوا جيران محارب، وركب أبو الهيدام معهم إلى إسحاق فوعده بالنظر لهم وبعث إلى اليمانية يخبرهم به

= [الخ . القصائد ص ٢٩ ج ٢٠ / الأغاني].

وكانت ولاية الربيع إلى عام ١٧٦هـ ثم تولى اليمن مرة أخرى عام ١٧٧ - ١٧٩هـ بعد عاصم الغساني .

٣ - الأمير اليماني عاصم بن عينة الغساني، تولى اليمن عام ١٧٦ - ١٧٧هـ وقصده الشاعر أبو محمد التميمي في حاجة أيام العصبية بالشام فلم يجبه إلى ذلك أياماً، ثم قال له بعض الجلساء لا تأت عاصماً ولا تسأله حاجة فقد سمعته يقول: «لو أن بيدي دجلة والفرات ما سقيت هذا منه شربة . . لأنه من مضر وما رأيت مضرياً يحب اليمانية قط» فهجاه التميمي بقصائد في الأغاني (٧٨ ج ١٩) .

٤ - الربيع بن عبد الله الحارثي، مرة أخرى عام ١٧٧ - ١٧٩هـ ثم شهدت اليمن اضطرابات وحركات بلغت ذروتها بثورة الهيصم بن عبد الصمد الحميري (١٧٩ - ١٨٣هـ) .

فاجتمعوا وأتوا إلى باب الجابية فخرج إليهم أبو الهيدام وهزمهم واستولى على دمشق وفتح السجون، ثم اجتمعت اليمانية واستنجدوا كلباً وغيرهم فاستمدوهم واستجاش أبو الهيدام المضرية فجاؤوه وهو يقاتل اليمانية عند باب توما فهزمهم أربع مرات ثم أمره إسحاق بالكف وبعث إلى اليمانية يخبرهم بغرته وجاء الخبر وركب وقاتلهم فهزمهم أخرى على باب توما، ثم جمعت اليمانية أهل الأردن والجولان من كلب وغيرهم فأرسل من يأتيه بالخبر فأبطأوا ودخل المدينة، فأرسل إسحاق من دلتهم على مكمنه وأمرهم بالعبور إلى المدينة فبعث من أصحابه من يأتيهم من ورائهم فانهزموا.

ولما كان في مستهل صفر^[١١٠] جمع إسحاق الجنود عند قصر الحجاج، وجاء أصحاب الهيدام ومن أراد نهب القرى التي لهم بنواحي دمشق ثم سألوا الأمان فأمّنهم وسكن الناس وفرق أبو الهيدام أصحابه وبقي في نفر يسير من أهل دمشق، فطمع فيه إسحاق وسلط عليه العذافر السكسكي مع الجنود فقاتلهم فانهزم العذافر وبقي الجند يحاربونه ثلاثاً، ثم إن إسحاق قاتله في الثالثة والجند في اثني عشر ألفاً ومعهم اليمانية فخرج أبو الهيدام من المدينة وقاتلهم على باب الجابية حتى أزالهم عنه، ثم أغار جمع من أهل حمص على قرية لأبي الهيدام فقاتلهم أصحابه وهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأحرقوا قرى ودياراً لليمانية في الغوطة.

ثم توادعوا سبعين يوماً ونحوها، وقدم السندي في الجنود من قبل الرشيد، وأغرته اليمانية بأبي الهيدام، فبعث هو إليه بالطاعة، فأقبل السندي إلى دمشق وإسحاق بدار الحجاج وبعث قائده في ثلاثة آلاف، وأخرج إليه أبو الهيدام ألفاً وأحجم القائد عنهم ورجع إلى السندي فصالح أبا الهيدام وأمّن أهل دمشق، وسار أبو الهيدام إلى حوران، وأقام السندي بدمشق ثلاثاً، وقدم موسى بن عيسى والياً عليها فبعث الجند يأتونه بأبي الهيدام فكبسوا داره وقاتلهم هو وابنه وعبداه فانهزموا وجاء أصحابه من كل جهة وقصد بصرى، ثم بعث إليه فسار إليه في رمضان سنة سبع وسبعين.

[١١٠] - (صفر ١٧٦) وقال ابن كثير «وقعت فتنة عظيمة بالشام بين النزارية وهم قيس، واليمانية وهم أهل اليمن. . . فقتل من الفريقين بشر كثير، وكان على نيابة الشام للرشيد ابن عمه موسى بن عيسى وعلى نيابة دمشق سندي بن سهل، فلما تفاقم الأمر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ومعه جماعة من القواد فأصلحوا بين الناس وهدأت الفتنة» (ص ١٦٨ ج ٣/ البداية والنهاية).

وقيل إن سبب الفتنة بدمشق أن عامل الرشيد بسجستان قتل أخا الهيدام فخرج هو بالشام وجمع الجموع، ثم بعث الرشيد أخاً له ليأتيه به فتحيل حتى قبض عليه وشده وثاقاً وأتى به إلى الرشيد، فمنّ عليه وأطلقه، وبعث جعفر بن يحيى البرمكي سنة ثمانين إلى الشام من أجل هذه الفتنة والعصية فسكن الثائرة وأمن البلاد وعاد.

فتنة الموصل ومصر

وفي سنة (ثمان وسبعين) تغلب العطاف بن سفيان الأزدي (وكان على خراسان) على الموصل^[١١١] على العامل بها محمد بن العباس الهاشمي وقيل عبد الملك بن صالح فاجتمع عليه أربعة آلاف رجل وجبى الخراج وبقي العامل معه مغلباً إلى أن سار الرشيد إلى الموصل وهدم سورها ولحق العطاف بأرمينية ثم بالرقم فاتخذها وطناً.

وفي سنة ثمان وسبعين ثارت الحوفية بمصر وهم من قيس وقضاعة على عاملها إسحاق بن سليمان وقتلوه، وكتب الرشيد إلى هرثمة بن أعين وكان بفلسطين فسار إليهم وأذعنوا بالطاعة وولاه على مصر^[١١٢] ثم عزله لشهر وولى عبد الملك بن صالح^[١١٣].

[١١١] - العطاف بن سفيان الأزدي من الزعماء اليمانيين في إقليم الموصل، وقد جاء في الأصل المطبوع هنا تصحيف كما يلي: «وفي سنة سبع وثمانين تغلب العطاف بن سفيان الأزدي على خراسان وأهل الموصل» فصوبنا السنة من السياق، ولم يتضح موقع وسياق خراسان في التصحيف، والمقصود أن العطاف ثار وتغلب على الموصل عام ١٧٨هـ وسيطر عليها إلى أن سار إليه الرشيد بنفسه بالجيش (عام ١٧٩هـ) فلحق العطاف بأرمينية وبلاد القوقاز. [١١٢] - هو الأمير اليماني هرثمة بن أعين الحضرمي أمير فلسطين في خلافة الرشيد، ونشير هنا إلى أنه كان من ولاة مصر:

١ - الأمير اليماني مسلمة البجلي، تولى مصر عام ١٧٢ - ١٧٣هـ.

٢ - الأمير اليماني محمد بن زهير الأزدي، تولى مصر عام ١٧٣هـ.

٣ - الأمير اليماني داود بن يزيد بن حاتم المهلي (١٧٣ - ١٧٥هـ).

(*) ثم ولى الرشيد على مصر موسى بن موسى العباسي ثم جعل أمر مصر إلى جعفر بن يحيى البرمكي ثم ولاها إسحاق بن سليمان العباسي فوثبت عليه قبائل قضاعة اليمانية وغيرهم فقاتلوه ووقعت فتنة كبيرة، فبعث الرشيد هرثمة بن أعين أمير فلسطين في خلق من الأمراء والجند إلى مصر، فأصلح الأمور لأن اليمانية تجاوبوا معه فتولى مصر نحواً من شهر في عام ١٧٨هـ وقد تولى ابنه (حاتم بن هرثمة) مصر في خلافة الأمين بن الرشيد عام ١٩٤هـ.

[١١٣] - لم يكن عزلاً وإنما كتب إليه الرشيد بالمسير إلى بلاد المغرب فسار إليها هرثمة وتولاها (١٧٨ - ١٧٩هـ) كما يأتي.

ولاة وفتن خراسان

وكان على خراسان أيام الهادي أبو الفضل العباس بن سليمان الطوسي فعزله الرشيد وولى على خراسان جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي فأبوه من النقباء من أهل مصر^[١١٤]. وقدم ابنه العباس سنة ثلاث وسبعين، ثم قدم فغزا طخارستان، وبعث ابنه العباس إلى كابل في الجنود وافتتح سابهار ورجع إلى مرو، ثم سار إلى العراق سنة ثلاث وسبعين في رمضان، وكان الأمين في حجره قبل أن يجعله في حجر الفضل بن يحيى^(١١٧)، ثم ولى الرشيد ابنه العباس بن جعفر ثم عزله عنها (سنة خمس وسبعين).

وولى خاله الغطريف بن عطاء الكندي سنة خمس وسبعين على خراسان وسجستان وجرجان^[١١٥] فقدم خاله داود بن يزيد^[١١٦] وبعث عاملاً لسجستان^[١١٧] وخرج في أيامه حصين الخارجي من موالي قيس بن ثعلبة من أهل أوق، وبعث عامل سجستان عثمان بن عمارة الجيوش إليه فهزمهم حصين وقتل منهم وسار إلى بادغيس وبوشنج وهراة فبعث إليه الغطريف اثني عشر ألفاً من الجند فهزمهم حصين وقتل منهم خلقاً ولم يزل في نواحي خراسان إلى أن قُتل سنة سبع وسبعين^[١١٨].

[١١٤] - كان الأمير اليماني محمد بن الأشعث الخزاعي قد تولى مصر في خلافة المنصور (١٤١ - ١٤٣هـ) كما تولى بلاد المغرب (١٤٢ - ١٤٨هـ) فكان مولد ابنه جعفر بمصر غالباً، وقد تولى أخوه (نصر بن محمد بن الأشعث) بلاد السند (١٦١ - ١٦٥هـ) كما تولى أخوه (عبد الله بن محمد بن الأشعث) ولاية اليمن (١٦٨ - ١٦٩هـ).

(*) أما جعفر بن محمد بن الأشعث فكان صاحب ديوان خاتم خلافة الرشيد ووزيراً له (١٧٠ - ١٧١هـ) ثم تولى خراسان (١٧١ - ١٧٣هـ) وعاد منها في رمضان ١٧٣هـ فتولى خراسان ابنه العباس (١٧٣ - ١٧٥هـ) كما تقدم.

[١١٥] - هو الأمير اليماني الغطريف بن عطاء، وكان والياً لليمن (١٧٠ - ١٧٤هـ) ثم تولى خراسان وسجستان (١٧٥ - ١٧٦هـ).

[١١٦] - هو الأمير اليماني داود بن يزيد بن حاتم المهلي، وكان والياً لمصر (١٧٣ - ١٧٥هـ) ثم تولى السند عام ١٨٤هـ كما يأتي.

[١١٧] - جاء في الأصل (فقدم خليفة داود بن يزيد وبعث عامل سجستان) وهو تصحيف من الناسخ أو الطباعة.

[١١٨] - تولى خراسان بعد الغطريف الأمير اليماني حمزة بن مالك الخزاعي (١٧٦ - ١٧٧هـ) ثم الفضل بن يحيى البرمكي (١٧٨ - ١٨٠هـ) ثم الأمير اليماني منصور بن يزيد بن منصور الحميري (١٧٩ - ١٨٠هـ) كما تولاهما الأمير اليماني محمد بن حسن بن قحطبة الطائي (١٨١هـ).

وسار الفضل إلى خراسان سنة ثمان وسبعين وغزا ما وراء النهر سنة ثمانين^[١٢١]، ثم ولي الرشيد على خراسان علي بن عيسى بن ماهان، وخرج عليه في ولايته حمزة بن الترك وقصد بوشنج، وكان على هراة عمرويه بن يزيد الأزدي^[١١٩] فنهض إليه في ستة آلاف فارس فهزمهم حمزة وقتل جماعة منهم ومات عمرويه في (الزحام)^[١٢٢].

وكان عليّ قد استعمل طاهر بن الحسين على بوشنج^[١٢٠] فخرج إلى حمزة وقصد قريته ففرّ الخوارج وهم الذين يرون التحكيم ولا يقاتلون، والمحكمة هم الذين يقاتلون وشعارهم لا حكم إلا لله، فكتب العقد إلى حمزة بالكف وواعدهم ثم انتقض حمزة وعاث في البلاد، وكانت بينه وبين أصحاب عليّ حروب كثيرة. ثم ولي الرشيد سنة اثنتين وثمانين ابنه عبد الله العهد بعد الأمين ولقبه المأمون وولاه على خراسان وما يتصل بها إلى همذان^[١٢١]، واستقدم عيسى بن علي من خراسان وردّها إليه من قبل المأمون^[١٢٤].

ثم نمي إلى الرشيد سنة تسع وثمانين أن علي بن عيسى بن ماهان مجمع على الخلاف وأنه قد أساء السيرة في خراسان. ثم إن الرشيد نقم على عليّ بن عيسى أموراً منها استخفافه بالناس وإهانة أعيانهم، ودخل عليه يوماً الحسين بن مصعب والد طاهر فأغلظ له في القول وأفحش في السب والتهديد وفعل مثل ذلك بهشام، فأما الحسين فلحق بالرشيد شاكياً ومستجيراً وأما هشام فلزم بيته وادعى أنه بعلّة الفالج حتى عزل عليّ، وكان مما نقم عليه أيضاً أنه لما قتل ابنه عيسى في حرب رافع بن الليث (بن نصر بن سيار بسمرقند) أخبر بعض جواريه أنه دفن في بستانه ببلخ ثلاثين ألف دينار وتحدثت الجوارى بذلك فشاع في الناس ودخلوا البستان ونهبوا المال، وكان يشكو إلى الرشيد بقلّة المال ويزعم أنه باع حلّي نساءه، فلما سمع الرشيد بهذا المال استدعى هرثمة بن أعين وقال له: ولّيتك خراسان وكتب له بخطه وقال له: اكتب أمرك وامض كأنك مدد، وبعث معه رجاء الخادم.

[١١٩] - كان الأمير اليماني عمرويه بن يزيد الأزدي أميراً على هراة (بأفغانستان حالياً) وجاء في الأصل بنهاية الفقرة «ومات عمرويه في الزحام» والظاهر وقوع تصحيف وربما كان الأصل «ومات عمرويه في الرحج» وهي مدينة هناك.

[١٢٠] - هو الأمير اليماني طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي وقد أصبح أعظم الولاة الأمراء في خلافة المأمون.

[١٢١] - لم تكن ولاية المأمون بن الرشيد على خراسان ولاية مباشرة فاستمر علي بن عيسى بن ماهان إلى أنه تولّاها هرثمة بن أعين.

فسار هرثمة إلى نيسابور وولى أصحابه فيها، ثم سار إلى مرو، ولقيه علي بن عيسى، فقبض هرثمة عليه وعلى أهله وأتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف، وبعث إلى الرشيد من المتاع وقر خمسمائة بعير وبعث إليه بعلي بن عيسى على بعير من غير غطاء ولا وطاء [١٢٢].

وخرج هرثمة إلى ما وراء النهر [١٢٣] وحاصر رافع بن الليث بسمرقند إلى أن استأمن فأمنه، وأقام هرثمة بسمرقند (اهـ) [١٢٤].

«... وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار خلع بما وراء النهر... ووثب بعامل سمرقند فقتله وملكها وذلك سنة تسعين، فبعث علي بن عيسى لحره ابنه عيسى فلقبه رافع وهزمه وقتله... ثم كانت نكبة علي بن عيسى وولاية هرثمة بن أعين على خراسان، وكان مع رافع بن الليث جماعة من القواد ففارقوه إلى هرثمة، منهم عجيف بن عنبة وغيره، وحاصر هرثمة رافع بن الليث بسمرقند وضايقه، واستقدم طاهر بن الحسين من خراسان فحضر عنده، فكانت في سنة ثلاث وتسعين بين هرثمة وبين أصحاب رافع وقعة كان الظفر فيها لهرثمة وأسر بشراً أخا رافع وبعث به إلى الرشيد، واقتح بخارى» [١٢٧/اهـ].

ولاية داود بن يزيد على السند [١٢٥]

«... ولى الرشيد سنة أربع وثمانين على السند داود بن يزيد بن

[١٢٢] - كانت تولية الأمير اليماني هرثمة بن أعين على ولاية خراسان عام ١٩١هـ - كما ذكر ابن خلدون في فقرة لاحقة - فمكث هرثمة والياً على خراسان وأقاليمها حتى وفاة الرشيد.

[١٢٣] - المقصود بما وراء النهر هو جمهورية أوزبكستان حالياً، وكانت ولاية خراسان تشمل بالتسميات الحالية (اقليم خراسان بإيران وأعالي إيران وأفغانستان وجمهوريات أوزبكستان وتاجيكستان وتركمانستان) وهي آسية الوسطى، وقد حكمها في خلافة الرشيد سبعة ولاة يمينيين - تقدم ذكرهم - وكان سابعهم هرثمة بن أعين الحضرمي.

[١٢٤] - أورد ابن خلدون خبر رافع بن الليث في موضع لاحق (ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ج ٣) فأوردناه بعد هذا لارتباطه بولاية هرثمة لخراسان.

[١٢٥] - لم يذكر ابن خلدون عن السند في خلافة الرشيد سوى تولية داود بن يزيد عام ٨٤هـ في سياق الخبر عن الولاة في خلافة الرشيد [ص ٢٢٨ ج ٣] فأوردناه هنا ليكتمل الخبر عن أقاليم شرق الدولة العربية الإسلامية، ونشير هنا إلى:

أ - كان الأمير اليماني المغيرة بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب والياً لولاية السند (باكستان) وكرمان، ثم تمردت وقتلته جماعة من تميم ومن كان معهم بالسند عام ١٨٢هـ أو

١٨٣هـ.

حاتم^[١٢٦]، وعلى الجبل يحيى الحريشي، وعلى طبرستان مهرويه الرازي وقتله أهل طبرستان سنة خمس وثمانين فولى مكانه عبد الله بن سعيد الحريشي^[١٢٧].

وفي سنة تسع وثمانين سار الرشيد إلى الري، وولى على طبرستان والري وديناوند وقومس والري عبد الملك بن مالك^[١٢٨]، وفي سنة تسعين ولى على الموصل خالد بن يزيد بن حاتم، وقد تقدم لنا ولاية هرثمة على خراسان ونكبة علي بن سليمان سنة إحدى وتسعين^[١٢٩].

الصوائف وقيادة حميد الهمداني للأسطول البحري^(١٣١)

« . . وفي سنة سبع وثمانين غزا بالصائفة القاسم بن الرشيد وولاه الرشيد على العواصم^[١٢٩] فأناخ على قرّة، وبعث عليها ابن جعفر بن الأشعث فحاصر حصن سنان حتى جهد أهله وفادى الروم بثلاثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين على أن يرحل عنهم، فأجابهم، وتمّ بينهم الصلح ورحل عنهم^(١٣٢).

وكان ملك الروم يومئذ ابن زيني فخلعه الروم وملّكوا يقفور وكان على ديوان

= ب - فسار داود بن يزيد على رأس فرسان من الأزدي وغيرهم من اليمانية إلى السند وفتك بالتميمية، فقال عبد الله بن أبي عيينة المهلبى في ذلك عدة قصائد أوردتها المبرد في كتاب الكامل (ص ٢٥٧ - ٢٥٩ ج١) منها قوله:

أفنى تميمياً سعدها وربابها
بالسند قتل مغيرة بن يزيد
.. قدنا العجباد من العراق إليهم
مثل القطا مستنة لورود . .

وقال في قصيدة أخرى:

جلبنا الخيل من بغداد شعثاً
عوابس تحمل الأسد الغضابا
بكل فتى أغرّ مُهلبي
تخال بضوء صورته شهابا
ومن قحطان كل أخي حفاظ
إذا يُدعى لنائبة أجابا

[١٢٦] - هو الأمير اليماني داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبى، وقد دامت ولايته لبلاد السند من عام ١٨٤هـ إلى عام ٢٠٥هـ.

[١٢٧] - هو الأمير اليماني عبد الله بن سعيد الحريشي المذحجي ثم تولى بعده عبد الملك بن مالك الخزاعي اليماني.

[١٢٨] - ذكر ابن خلدون تولية حميد بن معيقوق على الأسطول البحري في سياق حديثه عن الصوائف (ص ٢٢٦ ج٣) وقال البلاذري: «غزا اقريطش (كريت) حميد بن معيقوق الهمداني في خلافة الرشيد ففتح بعضها» [ص ٢٣٨] ولم يحدد زمن ذلك.

[١٢٩] - العواصم هي ثغور الشام بأداني تركيا حالياً، وابن جعفر بن الأشعث هو العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي اليماني.

خراجهم ومات زيني بعد خمسة أشهر، ولما ملك يقفور كتب إلى الرشيد بما استفزه، فسار الرشيد إلى بلاد الروم غازياً ونزل هرقله وأثنخن في بلادهم حتى سأل يقفور الصلح، ثم نقض العهد وكان البرد شديداً وظن يقفور أن ذلك يمنعه من الرجوع فلم يمنعه ورجع حتى أثنخن في بلاده ثم خرج من أرضهم.

وفي سنة تسعين سار الرشيد إلى بلاد الروم بسبب ما قدمناه من غدر يقفور، فسار في مائة وخمسة وثلاثين ألفاً من المرتزقة سوى الأتباع والمتطوعة ومن ليس له ذكر في الديوان، واستخلف المأمون بالرقّة وفوض إليه الأمور وكتب إلى الآفاق بذلك فنزل على هرقله فحاصرها ثلاثين يوماً وافتتحها.

واستعمل الرشيد حميد بن معيوق على الأساطيل ممن بسواحل الشام ومصر^[١٣٠]، فغزا إلى قبرص فهزم وخرق وسبى من أهلها نحواً من سبعة عشر ألفاً وجاء بهم إلى الواقعة فبيعوا بها وبلغ فداء أسقف قبرص ألفي دينار^[١٣١].

ولما رجع الرشيد من غزاته خرجت الروم إلى عين زربة والكنيسة السوداء وأغاروا ورجعوا فاستنقذ أهل المصيصة ما حملوه من الغنائم، وفيها غزا يزيد بن مخلد الهبيري أرض الروم في عشرة آلاف فأخذت الروم عليهم المضايق فانهزم وقتل في خمسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس، واستعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن أعين قبل أن يوليه خراسان وضم إليه ثلاثين ألفاً من أهل خراسان وأخرجه الصائفة وسار بالعساكر الإسلامية في إثره، ورتب بدرب الحدث عبد الله بن مالك^[١٣٢] وبمرعش سعيد بن مسلم بن قتيبة فأغارت الروم عليه وأصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرك من مكانه، وبعث الرشيد محمد بن زيد بن مزيد إلى طرسوس وأقام هو بدرب الحدث وأمر قواده بهدم الكنائس في جميع الشغور وأخذ أهل الذمة بمخالفة زيّ المسلمين في ملبوسهم، وأمر هرثمة ببناء طرسوس فتولى

[١٣٠] - هو الأمير القائد اليماني حميد بن معيوق الهمداني أمير وقائد الأسطول البحري العربي الإسلامي بالبحر الأبيض المتوسط (سواحل الشام ومصر) في خلافة الرشيد.

[١٣١] - كانت غزوة حميد بن معيوق للروم وحلفائهم بجزيرة قبرص عام ١٩٠هـ كما قام بتوجيه حملة بحرية إليها عام ١٩١هـ وكان حميد بن معيوق قد غزا جزيرة كريت وافتتح بعضها في خلافة الرشيد - كما ذكر البلاذري - واكمل فتحها في خلافة المأمون.

[١٣٢] - هو الأمير القائد اليماني عبد الله بن مالك الخزاعي وقد تولى اليمن في آخر خلافة الرشيد.

.. ذلك

وفي سنة اثنتين وتسعين تحركت الخرمية بأذربيجان فبعث إليهم عبد الله بن مالك^(١٣٥) في عشرة آلاف، فقتل وسبى وأسر وفيها استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن مالك الخزاعي فافتتح مظموره وكان الفداء على يديه بالبرذون^[١٣٣].

الولاية على شمال أفريقية^[١٣٤]

كان على أفريقية يزيد بن حاتم كما قدمناه ومات سنة إحدى وسبعين^[١٣٥] بعد أن استخلف ابنه داود، فبعث الرشيد على أفريقية أخاه روح بن حاتم فاستقدمه من فلسطين وبعثه إلى أفريقية^[١٣٦].

وفي سنة ست وسبعين مات روح بن حاتم بأفريقية^(١٣٩) واستخلف حبيب بن نصر المهلبى^[١٣٧] فسار الفضل إلى الرشيد فولاه على أفريقية وعاد إليها

[١٣٣] - كان ثابت بن مالك الخزاعي اليماني آخر الأمراء لثغور الشام وغزو بلاد الروم في خلافة الرشيد حتى وفاته.

[١٣٤] - أورد ابن خلدون في حديثه عن (الولاية على النواحي) - ص ٢٢٧ ج ٣ - خبر إفريقية وولاتها، وبما أن بقية الولاية الذين ذكرهم تقدم الحديث عنهم ولم يبق سوى ولاية إفريقية كما أن أغلب حديثه عن الولاية هو عن ولاية إفريقية استحدثنا هذا العنوان لايراد ذلك، والمقصود بإفريقية هو بلاد المغرب العربي (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) وكان أول من تولاها في عصر الخلفاء العباسيين:

- الأمير اليماني محمد بن الأشعث الخزاعي، قال البلاذري «دخل محمد بن الأشعث الخزاعي إفريقية والياً عليها في آخر خلافة أبي العباس في سبعين ألفاً ويقال أربعين ألفاً، فولياها أربع سنين، فرم مدينة القيروان، ثم عزله المنصور وولى (الأمير اليماني) عمر بن حفص (الأزدي) وهو الذي سُمي هزار مرد [معنى هزار مرد: ألف رجل] وكان المنصور معجباً به فدخل إفريقية وغزا منها حتى أقصى بلاد المغرب وابتنى هناك مدينة اسمها العباسية» ومات هناك آخر عام ١٥٣هـ.

[١٣٥] - هو الأمير اليماني يزيد بن حاتم المهلبى، تولى إفريقية من عام ١٥٤هـ إلى ١٧١هـ، قال البلاذري: لما تولى يزيد بن حاتم إفريقية «شيعه أبو جعفر المنصور إلى بيت المقدس وأنفق عليه مالاً عظيماً، فسار يزيد بن حاتم في خمسين ألفاً، ودخل إفريقية فاستقامت له» [١هـ] وفيه قال الشاعر «يا واحد العرب الذي دانت له قحطان قاطبة وساد نزارا» كما تقدم.

[١٣٦] - هو الأمير اليماني روح بن حاتم المهلبى، وقد تقدم الحديث عنه، وتولى حكم شمال إفريقية من ١٧١هـ إلى وفاته.

فاضطرب عليه الخراسانية من جند أفريقية ولم يرضوه [١٣٨].

فولى الرشيد مكانه هرثمة بن أعين وبعثه في العساكر فسكن الاضطراب، ورأى ما بأفريقية من الاختلاف فاستعفى الرشيد من ولايتها، فأعفاه وقدم إلى العراق بعد سنتين ونصف من مغيبه [١٣٩].

وفي سنة إحدى وثمانين ولى الرشيد على أفريقية محمد بن مقاتل بن حكيم العكي، وكان أبوه من قواد الشيعة، ومحمد رضيع الرشيد وتلاذه فلما استعفى هرثمة ولاة مكانه، واضطربت عليه أفريقية، وكان إبراهيم بن الأغلب بها والياً على الزاب وكان جند أفريقية يرجعون إليه فأعانه وحمل الناس على طاعته بعد أن أخرجوه، فكروها ولاية محمد بن مقاتل [١٤٠]، وحملوا إبراهيم بن الأغلب على أن كتب إلى الرشيد يطلب ولاية أفريقية على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر معونة إلى والي أفريقية ويحمل هو كل سنة أربعين ألف دينار، فاستشار الرشيد بطانته، فأشار هرثمة بإبراهيم بن الأغلب فولاه الرشيد في محرم سنة أربع وثمانين، فضببط الأمور وقبض على المفتنين بها وبعث بهم إلى الرشيد فسكنت البلاد، وابتنى مدينة بقرب القيروان سماها العباسية وانتقل إليها بأهله وخاصته وحشمه، وصار مُلك أفريقية في عقبه كما نذكر في أخبارهم إلى أن غلبهم عليها الشيعة العبيديون [١٤١].

[١٣٧] - تولى الأمير اليماني حبيب بن نصر المهلبى شمال إفريقية بعد وفاة روح بن حاتم، (إلى) عام ١٧٧هـ.

[١٣٨] - هو الأمير اليماني الفضل بن روح بن حاتم، تولى شمال إفريقية عام ١٧٧ - ١٧٨هـ، قال البلاذري «فوثب الجند عليه وقتلوه».

[١٣٩] - تولى الأمير اليماني هرثمة بن أعين شمال إفريقية عام ١٧٨ - ١٨١هـ، قال البلاذري «وكان إبراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصر، فوثب واثنا عشر رجلاً معه على بيت المال فأخذوا مقدار أرزاقهم ولم يزيدوا على ذلك وهربوا فلحقوا بموضع يقال له الزاب، وهو من القيروان على مسيرة أكثر من عشرة أيام، وكان عامل الثغر يومئذ هرثمة بن أعين، وأخذ إبراهيم يهدي إلى هرثمة ويلطفه ويكتب إليه أنه لم يخرج يداً من طاعه وإنما دعاه إلى ما كان منه الأحواج والضرورة، فولاه هرثمة ناحية الزاب».

[١٤٠] - كان الأمير اليماني محمد بن مقاتل العكي آخر ولاة شمال إفريقية (١٨١ - ١٨٤هـ).

[١٤١] - استقل الأغلبية بحكم بلاد المغرب مع ارتباط شكلي بالخلفاء العباسيين حتى قيام الدولة الفاطمية العبيدية.

ولاية حماد البربري على اليمن ومقتل الهيصم [١٤٢]

وولى الرشيد سنة أربع وثمانين على اليمن ومكة حماداً البربري [١٤٣]،
وعلى السند داود بن يزيد بن حاتم.

وفي سنة إحدى وتسعين ظفر حماد البربري بهيصم اليماني [١٤٤].

[١٤٢] - لم يذكر ابن خلدون في خبر الولاية سوى ولاية حماد البربري على اليمن عام ١٨٤هـ فأوردناه منفرداً هنا، وقد تعاقب على ولاية اليمن قبله:

١ - الغطريف بن عطاء (١٧٠ - ١٧٤هـ).

٢ - الربيع بن عبد الله الحارثي (١٧٥ - ١٧٦هـ).

٣ - عاصم بن عيينة الغساني (١٧٦ - ١٧٧هـ).

٤ - الربيع الحارثي - مرة ثانية - (١٧٧ - ١٧٩هـ).

(**) ثم شهدت اليمن فترة اضطراب وحركات سياسية (من ١٧٩ - ١٨٣هـ) تعاقب فيها على ولاية اليمن كل من (عباس بن إبراهيم الهاشمي فضح منه أهل اليمن فعزله الرشيد بعبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير ثم عزله الرشيد واستعمل على اليمن أحمد إسماعيل الهاشمي ثم عزله بأحمد بن إسماعيل العبدري ثم عزله بمحمد بن خالد البرمكي) [ص ١٢٩/قرة العيون].

(**) وفي تلك الفترة بدأت ثورة الهيصم بن عبد الصمد - وذلك كما في تاريخ اليعقوبي عام ١٧٩هـ - وهو كما جاء في الإكليل «الهيصم بن عبد الصمد من ولد بحر بن عمرو بن زيد ثم من ولد القيل ذي خليل بن شرحبيل بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن حمير الأصغر». . . وكان مقره في مغارب صنعاء وانضوى تحت امرته العديد من الأقبال «وخاض معارك ضد جيوش والي العباسي أحمد بن إسماعيل العبدري والذين قبله فأنزله بهم الهزائم وبسط نفوذه على معظم المناطق والجبال الغربية والشمالية واتخذ من جبل مسور مركزاً وقاعدة له» (اه/ اليمن الإنسان والحضارة للشماحي).

(**) ثم ولى الرشيد محمد بن خالد البرمكي فدخل صنعاء في شهر جمادى ١٨٣هـ «وكان من أحسن الولاة عدلاً ورفقاً وحسن سيرة وأجرى إلى صنعاء النهر (الغيل) المعروف بالبرمكي» وهو الغيل الذي فيه قال الشاعر الشعبي:

واعويلاه إذا غاب الحبيب عن حبيبه إلى من يشتكي

يشتكي إلى والي البلاد ودموعه مثل غيل البرمكي

«وخرج على البرمكي أهل تهامة فشكا إلى الرشيد، فبعث مكانه حماد البربري وقال له أسمعني أصوات خوارج اليمن».

[١٤٣] - تولى حماد البربري اليمن - في شوال ١٨٤هـ «فأخضع تهامة وغيرها إلى حضرموت وقتل جماعة من رؤسائهم وعاملهم بالعسف والجبروت حتى دانوا له وسلموا الواجب وزيادة» - ولا بد أنهم من الخوارج الأباضية - قال ابن الديبع «وعمرت اليمن في أيام حماد، خاصة صنعاء، وأمنت السبل» [ص ١٣١ قرة العيون].

[١٤٤] - تأججت حركة الهيصم بن عبد الصمد عام ١٨٥هـ - ويبدو أن ذلك للمرة الثانية - =

وجاء به إلى الرشيد فقتله [١٤٥]. [اهـ].

وفاة هارون الرشيد

سار الرشيد من بغداد إلى خراسان في شعبان سنة اثنتين وتسعين، واستخلف عليها ابنه الأمين، وأمر المأمون بالمسير معه، ولما بلغ جرجان في صفر سنة ثلاث وتسعين وقد اشتد عليه المرض، بعث ابنه المأمون إلى مرو ومعه جماعة من القواد، . . ثم سار الرشيد إلى طوس واشتد به الوجع وضعف عن الحركة وثقل فأرجف الناس بموته . . ولما يئس من نفسه أمر بحفر قبره في الدار التي كان فيها [١٤٦] وأنزل فيه قوماً قرأوا فيه القرآن حتى ختموه وهو في محفة على شفير القبر ينظر إليه وينادي واسواتاه من رسول الله ﷺ ثم مات [١٤٩]. [اهـ].

من أخبار خلافة الأمين [١٤٧]

ولما مات الرشيد ببيع الأمين في العسكر من صبيحة يومه، والمأمون يومئذ بمرو - خراسان (١٥٠) . . فجمع المأمون من كان عنده من قواد أبيه وهم عبد الله بن مالك (الخزاعي) ويحيى بن معاذ وشيب بن حميد بن قحطبة (الطائي) . . وذو الرياستين الفضل بن سهل وهو أخصهم به وأحظاهم عنده. وأشار عليه الفضل أن يبعث إلى الفقهاء ويدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السنة ورد المظالم

= فحارب حماداً البربري وتغلب على مناطق شاسعة ثم انهزم ولجأ إلى قرية بأعالي اليمن في بيشة وقبض عليه حماد عام ١٩١هـ.

[١٤٥] - كان الهيصم شجاعاً وهو يواجه الموت وقال: «والله إن القتل لشيء ما أنكره، وما خلقت الرجال إلا للموت والقتل» ولما قال له الرشيد «أنت الخارج على أمير المؤمنين وقاتل أجداده والمطل على الكعبة بالفتن، قال الهيصم: نعم وشفاء ما لا تشتهي النفس تعجيل الفراق».

(*) ثم جاء في تاريخ اليعقوبي «عزل الرشيد حماداً واستعمل مكانه عبد الله بن مالك الخزاعي فلم يزل باليمن محمود السيرة جميل المذهب حتى مات هارون الرشيد» [اهـ].

[١٤٦] - في دار حميد بن أبي غانم الطائي في طوس بقرية سناباد، ومات وتم دفنه في ذلك القبر ليلة الأحد مستهل جمادى الآخرة عام ١٩٣هـ.

[١٤٧] - كان هارون الرشيد قد أخذ البيعة لابنه محمد الأمين ومن بعده للمأمون ثم المؤمن، فلما مات الرشيد تولى الأمين الخلافة - في جمادى الآخرة ١٩٣هـ - وكان المأمون بخراسان فمكث بها متولياً بلاد خراسان، وأقاليمها والري وما إليها من بلاد فارس، فأصبح أمراء وعمال وقادة تلك الأقاليم والجهات مرتبطين بالمأمون، ثم اندلع الصراع بين الأمين والمأمون وبويع المأمون في خراسان مطلع عام ١٩٥هـ كما سيأتي.

ويعقد على الصفوف، ففعل جميع ذلك وأكرم القواد، وكان يقول للتمييمي نُقيمك مقام موسى بن كعب وللربيعي مكان أبي داود خالد بن إبراهيم ولليمانى مكان قحطبة ومالك بن الهيثم، وكل هؤلاء نقباء الدولة، ووضع عن خراسان ربع الخراج فاغتبط به أهلها وقالوا ابن أختنا وابن عم نبينا، وأقام المأمون يتولى ما كان بيده من خراسان والري، وأهدى إلى الأمين وكتب إليه وعظمه .

ثم إن الأمين عزل لأول ولايته أخاه القاسم عن الجزيرة واستعمل عليها خزيمة بن خازم، وأقر القاسم المؤمن على قنسرين والعواصم، وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى وعلى حمص إسحاق بن سليمان فخالف عليه أهل حمص وانتقل عنهم فعزله الأمين وولى مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي فقتل عدة منهم وحبس عدة وأضرم النار في نواحيها وسألوا الأمان فأجابهم ثم انتقضوا فقتل عدة منهم ثم ولى عليهم إبراهيم بن العباس [١٤٨] .

وفي سنة ثلاث وتسعين دخل هرثمة بن أعين سمرقند وملكها، وأقام بها ومعه طاهر بن الحسين (الخزاعي) فاستجاش رافع بالترك فأتوه وقوي بهم ثم انصرفوا وضعف أمره وبلغه حسن سيرة المأمون فطلب الأمان وحضر عند المأمون فأكرمه ثم قدم هرثمة على المأمون فولاه الحرس، وأنكر الأمين ذلك كله [١٤٩] .

[١٤٨] - اقتصر ابن خلدون هنا (ص ٢٣١ ج ٣) على ذكر بعض الولاة في خلافة الأمين لعلاقة ذلك بالفتن اللاحقة، لذلك نذكر أنه:

أ - ولاية اليمن: كان والي اليمن من أول خلافة الأمين الأمير اليماني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي (١٩٣ - ١٩٥هـ) ثم عزله الأمين في مطلع عام ١٩٥هـ - [ربما حين اندلع الصراع مع المأمون وتولى طاهر بن الحسين الخزاعي القيام بأمر المأمون وقيادة الجيوش ضد الأمين] - فقام الأمين بتولية محمد بن سعيد الكنانى على اليمن (مطلع عام ١٩٥هـ) إلى أن بعث طاهر بن الحسين إلى اليمن يزيد بن جرير القسري (رجب ١٩٦هـ) فأجابوه إلى مبايعة المأمون وتولى اليمن كما سيأتي خبر ابن خلدون عن ذلك .

ب - ولاية مصر: كان من ولاية مصر في خلافة الأمين:

١ - الأمير اليماني حاتم بن هرثمة بن أعين .

٢ - الأمير اليماني جابر بن الأشعث الطائي (١٩٥ - ١٩٦هـ) .

ج - بلاد السند: استمر الأمير اليماني داود بن يزيد بن حاتم المهلبى والياً لبلاد السند منذ خلافة الرشيد - عام ١٩٤هـ - وفي خلافة الأمين ثم في خلافة المأمون إلى أن مات بالسند عام ٢٠٥هـ .

[١٤٩] - كان الأمير اليماني هرثمة بن أعين والياً على خراسان منذ أواخر خلافة الرشيد - عام =

الفتنة بين الأمين والمأمون [١٥٠]

لما قدم الفضل بن الربيع على الأمين ونكث عهد المأمون . . أغرى الأمين بخلعه والبيعة للعهد لابنه موسى ووافقه في ذلك علي بن عيسى بن ماهان والسندي وغيرهما ممن يخشى المأمون [١٥١].

ولجّ الأمين في ذلك وبلغه أن المأمون عزل العباس بن عبد الله بن مالك عن الريّ وأنه ولي هرثمة بن أعين على الحرس وأن رافع بن الليث استأمن له فأمنه وصار في جملته، فكتب (الأمين) إلى العمال بالدعاء لموسى ابنه بعد الدعاء للمأمون والمؤمن، فلما علم الأمين أنه (أي المأمون) لا يتابعه على مراده خلعه وباع لولده في أوائل سنة خمس وتسعين وسماه الناطق بالحق وقطع ذكر المأمون والمؤمن من المنابر، . . ثم جهز الأمين علي بن عيسى بن ماهان إلى خراسان لحرب المأمون.

وبعث المأمون الفضل بن سهل إلى جند الريّ بالأقوات والإحسان وجمع إليهم من كان بأطرافهم ثم بعث على الريّ طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن أسعد الخزاعي أبا العباس أميراً [١٥٢]، وضمّ إليه القواد والأجناد فنزلها ووضع المسالح والأرصاء.

= ١٩١ - ١٩٣هـ ثم أصبح من الأمراء القادة في اطار ولاية المأمون، ولعل الأمين رأى أن تعيينه قائداً لحرس المأمون مظهر من مظاهر الخليفة فاستنكر ذلك.

[١٥٠] - أخبار الفتنة بين الأمين والمأمون وما رافقها من أحداث وحروب هي أخبار طويلة، وسوف نورد ما ذكره ابن خلدون من معالمها ووقائعها الرئيسية فقط لأن السياق عن أخبار اليمن وأعلام اليمنيين يستلزم معرفة الاطار العام للأحداث والعهود ومسارها وظروفها.

[١٥١] - الفضل بن الربيع هذا فارسي الأصل وعلي بن عيسى بن ماهان فارسي الأصل، وبالتالي فليس صائباً الظن بأن جبهة الأمين كانت عربية وأن المأمون كان مدعوماً من الفرس لمجرد أن وزير المأمون الفضل بن سهل كان فارسي الأصل، فقد كان وزير الأمين كذلك، بل إن المعركة الكبرى الرئيسية الأولى كان قائد جيش الأمين فيها هو علي بن عيسى بن ماهان الفارسي، بينما كان جيش المأمون يقبادة طاهر بن الحسين الخزاعي.

[١٥٢] - هو الأمير القائد اليمني العربي طاهر بن الحسين الخزاعي، وكان يقال له (ذو اليمنيين) لأنه كما قال أحد الشعراء «كلتا يديه يمين . . .» وكذلك «كان يقال له كبش المشرق، وقيل في ذلك: انتصر الله للمأمون بكبش المشرق طاهر بن الحسين الخزاعي . . . وفي ذلك قال الشاعر:

. . . فالله للمأمون خير مؤازرٍ والماجد القم مقام كبش المشرق»
[ص ٤٠٩ ج ٣ / مروج الذهب].

ثم سار علي بن عيسى بن ماهان من بغداد في شعبان وركب الأمين يشيعه في القواد والجنود، ولم يرَ عسكر مثل عسكره، ولقي السفر بالسابلة فأخبروه أن طاهراً بالريّ يعرض أصحابه وهو مستعد للقتال . . وأشاروا عليه بإذكاء العيون والطلائع والتحصن بالخندق، فقال مثل طاهر لا يُستعدّ له وهو إمّا أن يتحصن بالريّ فنثبت إليه أهلها وأمّا أن يفرّ إذا قربت منه خيلنا، ولما كان من الريّ على عشرة فراسخ استشار طاهر أصحابه في لقائه فمالوا إلى التحصن فقال أخاف أن يثب بنا أهلها، وخرج فعسكر على خمسة فراسخ منها في أقل من أربعة آلاف فارس . . وعبى طاهر أصحابه كراديس وحرصهم وأوصاهم . . ثم اشتد القتال، وحملت ميمنة عليّ (بن عيسى) على ميسرة طاهر وكذلك ميسرته على ميمنة طاهر فأزالوها، واعتمد طاهر القلب فهزّمهم ورجعت المجنبتان منهزمة، وانتهت الهزيمة إلى عليّ وهو ينادي بأصحابه، فرماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله وجاء برأسه إلى طاهر، وأعتق طاهر جميع غلمانته شكراً لله . . ورجع طاهر إلى الريّ، وكتب إلى الفضل: كتابي إلى أمير المؤمنين، ورأس عليّ بين يديّ وخاتمه في إصبعي وجنده متصرفون تحت أمري والسلام . فدخل الفضل على المأمون وهنأه بالفتح، ودخل الناس فسلموا عليه بالخلافة .

مسير ابن جبلة إلى طاهر ومقتله

ولما قُتل علي بن عيسى بعث الأمين عبد الرحمن الأنباري في عشرين ألف فارس إلى همدان وولاه عليها وعلى كل ما يفتحه من بلاد خراسان وأمدّه بالمال، فسار إلى همدان وحصّنها، وجاءه طاهر فبرز إليه ولقيه، فهزمه طاهر إلى البلد، ثم خرج عبد الرحمن ثانية فانهزم إلى المدينة، وحاصره طاهر حتى ضج منه أهل المدينة وطلب الأمان من طاهر وخرج من همدان .

وكان طاهر عند نزوله عليها قد خشي من صاحب قزوين أن يأتيه من ورائه، فجهز العسكر على همدان، وسار إلى قزوين في ألف فارس، ففرّ عاملها، وملكها طاهر ثم ملك همدان وسائر أعمال الجبل .

وأقام عبد الرحمن بن جبلة في أمانه، ثم أصاب منه بعض الأيام غرة فركب (عبد الرحمن) وهجم عليه في عسكر، فقاتله طاهر أشد القتال حتى انهزم أصحابه وقُتل، ولحق فلهم بعبد الله وأحمد ابني الحريشي وكانا في عسكر عظيم بعثهما الأمين مدداً لعبد الرحمن فانهزموا جميعاً إلى بغداد، وأقبل طاهر نحو البلاد وأخذها إلى حلوان فخندق بها وجمع أصحابه .

بيعة المأمون . . واستيلاء طاهر على البلاد

وأمر المأمون عندها بأن يُخطب له على المنابر ويُخاطب بأمر المؤمنين [١٥٣].

وبعث الأمين عبد الله بن حميد بن قحطبة لحرب طاهر وأمر الفضل بن الربيع بأن يجهز له عشرين ألف فارس، ثم سار وسار معه عبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً أخرى وانتهوا إلى حلوان وأقاموا، وطاهر بموضعه، ودس المرجفون في عسكرهم بان العطاء والمنع ببغداد والجند يقبضون أرزاقهم، فمشى الجند بعضهم إلى بعض واختلقوا واقتتلوا ورجعوا من غير لقاء، فتقدم طاهر ونزل حلوان، وجاءه هرثمة (بن أعين) في جيش من عند المأمون ومعه كتاب بأن يسلم إلى هرثمة ما ملكه من المدن ويتقدم إلى الأهواز ففعل ذلك . .

فاقتتلوا قتالاً شديداً (في الأهواز) وملك طاهر الأهواز وولى الولاية على اليمامة والبحرين وعمان، ثم سار إلى واسط وبها السندي بن يحيى الحريشي والهيثم بن شعبة خليفة خزيمة بن خازم فهربا عنها، وملكها طاهر، وبعث قائداً من قواده إلى الكوفة وبها العباس بن الهادي فخلع الأمين وبايع للمأمون وكتب بذلك إلى طاهر، وكذلك فعل المنصور بن المهدي بالبصرة والمطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل [١٥٤] وأقرهم طاهر على أعمالهم.

وبعث الأمين الفضل بن موسى على الكوفة، فبعث إليه طاهر ابن العلاء في جيش [١٥٥] فلقية في طريقه فأراد مسالمة بطاعة المأمون كياداً ثم قاتله فانهزم (الفضل) إلى بغداد، ثم سار طاهر إلى المدائن وعليها البرمكي والمدد متصل له كل يوم فقدم قريش بن شبل فلما أشرف عليهم وأخذ البرمكي في التعبئة، فكانت لا تتم له فأطلق سبيل الناس وركب بعضهم بعضاً نحو بغداد، وملك طاهر المدائن ونواحيها.

[١٥٣] - لم يذكر ابن خلدون زمن ذلك، ولكن السياق يقتضي كون ذلك في أوائل عام ١٩٦هـ. ثم ذكر أحداثاً جانبية فانتقلنا إلى ما تلا الوقائع السابقة من وقائع ليرتبط ويتكامل سير الأحداث.

[١٥٤] - هو الأمير اليماني المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي.

[١٥٥] - كان من كبار قادة طاهر بن الحسين القائد نعيم بن وضاح الأزدي وأخوه العلاء بن الوضاح الأزدي، وذكر ابن خلدون في وقائع الأهواز (محمد بن العلاء) وهو المقصود هنا.

بيعة الحجاز واليمن للمأمون

ولما أخذ الأمين كتب العهد من مكة وأمر داود بن عيسى، وكان على مكة والمدينة، بخلع المأمون قام في الناس ونكر نقض العهد وذكرهم ما أخذ الرشيد عليهم من الميثاق لابنيه (محمد الأمين ثم المأمون) في المسجد الحرام وأن يكونوا على الظالم، وأن محمداً بدأ بالظلم والنكث وخلع أخاه وبايع لطفل صغير رضيع.

ثم دعا (داود) إلى خلعه والبيعة للمأمون فأجابوه ونادى بذلك في شعاب مكة وخطبهم وكتب إلى ابنه سليمان بالمدينة بمثل ذلك ففعله، وذلك في رجب سنة ست وتسعين، وسار من مكة على البصرة وفارس وكرمان إلى المأمون وأخبره فسر بذلك وولاه مكانه وأضاف إليه ولاية عك وسيّر معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى بن موسى على الموسم^[١٥٦] (وسيّر المأمون) يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد القسري في جند كثيف عاملاً على اليمن^[١٥٧].

ومروا بطاهر وهو محاصر بغداد فأكرمهم.

وأقام يزيد باليمن فبايعوه للمأمون وأطاعوه^[١٥٨].

... استيلاء طاهر على بغداد ومقتل الأمين^[١٥٩]

لما قُتل الأمين نادى طاهر بالأمان ودخل المدينة - مدينة بغداد - يوم

[١٥٦] - الأرجح أن التولية كانت من طاهر بن الحسين الخزاعي، وقد جاء في تاريخ الطبري أنه: «حج بالناس في سنة ١٩٦هـ و١٩٧هـ العباس بن موسى من قبل طاهر بن الحسين» [اهـ] وقد تقدم أن طاهر بن الحسين هو الذي أقرّ العمال على الكوفة والبصرة والموصل وغيرها وولى الولاية على اليمامة والبحرين وعمان، وكذلك كان شأن الحجاز وموسم الحج.

[١٥٧] - كان يزيد القسري مبعوثاً من طاهر بن الحسين لما بعث الولاية على اليمامة والبحرين وعمان (في جمادى الآخرة ورجب ١٩٦هـ) وقد ذكر ابن الأثير في كتاب (الكامل في التاريخ) أحداث عام ١٩٦هـ - ما يلي نصه:

«وجه طاهر بن الحسين يزيد بن جرير القسري عاملاً على اليمن وبعث معه خيلاً كثيفة، فلما قدم إلى اليمن دعا أهلها إلى خلع الأمين والبيعة للمأمون فأجابوه إلى ما طلب وبايعوا للمأمون.

[١٥٨] - تولى الأمير اليماني يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ولاية اليمن من رجب ١٩٦هـ إلى عام ١٩٩هـ حيث كما جاء في تاريخ ابن الأثير «أحسن يزيد بن جرير السيرة وأظهر العدل» [اهـ].

[١٥٩] - أورد ابن خلدون خبر «حصار بغداد واستيلاء طاهر عليها ومقتل الأمين» من ص ٢٣٨ - ٢٤١ ج ٣ حيث وقعت مواجهات وأحداث طويلة من بداية المعارك بين طاهر بن الحسين =

الجمعة^[١٦٠] فصلى بالناس وخطب للمأمون وذم الأمين ووكل بحفظ القصور
الخلافة .

.. وبعث برأس الأمين إلى المأمون مع ابن عمه محمد بن الحسين بن
مصعب ومعه الخاتم والبردة والقضيب وكتب معه بالفتح فلما رآه المأمون سجد .

من الأخبار والولاية في خلافة المأمون

واستوسق الأمر للمأمون في سائر الأعمال والممالك، فولى المأمون
الحسن بن سهل أخا الفضل على ما افتتحه طاهر من كور الجبل والعراق وفارس
والأهواز والحجاز واليمن، فقدم (الحسن) سنة تسع وتسعين وفتق العمال^[١٦١] .

وولى المأمون طاهراً على الجزيرة والموصل والشام والمغرب^[١٦٢] وأمره أن
يسير إلى قتال نصر بن شبيب في كيسوم شمالي حلب، وكان له ميل إلى الأمين،
فلما قُتل أظهر الوفاء له بالبيعة وغلب على ما جاوره من البلاد، ولما سار إليه
طاهر نزل الرقة وأقام بها وكتب إليه يدعوه إلى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه،
وجاء الخبر إلى طاهر في الرقة بوفاة أبيه الحسين بن زريق بن مصعب بخراسان،

= وجيش الأمين ومحاصرة طاهر لبغداد (في شعبان ١٩٦هـ) وحتى المواجهة الأخيرة بين طاهر
وجيش الأمين في محرم ١٩٨هـ ومما قيل في ذلك قول أحد الشعراء:

... قُتل لأمين الناس في نفسه ما شئت الجند سوى الغالية
وطاهر، نفسي فدَى طاهر برسله، والعدّة الكافية
أضحى زمام المُلك في كفه مُقابلاً للفئة الباغية

[١٦٠] - كان مقتل الأمين في صفر عام ١٩٨ هجرية .

[١٦١] - كان طاهر بن الحسين الخزاعي هو الوالي (الأعلى) على ولاية وأقاليم بلاد فارس
والعراق والحجاز واليمن وبقية الجزيرة العربية منذ عام ١٩٦هـ إلى أوائل عام ١٩٩هـ فكان
والي اليمن في تلك الفترة (يزيد بن جرير القسري) بمثابة نائب الطاهر بن الحسين وكذلك
ولاية عمان والبحرين والحجاز والعراق وبلاد فارس (الجبل وفارس والأهواز) .

فقام المأمون وكان ما يزال مقيماً بخراسان بتولية الحسن بن سهل شقيق الفضل بن سهل
الفارسي وزير المأمون، والياً على تلك الأقاليم - في أوائل عام ١٩٩هـ - فقدم الحسن بن
سهل إلى بغداد وأقام بها وبعث الولاية النواب على تلك البلدان .

[١٦٢] - بموجب ذلك النظام غير المعهود ولى المأمون الزعيم اليميني طاهر بن الحسين الخزاعي
على أقاليم الجزيرة الفراتية والموصل والشام ومصر، إلى المغرب - في أوائل عام ١٩٩هـ -
فاستقر طاهر بن الحسين في (الرقة) وقد سار إلى الموصل والشام ومصر، فكان ولايتها
نواباً له - كمبدأ عام - واستمر كذلك إلى قدوم المأمون من خراسان عام ٢٠٤هـ وتغيير
ذلك النظام فتولى طاهر بن الحسين أقاليم سيأتي ذكر ابن خلدون إياها .

وأن المأمون حضر جنازته ونزل الفضل في قبره، وجاءه كتاب المأمون يعزيه فيه . وبعد قتل الأمين كانت الوقعة بالموصل بين اليمانية والنزارية وكان علي بن الحسن الهمداني متغلباً على الموصل فعسف بالنزارية، فسار عثمان بن نعيم البرجمي إلى ديار مصر وشكا إلى أحيائهم واستنفرهم فسار معه من مصر عشرون ألفاً، وأرسل إليهم علي بن الحسن بالرجوع إلى ما يريدون، فأبى عثمان، فخرج علي بن الحسن في أربعة آلاف فهزمهم وأثنخ فيهم وعاد إلى البلد^[١٦٣].

ولما بعث المأمون الحسن بن سهل إلى العراق وولاه على ما كان افتتحه طاهر من البلاد والأعمال تحدث الناس أن الفضل بن سهل غلب على المأمون واستبد عليه وحجبه عن أهل بيته وقواده، فغضب بنو هاشم ووجوه الناس واجترأوا على الحسن بن سهل وهاجت الفتن .

وسار أبو السرايا^[١٦٤] إلى الرقة فلقى محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط بن علي، ولقب أبوه إبراهيم طباطبا، فدعاه إلى الخروج وأنفذ إلى الكوفة فدخلها وبايعهم أهلها . . وذلك منتصف جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين، وقيل إن أبا السرايا مظهره هزيمة بارزاق أصحابه فغضب ومضى إلى الكوفة فبايع ابن طباطبا^(١٦٧)، ولما ملك الكوفة هرع إليه الناس والأعراب من النواحي فبايعوه، وكان عليها سليمان بن المنصور من قبل الحسن بن سهل فبعث إليه زهير بن المسيب الضبي في عشرة آلاف وخرج إليه ابن طباطبا وأبو السرايا فهزموه واستباحوا عسكره، وأصبح محمد بن طباطبا من الغد ميتاً. فنصب أبو السرايا مكانه غلاماً من العلوية وهو محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين واستبد عليه، . . وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وبعث جيوشاً إلى البصرة وواسط، وولى على البصرة العباس بن محمد وعلى مكة الحسين الأفتس وعلى اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق وعلى فارس

[١٦٣] - استمر الزعيم اليميني علي بن الحسن الهمداني حاكماً لبلاد الموصل إلى عام ٢٠٣هـ - ولا بد أن ذلك كان بتولية من طاهر بن الحسين - وقد ذكر ابن خلدون وقوع صراع - عام ٢٠٣هـ - بين علي بن الحسن الهمداني وبين السيد بن أنس الأزدي كبير الأزدي بالموصل ومقتل الهمداني في جماعة «وملك السيد بن أنس الأزدي الموصل ثم ولاء المأمون عليها عام ٢٠٤هـ» [ص ٢٥٠ ج٣] .

[١٦٤] - كان أبو السرايا الشيباني من قادة جيش الأمير اليميني هرثمة بن أعين، وقد زعم الحسن بن سهل فيما بعد أن هرثمة هو الذي دفع أبا السرايا للقيام بما قام به، وإنما كان هناك نفور عربي واسع من تولية الحسن بن سهل ومن أخيه الفضل .

إسماعيل بن موسى بن جعفر، وسار إلى البصرة وأخرج عنها العباس بن محمد بن داود بن الحسن إلى المدائن وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقي ففعل، وكان بواسط عبد الله بن سعيد الخرخشي من قبل الحسن بن سهل ففرّ أمامهم.

وبعث الحسن بن سهل إلى هرثمة يستدعيه لحرب أبي السرايا، وكان قد سار إلى خراسان مغاضباً له، فرجع بعد امتناع وسار إلى الكوفة في شعبان . . وأقام هرثمة بنواحي الكوفة يحاصرها واستدعى المنصور بن المهدي وكتب رؤساء الكوفة، وسار علي بن أبي سعيد من المدائن إلى واسط فملكهما ثم توجه إلى البصرة، واشتد الحصار على أبي السرايا بالكوفة فهرب عنها في ثمانمائة فارس ومعه صاحبه الذي نصبه وهو محمد بن جعفر، ودخلها هرثمة متتصفاً محرم فأقام بها يوماً وولى عليها غسان صاحب الحرس بخراسان وعاد وقصد أبا السرايا إلى القادسية فسار منها إلى السوس، وكان على الأهواز الحسن المأموني فخرج إليه فقاتله فهزمه وافترق أصحابه، وجاء إلى منزله برأس عين جلواء ومعه صاحبه محمد وغلّامه أبو الشوك فظفر بهم حماد الكندغوش وجاء بهم إلى الحسن بن سهل فقتل أبا السرايا وبعث برأسه إلى المأمون وبصاحبه محمد معه. وسار علي بن أبي سعيد إلى البصرة فملكها من يد زيد بن موسى بن جعفر الصادق وكان يسمى زيد النار لكثرة ما أحرق من دور العباسيين وشيعتهم فاستأمن إليه زيد فأمنه وأخذه، وبعث الجيوش إلى مكة والمدينة واليمن لقتال من بها من العلويين.

فتنة إبراهيم الجزار باليمن وعمه بمكة

وكان إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بمكة، فلما بلغه خبر أبي السرايا ومقتله، ولى، وسار إلى اليمن، وبها إسحاق بن موسى بن عيسى^[١٦٥]، فهرب إلى مكة، واستولى إبراهيم على اليمن، وكان يُسمى الجزار لكثرة قتله

[١٦٥] - كان أول ولاية اليمن في خلافة المأمون هو - كما تقدم - الأمير اليماني يزيد بن جرير القسري فأحسن السيرة وظهر العدل في ولايته لليمن (من رجب ١٩٦هـ - إلى أوائل عام ١٩٩هـ) واتخذ الفرس الأبناء بصنعاء منه موقف عداء، فلما ولى المأمون الحسن بن سهل الفارسي على العراق والحجاز واليمن قام بعزل يزيد القسري وتولية عمر بن إبراهيم العدوي - (من بني عدي) - وكان بنو عدي والأبناء ذوي أهواء واحدة، فتولى العدوي عدة أشهر ثم ولى الحسن بن سهل على اليمن إسحاق بن موسى العباسي هذا فتولاها إلى أن قدم إبراهيم بن موسى العلوي الجزار إلى اليمن داعياً إلى نفسه بالخلافة.

وفتكه^[١٦٦]. ثم بعث إبراهيم رجلاً من ولد عقيل بن أبي طالب إلى مكة ليحج بالناس، وقد جاء لذلك أبو الحسن المعتصم في جماعة من القواد فيهم حدويه بن علي بن عيسى بن ماهان والياً على اليمن من قبل الحسن بن سهل^[١٦٧].

فحام العقيلي عن لقائهم واعترض قافلة الكسوة فأخذها ونهب أموال التجار ودخل الحجاج مكة عراة، فبعث الجلودي من القواد فصبحهم وهزمهم وأسر منهم وتفقده أموال التجار وكسوة الكعبة وطبيها وضرب الأسرى عشرة أسواط لكل واحد وأطلقهم^[١٦٨]، وحج المعتصم بالناس.

وكان الحسين الأفتس بمكة (قبل ذلك) فلما قُتل أبو السرايا جاء إلى محمد بن جعفر الصادق ليبيع له بالخلافة فلم يزل به هو وابنه الحسن استعانا عليه بابنه علي حتى بايعوه ودعوه بأمر المؤمنين، واستبد عليه ابنه عليّ وابن الأفتس

[١٦٦] - كان قدوم إبراهيم الجزار إلى اليمن في صفر عام ٢٠٠هـ بمساندة عشيرة بني حرب الخولانية وقبيلة سعد الخولانية في صعدة ونجران كما مال إليه بعض الأبناء الفرس وغيرهم بصنعاء فتولى الأمر ودخل صنعاء بدون قتال لأن إسحاق بن موسى والي اليمن هرب إلى مكة فأعلن إبراهيم نفسه خليفة وأميراً للمؤمنين، وكان قد اصطحب معه إلى صنعاء من صعدة وغيرها عدداً من الشخصيات اليمنية من بني خنفر بن حجر بن زرعة الحميريين بقية بيوت ملوك حمير ومن الأكيليين الخولانيين وبني شهاب، ثم غدر بهم وقتلهم في مجزرة بصنعاء، فرتاهم الشاعر أحمد بن يزيد القشبي بقصائد أوردتها الهمداني في الإكليل واستنفر الشاعر القشبي زعماء وقبائل اليمن ضد إبراهيم الجزار وقلب الدنيا عليه، وقبل أن يخرج إبراهيم الجزار مهزوماً طريداً من اليمن بعد وصول ابن ماهان في مطلع عام ٢٠١هـ قام بإخراجه وهدم سد الخانقين التاريخي الشهير بصعدة.

[١٦٧] - هو محمد بن علي بن عيسى بن ماهان، وقد بعثه الحسن بن سهل إلى اليمن بعد أن هرب عاملها إسحاق بن موسى إلى مكة وتغلب إبراهيم الجزار على الأمر في اليمن، وأشعل الزعماء اليمنيون الحرب ضد إبراهيم الجزار بعد المجزرة التي ارتكبها في صنعاء، فلما قدم محمد بن ماهان إلى اليمن (مطلع عام ٢٠١هـ) قام معه الزعماء اليمنيون أمثال (عباد بن غمر الشهابي ومحمد بن عباد الأكيلي الخولاني وأحمد بن يزيد القشبي فخرج إبراهيم الجزار طريداً من اليمن إلى الحجاز) ثم استأمن كما استأمن عمه محمد بن جعفر بمكة.

[١٦٨] - كان القائد عيسى بن يزيد الجلودي مبعوثاً من الأمير اليمني القائد هرثمة بن أعين بعد أن قضى هرثمة على حركة أبي السرايا بالكوفة، وكان حسين الأفتس العلوي قد بعثه أبو السرايا إلى مكة فتغلب عليها وعاث فيها، فأرسل هرثمة قوة إلى مكة بقيادة الجلودي وابن رجاء للقضاء على فتنة الأفتس ومحمد بن جعفر العلوي بمكة كما ذكر ابن خلدون في خبرهما.

بأسوأ مما كان قبل، وأفحشوا في الزنى واللواط واغتصاب النساء والصبيان، فاجتمع الناس على خلع محمد بن جعفر أو يرد إليهم ابن القاضي وكان مغتصباً بيت ابنه علي، فاستأمنهم حتى ركب إلى بيت ابنه وسلم إليهم الغلام.

وجاء إسحاق بن موسى بن عيسى من اليمن^[١٦٩]، فاجتمع الناس وخذقوا مكة، وقاتلهم إسحاق وامتنعوا عليه فسار نحو العراق ولقي الجند الذين بعثهم هرثمة إلى مكة مع الجلودي ورجاء بن جميل، فرجع بهم، وقاتل الطالبين فهزمهم وافترقوا واستأمن (علي بن) محمد بن جعفر فأمنه وملك مكة، وسار محمد بن جعفر إلى الجحفة ثم إلى بلاد جهينة فجمع وقاتل هارون بن المسيب والي المدينة فانهزم محمد وفقت عينه، وقتل خلق من أصحابه ورجع إلى موضعه، ولما انقضى الموسم استأمن الجلودي ورجاء بن جميل فأمنه ودخل مكة وخطب واعتذر عما فعله بأنه بلغه موت المأمون ثم صح أنه حي، وخلع نفسه وسار إلى الحسن والي المأمون بمرو، فلم يزل عنده إلى أن سار المأمون إلى العراق فمات بجرجان في طريقه^[١٧٠]. [أه].

من الولاة والأعلام بعد عودة المأمون^[١٧١]

لما استقر المأمون ببغداد وسكن الهيج وذلك سنة أربع ومائتين، ولى على

[١٦٩] - هو الوالي الذي هرب من اليمن لما تغلب إبراهيم الجزار مما يدل على أن الوقائع المذكورة هنا كانت بعد ربيع عام ٢٠٠هـ. وقد امتدت إلى موسم حج عام ٢٠٠هـ. (***) وتلا ذلك هزيمة وطرده إبراهيم الجزار من اليمن (مطلع عام ٢٠١هـ) على يد ابن ماهان والزعماء اليمنيين.

[١٧٠] - كان قدوم المأمون من مرو خراسان إلى العراق في منتصف صفر عام ٢٠٤هـ وكان مما سبق ذلك:

أ - واقعة مقتل هرثمة بن أعين بمكيدة الحسن بن سهل وأخيه الفضل لدى المأمون بأنه مالأ العلويين وأبا السرايا، فلما سار هرثمة من العراق إلى مرو وهو لا يعلم بالمكيدة قام المأمون باعتقاله ثم دس إليه من قتله.

ب - شهدت العراق وفارس حركات طالية وغيرها إلى أن خمدت الفتن عام ٢٠٣هـ. ج - كان محمد بن علي بن ماهان والياً لليمن وقد تولاه مسنوداً بعباد بن غمر الشهابي وأمثاله من الزعماء اليمنيين إلى ح/ ٢٠٤هـ.

[١٧١] - بعنوان (العمال بالنواحي) تحدث ابن خلدون (ص ٢٥٣ - ٢٥٥ ج ٣) عن الولاة والأمراء فانتقلنا إلى ذلك، وقد سبق ذلك إيراد تفاصيل الوقائع الرئيسية (ص ٢٤٥ - ٢٥٢) ويتضمنها بايجاز خبر الولاة فاستصوبنا الاكتفاء بذلك لكي يترابط السياق، ولم يذكر ابن خلدون هنا خبر تولية محمد بن زياد على قسم واسع من اليمن عام ٢٠٤هـ وإنما تحدث =

الكوفة أخاه أبا عيسى وعلى البصرة أخاه صالحاً وعلى الحرمين عبد الله بن الحسين (الطالبي) وعلى الموصل السيد أنس الأزدي^[١٧٢] وولى على الشرطة ببغداد ومعاون السواد طاهر بن الحسين استقدمه من الرقة^[١٧٣] واستخلف ابنه عبد الله عليهما، ثم ولاه المأمون سنة خمس خراسان وأعمال المشرق كلها^(١٧٦) واستقدم ابنه عبد الله فجعله على الشرطة ببغداد مكان أبيه، وولى يحيى بن معاذ على الجزيرة وعيسى بن محمد بن أبي خالد على أرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك الخرمي، ومات عامل مصر السري بن محمد بن الحكم فولى ابنه عبيد الله مكانه، ومات داود بن يزيد عامل السند^[١٧٤] فولى بشر بن داود مكانه على أن يحمل ألف ألف درهم كل سنة^[١٧٥].

= عن ذلك بالتفصيل في فصل خاص عن اليمن بالجزء الرابع حيث ترتب على ذلك قيام الدولة الزيدية باليمن كما سيأتي حيث كان عهد المأمون آخر عهود ولاية اليمن الموحدة في اطار دولة الخلافة العربية الإسلامية.

[١٧٢] - هو الأمير اليماني السيد بن أنس الأزدي والي ولاية الموصل من عام ٢٠٣هـ وعام ٢٠٤هـ إلى عام ٢١١هـ - كما يأتي - وقد تولى الموصل في خلافة المعتصم (عام ٢٢٤هـ) نجله الأمير عبد الله بن السيد بن أنس الأزدي وكان من أعلام اليمانيين.

[١٧٣] - كان الزعيم اليماني طاهر بن الحسين الخزاعي ذو اليمينين قد تولى الموصل والجزيرة الفراتية والشام إلى مصر - كما تقدم - فلما عاد المأمون إلى العراق - عام ٢٠٤هـ - وكما ذكر ابن خلدون - «ولى طاهر بن الحسين على الشرطة وعلى جانبي بغداد والسواد» وتولى ابنه عبد الله بن طاهر بلاد الشام (الرقة).

(***) وفي عام ٢٠٥هـ عقد المأمون لطاهر بن الحسين ولاية خراسان «إلى أقصى عمل المشرق من حلوان إلى خراسان» فسار طاهر إلى خراسان في ذي القعدة عام ٢٠٥هـ فتولاها إلى وفاته (عام ٢٠٧هـ) وأسس الدولة الطاهرية في خراسان، وكانت تشمل خراسان وأقاليم ما وراء النهر ومنها بخارى وسمرقند وتركمستان والتاجيك وسجستان حيث دامت الدولة الطاهرية وتعاقب حكامها الطاهريون الخزاعيون اليمانيون من عام ٢٠٥هـ الموافق ٨٢٠م إلى عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م، وكان طاهر بن الحسين أديباً شاعراً، وفيه قال الشاعر أبو عيينة المهلي:

يا ذا اليمينين قد أقرتني منناً تترى هي الغاية القصوى من المنن

(الخ. القصيدة).

[١٧٤] - هو الأمير اليماني داود بن يزيد المهلي نجل واحد العرب يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، وكان داود بن يزيد قد تولى السند بعد المغيرة بن يزيد بن حاتم في خلافة هارون الرشيد عام ١٨٤هـ فمكث والياً حاكماً لبلاد السند (باكستان) من عام ١٨٤هـ إلى وفاته عام ٢٠٥هـ (٨٢٠م).

[١٧٥] - تولى بشر بن داود المهلي ولاية السند بعد أخيه (٢٠٥هـ) والتزم بأداء مبلغ ألف ألف درهم سنوياً مقابل خراج وإيرادات السند - (أي مبلغ مقطوع من المال سنوياً للخليفة) كما =

ثم مات يحيى بن معاذ عامل الجزيرة سنة ست واستخلف ابنه أحمد فعزله
المأمون وولى مكانه عبد الله بن طاهر وأضاف إليه مصر [١٧٦].

وفي سنة تسع ولى صدقة بن علي ويعرف بزريق على أرمينية وأذربيجان [١٧٧]
وأمره بمحاربة بابك، وقام بأمره أحمد بن الجنيد الإسكافي فأسره بابك، فولى
إبراهيم بن الليث بن الفضل أذربيجان.

وفي سنة إحدى عشرة قتل زريق علي بن صدقة الأزدي (١٨٠) السيد بن أنس
صاحب الموصل، وقد كان زريق تغلب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان أو
ولاه المأمون عليها، فجمع وقصد الموصل لحرب السيد فخرج إليه في أربعة آلاف
فاشتد القتال بينهم وقتل السيد في المعركة، فغضب المأمون لقتله وولى محمد بن
حميد الطوسي على الموصل وأمره بحرب زريق وبابك الخرمي فسار إلى الموصل

= حدث في تولية ابن الأغلب على المغرب أيام الرشيد وتولية ابن زياد باليمن أيام المأمون
(٢٠٤هـ) وهو نظام وأسلوب ساهم في تفكيك الدولة. وقد حكم بشر بن داود بلاد السند إلى
عام ٢١٤هـ وكان - فيما تعلم - آخر الحكام الأمراء من آل المهلب.

(*) قال ابن خلدون في آخر خبر الولاة «وفي سنة ٢١٣ ولى المأمون غسان بن عباد على السند
لما بلغه خلاف بشر بن داود... وفي سنة ٢١٦ قدم غسان بن عباد من السند ومعه بشر بن
داود مستأمناً، فولى على السند عمران بن موسى العكي» [اهـ] فكان عمران العكي آخر الولاة
اليمنيين العرب لبلاد السند إلى خلافة المعتصم كما يبدو.

[١٧٦] - هو الأمير اليماني عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، وقد ولاه المأمون عام
٢٠٦هـ - كما ذكر ابن خلدون - «الرقعة ومصر وما بين الرقة ومصر» فشملت ولايته الجزيرة
القراتية والشام ومصر فكان ولايتها نواباً له وتولى حكمها إلى عام ٢١٢هـ.

(*) وكان من أهم وقائع عهده أنه «انتقض عبد الله بن السري والي مصر وانزل بالإسكندرية جالية
من الأندلس أخرجهم الحكم بن هشام من قرطبة وغربهم إلى المشرق، ولما نزلوا
بالإسكندرية ثاروا وملكوها وولوا عليهم أبا حفص عمر البلوطي... فسار عبد الله بن طاهر من
الشام إلى مصر وحاصر ابن السري حتى نزل على الأمان وذلك سنة ٢١٠هـ ثم بعث عبد الله
بن طاهر إلى الجالية الذين ملكوا الإسكندرية بالحرب فسألوا الأمان فأجابهم على أن يرتحلوا
من الإسكندرية إلى جزيرة أفریطش (كريت) فساروا إليها واستوطنوها وتملكوها، وبقيت
أفریطش (كريت) في سلطان المسلمين من أعقابهم دهرًا».

(**) وفي الفترة ذاتها كان فتح جزيرة صقلية بقيادة أسد بن الفرات بن سنان اليماني قاضي
القيروان، وكانت المغرب تحت حكم ابن الأغلب فبعث أسد بن الفرات إلى صقلية فافتتحها
عام ٢١٢هـ الموافق ٨٢٧م واستكمل فتحها القائد اليماني الفضل بن جعفر الهمداني عام ٢٢٨
- ٢٣٢هـ واستمر الحكم العربي الإسلامي لصقلية إلى عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م.

[١٧٧] - ذكر ابن خلدون في فقرة تالية أن اسمه (زريق علي بن صدقة الأزدي) وكان له شأن
كبير في بلاد القوقاز والموصل.

واستولى عليها سنة اثنتي عشرة، ثم قُتل محمد بن حميد الطوسي سنة أربع عشرة قتله بابك الخرمي، وعظم ذلك على المأمون، واستعمل المأمون عبد الله بن طاهر على خراسان لأنه كان بلغه أن أخاه طلحة بن طاهر مات، وقام علي (بن طاهر) أخوه مكانه خليفة لعبد الله، وعبد الله بالدينور يجهز العساكر إلى بابك، فكثرت عيث الخوارج بخراسان.

فولى المأمون ابنه العباس على الجزيرة والثغور والعواصم وأخاه أبا إسحاق المعتصم على الشام ومصر، وسير عبد الله بن طاهر إلى خراسان^[١٧٨] وأعطى لكل واحد منهم خمسمائة ألف درهم. وبعث المعتصم أبا عميرة الباذغيس عاملاً على مصر فوثب به جماعة من القيسية واليمانية فقتلوه سنة أربع عشرة، فسار المعتصم إلى مصر فقاتلهم وافتتح مصر وولى عليها واستقامت الأمور.

«وفي سنة خمس عشرة دخل المأمون بلاد الروم بالصائفة وسار عن بغداد في محرم واستخلف عليها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وهو ابن عم طاهر وولاه السواد وحلوان وكور الأهواز^[١٧٩] وسار المأمون على الموصل إلى منبج ثم رابع ثم أنطاكية ثم المصيصة وطرسوس ودخل من هناك فافتتح حصن قرة عنوة وهدمه وقيل بل فتحه على الأمان. . وفي سنة سبع عشرة رجع المأمون إلى بلاد الروم فأناخ على لؤلؤة فحاصرها مائة يوم ثم رحل عنها وخلف عجيلاً على حصارها. . واستأمن أهل لؤلؤة إلى عجيبي وبعث نوفل ملك الروم في المهادنة والمأمون على سلوین فلم يجبه، ثم رجع المأمون سنة ثمان عشرة^[١٨٠].

. . ودخل المأمون العراق وهو مريض فمات بطرطوس، وعهد لابنه المعتصم وهو أبو إسحاق محمد قبويح له بعد موته وذلك منتصف رجب من سنة ثمان وعشرين ومائتين. [اهـ].

[١٧٨] - أصبح عبد الله بن طاهر والياً حاكماً لبلاد خراسان وأقاليمها من بلاد فارس إلى أقاصي

المشرق وسمرقند وأسية الوسطى حتى وفاته.

[١٧٩] - كان إسحاق بن إبراهيم الخزاعي قائد وصاحب الشرطة ببغداد منذ عام ٢٠٦هـ ثم ولاه

المأمون السواد وحلوان والأهواز واستخلفه عام ٢١٥هـ.

[١٨٠] - أوردنا هذه الفقرة من حديث ابن خلدون عن الصوائف (ص ٢٥٦ ج ٣) كاختتام لعهد

المأمون ولهذا الفصل من الكتاب.

أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه للعباسيين والعبيديين وسائر ملوك العرب وابتداء ذلك وتصاريفه على الجملة ثم تفصيل ذلك على مدته ومملكه واحدة بعد واحدة [١]

لما جاءت دولة بني العباس ولى السفاح على اليمن عمه داود بن علي حتى إذا توفي ولى مكانه محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الممدان [٢].
ثم تعاقب الولاة على اليمن [٣].

[١] - هذا العنوان الطويل «أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه للعباسيين . . . الخ» هو عنوان ابن خلدون للفصل الذي خصصه لأخبار اليمن في الجزء الرابع (ص ٢١٢ - ٢١٧) وقد بدأ بالإشارة إلى دخول اليمن في الإسلام في عهد رسول الله ﷺ وبعض الولاة والأخبار إلى عصر الخلفاء الراشدين وعصر الدولة الأموية وذلك في عدة سطور فيها اضطراب وعدم استيفاء فاستصوبنا أن يبدأ الفصل بالدولة العباسية تمثيلاً مع عنوان ابن خلدون، وقد تقدم الخبر عن اليمن وولاتها وأحداثها بالتفصيل منذ عهد رسول الله ﷺ إلى نهاية عصر الخلفاء الأمويين وفي عصر الخلفاء العباسيين الأوائل.

[٢] - كانت ولاية محمد بن يزيد بن عبد الممدان الحارثي لليمن في عام ١٣٢هـ كما تقدم وهو خال أبو العباس السفاح، وكان قد بلغ من الكبر عتياً وما لبث أن مات بصنعاء ثم تولى اليمن عبد الله بن مالك بن عبيد الله بن عبد الممدان الحارثي وكان عجوزاً، فلما مات بصنعاء كتب أبو العباس السفاح بولاية علي بن الربيع الحارثي لليمن - عام ١٣٣هـ - فتولاها مدة أربع سنين وأشهر، ومات أبو العباس السفاح في ذي الحجة ١٣٦هـ وعلي بن الربيع والياً لليمن واستمر إلى عام ١٣٧هـ.

[٣] - تقدم ذكر الولاة الذين تعاقبوا على اليمن - بعد عهد أبي العباس السفاح - وهم:

أ - في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٧ - ١٥٨هـ) تعاقب على اليمن سبعة ولاة كان أبرزهم عبد الله بن الربيع الحارثي (١٣٧ - ١٤٢هـ) ثم معن بن زائدة الشيباني (١٤٣ - ١٥١هـ) ثم يزيد بن منصور الحميري (١٥٣ - ١٥٩هـ) وكان الآخرون نواباً لهم.

ب - في خلافة المهدي بن المنصور (١٥٨ - ١٦٩هـ) تولى اليمن بعد يزيد بن منصور الحميري رجاء بن روح بن زنباع الجذامي (١٦٠ - ١٦١هـ) ثم علي بن سليمان العباسي (١٦١ - ١٦٢هـ) ثم عبد الله بن سليمان (١٦٣هـ) ثم منصور بن يزيد الحميري (١٦٤ - =

كانوا ينزلون صنعاء^[٤]؛ حتى انتهت الخلافة إلى المأمون وظهرت دعاة الطالبيين بالنواحي وبإيع أبو السرايا من بني شيبان بالعراق لمحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم أخو المهدي النفس الزكية محمد بن عبد الله بن حسن، وكثر الهرج وفرق العمال في الجهات، ثم قُتل، وبويع محمد بن جعفر الصادق بالحجاز وظهر باليمن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر سنة مائتين، ولم يتم أمره، وكان يُعرف بالجزار لسفكه الدماء، وبعث المأمون عساكره إلى اليمن فدوخوا نواحيه وحملوا كثيراً من وجوه الناس، فاستقام أمر اليمن كما ذكرناه^[٥].

دولة بني زياد بالدعوة العباسية . . ودولة بني يعفر

ولما وفد وجوه أهل اليمن على المأمون كان فيهم محمد بن زياد من ولد عبد الله بن زياد بن أبي سفيان، فاستعطف المأمون وضمن له حياة اليمن من

= ١٦٦هـ) ثم عبد الله بن سليمان النوفلي (١٦٧هـ) وسليمان الحارثي (١٦٧ - ١٦٨هـ) وعبد الله الخزاعي (١٦٨ - ١٦٩هـ).

ج - في خلافة الهادي بن المنصور (١٦٩ - ١٧٠هـ) تعاقب أربعة ولاة لفترات قصيرة كان أبرزهم الربيع بن عبد الله الحارثي إلى وفاة الهادي.

د - في خلافة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ) تولى اليمن الغطريف بن عطاء اليماني (١٧٠ - ١٧٤هـ) ثم الربيع بن عبد الله الحارثي (١٧٤ - ١٧٩هـ) ثم أربعة ولاة في فترة اضطراب ثم محمد بن خالد البرمكي (١٨٣ - ١٨٤هـ) ثم حماد البربري (١٨٤ - ١٩٢هـ) ثم الخزاعي.

هـ - في خلافة الأمين (١٩٣ - ١٩٦هـ) تولى اليمن محمد بن عبد الله الخزاعي (١٩٣ - ١٩٥هـ) ثم محمد سعيد الكتاني (١٩٥ - ١٩٦م).

و - في أول خلافة المأمون (١٩٦ - ١٩٩هـ) تولى اليمن يزيد بن جرير القسري اليماني وكان آخر الولاة اليمانيين الذين ساد اليمن في عهدهم العدل والاستقرار والرخاء، ثم تولى اليمن عمرو العدوي (١٩٩هـ) ثم إسحاق العباسي إلى صفر ٢٠٠هـ.

[٤] - كانت مدينة صنعاء عاصمة اليمن ومقر ولاة اليمن، قال ابن خلدون: «وصنعاء كرسي التبابعة» لأنها كانت عاصمة اليمن ومقر ملوكها التبابعة في عصر الدولة الحميرية الأخيرة وملوكها التبابعة قبل الإسلام، فاستمرت صنعاء هي عاصمة اليمن ومنزل ولاة اليمن منذ فجر الإسلام في عصور الخلفاء الراشدين ثم الأمويين ثم العباسيين إلى أيام المأمون، وكانت ولاية اليمن تشمل كل اليمن الطبيعية إلى مفاوز عمان شرقاً وبيشة وتخوم الطائف شمالاً والبحر جنوباً وغرباً.

[٥] - تقدم الخبر عن ذلك وأن المأمون بعث محمد بن عيسى بن ماهان فتولى اليمن عام ٢٠١هـ - ٢٠٤هـ وأمور اليمن مستقيمة.

العلويين، فوصله، وولاه على اليمن، وقدمها سنة ثلاث ومائتين^[٦٦]، وفتح تهامة اليمن وهي البلد التي على ساحل البحر الغربي، واختط بها مدينة زيد، ونزلها، وأصارها كرسياً لتلك المملكة^[٦٧]، وولّى على الجبال مولاه جعفرأ وفتح (جبال) تهامة بعد حروب من العرب، واشترط على عرب تهامة أن لا يركبوا الخيل^[٨]، واستولى ابن زياد على اليمن أجمع ودخلت في طاعته أعمال حضرموت والشحر وديار كندة، وصار في مرتبة التبابعة^[٩].

وكان في صنعاء قاعدة اليمن بنو يعفر من حمير بقية الملوك التبابعة، استبدوا بها مقيمين بالدعوة العباسية، ولهم مع صنعاء بيحان ونجران وجرش^[١٠].

[٦] - صادف تولية ابن زياد - كما ذكر عمارة - «ورود كتاب عامل اليمن بخروج الأشاعر وعك عن الطاعة» أما نسب بني زياد إلى أبي سفيان فقد ذكره عمارة والأصح أنهم يمانيون، ووقع انتحال النسب فيما بعد... وكانت تولية ابن زياد على قسم واسع من اليمن مقابل أداء مبلغ سنوي من المال مقطوع إلى الخليفة.

[٧] - اختط ابن زياد مدينة زيد - كما ذكر عمارة: «في شعبان سنة أربع ومائتين» قال ابن خلدون: «ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر من السرين من جهة الحجاز إلى آخر أعمال عدن دورة البحر الهندي» (اه/ص ٢٢١).

[٨] - ذكر عمارة قدوم جعفر هذا سنة ٢٠٦هـ، والمقصود بعرب تهامة الذين حاربوا ابن زياد ببعض الجبال المحيطة بتهامة.

[٩] - لم تشمل دولة بني زياد كل اليمن وإنما شملت قسماً واسعاً من اليمن، يشمل تهامة اليمن إلى عدن ويشمل كما ذكر عمارة «الجند وأعمالها ومخلاف المعافر ومخلاف جعفر (المناضي/ مذيخرة) ولحج وعدن وأبين وحضرموت والشحر ومرباط (ظفار المشرق بعمان حالياً) - فأصبحت مدينة زيد عاصمة ذلك القسم من اليمن وهو قسم الدولة الزيدية، بينما أصبح القسم الثاني وعاصمته صنعاء للدولة اليعفرية.

[١٠] - قامت الدولة اليعفرية في قسم صنعاء ومخاليفها إلى نجران وجرش شمالاً وبيحان جنوباً وشرقاً، ونشير إلى ما يلي:

أ - كان بقسم صنعاء ومخاليفها ولاة من قبل الخليفة العباسي المأمون منهم (نعيم بن الوضاح الأزدي ٢٠٦ - ٢٠٨هـ) و(عباد بن غمر الشهابي ٢٠٩ - ٢١٥هـ) ثم (٢١٨ - ٢٢٠هـ) ثم تغاقب على قسم صنعاء عدد من الولاة في خلافة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ) والواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ) والمتوكل بن المعتصم (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) وكان أغلبهم من العجم ووقعت حروب بينهم وبين اليعفرين.

ب - كان أول الحكام اليعفرين الحميريين (أبو يعفر عبد الرحيم الحوالي - صاحب شام وكوكبان) وكان نائباً للوالي العباسي من عام ٢٢٥هـ ثم حارب الولاة العباسيين لصنعاء وحاصرها مراراً، وكان عهد أبو يعفر (٢٢٥ - ٢٤٧هـ) وعاصر محمد بن عبد الله بن زياد (٢٠٣ - ٢٤٥هـ).

وكان آخرهم أسعد بن يعفر ثم أخوه محمد، ودخلوا في طاعة ابن زياد^[١١].
وكان في عثر من ممالك اليمن أيضاً سليمان بن طرف، فدخل في طاعته^[١٢].

ثم هلك محمد بن زياد^[١٣].
وولّى بعده ابنه إبراهيم^[١٤].

ج - ثم تولى الزعامة يعفر بن عبد الرحيم الحوالي ٢٤٧ - ٢٥٩ هـ بالمعارضة للولاء باسم العباسيين في صنعاء وانتهى الصراع عام ٢٥٩ هـ حيث كتب الخليفة العباسي المعتمد بتولية محمد بن يعفر على قسم صنعاء ومخاليقها، فتولاها محمد بن يعفر (٢٥٩ - ٢٧٩ هـ) وكان رجلاً صالحاً وقام ببناء منارة الجامع الكبير بصنعاء، وقتله ابنه إبراهيم عام ٢٧٠ هـ أو ٢٧٩ هـ فتولى إبراهيم بن محمد بن يعفر (٢٧٩ - ٢٨٥ هـ) وانقلبت عليه البلاد، ثم تولى الأمر عام ٢٨٦ هـ أسعد بن أبي يعفر الحوالي.
وعاصره في قسم زييد والدولة الزيدية إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد (٢٤٥ - ٢٨٩ هـ).

[١١] - أسعد بن يعفر هو أسعد بن أبي يعفر الحوالي الحميري (٢٨٦ - ٣٣٢ هـ) ثم محمد بن إبراهيم بن يعفر (٣٣٢ - ٣٥٢ هـ) والمقصود بقول ابن خلدون: «دخلوا في طاعة ابن زياد» ليس محمد بن زياد لأنه مات عام ٢٤٥ هـ وإنما المقصود أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد.

ولم يدخل أسعد في طاعة أيّ منهم، وربما أخذ ابن خلدون ذلك من قول عمارة: «وكان ملك صنعاء أسعد بن أبي يعفر يخطب لأبي الجيش بن زياد ويضرب الدراهم على اسمه، ولم يكن يُنفذ إلى أبي الجيش هدية ولا ضريبة، وكان ارتفاع أموال أسعد هذا لا يزيد على أربعمئة ألف في السنة، يصرف معظمها في سبيل البرّ لوفاديه وقاصديه» (اه).

[١٢] - عثر: من مدن أعالي تهامة اليمن (جيزان وعسير حالياً) قال ابن خلدون في موضع لاحق: «عثر وحلى والشرجة: من أعمال زييد في شماليها، وتعرف بأعمال ابن طرف، مسيرة سبعة أيام في يومين من الشرجة إلى حلى، وبين حلى ومكة ثمانية أيام، وعثر هي منبر الملك، وهي على البحر، وكان سليمان بن طرف ممتنعاً بها على أبي الجيش بن زياد، وكان مبلغ ارتفاعه خمسمائة ألف دينار، ثم دخل في طاعته وخطب له وحمل المال» (اه/ص ٢٢١) وكانت عثر وأعمالها تابعة للدولة الزيدية منذ قيامها، وكان طرف الحكمي عاملاً نائباً لمحمد بن زياد ثم امتنع بها ابنه سليمان بن طرف أيام أبي الجيش ثم دخل في طاعته.

[١٣] - كان عهد محمد بن زياد - وهو محمد بن عبد الله بن زياد - من عام ٢٠٣ هـ أو ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) إلى عام ٢٤٥ هـ، وقد عاصر بقية خلافة المأمون (١٩٦ - ٢١٨ هـ) وخلافة المعتصم بن هارون الرشيد (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) وخلافة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) والمتوكل بن المعتصم (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) كما عاصر أبو يعفر عبد الرحيم الحوالي الحميري (٢٢٥ - ٢٤٧ هـ).

[١٤] - كان عهد إبراهيم بن محمد بن زياد (٢٤٥ - ٢٨٩ هـ) وقد عاصره بقسم صنعاء ومخاليقها =

ثم ابنه زياد بن إبراهيم^[١٥].
 ثم أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم^[١٦]. وطالت مدته إلى أن أسنّ وبلغ
 الثمانين، وقال عمارة: مَلَكَ ثمانين سنة باليمن وحضرموت والجزائر البحرية،
 ولما بلغه قتل المتوكل وخلع المستعين^[١٧] واستبداد الموالي على الخلفاء، منع
 ارتفاع اليمن^[١٨]، وركب بالمظلة شأن سلاطين العجم المستبدين.

دولة بني الرسي الزيدية بصعدة

وفي أيامه^[١٩] خرج باليمن يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم
 طباطبا بدعوة الزيدية، جاء إليها من السند، وكان جده القاسم قد فرّ إلى السند بعد
 خروج أخيه محمد مع أبي السرايا ومهلكه كما مرّ، فلحق القاسم بالسند وأعقب بها
 الحسين ثم ابنه يحيى بن الحسين، فظهر يحيى باليمن سنة ثمان وثمانين

= (الدولة اليعفرية) يعفر بن عبد الرحيم (٢٤٧ - ٢٥٩هـ) ومحمد بن يعفر (٢٥٩ -
 ٢٧٩هـ) ثم أسعد بن أبي يعفر (٢٨٦ - ٣٣٢هـ) وفي تلك الفترة استقلت بحكم مصر
 الدولة الطولونية (٢٥٤ - ٢٩٢هـ) وكانت المغرب تحت حكم الأغالبة وقامت
 بطبرستان دولة علوية (٢٥٠ - ٣١٦هـ) والدولة السامانية بخراسان (٢٦١ - ٣٩٥هـ)
 والدولة الصفارية (٢٥٣ - ٢٩٨هـ).

[١٥] - كان عهد زياد بن إبراهيم (٢٨٩ - ٣١١م) وقد عاصره بقسم صنعاء أسعد بن أبي يعفر
 (٢٨٦ - ٣٣٢هـ) وانقطعت الدولتان الزيدية واليعفرية في فترة دولة علي بن الفضل
 الحميري (٢٨٩ - ٣٠٤هـ) وأصبح أسعد من نوابه وهرب زياد بن إبراهيم لما دخلت زبيد
 في دولة ابن الفضل، ثم عادت الدولتان بعد وفاة علي بن الفضل ومقتل ابنه محمد بن علي
 بن الفضل عام ٣٠٤هـ (٩١٥م) فاستمر زياد بقسم زبيد وأسعد بقسم صنعاء.

[١٦] - كان عهد أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد (٣١١ - ٣٧١م) فمدته حكمه
 ستون سنة إلى أن تجاوز عمره ثمانين سنة، وإنما قال عمارة: «طالت مدته فلما أسنّ وبلغ
 الثمانين في الملك تشعب عليه من دولته بعضها».

[١٧] - لم يعاصر أبا الجيش قتل المتوكل (٢٤٧هـ) ولا خلع المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢هـ) وإنما
 بدأت سيطرة الموالي العجم الأتراك على الخلفاء العباسيين آنذاك. فالمقصود هو استبداد
 الموالي على الخلفاء من تلك الأيام إلى أيام أبي الجيش حيث كانت دولة الخلافة العباسية
 قد تفككت وانفصلت عنها أغلب أقاليم الدولة العربية الإسلامية.

[١٨] - ارتفاع اليمن: أي المال الذي يتم دفعه سنوياً إلى الخليفة العباسي مقابل الخراج
 والإيرادات من أيام محمد بن زياد.

[١٩] - في أيامه: يعني أيام أبي الجيش بن زياد (٣١١ - ٣٧١هـ) بينما كان ظهور يحيى بن
 الحسين الرسي - كما قال - عام ٢٨٨هـ فيكون ذلك أيام أخيه زياد بن إبراهيم (٢٨٩ -
 ٣١١هـ) وإنما تواصلت دولة بني الرسي بصعدة أيام أبي الجيش فليل (في أيامه).

وماثنين^[٢٠] ونزل صعدة وأظهر دعوة الزيدية وزحف إلى صنعاء فملكها من يد أسعد بن يعفر ثم استردها منه بنو أسعد ورجع إلى صعدة^[٢١]، وكان شيعته يسمونه الإمام، وعقبه الآن بها، وقد تقدم خبرهم^[٢٢].

[٢٠] - كانت بداية قدوم يحيى بن الحسين من جبل الرس بمكة إلى صعدة ونجران وبداية دعوته عام ٢٨٤هـ بمساندة ومشايعة قبيلة سعد بن سعد بن خولان، ولكن الزعيم أحمد بن عباد الأكيلي الخولاني زعيم صعدة وجهاتها إلى نجران تصدى له وحاربه مع قبيلة الربيعية بن سعد بن خولان وغيرها، فلم يستتب الأمر للهادي يحيى بن الحسين بصعده إلا بعد هزيمة ابن عباد عام ٢٨٨هـ لذلك اعتمد ابن خلدون تاريخ تغلبه على صعدة وجهاتها - عام ٢٨٨هـ - بداية لظهوره كإمام بصعده ثم امتد أمره إلى صنعاء وتغلب عليها عام ٢٨٩هـ وكان أحمد بن عباد الأكيلي سار من صعدة مستنجداً بالخليفة العباسي المعتضد لحرب الهادي فقال له المكتفي بن المعتضد «إن لأهل اليمن وثبات كوئيات السباع النهمة» يعني سوف يطردون الهادي من صنعاء وصعده.

[٢١] - قال ابن خلدون في أخبار عهد المعتضد بن المعتمد بن المتوكل العباسي (٢٧٩هـ - ٢٩٠هـ): «كان أكثر النواحي في دولة المعتضد مغلباً عليها كخراسان وما وراء النهر لابن سامان والبحرين للقرامطة ومصر لابن طولون وأفريقية لابن الأغلب... وفي سنة ثمان وثمانين ظهر باليمن بعض العلويين وتغلب على صنعاء فجمع له بنو يعفر وقتلوه فهزموه، وأسروا ابنه، ونجا في نحو خمسين فارساً (إلى صعدة) وملك بنو يعفر صنعاء وخطبوا فيها للمعتضد» [ص ٣٥٣/ج ٣].

[٢٢] - قوله: (وقد تقدم خبرهم) يعني في فصل سابق (ص ١١١ ج ٤) بعنوان (الخير عن دولة بني الرسي أئمة الزيدية بصعده) حيث ذكر فرار (القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا إلى السند أيام المأمون ولم يزل بالسند إلى أن هلك عام ٢٤٥هـ ورجع ابنه الحسين إلى اليمن - والأصوب إلى مكة -) ثم قال ابن خلدون ما يلي نصه: «وكان من عقبه الأئمة بصعده من بلاد اليمن أقاموا للزيدية بها دولة اتصلت آخر الأيام... وأول من خرج منهم يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي، دعا لنفسه بصعده وتسمى بالهادي وبويع بها سنة ٢٨٨هـ وحارب أسعد بن يعفر وهو السادس من بني يعفر أعقاب التبابعة بصنعاء فغلبه على صنعاء ونجران فملكها وضرب السكة ثم انتزعها بنو يعفر منه ورجع إلى صعدة وتوفي سنة ٢٩٨هـ، قال ابن الحار: وله مصنفات في الحلال والحرام، وقال غيره: كان مجتهداً في الأحكام الشرعية وله في الفقه آراء غريبة وتوالمف بين الشيعة معروفة.

قال الصولي: وولّي بعده ابنه محمد المرتضى واضطرب الناس عليه (بصعده) وهلك سنة ٣٢٠هـ (والصواب ٣١٠هـ) وولّي بعده أخوه الناصر أحمد واستقام ملكه (٣١١ - ٣٢٢هـ) وأطرد في بنيه بعده، فولّي بعده ابنه حسين المنتخب ومات سنة ٣٢٤هـ وولّي بعده أخوه =

[٢٣] دولة علي بن الفضل وظهور دعوة العبيديين باليمن

وفي أيام أبي الجيش بن زياد أيضاً ظهرت دعوة العبيديين باليمن، فقام بها

= القاسم المختار إلى أن قتله أبو القاسم الضحاك الهمداني سنة ٣٤٤هـ.

- قال ابن الجاب: ولم تزل إمامتهم بصعدة مضطردة إلى أن وقع الخلاف بينهم وجاء السليمانيون من مكة عندما أخرجهم الهواشم فغلبوا عليهم بصعدة وانقرضت دولتهم بها في المائة السادسة، قال ابن سعيد: وكان من بني سليمان حين خرجوا من مكة إلى اليمن أحمد بن حمزة بن سليمان فاستدعاه أهل زبيد لينصرهم على علي بن المهدي الخارجي حين حاصرهم، وبها فاتك بن محمد من بني نجاح، فأجابهم على أن يقتلوا فاتكاً فقتلوه سنة ٥٠٣هـ وملكوا عليهم أحمد بن حمزة فلم يطق مقاومة علي بن المهدي ففر عن زبيد وملكها ابن مهدي... ثم ذهب ملك بني سليمان من جميع تهائم وجبال اليمن على يد بني مهدي. ثم ملكهم بنو أيوب وقهروهم - [يعني الدولة الأيوبية، وقد سبقتها الدولة الصليحية والزريعية وغيرها ثم الدولة الأيوبية ٥٦٩ - ٦٢٦هـ].

واستقر ملكهم آخر الأمر في المنصور عبد الله بن أحمد بن حمزة، قال ابن النديم: أخذ الملك بصعدة عن أبيه.. وقال ابن الأثير: جمع عبد الله بن حمزة إمام الزيدية بصعدة سنة ٥٩٢هـ وزحف إلى اليمن فخاف منه المعز بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ثم زحف إليه المعز فهزمه ثم جمع سنة ٦١٢هـ جموعاً من همدان وخولان، وخاف المسعود بن الكامل وهو يومئذ صاحب اليمن [يعني المسعود الأيوبي ٦١٢ - ٦٢٦هـ] وأشار أمير الجيوش عمر بن رسول بمعاجلته قبل أن يملك الحصون ثم اختلف أصحاب المنصور علي بن حمزة ولقيه المسعود فهزمه وتوفي (علي بن حمزة) سنة ٦٣٠هـ [اه/ص ١١٢ ج٤] وستأتي بقية الخبر في أخبار دولة بني مهدي والدولة الصليحية إلى الدولة الأيوبية ودولة بني رسول.

[٢٣] - ذكر ابن خلدون علياً بن الفضل الحميري باسم محمد بن الفضل - نقلاً عن عمارة - بسبب الالتباس والدمج بينه وبين ابنه محمد بن علي بن الفضل، وقد اكتفى ابن خلدون هنا بالإشارة إلى ظهور الدعوة العبيدية وابن الفضل لأنه ذكر ذلك في (خير ابتداء دولة العبيديين) حيث قال ابن خلدون ما يلي نصه:

«وكان باليمن من شيعتهم قوم يعرفون ببني موسى [في عدن لاه] ورجل آخر يعرف بمحمد بن الفضل أصله من الجند [يعني علي بن الفضل] وجاء ابن الفضل إلى زيارة الإمام محمد الجيب [والد عبيد الله المهدي بالكوفة] فبعث معه صاحبه رستم بن الحسين بن حوشب وهو كوفي الأصل، وأمره بالدعوة، وأن المهدي خارج في هذا الوقت، فسار إلى اليمن، ونزل على بني موسى، وظهر الدعوة هناك للمهدي، فاتبعه [ابن الفضل] واستولى على كثير من نواحي اليمن... ثم بعث (ابن حوشب) أبو عبد الله الحسن بن أحمد مع الحاج اليميني إلى مكة... فأتى الموسم ولقي به رجالات كتامة مثل حريث الحميلي وموسى بن مكاد فاختلف بهم وعكفوا عليه (واستجابوا لدعوته)... وارتحل معهم إلى بلدهم [بالمغرب] ونزل بها منتصف ربيع سنة ٢٧٨هـ... [اه/ص ٢٦٢ ج٣] ثم تأسست على يد أبي عبيد الله الدولة الفاطمية بالمغرب.

محمد بن الفضل [٢٤] بعدن لاعه وجبال اليمن إلى جبل المذيخرة سنة أربعين وثلاثمائة [٢٥].

[٢٤] - هو الزعيم الثائر علي بن الفضل الخنفري الحميري من بني خنفر بن سيار بن زرعة بن صيفي، وفيهم قال محمد بن أبان الخنفري:

من أبناء صيفي ذوي المُلْك والحجَا وأهل المساعي والحلوم الرواجح
وكان علي بن الفضل حجَّ إلى مكة فالتقى بأحد دعاة الدعوة العبيدية الإسماعيلية الفاطمية
فالتزم للدعوة وسار مع الداعية إلى والد عميد الله المهدي بالكوفة، فبعث معه المنصور رستم
بن حوشب، فلما وصلا اليمن، سار ابن حوشب إلى عدن لاعه بمنطقة حجه ونزل لدى بني
موسى فآظروا الدعوة هناك (ح/ عام ٢٨٠هـ) ثم أرسل أبو عبد الله الشيعي للدعوة إلى
المغرب...

أما علي بن الفضل فأقام بمنطقة سروحمير (مخالف الجند وأبين) ومنها انطلقت دعوته وثورته
عام ٢٨٩هـ/ ٩٠٠م فبايعه الناس شخصياً فامتلك «مخالف لحج وأبين والسروين وحضرموت»
ثم بلاد المعافر وسرو حمير والمذيخرة وهزم قوات ابن زياد بتهامة عام ٢٩١هـ ثم تقدم إلى
صنعاء وانضوت تحت حكمه.

[٢٥] - نقل ابن خلدون هذا التاريخ «سنة أربعين وثلاثمائة» وعبارة «أيام أبي الجيش بن زياد» عن
تاريخ عمارة وفيه خطأ والتباس، وقد ذكر ابن خلدون بنفسه في أخبار خلافة المكتفي بن
المعتضد العباسي (٢٩٠ - ٢٩٥هـ) ما يلي نصه:

«وفي هذه السنة - وهي سنة تسعين ومائتين - ثار داعية القرامطة باليمن إلى صنعاء فامتلكها
وتغلب على كثير من مدن اليمن، وبعث المكتفي المظفر بن الحاج في شوال من هذه السنة
إلى عمل اليمن» [ص ٣٥٨ ج ٣].

وكان وصول المظفر بن حاج إلى تهامة لمناصرة ابن زياد وهو (زياد بن إبراهيم بن محمد بن
زياد) فسار إليهم علي بن الفضل من صنعاء وذلك - كما قال الخزرجي -: «في مائتي ألف ما
بين فارس وراجل» وقال ابن الديبع: «في ثلاثين ألفاً ما بين فارس وراجل» فألحق علي بن
الفضل بالجيش العباسي والمظفر وابن زياد هزيمة ساحقة في جمادى الآخرة ٢٩٣هـ وخاصة
في موقعة عرق بجوار باب سهام بزبيد، وقد أشار الهمداني إلى ذلك فيما بعد حيث قال:

إن سيوفاً جَلَّت وجوه بني قحطان
بسفح قران أو ربي عرق
علي بن فضل وقد أطاف بها
في عدة كالدبى كتائبها
إن تطلبوها ففي عواتقنا
مُرتقيات لمن يراقبها

فشمل سلطان ابن الفضل تهامة وأصبح ابن طرف من عماله وكذلك أسعد بن أبي يعفر بصنعاء
وانفصل عن الدعوة العبيدية وحاصر ابن حوشب في حجه وأرغمه على المبايعة وامتد نفوذ
ابن الفضل إلى صعدة ونجران فدانت له أرجاء اليمن حتى وفاته عام ٣٠٣هـ (٩١٤م) فتم
تمليك ابنه محمد بن علي بن الفضل عام ٣٠٤هـ فانقلب عليه أسعد بن أبي يعفر والعمال
وقتلوه، فعادت الدولة يعفرية والدولة الزيدانية وعدة كيانات صغيرة.

ويبقى له باليمن من الشَّرْجَة إلى عدن عشرون مرحلة، ومن مخالفه إلى صنعاء خمس مراحل، ولما غلبه محمد بن الفضل بهذه الدعوة امتنع أصحاب الأطراف عليه مثل بني أسعد بن يعفر بصنعاء وسليمان بن طرف بَعَثَر والإمام الرسي بصعدة، فسلك معهم طريق المهادنة^[٢٦٦].

عودة إلى خبر دولة بني زياد

ثم هلك أبو الجيش بن زياد سنة إحدى وسبعين وثلثمائة^[٢٧٧] بعد أن اتسعت جبايته وعظم مُلكه، قال ابن سعيد: رأيت مبلغ ارتفاع جبايته وهو ألف ألف مكررة مرتين وثلثمائة ألف وستة وستون ألفاً من الدينار العشرية ما عدا ضرائبه على

[٢٦٦] - الذي عاصر أبا الجيش بن زياد وامتلك أغلب اليمن في أيامه هو عبد الله بن قحطان بن يعفر وهو ابن بنت علي بن الفضل، وكان عهده ما بين عام ٣٥٤هـ إلى عام ٣٨٧هـ وأعلن الدعوة العبيدية الفاطمية كما يأتي.

[٢٧٧] - كان عهد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد من عام ٣١١هـ إلى عام ٣٧١هـ وهي مدة طويلة - ستين سنة - وعاصره في قسم صنعاء ومخالفها (الدولة اليعفرية) أسعد بن أبي يعفر الحوالي (٣٠٤ - ٣٣٢هـ) ثم محمد بن إبراهيم بن يعفر (٣٣٢ - ٣٥٢هـ) وقد شهدت الفترة (٣٤٥ - ٣٥٢هـ) اضطرابات في نطاق الدولة اليعفرية إلى أن دخل صنعاء في ربيع الأول ٣٥٢هـ عبد الله بن قحطان اليعفري حفيد بنت علي بن الفضل، وامتد سلطانه إلى أرجاء واسعة من اليمن عام ٣٥٨هـ ولكنه لم يصطدم بالدولة الزيادية إلا بعد وفاة أبي الجيش بن زياد - عام ٣٧١هـ - وكان عبد الله بن قحطان قد أعلن الارتباط بالدعوة العبيدية الفاطمية وخطب للخليفة العبيدي الفاطمي منذ حوالي عام ٣٦٢هـ بحيث قال صاحب كتاب بلوغ المرام: «كانت أم عبد الله بن قحطان إحدى بنات علي بن الفضل فمن هنالك طرأت عليه» (اه) ومن الوقائع الخارجية الهامة في تلك الفترة:

(*) - قيام الدولة العبيدية الفاطمية ببلاد المغرب وعهد عبيد الله المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢هـ).

(**) - مقتل الشاعر الكبير اليمني الأصل أبو الطيب المتنبّي (٣٠٣ - ٣٥٤هـ).

(***) - وفاة سيف الدولة الحمداني (٣٥٦هـ) وهلاك كافور الأخشيدي حاكم مصر (٣٥٦هـ).

(****) - خلافة المعز لدين الله العبيدي الفاطمي (٣٤١ - ٣٦٥هـ) وكان من أعلام عهده الأمير

اليمني أحمد بن حسن الكلبي أمير جزيرة صقلية (٣٥٢ - ٣٦٠هـ) وأرسل أسطوله للمشاركة في فتح مصر وقد تم فتح مصر بقيادة جوهر الصقلي عام ٣٥٨هـ وانتهت الدولة الأخشيدية، ثم سار الأمير اليمني الأصل جعفر بن فلاح الكتامي الحميري بالجيش الفاطمي من مصر إلى الشام ودخل دمشق في محرم ٣٥٩هـ فانضوت في الدولة العبيدية الفاطمية، ووصل الخليفة المعز إلى القاهرة عام ٣٦٢هـ وأصبحت القاهرة عاصمة للدولة العبيدية الفاطمية العربية، ومات المعز عام ٣٦٥هـ وتولى الخلافة ابنه العزيز بن المعز (٣٦٥ - ٣٨٥هـ) وأعلن عبد الله بن قحطان الارتباط بالدولة والخطبة للعزيز بن المعز.

مراكب السند وعلى العنبر الواصل بباب المندب وعدن أبين وعلى مغائص اللؤلؤ وعلى جزيرة دهلك ومن بعضها ألف رأس وصائف، وكان ملوك الحبشة من وراء البحر يُهادونه ويخطبون مواصلته^[٢٧].

ولما مات خلف صبيّاً صغيراً اسمه عبد الله وقيل إبراهيم وقيل زياد^[٢٨]، وكفلته أخته، ومولاه رشيد الحبشي، وولى رشيد على الجبال مملوكه الحسن بن سلامة النوبي.

وآل الأمر في دولته بتوالي الوزارة في موالي الحبشة والنوبة واستبداهم عليهم إلى أن انقرضت دولتهم سنة سبع وأربعمائة.

ثم هلك هذا الطفل، فولّي طفل آخر من بني زياد أصغر منه، قال ابن سعيد: لم يعرف عمارة اسمه لتوالي الحجبة عليه، ويعني عمارة مؤرخ اليمن^[٢٩] وقيل اسم هذا الطفل الأخير إبراهيم وكفلته عمته ومرجان من موالي الحسن بن سلامة واستبد بأمرهم ودولتهم، وكان له موليان اسم أحدهما نفيس والآخر نجاح، فجعل الطفل المملوك في كفالة نفيس وأنزله معه بزبيد، وولى نجاحاً على سائر الأعمال خارج زبيد ومنها الكدراء والمهجم، وكان مرجان يؤثر نفيساً على نجاح، ووقع بينهما تنافس، وُزِعَ لنفيس أن عمّة الطفل تميل إلى نجاح وتكاتبه دونه، فقبض عليهما بإذن مولاه مرجان ودفنهما حيّين^[٣٠]، واستبد وركب بالمظلة وضرب

[٢٨] - هو عبد الله بن أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد، وفي أيامه - عام ٣٧٧هـ - اجتاح الملك عبد الله بن قحطان اليعفري - حفيد علي بن الفضل - منطقة تهامة الزيادية ودخل مدينة زبيد (٣٧٧هـ) حيث «خطب للعزیز بن المعز العبيدي الفاطمي وانقطعت الخطبة لبني العباس في اليمن» وقد دام عهد عبد الله بن قحطان إلى وفاته عام ٣٨٧هـ، وكان ممن عاصرهم زعيم الأندلس (المنصور بن أبي عامر المعافري ٣٧٠هـ - ٣٩٢هـ).

(*) - ثم تواصلت الدولة الزيادية في تهامة، وتم تنصيب طفل آخر من بني زياد بعد عبد الله اسمه إبراهيم غالباً إلى أن انقرضت دولتهم.

(**) - بينما تولى الدولة اليعفرية بعد عبد الله بن قحطان ابنه الملك أسعد بن عبد الله بن قحطان (٣٨٣ - ٣٩٣هـ) وهو آخر ملوكها.

[٢٩] - هو المؤرخ نجم الدين عمارة اليمني صاحب كتاب (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد).

[٣٠] - قال عمارة: «كان نفيس عسوفاً مرهوباً، ونجاح رؤوفاً بالناس عادلاً على الرعايا محبواً إليهم، إلا أن مولاها مرجان يميل مع نفيس على نجاح، ونما إلى نفيس أن عمّة ابن زياد تكاتب نجاحاً وتميل إليه، فشكا نفيس ذلك من فعلها إلى مرجان، فقبض مرجان عليها وعلى ابن أخيها ابن زياد وهو آخر القوم، ومنه زالت دولة بني زياد باليمن وانتقلت =

السكة، وامتعض نجاح لذلك فزحف في العساكر وبرز نفيس للقائه فكانت بينهما حروب ووقائع انهزم نفيس في آخرها وقُتل في خمسة آلاف من عسكره، ومَلَكَ نجاح زبيد سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ودفن نفيساً ومولاه مرجاناً مكان الطفل والعمة [٣١].

واستبدَّ (نجاح) وضرب السكة باسمه، وكاتب ديوان الخلافة ببغداد، فعقد له على اليمن، ولم يزل مالِكاً لتهامة قاهراً لأهل الجبال، وانتزع الجبال كلها من ولاية الحسن بن سلامة [٣٢] ولم تزل الملوك تتقي صولته إلى أن قتله عليُّ الصُّليحي

= إلى عبيدهم، فتكون دولة بني زياد باليمن مائتي سنة وثلاث سنين لأنهم اختطوا زبيد سنة أربع ومائتين وزالت عنهم سنة سبع وأربعمائة [وفي إحدى النسخ: سنة تسع وأربعمائة].

ثم إن مرجاناً لما قبض على موليه إبراهيم وعمته دفعهما إلى نفيس فبنى عليهما جداراً وهما قائمان يناشدانه الله عزَّ وجلَّ حتى ختمه عليهما [أه].

[٣١] - ذكر عمارة أنه كان القتلَى خمسة آلاف من الفريقين وبينهم نفيس، فامتلك نجاح زبيد في ذي القعدة سنة ٤١٢ هـ «فقال نجاح لمرجان ما فعل بمواليك وموالينا - (مولاك ومولاتنا) - قال هم في ذلك الجدار فأخرجهما نجاح وصلى عليهما وبنى لهما مشهداً، وأعاد مرجاناً في موضعهما فبنى عليه حيّاً وعلى جثة نفيس» [أه].

[٣٢] - كانت ملوكية نجاح في تهامة وجبالها فقط وكان الحكم في اليمن قد تشتت بعد انتهاء الدولة اليعفرية التي كان أسعد بن عبد الله بن قحطان (٣٨٣ - ٣٩٣ هـ) آخر ملوكها وانتهاء الدولة الزيدية، حيث كان:

أ - في صنعاء: - آل الضحاك الحاشدي الهمداني وكانوا يحاربون الأئمة الزيدية في صعدة والزعامات الأخرى.

ب - في عدن: - بنو معن الحميريون، قال عمارة «تغلب على عدن وأبين ولحج والشحر وحضرموت بنو معن».

ج - بنو الكرندي: - قال عمارة «وتغلب على السمدان - (حصن السمدان) وحصن صبر وحصن ذخر وحصن التعكر ومخلاف الجند ومخلاف عنه ومخلاف المعافر قوم من حمير يقال لهم بنو الكرندي، وكانت لهم مكارم ومفاخر وسلطنة قاهرة ودولة ظاهرة».

د - بنو أصبح: - قال عمارة «وتغلب على حصن حب وعزان وبيت عز وحصن الشعر وهو عظيم وحصن نور والثقل والسحول بنو أصبح قوم الفقيه مالك الأصبحي» وهم بنو ذي أصبح الحميريون.

هـ - بنو التبعي: - «وتغلب على حصن خدد والشوافي السلطان أبو عبد الله الحسين بن التبعي وولده» وهم من حمير.

و - بنو وائل: - «وتغلب على حصون وحافظه وبلادها، بنو وائل وهم من ولد ذي الكلاع ولهم رئاسة متأثلة، ومنهم السلطان أسعد بن وائل بن عيسى صاحب الكرم العريض والثناء المستفيض».

القائم بدعوة العبيدين بالسُّم على يد جارية بعث بها إليه سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة^[٣٣]، فقام بالأمر بعده بزبيد مولاه كهلان ثم استولى الصليحي على زبيد وملكها من يده كما نذكر.

= ز - «وتغلب عليّ حصن أشيخ ووحياب ومخالفها قوم من يكيل ثم من همدان، وتغلب علي صنعاء ومخالفها قوم من همدان - [وهم بنو الضحاك كما تقدم] - وتغلب بنو عبد الواحد علي أعمال برع والعمد ولعسان، وتغلبوا علي حصن مسار أيضاً ومنه ثار علي بن محمد الصليحي بالدعوة المستنصرية» [اه].

[٣٣] - بدأ عهد الصليحي عام ٤٣٩هـ وتوحدت اليمن بزعامته، وكان هلاك نجاح ح/ عام ٤٤٢هـ كما سيأتي.

الخبر عن دولة بني الصليحي القائمين بدعوة العبيديين باليمن

الملك الكامل علي بن محمد الصليحي [١]

كان القاضي محمد بن علي الهمداني ثم الصليحي [٢] رئيس حراز من بلاد همدان [٣] ويتنسب في بني يام [٤].

[١] - «الخبر عن بني الصليحي القائمين بدعوة العبيديين باليمن» هو عنوان ابن خلدون لهذا الفصل، وقد استحدثنا هذا العنوان الفرعي لأخبار وعهد علي بن محمد الصليحي وكان لقبه بعد توحيد اليمن بزعامته وامتداد دولته إلى مكة: - «الملك الكامل السلطان المظفر في الدين، ملك اليمن عظيم العرب - علي بن محمد الصليحي - ولي أمير المؤمنين المستنصر بالله» قال المؤرخ الوصايفي «وكان - علي بن محمد الصليحي - أشقر أزرق العينين ليس في اليمن له نظير، متواضعاً إذا جاز على أناس سلم عليهم بيده، وكان فظناً ما يُخبر بشيء إلا ويصح، ولما تملك اليمن كان يركب على فرس على رأسه مائة وعشرون قصبه ملبسة بالذهب والفضة» - انتهى - .

[٢] - الصليحي: نسبة إلى صليحة بلدة كانت في منطقة الأخرج ناحية الحيمة المتصلة بناحية حراز وكانت حراز تشمل الأخرج.

[٣] - قال ابن خلدون في حديثه عن مناطق اليمن: - «أما حراز فهو إقليم من بلاد همدان، وحراز بطن من بطونهم كان منهم الصليحي، وحصن مسار هو الذي ظهر فيه الصليحي وهو من إقليم حراز، قال البيهقي: بلادهم - (أي بلاد همدان) - شرقية بجبال اليمن، وتفرقوا في الإسلام ولم تبق لهم قبيلة وبرية إلا في اليمن وهم أعظم قبائله. . ولهم بها إقليم بكيل وإقليم حاشد وهما ابنا جشم بن جبران بن نوف بن همدان. قال ابن حزم: ومن بكيل وحاشد افتقرت قبائل همدان (اه) ومن همدان بنو زريع أصحاب السلطنة والدعوة في عدن والوجه. ومنهم بنو يام قبيل الصليحي» [انتهى كلام ابن خلدون ص ٢٢٤ ج٤].

[٤] - ليس بنو الصليحي من يام وإنما يلتقى نسبهم مع يام في جشم بن حاشد ثم في همدان، لأن يام - كما في الإكليل - «يام بن أصبى بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن جبران بن نوف بن همدان» بينما بنو الصليحي - كما في الإكليل - من بني «عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد - أخي بكيل - بن جشم بن جبران بن نوف بن همدان بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان».

ونشأ له ولد اسمه علي^[٥].

وكان صاحب الدعوة يومئذٍ عامر بن عبد الله الزواحي^[٦] نسبة إلى قرية من قرى حراز، ويقال إنه كان عنده كتاب الجفر من ذخائر أئمتهم بزعمهم، فزعموا أنّ عليّاً بن القاضي محمد مذكور فيه، فقرأ عليّ على عامر الداعي وأخذ عنه، ولما توسم فيه الأهلية أراه مكان اسمه في (كتاب) الجفر وأوصافه، وقال لأبيه القاضي: احتفظ بابتك فسيملك جميع اليمن.

فنشأ فقيهاً صالحاً، وجعل يحجّ بالناس على طريق الطائف والسرورات خمس عشرة سنة^[٧] فطار ذكره وعظمت شهرته، وألقي على ألسنة الناس أنه سلطان اليمن.

ومات الداعي عامر الزواحي فأوصى له بكتبه وعهد إليه بالدعوة^[٨].

= قال الهمداني في الإكليل «فولد عُبيد: قحطان وجُدَيّ وربيعة... ومن بني عبید آل الصليحي بيت بالأخروج أنجاد كرماء» [ص ١١٤ ج ١٠ - الإكليل] وقال الأكوخ في الهامش «الأخروج هي التي تسمى اليوم الحيمة» [أه].

[٥] - كان مولد علي بن محمد الصليحي في حوالي عام ٣٩٠ هجرية لأنه بدأ يحج بالناس ح/ عام ٤١٣ هـ - كما سيأتي - وقد تزامن مولده مع نهاية عهد الملك أسعد بن عبد الله بن قحطان اليعفري الحميري - حفيد بنت علي بن الفضل - وكان الملك عبد الله بن قحطان قد ارتبط بالدعوة والدولة العبيدية الفاطمية وخطب للعزیز بن المعز الفاطمي (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ) - كما تقدم - وانتهى عهد أسعد عام ٣٩٠ هـ، وانتهت بذلك الدولة اليعفريّة الحميرية وانقسمت اليمن إلى نحو عشر دويلات وسلطنات كما تقدم.

[٦] - هو عامر بن عبد الله الزواحي الحميري فتولى زعامة الدعوة باليمن وكذلك ابنه سليمان بن عامر الزواحي وكان من كبار العلماء.

[٧] - بدأ الصليحي يحج باليمنيين دليلاً ورائداً لهم ح/ عام ٤١٣ هـ، وقد ذكر ابن كثير في كتاب البداية والنهاية أنه: - في موسم حج عام ٤١٣ هـ اتفق جماعة من الحجّاج على أمر سوء فقام واحد منهم فضرب الحجر الأسود بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات وقال: إلى متى نعبد هذا الحجر، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه خنجر قطعنه بالخنجر وتكأثر الناس عليه فقتلوه» [ص ١٤ ج ١٢/ البداية والنهاية] ومنذ ذلك العام تقريباً أصبح الصليحي دليلاً ورائداً للحجّاج اليمنيين ومكث كذلك ١٥ سنة إلى ح/ عام ٤٢٨ هجرية.

[٨] - قال عمارة «ولم يلبث عامر الزواحي حتى مات وأوصى له بكتبه وعلومه» ولم يذكر العهد إليه بالدعوة، وفي مصادر أخرى أن الذي مات وأوصى له بكتبه بالدعوة «سليمان بن عامر الزواحي» - ونشير هنا إلى أن مسألة الدعوة والانتماء إليها وزعامتها كانت سراً، واستمرت كذلك حتى بعد إظهار دعوته وتمليكه في حصن مسار - عام ٤٢٩ هـ - كما ذكر عمارة، لذلك لن يكون صائباً النظر إلى انتماء الصليحي ثم دولة اليمن الصليحية إلى دعوة الخلفاء =

ثم حج بالناس سنة ثمان وعشرين وأربعمائة على عادته، واجتمع في الموسم بجماعة من قومه همدان كانوا معه فدعاهم إلى النصر والقيام معه فأجابوه وبيعوه، وكانوا ستين رجلاً من رجالات قومهم، فلما عادوا، قام في مسار وهو حصن

= العبيديين كاتناء إلى دعوة (المذهب الإسماعيلي) فالنفاذ وتعاطف اليمانيين مع تلك الدعوة داخل اليمن وخارجها منذ بدايتها في اليمن على يد علي بن الفضل وفي المغرب على يد أبي عبد الله الشيعي الصنعاني، كان تجاوباً سياسياً باعتبارها مشروعاً وحدوياً عربياً إسلامياً كبيراً يتضمن ثلاث مسائل رئيسية نرى أنها كانت عامل جذب لليمانيين وهي:

أولاً: - إعادة وحدة البلاد العربية الإسلامية التي كانت قد تمزقت إلى ممالك ودويلات قبل العصر العبيدي الفاطمي، فقد كانت بالمغرب ثلاث دول (الأدارسة والأغالبة وبنو زيان) وكان العبيد الأخشيديون يحكمون مصر وأغلب الشام والحرمين في عهد العبد كافور الأخشيدي (ت: ٣٥٦هـ) وكانت العراق وجهات الموصل تحت حكم الملوك البويهيين العجم بينما كان الخلفاء العباسيون في بغداد مجرد واجهة شكلية لحكم الموالي الأعاجم وألعبوا بيدهم، وكانت الدويلات والكيانات تنهش أرجاء البلاد العربية والإسلامية بما في ذلك اليمن، بينما توحدت في ظل الدعوة والدولة العبيدية سائر بلاد المغرب العربي (المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا) ثم مصر (٣٥٨هـ) وأغلب الشام والحرمين (٣٥٩هـ) في خلافة المعز الفاطمي.

ثانياً: - الدور القيادي لليمانيين في ظل دولة الخلافة العبيدية الفاطمية العربية، فقد كان أبو عبد الله الشيعي الصنعاني وزير عبيد الله المهدي، وعلى يده تأسست الدولة في المغرب، وكان الحسن بن عمار الكتامي الحميري وزير العزيز ثم الحاكم إلى عام ٣٨٧هـ وكان القاضي أبو عبد الله القضاعي صاحب كتاب الشهاب وزير الظاهر إلى أيام المستنصر [ص ٣٧ - ابن كثير].

وكان جعفر بن فلاح الكتامي الحميري أول أمراء دمشق والشام في العصر الفاطمي، وكان سند الدولة الحسن بن محمد بن شعبان اللخمي اليماني أمير حلب وأعمالها (عام ٤١٤هـ) وهو الذي كتب إليه أبو العلاء المعري (الرسالة السندية).

وكان حكام جزيرة صقلية وسردينية يمانيين ابتداء بالحسن بن علي الكلبي (٣٣٦ - ٣٥٢هـ) ووصولاً إلى أسد الدولة حمد بن يوسف الكلبي (٤١٠ - ٤١٧هـ) ثم الصمصام بن يوسف الكلبي (٤١٧ - ٤٣١هـ) معاصر الصليحي.

وكان حكام القيروان والمغرب من صنهاجة اليمانيين في الأصل، ابتداء بيوسف بلكين بن زيري الصنهاجي (٣٥٠ - ٣٧٣هـ) ثم المنصور بن يوسف (٣٧٤ - ٣٨٦هـ) ثم باديس بن منصور (٣٨٦ - ٤٠٦هـ) ثم (المعز بن باديس ٤٠٦ - ٤٥٤هـ) معاصر الصليحي.

ثالثاً: - وحدة اليمن في ظل حاكم يمني قحطاني واحد (ملك اليمن) وتكون الخطبة للخلفاء العبيديين هي المظهر الرئيسي لارتباط دولة اليمن بالمشروع العربي الإسلامي والوحدوي (الدولة العبيدية الفاطمية) كما حدث في عهد عبد الله بن قحطان اليعفري - ابن بنت علي بن الفضل - وكما سيحدث بزعامة علي بن محمد الصليحي.

بذروة جبل حراز، وحصّن ذلك الحصن^[٩]، ولم يزل أمره ينمي^[١٠].
 وكتب إلى المستنصر صاحب مصر يسأله الإذن في الدعوة^[١١]، فأذن له،
 وأظهرها^[١٢]، ومَلَك (علي بن محمد الصليحي) اليمن كله^[١٣].

[٩] - كان ذلك عام ٤٢٩هـ، قال عمارة: - «ولما كان في سنة ٤٢٩هـ ثار الصليحي في رأس مسار وهو أعلى ذروة في جبل حراز. . ولم تمض أشهر حتى بناه وحصّنه وأتقنه، وبقي الصليحي في مسار وأمره يستفحل شيئاً فشيئاً من سنة ٤٢٩ وهو كاتم لما يضمّر من الدعوة» (اه).

[١٠] - استمر الصليحي في مسار نحو عشر سنوات توّطد خلالها كيانه ومال إلى دعوته وزعامته عشرات الآلاف في أرجاء الدويلات والكيانات اليمنية، وكان خلال تلك الفترة يهادن ويصادق ملوك وأمراء وسلاطين اليمن حيث «كان نجاحاً صاحب تهامة يكافيه ويلاطفه» وكذلك بنو الكرندي وبنو معن وبنو وائل وغيرهم من ملوك اليمن، ولم تنشأ علاقة ودية بينه وبين الإمام القاسم الرسي الهادوي إمام صعدة وبعض نواحي صنعاء. وقد كتب إليه الصليحي فيما بعد شعراً قال فيه:

هذا اليقين وخيل الله مُقبلة تخب في نقعها جرى السراحين

هناك لا تنفع الرسي ندامته وعض إبهامه في الوقت والحين

[١١] - هو الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) ولم يكتب إليه الصليحي إلا بعد أن توحدت اليمن بزعامته.

[١٢] - بدأ الصليحي في مواجهة واجتياح الدويلات والكيانات وتوحيد اليمن عام ٤٣٩هـ (١٠٤٦م) ثم كتب إلى المستنصر وأعلن الدعوة والخطبة للمستنصر ما بين عام ٤٤٢هـ وعام ٤٤٧هـ ودام عهده إلى عام ٤٧٣هـ (١٠٨٠م).

[١٣] - بدأ الصليحي بقسم صنعاء ومخالفها فحارب الإمام القاسم الرسي الهادوي إمام صعدة وبعض النواحي والملك ابن أبي حاشد بن الضحاك ملك نواحي صنعاء، فانتصر الصليحي انتصاراً ساحقاً على جيش الإمام القاسم وأسر ابنه جعفر بن القاسم، وكان الصليحي شجاعاً فصيحاً بليغاً شاعراً، فقال في ذلك:

أنكحت بيض الهند سُمّرَ رماحهم فرؤوسهم عوض النشار تُشار

وكذا العلّٰى لا يستباح نكاحها إلا بحيث تُطلق الأعمار

كما انتصر على ابن أبي حاشد، وأقام بمدينة صنعاء فأرسل دعائم الدولة، ثم - كما ذكر عمارة - «طوى الصليحي البلاد طياً وفتح الحصون والتهاميم. . وما بقي عليه من اليمن سهل ولا وعر ولا برّ ولا بحر إلا فتحه، وذلك أمر لا يُعهد مثله في جاهلية ولا إسلام، حتى قال يوماً وهو يخطب الناس في (مدينة) الجند: وفي مثل هذا اليوم تخطب على منبر عدن إن شاء الله، فقال بعض من استهزاء: سبوح قدوس، فأمر الصليحي بالحوطة عليه، وخطب الصليحي في مثل ذلك اليوم على منبر عدن، فقام ذلك الإنسان وقال: سبوحان قدوسان» (اه) وسار الصليحي إلى أقصى حضرموت فانضوت تحت ملوكيته ودولته اليمنية الوحودية، فقال الشاعر أسعد بن يحيى الهيثمي وهو شاعر عهده ودولته مُشيداً به:

ونزل صنعاء، واختط بها القصور، وأسكن عنده ملوك اليمن الذين غلب عليهم^[١٤]، وهزم بني طرف ملوك عَثْر وتهامة^[١٥].

وأعمل الحيلة في قتل نجاح مولى بني زياد ملك زبيد حتى تم له ذلك على يد جارية أهداها إليه كما ذكرناه سنة اثنتين وخمسين^[١٦].

= وألذ من قرع المشاني عنده في الحرب: أُلجِمَ يا فلانُ وأسرج خيلٌ بأقصى حضرموت أشدها وزئيرها بين العراق ومنبج

وأقر الصليحي على نيابة عدن ولحج وأبين وحضرموت إلى المرباط (ظفار) أبا الفضل عباس بن معن الحوشبي الكندي، وكان أبو الفضل يؤدي الخراج والإيرادات إلى عبد الله بن محمد الصليحي نائب الجند ومخالفها وهو الذي اختط مدينة جبلة.

[١٤] - أعاد الصليحي لمدينة صنعاء مكانتها التاريخية كعاصمة لليمن الموحد، قال عمارة «استقر قرار الصليحي بصنعاء فأخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم فأسكنهم معه، واختط بصنعاء عدة قصور. . . وجميع من بنى داراً بصنعاء يبني بأنقاض قصور الصليحي من تلك المدة إلى الآن - [أي إلى أيام عمارة عام ٥٣٥هـ] - وما فنى طوبه وأحجاره وأخشابه» [ص ١٢٠ - المفيد] وقام الصليحي ببناء سور وأبواب صنعاء، قال ابن المجاور «وأدار سور صنعاء الملك الأغر علي بن محمد الصليحي بالحجر والجص، وركب عليه سبعة أبواب: باب غمدان ينفذ إلى اليمن، وباب دمشق ينفذ إلى مكة، وباب السبحة ينفذ إلى محلة السبحة، وباب خندق أعلى يدخل منه السيل، وباب خندق أسفل يخرج منه السيل يسقي الأرض، وباب النصر ينفذ إلى جبل نُقْم وبراش، وباب شرعه ينفذ إلى بستان السر» [ص ١٨٠ - المستبصر لابن المجاور الدمشقي].

[١٥] - هم بنو سليمان بن طرف الحكمي بالمخلاف السليمانى وهو جيزان وعسير بأعالي تهامة إلى تخوم الطائف وكانت قاعدتهم مدينة عثر.

وأما نجاح فكما قال القاضي المؤرخ محمد على الأكوغ في تعليقه على عمارة والجندي «لم تدخل سنة ٤٤٤هـ إلا ونجاح في الغابرين» [ص ٤٨٦ - السلوك]

[١٦] - هذا التاريخ (٤٥٢هـ) أورده عمارة وكذلك أورد عمارة أن الصليحي امتلك اليمن واستقر بصنعاء عام (٤٥٥هـ) بينما جاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير ما يلي نصه «استولى الكامل علي بن محمد الصليحي الهمداني على أعمال اليمن وخطب للفاطميين وقطع الخطبة للعباسيين سنة ٤٤٧هـ» [ص ٦٦ ج ١٢ / البداية والنهاية] ولم تكن الخطبة للعباسيين إلا في زبيد فيكون استقرار الصليحي بصنعاء عام ٤٤٥هـ ومقتل نجاح قبل ذلك، ثم سار الصليحي إلى زبيد وأعمال تهامة واستعمل عليها الأمير أسعد بن شهاب الصليحي أميراً على سائر تهامة وولى معه ثلاثة رجال منهم «أحمد بن سالم كان إليه أمر العمالة من وادي حرض إلى قرب عدن».

(**) وكان الصليحي قد كتب إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي في القاهرة يستأذنه في إظهار الدعوة والخطبة باسمه ووجه إليه هدية جلييلة فيها سبعون سيفاً قوائمها من العقيق، فكتب له =

ثم سار إلى مكة بأمر المستنصر صاحب مصر ليمحو منها الدعوة العباسية والإمارة الحسينية^[١٧]، واستخلف على صنعاء ابنه المكرم أحمد، وحمل معه زوجته أسماء بنت شهاب، والملوك الذين معه مثل ابن الكرندي وابن يعفر التبعي ووائل بن عيسى الوحاظي وأمثالهم^[١٨].
فبيته سعيد بن نجاح بالمهجم^[١٩].
وقتل سنة ثلاث وسبعين وأربع مائة^[٢٠].

= المستنصر وأذن له، فأعلن الصليحي الخطة للمستنصر الفاطمي - أي الارتباط بالدولة العربية الإسلامية الكبرى بزعامة الخلفاء العبيديين الفاطميين - فكانت الخطبة في منابر اليمن «للمستنصر بالله أمير المؤمنين - أولاً - ثم للملك الكامل السلطان المظفر في الدين - علي بن محمد الصليحي - ولي أمير المؤمنين، ثم يُقال: اللهم وأدم أيام الكاملة السيدة كافة المؤمنين» (أه) وهي زوجة الصليحي الملكة أسماء بنت شهاب، وفيها قال الشاعر الهيثمي:
«.. قلت إذ عظموا لبليقيس عرشاً دست أسماء من ذرى النجم اسماً»

[١٧]- كانت مكة قد انضوت في سلطان دولة اليمن الصليحية وملكها علي بن محمد الصليحي منذ عام ٤٥٥هـ (١٠٦١م) قال ابن كثير «وفي سنة ٤٥٥هـ ملك الصليحي صاحب اليمن مكة وجلب الأقوات إليها وأحسن إلى أهلها» [ص ٩٠ ج ١٢ - البداية والنهاية] - وقال ابن الأثير: «وفي هذه السنة - ٤٥٥هـ - دخل الصليحي صاحب اليمن إلى مكة مالكاً لها فأحسن السيرة فيها وجلب إليها الأقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه أفعال جميلة» [ص ٩٦ ج ٨ - الكامل] - وذكر بامخرمة أنه «أظهر الصليحي العدل والإحسان بمكة وكسا البيت بالثياب والحلي، وكان بنو أبي الطيب الحسنيون قد عروا البيت والميزاب وأخذوا الحلي لما ملكوا مكة، فرد الصليحي الحلي إلى البيت وكساه ثياباً بيضاء.. واستعمل الجميل مع أهل مكة وجلب الأقوات فرخصت الأسعار» [ص ١٦١ تاريخ ثغر عدن].

[١٨]- لم يكن ذلك في مسير علي بن محمد الصليحي إلى مكة لما امتلكها وانضوت في الدولة الصليحية عام ٤٥٥هـ - كما ذكرنا في الهامش السابق - وإنما كان في مسيره للحج عام ٤٧٣هـ فالتبس خبر المسير إلى مكة على ابن خلدون ولم يميز بين المرتين.

[١٩]- كان سعيد بن نجاح قد هرب إلى جزيرة دهلك فمكث نحو عشرين سنة ثم عاد في إطار مؤامرة وخطة كبيرة، وسيأتي ذكر ابن خلدون لذلك في خبر بني نجاح.

[٢٠]- جاء في الأصل المطبوع هنا «سنة ثلاث وستين وأربع مائة» وهو تصحيف، فقد ذكر ابن خلدون في خبر بني نجاح أن مقتل علي بن محمد الصليحي «سنة ثلاث وسبعين» وهو الصواب [ص ٢١٧ ج ٤].

وقال عمارة «كان مقتل الصليحي في يوم السبت اليوم الثاني عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، وقيل في سنة تسع وخمسين وأربعمائة» [أه] وقد أوردت عدة روايات مقتل الصليحي (يوم الإثنين ٧ ذي القعدة سنة ٤٥٩هـ) قال ابن كثير «قتله بعض أمراء اليمن في الموسم وخطب للخليفة العباسي» [ص ٩٠ ج ١١] ولكنه ذكر أيضاً أن مقتله عام ٤٧٣هـ، =

الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي

وقام بأمره بعده ابنه المكرم أحمد^[٢١] واستولى على أمره، وأقام بصنعاء^[٢٢]، وكانت أمه أسماء بنت شهاب قد سبها سعيده بن نجاح ليلة

= ونرى أن الأمر ليس اختلافاً في تاريخ مقتل الصليحي وإنما نرى أن الصليحي المقتول في ٧ ذي القعدة ٤٥٩هـ إنما هو الأمير عبد الله بن محمد الصليحي وأن القاتل ابن طرف الحكمي، وقد ذكر عمارة وغيره أنه «سار الملك علي بن محمد الصليحي من صنعاء في صفر ٤٦٠هـ وحارب ابن طرف ومن كان معه في موقعة الزرائب» وكان مع ابن طرف عشرون ألفاً من أصحابه ومن الموالى الأحباش وغيرهم - فهزمهم وقتك بهم الصليحي، قال عمارة: - «فلم يبق من أصحاب طرف إلا ألف رجل أجارهم جدي أحمد بن محمد الحكمي في حصنه بعكوه بجبل عكاد فوق الزرائب» [اه].

لذلك نرى أن مسير الملك الصليحي في صفر ٤٦٠هـ ومحاربه لابن طريف وقتك بأصحابه كان بسبب مقتل الأمير الصليحي (عبد الله بن محمد) في ٧ ذي القعدة ٤٥٩هـ سواء كان ذلك الأمير الصليحي عبد الله بن محمد أو غيره من آل الصليحي.

أما مقتل الملك علي بن محمد الصليحي فكان في مؤامرة سعيد بن نجاح بالمهجم يوم السبت ١٢ ذي القعدة سنة ٤٧٣ هجرية، ويؤكد ذلك القاضي بهاء الدين الجندي في كتاب (السلوك في طبقات العلماء والملوك) حيث قال: - «فلما صار - الصليحي - في المهجم وحط في ظاهر المدينة هجم عليه بنو نجاح رأسهم سعيد الأحول ثم أخوه جياش ابني نجاح وهما في سبعين رجلاً من الحبشة فقتلوا الصليحي وأخاه عبد الله وذلك ثاني عشر ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وكان من ظهوره إلى موته خمس وأربعون سنة، ملكه في التهائم إحدى وعشرون سنة وأيام ظهوره وقتاله خمس سنين وملكه في الجبال خمس وأربعون سنة» [ص ٤٨٨].

ثم أخذ سعيد بن نجاح الأسرى وفيهم السيدة أسماء بنت شهاب إلى زييد، وحين علم الأمير أسعد بن شهاب الصليحي أمير زييد وتهامة بمقتل الصليحي خرج من زييد ولحق بالمكرم في صنعاء، ولما علم سعيد بن نجاح بذلك دخل زييد واستولى عليها.

[٢١] - هو الملك المكرم أحمد بن علي بن محمد الصليحي، قال عمارة «... كان المكرم فصيحاً شجاعاً مشهوراً بالثبات والإقدام ولم يكن في زمانه من يتعاطى حمل رمحه وسيفه لشدة قوته وعظم خلقتة» [ص ١٢٩ - المفيد] وقد أشاد به الشاعر الحسين بن علي القم ومدحه بغرر القصائد، ومن ذلك قصيدة القم التي قال فيها:

يا أيها الساري الذي لطم الدجى	بمناسم السنديّة المرقال
تسري إلى ملك، حصى حجراته	دُرّ الملوك وترهّن غوالي
... ملك متى تحلل بظلم فئاته	تحلل بساحة ماجد مفضال

[٢٢] - تذهب بعض الروايات إلى تحديد بداية عهد المكرم بعام ٤٦٠هـ على أساس مقولة مقتل الملك علي بن محمد الصليحي في ذي القعدة ٤٥٩هـ بينما الصواب أن مقتله عام ٤٧٣هـ =

البيات^[٢٣]، فكتبت إلى ابنها المكرم إني حبلى من العبد الأحول فأدركني قبل أن أضع وإلا فهو العار الذي لا يمحوه الدهر^[٢٤].

فسار المكرم من صنعاء سنة خمس وسبعين في ثلاثة آلاف، ولقي الحبشة في عشرين ألفاً فهزمهم، ولحق سعيد بن نجاح بجزيرة دهلك، ودخل المكرم إلى أمه وهي جالسة بالطاق الذي نصب عنده رأس الصليحي وأخيه فأنزلهما ودفنهما، ورفع السيف، وولى خاله أسعد بن شهاب على أعمال تهامة كما كان وأنزله بزبيد منها، وارتحل بأمه إلى صنعاء، وكانت تدبر ملكه^[٢٥].

ثم جمع أسعد بن شهاب أموال تهامة وبعث بها مع وزيره أحمد بن سالم، ففرقتها أسماء على وفود العرب، ثم هلكت أسماء سنة سبع وسبعين^[٢٦].

= ولكن المكرم كان بالفعل مقيماً بصنعاء وملكاً أميراً منذ عام ٤٥٩هـ و٤٦٠هـ - في عهد أبيه - كنائب وأمير على صنعاء وأعمالها، وقد تزوج المكرم أحمد بالسيدة أروى بنت أحمد الصليحي في مدينة صنعاء، وذلك عام ٤٦١هـ - كما في تاريخ عمارة - زوجه إياها والده الملك علي الصليحي، وكانت للمكرم وزوجته السيدة أروى حياتهما الاجتماعية والسياسية حتى مقتل أبيه في ذي القعدة ٤٧٣هـ فتولى المكرم الملوكية وأصبح ملكاً لليمن، وحمل لقب: - «الملك السيد المكرم عظيم العرب، سلطان أمير المؤمنين» أي (الملك السيد المكرم عظيم العرب أحمد بن علي الصليحي سلطان أمير المؤمنين المستنصر بالله الفاطمي).

[٢٣] - كان سعيد بن نجاح قد أسر السيدة أسماء بنت شهاب والأمير علي بن معن نائب عدن ووائل بن عيسى نائب وحاذة وابن الكرندي نائب المعافر ليلة الهجوم الغادر على الملك علي الصليحي ومقتله في المهجيم، وقام بحبسها «في دار شحار بزبيد ووكل بها من يحرسها، ونصب رأس الصليحي وأخيه أمام طاقتها».

[٢٤] - كانت تلك حيلة من السيدة أسماء بنت شهاب لتستثير المكرم ومن معه وتحثهم للمبادرة بقتال ابن نجاح، فكتبت الرسالة في السجن «ثم جعلت الكتاب في رغيث ودسته إلى فقير وشاورته بإيصاله إلى المكرم بصنعاء».

[٢٥] - كانت أسماء بنت شهاب تشارك في الحكم وتدير أمور الدولة في ومنذ عهد زوجها الملك علي الصليحي، قال المؤرخ الجندي «كانت أسماء بنت شهاب من أعيان النساء بحيث تقصد وتمدح ويمدح بها زوجها وابنها، وكان الصليحي لما تحقق كمالها وكل إليها التدبير ولم يكن يخالفها في غالب أمرها، وكانت متى حضرت مجلساً لا تستر وجهها بشيء عن الحاضرين، وكان فيها من الحزم والتدبير ما لم يكن في نساء زمانها» [ص ٤٨٧ - السلوك].

[٢٦] - وفي ذلك العام قام المكرم بسك الدنانير الذهبية اليمنية، قال عمارة «وفي عام ٤٧٧ أمر المكرم بضرب الدينار الملكي وإليه ينسب وهو دينار اليمن إلى اليوم» [ص ١٣٥ - المفيد] - أي إلى أيام عمارة في القرن السادس الهجري، وقد تم العثور في أيامنا (عام ١٤٠٠هـ) =

وخرجت زبيد من يد المكرم واستردّها سعيد بن نجاح سنة تسع وسبعين [٢٧]، ثم انتقل المكرم إلى ذي جيلة سنة ثمانين [٢٨].

وولى على صنعاء عمران بن الفضل الهمداني، فاستبدّ بها وتوارثها عقبه وتسمى ابنه أحمد باسم السلطان واشتهر به، وبعده ابنه حاتم بن أحمد [٢٩].

وليس بعده بصنعاء من له ذكر حتى ملكها بنو سليمان لما غلبهم الهواشم على مكة كما مرّ في أخبارهم [٣٠].

= (١٩٨٠م) على كمية من تلك الدنانير في قرية الساك عزلة حبير بناحية ذي شفال وفي بني جبر بخولان، وهي دنانير «من الذهب الإبريز الخالص، مكتوب عليها عبارة «الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين» وعلى الكتابة خطان وحوالي الدائرة كتابة مصغرة جداً غير واضحة، ومكتوب على الوجه الثاني عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)» (اه).

[٢٧] - لم يلبث أن قام الملك المكرم وزوجته الملكة أروى بتدبير خطة قضت على سعيد بن نجاح وجيشه عام ٤٧٩هـ كما سيأتي في حديث ابن خلدون عن بني نجاح وأنه «انهزمت عساكره وقتل ونُصّب رأسه عند الطاق الذي كان فيها رأس الصليحي بزبيد واستولى عليها المكرم». (اه).

[٢٨] - اتخذ الملك المكرم وزوجته الملكة أروى من مدينة جيلة مقراً وعاصمة، وقام بتفويض كل الأمور لزوجته الملكة أروى، لذلك فإن بقية ما ذكره ابن خلدون عن عهد المكرم حتى وفاته عام ٤٨٤هـ يمثل بدايات عهد الملكة أروى بنت أحمد الصليحي والذي امتد حتى وفاتها عام ٥٣٢هـ كما سيأتي.

[٢٩] - كان استقلالهم بحكم صنعاء وأعمالها في آخر الدولة الصليحية حيث تفككت الدولة المركزية إلى دويلات، فكان منها دولة بني حاتم في صنعاء وأعمالها بزعامه (السلطان حاتم بن أحمد الهمداني ٥٣٣ - ٥٥٠هـ) وكان - كما قال المؤرخ الخزرجي - «أوحد عصره وكان له من المفآخر ما لم يكن لغيره مع الفصاحة والشجاعة والرجاحة والبراعة» (اه) ووفد إليه القاضي الشاعر أحمد بن الزبير الأسواني المصري المبعوث من صاحب مصر إلى اليمن فأكرمه زعماء اليمن والسلطان حاتم الهمداني، فقال الأسواني قصيدة منها:

لئن أجدبت أرض الصعيد وأقحطوا فلست أخاف القحط في أرض قحطان
.. وإن جهلت حقي زعانف خندف فقد عرفت فضلي غطارف همدان

[٣٠] - كان بعده بصنعاء ابنه السلطان علي بن حاتم الهمداني، وفي عهد السلطان حاتم ظهر الإمام أحمد بن سليمان (الهادوي) بصعدة وجهاتها - عام ٥٤٥هـ - وغزا صنعاء فحاربه السلطان حاتم وكانت بينهما حروب ومحاورات وأشعار، واستمر الصراع في عهد ابنه السلطان علي بن حاتم الذي امتد عهده حتى العصر الأيوبي وقدوم شقيق صلاح الدين الأيوبي إلى اليمن عام ٥٦٩هـ، وكان الإمام أحمد بن سليمان قد هلك عام ٥٦٦هـ، وكان من أعلام اليمن في ذلك العهد الأمير المؤرخ نشوان بن سعيد الحميري وقد عاصر السلطان =

[٣١] الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي

ولما انتقل المكرم إلى ذي جبلة، وهي مدينة اختطها عبد الله بن محمد الصليحي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وكان انتقاله بإشارة زوجته سيدة بنت أحمد [٣٢] التي

= حاتم وعلي بن حاتم والإمام أحمد بن سليمان، وتصدى نشوان للإتجاه الهادوي وإمامهم أحمد بن سليمان حيث كان نشوان يحمل لواء الوطنية الحميرية القحطانية، وتوفي عام ٥٧٣هـ ومن مؤلفاته كتاب (شمس العلوم في دواء العرب من الكلوم) وكتاب (البحور العين) وكتاب قصيدة تاريخ تبابعة وأذواء حمير.

(*) - وقد دام عهد المكرم أحمد بن علي الصليحي من ذي القعدة ٤٧٣هـ إلى وفاته عام ٤٨٤هـ (١٠٨١ - ١٠٩١ م) كما سيأتي.

[٣١] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي، وقد جاء حديث ابن خلدون عن بداية عهد الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي في سياق الحديث عن زوجها الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي، ونشير هنا إلى أن المؤرخ عمارة والمؤرخ الجندي وغيرهما ذكروها باسم السيدة بنت أحمد، فقال ابن خلدون هنا «سيدة بنت أحمد» وفي مواضع لاحقة «السيدة» وكان هذا لقبها، مثل لقب (المكرم) واسمه أحمد، ولقب (السيدة) واسمها أروى، وفي رسالة الخليفة المستنصر إليها «.. الملكة السيدة وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن..». أما اسمها الشخصي فلم يعد مستعملاً بعد صيرورتها ملكة ولكنه متواتر عبر الأجيال إلى أيامنا حيث قال الشاعر محمد أحمد منصور:

تلك أروى، خليفة الله في الآ
رض ولله مثلها الخلفاء

[٣٢] - هي السيدة أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي، كان مولدها عام ٤٤٤هـ (١٠٥٢ م) ونشأت في كنف الملك علي بن محمد الصليحي وزوجته أسماء بنت شهاب، وكانت السيدة أروى بنت أحمد - كما ذكر عمارة - «.. كانت بيضاء حمراء، مديلة القامة، معتدلة البدن وإلى السمن أقرب، كاملة المحاسن، جهورية الصوت، قارئة كاتبة، تحفظ الأشعار والأخبار والتواريخ» [ص ١٣٧ - المفيد].

وتزوجت بالمكرم أحمد عام ٤٦١هـ (١٠٦٨ م) في عهد أبيه الملك علي الصليحي، «فلما تزوج المكرم بالسيدة بنت أحمد، جعل الصليحي ارتفاع عدن وأعمالها إلى السيدة، وكان ارتفاع عدن مائة ألف دينار سنوياً، ثم امتنع محمد بن معن - نائب عدن وأعمالها - عن أداء ذلك المبلغ وتغلب على البلد فقصدهم المكرم إلى عدن» [ص ٨٦ ثغر عدن] وكان ذلك - كما في تاريخ الحجوري - «في شعبان ٤٦٧هـ فهرب محمد بن معن إلى أحور في ٣٠ شعبان ٤٦٧هـ فصالحه المكرم» فاستمر ابن معن نائباً على عدن وأعمالها ويرفع الإيراد السنوي إلى السيدة أروى. وتدل القرائن على أنها استقرت بمدينة جبلة منذ تلك الفترة، وكذلك المكرم ثم عاد إلى صنعاء ولحقت به السيدة أروى حين تولى المكرم الملوكية بعد أبيه في ذي القعدة ٤٧٣هـ فأقامت معه بصنعاء ثم عادت إلى جبلة عام ٤٧٧هـ ثم أفنعت زوجها المكرم بالانتقال من صنعاء إلى جبلة واتخاذها مقراً وعاصمة فتم ذلك عام ٤٨٠هـ وأتاب على صنعاء وأعمالها ابن عمه سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي ومعه عمران الهمداني على صنعاء.

صار إليها تدبير ملكه بعد أمه أسماء^[٣٣]، ونزلها وبني فيها دار العز^[٣٤].

وتحيتل على قتل سعيد بن نجاح، فتم له كما نذكر في أخبار بني نجاح^[٣٥] وكان مشغولاً بلذاته، محجوباً بزوجته.

ولما حضرته الوفاة سنة أربع وثمانين^[٣٦]، عهد إلى ابن عمه المنصور سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي صاحب معقل أشيخ^[٣٧]، فقلده

[٣٣] - كانت وفاة أسماء بنت شهاب عام ٤٧٧هـ - كما تقدم - حيث كما قال عمارة «فوض المكرم الأمور إلى زوجته السيدة بنت أحمد» وقال الجندي في كتاب السلوك «قلد المكرم الأمر لامرأته السيدة بنت أحمد.. ووكل إليها تدبير ملكه.. وكان يقال لها بلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها، وكانت قارئة لكتاب الله تعالى حافظة لكثير من أشعار العرب، عارفة بالتاريخ، تفضل بالمعرفة على كثير من الملوك» [ص ٤٩٣] وقال بامخرمة «فوض المكرم الأمر إلى زوجته السيدة بنت أحمد فانفردت بالأمر في حياة المكرم وبعد وفاته» [ص ٩ تاريخ ثغر عدن].

وبالتالي فإن ملوكية السيدة أروى بنت أحمد لم تبدأ بوفاة المكرم عام ٤٨٤هـ أو عام ٤٧٩هـ في قول البعض وإنما بدأت عملياً في حياة المكرم عام ٤٧٧هـ وكانت هي التي سكت الدينار الذهبية اليمنية التي قال عمارة عنها: «وفي عام ٤٧٧هـ أمر المكرم بضرب الدينار الملكي وإليه ينسب وهو دينار اليمن إلى اليوم» [اهـ] وقد ذكرنا العثور على كمية منها في أيامنا وهي من الذهب الإبريز الخالص ومكتوب عليها «الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين» وقد أشار إليها ابن أبي الحفاظ الهمداني في قصيدته إلى الملكة السيدة أروى حيث قال:

.. فمن مُبْلِغٌ مولاننا بنتِ أحمد تهانيسي القصوى وقطب مداري
.. خطبت لمولانا وأظهرت سكة عليها اسمه طارت بكل مطار

[٣٤] - قال الجندي «.. سكتنا - أي المكرم والسيدة - جبلة، واختطت السيدة بها الدار المسماة دار العز» [ص ٤٩٠] وهو قصر الحكم، وقال ابن خلدون في حديثه عن مدن وقواعد المُلُك باليمن: - انتقل المكرم من صنعاء إلى ذي جبلة وزوجته السيدة بنت أحمد المستبدة عليه وهي التي أكملت تشييد ذي جبلة سنة ثمانين وأربعمائة» (اهـ).

[٣٥] - كان القضاء على سعيد بن نجاح وجيشه بتدبير الملكة السيدة أروى وسيأتي خبر ذلك.

[٣٦] - قال الجندي (طلع المكرم من ذي جبلة إلى صنعاء فتوفي ببيت بوس - [وهي من ضواحي صنعاء] - سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وقيل توفي - بحصن أشيخ - سنة ثمانين، وقيل سنة تسع وسبعين، بعد أن أسند الوصية بالمُلُك إلى زوجته السيدة، وفي الدعوة إلى ابن عمه سبأ بن أحمد بن المظفر» [ص ٤٩١] وقال عمارة: توفي المكرم سنة ٤٨٤هـ فيكون هو التاريخ الأصح، ولكن السيدة أروى كانت الملكة بالفعل منذ عام ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) وهو عام التفويض الكامل لها بالمُلُك من المكرم - غالباً - ولم يشمل ذلك الدعوة فاستمر المكرم صاحب الدعوة حتى وفاته عام ٤٨٤هـ (١٠٩١م).

[٣٧] - لم يميز ابن خلدون هنا بين المُلُك وبين الدعوة وكذلك فعل عمارة وقد ميز بينهما =

المستنصر العبيدي^[٣٨] وأقام بمعقله، وسيدة بنت أحمد بذي جبلة^[٣٩].

وخطبها المنصور سبأ، وامتنعت، فحاصرها بذي جبلة^[٤٠]، وقال له أخوها
لأمها سليمان بن عامر الزواحي: والله لا تُجيبك إلا بأمر المستنصر خليفة مصر^[٤١]
فراسل في ذلك، وأجيب، ووصل خادم من عند المستنصر وأبلغها أمره
بذلك^[٤٢]، وتلا عليها ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ
أَمْرِهِمْ﴾، وإن أمير المؤمنين زوّجك من الداعي المنصور أبي حمير سبأ بن
أحمد بن المظفر، على مائة ألف دينار، وخمسين ألفاً من أصناف التحف

= الجندي كما تقدم، فقد عهد المكرم بالملك إلى زوجته الملكة السيدة أروى بنت أحمد
وبمسؤولية الدعوة - أي زعامة الدعوة المذهبية الإسماعيلية كمرتبة دينية - إلى سبأ بن
أحمد بن المظفر، وكان سبأ أميراً نائباً على مناطق واسعة وكان مقره في حصن أشيخ
بمخلاف الهان (آنس حالياً) وله نواب في المناطق، وكان أعظم أمراء اليمن وفيه قال ابن
القم:

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشيع أو أزرى بك الفقر فاستمطر بنان سبأ

[٣٨] - هو الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) فقلد سبأ بن أحمد زعامة الدعوة
باليمن (منصب الداعي) وهو منصب ديني مذهبي إسماعيلي فاطمي، أما مرتبة الملوكية
وحكم البلاد فكان للملكة السيدة أروى بنت أحمد وهو منصب سياسي لا علاقة للخليفة
الفاطمي به.

[٣٩] - كانت مدينة جبلة هي عاصمة دولة اليمن الصليحية في عهد الملكة أروى الذي دام زهاء
نصف قرن حتى وفاتها عام ٥٣٢هـ (١١٣٧م) ولما بعث إليها المستنصر بالله رسولا وكتاباً
(ح/ عام ٤٨٤م) خاطبها قائلاً:

«أمير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة، وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن، عمدة
الإسلام، خلاصة ذخيرة الدين، ولية أمير المؤمنين، كافلة أوليائه الميامين» [ص ١٥١ - المفيد
- عمارة].

[٤٠] - قال الجندي «إن السيدة بنت أحمد لما خرجت من العدة، خطبها سبأ بن أحمد فامتنعت
واعتلت بمراجعة إمامهم» فكتب إلى القائم - أي المستنصر يسأله أن يكتب له إليها بإجابته
إلى الزواج» [ص ٤٩١ - السلوك].

[٤١] - عبارة عمارة «... إلا بأمر الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين» فلم يكن المستنصر خليفة
مصر فقط وإنما كانت مصر مقره، فخلافته كانت تشمل كل بلاد المغرب العربي ومصر
وتمتد إلى الشام واليمن وإلى صقلية وسردينية كما تقدم.

[٤٢] - لم يكن رسول المستنصر إلى الملكة أروى خادماً له وإنما كان «أستاذاً للمستنصر يعرف
بحامل المدية - أو حامل الدواة - وينعت بئمن الدعوة» [ص ١٥١ - المفيد] فأبلغها رسالة
المستنصر التي بدأت بقوله «أمير المؤمنين.. يرد السلام على الحرة الملكة السيدة وحيدة
الزمن سيدة ملوك اليمن عمدة الإسلام.. الخ».

واللطائف، فانعقد النكاح^[٤٣]، وسار سباً من معقل أشيخ إلى ذي جبلة ودخل إليها بدار العز، ويقال إنها شبهت عليه بجارية من جواريتها فقامت على رأسه ليلاً كله وهو لا يرفع الطرف إليها حتى أصبح فرجع إلى معقله^[٤٤].

وأقامت هي بذي جبلة، وكان المتولي عليها المفضل بن أبي البركات من بني يام رهط الصليحي^[٤٥] واستدعى عشيرة جنب^[٤٦] وأنزلهم عنده بذي جبلة، فكان يسطو بهم، وكانت سيدة تأتي التعكر^[٤٧] في الصيف وبه ذخائرها وخزائنها، فإذا جاء الشتاء رجعت إلى ذي جبلة^(٤٧) ثم انفرد المفضل بالتعكر ولم ينكر منها ولا أنكرت منه^[٤٨].

[٤٣] - قال الجندي «فأجابته على كره منها، ولكنها خشيت أن يتغير باطن الخليفة».

[٤٤] - استمر سباً بن أحمد الصليحي أميراً نائباً في حصن أشيخ وأعمال صنعاء كغيره من النواب الأمراء في عهد الملكة أروى، ولكنه كان في الوقت ذاته صاحب الدعوة، وما لبث أن مات عام ٤٨٦هـ.

[٤٥] - الذين من بني يام هم بنو زريع نواب الملكة السيدة أروى على عدن وأعمالها، فوقع التباس عند ابن خلدون بينهم وبين المفضل هذا وإنما هو المفضل بن أبي البركات الوليد بن العلا بن الوليد الحميري، كان والده والياً نائباً للملك المكرم على التعكر وأعماله، وكان أخوه أبو الفتح أمين بن الوليد الحميري نائباً على حصن تعز وأعماله، فتوفي أبو البركات بعد المكرم فجعلت الملكة السيدة أروى نيابة التعكر إلى ابنه خالد. وكان المفضل - حسب تعبير الجندي - «سيف الملكة السيدة ورجل دولتها»، وقد عبر ابن خلدون عن ذلك المنصب هنا بلفظ «المتولي عليها» وفي نسخة أخرى «المستولي عليها» وهو تعبير غير دقيق.

[٤٦] - جاء في الأصل (واستدعى عشيرة جنباً) وهو تصحيف من الناسخ، والصواب عشيرة جنب وهي من قبائل مذحج المشهورة.

[٤٧] - المقصود حصن التعكر المطل على جبلة وعلى الجند وليس تعكر عدن، وكان خالد بن أبي البركات نائباً على التعكر نحو سنتين فقتله أحد الفقهاء وتم قتل الفقيه، قال الجندي «فجعلت السيدة المفضل مكانه فمن وقت طلعه التعكر تعنت بالفقهاء وأظهر عداوتهم. . . وهرب غالب الفقهاء من مجاورة التعكر خوفاً من سطوته. . . وكانت الملكة السيدة تطلع التعكر أيام الصيف فإذا جاء الشتاء نزلت إلى ذي جبلة» [ص ٤٩٧ - السلوك].

[٤٨] - كان المفضل نائباً على التعكر وأعماله، وكان في الوقت ذاته سيف الملكة السيدة أروى ورجل دولتها، قال الجندي «ولم يكن في أعيان الدولة من يساميه ولا يساويه، ولم تكن السيدة تقطع أمراً دونه فبذلك عظم شأنه وعلت كلمته، وكانت له مكارم ومفاخر. . .» (اه)

وفيه قال الشاعر مواهب بن جديد المغربي:

يا مالك الدين والدنيا وأهلها ومن بغرته الإسلام ممتسك
قد قيل جاور لتحظى البحر أو ملكاً وقد فعلت وأنت البحر والملك

ثم سار المفضل لقتال آل نجاح^[٤٩] فوثب في حصن التعكر فقيهاً يلقب بالجمل مع جماعة من الفقهاء أحدهم إبراهيم بن زيدان عمّ عمارة الشاعر، فبايعوا الجمل على أن يمحوا الدعوة الإمامية^[٥٠] فرجع المفضل من طريقه وحاصرهم وجاءت خولان لنصرتهم، فصانعهم المفضل، وهلك في حصارهم سنة أربع وخمسمائة^[٥١]، فجاءت بعده الحرّة سيدة وأنزلتهم على عهد فنزلوا، ووفت لهم به، وكفلت عقب المفضل وولده^[٥٢]، وصار معقل التعكر في يد عمران بن الزرّ الخولاني وأخيه سليمان^[٥٣]. وتولى عمران على الحرّة سيدة مكان المفضل^[٥٤].

[٤٩] - كان بعض آل نجاح قد استولى على زيد فبعثت الملكة السيدة أروى المفضل لقتالهم في زبيد فدخلها، وبينما هو في زبيد أتاه الخبر بأن الفقهاء وابن عم المفضل تملدوا وتغلبوا على حصن التعكر فغادر زبيد عائداً إلى التعكر.

[٥٠] - الأصوب كما في تاريخ ابن سمره هو قيام ابن عم المفضل بالتغلب على الحصن، وقال عمارة: جماعة من الفقهاء، وقال الجندي: «اتفاق جماعة من الفقهاء مع ابن عم المفضل» وكان سبب ذلك اضطهاد المفضل للفقهاء لا محو الدعوة الإمامية.

[٥١] - مات المفضل أثناء محاصرته للتعكر في رمضان ٥٠٤ هـ وكانت له مآثر ومنجزات في تشييد الطرق ومسجد الجند وتنفيذ مشروع مياه الغيل من خنوة إلى الجند بتوجيه الملكة أروى، وقال الشاعر أبو بكر الياضي يذكر مناقب المفضل:

وأقلُّ مكرمة له وفضيلة إجراؤه للغيل في الأجناد
شق الجبال الشامخات فأصبحت وكأنما كانت ثعاب وهاد

[٥٢] - وكان منهم المنصور بن المفضل وإليه أسندت الملكة السيدة أروى حكم البلاد بعد وفاتها.

[٥٣] - قال الجندي «جعلت السيدة في حصن التعكر مولاها فتح بن مفتاح والد الفقيه سليمان، فلبث ما شاء الله ثم تغلب على الحصن بنو الزرّ وذلك بخطبة ابنة له».

[٥٤] - عبارة «وتولى عمران على الحرّة سيدة مكان المفضل» وفي إحدى النسخ (واستولى) فالمقصود بذلك أن الحرّة سيدة ملوك اليمن السيدة أروى بنت أحمد ولت مكان المفضل عمران هذا، ولم يكن ذلك بعد موت المفضل وإنما:

أ - «أقامت السيدة مكان المفضل ابن عمه أسعد بن أبي الفتوح بن العلا بن الوليد الحميري بالقيام والذب عن ملكها والتوجه إلى حيث أمرته، فلبث متولياً لحصن صبر وتعز، إذ كان أبوه قبله متولياً عليهما، فلم يزل قائماً بالأمور كما كان المفضل حتى كانت سنة ٥١٤ هـ غدر به رجلان من أصحابه فقتلاه بحصن تعز» [ص ٤٩٨ - السلوك].

ب - وولت الملكة السيدة في تلك المرتبة ابن نجيب الدولة الذي قدم من مصر عام ٥١٣ هـ وتولى منصب الداعي بتكليف من الخليفة الفاطمي العبيدي الأمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ) فأسندت إليه الملكة السيدة المرتبة التي كانت للمفضل - بالإضافة إلى منصبه الديني المذهبي (الداعي) - وقد تحدث عنه ابن خلدون في موضع لاحق حيث قال: «.. وصل من مصر ابن =

ولما ماتت [٥٥] استبد عمران وأخوه بحصن التعكر واستولى منصور بن أبي البركات على ذي جبلة [٥٦] حتى باعه من الداعي الزريعي صاحب عدن كما يأتي واعتصم بمعقل أشيخ الذي كان للداعي المنصور سباً بن أحمد، وذلك أن المنصور توفي سنة ست وثمانين وأربعمائة واختلف أولاده من بعده وغلب ابنه عليّ منهم على المعقل، وكان ينازع المفضل بن أبي البركات والحرّة سيدة وأعيهما أمره، فتحيل المفضل بسم أودعه في سفرجل أهدها إليه فمات منه، واستولى بنو أبي البركات على حصون المظفر [٥٧] ومات المفضل عن قرب كما

= نجيب الدولة داعياً ونزل مدينة الجند ثم اعتضد بهمدان فحاربه السيدة بجنب وخولان إلى أن ركب البحر وغرق [ص ٢٢٢ ج ٤] وكان ذلك بعد أن تمرد ابن نجيب الدولة على الملكة السيدة أروى (بعد عام ٥٢٠م).

ج - ثم ولت الملكة السيدة في تلك المرتبة القيادية التي كانت للمفضل القائد مسلم بن زر الخولاني حيث قال ابن خلدون في حديثه عن «حصن خدد» وكان مسلم بن زر الخولاني متولياً إياه، قال: «ورشحته سيدة لمكان المفضل واستخلصته وأخويه عمران وسليمان ومات مسلم. وكان عمران وسليمان ناصحين في خدمتها وهما اللذان أخرجوا الداعي ابن نجيب الدولة من مدينة الجند ومن اليمن بأمرها» (اه) فكان عمران آخر من تولى مرتبة المفضل في عهد الملكة أروى غالباً.

[٥٥] - كانت وفاة الملكة السيدة أروى عام ٥٣٢هـ (١١٣٧م) بعد أن حكمت اليمن زهاء نصف قرن وماتت وعمرها ٨٨ سنة، وكانت قد أقامت في منصب الداعي (بعد ابن نجيب الدولة) إبراهيم بن الحسين الحامدي فتولى منصب الداعي وما لبث أن مات ووصل النبا إلى الملكة بموت الخليفة القائم بمصر الأمر بأحكام الله عام ٥٢٤هـ وتولى بعده الحافظ (٥٢٤ - ٥٤٤هـ) فلما أتاه النبا بقيام الحافظ العبيدي الفاطمي قالت «حسب آل الصليحي ما حملوا من أمر الدعوة» - أو نحو ذلك - وأضافت السيدة أمر الدعوة إلى سبأ بن أبي السعود الزريعي نائب عدن وأعمالها فأصبح هو المتولي لمنصب الداعي. ثم لما أدركتها الوفاة أوصت بإسناد الملك للمنصور بن المفضل بن أبي البركات [ص ٥٠٠/السلوك].

[٥٦] - لم يكن المنصور بن المفضل مستولياً، فعبارة «استولى...» غير مناسبة إلا إذا كانت «تولى» وقد كانت توليته بوصية الملكة - كما في تاريخ الجندي وعمارة - وكانت الملكة قد أسندت إليه في حياتها ولاية التعكر والمخالف التابعة للتعكر وولاية تعز وأعمالها وولاية معقل أشيخ وما كان يتولاه أحمد بن سبأ من مخاليف وأعمال أشيخ. (في جهات ذمار وصنعاء) وكان اسم الملوكية بعد الملكة السيدة أروى للملك علي بن عبد الله بن محمد الصليحي، وكان عجوزاً ما لبث أن مات دون السنة - عام ٥٣٣ - ثم زوجته أسماء بنت محمد الصليحي مدة يسيرة، وبموتها - عام ٥٣٤ - أصبح المنصور بن المفضل هو الملك كامتداد للدولة الصليحية وقد اعتبره الجندي آخر ملوكها وهو ابن الملكة أروى بالتبني.

[٥٧] - كان شمس المعالي علي بن سبأ بن أحمد بن المظفر قد تولى أشيخ وأعمالها بعد أبيه =

مرّ، وكفلت سيدة ابنه المنصور وكان غير مستقل بالملك، ثم نهضت به سيّته فصار له مُلك أبيه في حصن التعكر وقلاعه وذي جبلة وحصونه ومُلك بني المظفر في أشيخ وحصونه^[٥٧]، ثم باع حصن ذي جبلة من الداعي الزريعي صاحب عدن بمائة ألف دينار^[٥٨] وما زال يبيع معاقله حصناً حصناً حتى لم يبق له غير معقل تعز أخذه منه علي بن مهدي بعد أن ملك ثمانين سنة وبلغ من العمر مائة سنة^[٥٩] والله أعلم بالصواب.

الخبر عن دولة بني نجاح بزيب موالى

بني زياد ومبادئ أمورهم وتصاريق أحوالهم وخبر قتل الملك الصليحي^[٦٠]

ولما استولى الصليحي على زيب من يد كهلان - مولى نجاح - بعد أن قتله بالسّم على يد العجارية التي بعثها إليه سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة كما مر^[٦١]

= وكانت زوجة شمس المعالي هي فاطمة بنت الملك المكرم والملكة السيدة أروى ثم تزوج شمس المعالي بامرأة أخرى فغضبت الملكة بسبب ذلك وأثارت عليه إخوته، ثم دبر المفضل قتله مسموماً عام ٤٩٥هـ فولته الملكة على أشيخ وكل الحصون والأعمال المذكورة. ثم لما بلغ ابنه المنصور بن المفضل سن الحكم ولته كل المناطق والحصون المذكورة وأسندت إليه الأمر بعد وفاتها كما تقدم.

[٥٨] - تنازل المنصور عن ملك جبلة والتعكر وأعمالها للداعي محمد بن سبأ الزريعي مقابل مبالغ مالية كبيرة، قال الجندي: «وذلك سنة ٥٤٧ بعد موت السيدة بخمس عشرة سنة، فحينئذٍ بلغت مدة ملك بني الصليحي من سنة ٤٢٩ حتى ٥٤٧هـ ١١٩ سنة».

[٥٩] - مات المنصور بتعز عام ٥٥٢هـ وخلفه ابنه أحمد إلى سنة ٥٥٨هـ حيث انضوت تعز في دولة بني مهدي.

[٦٠] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي لأن الواقعة الأولى التي ذكرها ابن خلدون هنا في الخبر عن دولة بني نجاح هي واقعة مقتل الملك علي بن محمد الصليحي، بل إن هذا الفصل المسمى الخبر عن دولة بني نجاح . الخ، هو فرع من أخبار الدولة الصليحية ليس إلا.

[٦١] - نقل ابن خلدون تحديد زمن مقتل نجاح بعد ٤٥٢هـ عن المؤرخ عمارة وكذلك نقله الجندي في كتاب السلوك عن عمارة، وقد علق القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكرع على ذلك قائلاً في هامش كتاب السلوك «هذا وهم من عمارة فما دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة إلا ونجاح في الغابرين» [ص٤٨٦/السلوك] ونرى أن سبب الوهم تصحيف من الناسخ أو خطأ فكتب ٤٥٢هـ بدلاً عن ٤٤٢هـ قال الجندي «وحين اتصل العلم بموت نجاح بادر الصليحي ونزل تهامة وأزال منها بني نجاح (ومولاه كهلان) واستتاب بها صهره أسعد بن شهاب فسار في أهل تهامة سيرة مرضية من العدل والتفصح لأهل السنة، وعامل الحبشة ومن يتهم بالدولة - [أي بالميل إلى بني نجاح أو العباسيين] - بالصفح والإحسان وربما ظفر ببعض من يخشى منه فيحسن إليه حتى زرعه له ذلك في قلوب الناس محبة» [ص٤٨٦/السلوك].

وكان لنجاح ثلاثة من الولد: مُعارك وسعيد وجياش، فقتل معارك نفسه ولحق سعيد وجياش بجزيرة دهلك، وأقاما هنالك يتعلمان القرآن والآداب، ثم رجع سعيد إلى زبيد مغاضباً لأخيه جياش واختفى بها في نفق احتفزه تحت الأرض ثم استقدم أخاه جياشاً فقدم وأقاما هنالك في الاختفاء.

ثم إن المستنصر العبيدي الخليفة بمصر قطع دعوته بمكة محمد بن جعفر أميرها من الهواشم، فكتب إلى الصليحي يأمره بقتاله وحمله على إقامة الدعوة العلوية بمكة [٦٢].

فسار الصليحي لذلك من صنعاء، وظهر سعيد وأخوه من الاختفاء، وبلغ خبرهم إلى الصليحي فبعث عسكرياً نحواً من خمسة آلاف فارس [٦٣] وأمرهم بقتلهما، وقد كان سعيد وجياش خالفاً للعسكر وسارا في أتباع الصليحي وهو في عساكره، فبيّتوه بالمهجم متوجهاً إلى مكة، وكان معه آلاف من الحبشة فلم يغنوا عنه شيئاً [٦٣] فانفضّ عسكره، وقُتل، وتولى قتله جياش بيده، وذلك سنة ثلاث وسبعين [٦٤].

ثم قتل عبد الله الصليحي أخا عليّ في مائة وسبعين من بني الصليحي، وأسر زوجته أسماء بنت عمه شهاب في خمسة وثلاثين من ملوك القحطانيين الذين غلب عليهم باليمن [٦٥] وبعث (سعيد) إلى العسكر الذين ساروا لقتل سعيد وجياش

[٦٢] - تقدم تبين أن الصليحي سار إلى مكة وامتلكها وبسط الاستقرار والرخاء في ربوعها عام ٤٥٥ هجرية كما في كتاب البداية والنهاية لابن كثير وكتاب الكامل لابن الأثير والمصادر اليمنية، فربما كان محمد بن جعفر هذا نائباً من النواب على مكة فتغلب عليها عام ٤٧٣ هـ أما الثابت في تاريخ عمارة والجندي وغيرهما أن مسير الصليحي عام ٤٧٣ هـ كان لأداء فريضة الحج.

[٦٣] - كان مسير الصليحي كما في كتاب السلوك للجندي أنه «سار في ألفي فارس» بينما القول بأنه أرسل خمسة آلاف فارس لقبض وقتل سعيد وجياش وبقي معه خمسة آلاف يتنافى مع تلك الحقيقة. فالرواية التي نقل عنها ابن خلدون هذه المقولة ليست دقيقة ولعل الأصوب أنه أرسل ألفاً وخمسمائة فارس وبقي معه خمسمائة.

[٦٤] - قال الجندي «لما صار الصليحي في المهجم وحط في ظاهر المدينة هجم عليه بنو نجاح في سبعين رجلاً من الحبشة. فقتلوا الصليحي وأخاه عبد الله وذلك في ١٢ ذي القعدة ٤٧٣ هـ».

[٦٥] - لم يظهر المعطوف عليه في قوله «ثم قتل عبد الله الصليحي. الخ» والأصوب أن مقتل الملك علي الصليحي ومقتل عبد الله كان في الهجوم الغادر حيث انهالت على الصليحي وأخيه عشرات الحرب من المهاجمين، أما المائة وسبعون من بني الصليحي فهم جنود =

فأمنهم واستخدمهم، وارتحل إلى زيد وعليها أسعد بن شهاب أخو أسماء زوجة الصليحي، ففر أسعد إلى صنعاء.

خبر أسماء بنت شهاب ومسير المكرم إلى زيد وهروب بني نجاح^[٦٦]

ودخل سعيد إلى زيد، وأسماء زوجة الصليحي أمامه في هودج، ورأس الصليحي وأخيه عند هودجها، وأنزلها بدارها ونصب الرأسين قبالة طاقها في الدار^[٦٧] وامتلات القلوب منه رُعباً، وتلقب نصير الدولة^[٦٨] وتغلب ولاة الحصون على ما بأيديهم^[٦٩] ودهش المكرم بن الصليحي بصنعاء وكاد أن يتضعض أمره.

وكتبت إليه أسماء أمه من زيد تُغريه وتقول: إني حبلى من سعيد فأدركني قبل أن تقع الفضيحة عليك وعلى جميع العرب^[٧٠] فتحيل المكرم في إغراء سعيد بن نجاح بصنعاء على لسان بعض أهل الثغور وضمن له الظفر فجاء سعيد

= وحجاج في موكب الصليحي لا من بني الصليحي فاستسلموا وقتلهم سعيد الأحول بن نجاح مع عدد من أقارب أمراء ولاة مناطق اليمن الذين سماهم المصدر «ملوك القحطانيين». ولم يكن في اليمن ٣٥ ملكاً قبل الصليحي وإنما زهاء عشرة «فاستبقى سعيد بن نجاح منهم ثلاثة: وائل بن عيسى صاحب وحافة ومحمد بن معن (شقيق) صاحب عدن، وابن الكرندي صاحب المعافر» [ص٤٨٨/السلوك].

[٦٦] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي لأنه موضوع الواقعة التالية، وقد تقدم الحديث عن الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي وتم تملكه بصنعاء بعد مقتل أبيه، وكانت والدته السيدة أسماء بنت شهاب ذهبت للحج مع الصليحي فأسرها ابن نجاح، وأصبحت بمثابة رهينة عنده حتى لا يبادر المكرم بالهجوم عليه.

[٦٧] - حبس ابن نجاح السيدة أسماء بنت شهاب «في دار شحار بزويد ووكل بها من يحرسها ونصب رأس الصليحي وأخيه أمام طاقتها» - [ص٤٨٨/السلوك].

[٦٨] - تلقب سعيد بن نجاح بنصير الدولة وخطب للخليفة العباسي في بغداد واستمال الجنود والموالي والأحباش بالأموال مما يدل على أن ما حدث لم يكن بعيداً عن ترتيب وتخطيط وتمويل الخلافة العباسية التي يسيطر عليها العجم في بغداد، وكان الخوف على حياة أسماء سبب انسحاب أسعد بن شهاب من زيد وسبب عدم مبادرة الملك المكرم بالهجوم إلى ناحية زيد.

[٦٩] - المقصود ولاة الحصون في بعض نواحي تهامة.

[٧٠] - كانت تلك حيلة من السيدة أسماء لحث المكرم على المبادرة لمواجهة ابن نجاح وتخليصها واستعادة زيد وتهامة. وكانت السيدة أسماء «فيها من الحزم والتدبير ما لم يكن في نساء زمانها، فجعلت الكتاب في رغيغ ودسته إلى فقير وشاورته بإيصاله إلى المكرم بصنعاء».

لذلك في عشرين ألفاً من الحبشة وسار إليه المكرّم من صنعاء وهزمه وحال بينه وبين زبيد^[٧١] فهرب إلى جزيرة دهلك .

ودخل المكرّم زبيد، وجاء إلى أمّه وهي جالسة بالطاق، ووعندها رأس الصليحي وأخيه، فأنزلهما، ودفنهما، وولى على زبيد خاله أسعد، سنة خمس وسبعين^[٧٢] وارتحل إلى صنعاء^[٧٣] .

مقتل سعيد بن نجاح

ثم رجع إليها (أي إلى زبيد) سعيد (بن نجاح) سنة تسع وسبعين، وكتب المكرّم إلى أبي عبد الله بن يعفر صاحب حصن الشعر بأن يغري سعيداً بالمكرّم وانتزاع ذي جبلة من يده لاشتغاله بلداته واستيلاء زوجته سيدة بنت أحمد عليه^[٧٤] وأنه قُلع، فتمت الحيلة^[٧٥] .

[٧١] - لم يحدث هنا إغراء ابن نجاح بالمسير إلى صنعاء وإنما «سار المكرّم من صنعاء إلى زبيد في ثلاثة آلاف فارس، فلما وصل وادي زبيد سار إليه سعيد بن نجاح في عشرين ألفاً ونيف من الحبشة ومن معه، فقتل عسكر المكرّم أكثرهم وهرب ابن نجاح إلى دهلك» .

[٧٢] - ولى المكرّم أسعد بن شهاب على تهامة إلى وادي حررض، وأبا السعود بن أسعد على أعالي تهامة إلى تخوم مكة .

[٧٣] - وذلك عام ٤٧٥هـ وأوكل المكرّم إلى والدته تدبير أمور الدولة فتولت ذلك حتى وفاتها عام ٤٧٧هـ كما تقدم .

[٧٤] - كانت الملكة السيدة أروى بنت أحمد زوجة الملك المكرّم هي التي دبرت تلك الخطة، لما بلغها أن سعيد بن نجاح جاء من جزيرة دهلك في نحو ثلاثين ألفاً من الحبشة (الأريثيين) وغيرهم إلى زبيد فانسحب منها النائب أسعد بن شهاب بدون قتال واستولى سعيد بن نجاح على زبيد . . قال المؤرخ الجندي «ثم إن السيدة بنت أحمد أعملت الحيلة في قتل سعيد الأحول بن نجاح، فأمرت نائبها في جبل الشعر أن يكاتبه ويخادعه ويستدعيه» [ص ٤٩٠] وكذلك في تاريخ عمارة وقرّة العيون وغيرهما من المصادر، ولعل الرواية التي نقل منها ابن خلدون نسبت الخطة إلى المكرّم لأنه كان الملك في عام ٤٧٩هـ كما أنه كان طرفاً في الخطة .

[٧٥] - ظن سعيد بن نجاح أن نائب حصن جبل الشعر وهو ما يُسمى جبل فجرة قيطان سوف يسانده في هجوم مشترك على جبلة، فتوجه في جيش كثيف إلى جبل الشعر (فجرة قيطان) وكانت السيدة أروى بنت أحمد قد كتبت إلى عمران بن الفضل الهمداني نائب صنعاء وأبي السعود بن أسعد بن شهاب نائب أعالي تهامة بالزحف بجيشهما إلى زبيد ويتتبعا خط سير =

وسار سعيد في ثلاثين ألفاً من الحبشة، وأكمن له المكرم تحت حصن الشعر^[٧٦] فغدروا به هنالك، وانهزمت عساكره^[٧٧] وقتل، ونُصب رأسه عند الطاق الذي كان فيها رأس الصليحي بزيب^[٧٨] واستولى عليها المكرم، وانقطع منها مُلك الحبشة^[٧٩].

بنو نجاح في عهد الملكة السيدة أروى بنت أحمد

وهرب جياش ومعه وزير أخيه خلف بن أبي الطاهر المرواني، ودخلا عدن متنكرين، ثم لحقا بالهند وأقاما بها ستة أشهر ولقيا هنالك كاهناً جاء من سرنديب فبشرهما بما يكون لهما فرجاً إلى اليمن، وتقدم خلف الوزير إلى زيب وأشاع موت جياش واستأمن لنفسه، ولحق به جياش فأقام هنالك متخفياً، وعلى زيب يومئذ أسعد بن شهاب خال المكرم ومعه علي بن القم وزير المكرم^[٨٠] وكان

= ابن نجاح وجيشه إلى منطقة حصن شعر قيظان، وينضموا إلى قوات نائب حصن جبل الشعر.

[٧٦] - لم يكن المكرم هو الكامن بالجيش وإنما يمكن أن يقال إنه جيش المكرم لأنه الملك، وكان الجيش بقيادة نائب الشعر قيضان وهو السلطان أبو عبد الله التبعي كما في تاريخ عمارة - ومعه أبو السعود وعمران بن الفضل.

[٧٧] - فوجئ ابن نجاح بأن جيش الدولة ضعف عسكره فدارت معركة انهزم فيها جيش ابن نجاح هزيمة ساحقة وتم القضاء على غالبية جيش ابن نجاح كما سقط هو قتيلاً، وتم أسر زوجته أم المعارك.

[٧٨] - الصواب كما في كتاب السلوك أنه تم أسر زوجته أم المعارك وقطعوا رأس سعيد الأحول بن نجاح وحملوا الرأس على رمح أمام هودجها، وجيء بها إلى السيدة بنت أحمد في جبلة، فأنزلتها بغرفة من الدار ووكلت بها من يحفظها وجعل رأس زوجها أمام طاقتها، فكانت السيدة بنت أحمد تقول: ليت لك عينا ترى يا مولاتنا أسماء ورأس الأحول تحت طاقة أم المعارك وهي أسيرة [ص ٤٩٠].

وفي تاريخ عمارة أن السيدة بنت أحمد كانت تقول «ليت لك عينا يا مولاتنا أسماء حتى تنظري رأس الأحول تحت طاقة أم المعارك» (اهـ). وربما تم نقل الرأس بعد ذلك إلى زيب ونصبوه عند الطاق الذي كان فيها رأس الصليحي بزيب، فيزول بذلك التعارض.

[٧٩] - قال الجندي «وقد كانت السيدة كتبت إلى أسعد بن شهاب وهو بصنعاء تأمره التقدم إلى زيب بعسكره وأخذها وعرفته القصد - أي الخطة - فاعتمد ذلك، فقدم زيب وهي خالية عن قائم بها فقبضها، وهرب بنو نجاح، فلحق جياش بالهند.» [ص ٤٩٠].

[٨٠] - هو ابن الحسين علي بن القم والد الشاعر الحسين بن علي بن القم، ولم يكن علي بن =

حنقاً على المكرم ودولته، فداخله الوزير خلف ولاعب ابنه الحسين الشطرنج ثم انتقل إلى ملاعبة أبيه، فأغبط به وأطلعته على رأيه في الدولة وأنه يتشيع لآل نجاح، وانتمى بعض الأيام وهو يلاعبه فسمعه علي بن القم واستكشف أمره فكشف له القناع واستحلفه، وجيش أثناء ذلك يجمع أشياعه من الحبشة وينفق فيهم الأموال حتى اجتمع له منهم خمسة آلاف، فثار بهم في زبيد سنة اثنتين وثمانين ونزل دار الإمارة، ومنّ على أسعد بن شهاب وأطلقه لزمانة كانت به، وبقي ملكاً على زبيد وتهماته يخطب للعباسيين^[٨١] والصلحيون يخطبون للعبيديين^[٨٢] والمكرم يبعث العرب للغارة على زبيد كل حين، إلى أن هلك جيش علي رأس المائة الخامسة، وكانت كنيته أبو الطامي وكان موصوفاً بالعدل.

وولى بعده ابنه الفاتك بن جيش، وخالف عليه أخواه إبراهيم وعبد الواحد وجرت بينه وبينهما حروب وكان الظفر له أخيراً، ثم هلك سنة ثلاث وخمسمائة، ونصب عبيدة للملك ابنه منصور بن فاتك صبياً لم يغلّم ودبروا ملكه، وجاء عمه إبراهيم لقتاله وبرزوا له فثار عمه عبد الواحد بالبلد، وبعث منصور إلى المفضل بن أبي البركات صاحب التعكر فجاء لنصره مضمراً للغدر به، ثم بلغه انتقاض أهل التعكر عليه فرجع^[٨٣] ولم يزل منصور في ملكه بزبيد إلى أن وزر له مين عبيدة أبو منصور منّ الله فقتله مسموماً سنة سبع عشرة وخمسمائة، ونصب فاتكا ابنه طفلاً صغيراً واستبد عليه وقام

= القم وزيراً للملك المكرم وإنما كان وزيراً للأمير أسعد بن شهاب الصليحي نائب زبيد وتهماته منذ ولاه إياها الملك علي بن محمد الصليحي (عام ٤٤٦ هجرية) حيث «جعل الصليحي وزيراً وكاتب إنشاء مع أسعد بن شهاب».

[٨١] - كان تغلب جيش علي ناحية زبيد عام ٤٨٢ هـ وكان علي بن القم قد تولى زبيد لأسعد بن شهاب ثم تولاهما أسعد بن العراف وليس أسعد بن شهاب، ثم سيطر جيش علي زبيد.

[٨٢] - كان سلطان الدولة الصليحية والملك المكرم ثم الملكة أروى بنت أحمد يمتد في أرجاء اليمن والخطبة فيها للخلفاء العبيديين الفاطميين فانقطعت الخطبة من ناحية زبيد وأعمالها ليس إلا.

[٨٣] - كان المفضل بن أبي البركات نائباً للملكة السيدة أروى بنت أحمد على التعكر وقائداً للجيش وهي التي بعثته إلى زبيد فدخلها وأعاد منصور بن فاتك إلى حكم زبيد وذلك عام ٥٠٤ هـ كما تقدم.

بضبط الملك، ونُعي عليه التعرّض لحرم آل نجاح حتى هربت منه أم فاتك هذا وسكنت خارج المدينة، وكان قُدماً شجاعاً. وله وقائع مع الأعداء وحاربه ابن نجيب داعي العبيديين فامتنع عليه^[٨٤] وهو الذي شيّد المدارس للفقهاء بزيبد واعتنى بالحاج وبنى سور المدينة، ثم راود بنت معارك بن جياش ولم تجد بداً من إسعافه فأمكنته حتى إذا قضى وطره مسحت ذكره بمنديل مسموم فتَهراً لحمه، وذلك سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

وقام بأمر فاتك بعده زريق من موالي آل نجاح، قال عمارة: كان أحولاً شجاعاً قُدماً وكان ولوداً، ثم عجز بعد حين ولم يستقر أحد مكانه حتى قام بالوزارة سرور الحبشي الفاتكي من موالي أم فاتك المختصين بها، قال عمارة: وفي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة توفي فاتك بن منصور^[٨٥].

وولي بعده ابن عمه وسميه فاتك بن محمد بن فاتك، وسرور قائم بوزارته وتدير دولته، وكان يلازم المسجد إلى أن دس عليه عليّ بن مهدي الخارجي من قتله في المسجد وهو يصلي العصر يوم الجمعة ثاني عشر صفر سنة إحدى وخمسين، وثار الناس بذلك الشيطان القاتل فقتل جماعة من أهل المسجد ثم قُتِلَ، واضطرب موالي آل نجاح بالدولة، وثار عليهم علي بن مهدي الخارجي وحاربهم مراراً وحاصرهم طويلاً، واستغاثوا بالشريف المنصور أحمد بن حمزة السليمانى وكان يملك صعدة^[٨٦] فأغاثهم على أن يُملكوه ويقتلوا سيدهم فاتك بن محمد، فقتلوه سنة ثلاث وخمسين، وملكوا عليهم الشريف أحمد فعجز عن مقاومة ابن مهدي وفرّ تحت الليل، وملكها علي بن

[٨٤] - كان الداعي ابن نجيب الدولة نائباً للملكة السيدة أروى بنت أحمد في الجند إلى عام ٥١٩هـ وكانت الحملات إلى زيبد بأمر الملكة.

[٨٥] - وذلك في آخر عهد الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي (٤٧٩ - ٥٣٢هـ).

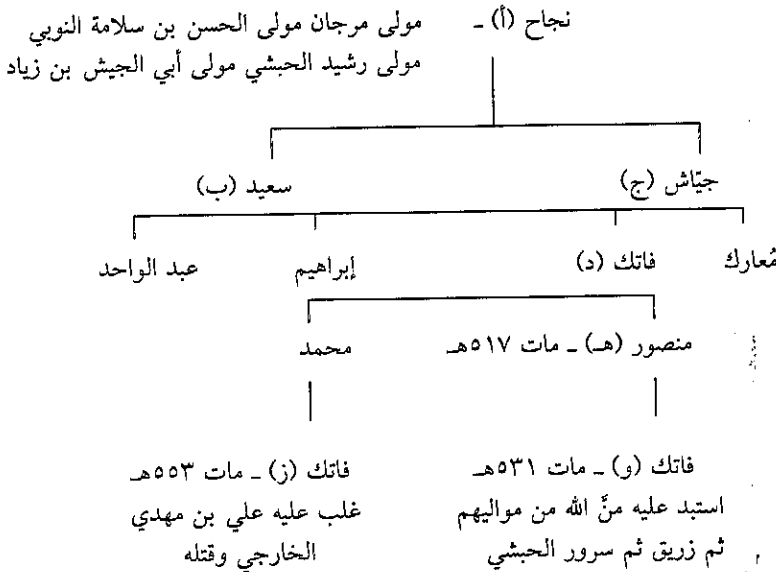
[٨٦] - هو الإمام الهادي أحمد بن حمزة بن سليمان حيث - كما ذكر ابن خلدون - «جاء السليمانيون من مكة عندما أخرجهم الهواشم وكان منهم أحمد بن حمزة بن سليمان» وتم تنصيبه إماماً بصعدة عام ٥٤٥هـ وكانت دولة اليمن الصليحية قد تفككت واستقل بحكم صنعاء ومخالفها السلطان حاتم بن أحمد الهمداني (٥٣٣ - ٥٥٠هـ) ثم ابنه السلطان علي بن حاتم (٥٥٠ - ٥٦٥هـ) واستقل بحكم صعدة وأعمالها الإمام أحمد بن حمزة بن سليمان (٥٤٥ - ٥٦٦هـ) وحاربه بنو حاتم، واستقل بحكم عدن وأعمالها بنو زريع وقامت دولة علي بن المهدي كما سيأتي خبر ابن خلدون عنهم.

مهدي سنة أربع وخمسين، وانقرض أمر آل نجاح، والبقاء لله [٨٧].

الخبر عن دولة بني زريع بعدن من دعاة العبيديين باليمن وأولية أمرهم ومصايرهم

وعدن هذه من أمتع مدائن اليمن، وهي على ضفة البحر الهندي، وما زالت بلد تجارة منذ عهد التبابعة [٨٨].

[٨٧] - أورد ابن خلدون في نهاية الخبر عن آل نجاح الترتيب التالي لهم:



[٨٨] - يعود تأريخ عدن إلى عهد الملك شداد بن عاد بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس، وذلك «أن الجبال كانت محيطة بعدن ولا طريق لها إلى جهة البر، وكان أول من فتح الباب شداد بن عاد لما بنى إرم ذات العماد في صحارى عدن كما ذكره السهيلي وغيره فأمر أن يُنقب باب لعدن في صدر الوادي (بالجبل) فنُقب الباب، فجعل شداد بن عاد عدن حياً لمن غضب عليه ولم تزل حياً إلى آخر دولة الفراعنة ولاة مصر وكذلك كانت التبابعة تحبس بعدن» [ص ١٥/ تاريخ ثغر عدن لبامخرمة] وكذلك فإن «المكسر (في عدن) قنطرة بناها شداد بن عاد» [ص ١٧] فكانت عدن مدينة وميناء تجارياً بحرياً منذ زمن شداد بن شمس عاد وعصر دولة عاد الثانية وملوك سبأ المعاصرين لفراعنة مصر، وقد تقدم الحديث عنهم في الفصل الأول ثم في عصر دولة التبابعة الحميريين، وكان الملك أسعد بن حسان الحميري في قصر غمدان بصنعاء فمرت بين يديه حفيده له من ابنته زوجة القليل ذي يزن، فقال الملك أسعد تبع بن حسان:

يابنة القليل ذي يزن جدك اليوم خير من
حلّ في ذروة اليمن بين صنعاء إلى عدن

[ج ٢/ الإكليل].

وأكثر بنائهم بالأخصاص ولذلك يطرقتها الحريق كثيراً [٨٩].

وكانت صدر الإسلام دار مُلك لبني معن، قال البيهقي: يتسبون إلى معن بن زائدة [٩٠] ملكوها من أيام المأمون وامتنعوا على بني زياد فقتلوا منهم بالخطبة والسكة [٩١].

ولما استولى الداعي علي بن محمد الصليحي على اليمن، دعا لهم ذمام العروبية وقدر عليهم ضريبة يعطونها [٩٢].

= وذلك أول شعر جاء فيه ذكر عدن في العصر الحميري بالقرن الخامس قبل الميلاد ثم جاء ذكرها في الجاهلية في قول الشاعر:

قيس أبا الأشعث بطريق اليمن أشبع آل الله من بُرّ عدن

[ج١/البيان والتبيين للجاحظ] - يعني أبا الأشعث الملك قيس بن معد يكرب الكندي.

[٩٣] - وذلك بعد زوال واندراس البناء الأقدم لمدينة عدن أيام التبابعة وغيرهم وكانوا يبنون بالأحجار والزبور (اللبن) فلما اندرس ذلك وتراجعت أهمية عدن التجارية والبحرية كان أكثر بنائها بالأخصاص (مثل أكواخ تهامة) إلى أيام بني زريع نواب ملوك الدولة الصليحية «فسكن بنو زريع الوادي، وبنوا الدور الملاح، وهم أول من بنى الدور بالحجر والجصّ بعدن وكان الحجر يُجلب إلى عدن من أعمال أبين لأجل العمارة» [ص ١٥ ثغر عدن].

[٩٤] - لم يكن بنو معن هؤلاء من نسب معن بن زائدة الشيباني الذي تولى اليمن أيام هارون الرشيد (١٤٤ - ١٥١هـ) وقد ذكر بامخرمة في تاريخ ثغر عدن وعمارة في كتاب المفيد والجندي في السلوك أن بني معن الملوك بعدن «ليسوا من ذرية معن بن زائدة» (اهـ) وقد نسبهم بعض المحققين إلى حمير وليسوا كذلك وإنما هم من كندة حيث قال الشاعر إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي الإياضي مادحاً أبا الفضل عباس بن معن:

وفي الشرق قد أضحى الهدى بعد ذلة عزيزاً بملك راجح الحلم حازم

أبي الفضل عباس ابن معن ابن حوشب ذرى كندة العليا الملوك القماقم

[٩٥] - امتنع أبو الفضل عباس بن معن حتى عن الخطبة لبني زياد بعد موت الحسين بن سلامة حيث كما ذكر بامخرمة «كان بنو معن قد استولوا بعد موت الحسين بن سلامة على عدن ولحج وأبين وحضرموت والشحر» [ص ٨٦] والمقصود أنهم استقلوا بحكم عدن ولحج وأبين وحضرموت والشحر، ويشمل مصطلح بلاد الشحر مناطق المهرة وظفار (المرباط).

[٩٦] - أي لما توحدت اليمن بزعامة الصليحي ودخل عدن إلى حضرموت «فأبقاها الصليحي تحت يدي بني معن وجعلهم نواباً له فيها» أما الضريبة التي يؤدونها فتسمى (ارتفاع عدن وأعمالها) وهي إيرادات الدولة من تجارة عدن وخراج أعمال عدن ولحج وأبين وحضرموت والشحر والمهرة والمرباط «وكان ارتفاع عدن مائة ألف دينار سنوياً، فلما تزوج المكرم بالسيدة بنت أحمد جعل الصليحي ارتفاع عدن إلى السيدة، فكان بنو معن يرفعون خراج عدن إلى السيدة أيام الصليحي» [ص ٨٦ - ثغر عدن].

ثم أخرجهم منها ابنه أحمد المكرم [٩٣].
 وولى عليها بني الكرم من عشيرة جشم بن يام من همدان [٩٤] وكانوا أقرب
 عشائره إليه، فأقامت في ولايتهم زمناً [٩٥].

[٩٣] - كان سبب ذلك كما في كتاب السلوك للجندي أنه «لم يزل بنو معن يرفعون خراج عدن
 إلى السيدة بنت أحمد حتى توفي الصليحي فتغلبوا على ذلك فغزاهم المكرم وأخرجهم
 عنها» [ص ٤٩٣] - أو كما قال بامخرمة «تغلب بنو معن على البلد فقصدتهم المكرم إلى
 عدن وأخرجهم منها» [ص ٨٦ ثغر عدن] فكانت ولاية بني معن على عدن وأعمالها إلى
 حضرموت وظفار نحو خمس وسبعين سنة لأنهم استقلوا بحكم ذلك القسم من اليمن بعد
 موت الحسين بن سلامة وكان موته عام ٤٠٣هـ وأول مذكور منهم أبو الفضل عباس بن
 معن بن حوشب الكندي فانضوى في دولة اليمن الصليحية وأصبح والياً نائباً للملك
 علي بن محمد الصليحي، ومات عباس بن معن أول ذي الحجة ٤٦١هـ. ثم تولاهما بعده
 محمد بن معن فامتنع عن أداء ارتفاع عدن عام ٤٦٧هـ فسار إليه المكرم فصالحه والتزم
 بأداء الارتفاع السنوي إلى السيدة أروى بنت أحمد، وكان محمد بن معن في موكب
 الصليحي لما اغتيل عام ٤٧٣هـ حيث استبقى سعيد بن نجاح عدداً من الأمراء النواب الذين
 أسره يومذاك ومنهم محمد بن معن، وتم للمكرم القضاء على تمرد سعيد بن نجاح عام
 ٤٧٥هـ - كما تقدم - ثم امتنع ابن معن عن أداء الارتفاع وتمرد فقصدته المكرم إلى عدن
 فتمركز في خنفر، وكانت بينهما موقعة في خنفر (أبين) في ١٢ صفر ٤٧٧هـ ثم استقام
 الأمر ثم تمرد مرة أخرى فسار إليه المكرم ووقعت مواجهة في خنفر (١٩ جمادى الثاني
 ٤٧٨هـ ثم مات محمد بن معن ٣٠ جمادى الآخرة ٤٧٨هـ) وتولى بعده يعفر بن عباس بن
 معن واحداً وستين يوماً وهو آخر من تولى من بني معن.

[٩٤] - ولى الملك المكرم على عدن وأعمالها العباس بن الكرم اليامي الهمداني وأخاه
 مسعود بن الكرم اليامي الهمداني، وهما من قبيلة يام الهمدانية اليمانية في نجران ونواحيها،
 وكان للكرم اليامي وأبنائه دور باسل في القتال مع الملك المكرم أحمد الصليحي بزبيد لما
 استنقذ الملكة أسماء بنت شهاب وفتك بجيش ابن نجاح عام ٤٧٥هـ كما كان من رجال
 وقادة الدولة، فولى الملك المكرم الصليحي العباس ومسعود على عدن وأعمالها، كلاً
 منهما على قسم منها؛ العباس على حصن تعكر عدن وما إلى البر من أعمال عدن،
 والمسعود على حصن الخضراء وما أتى من البحر. وحصن جبل الخضراء هو ما يسمى
 جبل حقات (البنديرة) أما حصن التعكر فهو ما يسمى خالياً جبل شمسان أو جبل حديد.
 واستحلفهما المكرم بالولاء للملكة السيدة أروى بنت أحمد، والزم كلا منهما بأداء خمسين
 ألف دينار سنوياً مقابل إيرادات وخراج عدن وأعمالها، والتزما بأداء ذلك في عهد المكرم
 حتى وفاته في عام ٤٨٤هـ ثم في العهد المنفرد للملكة السيدة أروى بنت أحمد.

[٩٥] - وذلك ابتداءً بولاية العباس بن الكرم ومسعود بن الكرم، فلما مات العباس أقرت الملكة
 السيدة أروى بنت أحمد تولية زريع بن العباس على عمل أبيه ومسعود على ما تحت يده،
 وقامت بتخفيض ارتفاع عدن وأعمالها إلى خمسين ألف دينار على كل منهما نصف =

ثم حدثت بينهم الفتنة وانقسموا إلى فئتين، بنو مسعود بن الكرم، وبنو الزريع بن العباس بن الكرم^[٩٦] وغلب بنو الزريع بعد حروب عظيمة^[٩٧].

الداعي سبأ بن أبي السعود^[٩٨]

قال ابن سعيد: وأول مذكور منهم الداعي سبأ بن أبي السعود بن زريع، أول من اجتمع له المُلْك بعد بني الصليحي^[٩٩] وورثه عنه بنوه.

= الارتفاع، ثم «لما بعثت السيدة بنت أحمد المفضل بن أبي البركات إلى زبيد لينصر منصور بن فاتك على عمه عبد الواحد، كتبت إلى زريع ومسعود أن يلقياه (وينضما إليه) برجالهما إلى زبيد فسارا وقاتلا معه، فقتلا على باب زبيد» [ص ٨٧ ثغر عدن] وكان ذلك عام ٥٠٤هـ فأقرت السيدة بنت أحمد تولية أبي السعود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود كلاً منهما على عمل أبيه، ثم امتنعا عن أداء الارتفاع السنوي لضخامة المبلغ فأرسلت الملكة السيدة إليهما الأمير القائد أسعد بن أبي الفتوح فصالحهما على أداء نصف المبلغ (٢٥٠٠٠ دينار) سنوياً وذلك ح/ عام ٥١٠هـ. ثم مات أبو السعود بن زريع فأقرت الملكة السيدة أروى بنت أحمد تولية ابنه سبأ بن أبي السعود على ما كان بيد أبيه.

[٩٦] - أورد ابن خلدون هنا وفي سائر هذا الفصل اسم زريع بلفظ (الزريع) و(بني الزريع) والأصوب كما في سائر المصادر (زريع) و(بني زريع) ولعل ابن خلدون أضاف (ال) من النسبة إلى زريع بلفظ (الزريعي).

[٩٧] - كان ذلك في آخر عهد الملكة السيدة أروى بنت أحمد حيث وقعت (في عام ٥٣١هـ) فتنة وحرب بين سبأ بن أبي السعود بن زريع من جهة وعلي بن أبي الغارات بن مسعود من جهة أخرى، وكان سبأ أميراً نائباً على قسم حصن التعكر بباب عدن وله معقل الدمْلوه وسامع ومطران ويمين وذبحان وبعض المعافر وبعض الجند، وابن أبي الغارات أميراً على قسم حصن الخضراء المستولي على البحر والمراكب والمدينة وله في لحج مدينة الرعاع، فحصل على سبأ بعض الضيم من علي بن أبي الغارات فوَقعت حرب بينهما لا يمكن اعتبارها (حروباً عظيمة) وإنما كانت حرباً طويلة تواصلت نحو سنة ونيف وانتهت بانتصار سبأ بن أبي السعود (عام ٥٣٢هـ) وذلك في نهاية عهد الملكة السيدة أروى بنت أحمد.

[٩٨] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي، وقد سبق تبين مدلول لقب الداعي، وجاء في تاريخ ثغر عدن بشأن ذلك «.. كل من تولى من بني زريع كان يُسمى الداعي أي يدعو الخلق إلى المذهب، لأن القوم كانوا إسماعيلية» [ص ٤٦].

[٩٩] - ليس الداعي سبأ بن أبي السعود بن زريع أول مذكور من بني زريع، وإنما هو أول من تولى منصب الداعي منهم، فقد كان (زريع بن العباس بن الكرم اليامي الهمداني) أميراً نائباً على قسم من عدن وأعمالها للملكة السيدة أروى بنت أحمد، فلما مات بزبيد عام ٥٠٤هـ ولّت السيدة أروى مكانه ابنه أبو السعود بن زريع، فلما مات تولى مكانه سبأ بن أبي السعود بن زريع هذا فكان أميراً نائباً على قسم من عدن وأعمالها للملكة السيدة أروى بنت أحمد..

وحاربه ابن عمه علي بن أبي الغارات بن مسعود بن الكرم صاحب
الرعاع [١٠٠] فاستولى على عدن من يده بعد مقاساة ونفقات في الإعراب [١٠١].
ومات بعد فتحها بسبعة أشهر، سنة ثلاث وثلثين وخمسمائة [١٠٢].

(*) أما منصب الداعي فإنه «لما بلغ الملكة السيدة بنت أحمد وفاة القائم وقيام الحافظ بمصر (عام
٥٢٤هـ) أضافت دعوته إلى آل زريع، وقالت: حسب آل الصليحي ما حملوا من أمر دعوة مولانا
(المستنصر ثم المستعلي ثم الأمر) فكان أول من قبلها من آل زريع سبأ بن أبي السعود» [ص ٤٩٤ -
السلوك للجندي].

(*) أما عبارة «أول من اجتمع له الملك بعد بني الصليحي» فإنما هو أول من تولى منصب
الداعي بعد بني الصليحي وذلك في عهد الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي حيث كان
أميراً نائباً من نوابها. على قسم من ولاية عدن وأعمالها، وكان ابن عمه علي بن أبي
الغارات بن مسعود أميراً نائباً على القسم الثاني من ولاية عدن وأعمالها، فاستمر الاثنان
كذلك إلى عام ٥٣١هـ ثم وقعت الفتنة والحرب بينهما فاجتمع لسبأ بن أبي السعود ملك عدن
وأعمالها عام ٥٣٢هـ بعد انهزام ابن أبي الغارات وذلك في آخر عهد الملكة السيدة أروى بنت
أحمد (٥٣٢هـ) وبعد وفاتها (٥٣٣هـ).

[١٠٠] - جاء في الأصل هنا (صاحب الزعازع) وقال ابن خلدون في حديثه عن مدن اليمن
«الزعازع: بأودية عدن وكانت لبني مسعود بن الكرم المقارعين لبني زريع» (اه) وقد وقع
تصحيح في الأصل من الناسخين غالباً والصواب (الرعاع) وكانت مدينة في لحج، فالمراكز
الرئيسية لحكم وولاية علي بن أبي الغارات بن مسعود كانت مدينة الرعاع في لحج وحصن
الخضراء في جبل حقات بعدن وتتبعه المدينة وجهات البحر، فلما اندلعت الفتنة والحرب بين
سبأ بن أبي السعود وعلي بن أبي الغارات، طالت الحرب والفتنة بينهما (عام ٥٣١ - ٥٣٢هـ)
ثم انتصر سبأ بن أبي السعود وأخذ الرعاع فقال الشاعر:

حَلَّتْ الرعاع من بني مسعود فعهودهم فيها كغير عهود
حَلَّتْ بها آل الزريع وإنما حلت أسود في مكان قرود

فقال الأمير سبأ «بل حلت أسود في مكان أسود» وكانت الرعاع على مسافة أربعة فراسخ من
عدن.

[١٠١] - المقصود حصن الخضراء وما إليه من عدن لأن حصن التعكر بجبل شمسان أو جبل
حديد وباب عدن كان يتولاه سبأ بن أبي السعود كما تقدم «فلما انتصر بنو زريع نزلوا من
الحصون وسكنوا الوادي وبنوا الدور الملاح وهم أول من بنى الدور بالحجر والجص
بعدن، وكان الحجر يُجلب إلى عدن من أعمال أبين لأجل العمارة» [ص ١٣٦ - المستنصر
لابن المحاور].

[١٠٢] - جاء في كتاب السلوك للجندي وتاريخ ثغر عدن أنه «لما انهزم علي بن أبي الغارات
وانقضت الحرب دخل الداعي سبأ بن أبي السعود عدن فأقام بها سبعة أشهر ثم توفي فدفن
في سفح التعكر من عدن، وكانت وفاته سنة ٥٣٢هـ وقيل سنة ٥٣٣هـ» (اه) فتكون وفاته
في نفس سنة وفاة الملكة السيدة أروى بنت أحمد (٥٣٢هـ) أو في العام التالي (٥٣٣هـ) =

الأغر بن سبأ بن أبي السعود [١٠٣]

وولي ابنه الأغر (١٠٣) وكان مقيماً بحصن الدملوه المعقل الذي لا يُرام [١٠٤] وامتنع عليه بعدن بلال بن جرير مولى بني الزريع [١٠٥] وأراد أن يعدل بالملك لمحمد بن سبأ بن أبي السعود بن زريع، وخشي محمد بن سبأ على نفسه، ففر إلى منصور بن المفضل من ملوك الجبال الصليحيين بذي جبلة [١٠٦] ثم مات الأغر قريبا [١٠٧].

الملك الداعي محمد بن سبأ [١٠٨]

فبعث بلال إلى محمد بن سبأ (١٠٨) فوصل إلى عدن، وكان التقليد جاء من مصر باسم الأغر، فكتب مكانه محمد بن سبأ [١٠٩] وكان في نُعوته الداعي المعظم المتوج المكين سيف أمير المؤمنين، فوَقعت كلها عليه.

= حيث تفككت دولة اليمن الصليحية بعد الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي حيث أوصت بالملك للمنصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري كما تقدم، ولكنه أصبح واحداً من ملوك اليمن وليس ملك اليمن.

[١٠٣] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي . . وجاء في الأصل «وولي ابنه الأغر» وهو تصحيف والصواب «الأغر» واسمه علي بن سبأ.

[١٠٤] - كان حصن الدملوه بناحية الصلو في لواء تعز حالياً. قال الجندي: « . . حصن الدملوه - بالجهة الذبحانية - وهي أكثر بلاد اليمن فقهاً ومتفقهين وعلماء، وكان حصن الدملوه خزانة لملوك اليمن منذ ملكه آل زريع نواب الصليحيين في عدن» [ص ٣٩٧].

[١٠٥] - هو الوزير بلال بن جرير المحمدي وزير سبأ بن أبي السعود بن زريع منذ عهد الملكة السيدة أروى بنت أحمد.

[١٠٦] - هو الملك المنصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري، أسندت الملكة السيدة أروى بنت أحمد الحكم والملوكية إليه بعد وفاتها - كما تقدم - فلما تفككت الدولة أصبح المنصور بن المفضل واحداً من ملوك اليمن وكانت ملوكيته تشمل أرجاء واسعة تمتد من تعز والجنح ولواء اب حيث العاصمة جبلة إلى أشيخ وأعمال أشيخ في أنس وجهات ذمار وصنعاء.

[١٠٧] - مات الأغر علي بن سبأ بن أبي السعود عام ٥٣٤هـ وكان أخوه محمد بن سبأ مقيماً لدى المنصور بن المفضل في مدينة جبلة.

[١٠٨] - استحدثنا العنوان الفرعي، وكان محمد بن سبأ أعظم ملوك بني زريع بل أعظم ملوك اليمن في عهده (٥٣٤ - ٥٤٨هـ) قال عمارة: «كان محمد بن سبأ من أكرم الملوك وكان مُدحاً يثيب على المدح ويكرم أهل الفضيلة وربما قال البيت والأبيات».

[١٠٩] - المقصود التقليد بمنصب الداعي في اليمن، فبعث الخليفة العبيدي الفاطمي الحافظ (٥٢٤ - ٥٤٤هـ) القاضي الرشيد أحمد بن الزبير الأسواني بكتاب تقليد أمر الدعوة للأغر علي بن سبأ فوجد الأغر قد مات فقلد الدعوة أخوه الملك محمد بن سبأ ونعته بالمعظم =

وزوجه بلال بنته، ومكّنه من الأموال التي كانت في خزائنه، ثم مات بلال عن مال عظيم، وورثه محمد بن سبأ، وأنفقه في سبيل الكرم والمروءات.

واشترى حصن ذي جبلة من منصور بن المفضل بن أبي البركات كما ذكرناه واستولى عليه وهو دار مُلك الصليحيين^[١١٠] وتزوج سيده بنت عبد الله الصليحي^[١١١] وتوفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة^[١١٢].

عمران بن محمد بن سبأ^[١١٣]

وولّى ابنه عمران بن محمد بن سبأ^(١١٣) وكان ياسر بن بلال يدير دولته،

= ووصفه بالمتوج المكين ونعت وزيره بلال بن جرير بالشيخ السعيد الموفق السديد.

[١١٠] - المقصود بالشراء هنا التنازل مقابل مبلغ من المال، قال عمارة «ابتاع محمد بن سبأ من الأمير منصور بن المفضل المعامل التي كانت لبني الصليحي وهي ٢٨ حصناً ومدائن منها مدينة ذي جبلة وذي أشرق واب بمائة ألف دينار، ونزل منصور إلى حصنيه صبر وتعز وصعد الداعي محمد بن سبأ إلى المخلاف فسكن ذي جبلة» وقال بامخرمة إن ذلك «في سنة ٥٤٥هـ» وقال الجندي في كتاب السلوك إن ذلك عام ٥٤٧هـ وإنه «ابتاع محمد بن سبأ من المنصور بن المفضل حصن التعكر وحب وجبلة والجند ونواحيها ثم طلع التعكر وحب (وسكن جبلة) وبذل أموالاً جليلية في طريق المعروف والبر وإجازة الشعراء، وكان من أكرم الملوك ومدحهم» [ص ٥٠٣/السلوك].

وفد إليه المؤرخ عمارة وتحديث عنه بتوسع في كتابه (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد).

[١١١] - هي كما ذكر عمارة «أرؤى بنت علي بن عبد الله الصليحي زوجة المنصور بن المفضل بن أبي البركات» فلما تنازل المنصور عن ملوكية جبلة وتلك المدن والحصون والمناطق للملك محمد بن سبأ وسار إلى تعز طلق زوجته هذه فتزوجها محمد بن سبأ لما قدم إلى جبلة وسكنها.

[١١٢] - توفي محمد بن سبأ في الدملوه عام ٥٤٨هـ، قال الجندي (وقيل ٥٤٩هـ وقيل ٥٥٠هـ) وقد لقيه المؤرخ عمارة بمدينة جبلة عام ٥٤٩هـ كما في المفيد. قال عمارة «ومكارم محمد بن سبأ أكثر من أن تحصى» (اهـ) قال بامخرمة «ويقال إنه نبشت قبور بالمنصورة في أيام المنصور عمر بن علي بن رسول، فأخرج من قبر منها تابوت من ابنوس ففتحوه عن رجل أصفر اللون سالم من التفصيل والتغيير في خنصره خاتم صغير من ذهب، فقال بعض أهل الخبرة إنه الداعي محمد بن سبأ» [ص ٢١٨ ج ٢/تغر عدن].

[١١٣] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي، وقد أوجز ابن خلدون الحديث عن الملك عمران بن محمد بن سبأ، وكان من أعظم ملوك اليمن في عهده، وكان لقبه المكرم بن المعظم صاحب عدن والدملوه وغيرهما، قال بامخرمة «كان ملكاً جواداً كريماً» وقال عمارة «لله در الداعي عمران بن محمد بن سبأ ما أغزر ديمة جوده وأكرم نبعة عوده..» وقال الجندي: «اقتفى المكرم عمران طريق أبيه مع زيادة لائقة وأخلاق رائقة ومكارم فائقة.. ولما قام بنو=

وتوفي سنة ستين وخمسائة^[١١٤].

وترك ولدين صغيرين هما: محمد وأبو السعود، فحبسهما ياسر بن بلال في القصر، واستبد بالأمر، وكان ياسر ممدحاً كثيراً العطية للشعراء، وممزن، وقد عليه ومدحه ابن قلاقس شاعر الإسكندرية ومن قصائده في مدحه:

سافر إذا حاولت قدراً سار الهلالُ فصار بدرا
وهو آخر ملوك الزريعيين.

ولما دخل شمس الدولة سيف الإسلام أخو صلاح الدين إلى اليمن سنة ست وستين وستمائة، واستولى عليها، جاء إلى عدن فملكها وقبض على ياسر بن بلال وانقطعت دولة بني زريع^[١١٥] وصار اليمن للغز وفيه ولاتهم بنو أيوب كما نذكر في أخبارهم^[١١٦].

وكانت مدينة الجوة قرب عدن اختطها ملوك الزريعيين^[١١٧] فلما جاءت دولة

= مهدي واستولوا على البلاد صالحهم عن بلاده بمبلغ يحمله لهم» [ص ٥٠٤]. ومدحه الشاعر أبو بكر العندي بغرر القصائد منها قصيدة مطلعها:

فلك مقامك، والنجوم كؤوس بسعوره التثليث والتسديس
والقصيدة المشهورة:

حياك يا عدن الحيا حياك وجرى رضاب لماه فوق لماك
وقال فيها:

وعلى ما استسقى الحيا بعدما ضمن المكرم بالندی سقياك
وهمت مكارمه عليك فصافحت عن كفه مغنى الغنا مغناك

وله مواقف نبيلة مع المؤرخ عمارة وغيره من الأدباء والشعراء والعلماء.

[١١٤] - كان عهد الملك الداعي عمران بن محمد بن سبأ (٥٥٠ - ٥٦٠هـ) قال الجندي «ومن مآثره الباقية في عدن المنبر المنسوب في جامعها واسمه مكتوب عليه. . وتوفي عمران عن ثلاثة أولاد كلهم صغار في كفالة الأستاذ أبي الدر في حصن الدملة، والقائم بعدن والمدبر لأمر البلاد الشيخ ياسر بن بلال».

[١١٥] - كان ذلك عام ٥٦٩هـ (١١٧٣م) حيث انضوت اليمن في الدولة الأيوبية كما سيأتي وليس عام ٥٦٦هـ.

[١١٦] - يعني الدولة الأيوبية بزعامة صلاح الدين الأيوبي حيث انتهت الدولة العبيدية الفاطمية في مصر وأصبح صلاح الدين الملك في مصر عام ٥٦٧هـ وشملت الدولة الأيوبية مصر والشام والحجاز ثم اليمن عام ٥٦٩هـ (١١٧٣م) فأصبحت اليمن ولاية في إطار الدولة الأيوبية (٥٦٩ - ٦٢٦هـ/ ١١٧٣ - ١٢٢٩م).

[١١٧] - مدينة الجوة بمخلاف المعافر (لواء تعز) وليست قرب عدن، وكانت مدينة مشهورة =

بني أيوب تركوها ونزلوا تعز من الجبال كما يأتي ذكره [١١٨].

أخبار ابن مهدي الخارجي وبنيه وذكر دولتهم باليمن بدايتها وانقراضها

هذا الرجل من أهل العنبرة من سواحل زبيد وهو علي بن مهدي الحميري [١١٩]، كان أبوه مهدي معروفاً بالصلاح والدين، ونشأ ابنه علي على طريقته فاعتزل ونسك ثم حجّ ولقي علماء العراق وأخذ الوعظ من وعاظهم، وعاد إلى اليمن واعتزل ولزم الوعظ، وكان حافظاً فصيحاً، ويخبر بحوادث أحواله فيصدق، فمال إليه الناس واغتنبوا به [١٢٠] وصار يتردد للحج منذ سنة إحدى وثلاثين [١٢١] ويعظ الناس في البوادي. فإذا حضر الموسم أتاه علي نجيب له، ولما استولت أم فاتك على بني جياش أيام ابنها فاتك بن منصور [١٢٢] أحسنت فيه المعتقد، وأطلقت له ولقرايته وأصهاره خراجهم، فحسنت أحوالهم وأثروا وركبوا الخيول وقوي جمعهم [١٢٣] وكان يقول في وعظه: دنا الوقت، يشير إلى وقت

= قبل آك زريع، وفيها قال الشاعر:

يا طالب الجود يمم بالندى جوءة
واقصد بمدحي أمين الدين إن له
فإنه حلّ فيها الوابل السحب
مواهبا ليس يحصي عدها الكتبُ

[١١٨] - المقصود مدينة تعز.

[١١٩] - هو أبو الحسن علي بن مهدي بن محمد بن علي بن داود بن محمد الرعيني الحميري، قال الجندي «وكان فصيحاً صبيحاً أخضر اللون مليح الخدين طويل القامة حسن الصوت بين عينيه سجدة، طيب النغمة حلو الإيراد غزير المحفوظات قائماً بالوعظ والتفسير، وربما تكلم بشيء من الأمور التي هي مستقبله فيكون كما ذكر فصار ذلك من أقوى العدد لوصوله إلى مقصده».

[١٢٠] - كان أول ظهوره وميل الناس إليه في القرى التي هي أسفل وادي زبيد فصار له ذكر في الصلاح والعبادة والوعظ.

[١٢١] - جاء في الأصل «سنة إحدى وستين» وهو تصحيف من الناسخين والطباعة، والصواب سنة ٥٣١هـ كما في سائر المصادر وفي السياق.

[١٢٢] - مات فاتك بن منصور عام ٥٣١هـ كما تقدم في خبر بني نجاح ودولتهم بزبيد وتهامة، فنصبوا فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش وكان للحرة أم فاتك الكلمة النافذة وكذلك الوزير سرور.

[١٢٣] - أطلقت أم فاتك لعلي بن مهدي خراج أرضه وأراضي من يلود به من قريب وصحيب عام ٥٣٦هـ «فلم يمض لهم مدة حتى صاروا أهل خيول صاهلة وعدد للحرب باهرة وفراسة ظاهرة» بينما كان في وعظه على حال «من العبادة والزهد والوعظ وتنفير العالم عن الملوك والعسكر» [ص ٥١٦/السلوك] وكان الحكم في اليمن قد انقسم إلى دويلات وملوك بعد =

ظهوره، واشتهر ذلك عنه، وكانت أم فاتك تصد أهل الدولة عنه إلى أن ماتت سنة خمس وأربعين، وكان أهل الجبال قد حالفوه على النصرة وخرج من تهامة سنة ثمان وثلاثين وقصد الكدراء فانهمز وعاد إلى الجبال^[١٢٤] وأقام بها إلى سنة إحدى وأربعين، ثم أعادته الحرة أم فاتك إلى وطنه، وماتت سنة خمس وأربعين^[١٢٥] فخرج إلى خولان ونزل ببطن منهم يقال له حيدان^[١٢٦] في حصن يسمى الشرف، وهو حصن صعب المرتقى على مسيرة يوم من سفح الجبل في طريقه أوعار في واد ضيق عقبة كؤد، وسماهم الأنصار، وسمى كل من صعده معه من تهامة المهاجرين، وأمر للأنصار رجلاً اسمه سبأ، وللمهاجرين آخر سماه شيخ الإسلام واسمه النوبة، واحتجب عن سواهما^[١٢٧].

وجعل يشن الغارات على أرض تهامة، وأعانه على ذلك خراب النواحي بزبيد^[١٢٨] فقطع سابقتها وأخرب نواحيها، وانتهى إلى حصن الدائر على نصف مرحلة من زبيد، وأعمل الحيلة في قتل سرور مدير الدولة فقتل كما مر^[١٢٩]. وأقام يتحيف زبيد بالزخوف، قال عمارة: زاحفها سبعين زحفاً وحاصرها طويلاً^[١٣٠] واستمدوا الشريف أحمد بن حمزة السليماني صاحب صعده فأمدّهم

= دولة اليمن الصليحية وعهد الملكة السيدة أروى بنت أحمد، منها دولة بني زريع في عدن وغيرها، والمنصور بن المفضل في جبلة وغيرها والسلطان حاتم الهمداني في صنعاء وأعمالها (٥٣٠ - ٥٥٠ هـ) والإمام أحمد بن سليمان في صعده (٥٤٥ - ٥٦٦ هـ) بالإضافة إلى دولة بني نجاح في زبيد وتهامة.

[١٢٤] - هاجم علي بن مهدي مدينة الكدراء بتهامة عام ٥٣٨ هـ فانهمز فأقام بعد ذلك في جهة الجبال المطلة على تهامة ثم سمحت أم فاتك بعودته إلى تهامة عام ٥٤١ هـ - كما هو مذكور هنا - وكانت عودته وإقامته «على كره من أعيان الدولة وغيرهم».

[١٢٥] - كان الملك بزبيد هو فاتك بن محمد بن فاتك ورجل دولته الوزير سرور الحبشي واستمر كذلك.

[١٢٦] - كان خروجه مع أتباعه الذين سماهم المهاجرين عام ٥٤٦ هـ وقد بايعوه فسار إلى حصن في الجبال لبطن من خولان وليس إلى خولان، وهم حيدان - من خولان صعده - وجاء في السلوك للجندي ومفيد عمارة (خيوان) والأصوب (حيدان) لأن خيوان من حاشد لا من خولان، أما حيدان فمن خولان بن عمرو بن عامر في لواء صعده.

[١٢٧] - قال الجندي «كان لا يدخل عليه غيرهما وربما احتجب» [ص ٥١٨ - السلوك].

[١٢٨] - لعل الأصوب (إخرب النواحي) وذلك في غزواته التي أخضع بها نواحي تهامة منذ عام ٥٤٦ هـ و٥٤٧ هـ.

[١٢٩] - وذلك في ٢ صفر ٥٥١ هـ كما تقدم في خبر بني نجاح.

[١٣٠] - قال المؤرخ عمارة «ولقيت عليّ بن مهدي هذا عند الداعي محمد بن سبأ صاحب =

وشرط عليهم قتل سيدهم فاتك بن محمد فقتلوه سنة ثلاث وخمسين، ومَلَكَ عليهم الشريف ثم عجز وهرب عنهم^[١٣١] واستولى علي بن مهدي عليها في رجب سنة أربع وخمسين^[١٣٢] ومات لثلاثة أشهر من استيلائه^[١٣٣].

وكان يخطب له بالإمام المهدي أمير المؤمنين وقامع الكفرة والمعتدين، وكان على رأي الخوارج يَبْرَأُ من عليّ وعثمان، ويُكْفَرُ بالذنوب، وله قواعد ونواميس في مذهبه يطول ذكرها وكان يقتل على شرب الخمر، قال عمارة: كان يقتل كل من خالفه من أهل القبلة ويستبيح نساءهم وأولادهم، وكانوا يعتقدون فيه العصمة، وكانت أموالهم تحت يده ينفقها عليهم في مؤنهم ولا يملكون معه مالا ولا فرساً ولا سلاحاً، وكان يقتل المنهزم من أصحابه ويقتل الزاني وشارب الخمر وسامع الغناء، ويقتل من تأخر عن صلاة الجمعة ومن تأخر عن وعظه يوم الاثنين والخميس، وكان حنيفياً في الفروع^[١٣٤].

= عدن بمدينة ذي جبلة سنة ٥٤٩هـ يستنجد على أهل زيد، فلم يجبه الداعي إلى ذلك، وعرض عليّ صحبته وعقد لي أن يقدمني على كل أحد من أصحابه، ولما عاد ابن مهدي من ذي جبلة سنة تسع وأربعين إلى حصن الشرف دبّر علي قتل القائد سرور الفاتكي فقتل في رجب سنة ٥٥١هـ (هـ).

[١٣١] - هو الإمام أحمد بن سليمان وقد تقدم خبر ظهوره وإمامته بصعدة عام ٥٤٥هـ وكانت بينه وبين السلطان حاتم بن أحمد الهمداني ملك صنعاء ومخالفتها (٥٣٣ - ٥٥٠هـ) حروب ومحاورات وأشعار وكذلك مع المؤرخ نشوان بن سعيد الحميري، ومات الإمام أحمد بن سليمان هذا في عام ٥٦٦ هجرية.

[١٣٢] - دخل علي بن مهدي مدينة زيد واستقر بدار حكمها في يوم الجمعة ١٤ رجب ٥٥٤ هجرية.

[١٣٣] - مات في ٧ شوال ٥٥٤هـ فدفنه ابنه بموضع كان قد عينه وأمر أن يُجعل جامعاً نظيراً لما فعلته الملكة السيدة أروى بنت أحمد في جبلة، قال الجندي «والموضع - أي قبر علي بن مهدي - هو الذي في مقابلة المدرسة المعروفة بالميلين المعروف بالمشهد، ومن مآثره الباقية إلى عصرنا المنارة» - أي إلى عصر الجندي المتوفي عام ٧٣٠هـ.

[١٣٤] - أورد المؤرخ الجندي هذه الأوصاف بأنها في (مهدي بن علي بن مهدي) وأنه لما توفي علي بن مهدي: «خلفه ابنه مهدي.. ولما تمهدت له قاعدة تهامة غزا البلاد، فصالحه الداعي عمران بن محمد بن سبأ عن عدن والدملوة بمال قبله ولم يتعرض له ولا لبلادها، ثم طلع الجند والمخلاف فقتل في الجند ونواحها مقتلة عظيمة.. واخرّب الجامع في الجند وذلك سنة ٥٥٨ وعاد إلى زيد.. فلما صار في زيد توفي مستهل ذي القعدة من السنة المذكورة» [ص ٥١٩/السلوك] فيكون لدينا الترتيب التالي:

أ - علي بن مهدي الرعيني ٥٤٦ - ٥٥٤هـ.

ولما توفي تولى بعده ابنه عبد النبي [١٣٥] وانتقض عليه أخوه عبد الله، وغلبه على زبيد، وخطب له فيها بالإمامة، ثم غلبه عبد النبي وأخرجه من زبيد [١٣٦] واستولى على اليمن أجمع، وبه يومئذ خمس وعشرون دولة [١٣٧] فاستولى على جميعها [١٣٨] ولم يبق له سوى عدن ففرض عليها الجزية [١٣٩].
ولما دخل شمس الدولة توران شاه أخو صلاح الدين سنة ست وستين وخمسائة [١٤٠]

= ٢ - مهدي بن علي بن مهدي ٥٥٤ - ٥٥٨ هـ (لم يذكره ابن خلدون).

٣ - عبد النبي بن علي بن مهدي ٥٥٩ - ٥٦٩ هـ.

[١٣٥] - تولى عبد النبي الملوكية بعد أخيه مهدي بن علي بن مهدي في ذي القعدة ٥٥٨ هـ وليس بعد أبيه.

[١٣٦] - استتب الأمر لعبد النبي بن علي بن مهدي منذ أواخر عام ٥٥٨ هـ وقد وصفه بامخرمة في تاريخ ثغر عدن) بأنه كان: «من أجواد الرجال وأنجاد الأبطال» وأنه «خرج في أصحابه إلى جهة أبين فحرق أبين وقتل أهلها وذلك في سنة ٥٥٩ هـ ثم رجع إلى زبيد، ثم خرج في سنة ٥٦١ هـ في عسكر جرار نحو المخلاف السليماني (جيزان وعسير) فقاتلهم قتالاً شديداً، وقتل منهم طائفة غالبهم من الأشراف ومنهم الأمير وهاس بن غانم بن يحيى بن حمزة، وفي قتله يقول عبد النبي في قصيدته المسمطة التي أولها:

لِمَنْ طَلُولٌ بِالْحَمَى كَأَنَّ كُسَيْنَ مُغْلَمًا
يَلْقَى بِهَا الْمَصْلَمًا وَالْأَحْقَبَ الْمَكْدَمًا

ثم بعد أبيات قال:

لَوْتُ بِوَهَّاسٍ ضُحَى فَابْتَدَرْتَهُ مَزْحًا
يَظَلُّ مِنْ تَحْتِ الرَّحَى مَضْرَجًا مَرْغَمًا

[١٣٧] - المقصود الكيانات والسلطنات والإمارات، فلم تكن في اليمن دولة حقيقية، واجتاحت قوات عبد النبي مدينة الجوة وفيها عسكر بني زريع فهزمتهم وأحرقت قوات عبد النبي مدينة الجوة كما حاصرت مدينة عدن.

[١٣٨] - قال عمارة «واجتمع لعبد النبي ملك الجبال والتهائم وانتقلت إليه جميع أموال اليمن وذخايرها» (اه) ويبدو أنه أخضع أغلب الكيانات الرئيسية وليس كلها، فقد ذكر بامخرمة أن السلطان علي بن حاتم الهمداني سلطان صنعاء استجاب لمناصرة آل زريع وهزم جيش عبد النبي في معركة بتعز في ربيع الأول ٥٦٩ هـ [ص ١٢٨ تاريخ ثغر عدن].

[١٣٩] - المقصود أنه صالح بني زريع على أداء مبلغ من المال سنوياً، وكان الحكم الفعلي في دولة بني زريع للوزير ياسر بن بلال كما تقدم.

[١٤٠] - ليس عام ٥٦٦ هـ وإنما عام ٥٦٩ هـ فما ورد هنا وكذلك في خبر دولة بني زريع بقدوم شمس الدولة سنة ٥٦٦ هـ تصحيف من الناسخ أو الطباعة لأن ابن خلدون ذكر في أخبار دولة بني أيوب قدوم شمس الدولة إلى اليمن منتصف عام ٥٦٩ هـ.

واستولى على الدولة التي كانت باليمن^[١٤١] فقبض على عبد النبي وامتحنه وأخذ منه أموالاً عظيمة وحمله إلى عدن فاستولى عليها^[١٤٢] ثم نزل زبيد واتخذها كرسياً لملكه، ثم استوخمها وسار في الجبال ومعه الأطباء يتخيّر مكاناً صحيح الهواء والماء ليتخذ فيه سكناً، فوقع اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة ونزلها، وبقيت كرسياً لملكه ومُلك بنيه ومواليهم^[١٤٣] بني رسول كما نذكر في أخبارهم، وبانقراض دولة بني مهدي انقرض ملك العرب من اليمن وصار للغز ومواليهم^[١٤٤].

[١٤١] - الأصبوب (الدول التي كانت باليمن).

[١٤٢] - سيأتي خبر ذلك في الحديث عن شمس الدولة وكان دخوله مدينة زبيد وأسر عبد النبي في ٩ شوال ٥٦٩هـ.

[١٤٣] - يعني الولاة الأيوبيين لليمن ولم يكونوا من أبناء شمس الدولة كما سيأتي.

[١٤٤] - انتهى هنا حديث ابن خلدون عن الدول اليمينية في الفصل الخاص بذلك في الجزء الرابع من تاريخ ابن خلدون (ص ٢٢١ - ٢٢٧) ولكنه تحدث في الجزء الخامس عن الولاة الأيوبيين لليمن ثم عن دولة بني رسول الغسانية العربية، وسنتقل إلى ذلك لتتربط الدول والعصور.

الخبر عن دولة بني أيوب وولائهم باليمن^[١]

هذه الدولة من فروع دولة بني زنكي^[٢] وجدهم هو أيوب بن شادي بن مروان بن علي بن عشر بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن هذبة بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمر بن مرة بن عوف الحميري الدوسي، هكذا نسبه بعض المؤرخين لدولتهم^[٣] قال ابن الأثير إنهم من الأكراد الروادية، وقال ابن خلكان شادي أبوهم من أعيان ردين^(٣).

. . وكانت دولة العلويين بمصر^[٤] قد أخلقت جدتها وذهب استفحالها واستبد وزراؤها على خلفائها، فلم يكن الخلفاء يملكون معهم، وطمع الإفرنج في سواحلهم وأمصارهم لما نالهم من الهرم والوهن فمالوا عليهم وانتزعوا البلاد من أيديهم، وكانوا يردون عليهم كرسي خلافتهم بالقاهرة ووضعوا عليهم الجزية وهم يتجرعون المصاب من ذلك ويتحملونه مع بقاء أمرهم، وكاد الأتابك زنكي وقومه السلجوقية

[١] - استحدثنا هذا الفصل والعنوان من عنوان ابن خلدون وهو «الخبر عن دولة بني أيوب القائمين بالدعوة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر والشام واليمن والمغرب وأولية ذلك ومصايرهم» [ص ٢٧٨ ج-٥] وسوف نورد في هذا الفصل ما ذكره ابن خلدون عن اليمن والولاة الأيوبيين في اليمن بالإضافة إلى حديثه عن نسب بني أيوب وبداية أمرهم في بداية هذا الفصل.

[٢] - يعني دولة الملك نور الدين محمود بن زنكي ملك الشام وهو كردي الأصل وتوفي بدمشق عام ٥٦٩هـ.

[٣] - هذا النسب العربي اليمني لبني أيوب لا يتعارض مع كونهم من الأكراد لأن كثيراً من الأكراد من أصول عربية يمنية أكيدة.

- وقال الجندي «ولد صلاح الدين بقلعة تكريت ومولد أبيه بأصل بلدة وولد أهله يقال لها (دوين) وهي في آخر عمل أذربيجان وهم أكراد روادية بطن من الهدبانية (الهدانية) وهي قبيلة كبيرة من الأكراد» [ص ٥٢٠ - السلوك].

[٤] - يعني الدولة الغيبية الفاطمية وخلفائها في مصر وقد قامت الدولة الغيبية عام ٢٩٧هـ بالمغرب وشملت مصر في عهد المعز لدين الله عام ٣٥٨هـ وارتبطت بها دولة اليمن الصليحية ثم بني زريع كما سلف التبيين.

من قبله أن يمحوا دعوتهم ويذهبوا بدولتهم، وأقاموا من ذلك على مضض وقلق، وجاء الله بدعوة العاضد آخرهم^[٥] وتغلب عليه بعد الصالح بن زريك شاور السعدي وقتل زريك بن صالح سنة ثمان وخمسين واستبد على العاضد، ثم نازعه الضرغام لتسعة أشهر من ولايته وغلبه وأخرجه من القاهرة فلحق بالشام ولحق بنور الدين صريحاً سنة تسع وخمسين وشرط له على نفسه ثلث الجباية بأعمال مصر وأن يبعث معه عسكرياً يقيمون بها، فأجابته إلى ذلك وبعث أسد الدين شيركوه في العساكر فقتل الضرغام ورد شاور إلى رتبته، وآل أمرهم إلى محو الدولة العلوية وانتظام مصر وأعمالها في ملكة ابن أيوب^[٦] بدعوة نور الدين محمود بن زنكي ويخطب للخلفاء العباسيين، لما هلك نور الدين محمود واستبد صلاح الدين بأمره في مصر^[٧] ثم غلب على بني نور الدين محمود، وملك الشام من أيديهم. . واستفحل ملكه وعظمت دولة بني من بعده إلى أن انقرضوا والبقاء لله وحده.

مسير شمس الدولة إلى بلاد اليمن وولايته لليمن^[٨]

. . تجهز شمس الدولة توران شاه بن أيوب وهو أخو صلاح الدين الأكبر. . وبعثه صلاح الدين إلى اليمن، وقد كان غلب عليه علي بن مهدي سنة أربع وخمسين وصار أمره إلى ابنه عبد النبي وكروسي مُلكه بزبيد منها، وفي عدن

[٥] - هو الخليفة العاضد (٥٥٥ - ٥٦٧هـ) آخر الخلفاء العبيديين الفاطميين، وقد خطب صلاح الدين للخليفة المستضيء العباسي ببغداد عام ٥٦٨هـ.

[٦] - أسد الدين شيركوه هو عم صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد بعث (نور الدين) إلى مصر صلاح الدين يوسف الأيوبي عام ٥٦٢هـ لمساندة الخليفة العاضد ومواجهة هجمات الإفرنج الصليبيين على السواحل، فلما مات العاضد عام ٥٦٧هـ أصبحت مصر تحت حكم صلاح الدين.

[٧] - استتب حكم مصر لصلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي بوفاة العاضد (عام ٥٦٧هـ) واستقل بالحكم بوفاة نور الدين عام ٥٦٩هـ فلما امتلك صلاح الدين مصر قال الشاعر اليمني الأصل حسان بن نمير الكلبي مُرحباً بالعهد الجديد:

أصبح المُلك بعد آل (غبيد) مشرقاً بالملوك من آل شادي
وغدا الشرق يحسد الغر ب للقوم فمصر تزهو على بغداد

[٨] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي مكان عنوان ابن خلدون وهو (استيلاء شمس الدولة توران شاه بن أيوب على بلاد النوبة ثم على بلاد اليمن) [ص ٢٨٦ ج ٥] لأن مقصدنا نقل ما ذكره ابن خلدون عن اليمن فقط كما سلف التبيين في أكثر من موضع.

ياسر بن بلال بقية ملوك بني الزريع^[٩] وكان عمارة اليمني شاعر العبيديين وصاحب بني زريك من أمرائهم، وكان أصله من اليمن^[١٠] وكان في خدمة شمس الدولة ويغريه به^[١١] فسار إليه شمس الدولة بعد أن تجهز وأزاح العلل واستعد بالمال والعيال، وسار من مصر منتصف سنة تسع وستين^[١٢] ومرّ بمكة، وانتهى إلى زيد وبها ملك اليمن عبد النبي بن علي بن مهدي، فبرز إليه وقاتله، فانهزم وانحجز بالبلد، وزحفت عساكر شمس الدولة فتسنموا أسوارها وملكوها عنوة واستباحوها، وأسروا عبد النبي وزوجته^[١٣].

وولى شمس الدولة على زيد مبارك بن كامل بن منقذ من أمراء شيزر^[١٤]

[٩] - تقدم الحديث عن الملك عبد النبي بن علي بن مهدي الرعيني (٥٥٨ - ٥٦٩هـ) وأنه أخضع أغلب الكيانات الرئيسية في اليمن، أما ياسر بن بلال مولى بني زريع فكان وزيراً واستبد بالأمر وإدارة دولة بني زريع في عدن وغيرها من مناطق حكم بني زريع، وكان بصنعاء وأعمالها آنذاك السلطان علي بن حاتم الهمداني.

[١٠] - هو المؤرخ الشاعر عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكمي، نسبة إلى حكم بن سعد العشيرة من مذحج، وُلد ونشأ في تهامة باليمن، وتقل بين زيد وعدن وجبله وغيرها من مدن اليمن، وصاحب الملوك الزريعيين ومدحهم وأشاد بهم في كتابه (المفيد في أخبار صنعاء وزيد) ثم سار إلى مصر واستقر بها وله قصائد في مدح الخليفة الفائز العبيدي الفاطمي (٥٥٠ - ٥٥٥هـ) والعاقد (٥٥٥ - ٥٦٧هـ) وأعيان دولتهم.

[١١] - كان عمارة من المؤيدين للدور الأيوبي في مصر ولما مات نجم الدين أيوب (والد صلاح الدين) في مصر (عام ٥٦٨هـ) رثاه بقصيدة منها قوله:

رعى الله نجماً تعرف الشمس أنه أبوها ونور البلاد منها وزهره

وكان اليمن آنذاك يعاني من طغيان عبد النبي بن علي بن مهدي والكيانات المتصارعة، بينما كانت الدولة الأيوبية تمثل مشروعاً وحدوياً يعيد العزة والقوة المنشودة للأمة العربية والإسلامية.

قال المؤرخ ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: «عزم صلاح الدين على إرسال سرية إلى اليمن، وكان أخوه الأكبر شمس الدولة تورانشاه شجاعاً مهيباً بطلاً وكان ممن يجالس عمارة اليمني الشاعر المشهور، وكان عمارة ينعت له بلاد اليمن وحسنها وكثرة خيرها، فحداه ذلك على أن سار إلى اليمن على رأس تلك السرية» [ص ٢٧٤ ج ١٢].

[١٢] - كان مسيره من مصر إلى اليمن - كما ذكر ابن خلكان - «في رجب ٥٦٩هـ» وكان عدد جيش شمس الدولة ثلاثة آلاف رجل فقط مما يدل على أنه كان يعتمد على ميل غالبية زعماء وأهل اليمن إلى الانضواء في الدولة الأيوبية.

[١٣] - كان دخول شمس الدولة مدينة زيد في ٩ شوال ٥٦٩هـ.

[١٤] - بنو منقذ أمراء شيزر بالشام وهم في الأصل يمانيون.

وكان في جملة، ودفع إليه عبد النبي ليستخلص منه الأموال، فاستخرج من قرابته دفائن كانت فيها أموال جلييلة، ودلتهم زوجته الحرّة على ودائع استولوا منها على أموال جمّة، وأقيمت الخطبة العباسية في زيد^[١٥].

وسار شمس الدولة توران شاه إلى عدن وبها ياسر بن بلال، كان أبوه بلال بن جرير مستبداً بها على مواليه بني الزريع وورثها عنه ابنه ياسر^[١٦] فسار ياسر للقاءه فهزمه شمس الدولة وسارت عساكره إلى البلد فملكوها، وجاؤوا بياسر أسيراً إلى شمس الدولة فدخل عدن وعبد النبي معه في الاعتقال واستولى على نواحيها^[١٧] وعاد إلى زيد، ثم سار إلى حصون الجبال فملك تعز وهي من أحصن القلاع وحصن التعكر والجند وغيرها من المعازل والحصون^[١٨].

وولى على عدن عز الدولة عثمان بن الزنجبيلي^[١٩] واتخذ زيد سبياً لملكه ثم استوخمها وسار في الجبال ومعه الأطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء للسكنى فوق اختيارهم على تعز فاخطت هنالك مدينة واتخذها كرسياً لملكه^[٢٠] وبقيت لبنيه

[١٥] - أي الخطبة للخليفة العباسي المستضيء كما في مصر والشام وغيرها في عهد صلاح الدين الأيوبي.

[١٦] - انظر الخبر عن دولة بني زريع في الفصل السابق.

[١٧] - كان دخول شمس الدولة إلى عدن في ذي القعدة عام ٥٦٩هـ.

[١٨] - سار شمس الدولة من عدن وتعز والجند إلى أب وذمار ودخل صنعاء في محرم ٥٧٠هـ فشملت ولايته أغلب اليمن، حيث - كما قال الخزرجي -: «فقرر قواعد البلاد وحسم مواد الفساد» (اه) وقال الشاعر اليمني أبو بكر العندي مادحاً شمس الدولة قصيدة طويلة مطلعها:

أعساكراً سَيرتَها وجنوداً أم ائجماً أطلعتهن سُعوداً
أم تلسك أقدارُ الإله ونصره رفعت عليك لواءها المعقوداً

وتؤكد القصيدة تعاطف وميل اليمنيين إلى انضواء اليمن في الدولة الأيوبية كمشروع وحدوي عربي إسلامي كبير من جهة وإلى وجود دولة مركزية في اليمن (ولاية اليمن) بعد فترة الكيانات والصراعات كما في دولة بني مهدي.

[١٩] - كان عثمان الزنجبيلي أميراً لعدن وأعمالها إلى حضرموت وله أخبار ومنجزات مذكورة في (تاريخ ثغر عدن) . . . وكذلك أبو ميمون مبارك بن كامل بن متقد أمير زيد وتهامة وهو الذي قام ببناء مقدمة الجامع الكبير بزييد وبناء مسجد المناخ . . . وكان ياقوت التعزي أميراً لتعز وأعمالها . . . ومظفر الدين قايماز أميراً لجبله وأعمالها. أما صنعاء وأعمالها فكان فيها الأمير علي بن حاتم الهمداني.

[٢٠] - ذكر ابن خلدون هذا الخبر مراراً، والمعروف أن شمس الدولة توران شاه مكث باليمن إلى رجب ٥٧١هـ وكتب رسالة إلى أخيه الملك صلاح الدين يتشوق في القدوم إليه وهي =

ومواليهم (و) بني رسول كما نذكره في أخبارهم^[٢٢١] والله تعالى وليّ التوفيق .

واقعة عمارة ومقتله^[٢٢٢]

كان جماعة من شيعة العلويين بمصر منهم عمارة بن أبي الحسن اليميني الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضي العويدس وابن كامل وداعي الدعاة وجماعة من الجند وحاشية القصر، اتفقوا على استدعاء الإفرنج من صقلية وسواحل الشام وبذلوا لهم الأموال على أن يقصدوا مصر، فإن خرج صلاح الدين للقائهم بالعساكر ثار هؤلاء بالقاهرة وأعادوا الدولة العبيدية، وإلا فلا بدّ له أن أقام من بعث عساكره لمداغة الإفرنج فينفردون به ويقبضون عليه، وواطأهم على ذلك جماعة من أمراء صلاح الدين، وتحينوا لذلك غيبة أخيه توران شاه باليمن، ووثقوا بأنفسهم وصدقوا توهماتهم ورتبوا وظائف الدولة وخططها، وتنازع في الوزارة بنو زريك وبنو شاور، وكان على ابن نجبيّ الواعظ ممن داخلهم في ذلك، فأطلع صلاح الدين هو في الباطن إليهم^[٢٢٣] ونمي الخبر إلى صلاح الدين من عيونه ببلاد الإفرنج فوضع على

= رسالة نثرية وشعرية كتبها الأديب أبو بكر العندي على لسان شمس الدولة... منها قوله:

... وإلى صلاح الدين أشكو أنني مضئى كئيب مستهام موجه
جزعاً لبعد الدار منه ولم أكن لولا هواه لبعد دار أجزع

فكتب إليه صلاح الدين جواباً فيه شعر على لسان صلاح الدين (وكان من أبرز الشعراء الأدباء بمعية صلاح الدين بمصر والشام الشاعر أبو اليمّن زيد بن الحسن الكندي) فقال صلاح الدين في جوابه إلى شمس الدولة باليمن:

مولاي شمس الدولة الملك الذي شمس السعادة منه أضحت تطلع
... النصر إن أقبلت نحوي مُقبل واليُمن إن أسرع نحوي مُسرّع

فاستخلف شمس الدولة النواب والأمراء - سالفى الذكر - باليمن، وسار إلى مصر، فكان نوابه يديرون اليمن نيابة عنه ويرسلون إليه المال والإمداد من اليمن،... فكان شمس الدولة تارة في مصر وتارة في الشام وهو في ذات الوقت حاكم اليمن حتى مات بالإسكندرية عام ٥٧٦ وسيأتي تأكيد ابن خلدون لذلك.

[٢٢١] - لم يتولّ اليمن أحد من أبناء شمس الدولة إلا إذا كان المقصود بني أيوب، وقد تولى اليمن بعد شمس الدولة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب شقيق صلاح الدين كما سيأتي.

[٢٢٢] - بهذا العنوان تحدث ابن خلدون عن واقعة مقتل المؤرخ الشاعر اليميني عمارة بن أبي الحسن الحكمي في مصر (ص ٢٨٧ ج٤) وذلك في عهد صلاح الدين الأيوبي وولاية أخيه شمس الدولة توارن شاه لليمن.

[٢٢٣] - عبارة «فاطلع صلاح الدين هو في الباطن عليهم» - هكذا في الأصل - ولا بد من وقوع تصحيف لغموض العبارة، ولعل المقصود أنه اطلع من عين في الباطن عليهم، أي أن =

الرسول عنده عيوناً جاؤوه بجولية خبره، فقبض حينئذٍ عليهم، وقيل إن علي بن نجدي أنمى خبرهم إلى القاضي فأوصله إلى صلاح الدين، ولما قبض عليهم صلاح الدين أمر بصلبهم، ومزّ عمارة بيت القاضي وطلب لقاءه فلم يسعفه وأشد البيت المشهور.

عبد الرحيم قد احتجب إن الخلاص هو العجب [٢٤]

ثم صُلبوا جميعاً [٢٥] ونودي في شيعة العلويين بالخروج من ديار مصر إلى الصعيد، واحتيط على سلالة العاضد بالقصر. (اه).

مسير سيف الإسلام طغتكين بن أيوب إلى اليمن والياً عليها [٢٦]

كان قد تقدم لنا فتح شمس الدولة توران شاه لليمن واستيلاؤه عليه سنة ثمان وستين [٢٧] وأنه ولي على زبيد مبارك بن كامل بن منقذ من أمراء شيزر، وعلى

= واحداً منهم كان عيناً لصلاح الدين فأبلغه بتديبرهم.

[٢٤] - يتبين من المصادر عدم علاقة عمارة بالتدبير المذكور وإنما . . . كان عمارة يُكثر ذكر الخلفاء العبيديين الفاطميين والتأسف عليهم والدعاء في قصائده على من كان سبباً لهلاكهم (يعني صلاح الدين) وكلّمّا هم صلاح الدين بأذيته، ذبّ عنه القاضي الفاضل عبد الرحيم، حتى بلغ صلاح الدين قول عمارة في العبيديين الفاطميين:

لما رأيتُ عِراضَ الحيّ خاليتُ
عن الأتيس وما في الرّبع سادات
أيقنتُ أنهم عن ربّهم رحلوا
وخلفوني وفي قلبي حراراتُ
إلى أن قال:

يا رب إن كان لي في قُربهم طمَعُ
عَجَلٌ بذاك فللتسويق آفاتُ

فأمر صلاح الدين بشنقه بعد ذلك بيسير، وربما تم اعتقاله وشنقه مع أولئك الذين دبّروا الخطة التي ذكرها ابن خلدون فوق الالتباس، ولما مرّ الجنود بعمارة أمام بيت القاضي الفاضل أغلق القاضي باب داره، فقال عمارة هذا البيت.

[٢٥] - تم شق عمارة في درب يُعرف بخزانة البنود في القاهرة يوم ١٢ رمضان ٥٦٩هـ، قال بامخرمة: «واختُلف في دخول عمارة في مذهب العبيديين فيروى أنه مات على مذهب السنة، وأثنى عليه ابن خلكان ثناءً حسناً وذكر أنه بُذل له مال للانتقال إلى مذهبهم فكره ذلك، وكان متعصباً للسنة» [ص ١٧٠ ثغر عدن] ومن شعر عمارة قبل أن يشق بثلاثة أيام:

إذا قدرتُ على العَلِياء بالغلب
فلا تُعَرِّجْ عليّ سَعْيي ولا طلبِ
. . . واستخبر الموت كم أنستُ مهجته
وكم وهبتُ له روحي ولم أهبِ

[٢٦] - جاء هذا العنوان في الأصل كما يلي: «مسير سيف الإسلام طغتكين بن أيوب إلى اليمن والياً عليها» [ص ٢٩٥ ج ٥] والصواب: «. . . سيف الإسلام طغتكين بن أيوب» وليس «طغركين» ولعل التصحيف من الناسخين.

[٢٧] - الذي تقدم هو مسار شمس الدولة من مصر إلى اليمن «منتصف سنة تسع وستين» وكان =

عدن عن الدولة عثمان الزنجبيلي، واختط مدينة تعز في بلاد اليمن واتخذها كرسياً لملكه^[٢٨] ثم عاد إلى أخيه سنة اثنتين وسبعين، وأدركه منصرفاً من حصار حلب فولاه على دمشق وسار إلى مصر ثم ولاء أخوه صلاح الدين بعد ذلك مدينة الإسكندرية وأقطعه إياها، مضافة إلى أعمال اليمن، وكانت الأموال تحمل إليه من زييد وعدن وسائر ولايات اليمن، ومع ذلك فكان عليه دين قريب من مائتي ألف دينار مصرية، وتوفي سنة ست وسبعين، فقضاها عنه صلاح الدين، ولما بلغه خبر وفاته سار إلى مصر واستخلف على دمشق عز الدين فرخشاہ ابن شاهنشاه.

وكان سيف الدين مبارك بن كامل بن منقذ الكناني نائبه بزييد قد تغلب في ولايته وتحكم في الأموال فنزع إلى وطنه واستأذن شمس الدولة فأذن له في المجيء^[٢٩] واستتاب أخاه خطاب بزييد^[٣٠] وأقام مع شمس الدولة حتى إذا مات بقي في خدمة صلاح الدين وكان مُحسداً فُسعي فيه عنده أنه احتجز أموال اليمن، ولم يعرض له، فتحيل أعداؤه عليه، وكان ينزل بالعدوية قرب مصر، فصنع في بعض الأيام صنيعاً دعا إليه أعيان الدولة، واختلف مواليه وخدامه إلى مصر في

= دخوله زييد في ٩ شوال ٥٦٩ هـ وعدن في ذي القعدة ٥٦٩ هـ وصنعاء في محرم ٥٧٠ هـ ثم عاد إلى زييد، فقول ابن خلدون هنا: «سنة ثمان وستين» هو إما تصحيف من الناسخ أو لأن ابن خلدون ذكر خبر قدوم شمس الدولة إلى اليمن في ص ٢٨٦ ج٥ ثم تحدث عن أحداث أخرى في الشام ومصر وغيرها ثم عاد إلى أخبار اليمن بهذا العنوان في ص ٢٩٥ ج٥ فوق التباس في التاريخ بسبب ذلك.

[٢٨] - ذكر ابن خلدون هنا وفي ثلاثة مواضع سابقة أن شمس الدولة اختط مدينة تعز واتخذها عاصمة، والثابت أن «حصن تعز» وهو المعروف بحصن القاهرة حالياً في تعز كان موجوداً في عصر الدولة الصليحية - كما تقدم - وأن شمس الدولة استتاب الأمير ياقوت التعزي على حصن تعز وأعماله لما سار من اليمن عائداً إلى مصر ولم تكن مدينة تعز عاصمة ولا كرسياً للملوكية آنذاك، ولما جاء سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن عام ٥٧٩ هـ قام ياقوت التعزي بتسليمه حصن تعز مما يؤكد عدم اختطاط مدينة تعز آنذاك.

[٢٩] - وطن بني منقذ هو قلعة شيزر قرب مدينة حماه بسورية، وينتمي بنو منقذ إلى قبيلة كلب اليمانية الحميرية وكان مبارك قد سكن بمصر ثم أتى إلى اليمن مع شمس الدولة فاستأذن منه بالعودة إلى مصر، وكان يذم زييد ويشكو منها، ومن شعره في ذلك:

وإذا أراد الله أن يُشقي إمرأاً وأراد أن يحييه غير سعيد
أغراه بالترحال من مصر بلا سبب وأسكنه بأرض زييد

[٣٠] - جاء في الأصل «حطان» والصواب «خطاب» كما في كتاب السلوك وسائر المصادر، ولا بد أن التصحيف من النسخ والطباعة.

شراء حاجتهم، فتحيلوا لصالح الدين أنه هارب إلى اليمن، فتمت حيلتهم فقبض عليه، ثم ضاقت عليه الحال وصادره على ثمانين ألف دينار مصرية سوى ما أعطى لأهل الدولة، فأطلقه وأعادته إلى منزلته^[٣١].

فلما بلغ شمس الدولة أن اليمن اختلف نوابه بها، خطاب بن منقذ^[٣٢] وعثمان بن الزنجبيلي وخشي صلاح الدين أن تخرج اليمن عن طاعته، فجهز جماعة من أمرائه إلى اليمن مع صارم الدين قطلغ بن أبيه والي مصر من أمرائه، فساروا لذلك سنة سبع وسبعين، واستولى قطلغ ابن أبيه على زبيد من خطاب بن منقذ^(٣٢) ثم مات قريباً، فعاد خطاب إلى زبيد^(٣٢) وأطاعه الناس، وقوي على عثمان الزنجبيلي.

فكتب عثمان إلى صلاح الدين أن يبعث بعض قرابته، فجهز صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغتكين^[٣٣] فسار إلى اليمن، وخرج خطاب بن منقذ من زبيد وتحصن في بعض القلاع، ونزل سيف الإسلام زبيد وبعث إلى خطاب بالأمان فنزل إليه وأولاه الإحسان، ثم طلب للحاق بالشام فمنعه ثم ألح عليه فأذن له حتى إذا خرج واحتمل رواحله وجاء ليودعه قبض عليه واستولى على ما معه ثم حبسه في بعض القلاع فكان آخر العهد به، ويقال كان فيما أخذه سبعون حملاً من الذهب^[٣٤].

[٣١] - كانت مصادرة مبارك بن منقذ بحجة الأموال التي صادرها من بني مهدي في اليمن واستحوذ عليها لنفسه فيما قيل... قال ابن خلكان: وكان مبارك بن منقذ من بيت كبير ولم يزل واقفاً بالقاهرة حتى توفي سنة ٥٨٩ هجرية.

[٣٢] - جاء في الأصل (حطان بن منقذ) في سائر المواضع، فصوبناه (خطاب بن منقذ) لأن اسمه (خطاب) وليس (حطان).

[٣٣] - جاء في الأصل (سيف الإسلام طغركين) فصوبناه طغتكين، قال الجندي في كتاب السلوك: «وضبط اسمه: بضم الطاء وسكون الغين المعجمة وخفض التاء المثناة من فوق مع الكاف وسكون الياء المثناة من تحت ثم نون بعدها، وكان دخوله زبيد يوم السبت ثالث عشر شوال سنة تسع وسبعين وخمسائة» (اهـ - ص ٥٢٦ ج ٢ - السلوك).

[٣٤] - قال الجندي: «يقال إنه أخذ منه سبعين غلاف درزية مملوءة ذهباً [والغلاف أوعية تشبه الحقائب وفي العسجد زودية] ثم إن ياقوت التعزي بادر ونزل من حصن تعز إلى زبيد وسلم مفاتيح الحصن إلى سيف الإسلام فأعجبه وأكرمه ثم أعاده إلى ولايته وبعث معه بخطاب وأمره أن يحبسه في حصن تعز ثم بعد أيام أمر بقتله، فقُتِلَ (أي خطاب) سراً، ثم طلع سيف الإسلام تعز وتقدم الجند وعيّد فيها عيد النحر فهو أول عيد عيده وقد صار مالكا لليمن» [ص ٥٢٧ ج ٢ - السلوك].

ولما سمع عثمان الزنجبيلي خبير خطاب خشي على نفسه وحمل أمواله في البحر ولحق بالشام، وبقيت مراكبه مراكب لسيف الإسلام فاستولى عليها ولم يخلص إلا بما كان معه في طريقه [٣٥].

وصفا اليمن لسيف الإسلام [٣٦] والله تعالى أعلم.

وفاة طغتكين بن أيوب باليمن

وملك ابنه إسماعيل ثم سليمان بن تقي الدين شاهنشاه [٣٧]

كان قد تقدم لنا أن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سار إلى اليمن سنة ثمان

[٣٥] - كان خروج الزنجبيلي بالمراكب من عدن يوم الأحد ٦ ذي القعدة ٥٧٩هـ فأمر سيف الإسلام من قطع عليه البحر فأخذ عليه شيء من مراكب أمواله ونجا بنفسه وبعض ماله، فعاد الزنجبيلي إلى بلده وهي: «جبله»: بالتحريك من سوريا ثم من أعمال اللاذقية» وأتاب سيف الإسلام على عدن وأعمالها الأمير ابن عين الزمان، وازدهرت عدن في ولاية سيف الإسلام لليمن وقام بتقرير الضرائب على المراكب والتجارة وتم اتخاذ الشواني وتنظيم النشاط البحري، وأخبار عهده في عدن كثيرة استقصاها بامخرمة في كتاب (تاريخ ثغر عدن).

[٣٦] - سار سيف الإسلام إلى صنعاء وأعمالها، وأخذ حصون كوكبان والعروس وذوي مرمر من بني حاتم الهمدانيين وترك لهم حصن العروس، وقام بإعادة تسوير مدينة صنعاء، قال الجندي «ودانت له اليمن وأهلها ولم يكذب على سهل ولا وعر إلا ملكه طوعاً وكرهاً» (اهـ) وظهر في عهده بصعدة الإمام عبد الله بن أحمد بن حمزة فأشعل الفتن بنواحي صعدة وبعض مخاليف صنعاء وفتك بالمطرفية، وحارب المعز بن سيف الإسلام طغتكين عام ٥٩٢هـ فانهزم كما يأتي في ولاية المعز. قال ابن خلكان «كان سيف الإسلام طغتكين رجلاً شجاعاً كريماً مشكور السيرة حسن السياسة مقصوداً من البلاد الشاسعة لإحسانه وبره» (اهـ) وقام بإنجازات عمرانية كثيرة منها تسوير مدينة صنعاء، وبناء - وإعادة بناء - حصون التعكر وخذد وحب وتعز وغيرها، كما قام ببناء مدينة سماها المنصورة [شرق القاعدة بناحية ذي سفال بلواء أب حالياً قرب مدينة تعز] وابتنى في المنصورة قصراً كبيراً وحماماً وبيوتاً للعسكر كما ابتنى دار مضيف في خنوة (بذي سفال) كما قام بتسوير مدينة زبيد وبناء الجناح الشرقي والغربي لجامع زبيد الكبير وبناء منارة الجامع، وسار سيف الإسلام من اليمن - بفرسان ومدد اليمن - وشارك في حروب صلاح الدين ضد الصليبيين بالشام (من عام ٥٨١هـ) والتي تتوجت بموقعة حطين وتحرير القدس (٥٨٣هـ) ثم عاد إلى اليمن.

[٣٧] - ص ٣٣٤ ج ٥ تاريخ ابن خلدون، وقد جاء هذا العنوان والخبر تكملة لما ذكره ابن خلدون عن ولاية سيف الإسلام طغتكين لليمن (ص ٢٩٥ ج ٥) - كما تقدم - .

وسبعين^[٣٨] بعد وفاة أخيه شمس الدولة توران شاه، واختلاف نوابه باليمن، وتولى عليها، ونزل زبيد وأقام بها إلى أن توفي في شوال سنة ثلاث وتسعين^[٣٩] وكان سيئ السيرة كثير الظلم للرعية، جماعاً للأموال^[٤٠] ولما استفحل بها^[٤١] أراد الاستيلاء على مكة، فبعث الخليفة الناصر إلى أخيه صلاح الدين يمنعه من ذلك فمنعه^[٤٢].

ولما توفي ملك مكانه ابنه إسماعيل ولقب المعز^[٤٣] وكان أهوج، فانتسب في بني أمية وادعى الخلافة وتلقب بالهادي ولبس الخضرة^[٤٤]

[٣٨] - الصواب كما تقدم سنة ٥٧٩هـ وكان دخوله زبيد يوم السبت ١٣ شوال ٥٧٩هـ.

[٣٩] - توفي في ٢٦ شوال ٥٩٣هـ فكانت ولايته لليمن من شوال ٥٧٩هـ إلى شوال ٥٩٣هـ ومات بمدينة المنصورة التي قام بتشييدها واتخذها مقراً وعاصمة (عام ٥٩٢هـ) وفيها قال الشاعر الإبي (نسبة إلى لب):

أحسنث في فعالها المنصورة وأقامت لنا من العدل صورة

دام تشييدها العزيز فأعطته إلى وسط قبره منشورة

والعزيز هو سيف الإسلام طغتكين.

[٤٠] - يوجد اختلاف في تقييم سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، فقد قال ابن خلكان إنه: «كان رجلاً شجاعاً كريماً مشكور السيرة حسن السياسة . . .» وقال بامخرمة في تاريخ ثغر عدن: «كان ملكاً شجاعاً أديباً شهماً لبيباً عاقلاً أديباً حازماً» (اهـ) بينما وصفه ابن خلدون بأنه: «كان سيئ السيرة كثير الظلم للرعية . . .» ولعله كان كل ذلك .

[٤١] - عبارة «ولما استفحل بها» - كما في الأصل - فيها نقص أو تصحيف، ولعل المقصود: «ولما استفحل أمره باليمن».

[٤٢] - توفي صلاح الدين الأيوبي بدمشق في ٢٧ صفر ٥٨٩هـ ثم توفي أخوه سيف الإسلام باليمن في ٢٦ شوال ٥٩٣هـ.

[٤٣] - كان المعز إسماعيل مع أبيه في اليمن فلما مات أبوه تولى اليمن المعز إسماعيل، قال المؤرخ الجندي «وكان فصيحاً شاعراً فاضلاً» وقال بامخرمة: «كان فارساً شجاعاً كريماً جواداً خاصة على الشعراء وأهل اللهو» (اهـ).

(***) وفي أيامه ظهر أمر الإمام عبد الله بن أحمد بن حمزة، وقد ذكر ابن خلدون في خبر: «بني الرسي أئمة الزيدية بصعدة» أنه: «قال ابن الأثير: جمع المنصور عبد الله بن أحمد بن حمزة إمام الزيدية بصعدة سنة ٥٩٢هـ وزحف إلى اليمن فخاف منه المعز بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ثم زحف إليه المعز فهزمه» [اهـ] وجاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير أن ذلك عام ٥٩٧هـ وكان عبد الله بن حمزة أراد الزحف إلى صنعاء فسار إليه المعز إسماعيل، قال ابن كثير: فانهزم جيش ابن حمزة هزيمة عجيبة [ص ٢٧ ج ١٣/ البداية والنهاية] والأصوب أن ذلك عام ٥٩٧هـ كما قال ابن كثير لأن المعز إسماعيل هذا إنما تولى اليمن في أواخر عام ٥٩٣هـ.

[٤٤] - أعلن المعز نفسه خليفة ونودي بأمر المؤمنين الهادي في جمادى الآخرة ٥٩٧هـ وأراد المسير إلى بغداد للقضاء على الخليفة العباسي (الناصر) كما يدل على ذلك قوله:

وبعث إليه عمه العادل بالملامة والتوبيخ فلم يقبل [٤٥].
وأساء السيرة في رعيته [٤٦] وأهل دولته فوثبوا به وقتلوه، وتولى ذلك سيف
الدين سنقر مولى أبيه [٤٧].

ولاية الناصر أيوب بن طُغتكين الأيوبي [٤٨]

ونصب أخاه الناصر سنة ثمان وتسعين، فقام بأمره [٤٩] ثم هلك سنقر لأربع
سنين من دولته [٥٠] وقام مكانه غازي بن جبريل من أمرائهم [٥١] وتزوج أم الناصر،

= فإنني أنا الهادي الخليفة والذي يقود رقاب الغُلب بالضُمر الجُرد
ولا بد من بغداد اطوي ربوعها وأنشرها نشر الشماس على البُرد
ويُخطب لي فيها على كل منبر وأظهرُ أمر الله في الغور والنجد

[٤٥] - هو الملك العادل أبو بكر بن أيوب بن شادي ملك أغلب الشام ومصر بعد صلاح الدين.
[٤٦] - تقدم قول الجُندي أن المعز إسماعيل: «كان فصيحاً شاعراً فاضلاً» وكان: «هو
أول من عمل المدارس بتعز وزبيد منها المدرسة المعروفة بالميلين في زبيد
ومدرسة تعز التي أبوه مقبور فيها - (نقل قبر أبيه من المنصورة إلى تعز) - وجعل
عليها سبعة قراء» (اهـ) ولكنه هو أيضاً الذي أخرب دار العز الذي بنته الملكة
السيدة أروى بنت أحمد في جبلة حيث «في سنة ٥٩٤ ابتداء خراب دار العز
بجبلة... كما رسم المعز من يهدم حصن التعكر فهدم في جمادى الآخرة من سنة
٥٩٤هـ» وغلب على المعز الشخ على الجنود والكرم على الشعراء وأهل
اللهو... وقيل إنه أراد أن يأكل الأتابك سنقر (أحد الوزراء النواب) فهرب سنقر
منه - [انظر: السلوك للجندي - ص ٥٣٥ ج ٢].

[٤٧] - كان مقتل المعز على يد عدد من جنوده الأكراد بقيادة رجل اسمه هندوة في
زبيد، فقتلوه في ١٨ رجب ٥٩٩هـ وقيل ٥٩٨هـ، قال الجندي: «وقبر المعز
إسماعيل شرقي زبيد في قبة هنالك تعرف بقبة الخليفة قد صارت خراباً» (اهـ).

[٤٨] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي لتمييز الخبر عن ولاية الناصر أيوب وكان بحصن
تعز فلما قُتل أخوه المعز تم تملكه.

[٤٩] - يعني أن سيف الدين سنقر قام بأمر الناصر لأنه فوض إليه شؤون الحكم وكان
وزيره، وقد بدأت ولاية الناصر أيوب في رجب ٥٩٩هـ وقيل ٥٩٨هـ - كما ذكر
ابن خلدون هنا - قال ابن خلكان: «فقام سنقر بالمملكة أحسن قيام إلى أن مات».

[٥٠] - لما مات سنقر فوض الناصر أمور الحكم إلى: «علم الدين ورد سار بن بيامي»
قال المؤرخ العرشاني: «وهو من أكراد العرب» ولم يزل قائماً بالأمر إلى أن مات -
ربما عام ٦٠٩هـ - وكان له إنجازات عمرانية بصنعاء.

[٥١] - هو بدر الدين غازي بن جبريل فقام بالوزارة وأمر الحكم ليس بعد سنقر وإنما
بعد علم الدين ورد سار.

ثم قتل الناصر مسموماً [٥٢٢] وثأر العرب منه بغازي المذكور [٥٢٣].

ولاية سليمان بن تقي الدين شاهنشاه [٥٤]

وبقي أهل اليمن فوضى، واستولى على ظفار وبلاد حضرموت محمد بن الحميري [٥٥] واستبدت أم الناصر وملكت زبيد [٥٦] وبعثت في طلب أحد من بني أيوب تملكه على اليمن، وكان للمظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه وقيل لابنه سعد الدين شاهنشاه ابن اسمه سليمان، ترهب وليس المسوح، ولقيه بالموسم بعض غلمانها وجاء به فتزوجته، وملكته اليمن [٥٧] والله سبحانه وتعالى أعلم.

ولاية مسعود بن الكامل الأيوبي على اليمن [٥٨]

ولما ملك سليمان بن المظفر على اليمن (وذلك سنة تسع وتسعين وخمسائة) [٥٩] أساء إلى زوجته أم الناصر التي ملكته وضارها وأعرض عنها واستبد بملكه وملاً الدنيا ظلماً، وأقام على ذلك (ثلاث عشرة سنة) [٥٩]، ثم انتقض

[٥٢] - قام غازي بن جبريل باغتيال الناصر في صنعاء بالسم في ١٢ محرم ٦١١هـ فكانت ولاية الناصر (من رجب ٥٩٩ - محرم ٦١١هـ) وقد شهد عهده منجزات عمرانية منها (بناء مدرسة العاصمة ومدرسة الدحمانية بزييد وبناء جامع خنفر في أبين وتوسيع جامع الجند وإعادة بناء المشهد (مصلى العيد) بصنعاء وإعادة بناء منارتي الجامع الكبير بصنعاء... ولكن الضعف أخذ يدب في الدولة فاستمر عبد الله بن حمزة إماماً في صعدة وكانت له حروب وتغلب أحمد الحبوشي على ظفار وحضرموت.

[٥٣] - تولى غازي بن جبريل الأمر بعد اغتيال الناصر إلى أن سقط قتيلاً بتدبير أم الناصر في (مدينة أب) - [ص ٥٣٧ - السلوك].

[٥٤] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي وقد ذكره ابن خلدون في العنوان الأصلي كما تقدم.

[٥٥] - هو الأمير محمد بن محمد الحبوشي الحميري واستقل بحكم إقليم ظفار (في عمان حالياً).

[٥٦] - كانت أم الناصر تحكم البلاد بعد مقتل الناصر ستة أشهر وكانت تقيم في تعز.

[٥٧] - استكمل ابن خلدون الخبر عن ولاية سليمان هذا في حديثه عن ولاية المسعود بن الكامل الأيوبي لليمن كما يأتي.

[٥٨] - استأنف ابن خلدون الحديث عن ولاية اليمن بهذا العنوان في [ص ٣٤٣ ج ٥] وهو آخر أخبار ولاية اليمن الأيوبيين.

[٥٩] - هو سليمان بن المظفر تقي الدين شاهنشاه الذي تزوجته أم الناصر كما تقدم، وكان موت الناصر في ١٢ محرم ٦١١ هجرية وحكمت أمه ستة أشهر ثم تزوجت سليمان هذا وتولى حكم اليمن، فتكون بداية حكمه لليمن في أواسط عام ٦١١ هجرية وليس ٥٩٩هـ - كما جاء هنا - ومدة حكمه ثلاثة عشر شهراً وليس ١٣ سنة وكان سيء السيرة.

على العادل^[٦٠] وأساء معاملته وكتب إليه بعض الأحيان أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم، فكتب العادل إلى ابنه الكامل أن يبعث العساكر إلى اليمن مع والٍ من قبله^[٦١]، فبعث ابنه المسعود يوسف واسمه بالتركي أفسيس في العساكر سنة اثنتي عشرة وستمائة، فملك اليمن، وقبض على سليمان شاه وبعث به معتقلاً إلى مصر فلم يزل بها إلى أن استشهد في حروب دمياط مع الإفرنج أعوام تسع وأربعين.

وظالت أيام مسعود باليمن^[٦٢] وحج سنة تسع عشرة وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة الناصر، فكتب الناصر يشكوه إلى أبيه، فكتب إليه أبوه الكامل: برئت من العادل يا أخس إن لم أقطع يمينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك ولا حول ولا قوة إلا بالله، فاستعتب إلى أبيه وأعتبه^[٦٣]، ثم غلب سنة ست وعشرين على مكة من يد الحسن بن قتادة سيد بني إدريس بن مطاعن من بني حسن، وولي عليها^[٦٤] وعاد

[٦٠] - هو الملك العادل أبو بكر بن أيوب (شقيق صلاح الدين الأيوبي) قال ابن خلدون: «توفي العادل بدمشق في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦١٥هـ لثلاث وعشرين سنة من ملكه دمشق» (اه) فتكون بداية عهده عام ٥٩٢هـ ما لم يكن بعد صلاح الدين ولم يستتب له الأمر إلا بعد صراعات وحروب، «ثم قسم العادل حكم البلاد في حياته بين بنيه، فمصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك للمعظم وبلاد الجزيرة الفراتية للأشرف موسى والرها وميفارقين لشهاب الدين غازي وقلعة جعبر للخضرا رسلان».

[٦١] - كان الكامل بن العادل ملكاً لمصر منذ عهد أبيه (٥٩٦ - ٦٣٥هـ).

[٦٢] - تولى مسعود بن الكامل اليمن من عام ٦١٢هـ إلى وفاته عام ٦٢٦هـ فمدة ولايته ١٤ سنة، وذكر ابن خلدون في خبر بني الرسي أئمة الزيدية بصعدة أنه «جمع المنصور عبد الله بن أحمد بن حمزة جموعاً من همدان وخولان سنة ٦١٢هـ وارتجت له اليمن وخاف المسعود بن الكامل وهو يومئذ صاحب اليمن ومعه الكرد والترك، وأشار أمير الجيوش عمر بن رسول بمعاجلته قبل أن يملك الحصون ثم اختلف أصحاب المنصور (عبد الله بن حمزة) ولقيه المسعود فهزمه» (اه).

[٦٣] - سار المسعود إلى أبيه الكامل من اليمن إلى مصر عام ٦٢١هـ، قال ابن كثير: «قدم الملك مسعود أفسيس ملك اليمن على أبيه الكامل بمصر - عام ٦٢١هـ - ومعه شيء كثير من الهدايا والتحف، من ذلك ثلاثة فيلة (أفيال)، وأحمال عود وند ومسك وعنبر» (اه) ثم رجع المسعود إلى اليمن.

[٦٤] - كان ذلك عام ٥١٩هـ ثم سار المسعود من اليمن إلى مصر عام ٦٢١هـ، قال الجندي: «وعد المسعود من مصر إلى اليمن فلبث إلى سنة ٦٢٥ ثم أراد المسير إلى مصر فقال للمنصور عمر بن علي بن رسول: نُوبنا... ثم سار إلى مكة - قاصداً - مصر - فتوفي بمكة سنة ٦٢٦هـ [ص ٥٣٧ ج ٢ - السلوك] - وسوف يأتي تأكيد ابن خلدون لذلك.

إلى اليمن، فهلك بقية السنة [٦٥]، وغلب على أمر اليمن بعده (عمر بن علي بن رسول استاذ داره ونصب للملك ابنه الأشرف موسى وكفله، ثم هلك موسى واستبد ابن رسول باليمن وأورثه بنيه، فكانت لهم دولة اتصلت لهذا العهد كما ذكره في أخبارها إن شاء الله تعالى .

[٦٥] - كان هلاكه بمكة في رجب وقيل شعبان ٦٢٦هـ وتم دفنه بمكة، والأصوب في ١٤ جمادى الأولى ٦٢٦هـ.

الخبر عن دولة بني رسول الملوك باليمن ومبدأ أمرهم وتصاريق أحوالهم^[١]

كان قد تقدم لنا كيف استولى بنو أيوب على اليمن واختلف عليها الولاة منهم إلى أن ملكها المسعود... وحج المسعود سنة تسع عشرة وكان من خبره في تأخير إعلام الخليفة عن إعلامه ما مرّ في أخبار دولتهم، ثم جاء سنة عشرين إلى مكة وأميرها حسن بن قتادة من بني مطاعن إحدى بطون بني حسن فجمع لقتاله وهزمه المسعود ومَلَك مكة وولي عليها^[٢] ورجع إلى اليمن فأقام به، ثم طرده المرض سنة ست وعشرين فارتحل إلى مكة واستخلف على اليمن علي بن رسول التركماني أستاذ داره^[٣] ثم هلك المسعود بمكة لأربع عشرة سنة من ملكه وبلغ خبر

[١] - أفرد ابن خلدون فصلاً خاصاً لدولة بني رسول باليمن هو هذا الفصل (ص ٥١٠ - ٥١٦ ج٥) بعنوان: «الخبر عن دولة بني رسول موالي بني أيوب الملوك باليمن بعدهم ومبدأ أمرهم وتصاريق أحوالهم» ونشير هنا إلى ما يلي:

أ- أن بني رسول لم يكونوا موالي بني أيوب وإنما كانوا من ولاة بني أيوب باليمن، وقد جاء في كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي وغاية الأمانى ليحيى بن الحسين وبلوغ المرام للعرشى أن: «اسم رسول: محمد بن هارون الغساني، وكان جليل القدر عظيم المنزلة عند الملوك، فقربه أحد الخلفاء العباسيين وكان يرسله إلى من يريد من الملوك... فاشتهر باسم رسول فلا يعرف إلا به عند أكثر الناس... وكان صاحب بغداد يرسله إلى صاحب مصر... ثم انتقل إلى مصر فسكنها».

ب- لما بعث صلاح الدين الأيوبي أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب إلى اليمن وتولاها (٥٧٠ - ٥٩٣هـ) جاء معه من مصر علي بن رسول الغساني ومعه أبنائه الثلاثة ومنهم (عمر بن علي بن رسول) وتولى علي بن رسول إمرة منطقة وصاب وعاش مع أبنائه فيها... ثم انتقلوا في زمن لاحق إلى جهات زبيد وتعز وكانوا من أمراء وقادة الدولة.

[٢] - كان مسير المسعود إلى مكة وامتلاكه إيها عام ٦١٩هـ فولى على مكة - كما في كتاب تاريخ ثغر عدن - «ولى المسعود على مكة عمر بن علي بن رسول الغساني الجفني فحسنت سيرته فيها، وظهر له فيها ولده المظفر سنة ٦١٩هـ» [ص ١٧٥] أي أن المظفر بن عمر بن علي بن رسول ولد بمكة حين تولاه أبوه عام ٦١٩هـ ثم عاد إلى اليمن.

[٣] - لم يكن علي بن رسول تركمانياً وإنما كان غسانياً، وقد ذكر الخزرجي أنهم من ولد (جبله =

وفاته إلى أبيه وهو محاصر دمشق^[٤]، ورجع ابن قتادة إلى مكة.

ونصب علي بن رسول على اليمن موسى المسعود ولقبه الأشرف^[٥]... ثم خلع علي بن رسول موسى الأشرف بن المسعود واستبد بمُلك اليمن وأخذ بدعوة الكامل بمصر وبعث أخويه رهناً على الطاعة^[٦] ثم هلك علي بن رسول سنة تسع وعشرين، وولى ابنه المنصور عمر بن علي بن رسول^[٧]، وتوفي الكامل سنة

= (بن الأيهم الغساني) وأن بعضهم كانوا سكنوا في بلاد التركمان... قال المؤرخ يحيى بن الحسين الهاشمي في كتاب غاية الأمانى «... فلهذا نسبهم من لا يعرف حقيقة نسبهم إلى التركمان... وإنما هم من ولد جيلة بن الأيهم الغساني» (اه) وكذلك قال المؤرخ وجيه الدين الوصايفي في كتاب (الاعتبار في التواريخ والآثار): «أما نسب بني رسول فإنهم من بني جفنة ملوك الشام الغسانيين من ذرية كهلان بن سبأ» ص ١١٤ - وكان حسان بن ثابت الأنصاري يفتد إلى جيلة بن الأيهم وله قال حسان:

أشهرنها فإن مُلكك بالشام إلى الروم فخر كل يمانى

ولم يكن علي بن رسول أستاذ دار المسعود فالذي استخلفه المسعود على اليمن هو عمر بن علي بن رسول، وقد تقدم قول ابن خلدون إنه «أمير الجيوش عمر بن رسول» وكان المسعود قد استنابه على اليمن لما سار إلى مصر عام ٦٢١هـ ثم استنابه على اليمن لما سار إلى مكة قاصداً مصر فمات المسعود بمكة في رجب وقيل شعبان ٦٢٦هـ. والصواب في ١٤ جمادى الأولى ٦٢٦هـ.

[٤] - والد المسعود هو الملك الكامل محمد ملك مصر وكان يحارب ويحاصر أخاه الملك المعظم ملك دمشق.

[٥] - المذكور في سائر المصادر ليس علي بن رسول وإنما عمر بن علي بن رسول وأنه: «لما بلغه موت المسعود بمكة قام قياماً كلياً بملك اليمن وأظهر أنه نائب لبني أيوب ولم يغير سكة ولا خطبه وأضمر الاستقلال بالملك فجعل يولي على الحصون والمدن من يرضيه ويثق به ويعزل من يخشى منه خلافاً، وكان يومئذ مقيماً بزييد فاستولى على البلاد التهامية وقرر قواعدها ثم سار إلى الجبال فتسلم حصن التعكر وخذد وصنعاء وأعمالها عام ٦٢٧هـ».

[٦] - لما استناب المسعود على اليمن عمر بن علي بن رسول قال له عمر: لا يمكنني أن أحفظ اليمن مع وجود إخوتي فبعثهم المسعود إلى مصر وذلك في جمادى الأولى ٦٢٦هـ فلم يكونوا رهناً على الطاعة، أما الخطبة للكامل فكان الأمر كذلك حتى اعلان الاستقلال.

[٧] - وفاة علي بن رسول عام ٦٢٩هـ لا يتعارض مع كون ابنه المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني هو الذي كان يتولى اليمن مند وفاة المسعود الأيوبي بمكة في جمادى الأولى ٦٢٦هـ وكان المنصور عمر بن علي بن رسول - كما ذكر المؤرخون «كان مع شجاعته عاقلاً وادعاً حسن السياسة ثاقب الرأي سريع النهضة عند الحادثة، حازماً، شهماً، يقطاً...» وقام في عام ٦٢٦هـ بضبط الأمور في سائر أرجاء تهامة من المخلاف السليماني =

خمس وثلاثين وشغل بنو أيوب بالفتنة بينهم^[٨]، فاستغلظ سلطان عمر باليمن وتلقب المنصور ومنع الأتاوة التي كان يبعث بها إلى مصر^[٩]، فأطلق صاحب مصر

= (جيزان وعسير) إلى قرب عدن، ثم سار إلى عدن وجهاتها ففعل مثل ذلك وقام بتولية (المعمار) على عدن وجهات لحج وابين، وقام يبعث النقيب الأصبحي مع أحد كبار القادة إلى حضرموت فتولى نواب المنصور جهات حضرموت.

وفي عام ٦٢٧هـ سار المنصور إلى تعز وجبله وجهاتها وأقرّ وولى العمال، كما بعث إلى صنعاء الأمير أسد الدين محمد بن حسن الرسولي فهرب نائب صنعاء السابق (أحمد بن زكري) وتولى أسد الدين صنعاء وجهاتها.

وفي عام ٦٢٨هـ وصل المنصور إلى مدينة صنعاء فأقام بها واستدعى الزعامات القبلية والدينية بمخالف صنعاء بما في ذلك الزعامات الزيدية والهادوية [أمثال يحيى بن حمزة، وأحمد بن عبد الله بن حمزة - شقيق الإمام السابق] - وداود بن عبد الله بن حمزة] فأعلنوا الدخول في طاعته وبايعوه، وجاء في كتاب غاية الأمانى أنه: «في تلك السنة ٦٢٨هـ استقل عمر بن علي بن رسول بملك اليمن وتلقب بالمنصور» وقال ابن المجاور في حديثه عن قصر غمدان ما يلي نصه «.. فالآن بقي - موقع غمدان - تل عظيم، وقد بنى في موضع القصر نور الدين حسن بن علي بن رسول قسراً عظيم الهيكل سنة ٦٢٨هـ» [أه/ص ١٨١ - المستبصر] - فكان ذلك القصر مقر نائب صنعاء في عصر بني رسول.

[٨] - كانت الفتنة والحروب بين الملك الكامل الأيوبي ملك مصر واخوته وأقاربه في الشام ومصر وغيرها تمثل انهيأراً للمشروع الوجودي الذي مثلته الدولة الأيوبية في عهد صلاح الدين الأيوبي، وكان ذلك من عوامل اتجاه اليمن إلى الاستقلال وقيام حكم وطني يعربي إسلامي بزعامة المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني في أواخر عهد الكامل الأيوبي هذا - أي قبل وفاته عام ٦٣٥هـ - حيث بدأ عهد دولة اليمن الرسولية الغسانية بزعامة المنصور عام ٦٢٨هـ أو عام ٦٢٩هـ بشكل رسمي ومنذ عام ٦٢٦هـ بشكل واقعي.

[٩] - أعلن المنصور عمر بن علي بن رسول استقلال اليمن بزعامته وانتهاء الارتباط بالدولة الأيوبية وملكها محمد الكامل الأيوبي، وكتب المنصور إلى الخليفة العباسي في بغداد المستنصر بن الظاهر العباسي (٦٢٣ - ٦٤٠هـ) بالوضع الجديد في اليمن عام ٦٢٩هـ فأتى كتاب الخليفة العباسي يعترف بملوكية المنصور ويقلده حكم اليمن.. وفي عام ٦٣١هـ أرسل المنصور بهدية عظيمة إلى الخليفة العباسي وطلب منه تجديد الاعتراف والتقليد، ربما بعد المواجهة المسلحة بين قوات المنصور ونائب وقوات الكامل الأيوبي في مكة عام ٦٢٩هـ فوصل التقليد العباسي للمنصور وتعاضم سلطان المنصور بعد انضواء مكة في دولة اليمن الرسولية الغسانية عام ٦٣١هـ حيث انتصرت قوات المنصور بقيادة ابن عبدان ومعه الشريف راجح بن قتادة شريف مكة على عامل الأيوبيين في مكة للمرة الثانية (عام ٦٢٩هـ) ثم (عام ٦٣١هـ) فأقام ابن عبدان عاملاً للمنصور على مكة ومعه الشريف راجح بن قتادة «وفي عام ٦٣٢هـ أرسل المنصور بقناديل للكعبة من الذهب والفضة وخزانة عظيمة، فتم تعليق القناديل بالكعبة، وكان ابن النصيري عاملاً لمكة من جهة المنصور ومعه الشريف =

العادل بن الكامل عمومته الذين كان أبوه رهنهم على الطاعة لينازعوه في الأمر فغلبهم وحبسهم^[١٠٥]، وكان أمر الزيدية بصعدة قد خرج من بني الرسي وصار لبني سليمان كما مرّ في أخبارهم^[١١١]، ثم بويغ من بني الرسي أحمد بن الحسين من بني الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بايع له الزيدية بحصن ثلاً، وكانوا من يوم أخرجهم السليمانيون من صعده قد أووا إلى جبل مكانه، فلما بويغ أحمد بن الحسين هذا لُقّبوه الموطئ وكان بحصن ثلاً وكان الحديث شائعاً بين الزيدية بأنّ الأمر يرجع إلى بني الرسي، وكان أحمد فقيهاً أديباً عالماً بمذهب الزيدية، مجتهداً في العبادة وبويغ سنة خمس وأربعين وستمائة^[١٢٢] وأهمّ عمر بن رسول شأنه فشمر

= راجح بن قتادة . . وسجلت قصائد الشاعر اليمني محمد بن حمير الهمداني المدى الذي بلغت زعامة المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني ملك اليمن حيث قال :

.. ميلوا إلى المنصور لا تتحدثوا	عن برمك وأبي عدي الطائي
نادوا أبا الفتح الذي فتحت له	عدن الدعاء ومكة السبط جاء
والهند والسند البعيد ثناؤهم	فيه - وأيم الله - أي ثناء
ذا ثالث العُمريين، هذا ثالث الـ	قمرين، هذا أعظم العظماء

[١٠٥] - كان الأعظم من ذلك أن الكامل الأيوبي بعث قوة برية وبحرية من مصر بقيادة الأمير أسد جفريل فسيطر على مكة، فسار الملك المنصور بنفسه من اليمن عام ٦٣٥هـ فهزم أسد جفريل وجيشه، فقال الشاعر محمد بن حمير قصيدة منها:

قُصي الحديث عن المنصور ما فعلت	جنوده وعس القوم الذي حشدوا
ولّوا، وكان الذي يُلقى بهم أسدُ	فعاد ثعلب قفر ذلك الأسدُ

ولما وصل أسد جفريل إلى أطراف مصر أتاه الخبر بموت الكامل وتولية ابنه العادل بن الكامل (٦٣٥ - ٦٣٧هـ) فتقدم على عدم الإنضمام إلى المنصور «ولم تزل مكة في ولاية المنصور وبها نوبة إلى أن مات المنصور باليمن في ذي القعدة ٦٤٧هـ» [ص ١٧٨ تاريخ ثغر عدن].

[١١١] - المقصود - كما تقدم - قيام أحمد بن حمزة بن سليمان بالإمامة الهادوية الزيدية في صعده (٥٤٥ - ٥٦٦هـ) ثم خروج وقيام الإمام عبد الله بن حمزة أيام الدولة الأيوبية ثم ابنه محمد بن عبد الله بن حمزة الذي ألحق به عمر بن علي بن رسول هزيمة ساحقة عام ٦٢٣هـ في ولاية المسعود الأيوبي لليمن، فلما قامت دولة اليمن الرسولية بزعامة المنصور عمر بن علي بن رسول عام ٦٢٨هـ انضوى بنو حمزة في إطار الدولة وبايعوا المنصور كما تقدم.

[١٢٢] - كانت مبايعة أحمد بن الحسين هذا عام ٦٤٥هـ أو ٦٤٦هـ في حصن ثلاً وتلقب بالإمام الهادي، وكان ذلك عملية خروج وتمرد على الدولة المركزية اليمنية وزعيمها الملك المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني وكان سنياً على مذهب (أبي حنيفة) ثم تحول إلى المذهب الشافعي دون تعصب مذهبي، وقد كاتب العالم الصوفي المشهور أحمد بن علوان =

لحربه وحاصره بحصن ثلاثاً مدة ثم أفرج عنه، وجهاز العساكر لحصاره من الحصون المجاورة له^[١٣]، ولم يزل (المنصور) قائماً بأمره^[١٤] إلى أن وثب عليه سنة ثمان وأربعين جماعة من مماليكه بممالة بني أخيه حسن فقتلوه لثماني عشرة سنة من ولايته^[١٥].

= رسالة إلى المنصور عمر بن علي بن رسول وصفه فيها بأنه (ثالث العمرين) وقال فيها مخاطباً إياه: «وأنت عماد السنة وناصر الدين، والله عز وجل قد صدع لك الصخور وجمع لك الأمور ونعتك بالملك المنصور، فأنت الأمر الناهي بقدرته والقادر القاهر بسطوته. . رفك من التخوم إلى النجوم على رغم أنوف، وحطم رماح وسيوف» [ص ٤٩٤ - الفتوح لأحمد بن علوان].

[١٣] - لم يؤثر تمرد أحمد بن الحسين هنا على قوة الدولة وانسباط سلطانها في أرجاء اليمن ومكة، وكان نائب المنصور على صنعاء ومخاليفها إلى صعدة وما يليها الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن علي بن رسول (٦٢٧ - ٦٤٧هـ) قال المؤرخ الجندي . . . ولما دخل المنصور إلى مكة عام ٦٣٨هـ قام بضبط الحجاز قياماً مرضياً، وابتنى بين المدينتين (مكة والمدينة) حصوناً ورتب فيها الرتب (الجنود) وبنى فيها المصانع . . .» [ص ٦٤٧/ السلوك] وولى المنصور على مكة عام ٦٣٨هـ الأمير فخر الدين «فمكث فخر الدين نائباً لمكة سبع سنين، وكانت أيامه غرراً، عمر أهل مكة فيها الدور وتظاهروا بالنعم، ورخص الطعام، وكان المنصور يرسل بصدقة تصرف في مكة فكثرت الخيرات . . . وقام بشراء حصن ينبع بالحجاز وعمارة جبل البزك وهو جبل متصل بساحل البحر بين مكة واليمن ورتبه بعسكر عظيم» [ص ٤٣٣ - غاية الأمان] ثم ولى المنصور على مكة ابن المسبب عام ٦٤٦هـ، وقام ابن المسبب ببناء حصن في نخلة يُسمى حصن عطفان» كما قام المنصور بقيادة عدة حملات من صنعاء على المتمردين الهاديين وإمامهم أحمد بن الحسين وحاصرهم عام ٦٤٧هـ ثم أوكل مهمة الحصار والقضاء على التمرد إلى نائب صنعاء وقادة الحصون المجاورة، وتوجه إلى عاصمته مدينة تعز «ووصل إلى المنصور رسول من ملك الهند فاستقبله المنصور بمدينة الجند فأكرمه وأنعم عليه، وذلك في ذي القعدة ٦٤٧هـ» [ص ١٧٨ ثغر عدن].

[١٤] - لم يزل المنصور قائماً بأمر الدولة والبلاد قياماً مرضياً منذ قيام الدولة بزعامته عام ٦٢٦هـ وكان من معالم عهده بالإضافة إلى كل ما تقدم أنه قام بسك الدراهم والدنانير اليمنية الرسولية عام ٦٣٠هـ وقام ببناء «المدرسة المنصورية في عدن - والمدرسة الوزيرية والمدرسة الغرابية في تعز، والمدرسة المنصورية في الجند. وثلاث مدارس في زبيد - ومدرسة في مكة وأوقف لها أوقافاً عظيمة» . . قال الجندي «أما المساجد التي بناها المنصور في جميع اليمن فلا تكاد تحصى» [ص ٥٤٣ - السلوك] كما تم في عهده بناء عدة قصور وحصون في صنعاء وتعز وعدن وزبيد.

[١٥] - كان مقتل المنصور على يد بعض مماليكه في زبيد يوم ٩ ذي القعدة ٦٤٧هـ.

الملك المظفر بن المنصور [١٦]

ولما هلك المنصور عمر بن علي بن رسول كما قلناه، قام بالأمر مكانه ابنه المظفر شمس الدين يوسف وكان عادلاً محسناً^[١٧]، وفرض الأتاوة عليه لملوك

[١٦] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي لتمييز عهد الملك المظفر بن المنصور الرسولي الغساني، وقد كان المظفر أعظم ملوك اليمن بعد الإسلام وكان يقال له تُبِع الأصغر، وكان عالماً مثقفاً له عدة مؤلفات قام بتأليفها في عهد أبيه حيث تولى إمارة عدة مناطق من اليمن آنذاك، ودام عهد المظفر ٤٦ سنة (٦٤٧ - ٦٩٤هـ / ١٢٤٩ - ١٢٩٥م) وشهد عهده نهضة علمية كبرى وأسس المدارس والجوامع في أرجاء اليمن ومنها جامع المظفر بمدينة تعز، وأصبح لليمن في عهده أسطول بحري كبير بسط سيادته في البحر الأحمر والمحيط الهندي، وافتتح منقطة ظفار (في عمان حالياً) فشملت دولة اليمن في عهده كل أرجاء اليمن وظفار (عمان) ومكة (الحجاز) وامتد سلطانه إلى منطقة الساحل الحبشي، (الأريتري - الصومالي) حيث أرسل حملة عسكرية بسطت سيادة المسلمين هناك بحيث كما قال المؤرخ الجندي «بلغت دولة المظفر الحبشة» وقد ذكر ذلك أيضاً الرحالة الإيطالي (ماركو بولو ١٢٧١ - ١٢٩٥هـ) في كتاب رحلته إلى الشرق.

[١٧] - بدأ عهد المظفر بعد وفاة أبيه - في ١٣ ذي القعدة ٦٤٧هـ - وكان عمره آنذاك ٢٧ سنة، فلما تولى المظفر قال الشاعر أبو بكر بن دعاس:

إن غاب نور الملك عن أفق العلا فانظر ضياء الشمس قد ملأ الملا
أو كان جفن الدهر أمسى ارمداً فاليوم أصبح بالمظفر أكحلا

وكان المظفر أعدل وأعلم وأعظم من حكم اليمن بعد الإسلام وبلغت اليمن في عهده ما لم تبلغه في أي عهد مضى من القوة والتقدم العلمي والاقتصادي والعمراني والمكانة الدولية، وقال الشاعر قاسم بن الهيثم واصفاً ومادحاً المظفر:

مَلِكٌ إِذَا رُوِيَ مِنْهُ رَأَيْتَهُ مَلِكاً يُرَى فِي صُورَةِ السُّلْطَانِ
وتراه إنساناً وفيه فضائلُ تُعَلِّيه عَنِ بَشَرِيَةِ الْإِنْسَانِ

ومن القصيدة قوله للمظفر:

وكسوت بيت الله أعظم كسوة نُشِرت عليه وكان كالعربان
وبثثت بالحرمين من صدقاتك الحسنات ما يُغني عن الحرمان
.. والبرُّ والبحر استتب خراجه بضمان وإلٍ أو بغير ضمان
.. وعميدُ مصر منك يطلب نُصرةً واخوة في السر والإعلان

وكان مكتوباً على الدنانير والدرهم الذهبية والفضية التي سكتها الملك المظفر في أحد وجهيها «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق» وفي الدائرة الخارجية «ليظهره على الدين كله» وعبارة «أبو بكر، عمر، عثمان، علي، رضي الله عنهم» وفي الوجه الثاني عبارة «السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور».

مصر من الترك لما استقلوا بالملك^[١٨]، وما زال يصانعهم بها، ويعطيهم اياها^[١٩]، وكان لأوّل ملّكه امتنع عليه حصن الدملة فشغل بحصاره^[٢٠]، وتمكن أحمد

[١٨] - المقصود ملوك مصر المماليك الذين بدأ حكمهم لمصر بعد الأيوبيين عام ٦٤٨هـ (١٢٥٠م) وكان من أوائلهم السلطان قطز (٦٥٥ - ٦٥٧هـ) والظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ) . . وكان التتار قد اجتاحوا بغداد وقضوا على آخر الخلفاء العباسيين المستعصم في عام ٦٥٦هـ ثم تقدم التتار إلى الشام، وبما أن المماليك كانوا يحكمون مصر والشام تصدت دولتهم بقيادة السلطان قطز ثم الظاهر بيبرس للتتار وانهزم التتار في عين جالوت (٢٥ رمضان ٦٥٨هـ) وغيرها، وكان ملك مصر قد كتب إلى الملك المظفر طالباً مناصرته كما في شعر ابن الهميتل المتقدم، فأمدّهم المظفر بالأموال والخيول والرجال، ولم يكن ذلك اتاوة كما ظنّ ابن خلدون، وإنما كان دعماً لمصر في محاربة التتار والصليبيين من جهة وهدايا إلى ملك مصر من جهة أخرى، وكذلك كان ملك مصر يبعث الهدايا إلى المظفر، «ففي عام ٦٦٥هـ وصل إلى المظفر رسول صاحب مصر - الظاهر بيبرس - بالكتب والهدايا» وفي عام ٦٦٦هـ - كما ذكر المقرئزي - «قدمت رسل المظفر ملك اليمن إلى الظاهر بيبرس بهدايا فيها عشرون فرساً عليها لامة الحرب وفيله . . وعدة تحف وطرف، فأرسل الظاهر بيبرس إلى المظفر هدية من ملابس وآلة حرب وخلعة وسنجد» (اه).

[١٩] - لم يكن الأمر كذلك وإنما كان دعماً لمصر وهدايا كما تقدم، بل وفوق ذلك فقد ذكر المؤرخ الجندي أنّه «كان للمظفر خمسمائة فارس مرابطون في مصر للجهاد، وكان المظفر يرسل مرتباتهم، وحاجاتهم من اليمن مع ما كان يرسله من الهدايا إلى ملوك مصر» وذكر الرحالة الإيطالي ماركو بولو «أن ملك اليمن ساهم بثلاثين ألف مقاتل بخيولهم وبنحو أربعين ألف جمل في حملة المسلمين على الصليبيين في عكا وكان ذلك عوناً كبيراً للمسلمين في الاستيلاء على عكا» (اه) وكان تحرير عكا عام ٦٩٠هـ (٢٩١م) بقيادة السلطان ابن قلاوون وبدعم المظفر.

[٢٠] - كان تمرد أحد القادة في حصن الدملة أمراً هيناً ولم يلبث أن استسلم، أما الحدث التاريخي الذي يستحق الإشارة فهو المواجهة مع السلطان سالم بن إدريس بن محمد بن أحمد الحبوضي سلطان منطقة ظفار (في عمان حالياً) وكانت سلطنة ظفار آنذاك سلطنة قوية وحاول سلطانها الاستيلاء على بعض حصون المهرة والشحر وحضرموت، ولكن نواب المظفر فيها أفضلوا ذلك وقام المظفر ببعث قوة رابطة في الشحر . . وفي عام ٦٧٨هـ قام سلطان ظفار بالاستيلاء على سفينة يمنية جنحت إلى ساحل ظفار وكانت تحمل هدايا ثمينة من المظفر إلى ملك فارس، مما أدى إلى تصعيد الموقف، فأرسل المظفر قوات يمنية برأ وبحراً إلى ظفار فانهزم السلطان سالم وانضوت ظفار في دولة اليمن الرسولية الغسانية في ٢٨ رجب ٦٧٨هـ وفي ذلك قال الشاعر الكندي قصيدة رائعة منها قوله:

ساق المظفرُ جيش النصر من عدن يأتُمُّ في البحر أمواجٌ بأمواج
وأفعمَ البَرَّ حتى غصَّ واسعه بجحافل لجب الأصوات عجاج . .

(الخ).

الموطئ الثائر بحصن ثلاً من الزيدية من أعقاب بني الرسي فملك عشرين حصناً من حصون الزيدية وزحف إلى صعدة فملكها من يد السليمانيين^[٢١]، ونزل إليه أحمد المتوكل إمام الزيدية منهم فبايعه وأمنه^[٢٢]، ولما كانوا في (خطابة) لم يزل في كل عصر منهم إمام كما ذكرناه في أخبارهم قبل^[٢٣]، ولم يزل المظفر والياً على اليمن^[٢٤]، إلى أن هلك بغتة سنة أربع وتسعين، لست وأربعين سنة من

= قال الخزرجي «ولما افتتح المظفر ظفار، هادته ملوك فارس والهند والصين ووصلت إليه الهدايا من ملوكها» (ص ٢١٣ ج١) وقد استمرت منطقة ظفار وأعمالها في إطار دولة اليمن الرسولية الغسانية حتى نهايتها (عام ٨٥٨هـ) أي نحو قرنين من الزمان.

[٢١] - المقصود بالسليمانيين بنو حمزة وكانوا من عمال المظفر بصعدة وحجة، فأقام المظفر بصنعاء عام ٦٥١هـ ووجه الحملات لمطاردة الإمام أحمد بن الحسين (الموطئ) وأتباعه المتمردين على الدولة، وتواصلت الأحداث حتى تم القضاء على التمرد، وقد شهدت جهات صعدة وعمران والجوف أعمالاً عمرانية في عهد المظفر منها «في عام ٦٥٥هـ أمر المظفر بعمارة الزاهر في الجوف وتمت عمارة قصر الجنات في عمران . . وفي عام ٦٨١هـ أمر المظفر بعمارة درب شوابة في الجوف وعمارة المنقل في صعدة وتم سك الدراهم المظفرية في صعدة عام ٦٨٤هـ.

[٢٢] - المقصود أحمد بن عبد الله بن حمزة وقد وصل إلى المظفر بصنعاء - عام ٦٥١هـ - فبايع المظفر «وأمنه المظفر بمائة ألف درهم مظفرية» [ص ٦٥٥/ غاية الأمان] وفي شوال عام ٦٥٢هـ كان المظفر في زبيد فوصل إليه «داود بن عبد الله بن حمزة في جماعة الحمزيين فأعطاهم المظفر من الأموال والخيول ما لا ينحصر» [ص ٤٤١ غاية الأمان] وكانوا من عماله .

[٢٣] - لم يظهر المقصود بقوله «ولما كانوا في خطابه» ولا بد أن في العبارة تصحيحاً، أما التمرد على الدولة باسم الإمامة الهاديوية الزيدية في عصور دولة بني رسول فكان سرعان ما يتلاشى وكان بعض من سُموا بالأئمة عمالاً للدولة الرسولية وملوكها أو كانوا يصيرون كذلك، وقد اتضح لنا أن المقصود والصواب في قوله: «لما كانوا في خطابه» هو «لما كانوا في قطابة» وهو جبل شاهق شرقي صعدة بناحية قطابر حالياً، وقد تحدث عنه ابن خلدون في حصون اليمن .

[٢٤] - كانت ملوكية المظفر تشمل كل اليمن الطبيعية بما في ذلك منطقة ظفار (عمان) وكذلك مكة، وقام المظفر بكسوة الكعبة كسوة عظيمة لما حج عام ٦٥١هـ حيث قال ابن الهيثم «وكسوت بيت الله أعظم كسوة . . الخ» وفي عام ٦٥٩هـ سار المظفر من تعز على طريق الساحل براً إلى مكة، والمراكب تسايهه في البحر، فدخل مكة في موكب عظيم وعمل المظفر باباً للكعبة من الساج وقام بتحليلته بالذهب والفضة عام ٦٦٥هـ وكان مكتوباً على الباب اسم ملك اليمن المظفر يوسف بن عمر، ولم يزل ذلك الباب إلى أن خضعت مكة لحكم مماليك مصر وانتزعه الحسن بن قلاوون عام ٧٣٣هـ . . كذلك امتد نفوذ دولة المظفر إلى مناطق سواحل الحبشة (إريتريا - الصومال) بحيث قال المؤرخ الجندي «امتدت =

ملكه - فتولى بعده ابنه - الأشرف عمر بن المظفر يوسف [٢٥].

الملك الأشرف عمر بن المظفر [٢٦]

ولما هلك المظفر يوسف كما قلناه وولى بعده ابنه الأشرف ممهد الدين

= دولة المظفر إلى الحبشة وإلى الهند» والمقصود الخطبة له في امارات الحبشة وبلاد الهند ووصول الهدايا إليه من ملوكها، وكان المظفر قد نودي بأمر المؤمنين بعد سقوط بغداد بيد التتار، ولما حرم ملك الصين الختان على المسلمين في الصين كتبوا إلى المظفر فكتب المظفر إلى ملك الصين يشفع في الأذن لهم بالختان وبعث إليه هدية فاستجاب ملك الصين وأذن لهم بالختان، وقد بلغت المكاثة الدولية لليمن في عهد المظفر ما لم تبلغه في أي عهد مضى، وبعث ملك الصين هدية إلى المظفر عام ٦٨٨هـ.

[٢٥] - مات المظفر يوم الثلاثاء ١٣ رمضان ٦٩٤هـ وهو ابن ٧٤ سنة ومدة ملكه لليمن ٤٦ سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوماً، ولما مات المظفر قال (الإمام) المطهر بن يحيى الهادوي «مات تُبع الأصغر، مات معاوية الزمان، مات الذي كانت أقلامه تكسر الرماح».

[٢٦] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي لتمييز عهد الملك الأشرف عمر بن المظفر بن المنصور الرسولي الغساني، وكان الأشرف مثقفاً عالماً، وقام بتأليف كتاب في الطب في عهد أبيه، فكتب الملك المظفر إلى الظاهر بيبرس ملك مصر متبهاً بأن ابنه الأشرف ألف كتاباً في الطب، وكان ذلك ما بين عام ٦٦٦هـ و٦٧٥هـ وهو غالباً كتاب (الجامع في الطب) كما ألف الأشرف كتابين آخرين في الطب هما (المعتمد في الأدوية) و(المُغني في البيطرة)، أما كتاب (التفاحة في علم الفلاحة) الذي ألفه الأشرف فهو كتاب جليل في علوم الزراعة وقد تم طبعه ونشره مؤخراً.

(*) وقد تولى الأشرف في عهد أبيه نيابة مدينة المهجم وأعمالها - بتهمة - وكان أخوه إبراهيم نائباً لصنعاء وأعمالها - عام ٦٨٣هـ - ثم تولى الأشرف نيابة صنعاء وأعمالها - عام ٦٨٤هـ حيث كما جاء في كتاب غاية الأمان «دخل الأشرف صنعاء في تيه عظيم، وفرش لحصانه ثياب الحرير الملمعة بالذهب، ونثر على الناس الذهب والفضة» [ص ٤٧٠/١ غاية الأمان] وسار الأشرف من صنعاء إلى صعدة وأمر بعمارة حصن الكولة في صعدة واستعمل عليها الأمير علي بن عبد الله الحمزي كما سار إلى مناطق حجة وقام بضبط الأمور وعاد إلى صنعاء . . وكان المطهر بن يحيى الهادوي قد ادعى الإمامة فاستماله الأشرف وصالحه عام ٦٨٥هـ فدخل المطهر وأتباعه في طاعة الدولة . . واستمر الأشرف نائباً لصنعاء إلى عام ٦٨٧هـ ثم تولاهما أخوة المؤيد (٦٨٧ - ٦٩٣هـ) بينما تولى الأشرف نيابة المهجم، ثم عاد الأشرف نائباً لصنعاء عام ٦٩٣هـ وتولى المؤيد نيابة الشحر.

(**) وفي جمادى الآخرة ٦٩٤هـ كتب الملك المظفر - [الذي بلغ عمره ٧٤ سنة] - مرسوماً باستخلاف ابنه الأشرف ملكاً بعده قال فيه « . . فقد ملكنا عليكم من لم نؤثر فيه - والله - داعي التقريب على باعث التجريب . .

وشهدتم له وشاهدتموه وحمدتم عقباه في كل أمر =

عمر^[٢٧]، كان أخوه داود والياً على الشحر^[٢٨] فدعا لنفسه ونازعه الأمر، فبعث الأشرف عساكره وقتلوه وهزموه وقبضوا عليه، وحبسه^[٢٩]، واستمر الأشرف في ملكه^[٣٠]، إلى أن سمته جاريته فمات سنة ست وتسعين، لعشرين شهراً من ولايته^[٣١]، - فتولى بعده - أخوه داود بن المظفر يوسف .

= . . لم يزل منذ حلّ عن جيده الطوقُ خليقاً لكل حمد وشكر . . .

وتمت قراءة الكتاب (المرسوم) في حضرة المظفر بمدينة تعز (العاصمة) بوجود الأشرف والمؤيد ورجال الدولة، فأغضب ذلك أخاه المؤيد داود وكان يعتقد أنه أولى بالأمر، ولكنه سار إلى عمله ككاتب للشحر وحضرموت وكتب نيته حتى يتوفى أبوه، بينما «انضافت الأوامر والنواهي والحلّ والعقد في جميع قطر اليمن للأشرف وسكن تعز إلى أن توفي والده الملك المظفر» .

[٢٧] - تولى الأشرف ملوكية اليمن بعد وفاة المظفر في ١٣ رمضان ٦٩٤هـ (١٢٩٥م) وكان - كما وصفه المؤرخ بامخرمة - «كان الأشرف ملكاً سعيداً عارفاً رشيداً، فاضلاً أديباً، كاملاً لبيباً، اشتغل بطلب العلم في حياة أبيه حتى برع في كثير من الفنون وشارك فيما سواها، وله مصنفات في علوم كثيرة» [ص ١٨٢ - تاريخ ثغر عدن].

[٢٨] - كان اسم (الشحر) يشمل مناطق الشحر وما جاورها في حضرموت ومناطق محافظة المهرة - حالياً - إلى تخوم ظفار، وكان قد تولى نيابة الشحر في عهد المظفر الأمير عبد الرحمن بن راشد الكندي (٦٤٧ - ٦٦٤هـ) ثم ابن أخيه (راشد بن شجعنة الكندي) وفي فترة نيابته قام المظفر بتجديد وتوسيع مدينة الشحر (عام ٦٧٠هـ) فأصبحت مدينة كبيرة وميناء هاماً وعاصمة إدارية لمناطق حضرموت الساحلية والمهرة، ثم تولى المؤيد داود بن المظفر نيابة الشحر وكان أخوه إبراهيم الواثق نائباً لظفار مند عهد المظفر، وقد ظل إبراهيم الواثق نائباً لظفار وأعمالها من عام ٦٩٠هـ إلى عام ٧١١هـ .

[٢٩] - كان المؤيد داود يرى نفسه أولى بالملوكية - وكذلك كان يعتقد كثيرون - فأعلن ملوكيته وتسلم حضرموت وأبين وعدن ولحج فأرسل الأشرف جيشاً من تعز في محرم ٦٩٥هـ بقيادة الناصر بن الأشرف ومعه الأمير علي بن عبد الله بن حمزة في العسكر الواصلين من صنعاء، فما لبث المؤيد أن استسلم وسبق إلى الأشرف فبكى الأشرف حين شاهده مقيداً، ثم أمر بإيقافه في حصن تعز (قلعة القاهرة حالياً بتعز) فكتب المؤيد من حصن تعز إلى علي بن عبد الله بن حمزة بيتاً هو:

ستعلم ليلئى أئى دين تداينت وأئى غريم في التقاضي غريمها

فأجاب عليه قائلاً:

تخيرت من نعمانَ عود أراكة لهند، ولكن ما يبلغه هنداً

[٣٠] - من مآثر عهد الأشرف الباقية حتى اليوم المدرسة الأشرفية ومسجدها في تعز وكانت مدرسة علمية جامعة، ولكن الذي بناها ليس الأشرف هذا وإنما الأشرف الثاني إسماعيل .

[٣١] - مات الأشرف يوم ٧ محرم ٦٩٦هـ ومدة حكمه سنة واحدة وأربعة أشهر وتم دفنه في مدينة تعز .

الملك المؤيد داود بن المظفر [٣٢]

ولما هلك الأشرف عمر بن المظفر يوسف، أخرج أخاه مؤيد الدين داود من معتقله، وولوه عليهم ولقبوه المؤيد [٣٣]، وافتتح أمره بقتل الجارية التي سمّت أخاه [٣٤]، وما زال يواصل ملوك الترك بهداياه وصلاته وتحفه، والضريبة التي

[٣٢] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي لتمييز عهد الملك المؤيد بن المظفر بن المنصور - رابع ملوك دولة اليمن الرسولية الغسانية - وكان مولد المؤيد بمدينة الجند في لواء تعز ليلة السبت ٢٢ صفر ٦٦٢هـ وتلقى تعليمه في المدارس العلمية الجامعة التي ازدهرت في عهد المظفر - بتعز وزيد وغيرها - فكان المؤيد مثقفاً، عالماً، أديباً، شاعراً، وفارساً شجاعاً، وتولى نيابة صنعاء ومخاليقها في عهد أبيه (٦٨٧ - ٦٩٣هـ) وله فيها أخبار وأشعار كثيرة، ثم تولى نيابة الشحر وأعمالها حتى وفاة أبيه وتمليك أخيه المؤيد (ذي القعدة ٦٩٤هـ) فنازع أخاه الأشرف فاعتقله في حصن تعز (٦٩٥هـ) فمكث في الحصن حتى مات الأشرف.

[٣٣] - لما مات الأشرف أجمع رجال الدولة وبينهم أبناء الأشرف على تمليك المؤيد فأخرجوه من المعتقل وتسلم سدة الملوكية في مدينة تعز - عاصمة الدولة - في ٧ محرم ٦٩٦هـ (١٢٩٧م) وأنته الكتب من سائر نواب وأرجاء البلاد اليمانية بالمبايعة والسمع والطاعة - من ظفار عمان شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً ومن عدن جنوباً إلى مكة شمالاً، وقال الشاعر يوسف بن محمد العنسي:

القوسُ مُوترةٌ في كف باريتها فليعلم الناس قاصيها ودانيها
.. يهنئ المؤيد بل تهنى خلافته إني أهنيه - بل فيه - أهنيها
.. أملاك غسان ما انفكت دعائمها لما أتت من معاليه معاليها

[٣٤] - وقام المؤيد بعد تملكه بزيارة تفقدية لأرجاء البلاد وإقرار وتولية النواب والأمراء ومنهم أخوة الواثق نائب ظفار وابن راصع الكندي وابن قارس الكندي نواب الشحر وحضرموت وولى على صنعاء ومخاليقها ابنه المظفر حسن بن المؤيد، وقضى المؤيد عيد الأضحى ٦٩٦هـ بمدينة صنعاء، وأشاد به الشعراء ومنهم الشاعر يوسف العنسي بقصيدة منها قوله للمؤيد:

فالأرض إرثك كلها من تُبّع فاعقل حديثي، فالحديث شجون
عُمدان قصركم القديم، وقصركم صرواح كان، وقصركم بينون

ونزل المؤيد من تعز إلى عدن في شوال ٦٩٧هـ فأقام بها إلى عيد الأضحى، وعيد بها، فقال الشاعر عبد الله بن جعفر العفيف قصيدة منها:

.. وافى إلى عدن كمقدم جده سيف ابن ذي يزن الكريم أصولا

ومنها قوله مخاطباً المؤيد:

واستقبلت عدن جبينك والتقت فسي ملتقاه سعادة وقبولاً
فالشمس تحسد تاجك المعقود وا لإكليل يحسد ذلك الإكليلاً
أهزير غسان ابن قحطان الذي يدعوه في النسب القبيل قبيلاً
في كل يوم لا برحت مقابلاً فتحاً من الملك الجليل جليلاً =

قررها سلفه^[٣٥]، وانتهت هديته سنة إحدى عشرة وسبعمئة إلى مائتي وقر بعير بالثياب والتحف وطُرف اليمن ومائتين من الجمال والخيل، ثم بعث سنة خمس عشرة بمثل ذلك^[٣٦]، وفسد ما بينه وبين ملوك الترك بمصر وبعث هديته سنة ثماني عشرة فردّوها عليه^[٣٧]، ثم هلك سنة إحدى وعشرين وسبعمئة لخمس وعشرين سنة من ملكه، وكان فاضلاً شافعي المذهب، وجمع الكتب من سائر الأمصار، فاشتملت خزائنه على مائة ألف مجلد^[٣٨]، وكان يتفقد العلماء

= وكان عهد المؤيد الذي دام ٢٦ عاماً إلى ذي الحجة ٧٢١هـ (١٣٢١م) من أزهر العهود، حيث قال المؤرخ بامخرمة «كانت أيام المؤيد أحسن الأيام» وقال الباحث عبد الله الحبشي «كانت فترة حكم المؤيد فترة هدوء شامل» فبلغت اليمن أوج الرخاء في عهده وكانت مضرب الأمثال بين البلاد العربية والإسلامية في التقدم الثقافي والاقتصادي والرخاء والاستقرار.

[٣٥] - المقصود الملوك الهماليك لمصر والشام وهم بنو قلاوون آنذاك، ولم يكن هناك شيء اسمه ضريبة وإنما كانت هدايا إلى ملك مصر ودعماً مادياً لمصر في تصديدها للتتار، فلما انتصر جيش مصر والشام على التتار في موقعة مرج دابق - أو مرج الصفر (٧٠١هـ/ ٧٠٣هـ) بعث ملك مصر (الناصر محمد بن قلاوون) رسولاً ووفداً إلى الملك المؤيد يبشره بالنصر حيث - كما ذكر الخزرجي - «خرج وزراء وأعيان الدولة الرسولية يتلقون سفير ملك مصر، ودقت الطبول وتم إعلان السرور في البلاد» (اه) وقال الأمير الشاعر إدريس بن علي الحمزي مادحاً المؤيد ومشيراً إلى وصول وفود ملك مصر:

لم تأتكم الرسل من مصر وساكنها إلا مؤدبة حقاً لكم يجب

[٣٦] - بعث المؤيد بهدية عظيمة أيضاً إلى ملك مصر عام ٧٠٤هـ ذكرها الخزرجي، وتدل تلك الهدايا على عظمة وثناء دولة اليمن الرسولية.

[٣٧] - كان ذلك بسبب نوع من الصراع على السيادة والنفوذ في مكة، وكان شريف مكة (رميثة بن محمد بن قتادة) مسنوداً من الملك المؤيد ومرتبطاً به، فأرسل ملك مصر قوة إلى مكة - عام ٧١٨هـ - اعتقلت رميثة وولت أخاه عطيفة شريفاً على مكة، ثم وقع نوع من التفاهم عام ٧٢٠هـ فقام ملك مصر بإطلاق سراح رميثة واشترك مع أخيه عطيفة في الحكم وعادت العلاقة الودية بين المؤيد وملك مصر.

[٣٨] - كان ذلك من معالم النهضة العلمية والثقافية والأدبية اليمنية في عصر بني رسول، فقد كانت مكتبة المظفر (الخزانة السلطانية المظفرية) تضم عدداً ضخماً من الكتب المخطوطة لعلماء اليمن في علوم الطب والصناعة والزراعة والسياسة والحساب والجبر والمقابلة والمساحة والنحو واللغة وعلوم الدين، وكذلك الكتب التي جلبها المظفر من الأمصار، قال الفقيه محمد عبد الله الريمي «طلعت كتب الملك المظفر فوجدتها كلها مضبوطة بخط يده، حتى من رآها يقول: لم يكن للمظفر شغل طول عمره إلا بالعلم» (اه) واقتدى الأمراء النواب بالملك المظفر فكانت مكتبة عبد الله بن عباس الحجاجي المتوفى بتعز عام ٦٧٠هـ تضم خمسة آلاف مجلد ومكتبة أبي الخير بن منصور المتوفى عام ٦٨٠هـ تضم مائة أصل سوى المختصرات.

بصلاته، ويبعث لابن دقيق العيد فقيه الشافعية بمصر جوائزها [٣٩].

(*) قال المؤرخ ابن عبد المجيد في كتاب (بهجة الزمن): - «وكان المؤيد بن المظفر ملكاً حازماً فاضلاً محباً للعلوم مُقرباً لأهلها يستميلهم حيث كانوا، ويرغب فيهم، ويُرغبهم فيما عنده. . . وكان محباً لجمع الكتب والتحف، جمع من مصنفات العالم على اختلافها وتباينها ما ينيف على مائة ألف مجلد، وحُملت إليه الكتب والتحف من كل جهة، - وكان في ديوان مكتبة المؤيد - زيادة على عشرة نُسُخ ينسخون الكتب وترفع إلى خزائنه بعد مقابلتها وتحريرها» [ص ١٣٣] - وكان يتم توزيع الكتب المنسوخة على المدارس العلمية الجامعة في مدن اليمن، ومنها مدرسة وجامع المظفر بتعز وكان مثل الأزهر في مصر والقيروان في المغرب، وشهد عهد المظفر تشييد العديد من المدارس منها «المدرسة الأُسدية في أب - مدرسة جامع المهجيم في تهامة - مدرسة المغربية - ومدرسة في ظفار عمان - وجامع ومدرسة المحالب» كما تم في عهد الأشراف تشييد جامع ومدرسة الأشرافية بتعز، وفي عهد المؤيد تشييد المدرسة المؤيدية في تعز ومدرستين في زبيد، وقامت كريمته بتشيد مدرستين في ظفار (عمان).

(**) قال الإمام الشوكاني في (البدر الطالع): - «لما عرف الناس محبة المؤيد للفضائل قصدوه من الآفاق، وكان يباليغ في إنصافهم. . . واشتملت خزانة كتبه على مائتي ألف مجلد» [ص ٢٤٨ ج١] وجاء في كتاب (الدرر الكامنة) أنه «كان المؤيد يبعث إلى مصر وغيرها من يأتيه بالكتب المخطوطة النفيسة فيكافئ عليها بمئات الدنانير» (ص ١٠٠ ج١) ووصل إلى المؤيد نسخة جيدة من كتاب الأغاني بخط ياقوت المستعلي فبذل فيها مائتي دينار ذهباً.

[٣٩] - اجتذب المؤيد العلماء والمفكرين اليمنيين وكذلك العرب والمسلمين من الأقطار للتدريس في المدارس العلمية الجامعة باليمن، قال المؤرخ الجندي في كتاب السلوك «. . . وصل بعضهم باستدعاء المؤيد وبعضهم بسماع إحسانه» ومنهم بدر الدين حسن المختار الذي قال الخزرجي إنه «لم يكن في الديار المصرية والشامية من يضاهيه في علم الهيئة والهندسة والمنطق، وقد فرح المؤيد بوصوله فرحاً شديداً» (اه).

(*) وكذلك ازدهر الأدب والشعر والغناء في اليمن ازدهاراً غير مسبوق، وظهر فن الشعر الحميني اليمني الغنائي لأول مرة حيث كما جاء في كتاب غاية الأمانى وكتاب ديوان شرف الدين «كان أول من قال الشعر الحميني أحمد بن فليته وعبد الله المزاح وكلاهما في الدولة الغسانية» (اه) وكان ابن فليته أثيراً عند المؤيد، ومن شعره الحميني قصيدة:

لسي في ربا حاجر غزيرل أغيد ساجي السدنا

كما انتشر شعر الموشحات، قال الخزرجي «ويشتمل ديوان ابن فليته على ألوان من الشعر لم تكن معهودة بين الأدياء مثل الموشحات والدوبيت والجلأوي. . . والحميني» (اه) وتؤكد الموشحات والقصائد العلاقة الوثيقة بالأندلس التي كانت فيها آنذاك دولة بني الأحمر في غرناطة بالأندلس (٦٢٩ - ٨٧٩هـ) ونلمس تلك العلاقة في قصيدة ابن فليته:

رشا بالهجر يهدده اسهرني السليل ويرقسده

(*) وقام المؤيد بتشيد قصر عظيم بمدينة تعز هو (قصر المعقلي) وتدل أوصافه على أنه كان مثل قصر الحمراء في غرناطة بالأندلس حيث كان في القصر «بركة على حافتها تماثيل ترمي الماء =

المجاهد بن المؤيد بن المظفر [٤٠]

ولما توفي المؤيد داود سنة إحدى وعشرين كما قلناه، قام بملكه ابنه المجاهد سيف الدين علي، ابن اثنتي عشرة سنة [٤١]، فلما ملك المجاهد علي، شغل بلذاته وأساء السيرة في أهل المناصب الدينية بالعزل والاستبدال بغير حق، فنكره أهل الدولة وانتقض عليه جلال الدين ابن عمه عمر الأشرف وزحف إليه، وكانت بينهما حروب ووقائع كان النصر فيها للمجاهد، وغلب على جلال الدين وحبس، والله أعلم [٤٢]، وبعد أن قبض المجاهد على جلال

= من أفواهاها، وشاذروان بعيد المدى» وكان في القصر «مجلس بسقفين مذهبين بغير أعمدة، وأربعة مناظر بأربعة رواشن ومبانٍ عجيبة..» قال ابن فليته:

.. وللجداول بين الروض رقرقة والماء ما بين تخدير وتصعيد
دارت تماثيل طير في جوانبها تمج ماء ولم تنطق بتغريد

(**) وتوفي المؤيد في ذي الحجة ٧٢١هـ (١٣٢١م) وقد عاصره من ملوك بني الأحمر الأزديين اليمانيين في غرناطة بالأندلس الملك محمد بن الغالب بالله ثاني ملوك بني الأحمر (٦٧١ - ٧٠١هـ) ثم محمد بن محمد بن الغالب (٧٠١ - ٧٠٨هـ) ثم نصر بن محمد (٧٠٨ - ٧١٣) ثم أبو الوليد إسماعيل.

[٤٠] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي لتمييز عهد الملك المجاهد بن الملك المؤيد بن الملك المظفر بن الملك المنصور الرسولي الغساني، خامس ملوك دولة اليمن الرسولية الغسانية، وينطبق عليه قول الشاعر عبد الله بن جعفر بن العفيف في المؤيد:

.. ورثت دولة غسان كما ورثت أباؤك الغلب من أجدادك الصيد
فالأرض مُشرقة، والسُحُبُ مغدقة، والنبت ما بين مخضود ومنضود

[٤١] - الصواب أن سن المجاهد يوم تملكه كان خمس عشرة سنة وخمسة أشهر و١٨ يوماً - كما في كتاب بهجة الزمن - ويؤيد ذلك أن مولد المجاهد كان يوم ١٣ جمادى الآخرة ٧٠٦هـ بمدينة تعز، فتلقى التعليم في مدارسها العلمية الجامعة وعلى يد بعض العلماء والأساتذة، وواصل تحصيل العلم حتى بعد تملكه، وقد دام عهد المجاهد اثنتين وأربعين سنة منذ تملكه في ذي الحجة ٧٢١هـ حتى وفاته في ٢٥ جمادى الأولى ٧٦٤هـ ويوافق ذلك (١٣٢٢ - ١٣٦٣هـ).

[٤٢] - لم نقف على أن المجاهد «.. شغل بلذاته وأساء السيرة في أهل المناصب..» وإنه «لم يزل مشتغلاً بلهوه عاكفاً على لذاته» كما قال ابن خلدون، وقد وصفه المؤرخ بامخرمة في تاريخ ثغر عدن قائلاً «كان المجاهد عالي الهمة شريف النفس، أديباً عاقلاً لبيباً أديباً فقيهاً نبياً شاعراً فصيحاً جواداً» [ص ١٥٠] كما أشاد به الخرجي وذكر أن «للمجاهد ديوان شعر» وله أيضاً عدة مؤلفات من بينها كتاب في الطب بعنوان «الأقوال الكافية والفصول الشافية» وله منجزات دينية وعمرانية كثيرة =

الدين ابن عمه الأشرف وحبسه، لم يزل مشتغلاً بلهوه عاكفاً على لذاته (٤٢)، وضجر منه أهل الدولة وداخلهم جلال الدين في خلعه فوافقوه، فرحل إلى [٤٣] سنة اثنتين وعشرين، فخرج جلال الدين من محبسه وهجم عليه في بعض البساتين وفتك بحرمه وقبض عليه، وباع لعمه المنصور أيوب بن المظفر يوسف، واعتقل المجاهد عنده في تعز، واطلق جلال الدين ابن عمه، والله أعلم بغيه [٤٤].

خلع المنصور أيوب ومقتله

وعود المجاهد إلى ملكه ومنازعة الظاهر بن المنصور أيوب له [٤٥]

ولما حُبس المجاهد بقلعة تعز واستقل المنصور بالملك، اجتمع شيعة المجاهد وهجموا على المنصور في بيته بتعز وحسوه وأخرجوا المجاهد وأعادوه

= منها: تشييد مدرسة المجاهدية وجامعها بتعز، ومسجد ذي مدرسة في زبيد عند بستان الراحة ومسجد في النويدرة وقام بعمارة زيادة كبيرة في جامع عدينة، كما قام - في عام ٧٤٠هـ - بتشيد المدرسة المجاهدية في مكة المكرمة وأوقف عليها المجاهد وقوفات جليلة.

وأشاد به علماء وأدباء اليمن في عهده، وكان من علماء عهده البارزين عبد الله بن محمد الخزرجي الذي تولى التعليم في المدرسة المجاهدية وألف كتاب (العقود اللؤلؤية) وتوفي أيام المجاهد عام ٧٥٣هـ والمؤرخ عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني مؤلف كتاب (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) توفي عام ٧٤٣هـ (١٣٤٣م) والعالم يحيى بن حمزة صاحب المصنفات الزيدية (توفي عام ٧٤٧هـ) والمؤرخ الجندي صاحب كتاب (السلوك في طبقات العلماء والملوك) وقد ولاه المجاهد حسبة مدينة عدن ثم حسبة زبيد، وتوفي أيام المجاهد عام ٧٣٠هـ وأبو بكر الهاملي مؤلف كتاب في علم الحساب والجبر وتوفي بمدينة جبلة عام ٧٦٩هـ وقد تواصلت النهضة الثقافية والعلمية والأدبية اليمنية في عهد المجاهد كما انتشر الترف والرخاء وبناء القصور العظيمة الباذخة ومجالس الفن والغناء . .

[٤٣] - هكذا في الأصل «فرحل إلى سنة اثنتين وعشرين».

[٤٤] - كان اعتقال المجاهد وتمليك عمه المنصور أيوب بن المظفر في جمادى الآخرة ٧٢٢هـ بمثابة انقلاب يعود إلى التنافس على الحكم وصغر سن المجاهد، وما لبث أن فشل الانقلاب وعاد المجاهد إلى الحكم في رمضان ٧٢٢هـ كما يأتي.

[٤٥] - يدل هذا العنوان الفرعي وغيرها من العناوين الفرعية عن أخبار عهد المجاهد بأن ابن خلدون كان يتابع أخبار اليمن في عهد المجاهد ويؤرخها حسب وصولها إليه في مصر أولاً بأول، ولذلك توسع ابن خلدون في تسجيل أخبار عهد المجاهد في عدة صفحات، بينما لم يتجاوز حديثه عن غيره من الملوك السابقين العظماء عدة سطور.

إلى مُلكه ورجعوا إلى طاعته^[٤٦]، وكان أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بالدملوة^[٤٧] فعصى عليه وامتنع بها، وكتب إليه المجاهد يهدده بقتل أبيه، فلجّ واتسع الخرق بينهما وعظمت الفتنة وافترق عليهما العرب وكثر عيْثهم وكثر الفساد^[٤٨] وبعث المنصور من محبسه إلى ابنه عبد الله أن يسلم الدملوة خوفاً على نفسه من القتل، فأبى عبد الله ذلك وأساء الرد على أبيه، ولما يئس المجاهد منه قتل أباه المنصور أيوب بن المظفر في محبسه^[٤٩]، واجتمع أهل الدملوة وكبيرهم الشريف ابن حمزة^[٥٠] وبايعوا أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب، وبعثوا عسكرياً مع الشهاب الصفوي إلى زبيد فحاصروها وفتحوها^[٥١]، وجهاز المجاهد عساكره إليها مع قائده علي بن الدوادار^[٥٢] ولما قاربوا زبيد أصابهم سيل، وبيّتهم

[٤٦] - وذلك في رمضان ٧٢٢هـ وكان للسيدة (جهة صلاح أم المجاهد) الدور الرئيسي في ذلك، فهي التي استمالت وشجعت بعض القادة والرجال وبذلت لهم الرغائب فاقتحموا حصن تعز وأخرجوا المجاهد ثم هجموا على دار الملوكية واعتقلوا المنصور، ويبدو أن السيدة جهة صلاح أم المجاهد هي التي كانت تمسك بزمام الأمور في أوائل عهد المجاهد حيث كان صغير السن.

[٤٧] - حصن الدملوة في ناحية الصلوة بلواء تعز حالياً، وكان حصن الدملوة مركز إدارة مخلاف المعافر وفيه نائب وقوة عسكرية.

[٤٨] - المقصود بقوله «وافترق عليهما العرب» يعني بالعرب، إما القبائل (الأعراب) وإما الجنود العرب لأن الجيش كان فيه مماليك وأكراد إلى جانب اليمانيين العرب في عصر الدولة الرسولية حيث تم تجنيد بعض المماليك والأكراد في الجيش.

[٤٩] - قال بامخرمة «توفي المنصور في حبس المجاهد في شهر صفر من سنة ٧٢٣هـ» [ص ١٤٠ ج ٢ تاريخ ثغر عدن].

[٥٠] - كان قائداً لحصن الدملوة، وقد كان الأمير الشاعر إدريس بن علي بن (الإمام) عبد الله بن حمزة من أمراء وشعراء عهد المؤيد، وقال مهنتاً المؤيد بالعيد وبتشيد قصر المعقلي في ثعبات بتعز قصيدة منها:

تُهْنئُ بك العشر الكريمة والشهر
تبدى لنا من بين أركانه الفجر
ولا غرو أن يزهبك الدست والصدر
.. وأشرق نور المعقلي كأنما
.. زها حينما حلّ ابن جفنة صدره

والمقصود بابن جفنة الملك المؤيد لأن بني رسول من بني جفنة الغسانيين القحطانيين الذين منهم كان ملوك الشام.

[٥١] - كان العسكر من المماليك والأكراد ثم أمدهم الظاهر بعسكر كثيف من العرب بقيادة الغياث الشيباني.

[٥٢] - الصواب (ابن الدويدار) وهو (علي بن الدويدار العلهي) أما الذي سيطر على عدن فهو أخوه عمر بن الدويدار العلهي.

أهل زبيد فنالوا منهم وأسروا أمراءهم^[٥٣]، واتهم المجاهد قائده علي بن الدوادار بمدخلة عدوه فكتب إليه أن يسير إلى عدن لتحصيل أموالها وكتب إلى والي عدن بالقبض عليه، ووقع الكتاب بيد الظاهر فبعث به إلى الدوادار، فرجع إلى عدن وحاصرها وفتحها وخطب بها للظاهر سنة ثلاث وعشرين ومثلك عدن^[٥٤]، ثم استمال صاحب صنعاء وحرص فقاموا بدعوة الظاهر، وبعث المجاهد إلى مذحج والأكراد يستنجدهم فلم ينجدوه وهو بحصن المعديّة^[٥٥] وكتب الظاهر إلى أشرف مكة وقاضيهما نجم الدين الطبري بأن الأمر قد استقر له باليمن، والله تعالى ولي التوفيق لا رب سواه.

وصول العساكر من مصر مدداً

المجاهد واستيلائه على أمره وصلحه مع الظاهر

ولما غلب الظاهر بن المنصور أيوب على قلاع اليمن وانتزعها من المجاهد وحاصره بقلعة المعديّة، بعث المجاهد سنة أربع وعشرين بصريخه إلى السلطان بمصر من الترك الناصر محمد بن قلاوون سنة خمس وعشرين، فبعث إليه العساكر مع بيبرس الحاجب وطنبال من أمراء دولته ووصلوا إليه سنة خمس وعشرين^[٥٦]، فسار إليهم المجاهد من حصن المعديّة بنواحي عدن إلى تعز فاستأمن إليه أهلها، فأمنهم^[٥٧] وراسلوا الظاهر في الصلح فأجاب على أن تكون له الدمولة وتحالفوا على ذلك^[٥٨]، وطلب أمراء الترك الشهاب الصفوي الذي أنشاء الفتنة بين المجاهد

[٥٣] - تمكنت قوات المجاهد من السيطرة على زبيد في وقت لاحق.

[٥٤] - استعاد المجاهد عدن بتدبير والدته السيدة (جهة صلاح) كما في تاريخ ثغر عدن.

[٥٥] - قال ابن خلدون في فقرة لاحقة إن حصن المعديّة في عدن.

[٥٦] - وصلت نصره ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون إلى ملك اليمن المجاهد بن المؤيد

في رجب ٦٢٥هـ وهم ألفا فارس من المماليك وألفا راجل صحبة محمد بن مؤمن ومعهم ١٢ ألف جمل تحمل أزوادهم وعتادهم، فتلقاهم المجاهد إلى القوز الكبير فترجلوا له وساروا في خدمته إلى زبيد ثم توجه المجاهد وجيشه معهم إلى تعز.

[٥٧] - بل سار إليهم المجاهد واستقبلهم في تهامة ثم تقدم معهم من زبيد إلى تعز فاستأمن إليه المواليون للظاهر في تعز.

[٥٨] - كان الظاهر في حصن الدمولة فسارت إليه فرقة من المماليك وقادتهم فأكرمهم، وقدم

لهم مكاتبة (وثيقة) تشهد بأنه أرشد وأكفأ من المجاهد، مما يعني أن ذلك سبب خروجه وتمرده على المجاهد، وآل الأمر إلى الصلح على أن يكون الظاهر نائباً للمجاهد على الدمولة مركز مخالف المعافر كما في نص ابن خلدون.

والظاهر فامتنع من أجابتهم فركب بيبرس وهجم عليه في خيمته وقتله بسوق الخيل بتعز،
وأثخنوا في العصاة على المجاهد في كل ناحية حتى اطاعوا، وتمهد له المُلْك [٥٩]،
ورجعت العساكر إلى مصر سنة ست وعشرين [٦٠]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

نزول الظاهر للمجاهد عن الدملة ومقتله

ولما استقام الأمر للمجاهد باليمن، واستخلف الظاهر على الدملة، أخذ
المجاهد في تأنيسه وإحكام الوصلة به حتى اطمأن، وهو يفتل له في الذروة
والغارب، حتى نزل له عن الدملة وولى عليها من قبله، وصار الظاهر في
جملته، ثم قبض عليه وحبسه بقلعة تعز، ثم قتله في محبسه سنة أربع
وثلاثين [٦١]، والله أعلم.

[٥٩] - لما استقام الأمر للمجاهد - غالباً - قال المجاهد قصيدة منها:

نلتُ أنا العز بأطراف القنا ليس بالعجز المعالي تُجتنني
نحن (بالعزم) ملكنا اليمن كلّ فخريّ دعى الناس لنا
أعرقُ العالم في المُلْك أنا
أنا تُبيلُ المُلْك زين الكتب يوسف جدي وداود أبي
والشهيد القُرْم زكي الحساب
وعليّ القيل عالي المنصب جَدُّنا بعد رسول جَدُّنا
إن تكن أضحت علاهم خيرا
فالعُلا مني بالعين تُرى أنا كالليث إذا ما زأرا
أنا كالبحر إذا ما زخرا
المنايا في يميني والْمُنَا .. شيمٌ تُشبه تلك الشيما
يمن لي من جُدودي القُدما
ثم مُلك الشام من ماء السما يَعشُرون الناسَ طرّاً أرغما
من هنا أو من هنا أو من هنا»

أما الإمام المطهر بن محمد بن المطهر فكان نائبا ومن قادة ورجال عهد الملك المجاهد،
وقال لأحد الهادويين المتمردين:

.. أغرك إرخاء المجاهد ستره عليك ولم ينهلك منه الذي يُخشى
عفا عنك صفحاً في النهار إذ اتجلنى بفضل وإحسان وفي الليل إذ يُغشى

[٦٠] - كان رحيل المماليك المصريين في شعبان ٦٢٥هـ ثم أرسل المجاهد القاضي محمد بن
مؤمن بهدية سنية إلى ملك مصر عام ٦٢٦هـ.

[٦١] - كان المجاهد قد أمر بإيداع الظاهر في حصن تعز وأنزلوه دار الإمارة فأقام هنالك معزراً
مكرماً حتى مات موتاً طبيعياً في شهر ربيع ٦٣٤هـ.

حج المجاهد بن المؤيد وواقعه

مع أمراء مصر واعتقاله بالكرك ثم إطلاقه ورجوعه إلى ملكه [٦٢]

ثم حج المجاهد سنة إحدى وخمسين، أيام حسن الناصري

[٦٢] - لم يذكر ابن خلدون خلفية هذه الواقعة والتي تتمثل في الصراع على السيادة والنفوذ في مكة المكرمة بين دولة اليمن الرسولية الغسانية ودولة المماليك التركمان في مصر، لذلك فمن المفيد الإشارة هنا إلى ما يلي:

أولاً: - انضوت مكة المكرمة وأعمالها في دولة اليمن الرسولية الغسانية منذ عهد الملك المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني (٦٢٩ - ٦٤٧هـ/١٢٣٢ - ١٢٤٩م) وقد تقدمت النصوص بأنه: قام المنصور ونوابه بضبط مكة والحجاز قياماً مرضياً، وكانت أيام المنصور غرراً، عمر فيها أهل مكة الدور، ورخص الطعام، وكثرت الخيرات. . . وقام المنصور ببناء حصون بين مكة والمدينة وشراء وتحصين حصن ينبع وترتيب العساكر في جبل البرك، . وعمل المنصور قناديل للكعبة من الذهب والفضة عام ٧٣٢هـ. . . وقام ببناء المدرسة المنصورية بمكة. . . ولم تزل مكة بيد المنصور ونوابه حتى وفاة المنصور.

ثانياً: - قام الملك المظفر يوسف بن المنصور (٦٤٧ - ٦٩٤هـ/١٢٤٩ - ١٢٩٥م) بكسوة الكعبة كسوة عظيمة لما حج في موكب عظيم عام ٦٥١هـ وتصدق بصدقات جزيلة في مكة والمدينة، حيث قال الشاعر ابن هتمل مادحاً المظفر:

وكسوت بيت الله أعظم كسوة نُشرت عليه وكان كالعريان

.. (الخ).

وفي عام ٦٥٩هـ حج المظفر في موكب عظيم وعسكر كثيف، وقام بتركيب باب من الساج للكعبة، وفي عام ٦٦٥هـ أمر المظفر بتحلية باب الكعبة بالذهب والفضة. . فكان الباب المظفري للكعبة رمزاً لسيادة دولة اليمن على مكة، وكان أشرف مكة (بنو قتادة الحسينون) مرتبطين بدولة اليمن الرسولية وملوكها إلى عهد الملك المؤيد.

ثالثاً: - في عهد الملك المؤيد بن المظفر (٥٩٦ - ٧٢١هـ/١٢٩٦ - ١٣٢١م) بدأ الصراع مع مماليك مصر على السيادة والنفوذ في مكة، «فأرسل المؤيد جيشاً رابط في مكة عام ٧٠٣هـ بقيادة الأمير موسى بن أبي بكر الرسولي وأمره المؤيد بعمارة وتحصين جبل البرك» وتم تثبيت سلطة الشريف رميثة بن محمد بن قتادة كشراف على مكة ومرتبطة بدولة اليمن، ثم في عام ٧١٨هـ أرسل ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون قوة إلى مكة وقام باعتقال الشريف مكة (رميثة) وتولية أخيه (عطيفة) مكانه، ثم وقع نوع من التفاهم بين المؤيد وملك مصر فاشترك رميثة وعطيفة في حكم مكة (٧٢٠/٧٢١م) واستمر الأمر كذلك في مكة إلى أيام المجاهد.

رابعاً: - في عهد المجاهد بن المؤيد (٧٢٢ - ٧٦٤هـ/١٣٢٢ - ١٣٦٣م) ساهمت الفتن التي شهدتها اليمن وحركات التمرد على المجاهد في سيطرة مماليك مصر على مكة، وربما تم استغلال مساعدة ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون للمجاهد عام ٦٢٥هـ - كما تقدم - في وقوع ذلك، وهو ما تجلى عام ٧٣٣هـ حيث قام حسن بن قلاوون ملك مصر بقلع الباب =

الأولى^[٦٣]، وهي السنة التي حج فيها طاز كافل المملكة أميراً وحج بيقاورس الكافل الآخر مقيداً لأن السلطان أمر طاز بالقبض عليه في طريقه، فلما قبض عليه رغب منه أن يخلي سبيله لأداء فرضه فأجابه وحج مقيداً، وجاء المجاهد ملك اليمن للحج^[٦٤]، وشاع عنه أنه يروم كسوة الكعبة^[٦٥]، فتنكر أمراء مصر وعساكرها لأهل اليمن، ووقعت في بعض الأيام هبة في ركب اليمن فتحاربوا، وانهزم وذهب سواده وركب أهل اليمن كافة، وأطلق بيقاورس للقتال فجلا في تلك الوقعة وأعيد إلى اعتقاله، وحُمل المجاهد إلى مصر مُعتقلاً، فحُبس^[٦٦]، ثم

= المظفري اليمني للكعبة وتركيب باب حديدي للكعبة، وكان باب المظفر - كما ذكر ابن كثير - «كان من الخشب الساج وعليه صفائح من الفضة ومكتوب على الفردتين اسم ملك اليمن، وعبارة: اللهم يا وليّ، اغفر ليوسف بن عمر بن علي» [ص ١٦٢ ج ٤ - ابن كثير].
 خامساً: - إن الملك المجاهد سعى لإعادة تثبيت نفوذ دولة اليمن الرسولية على مكة، فأمر - سنة ٧٤٠هـ - بعمارة مدرسته بمكة المكرمة وأوقف عليه أوقافاً جزيلة، وفي عام ٧٤٢هـ سار المجاهد إلى مكة في عسكر كبير لأداء فريضة الحج وكان في خدمته الشريف ثقبه بن شريف مكة رميثة فلما بلغ المجاهد يلملم تصدق بصدقات عظيمة على أهل مكة وأتاه الشريف رميثة إلى يلملم فأعطاه المجاهد أربعين ألف درهم مجاهدية وغير ذلك من الخيل والبغال والكسوة والطبوق وخلع عليه وعلى من معه، وحضر خدمة المجاهد أميرا الحاج المصري والشامي فخلع عليهما، ولكن أشراف مكة لم يوافقوا على قيام المجاهد بكسوة الكعبة وتركيب باب للكعبة، لأن ذلك سيثير حرباً مع ملك مصر الحسن بن قلاوون، ففضى المجاهد حجه وعاد إلى اليمن وهو متغير على أشراف مكة (بني قتادة) أو على بعضهم وربما وقع اتفاق على موعد أنسب، وربما كان ثقبه بن رميثة وأخواه سند ومغامس يميلون إلى ملك اليمن، وأخوهم عجلان يميل إلى ممالك مصر.

[٦٣] - يعني الحسن بن الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر، وكان عجلان بن رميثة قد أصبح أميراً لمكة وطرده إخوته ثقبه وسند ومغامس.

[٦٤] - كان مسير الملك المجاهد للحج عام ٦٥١هـ ومعه الشريف ثقبه بن رميثة وأخواه سند ومغامس.

[٦٥] - أغرى عجلان بن رميثة أمير مكة المماليك المصريين بالملك المجاهد وأقسم لهم أن: المجاهد يريد أن يكسو الكعبة ويغير بابكم ويولي على مكة غيري، فقبلوا منه لأن المجاهد لم يلتفت إليهم وتجاهلهم بمكة.

[٦٦] - لم يكن المجاهد يتوقع تلك الحرب بمكة وكثرة عساكر المماليك الذين فاجأوه بالهجوم بقيادة أميرهم طاز يوم النفر الأول وقد قال المجاهد في ذلك الموقف:

إذا ما المنيا لم تزر ببلادنا ركبنا المطايا للمنيا نزرورها

أدرنا رحى الدنيا لكي تستوي لنا ومن قبلنا أعييت على من يديرها

ولما حوصر المجاهد مع بعض جنوده في جبل منى، استسلم - حقناً للدماء - وأمر عساكره =

أطلق سنة اثنتين وخمسين في دولة الصالح^[٦٧]، وبعثوا معه قشتمر المنصوري إلى بلاده، فلما انتهى إلى ينبع ظهر عليه قشتمر بأنه يروم الهرب^[٦٨] فرذه وحبسه بالكرك ثم أطلق بعد ذلك وأعيد إلى ملكه^[٦٩]، وأقام على مهادة صاحب مصر

= بالعودة مع والدته السيدة جهة صلاح إلى اليمن، وسار المجاهد مع المماليك معزراً مكرماً إلى الحسن بن قلاوون ملك مصر فأكرمه وأحسن إليه، وأنزله في أحد قصور الدولة فأقام إقامة جبرية بمصر نحو عشرة أشهر، وكانت السيدة جهة صلاح - والدة المجاهد - قد تولت الحكم في اليمن «وضبطت اليمن ضبطاً جيداً».

[٦٧] - وقعت آنذاك ثورة بمصر أسفرت عن خلع الحسن بن قلاوون وتولية أخيه الصالح بن محمد بن قلاوون وإطلاق الملك المجاهد، فسمح الصالح بعودة المجاهد إلى اليمن وبعث معه القائد قشتمر على رأس قوة من المماليك لمرافقته إلى اليمن.

[٦٨] - الصواب أن أمراً وصل إلى قشتمر من ابن قلاوون برد المجاهد وإيقافه في الكرك (بالأردن) ويبدو أن بعض أشرف مكة والحجاز كان لهم دور في ذلك فأقنعوا المماليك بأن المجاهد سيعود إلى بسط سيادته على مكة، فتم إيقاف المجاهد في الكرك نحو شهر واستمرت والدته في حكم اليمن، ولا بد أنها سعت في إنهاء المشكلة، وكتبت إلى ابن قلاوون بما يفيد عدم تعرض دولة اليمن وملوكها لشؤون مكة مستقبلاً والاعتراف بتبعية مكة وأشرفها لسيادة ممالك مصر فتم السماح بإطلاق المجاهد من الكرك وعودته إلى اليمن.

[٦٩] - عاد المجاهد إلى اليمن في ٧ ذي الحجة ٧٥٣هـ وتواصلت في بقية عهده الذي دام إلى عام ٧٦٤هـ النهضة العمرانية والثقافية والاقتصادية في اليمن، وكان المجاهد «هو الذي مدّن ثعبات وبنى سورها وبنى فيها المباني العجيبة والمسكن الرحيب» أي جعل منطقة ثعبات [وهي صالة حالياً] مدينة وهي موقع قصر المعقلي الذي بناه المؤيد وقام المجاهد بتفخيمه، قال المؤرخ الخزرجي «وقد أجمع أرباب الأسفار في الآفاق أنهم لم يشاهدوا مثل قصر المعقلي أبداً» (اه) ومما قيل في وصف القصر قصيدة للشاعر عبد الله بن جعفر العفيف منها:

هُنيت قصراً على كل القصور سما يا حبذا برج سعد فيه بدر سما
.. بين الحدائق والأعنان قد نشرت منه ثياب تلف الوهد والأكما
كأنما عاد غمندان كمبدئه وأظهر الله من أستساره إرما

وقد وصفت قصر المعقلي قصائد الشاعر أحمد بن فليته الحكمي والشاعر محمد بن إبراهيم بن زنفل وهما من أعلام شعراء اليمن في عهد المجاهد، ومن شعر ابن فليته في مدح المجاهد قصيدة غنائية رقيقة مطلعها:

فووتر المقلّة حلو المزاج أتعبني في حبه واستراح

وكذلك كان محمد بن إبراهيم بن زنفل «بارعاً في شعر الموشحات والمكسرات..» ومن قصائده الغنائية قصيدة يختتمها بمدح المجاهد، ومن أولها قوله:

.. فتلك الجاذر، بيض المحابر، سود الغدائر، زج الحواجب =

ومصانعته^[٧٠]، إلى أن توفي سنة ست وستين، لاثنتين وأربعين سنة من ملكه^[٧١].

ولاية الأفضل عباس بن المجاهد . . .

وولاية المنصور محمد بن الأفضل بن المجاهد

ولما توفي المجاهد سنة ست وستين، وُلِّي بعده ابنه الأفضل عباس^[٧٢]،

= ثقال الروادف، لُدن المعاطف، خضر المطارف، خمر المضارب»

وتدل أوصاف قصر المعقلي والقصائد الموشحات على علاقة بالأندلس التي شهدت في ذلك العصر قيام سابع ملوك بني الأحمر بالأندلس أبو يوسف الحجاج وابنه محمد (٧٣٣ - ٧٩٣هـ) ببناء الأقسام الرئيسية في قصر الحمراء بغرناطة وكان شبيهاً بقصر المعقلي.

[٧٠] - الأرجح أن العلاقات انقطعت مع ملوك مصر المماليك التركمان (بني قلاوون) في بقية عهد المجاهد وعهد ابنه الأفضل حتى سقوط ونهاية دولة المماليك التركمان وقيام دولة المماليك الجراكسة في مصر على يد الظاهر برقوق (٧٨٤ - ٨٠١هـ). فبادر الظاهر برقوق بإرسال وفد وهدية فخمة إلى الملك الأشرف بن الأفضل بن المجاهد (٧٧٨ - ٨٠٣هـ) وعادت العلاقات الممتازة.

[٧١] - توفي المجاهد بمدينة عدن في ٢٥ جمادى الأولى ٧٦٤هـ - وليس ٧٦٦هـ - وتم دفنه في المدرسة المجاهدية بتعز.

[٧٢] - هو الملك الأفضل عباس بن المجاهد بن المؤيد بن المظفر بن المنصور الرسولي الغساني، وتم تملكه غداة وفاة أبيه في ٢٥ جمادى الأولى ٧٦٤هـ - وليس ٧٦٦هـ - حيث - كما جاء في كتاب (عنوان الشرف) للعلامة ابن المقري «اتفق أهل الحل والعقد على إقامة الأفضل عباس، وكان من العلم والأدب والفضل بمنزلة» [ص ١٧٠ - عنوان الشرف].

وجاء في كتاب غاية الأمانى ليحيى بن الحسين أنه «كان الملك الأفضل عباس عالي الهمة، شديد البأس، حازماً يقظاً، نبياً فقيهاً، معظماً للعلم وأهله» [ص ٢٧/٥] وقال المؤرخ بامخرمة «كان الأفضل عباس ملكاً سعيداً عاقلاً رشيداً. عارفاً بالفقه والنحو واللغة والأنساب والتواريخ، ومشاركاً في غير ذلك من العلوم» [ص ١٠٦ ثغر عدن].

(*) وقام الأفضل عباس - قبل أن يتولى الحكم - بتأليف كتاب في السياسة بعنوان «نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء». كما ألّف كتاباً في الزراعة بعنوان (بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين) كما (اختصر تاريخ ابن خلكان واختصر تاريخ كنز الأخبار) وألّف كتاباً مختصراً في أنساب العرب والعجم.

(**) ولما تولى الأفضل عباس حكم اليمن قام بتشيد مدرسة علمية جامعة في ناحية الجبل بتعز وهي المدرسة الأفضلية وكانت نادرة المثل «بناها بأسلوب وهندسة رائعة من ثلاث طبقات، الطبقة الأولى: مربعة الشكل قوية الأركان، والطبقة الثانية: مثلثة الأركان، والطبقة الثالثة: مسدسة الشكل، وبنى على رأسها مثذنة طويلة لم يكن مثلها» وقد وصفها كتاب غاية الأمانى بأنها «منارة عجيبية المنظر فيها طبقة مربعة الشكل وأخرى مثلثة الأركان وطبقة مسدسة» كما قام الأفضل بتشيد «جامع المملاح خارج زيد، وقام بإصلاح وإعادة بناء سور مدينة زيد. . . =

واستقام له مُلك اليمن [٧٣]، إلى أن هلك سنة ثمان وسبعين، لاثنتي عشرة سنة من مُلكه [٧٤]، ولما توفي الأفضل عباس بن المجاهد، وُلِّي بعده ابنه المنصور محمد واستولى علي أمره، واجتمع جماعة من مماليكه سنة اثنتين وثمانين للثورة به

= كما قام ببناء مدرسة في مكة مقابلة للبيت العتيق وملاصقة للحرم من جهة المسعى . . وكان للأفضل قصر فخم بزيد سماه قصر الخورتق.

(***)) واستمر النشاط التجاري والبحري الواسع لليمن في المحيط الهندي والبحر الأحمر، وكانت عدن مركز ذلك النشاط في عصر بني رسول حيث وصفها ابن بطوطة بأنها «مرسى بلاد اليمن» وأنها «مدينة كبيرة . . وتأتي إليها المراكب العظيمة من (كناية) و(تانة) و(كولم) و(كالكوط) و(هنور) و(فندرانية) وغيرها من البلدان» وقال صلاح الدين برهان في كتاب (مسالك الأبصار) إن عدن - التي زارها آنذاك - بلد تجارة تأتي إليها المراكب من الحجاز والسند والهند والصين والحشة» (اه).

وفي عام ٦٧٨هـ «وصل إلى الملك الأفضل وفد ملك كناية (بالهند) ورسول ملك السند بالتحف والهدايا وغرسات شجر الفلفل» كما وصلت إلى الملك الأفضل - في عام ٧٧٠هـ - هدايا ملك كاليقوط - من بلاد الهند - وفيها غرائب الطيور والأشجار» وكانت «هدايا إمارات الساحل الإفريقي مثل دنكل وارتيريا ودهلك وسواكن إلى ملوك بني رسول تصل إلى ميناء الأهواب والموانئ الغربية».

[٧٣] - ذكر ابن خلدون في حديثه عن بني الرسي أئمة الزيدية بصعدة ظهور إمام منهم في ذلك العصر حيث قال: «وسمعت بمصر أن الإمام بصعدة كان قبل الثمانين والسبعمائة علي بن محمد من أعقاب الرسي وتوفي قبل الثمانين، وولَّى ابنه صلاح وبايعه الزيدية وكان بعضهم يقول ليس هو بإمام لعدم شروط الإمامة فيقول هو: أنا لكم ما شئتم إمام أو سلطان، ثم مات صلاح آخر سنة ثلاث وتسعين، وقام بعده ابنه نجاح وامتنع الزيدية من بيعته، فقال أنا محتسب لله، هذا ما بلغنا عنهم بمصر أيام المقام فيها والله وارث الأرض ومن عليها». انتهى - فأما الإمام علي بن محمد الهادي فادعى الإمامة وخرج على الدولة في جهات صعدة وحجة، وكان الإمام المطهر بن محمد بن مطهر نائباً للملك الأفضل في تلك الجهات، واشترك مع قوات الملك الأفضل في القضاء على التمردات، ومن شعره في ذلك قصيدة منها:

فلما استوى العباس في المُلك وانجلت دياجير للنظار في جُنحها اعشا
دعانا فلبينا دُعاه بعصبة ترش الثرى من ضربها بالدمارشا

ومات مدعي الإمامة المهدي علي بن محمد عام ٧٧٣هـ فبايع أتباعه من الهاديوية الزيدية ابنه صلاح الدين بالإمامة، وامتدت أعمال التمرد إلى ذمار فبعث الأفضل قوة إلى ذمار صدت الهاديوية عام ٧٧٧هـ واستمرت صنعاء وحجة وغيرها بيد نواب الملك المفضل وكان غالبية الزيدية مع الدولة والملك الأفضل ومنهم الإمام مطهر نائب حجة والحمزي نائب صنعاء.

[٧٤] - توفي الملك الأفضل يوم الجمعة ٢١ شعبان ٧٧٨هـ (١٣٧٦م).

وقتله، واطلع على شأنهم فهربوا إلى الدملاة وأخذهم العرب في طريقهم وجاؤوا بهم وعفا عنهم، واستمر في ملكه إلى أن هلك^[٧٥]، والله تعالى أعلم.

ولاية الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس

ولمّا توفي المنصور محمد بن الأفضل، ولي أخوه الأشرف إسماعيل^[٧٦]، واستقام أمره^[٧٧]، وهو صاحب اليمن لهذا العهد سنة ست وتسعين

[٧٥] - كان محمد بن الأفضل هذا من الأمراء النواب، لأن الذي تولى الملك بعد الأفضل إنما هو الأشرف إسماعيل بن الأفضل كما يأتي.

[٧٦] - هو سابع ملوك دولة اليمن الرسولية الغسانية الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس. . وكان مولده في ٤ ذي الحجة ٧٦١هـ أما تملكه فلم يكن بعد أخيه وإنما بعد وفاة أبيه الملك الأفضل يوم ٢١ شعبان ٧٧٨هـ (١٣٧٦هـ) حيث كما قال العلامة ابن المقري في عنوان المشرف أنه لما مات الأفضل «... أجمعت الأمة على ولده الباسل وصفوته الكامل السلطان الملك الأشرف إسماعيل من لا يختلف أحد في فضله ولا يأتي الزمان بملك مثله، وتمت له الخلافة يوم وفاة والده الأفضل [ص ١٧٢] وقال الإمام مطهر بن محمد بن مطهر (نائب حجة وما يليها من أعمال صنعاء) مهنتاً الأشرف قصيدة منها:

لم يَغْفِدُوا تاجاً ولا إكليلاً لخليفة أبدأ كإسماعيل
الأشرف المنصور والملك الذي ملك البسيطة عرضها والطولا

وهذا الشعر من الشواهد على أن الإمام المطهر كان من الأمراء النواب حتى وفاته بمدينة ذمار في عهد الأشرف (ح/ عام ٧٨٣هـ) وهو العام الذي سيطر فيه على صنعاء (الإمام) صلاح الدين بن علي بن محمد الهادي الذي تقدم ذكر ابن خلدون إياه وقد مات بصنعاء عام ٧٩٣هـ ويبدو أنه قد ارتبط بالدولة وأصبح من نوابها حيث جاء في كتاب (بلوغ المرام) أنه «كان أحد أعوان الأشرف» (اه) وقد كان الأشرف إسماعيل «واسع العلم وشارك في علوم جمّة وله مصنفات عديدة» قال ابن المقري - وهو من علماء اليمن في عهد الأشرف - «كانت نفسه تؤثّر العلم والعلماء» وقام الأشرف ببناء العديد من المدارس الجامعة والمساجد والمآثر العمرانية في أرجاء اليمن، قال بامخرمة «وقدم الأشرف إلى عدن فأبطل المكوس المحدثّة، وأوقف أرضاً بوادي لحج» (اه) وكذلك قام الأشرف بإلغاء الضرائب على العطب (القطن) تشجيعاً للمزارعين. . وكان الأشرف أول من قام بإدخال زراعة الأرز إلى اليمن حيث أمر بزراعة الأرز في وادي زبيد، ووصل إنتاج الأرز عام ٨٠٠هـ حمولة أكثر من سبعمائة جمل (ص ٣٦١ ج١/ العقود اللؤلؤية للخزرجي).

[٧٧] - استقام الأمر للملك الأشرف في اليمن وتواصلت نهضة وازدهار اليمن في عهده وتعاظمت المكانة الخارجية والدولية لليمن، وكان من مظاهر وشواهد ذلك أنه:

وسبعمائة^[٧٨]، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين - انتهى^[٧٩].

- = - في عام ٧٧٩هـ وصلت إلى الملك الأشرف هدية عظيمة من صاحب الهند.
- في عام ٧٨٣هـ وصلت إلى الأشرف هدية صاحب بلاد بنجالة وتانة وفيها تحف وقماش نفيس.
- في عام ٧٩٣هـ بعث صاحب بنجالة (ملك البنغال) هدية إلى الأشرف فيها تحف وطيور وأقوال.
- في عام ٧٩٥هـ استقبل الأشرف رسول صاحب كاليقوت (ملك كاليكوت بالهند) وقد حمل رسالة إلى الأشرف من الملك الهندي يخبره فيها بذكر اسمه والخطبة له على منابر الهند في خطبة الجمعة باعتبار الأشرف خليفة للمسلمين.
- في عام ٧٩٠هـ بعث ملك الصين هدية إلى الملك الأشرف فيها «من العجائب ما لم يدخل اليمن مثله من قبل» وقد بعث ملك الصين زينك زو zheng zhou / ١٥٠٣ - ١٤٢٤م) هدية إلى الناصر بن الأشرف عام ٨٢٣هـ قيمتها عشرون لكاً من الذهب حملتها ثلاثة مراكب إلى عدن فبعث الناصر بن الأشرف جواباً وهدية فاخرة إلى ملك الصين.
- وفي تلك الفترة «بعث الظاهر برقوق ملك مصر (٧٨٤ - ٨٠١هـ) هدية جلييلة إلى الملك الأشرف منها «نحو ثلاثين من المماليك وعدة جوار من الروميات والأرمينات، واثني عشر من جياذ الخيل، ومن الملبوس والمشموم شيء كثير».
- في عام ٧٩٨هـ كتب الأشرف رسالة جوابيه إلى الظاهر برقوق ملك مصر، وقد أورد نص الرسالة القلقشندي في كتاب (صبح الأعشى) باعتبارها نموذجاً للأدب النثري ورسائل الإنشاء والملوك في ذلك العصر.
- في ح/ عام ٧٩٦هـ استقبل الملك الأشرف وفدًا من «طغرخان سلطان دلهي» وكان الوفد برئاسة ابنه (كوجرشاه).

[٧٨] - أي في عهد وقت كتابة ابن خلدون لهذا - عام ٧٩٦هـ - وهو آخر خبر عن دولة بني رسول في تاريخ ابن خلدون حيث توفي ابن خلدون - رحمه الله عام ٨٠٨ هجرية، أما الملك الأشرف إسماعيل فقد توفي يوم ١٩ ربيع الأول ٨٠٣هـ فكان عهده من (٧٧٨ - ٨٠٣هـ/ ١٣٧٦ - ١٤٠٠م) ثم حكم بعده الملك الناصر بن الأشرف (٨٠٢ - ٨٢٧هـ/ ١٤٠٠ - ١٤٢٣م) وكان الناصر بن الأشرف آخر عظماء ملوك دولة اليمن الرسولية الغسانية، وقد وصفه ومدحه الفيروزآبادي صاحب كتاب (القاموس المحيط) الذي ألقه وأهداه إلى الناصر بن الأشرف؛ وصفه قائلاً بأنه:

مولى ملوك الأرض من في وجهه مقبّاس نُسور أيما مقبّاس
من أسرة، شُرُفت وجلّت فاعتلت عن أن يُقاس علاؤها بتقياس

[٧٩] - انتهى الفصل الخاص بدولة بني رسول في تاريخ ابن خلدون (ص ٥١٠ - ٥١٦/ ج٥).

الكلام على قواعد اليمن ومُدنه واحدة بعد واحدة [١]

اليمن: من جزيرة العرب، وتشتمل على كراسٍ سبع للملك [٢]، وهي على قسمين: تهامة والجبال، ففي تهامة مملكتان: مملكة زبيد ومملكة عدن، ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر من السرين في جهة الحجاز إلى آخر أعمال عدن دورة البحر الهندي [٣]. قال ابن سعيد: وجزيرة العرب في الإقليم الأول، ويحيط بها البحر الهندي من جنوبها وبحر السويس من غربها وبحر فارس من شرقها [٤].

[١] - جاء هذا الفصل في الجزء الرابع من تاريخ ابن خلدون عن «أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه». ثم مدنه وممالكه واحدة بعد واحدة» حيث اختتم ابن خلدون ذلك بهذا الفصل الذي استهله قائلاً: «ولنذكر الآن طرفاً من الكلام على قواعد اليمن ومدنه واحدة واحدة كما أشار إليه ابن سعيد» [ص ٢٢١ - ج٤] وابن سعيد هذا من مؤرخي المغرب، وقد اقتصر كلام ابن خلدون في ذلك الفصل على ما قبل قيام دولة بني رسول أو إلى بداية قيامها، ثم تحدث عن دولة بني رسول في الجزء الخامس كما تقدم.

[٢] - المقصود المدن والمناطق التي كانت عواصم لممالك اليمن في تلك العصور، وخاصة قبل قيام دولة بني رسول التي توحدت اليمن في عصورها. أو عواصم المخاليف والمناطق الإدارية في عصور وحدة دولة اليمن.

[٣] - كان مصطلح تهامة يشمل كل مناطق اليمن المنخفضة المتصلة بالبحر ابتداء من عسير وجيزان وأعالي تهامة اليمن - شمالاً - إلى آخر أعمال عدن وهي الشحر والمهرة وظفار المطلة على البحر العربي والمحيط الهندي كما هو مذكور بالتفصيل في صفة جزيرة العرب للهمداني.

[٤] - المقصود ببحر السويس البحر الأحمر، فتلك البحار الثلاثة تحيط بالجزيرة العربية، قال الهمداني في صفة جزيرة العرب «يفصل بين اليمن وباقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان وبرين إلى حد اليمامة فالى الهجيرة وأم جحدم حتى البحر (الأحمر).» (اه). بحيث كما قال ابن المجاور الدمشقي في كتاب (المستبصر - صفة بلاد اليمن والحجاز): «تشتمل اليمن على تهامة وعمان ومهرة وحضرموت وبلاد صنعاء وعدن وسائر مخاليف اليمن» [ص ٣٩] وقال المسعودي في مروج الذهب «وبلد اليمن طويل عريض، حده - طولاً - مما يلي مكة إلى عدن. . والحد الثاني - عرضاً - من وادي وجا (بالطائف) إلى مفاوز حضرموت وعمان» [ص ٨٩ ج٢].

وكانت اليمن قديماً للتبابعة^[٥]، وهي أخصب من الحجاز، وأكثر أهلها القحطانية، وفيها من عنز بن وائل^[٦]، ومُلكها لهذا العهد لبني رسول موالي بني أيوب^[٧] ودار مُلكهم تعز، بعد أن نزلوا الجوّة أولاً، وبصعدة من اليمن أئمة الزيدية.

زيد: وهي من مملكة اليمن، شمالها الحجاز وجنوبها البحر الهندي وغربها بحر السويس^[٨]، اختطها محمد بن زياد أيام المأمون سنة أربع ومائتين^[٩]، وهي مدينة مسورة، تدخلها عين جارية جلبها الملوك، وعليها غيطان نخل يسكنونها أيام الغلة، وهي الآن من ممالك بني رسول^[١٠]، وبها

[٥] - المقصود أن اليمن كان موحداً كدولة واحدة في عصور ملوك سبأ وحمير التبابعة وهي عصور الحضارة القديمة قبل الإسلام والتي تحدث ابن خلدون عنها في الفصول الأولى، ومنها العصور التي حمل ملوك اليمن فيها لقب «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابهم طوداً وتهامت» كناية عن تقسيم اليمن آنذاك إلى عدة أقسام ومخالف إدارية كما سلف التبيين في الهوامش.

[٦] - عنز بن وائل من قبائل ربيعة، وكانت ربيعة من قبائل اليمن بمنطقة تهامة قديماً ثم انتقلت إلى نجد والخليج وبقي بعضهم باليمن.

[٧] - المقصود عودة وحدة دولة اليمن في ظل بني رسول ملوك اليمن، وكانوا من ولاية مناطق اليمن في عصر بني أيوب لا من موالي بني أيوب كما توهم ابن سعيد وهم في الأصل من قبيلة غسان العربية القحطانية كما سلف التبيين في أخبار دولة بني رسول.

[٨] - المقصود بهذا التحديد الجغرافي مخالف زيد، أي نواحي تهامة التي كانت مدينة زيد عاصمتها الإدارية، وكانت أعمال زيد في عصر الدولة الصليحية تمتد إلى قرب عدن - جنوباً - وتخوم الحجاز - شمالاً.

[٩] - تم اختطاط مدينة زيد في شعبان ٢٠٤ هجرية (٨١٩ ميلادية) وقد تقدم أنها كانت عاصمة الدولة الزيادية ومقر ملوكها (بني زياد) ثم عاصمة مخالف زيد (تهامة) في عصر الدولة الصليحية وبعد ذلك، وكانت أعمال زيد تشمل كما في تاريخ عمارة (الجزر البحرية) وهي كل الجزر اليمنية في البحر الأحمر ومنها زقر وحنيش وكمدان وفرسان وكذلك جزر زيلع ودهلك في الساحل الأريتري وكانت تابعة لليمن في عصر بني رسول.

[١٠] - بلغت زيد ذروة ازدهارها في عصر دولة بني رسول التي كانت تشمل كل اليمن وكانت زيد من المدن الرئيسية وتأسست فيها عشرات المدارس العلمية الجامعة وكان من قصور ملوك بني رسول فيها (قصر الخورنق) وأدخل الملك الأشرف زراعة الأرز في وادي زيد بحيث وصل إنتاج الأرز سنوياً حمولة أكثر من سبعمئة جمل، وكان يقام في زيد احتفال سنوي زراعي يسمى (عيد النخل) ولما زار اليمن (كوجرشاه بن طغرخان سلطان دلهي) استقبله الملك الأشرف بزويد وحضر احتفال الأشرف بعيد النخل هناك (عام ٧٩٦هـ) . . وفي زيد عاش الفيروزآبادي مؤلف كتاب (القاموس المحيط) وبها توفي.

كان مُلك بني زياد ومواليهم ثم غلبهم عليها بنو الصليحي، وقد مرّ خبرهم .

عَثْرٌ وَحَلِيٌّ وَالشَّرْجَةُ: من أعمال زبيد في شماليها، وتُعرف بأعمال ابن طرف^[١١١]، مسيرة سبعة أيام في يومين من الشَّرْجَة إلى حَلِيٍّ، وبين حَلِيٍّ ومكة ثمانية أيام، وعَثْرٌ هي منبر المُلك وهي على البحر^[١١٢]، وكان سليمان بن طرف ممتنعاً بها على أبي الجيش بن زياد، وكان مبلغ ارتفاعه خمسمائة ألف دينار ثم دخل في طاعته وخطب له وحمل المال . ثم صارت هذه المملكة للسليمانيين من بني الحسن أمراء مكة حين طردهم الهواشم عن مكة، وكان غانم بن يحيى منهم يؤدي الأتاوة لصاحب زبيد وبه استعان مفلح الفاتكي على سرور، ثم ملك بعد غانم عيسى بن حمزة من بني^[١١٣]، ولما ملك الغزّ اليمن، أخذ يحيى أخو عيسى أسيراً وسبق إلى العراق فحاول عليه عيسى فتخلصه من الأسر ورجع إلى اليمن، فقتل أخاه عيسى وولّى مكانه^[١١٤].

المهجم: من أعمال زبيد، على ثلاث مراحل منها^[١١٥]، وعربها من سعد العشيرة من حكم وجُعفي قبيلتين منهم، ويُجلب منها الزنجبيل .

السَّرِين: آخر أعمال تهامة من اليمن، وهي على البحر، دون سور وبيوتها أخصاص^[١١٦]

[١١١] - كان ابن طرف الحكمي عاملاً لأعالي تهامة فسميت (أعمال ابن طرف) ثم سميت (المخلاف السليمانى) نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي، وكان المخلاف السليمانى يشمل جيزان وعسير بل هو جيزان وعسير حالياً .

[١١٢] - كانت مدينة عثر العاصمة الإدارية للمخلاف السليمانى .

[١١٣] - منهم وهاس بن غانم بن يحيى بن حمزة السليمانى الذى قتله عبد النبى بن علي بن مهدي لما امتلك تهامة وغيرها (٥٦١هـ) حتى العصر الأيوبى

[١١٤] - وقد كان ملوك بني رسول بعد ذلك يولون نواباً على المخلاف السليمانى من السليمانيين .

[١١٥] - كانت المهجم مدينة عظيمة تقع على هوة نهر وادي سررد وكانت عاصمة عدة نواح بتهامة في العصر الأول لدولة بني رسول وكان بها مسجد جامع له نحو ثلاثمائة قبة، ولم تبق منه إلا منارته المشرفة على الانهيار، وهي اليوم مقفرة موحشة كما قال الأكوخ في هامش كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني (ص ٧٥) .

[١١٦] - قال ابن الجاور الدمشقي في تحديد نطاق اليمن: «واليمن (هي) المشتملة على تهامة ونجد اليمن وعمان ومهرة وحضرموت وبلاد صنعاء وعدن وسائر مخاليف اليمن، فما كان من حدّ السَّرِين وهو ينتهي إلى ناحية يللمم حتى تنتهي إلى ظهر الطائف ممتداً إلى بحر اليمن (أي البحر الأحمر غرباً) وإلى بحر فارس (إلى الخليج العربى) شرقاً فهو من اليمن» [ص ٤٠ - المستبصر] ومؤدى ذلك أن موقع (السَّرِين) كان في تخوم الطائف أو في موقع الليث حالياً وهو حدّ اليمن .

وملكها راجح بن قتادة سلطان مكة أعوام الخمسين وستمائة، وله قلعة على نصف
مرحلة منها^[١٧].

الزرائب: من الأعمال الشمالية عن زبيد، وكانت لابن طرف، واجتمع له
فيها عشرون ألفاً من الحبشة، ولما ثار الداعي الصليحي لقيه بها في نحو من ثلاثة
آلاف فهزمه وقتل الحبشة الذين معه جميعاً^[١٨].

وقال ابن سعيد (الزرائب) في أعمال زبيد والأعمال التي في الطريق الوسطى
بين البحر والجبال، وهي في خط زبيد في شماليها وهي الجادة إلى مكة^[١٩]، قال

(*) وقد ذكر الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب بعنوان (مدن اليمن التهامية) ما يلي: «عدن
جنوبية تهامية... ولحج وبها الأصابع... وأبين وبها مدينة خنفر... وموزع والشقاق
والمندب... والحصيب وهي قرية زبيد... وقرى بواديها: حيس... والقحمة...
والكرداء... ثم المهجم وهي مدينة سردد... ومور... ثم الساعد من أرض حكم بن
سعد... ثم الهجر قرية ضمد وجزان (جيزان)، وفي بلد حكم (أي أعمال ابن طرف
الحكمي أو المخلاف السليماني) قرى كثيرة يقال لها المخارف وصبيا ثم بيش وساحله عثر
وهو سوق عظيم... وإلى حازة عثر تُنسب الأسود التي يقال لها أسود عثر وأسود عتود،
وهي (أي عتود) قرية من بواديها وقد ذكرها ابن مقبل فقال:

جلوساً بها الشم العجاف كأنهم أسود بئزج أو أسود بععود
وأم جحدم قرية - (على البحر) - وهي حد اليمن» [ص ٧٦، ٧٧ صفة جزيرة العرب] فتكون أم
جحدم هي السرين وهي في موقع الليث حالياً أو بين الليث والطائف على ساحل البحر الأحمر.
[١٧] - كان راجح بن قتادة شريفاً لمكة في عهد الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي الغساني
(٦٤٧ - ٦٩٤ هـ) فكان ابن قتادة مرتبطاً بدولة اليمن الرسولية الغسانية وبمثابة نائب وعامل
من نواب وعمال المظفر لأن سلطانه كان يشمل مكة.

[١٨] - كانت الزرائب من أعمال ابن طرف - أي المخلاف السليماني - في عسير حالياً، وكان
ابن طرف المقصود هنا عاملاً نائباً للملك علي بن محمد الصليحي (٤٣٩ - ٤٧٣ هـ) ثم
تمرد عام ٤٦٠ هـ واجتمع إليه الموالي من الحبشة واخلط الناس، قال المؤرخ عمارة
الحكمي: «... فسار إليهم الصليحي في ألفي فارس وسبعمئة فارس فالتقوا بالزرايب من
أعمال ابن طرف وهو الوطن الذي ولدت فيه وبها أهلي إلى اليوم... فاستخز القتل
(بالحبشة واخلط السودان أصحاب ابن طرف)... فلم يبق منهم إلا ألف احتازهم جدي
أحمد بن محمد في حصنه بعكوة، والعكوتان جبلان منيعان وفيهما يقول راجز الحاج:
إذا رأيت جبلي عكاد وعكوتين من مكان باد
فابشري يا عين بالرقاد

وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب» (اه).

[١٩] - أي أنها تقع في الطريق إلى مكة، وهي الطريق الوسطى لوجود طريق وسطى وطريق
ساحلية إلى مكة في تلك العصور.

عمارة: هي الجادة السلطانية^[٢٠] منها إلى البحر يوم أو دونه وكذلك إلى الجبال، وتجتمع الطريقان الوسطى والساحلية في السَّرين وتفتقران.

عدن: من ممالك اليمن، في جنوب زبيد، وهي كرسي عملها^[٢١]، وهي على ضفة البحر الهندي، وكانت بلد تجارة منذ أيام التبابعة^[٢٢] وبعدها عن خط الاستواء ثلاث عشرة درجة، ولا تنبت زرعاً ولا شجراً، ومعاشهم السمك، وهي ركاب الهند من اليمن^[٢٣].

[٢٠] - أي طريق الملوك أو الطريق التي شقها الملوك، وكان ملوك اليمن يسلكون ذلك الطريق في موكب عظيم كما في عصر دولة بني رسول، فقد جاء في كتاب عنوان الشرف لابن المقري أنه: «في شوال ٦٥١هـ سار الملك المظفر من اليمن في البر، والمراكب تسايه في البحر بما يحتاج إليه، ثم دخل مكة في عساكره مُلبياً محرماً، ودخل البيت وحمل القرية على يديه وأفاض بالماء على جوانبه غاسلاً له تقريباً إلى الله تعالى وكسا البيت وأدى فريضة الحج ثم عاد إلى اليمن» [ص ١٦٧] وأتاب المظفر على مكة الأمير مبارز الدين إلى جانب شريف مكة (راجع بن قتادة) وكذلك «في شوال ٦٥٩هـ سار المظفر من تعز إلى مكة فسلك طريق الساحل، والمراكب تسايه في البحر... فدخل المظفر مكة، فقضى مناسك الحج وتصدق بصدقات كثيرة» [ص ٤٥٠/ غاية الأمان].

[٢١] - كان عمل عدن يشمل عدن ولحج وأبين وقد يمتد إلى الشحر شرقاً وبعض المعافر (بمحافظة تعز) وكانت مدينة عدن هي كرسي عمل عدن (أي العاصمة الإدارية).

[٢٢] - أي منذ عصور ملوك سبأ وحمير التبابعة إلى زمن ابن خلدون بالقرن الثامن الهجري كما هي إلى أيامنا، وكان عصر دولة اليمن الرسولية الغسانية هو العصر الذي بلغت فيه عدن أوج الإزدهار التجاري والعمراني بعد الإسلام، حيث تؤكد الدراسات أن عصر بني رسول «أوسع العصور رخاءً وازدهاراً في عدن، وبلغ فيها النشاط التجاري حداً لم يبلغه من قبل ولا من بعد».

(*) وقد تحدث الرحالة الإيطالي (ماركو بولو) في كتاب رحلته إلى الشرق التي تمت في الفترة (١٢٧١ - ١٢٩٥م) - أيام الملك المظفر الرسولي الغساني (١٢٤٩ - ١٢٩٥م) أن «عدن تقصدها مراكب الهند (المحيط الهندي) موقرة بالبضائع، ويقوم التجار في عدن بنقل البضائع على مراكب صغيرة وبرا بالجمال إلى مصر وغيرها، كما تبخر من عدن المراكب محملة بأصناف السلع إلى جزر وبلاد الهند، وأن ملك عدن - (وهو المظفر ملك اليمن آنذاك) - يتقاضى رسوماً كبيرة على السفن والبضائع حتى قيل عنه إنه من أغنى سادات العالم» (أه).

(**) وقد بلغ إيراد ميناء عدن ونشاطها التجاري إلى خزانة الدولة في عام واحد من أعوام عهد الملك الأشرف إسماعيل - معاصر ابن خلدون - «مبلغ خمسمائة ألف من الدنانير عدا الذهب والقماش والطيب والتحف» وذلك عام ٧٩٦هـ وارتفع في عام ٨٠٢هـ أيام الأشرف إلى «سبع عشرة مئة ألف، ومن الأصناف ما قيمته ثلثمائة ألف دينار» (أه).

[٢٣] - أي مركز النشاط التجاري البحري إلى بلاد الهند ومع بلاد الهند والمحيط الهندي، وقد زارها في عصر بني رسول الرحالة ابن بطوطة وقال إنها «مرسى بلاد اليمن... وتأتي إليها المراكب =

وأول مُلكها لبني معن بن زائدة^[٢٤] استقاموا لبني زياد وأعطوهم الأتاوة، ولما ملك الصليحيون أقرهم الداعي بها، ثم أخرجهم ابنه أحمد المكرّم وولاها بني الكرم من جشم بن يام رهطه من همدان، وصفا المُلْك فيها لبني الزُرَيْع منهم وورثوا دعوة الصليحيين ومُلْكهم، وقد تقدم خبر ذلك كله، ولما ملك علي بن مهدي لم يظفر بها منهم وقع منهم بالأتاوة حتى ملكها من أيديهم شمس الدولة بن أيوب كما تقدّم^[٢٥].

عدن أبين: من بُنيات المدن وهي إلى جهة الشحر^[٢٦].

الرعارع: بأودية عدن، وكانت لبني مسعود بن الكرم المقارعين لبني الزريع^[٢٧].

الجوة: اختطها ملوك الزريعيين قرب عدن، ونزلها بنو أيوب ثم انتقلوا إلى تعز^[٢٨].

حصن ذي جبلة^[٢٩]: من حصون مخلاف جعفر^[٣٠] اختطه عبد الله الصليحي

= العظيمة من كنباية وتانة وكولم وكالكوط وهنور وفندرانبة وغيرها... كما زارها ووصفها آنذاك صلاح الدين برهان في كتاب مسالك الأبصار وقال إنها: «بلد تجارة تأتي إليها المراكب من الصين والسند والحيشة والحجاز».

[٢٤] - تقدم تبين أن بني معن أولئك هم بنو معن بن حوشب الكندي وليسوا من بني معن بن زائدة.

[٢٥] - كانت عدن وأعمالها جزءاً من دولة اليمن في العصر الصليحي وفي عصر الولاة الأيوبيين ثم في عصر بني رسول الذي دام ٢٣٠ سنة وغير ذلك من العصور السابقة واللاحقة كما هي الآن في ظل الجمهورية اليمنية.

[٢٦] - عدن أبين هي نفسها مدينة عدن وكانت أعمالها تمتد إلى جهة الشحر.

[٢٧] - الرعارع مدينة كانت في لحج، وقد تقدم ذكرها في خبر دولة بني زريع.

[٢٨] - الجوة مدينة كانت بمخلاف المعافر (محافظة تعز) وشملها حكم بني زريع وهي موجودة قبل عهدهم كما تقدم وإنما جددوها.

[٢٩] - المقصود بحصن ذي جبلة مدينة جبلة أو دار العز في جبلة لأنه مقر الإمارة... قال عمارة: «ويطل على ذي جبلة حصن التعكر وهي في سفحه وهي مدينة بين نهرين جاريتين في الصيف والشتاء» وتقع جبلة بين حصن جبل التعكر جنوباً وحصن جبل خدد شمالاً، وبين التعكر وخذد سلسلة جبلية واحدة، والمسافة بين الجبلين نحو ٢٠ كم.

[٣٠] - مخلاف جعفر: سُمي باسم الأمير جعفر بن إبراهيم المناخي الحميري، قال المؤرخ الجندي: «وحدّ مخلاف جعفر من جبل مصابيح إلى نقيل صيد» [ص ١٥٤/ السلوك] وجبل مصابيح في شمال القاعدة بناحية ذي سُفال حالياً، ونقيل صيد هو نقيل سمارة حالياً ويمتد =

أخو الداعي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة^[٣١] وانتقل إليه ابته المكرم من حصن صنعاء وزوجته سيدة بنت أحمد المستبدة عليه وهي التي كملت تشييده سنة ثمانين^[٣٢]، ومات المكرم وقد فوّض الأمر في المُلْك والدعوة إلى سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي وكان في معقل أشيخ^[٣٣] وكانت السيدة تستظهر بقبيل جُنْب وكانوا خاملين في الجاهلية وظهروا في مخلاف جعفر، ثم وصل من مصر ابن نجيب الدولة داعياً ونزل بمدينة الجند، واعتضد بهمدان، فحاربه السيدة بجانب وخولان إلى أن ركب البحر وغرق، وكان يتولى أمورها المفضل بن أبي البركات بعد زوجها المكرم، واستولى عليها.

التعكر: من مخلاف جعفر^[٣٤]، كان لبني الصليحي ثم للسيدة من بعدهم،

= من ناحية المخادر إلى ناحية يريم، وبذلك يكون مخلاف جعفر محافظة إب حالياً وكان يمتد إلى وصاب وغيرها قديماً.

[٣١]- هو الأمير عبد الله بن محمد الصليحي شقيق الملك علي بن محمد الصليحي وكان نائباً على مخلاف جعفر ومقره حصن التعكر، فاخطت جبلة واتخذها مقراً عام ٤٥١هـ كما في كتاب الاعتبار، وقال عمارة عام ٤٥٨هـ.

[٣٢]- انتقل الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي وزوجته الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي من صنعاء (العاصمة) إلى ذي جبلة واختط دار العز في جبلة وهو الدار الذي أكملت تشييده السيدة أروى بنت أحمد - كما تقدم - ولما اختط المكرم والسيدة دار العز بذئ جبلة وأصبحت عاصمة لليمن وملكوك دولة اليمن الصليحية - عام ٤٨٠هـ - قال عبد الله بن يعلى الصليحي أحياناً في وصف جبلة منها قوله:

ما مصر ما بغداد ما طبرية كمدينة قد حققها نهران
خديداً لها شام، وحب مشرق، والتعكر السامي الرفيع يمان

[٣٣]- بل فوض المكرم أمر الدعوة المذهبية الدينية إلى سبأ بن أحمد هذا - كما تقدم - أما المُلْك ففوض وأوصى بالملك للسيدة أروى بنت أحمد، فتولت حكم اليمن في عهدها الذي دام زهاء خمسين سنة حتى وفاتها عام ٥٣٢هـ (١١٣٧م) وكانت مدينة جبلة هي عاصمة اليمن في العصر الصليحي ثم استمرت كإحدى المدن الرئيسية، وكان الملك الأشرف إسماعيل الرسولي الغساني (٧٧٨ - ٨٠٣هـ) ينزل في تعز أحياناً وفي جبلة أحياناً حيث قال الإمام مطهر بن يحيى بن المطهر في قصيدة له:

أنزل بـجبلة إن أردت نزولاً والشم تراب مداس إسماعيل
ملك الزمان فتى الطعان وخير من لزم العنان، وجرّد المصقولاً

[٣٤]- التعكر من حصون ومعقل اليمن القديمة، وقد ذكره الأمير محمد بن أبان الخنفرى الحميري في فجر الإسلام حيث قال في قصيدة بالإكليل:

«وفوق التعكرين لنا قصور تشاييد الشمارخة الطوال»

وقيل للملك علي الصليحي:

طالت ذرى تعكر فيها بكونك في عليائها علماً أو في علا علم»

ثم طلبه منها المفضل بن أبي البركات فسلمته إليه وأقام به إلى أن سار إلى زيد وحاصر فيها بني نجاح وطالت غيبته، فثار بالتعكر جماعة من الفقهاء وقتلوا نائبه وبايعوا لإبراهيم بن زيدان منهم وهو عم عمارة الشاعر واستظهروا بخولان فرجع المفضل وحاصرهم كما مرّ ذكر ذلك من قبل .

حصن خَدَد: كان لعبد الله بن يعلى الصليحي وهو من مخلاف جعفر^[٣٥]، وكان المفضل قد أدخل من خولان في حصون المخلاف عدداً كثيراً من بني بحر وبني ورازح وشعب^[٣٦]، فلما مات المفضل ملكت خولان حصن التعكر، وبقي ذو جبلة لمنصور بن المفضل في كفالة سيّدة كما مر^[٣٧]، ووثب مسلم بن الذرّ من خولان في حصن خَدَد، وملكه من يد عبد الله بن يعلى الصليحي ولحق عبد الله بحصن مَصْدُود، ورشحته سيّدة لمكان المفضل واستخلصته وأخويه عمران وسليمان^[٣٨]، ومات مسلم فملك أخوه سليمان حصن خدد مع سيّدة مكان أخيه

[٣٥] - حصن خَدَد، وهو قلعة خدد - بفتح الخاء وخفض الدال - وهو من الحصون والقلاع الحميرية العتيّدة وكان يقع في جبل خدد في عزلة العارضة بناحية حبيش - حالياً - وكان للأدواء من ذي الكلاع الحميريين قديماً، وقد ذكره الهمداني صاحب الإكليل في مآثر مناطق اليمن النجدية - أي الجبلية - فقال: «ومنها قلعة خدد معاندة لقلعة وحاطة بينهما ساعة من نهار، وقلعة خدد هذه فيها قصر عظيم يقصر عن الوصف، والقلعة بطريقين على باب كل طريق ماؤه، فطريق القلعة من جنوبها عليها كريف يسمى الوفيت منقور في الصفا الأسود وعمقه في الأرض خمسون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً والطول خمسون ذراعاً محجوز على جوانبه بجدار يمنع السقوط فيه، والماء الثاني من شماليّ الحصن في جوبة من صفا كالبئر مطوي بالبلاط ودرج ينزل إليه من رأس الحصن بالسرّج في الليل والنهار على مسيرة ساعة حتى يؤتى إلى الماء» [ص ١٤٣ صفة جزيرة العرب] وقد ذكر الهمداني ذلك الواقع قبل زمن الدولة الصليحية بأكثر من قرنين ونصف (ح/ عام ٣١٠هـ) فاستمر حصن خدد وتعاظم بنيانه عبر القرون وفي العصر الصليحي والعصر الرسولي وكذلك حصن التعكر، وقد اندرست تلك الحصون فهي الآن اطلال .

[٣٦] - تقدم تبين أن المفضل بن أبي البركات الحميري كان قائد جيش الملكة السيّدة أروى بنت أحمد، لذلك كان في الجيش جنود من خولان وهمدان ومن جنب (مذحج) وغيرهم من قبائل اليمن وأولئك الجنود هم المذكورون في أخبار هذه الحصون، ويبدو أن وحدات الجيش كانت كل منها تتكون من أفراد قبيلة بذاتها في تلك العصور .

[٣٧] - مرابطة جنود من خولان في حصن التعكر وكفالة السيّدة أروى بنت أحمد لمنصور بن المفضل في جبلة، كل ذلك بأوامر الملكة السيّدة أروى .

[٣٨] - كان مسلم بن الزرّ الخولاني قائداً لجيش الملكة السيّدة أروى، وكان عزل عبد الله بن =

مسلم، وزوجته بنت القائد فتح عاملها على التعكر، فغدر بفتح ومَلِك التعكر من يده، واستطالت أيدي خولان على الرعايا، واستظهرت سيدة عليهم بجنب، وكان عمران وسليمان ناصحين في خدمتها وهما اللذان أخرجوا الداعي ابن نجيب الدولة من مدينة الجند ومن اليمن بأمرها.

حصن مَصْدُود: من حصون مخلاف جعفر وهي خمسة: ذو جبلة والتعكر وحصن خدد^[٣٩]، ولما غلبت خولان على حصن خدد من يد عبد الله بن يعلى الصليحي ولحق بحصن مصدود كما ذكرناه، ثم غلبوه على حصن مصدود واستولى عليه منهم زكريا بن شكير البحري.

وكان بنو الكرندي: من حمير ملوكاً قبل بني الصليحي باليمن^[٤٠] وانتزع بنو الصليحي ملكهم، وكان لهم مخلاف جعفر يحصونه ومخلاف المعافر ومخلاف الجند^[٤١] وحض^[٤٢] وحصن سمدان، ثم استقرت لمنصور بن المفضل بن أبي البركات وباعها من بني الزريع كما مر^[٤٣].

= يعلى من قيادة حصن خدد وحصن مصدود بأمرها كما يدل على ذلك قول ابن خلدون: «ورشحته سيدة - (أي السيدة أروى) - لمكان المفضل» أي قائداً للجيش ونائباً في تلك الحصون.

[٣٩] - الحصون الخمسة منها حصن ذي جبلة والتعكر وخذد ومصدود، ولم يذكر ابن خلدون الحصن الخامس، ولعل المقصود قلعة وحاطة التي ذكر الهمداني أن «قلعة خدد معاندة لقلعة وحاطة بينهما ساعة من نهار» وقد كانت وحاطة تشكل مخلاًفاً يشتمل على جبل حبيش وأغواره وغيره، وكانت عامرة بالعلماء والأعيان والأدباء والرؤساء في العصر الصليحي وعصر بني رسول، وذكر الهمداني أن «في مشرق وحاطة في رأس جبل قصر جثوة قصر منهدم لا يزال يوجد فيه الجواهر والذهب والناس يغزونه كما يغزون خرائب الجوف» (اه).

[٤٠] - قال الهمداني: «أل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر» وقال في موضع آخر: «وملوك المعافر آل الكرندي من سبأ الأصغر منازلهم بالجبيل من قاع جبا» (اه) وكانوا ملوكاً نواباً في مخلاف المعافر وما جاوره أيام اليعفرين ويستقلون بالحكم إذا ضعفت الدولة.

[٤١] - مخلاف المعافر هو نواحي الحجرية وما جاورها في محافظة تعز حالياً... وكذلك مدينة الجند ونواحيها (التعزية) بمحافظة تعز.

[٤٢] - هكذا في الأصل «وحض» وهو تصحيف... قال عمارة: «وكان لبني الكرندي: حصن السمدان وصبر وذخر والتعكر ومخلاف الجند ومخلاف المعافر».

[٤٣] - تنازل المنصور بن المفضل عن ملوكية وحكم تلك الحصون والمناطق للملك محمد بن سبأ الزريعي مقابل مبلغ من المال في نهاية الدولة الصليحية كما تقدم.

صنعاء: قاعدة التبابعة قبل الإسلام، وأول مدينة اختطت باليمن [٤٤]، وبنتها فيما يُقال عاد [٤٥] وكانت تُسمى أزال من الأولية بلغتهم [٤٦].

وقصر غمدان قريب منها، أحد البيوت السبعة، بناه الضحاك باسم الزهرة [٤٧]، وحجت إليه الأمم [٤٨]، وهدمه عثمان [٤٩].
وصنعاء أشهر حواضر اليمن، وهي فيما يقال معتدلة، وكان فيها أول المائة

[٤٤] - قال الهمداني: «مدينة صنعاء هي أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها ما بينها وبين عدن كما بينها وبين حد اليمن من أرض نجد والحجاز... وصنعاء أقدم مدن الأرض لأن سام بن نوح الذي أسسها» [ص ٨٢ صفة جزيرة العرب] وقال أحمد بن عيسى الرداعي في أرجوزته بكتاب صفة جزيرة العرب:

صنعاء ذات الدور والأطام والقدم الأقدم ذي السقام
والعز عن ذي السطوة الغشام أسست بعلم لابن نوح سام
... ما بين سفحي نقم النقام وبين عيبان المعين السامي

[٤٥] - قد يكون المقصود ملوك عاد الثانية وهم ملوك سبأ الأقدمون من بني شمس عاد في أوائل الألف الثاني ق.م - كما سلف التبيين في الفصول الأولى وأن الملك السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ الأوسط وكان عهده (١٨٥٨ - ١٨٤٤ ق.م) هو الضحاك الذي بنى بيت غمدان كما ذكر ابن خلدون هنا والمسعودي في مروج الذهب.

[٤٦] - كان أزال الاسم الأقدم لصنعاء ثم قام الملك: «هلك أمر ملك سبأ وذو ريدان» بتشيد مدينة صنعاء في القرن الحادي عشر قبل الميلاد كما سجل ذلك في نقش مسند عن تشيد صنعاء، كما ورد ذكر صنعاء في نقوش الملك «إل شرح يحضب ملك سبأ...» والملك (شعرام أوتر) بالقرن التاسع قبل الميلاد كما تقدم.

[٤٧] - كان قصر غمدان في البداية بيتاً لعبادة الآلهة الشمسية ومنها الزهرة وبناه الملك الضحاك (سبيثوم السكسك ١٨٥٨ - ١٨٤٤ ق.م) على اسم كوكب الزهرة فمكث بيتاً عظيماً للعبادة عدة قرون ثم قام الملك (إل شرح يحضب) ببناء قصر غمدان فوق الطابق الأقدم (المعبد) فأصبح غمدان قصراً عظيماً من عشرين طابقاً ومقراً للملوك، وزاد تبابعة الدولة الحميرية الأخيرة في ارتفاع غمدان حين اتخذوا صنعاء عاصمة واستمرت كذلك حتى عهد سيف بن ذي يزن كما تقدم.

[٤٨] - حجت إليه الأمم حين كان معبداً ووفدت إليه الوفود حين كان قصراً.

[٤٩] - قال المسعودي في مروج الذهب «وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان النازل بها وصاحب مخاليف اليمن في هذا الوقت - سنة ٣٣٢هـ - أراد أن يبني غمدان - (أي أن يعيد بناء غمدان) - فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسن بن الحسين أن لا يتعرض لشيء من ذلك، إذ أن بناؤه (سيكون) على يدي غلام يخرج من أرض سبأ وأرض مأرب يؤثر في صقع هذا العالم تأثيراً عظيماً» [ص ٢٤٠ - ج ٢] ولا بد أن يأتي في المستقبل من رؤساء اليمن من يعيد بناء قصر غمدان العظيم بصنعاء.

الرابعة بنو يعفر من التبابعة ودار ملكهم كحلان^[٥٠]، ولم يكن لها نباهة في المُلْك إلى أن سكنها بنو الصليحي وغلب عليها الزيدية ثم السليمانيون من بعد بني الصليحي^[٥١].

قلعة كحلان: ومن أعمال صنعاء قلعة كحلان لبني يعفر من التبابعة، بناها قرب صنعاء إبراهيم^[٥٢] وكانت له صعدة وصنعاء ونجران وغيرها من جبال اليمن، وحاربهم بنو الرسي أئمة الزيدية إلى أن ملكوا صعدة ونجران، واعتصم بنو يعفر بقلعة كحلان. وقال البيهقي: شيد قلعة كحلان أسعد بن يعفر وحارب بني الرسي وبني زياد أيام أبي الجيش^(٥٢).

الحصون والمواقع الأخرى بأعمال صنعاء^[٥٣]

عدن لاعة: بجانب المذيخرة^[٥٤] أول موضع ظهرت فيه دعوة الشيعة باليمن ومنها محمد بن الفضل الداعي^[٥٥] ووصل إليها أبو عبد الله الشيعي

[٥٠] - تقدم الخبر عن دولة بني يعفر وكان مركزهم شبام ثم صنعاء - كعاصمة - أما قلعة كحلان فاتخذها أسعد بن أبي يعفر.

[٥١] - عادت صنعاء عاصمة لكل اليمن في عهد الملك علي بن محمد الصليحي ثم كانت إحدى المدن الرئيسية الهامة في عصر بني رسول كما تقدم.

[٥٢] - إبراهيم بن محمد بن يعفر (٢٧٩ - ٢٨٥هـ) أما باني قلعة كحلان فهو أسعد بن أبي يعفر (٢٨٦ - ٣٣٢هـ) وهي بكحلان عفار في محافظة حجة، وقيل بل في جبل وعزلة كحلان بناحية الرضمة من محافظة اب، أما الأقرب إلى صنعاء فهي كحلان عفار.

[٥٣] - استحدثنا هذا العنوان الفرعي لأن ابن خلدون ذكر بعد صنعاء وكحلان كلا من (حصن السمدان - قلعة منهاب - جبل مذيخرة) باعتبارها من قلاع وأعمال صنعاء، بينما السمدان من أعمال المعافر ومذيخرة من خلاف جعفر، ثم ذكر (عدن لاعة وبيحان) ثم (تعز) و(معقل أشيخ) وهو من مخلاف الهان (أنس) وكان من أعمال صنعاء، ثم ذكر (صعدة - حصن ثلا - قطابر) ثم (حواز ومسار وخولان...) وهي من أعمال صنعاء، فرأينا إعادة الترتيب عملاً بقول الشاعر:

فإن تجد عيباً فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا

[٥٤] - عدن لاعة بنواحي حجة بين حجة وحراز وكانت حجة من أعمال صنعاء، أما المذيخرة فكانت من مخلاف جعفر (بمحافظة اب) وإنما وقع الالتباس لأن الملك علي بن الفضل اتخذ المذيخرة مقراً وعاصمة وارتبط عهده بالدعوة الإسماعيلية التي ظهرت في عدن لاعة.

[٥٥] - المقصود الدعوة الإسماعيلية وظهرت على يد منصور بن حوشب في عدن لاعة، أما علي بن الفضل - وهو المقصود هنا - فأظهر الدعوة في منطقة جيشان، وقد تقدم تبين ذلك في هوامش سابقة.

صاحب الدعوة بالمغرب^[٥٦] وفيها قرأ علي بن محمد الصليحي صبياً، وهي دار دعوة اليمن، وكان محمد بن الفضل داعياً على عهد أبي الجيش بن زياد وأسد بن يعفر^[٥٧].

حراز ومسار: أما حراز فهو إقليم من بلاد همدان، وحراز بطن من بطونهم كان منهم الصليحي، وحصن مسار هو الذي ظهر فيه الصليحي وهو من إقليم حراز^[٥٨]، قال البيهقي: بلادهم شرقية بجبال اليمن وتفرقوا في الإسلام ولم تبق لهم قبيلة وبرية إلا في اليمن وهم أعظم قبائله^[٥٩] وبهم قام الموطىء، وملكوا جملة من حصون الجبال، ولهم بها إقليم بكيل وإقليم حاشد وهما ابنا جشم بن جبران بن نوف بن همدان^(٥٩)، قال ابن حزم: ومن بكيل وحاشد افتترقت قبائل همدان - انتهى. ومن همدان بنو الزريع أصحاب السلطنة والدعوة في عدن والحوء، ومنهم بنو يام قبيل الصليحي^[٦٠]، وبنو همدان شيعة وهم الآن في نهاية من التشيع ببلادهم وأكثرهم زيدية.

بلاد خولان: قال البيهقي: هي شرقية من جبال اليمن ومتصلة ببلاد همدان، وهي (من) حصون الجبال^[٦١]، ومخلاف جعفر دخلوا إليه في الدولة الصليحية

[٥٦] - هو أبو عبد الله الشيعي الصنغاني وقد أقام مع ابن حوشب في عدن لاعة ثم انطلق منها إلى المغرب حيث أظهر ونشر الدعوة الإسماعيلية العبيدية وأسس الدولة العبيدية الفاطمية في بلاد المغرب كما سلف التبيين.

[٥٧] - المقصود هنا علي بن الفضل وكان عهده (٢٨٩ - ٣٠٣هـ / ٩٠٠ - ٩١٤م) ثم ابنه محمد بن علي بن الفضل (٣٠٣ - ٣٠٤هـ) وكانا في أيام أسعد بن أبي يعفر (٢٨٦ - ٣٣٢هـ) أما أبو الجيش إسحاق بن زياد (٣١١ - ٣٧١) فكان بعدهما وظهر في أيامه الملك عبد الله بن قحطان اليعفري - ابن بنت علي بن الفضل - (٣٥٢ - ٣٨٧هـ) فأقام الدعوة والخطبة للخليفة العبيدي الفاطمي بمصر.

[٥٨] - كان علي بن محمد الصليحي هو الذي قام ببناء حصن مسار في جبل حراز في بداية دعوته وعهده عام ٤٢٩هـ وأقام به حتى انتقل إلى صنعاء.

[٥٩] - المقصود قبائل همدان وقد تقدم الخبر عنهم وعن قبائلهم ونسبهم بالتفصيل، ومناطقهم محافظة صنعاء وبعض نواحي الجوف وصعدة ونجران وحجة وذمار إلى أيامنا ومنهم نقائل وبيوت كثيرة في سائر أرجاء اليمن.

[٦٠] - تقدم تبين أن بني زريع من يام وأما بنو الصليحي فليسوا من يام وإنما يلتقي نسبهم مع يام في جشم وهمدان، وكذلك بنو حاتم ملوك صنعاء بعد الدولة الصليحية.

[٦١] - بلاد خولان هي نواحي خولان شرقي مدينة صنعاء إلى صرواح وجهات مأرب (بمحافظة صنعاء حالياً) وكذلك عدة نواح في صعدة.

وتغلب بنو الزرّ منهم على حصن خدد والتعكر وغيرهما^[٦٢]. وهم أعظم قبائل اليمن مع همدان ولهم بطون كثيرة، وافترقوا على بلاد الإسلام، ولم يبق منهم وبرية إلا باليمن.

معقل أشيخ: من أعظم حصون الجبال^[٦٣]، وفيه خزائن بني المظفر، وكان للداعي المنصور أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر من الصليحيين، صارت له بعهد المكرّم ابن عمه صاحب ذي جبلة، وقلده المستنصر الدعوة وتوفي سنة ست وثمانين وأربعمائة^[٦٤]، وغلب ابنه عليّ على معقل المُلِك بأشيخ^[٦٥] وأعيان

[٦٢] - استقرت جماعات من خولان بمخلاف جعفر (محافظة إب) في عصر الدولة الصليحية وكان بنو الزرّ من نواب وقادة الملكة أروى.

[٦٣] - كان حصن أشيخ في عزلة بني سويد بناحية ضوران أنس - بمحافظة ذمار - حالياً، وقد ذكره ابن المجاور الدمشقي في «عجائب إقليم اليمن وما فيها من الغرائب» فقال: «ومن جُمَلتها حصن أشيخ. ومما ذكره عمارة عن المقرّي سليمان بن ياسين قال: بثّ بحصن أشيخ ليالي كثيرة وأنا عند الفجر أرى الشمس تطلع في المشرق وليس فيها من النور شيء، وإذا نظرت إلى تهامه رأيت عليها من الليل ضباباً يمنع الماشي أن يعرف صاحبه من قريب، وكنتُ أظنّ ذلك السحاب والبخار وإذا هو عقائل الليل». . . وما ذاك إلا أنّ المشرق مكشوف لأشيخ من الجبال وذروته عالية. وهو مقر الداعي سبأ بن أحمد الصليحي» (اهـ) وفيه قال الشاعر علي بن الحسين القم:

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشيخ أو أزرى بك الفقر فاستمطر بنان سبأ

وكان حصن أشيخ مركز أعمال ونواحي مخلاف واسع، قال ابن المجاور: «والمخلاف أعمال كل حصن بذاته، فكل ما كان حول كل حصن من القرى والزراعات فهو مخالفه، والمخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع» [ص ١٧٠ - المستبصر].

[٦٤] - تقدم تبیین أن سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي كان أميراً نائباً على حصن أشيخ والأعمال والمخاليف التابعة له منذ عهد الملك علي بن محمد الصليحي ثم في عهد الملك المكرّم أحمد بن علي الصليحي، فلما مات المكرّم عام ٤٨٤هـ وتولت الحكم الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي ثم إسناد منصب الداعي (زعامة الدعوة المذهبية الدينية الإسماعيلية) إلى سبأ بن أحمد وأتاه التقليد بذلك من المستنصر العبيدي في مصر فأصبح هو الزعيم الديني للمذهب في اليمن مع استمراره كنائب للملكة أروى في حصن أشيخ وأعماله حيث ما لبث أن توفي عام ٤٨٦هـ.

[٦٥] - هو شمس المعالي الأمير علي بن سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، فلما مات أبوه تولى أعمال حصن أشيخ ومخاليفه بعد أبيه - ليس على سبيل التغلب وإنما كأمرير نائب للملكة السيدة أروى، وكانت فاطمة بنت الملكة أروى والملك المكرّم هي زوجة شمس المعالي كما تقدم.

المفضّل أمرُهُ إلى أن تحيل عليه وقتله بالسّم^[٦٦]، وصارت حصون بني المظفر لبني أبي البركات، ثم مات المفضل، وخلفه ابنه منصور واستقل بملك أبيه بعد حين^[٦٧]، وباع جميع الحصون، فباع ذا جبلة من الداعي الزريعي صاحب عدن بمائة ألف دينار وحصن صبر بعد أن كان حلف بالطلاق على بيعه، فطلق زوجته الحرّة وتزوجها الزريعي^(٦٧) وطال عمره، مَلَكَ ابن عشرين وبقي في المُلْك ثمانين، وأخذ منه معقل تعز علي بن مهدي^[٦٨].

قلعة منهاب: من قلاع صنعاء بالجبال، ملكها بنو زريع واستبدّ بها منهم المفضل بن علي بن راضي بن الداعي محمد بن سبأ بن زريع، نعته صاحب الخريدة بالسلطان، وقال كانت له قلعة منهاب وكان حيّاً سنة ست وثمانين وخمسائة، وصارت بعده لأخيه الأعزّ بن علي.

صعدة: مملكتها تلو مملكة صنعاء وهي في شرقيها^[٦٩] وفي هذه المملكة

[٦٦] — كان ذلك بسبب زواج شمس المعالي علي بن سبأ بامرأة أخرى على زوجته فاطمة بنت الملكة أروى، فغضبت الملكة لذلك وكلفت قائد الجيش المفضل بن أبي البركات بالخلاص منه، فأهدى إليه المفضل فاكهة مسمومة فأكلها علي بن سبأ ومات عام ٤٩٥هـ.

[٦٧] — تقدم تبين أن المفضل ثم ابنه منصور كان أميراً نائباً للملكة أروى، فلما ماتت الملكة (عام ٥٣٤هـ) عهدت إلى المنصور بن المفضل بالحكم وملوكية الدولة. ولما ضعفت الدولة وتفككت تنازل عن حكم جبلة ومخاليقها وصبر وغيرها للملك الداعي محمد بن سبأ الزريعي مقابل مبالغ مالية كبيرة وذلك عام ٥٤٧هـ وتزوج محمد بن سبأ بالأميرة أروى بنت علي الصليحي التي طلقها المنصور بن المفضل ومات محمد بن سبأ عام ٥٤٩هـ أو عام ٥٥٠هـ.

[٦٨] — معقل تعز هو حصن وقلعة القاهرة المطلة على مدينة تعز حالياً، وكان معقل تعز آخر المعاقل التي بقي المنصور بن المفضل حاكماً لها حتى توفي عام ٤٥٢هـ بمعقل تعز، فتولى بعده ابنه أحمد بن منصور بن المفضل ومنه أخذ علي بن مهدي معقل تعز عام ٥٥٨هـ حيث انضوت تعز في دولة بني مهدي التي تقدم خبر ابن خلدون عنها.

[٦٩] — صعدة: ما تزال تحمل اسمها (صعدة) إلى اليوم كاسم لمدينة صعدة واسم لمخلاف صعدة (محافظة صعدة حالياً) وكانت مخاليق صنعاء قديماً تشمل نواحي صعدة لذلك قيل (وهي في شرقيها) أي في شرقي مخاليق صنعاء لا مدينة صنعاء، أما اعتبار مخلاف صعدة مملكة فذلك لأن بعض أئمة الهادوية استقلوا بحكمها عن الدولة اليعفرية كما تقدم كلام ابن خلدون عن ذلك (عام ٢٨٤هـ).

ثلاث قواعد: صعدة وجبل قطابة وحصن ثلا وحصون أخرى [٧٠] وتُعرف كلها ببني الرسي وقد تقدّم ذكر خبره [٧١].

وأما حصن ثلا [٧٢]: فمته كان ظهور الموطىء الذي أعاد إمامة الزيدية لبني الرسي بعد أن استولى عليها بنو سليمان فأووا إلى جبل قطابة، ثم بايعوا لأحمد الموطىء سنة خمس وأربعين وستمائة، وكان فقيهاً عابداً وحاصره نور الدين بن رسول في هذا الحصن سنة ثم جهّز عليه عسكرياً للحصار ثم مات ابن رسول سنة ثمان وأربعين، وشُغل ابنه المظفر بحصار حصن الدملوة، فتمكن الموطىء وملك حصون اليمن وزحف إلى صعدة وبايعه السليمانيون وإمامهم أحمد المتوكل كما مرّ في أخبار بني الرسي [٧٣].

وأما قطابة [٧٤]: فهو جبل شاهق شرقي صعدة وفيه حصنٌ وقرى [٧٥]، وانضوى إليه بنو الهادي عندما غلبهم بنو سليمان على صعدة إلى أن كان ما ذكرناه.

حصن السّمدان: من أعمال صنعاء [٧٦] كانت فيه خزائن بني الكرندي

[٧٠] - قاعدة صعدة هي مدينة صعدة وقد جاء ذكرها في نقوش المسند منذ زمن تبابعة سبأ وحمير، قال ابن المجاور «ويقال إن صعدة القديمة كانت في الابتداء عند حصن تلمص» [ص ٣٠٤ المستبصر] وكان حصن تلمص صعدة مقر نوال بن عتيك عامل سيف بن ذي يزن على مخاليف صعدة ونجران وله أخبار ووقائع في الإكليل، وكانت صعدة مقر الأقبال الإكليليين (بنو اكيل من آل ربيعة بن سعد بن خولان) قال الهمداني: «ومدينة خولان العظمى صعدة.. وساكنها الأكيليون ويرسم..» [ص ٢٤٩ - صفة] وكانت صعدة دار ملك الأكيليين من الجاهلية وبعد الإسلام في إطار ولاية اليمن إلى أن تغلب عليها الهادي يحيى بن حسين الرسي عام ٢٨٤هـ.

[٧١] - يعني بني الهادي يحيى بن حسين الرسي لأنهم سيطروا على صعدة وكانت لهم حروب مع الاكيليين ذكرها الهمداني في الإكليل.

[٧٢] - حصن ثلا: من أعمال صنعاء وهو بمحافظة عمران حالياً، وموقع ثلا سلف تبيينه في خارطة صنعاء وبعض نواحيها.

[٧٣] - تقدم الخبر عن تمرد الموطي أحمد الهادوي هذا وادعائه الإمامة في حصن ثلا في آخر عهد الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول الغساني ثم انتهى التمرد في عهد ابنه الملك المظفر بن المنصور كما تقدم في أخبار دولة بني رسول.

[٧٤] - قطابة هو قطابر - غالباً - وباسم جبل قطابر سُميت ناحية قطابر بمحافظة صعدة.

[٧٥] - المقصود ناحية قطابر وهي إحدى مديريات محافظة صعدة حالياً، وتنقسم محافظة صعدة إلى مديريات هي (صعدة - ورازح - ومجز - وباقم - وغمر - وشدا - وحيدان - والظاهر - وقطابر - والصفراء - والحشوة - وكتاف والبقع).

[٧٦] - حصن السّمدان: كان بناحية المواسط من أعمال الدملوة وبلاد المعافر بمحافظة تعز حالياً، ولكن حصن السمدان وكل حصون وأرجاء اليمن كانت من أعمال صنعاء حين كانت =

الحميريين إلى أن ملكه علي الصليحي، ورد عليهم المكرم بعض حصونهم إلى أن انقرض أمرهم على يد علي بن مهدي^[٧٧]، وكان لهم مخلاف جعفر الذي منه مدينة ذي جبلة ومعقل التعكر، ومخلاف الجند^[٧٨] ومخلاف معافر^[٧٩] ومقر ملكهم السمدان وهو أحصن من الدملوة.

جبل المذيخرة: وهو بقرب صنعاء^[٨٠] وقد اختط جعفر مولى ابن زياد سلطان اليمن مخلاف جعفر فنُسب إليه^[٨١].

تعز: من أجل معاقل الجبال المطلة على تهامة، ما زال حصناً للملوك وهو اليوم

= صنعاء هي عاصمة اليمن أيام الصليحي، لذلك جاء هنا أن السمدان من أعمال صنعاء. [٧٧] - بنو الكرندي - بخفض الكاف - وقد تقدم تبين أن بني الكرندي من بني ثمامة من حمير الأصغر بن سبأ الأصغر وأنهم - كما ذكر الهمداني «ملوك المعافر، منازلهم بالحيل من قاع جبا» بالمسراخ. وجاء في كتاب السلوك للجندي أن «... بني الكرندي كانوا ملوك المعافر وغيرها من بلاد اليمن» وأن «من قدس وهي عزلة متسعة ذات قرى كان فيها فقهاء فضلاء منهم محمد بن عمر الكرندي مصنف كتاب الرؤيا في تعبير الرؤيا» [ص ٤١٥ ج ٢] ويدل ذلك على انتشار بني الكرندي في قدس والمواسط وجبا وغيرها من الحصون.

[٧٨] - تقدم الحديث عن مخلاف جعفر بمحافظة إب، والجند في تعز.

[٧٩] - مخلاف المعافر هو ما يسمى الحُجرية اليوم ويمتد «من جنوبي مدينة تعز ما بين برداد والضباب - شمالاً - إلى قدس وحيفان والتربة وما تاخم أصابع لحج - جنوباً - والمخا - غرباً - والجند شرقاً - وذكر الهمداني أن جبل صبر وناحية ذخر (جبل حبشي) من المعافر فتكون بلاد المعافر تشمل أغلب محافظة تعز وأكثر سكانها من قبائل حمير، قال الشاعر محمد بن أبان الخنفرى:

حلوا المعافر دار الملك فاعترموا صيد مقاولة من نسل أحرار

المذيخرة من مخلاف جعفر بمحافظة اب، ولعل المقصود أنها (بقرب صنعاء في أب) وليس (بقرب صنعاء) فحصل الالتباس لأن صنعاء عاصمة اليمن.

[٨٠] - نقل ابن خلدون هذا القول عن عمارة، والصواب أن الذي اختط مذيخرة وباسمه سمي مخلاف جعفر هو الأمير جعفر بن إبراهيم المناخي الحميري كما في كتاب السلوك للجندي حيث انتقد كلام عمارة (ص ٤٧٨ ج ٢ - السلوك) وإنما التبس الأمر على عمارة بسبب تماثل الاسم (جعفر).

[٨١] - حصن تعز هو قلعة تعز (القاهرة) تم تأسست وازدهرت مدينة تعز وأصبحت عاصمة دولة اليمن الرسولية الغسانية ومقر ملوكها بني رسول منذ عهد الملك المظفر، قال المؤرخ الجندي «وتعز هي من أول الدولة المظفرية مصر اليمن المقصودة من كل نواحيه ولم تزل دار ملك لبني رسول» [ص ٩٧ ج ٢ - السلوك] ولم يكن مقر كرسي ملوك بني رسول في حصن تعز وإنما كان في قصور مدينة تعز وخاصة «قصر المعقلي في ثعبات بمدينة تعز» وهو الذي ذكر المؤرخ الخزرجي عدم وجود قصر في آفاق الأرض مثل قصر المعقلي.

كرسي لبني رسول ومعدود في الأمصار^[٨٢] وكان به من ملوك اليمن منصور بن المفضل بن أبي البركات من أقارب الصليحيين وأبوه صاحب معقل أشيخ، واستولى على حصون بني أبي البركات وبني المظفر، وورثها عنه ابنه منصور ثم باعها حصناً حصناً من الداعي ابن المظفر والداعي الزريعي إلى أن بقي بيده حصن تعز فأخذه منه ابن مهدي .

مخلاف بني أصبح: هو بوادي سحول^[٨٣] وذو أصبح الذي يُنسبون إليه قد تقدّم ذكره في أنساب حمير من التبابعة والأقيال^[٨٤] ومخلاف يحصب مجاور له وهو أخو أصبح^[٨٥].

[٨٢] - وادي السحول بمحافظة اب، ويطلق السحول اليوم على بطن وادي السحول الممتد من عقبة الذهب من مدينة أب جنوباً إلى القفر بقضاء يريم شمالاً وما اكتنف ذلك من الهضاب والآكام والشعاب شرقاً وغرباً، وجاء في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني أن «مخلاف السحول: بن سواده، ساكنه آل شرعب بن سهل ووحاظه بن سعد وبطون الكلاع وهي بطون من حمير، منها السحول بن سواده، وجسر بن سواده . . وجباء الذي ينسب إليه جباء المعافر . . وذو مناخ بن عبد شمس وبعدان وريمان وعروان وحميم والسلف بن زرعة . . الخ. والمسكن من مخلاف السحول: جبل بعدان وجبل أدم وسلية وإرياب موضع ذي فائش الذي مدحه الأعشى وفيه يقول:

ببعدان أو ريمان أو رأس سليية شفاء لمن يشكو السمائم بارداً
وبالقصر من إزياب لو بت ليلة لجاءك مثلأوج من الماء جامداً

والثجة ونخلان وبطن السحول . . والزواحي والربادي وتعكر والشوافي وثومان (بذي سفال) . . ومذيخرة . . الخ» [ص ٢١٢ - ٢١٤ صفة جزيرة العرب] ويتبين مما ذكره الهمداني أن مخلاف السحول تطور اسمه وكان يسمى ذو الكلاع وسمي أيضاً باسم مخلاف بني أصبح لما استقلوا بحكمه في آخر الدولة الزيادية حيث قال عمارة «وتغلب على حصن حبّ وعزان وبيت عز وحصن الشعر وهو عظيم وحصن نور والثقل والسحول بنو أصبح قوم الفقيه مالك الأصبحي» (اهـ).

[٨٣] - تقدم في الفصل الرابع قول ابن خلدون إنه « . . ذو أصبح الحارث بن مالك أخو ذو رعين» .

[٨٤] - مخلاف يحصب: وفيه قال أسعد الكامل الحميري:

وبالبقعة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً تقذف الماء سائلا

وهو ما يسمى بلاد قضاء يريم اليوم ويشمل نواحي يريم والسدة والقفر إلى ناحية الرضمة ويجاور مخلاف يحصب كما في صفة جزيرة العرب «مخلاف العود وذو رعين: ومن مخلاف ذي رعين: شخب وكهال (عمار) ووادي سبان (وادي الرضمة إلى الأجلب عمار) ووادي خبان، وذو بلق ووادي حرد ووادي ثريد في دمت الخ) [ص ٢١٦] ومخلاف العود يحمل اسمه إلى هذه الغاية، ويقع مخلاف العود وذو رعين حالياً بنواحي النادرة والرضمة ودمت إلى قطبة ويتصل مخلاف ذي رعين بمخلاف يحصب والجميع من نواحي محافظة اب .

[٨٥] - جاء في الأصل «مدينة هذا المخلاف شاحط» ويبدو أنه تصحيف (وحاظه) فصولناه لأن مخلاف بني وائل هو بلاد وحاظه المشتملة على جبل حبيش وأغواره وما جاوره . . وكانت =

مخلاف بني وائل: مدينة هذا المخلاف وحاطة^[٨٦] وصاحبها أسعد بن وائل، وبنو وائل بطن من ذي الكلاع، وذو الكلاع من سبأ^[٨٧] تغلبوا على هذه البلاد عند مهلك الحسن بن سلامة عامل الجبال لبني نجاح.

مخلاف (بُرْع)^[٨٨]: من الجبال، تغلب عليه بنو عبد الواحد بعد موت الحسن بن سلامة، وكان أهل الأطراف قد استبدوا على الشغور، فقَاتلهم الحسن بن سلامة حتى عادوا إلى الطاعة، واختط مدينة الكدراء على مخلاف سهام ومدينة المعقر على وادي ذوال^[٨٩] ومات سنة اثنتين وأربعمائة.

بيحان: ذكرها عمارة في المخاليف الجبلية^[٩٠]، ومَلَكها نشوان بن سعيد القحطاني^[٩١].

= قلعة وحاطة مركز زعامة بني وائل. وجاء في آخر النص عبارة «الحسن بن سلامة عامل الجبال لبني نجاح» والصواب لبني زياد لأن نجاح تولى عام ٤١٢ هـ ومات الحسن بن سلامة عام ٤٠٢ هـ.

[٨٦] - ذو الكلاع من حمير الأصغر بن سبأ الأصغر. . وكان الأقبال من ذي الكلاع ملوكاً من عصور حمير قبل الإسلام ثم بعد الإسلام ومنهم بنو وائل فانضوا في الدولة الزيدانية ثم استقلوا بحكم ما بيدهم حيث قال عمارة «تغلب على حصون وحاطة وبلادها بنو وائل وهم من ولد ذي الكلاع ولهم رياسة متأثلة ومنهم السلطان أسعد بن وائل صاحب الكرم العريض» (اه).
[٨٧] - جاء في الأصل (مخلاف يربوع) ثم اتضح لنا أنه تصحيف، فقد قال عمارة «وتغلب بنو عبد الواحد على أعمال بُرْع والعمد ولعسان وحصن مسار».

[٨٨] - قال الجندي في كتاب السلوك «الكدرا مدينة وادي سهام وهي إحدى مدينتي الحسن بن سلامة على رأس ثلاثمائة من الهجرة والأخرى المعقر على وادي ذوال» [ص ٣٥٧ ج ٢] وقال المحقق القاضي محمد الأكوخ «الكدرا - قديمة الاختطاط، انظر عمارة ص ٦٩ وصفة جزيرة العرب ص ٧٤ وهي اليوم لا عين ولا أثر» [ص ٣٥٧ - هامش السلوك] وتقع الكدرا في ناحية المراوعة بمحافظة الحديدة وكذلك ناحية بُرْع ما تزال تحمل اسم (بُرْع) حتى اليوم.

[٨٩] - بيحان: ما تزال تحتفظ باسمها التاريخي حتى اليوم، وكانت بيحان مخلاً كبيراً، وقد ذكره الهمداني في صفة الجزيرة وقال «وسكان بيحان مراد إلى العطف، وأسفل بيحان والعطف يسكنه المعاجل من سبأ، ثم من وراء ذلك الغائط إلى مرخة، ورؤساء مراد بيحان آل المكرمان وهم بيت ابن ملجم. ولآل المكرمان شرف وسؤدد ومقام في مذحج. . ويجاور مخلاف بيحان مخلاف شبوة: يسكنه الأشباء والأيزون (من حمير) ثم صدا ورهاء (من مذحج)» [ص ٢٠٦ صفة جزيرة العرب للهمداني] فمخلاف بيحان ومخلاف شبوة يمثلان محافظة شبوة اليوم.

[٩٠] - هو الأمير المؤرخ نشوان بن سعيد الحميري القحطاني المتوفى ٥٧٣ هـ (١١١٧ م) وله مؤلفات جليلة منها كتاب (شمس العلوم) وكتاب (الحوار العين) والقصيدة الحميرية.

[٩١] - كانت مخاليف الجند تشمل قديماً سائر بلاد ومخاليف حمير بما في ذلك محافظات تعز =

بلاد مذحج: توالي جهات الجند من الجبال^[٩٢] وينزلها من مذحج عنس وزُبيد ومراد^[٩٣]، ومن عنس بأفريقية فرقة وبرية مع ضواغن أهلها^[٩٤]، ومن زُبيد بالحجاز بنو حرب بين مكة والمدينة^[٩٥]، وبنو زُبيد الذين بالشام والجزيرة فهم من طيء وليسوا من هؤلاء.

بلاد كندة: وهي من جبال اليمن مما يلي حضرموت وأبجر والرمل^[٩٦]، وكان لهم بها ملوك وقاعدتهم دُمون ذكرها امرؤ القيس في شعره^(٩٦).

بلاد بني نهد: في أجوان السروات وتبالة^[٩٧]، والسروات بين تهامة

= اب وعدن ولحج حالياً وبعض محافظة البيضاء وأبين ثم تليها بلاد مذحج وتشمل حالياً أغلب محافظات دمار والبيضاء ومأرب وأبين وشبوة ونجران وعسير.

[٩٢] - عنس وزُبيد بمحافظة دمار حالياً، أما قبائل مراد فتنشر في محافظة مأرب ومحافظة البيضاء ومحافظة شبوة وغيرها من مشارق اليمن.

[٩٣] - المقصود بأفريقية هنا تونس وما جاورها من ليبيا وخاصة تونس.

[٩٤] - ذكر الهمداني في كتاب الإكليل أن بني حرب الذين بالحجاز من قبيلة سعد بن سعد بن خولان بن قضاة بن مالك بن حمير انتقلوا من صعدة إلى الحجاز، وبما أن قبيلة زُبيد المذحجية كانت فرقة منها تسكن وادي تثليث بنجران وعسير، فلعل عشيرة منهم أيضاً كانت تسمى بني حرب انتقلت إلى الحجاز ولا يتعارض ذلك مع الإكليل.

[٩٥] - بلد كندة هي حضرموت ذاتها أو قسم واسع من محافظة بلاد حضرموت، قال الهمداني «بلد كندة من أرض حضرموت: فإذا خرج الخارج من العبر لقي أول ذلك درب العجيز الكندي، ثم هيئن وهي قرية كبيرة وفي أعلاها حصن حصين. . ثم صُوران قرية لتجيب من كندة ثم قُشاقش قرية في رأس جبل. . ثم عُنْدَل مدينة عظيمة. . وخودون وهدون ودمون مُدَن للصدف بحضرموت ثم الهجران. . ودهون وهي ثنية الهجر. وساكن خودون الصدف وساكن دُمون بنو الحارث الملك ابن عمرو المقصور بن حُجر آكل المرار الكندي. . وبلد كندة مرتفع كأنه سراة وتصب أوديته في وادي حضرموت ثم يصب حضرموت إلى بلد مهرة. ومن الهجرين إلى ريدة أرضين واد فيه قرى كثيرة ونخل للعباد من كندة ثم إلى سدبة ثم حورة وهي مدينة عظيمة لبني حارثة من كندة ثم قارة الأشبا وهي لكندة، والقارة الأكمة. والعجلانية قرية كبيرة في وادي دوعن لكندة، فوادي العبر ووادي دوعن بلد كندة أعلاهما الحصون وأسفلهما الزروع والنخل. . الخ» [ص ١٧٠ - ١٧٢ صفة].

[٩٦] - يعني قول امرئ القيس: تطاول الليل علينا دمون * دمون إنا معشر يمانون * وإنما لأهلنا محبون» وقال امرؤ القيس أيضاً:

كأنني لسم أَرْجُر بِدُمُون مرة ولم أشهد الغارات يوماً بعندل

[٩٧] - بلاد بني نهد في مخاليف نجران وعسير بأعالي اليمن إلى تخوم مكة والحجاز. . قال الهمداني «بلد بني نهد: طريب ومصابة من ذوات القصص وكنته وأراك - وإد فيه أراك - =

والجبال ونجد من اليمن والحجاز^[٩٨]، كسراة الفَرَس .

وبنو نهد من قضاة^[٩٩] سكنوا اليمن جوار خثعم^[١٠٠] وهم كالوحوش،
والعامّة تسميهم السُرّو^[١٠١] وأكثرهم أخلاط من بجيلة وخثعم^[١٠٢] ومن بلادهم
تباله يسكنها قوم من عنز بن وائل ولهم بها صولة، وهي التي وليها الحجاج
واستحقرها فتركها^[١٠٣].

= وأراكة ناحية المصامة من ديار خثعم، وتثليث. وكان لعمر بن معد يكرب فيه حصن ونخل،
والقرارة والريان وجاش وذو بيضان ومريع وعبالم وغرب والحضارة والعشتان والبردان،
والبردان بئر بتباله وبالعرض من نجران، وذات آلاء وهي قرى الديبل وعُشر، وعاريان وسقّم
وقريتهم الهجيرة، ويسكن هذه البلاد من قبائل نهد: مُعَرّف وحرام وهي أكثر نهد وبنو زهير
وبنو ذويد وبنو حزيمة وبنو مُرْمَض وبنو صخر وبنو ضطة وبنو قيس وبنو يربوع وبنو قيس وبنو
ظبيان» [.. الخ ص ٢٥٣ - ٢٥٥ - الصفة].

[٩٨] - السروات: بلاد السراة، أي البلاد المرتفعة، والسر وهو «ما ارتفع من الوادي وانحدر
عن غلظ الجبل» وبلاد السراة هي المناطق الجبلية والمرتفعة في منطقة عسير اليمينية
الممتدة من تخوم صعدة وظهران اليمن (ظهران الجنوب) إلى تخوم الطائف والحجاز
شمالاً، فالمناطق الساحلية من عسير تدخل في مناطق تهامة اليمن، والمناطق المرتفعة
في عسير هي ما كان يسمى بلاد السراة (السروات) قال الهمداني «أرض السراة - منها
- سراة بني علي وفهم، ثم سراة بجيلة والأزد بن سلامان بن مفرج وألمع وبارق
ودوس وغامد والحجر إلى جُرش .. ومدينة السراة اسمها الجهوة وهي أكبر من جُرش»
[ص ٢٦٠ - ٢٦١ - صفة] وقد ذكر الهمداني سائر قبائل السراة من قبائل الأزد وبجيلة
وخثعم وغيرهم من قبائل اليمن ووديانهم ومدنهم إلى تخوم الطائف ومكة (ص ٢٦١ -
٢٦٣ - الصفة).

[٩٩] - قبيلة نهد من قضاة بن مالك بن حمير وقد تقدم حديث ابن خلدون عنهم في الفصل
الخاص بقبائل قضاة .. قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

وعلمت أنسي يومذاك مقاتل كعبا ونهدا
قومٌ إذا أدرعوا الحديد تنمروا حلقاً وقدا

[١٠٠] - أي أن بني نهد كانوا يسكنون بجوار قبيلة خثعم .. قال الهمداني «بلد خثعم: أعراض
بيشة وترج وتباله والمراغة» [ص ٢٥٨ - صفة].

[١٠١] - يعني أن العامّة تُسمي خثعم .. باسم السرو .. وقال ابن المجاور الدمشقي «.. بجيلة
وهم الذين يسمون السُرّو» ثم قال «فأما السرو فإنهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم
عليهم سلطان بل مشائخ منهم وفيهم وهم بطون متفرقون» [ص ٧٦ - المستبصر].

[١٠٢] - بجيلة وخثعم من قبائل اليمن المشهورة، وكان أكثر الذين يسمون السرو «أخلاط من بجيلة
وخثعم» ويقابل ذلك قول ابن المجاور «.. إنهم قبائل وفخوذ من العرب» يعني من بجيلة وخثعم
وكذلك ممن سكن السراة من الأزد ونهد ومذحج وغيرهم من العشائر اليمانية.

[١٠٣] - تباله من بلد خثعم وبجيلة .. وكانت مدينة تباله في وادي تباله مدينة مشهورة في =

البلاد المضافة إلى اليمن [١٠٤]

أولها اليمامة: قال البيهقي هو بلد منقطع بعمله، والتحقيق أنه من الحجاز كما هي نجران من اليمن، وكذا قال ابن حوقل [١٠٥] وهي دونها في المملكة، وأرضها تُسمى العَرُوض لاعتراضها بين الحجاز والبحرين [١٠٦] ففي شرقيها البحرين وغربيها أطراف اليمن والحجاز، وجنوبيها نجران وشمالها نجد من الحجاز، وفي طولها عشرون مرحلة، وهي على أربعة أيام من مكة وقاعدتها حَجْر بالفتح [١٠٧]. وبلدة اليمامة كانت مقرّاً لملوك قبل بني حنيفة ثم اتخذ بنو حنيفة حجراً وبينهما يوم وليلة، وبظواهرها أحياء من بني يربوع من تميم وأحياء من بني عجل.

قال البكري: واسمها جَوّ، وسُميت باسم زرقاء اليمامة سماها بذلك تبع الآخر [١٠٨]، وهي في الإقليم الثاني مع مكة، وبعدهما عن خط الاستواء واحد، ومن منازلها توضح وقرقرا.

= الجاهلية وفجر الإسلام بذلك القسم من أعالي اليمن الممتد إلى تخوم الحجاز ونجد حيث تنتهي حدود اليمن.

[١٠٤] - استخدم ابن خلدون هذا العنوان «البلاد المضافة إلى اليمن» لأن دولة اليمن كانت تشملها تارة ولا تشملها تارة أخرى.

[١٠٥] - الأصوب أن اليمامة بلد منقطع بعمله - كما قال البيهقي - وليس من الحجاز ولا من نجد وإنما هو بين اليمن ونجد، وقد ذكر الهمداني وغيره من المؤرخين «اليمامة هي حد ما بين اليمن ونجد» وإنما كانت أرض اليمامة من اليمن في عصور دولة تبابعة سبأ ودولة تبابعة حمير فكان أول حجاب ملوك اليمن التبابعة في اليمامة كما ذكر الهمداني في شرح الدامغة.

[١٠٦] - بلاد العروض تلي اليمامة وليست منها وقد حددها الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ٣٠٤ - ٣٠٥) والذي من أرض اليمامة هو «عارض اليمامة وهو جبل مسيرة أيام» وكذلك «العرض وهو واد باليمامة من أعلاها إلى أسفلها وفيه قرى كثيرة». [ص ٣٠٧ صفة].

[١٠٧] - حَجْر: قاعدة وعاصمة إقليم اليمامة، قال الهمداني: «حجر هي مصر اليمامة ووسطها ومنزل الأمراء منها، وإليها تجلب الأشياء، ثم جَوّ وهي الخضرمة وهي اليمامة وهي من حَجْر على يوم وليلة» [ص ٣٠٧ صفة] وقد عثر المنقبون عن الآثار في عصرنا على آثار يمنية حميرية ونقوش بكتابة المسند الحميرية في سائر أرجاء وخرائب وادي حجر باليمامة، ذكرها جواد علي في كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج ١).

[١٠٨] - يعني أن بلدة اليمامة - أي عاصمتها قبل (حجر) - وهي مدينة جَوّ ثم سميت اليمامة باسم زرقاء اليمامة سماها بذلك تبع الآخر وهو الملك الحميري حسان تبع في عصر دولة تبابعة حمير كما تقدم في الفصل الخاص بملوك حمير التبابعة.

وقال الطبري: إن رمل عالج بين اليمامة والشحر^[١٠٩] وهي من أرض وبار، وكانت اليمامة والطائف لبني هِزَّان بن يَعْفَر بن السَّكْسَك^[١١٠] وغلبتهم عليها طَسَم وجديس ثم غلب بنو هِزَّان أخيراً وملكوا اليمامة، وطسم وجديس في تبعهم، وكان آخر ملوك بني هزان قُرط بن جعفر فمات، وغلبتهم طسم على اليمامة، وكان منهم عمليق وأخباره معروفة ثم غلبت جديس ومنهم اليمامة التي سميت مدينة جَوَّ بها وأخبارها معروفة^[١١١] ثم استولى على اليمامة بعد طسم وجديس بنو حنيفة^[١١٢] كان منهم هوذة بن علي ملك اليمامة وتزوج، ويقال إنما كانت خزازات تنظم ولم يتوَّج أحد من بني معدَّ قط، ثم كان ثمامة بن أثال ملك اليمامة على عهد النبوة، وأسر وأسلم وثبت عند الردة، وكان منهم مسيلمة وأخباره معروفة.

قال ابن سعيد: وسألت عرب البحرين وبعض مذحج، لمن اليمامة اليوم؟ فقالوا لعرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر.

بلاد حضرموت: قال ابن حوقل: هي في شرقي عدن بقرب البحر ومدينتها صغيرة ولها أعمال عريضة^[١١٣] وبينها وبين عدن، وعمان من الجهة الأخرى، رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وكانت مواطن لعاد وبها قبر هود عليه السلام^[١١٤]،

[١٠٩] - كانت مساكن قبائل كلب الحميرية وسيادتها تمتد من رملة عالج إلى تدمر بالشام وفي ذلك قال الشاعر البارقي:

وكلب لها ما بين رملة عالج إلى الحرّة الرجلاء من أرض تدمر

[١١٠] - بنو هزان من قبائل اليمن الحميرية السبائية القديمة وكانوا سكان وحكام اليمامة في عصور دولة تبابعة سبأ إلى عصور معين.

[١١١] - كان حكم طسم لليمامة في إطار الولاء لدولة اليمن الحميرية وملوكها ثم تغلبت جديس فغزاهم وقضى عليهم حسان تبع.

[١١٢] - كانت اليمامة تحت حكم ملوك كندة اليمانيين، وتم العثور في أطلال مدينة (قُرَيْة) باليمامة على آثار دولتهم وحكمهم ثم تلاهم بنو حنيفة ثم تلتهم قبيلة طيء اليمانية ثم تلاها بن حنيفة.

[١١٣] - حضرموت محافظة كبيرة من محافظات اليمن، وكانت تمتد «من شرقي عدن» - أي من شرقي أعمال عدن لأن أعمال عدن كانت تشمل لحج وأبين إلى شبوة ثم تليها - شرقاً - حضرموت، قال الهمداني «حضرموت من اليمن وهي جزؤه الأصغر، نسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر فغلب عليها اسم ساكنها» [ص ١٦٧ - صفة جزيرة العرب] وقال ابن خلدون في فقرة لاحقة هنا إن حضرموت «معدودة من اليمن» ثم قال في فقرة أخيرة إن «هذه البلاد سميت باسم حضرموت بن يعرب بن قحطان» وقد تقدم الحديث بالتفصيل عن ذلك.

[١١٤] - ما يزال قبر النبي هود معروفاً، يزوره الناس حتى اليوم في السوم شرقي تريم.

وفي وسطها جبل شَبَام، وهي في الإقليم الأول، وبعدها عن خط الاستواء اثنتا عشرة درجة، وهي معدودة من اليمن، بلا نخل وشجر ومزارع، وأكثر أهلها يحكمون بأحكام عليّ وفاطمة ويبنغضون علياً للتحكيم^[١١٥].

وأكبر مدينة بها الآن قلعة شبام فيها خيل الملك^[١١٦]، وكانت لعاد مع الشحر وعمان ثم غلبهم عليها بنو يعرب بن قحطان^[١١٧] ويقال إن الذي دلّ عاداً على جزيرة العرب هو رقيم بن إرم، كان سبق إليها مع النبي هود فرجع إلى عاد ودلّهم عليها وعلى دخولها بالجوار، فلما دخلوا غلبوا على من فيها^[١١٨]، ثم غلبهم بنو يعرب بن قحطان بعد ذلك وولى على البلاد، فكانت ولاية ابنه حضرموت على هذه البلاد وبه سُميت^[١١٩].

الشحر: من ممالك جزيرة العرب مثل الحجاز واليمن، وهو منفصل عن

[١١٥] - كان المذهب الأباضي منتشرًا في حضرموت ثم سادها مذهب أهل السنة في عصر دولة اليمن الرسولية الغسانية التي شمل سلطانها كل اليمن ومنها حضرموت والشحر وظفار طيلة ٢٣٠ سنة كما تقدم حيث كانت شبام عاصمة وادي حضرموت ومدينة الشحر عاصمة ساحل حضرموت والمهرة.

[١١٦] - كانت مدينة شبام عاصمة ومركز حضرموت وبالذات وادي حضرموت في إطار ولاية اليمن منذ فجر الإسلام إلى عصر دولة اليمن الصليحية ثم في عصر دولة اليمن الرسولية الغسانية - التي عاصرها ابن خلدون - قال الهمداني «وأما شبام فهي مدينة الجميع الكبيرة وبها ثلاثون مسجداً... وهي أول بلد حمير» [ص ١٧٢ - صفة جزيرة العرب].

[١١٧] - يعني أن حضرموت والشحر وعمان كانت مساكن عاد الأولى في الزمن الأقدم قبل العصر العربي القحطاني كما تقدم في انباء عاد الأولى.

[١١٨] - عاد من قبائل إرم بن سام وكانت تسكن وسط وغربي اليمن ومنه انتشرت إلى حضرموت حيث سكنت عاد منذ الزمن الأقدم وذلك قبل النبي هود بقرون كثيرة لأن النبي هود من إحدى قبائل عاد كما سلف بيان ذلك في كلام ابن خلدون عن عاد والنبي هود وحضرموت.

[١١٩] - هو حضرموت بن يعرب بن قحطان بن النبي هود العادي عليه السلام وباسمه سُمي وادي حضرموت في الزمن الأقدم... أما بلاد حضرموت بأكملها فسميت باسم الأمير حضرموت بن الملك حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر في أول عصور دولة تبابعة سبأ... وجاء اسم حضرموت كأحد أقاليم ومخاليف اليمن في نقوش، ولقب ملوك سبأ وحمير التبابعة منذ عهد الملك شمر يرعش بصيغة «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانت» إلى آخر عصور دولة اليمن الحميرية الوندوية... وتعتبر حضرموت حالياً من أكبر محافظات الجمهورية اليمنية من حيث المساحة فهي ٢٩ بالمئة من مساحة الجمهورية اليمنية وعاصمتها الإدارية مدينة المكلا، أما شبام فما تزال إحدى المدن الكبيرة في وادي حضرموت التاسع.

حضر موت وعمان. والذي يُسمى الشجر قصبته^[١٢٠]، ولا زرع فيه ولا نخل إنما أموالهم الإبل والمعز ومعاشهم من اللحوم والألبان ومن السمك الصغار ويعلفونها للدواب.

وتُسمى هذه البلاد أيضاً بلاد مهرة^[١٢١] ونها الإبل المهرية، وقد يضاف الشجر إلى عمان، وهو ملاصق لحضرموت، وقيل هو ساحلها، وفي هذه البلاد يوجد اللبان وفي ساحله العنبر الشحري^[١٢٢] وهو متصل في جهة الشرق ومن غربيها بساحل البحر الهندي الذي عليه عدن، وفي شرقيها بلاد عمان وجنوبيها بحر الهند،

[١٢٠] - قال نشوان الحميري: «الشَّحْرُ: ساحل البحر بين اليمن وعمان، قال العجاج:

رَحَلْتُ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ الرَّحْلِ مِنْ قُلَلِ الشَّحْرِ فَجَنَّبِي مَوْكِلٍ

[٥٣ - المنتخب].

وكانت مدينة الشجر تسمى في العصور الحميرية (الاسعاء) - كما في نقوش المسند - وكانت الميناء والعاصمة الإدارية لكل مناطق ساحل حضرموت والمهرة إلى ظفار وتخوم عمان، وقد ذكر الهمداني مدن وقرى وادي حضرموت ثم قال: «وساحل هذه القرى الأسعاء موضع أبي ثور المهري [ص ١٧٥ صفة جزيرة العرب] - وازدهرت الشجر في عصر دولة اليمن الرسولية منذ عهد الملك المظفر الرسولي الغساني ملك اليمن (٦٤٧ - ٦٩٤ هـ) وكان نائب الشجر الأمير عبد الرحمن بن راشد الكندي (٦٤٧ - ٦٦٤ هـ) ثم راشد بن شجعنة الكندي، وفي فترة نيابته تم تجديد وتوسيع مدينة الشجر - بأمر الملك المظفر عام ٦٧٠ هـ. . وقام المظفر بتولية ابنه المؤيد بن المظفر أميراً نائباً على الشجر وأعمالها عام ٦٩٣ هـ مما يدل على أهمية الشجر لأن المؤيد كان نائباً لصنعاء ومخاليقها (٦٨٧ - ٦٩٣ هـ) ثم أصبح نائباً للشجر وأعمالها (٦٩٣ - ٦٩٤ هـ) ثم ملكاً لليمن (٦٩٦ - ٧٢١ هـ).

[١٢١] - بلاد مهرة هي محافظة المهرة حالياً إلى ظفار وما يليها من اليمن، وكانت مدينة الشجر هي العاصمة الإدارية لكل ساحل حضرموت وبلاد المهرة، لذلك كان اسم الشجر يشملها وكذلك جزيرة سقطرى وينتمي سكانها في الأصل إلى المهرة.

[١٢٢] - كان اللبان والبخور أهم منتجات تلك المنطقة منذ عصور سبأ وحمير وكان اللبان (البخور) أهم وأغلى منتجات وصادرات اليمن في تلك العصور إلى اليونان والرومان ومصر وبابل وغيرها، ثم تلاشت أهمية اللبان (البخور) بعد ظهور المسيحية والإسلام. . ثم قامت دولة اليمن الرسولية بتشجيع إنتاج وزراعة اللبان (البخور) حيث يذكر الرحالة الإيطالي ماركو بولو في كتاب رحلته إلى الشرق (١٢٧١ - ١٢٩٥ هـ) - أيام الملك المظفر - «إن منطقة الشجر تنتج كثيراً من البخور (اللبان) الأبيض، يعود بالريح الطائل على الملك (المظفر) فهو يستقل بشرائه وبيعه، فيشتري المثقال بعشرة دنانير، وبيعه للتجار بستين ديناراً، فيحصل له من ذلك مال جزيل» [أهـ] ويتبين من ذلك أن الدولة كانت تتولى شراء المحصول وتسويقه في إطار النشاط التجاري - داخلياً وخارجياً - وكانت تُصنع منه أنواع من الطيوب والعطور.

مستطيلة عليه، وشماليتها حضرموت كأنها ساحل لها^[١٢٣] ويكونان معاً لملك واحد، وهي في الإقليم الأول وأشدّ حرّاً من حضرموت.

وكانت في القديم لعاد، وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت أو من قضاة، وهم كالوحوش في تلك الرمال^[١٢٤] ودينهم الخارجية على رأي الأباضية منهم^[١٢٥].

وأول من نزل بالشحر من الفحطانية مالك بن حمير^[١٢٦] خرج على أخيه وائل وهو ملك بقصر غمدان فحاربه طويلاً^[١٢٧]، ومات مالك، فولي بعده ابنه قضاة بن مالك، فلم يزل السكسك بن وائل يحاربه إلى أن قهره^[١٢٨] واقتصر قضاة على بلاد مهرة^[١٢٩]، وملك بعده ابنه الحاف، ثم مالك بن الحاف وانتقل إلى عمان وبها كان سلطانه.

قال البيهقي: وملك مهرة بن حيدان بن الحاف بلاد قضاة وحارب عمه

[١٢٣] - تقع الشحر بالفعل في ساحل حضرموت، فكانت مناطق ساحل حضرموت كلها من أعمال الشحر، ولم تكن مدينة المكلا موجودة آنذاك، فكانت الشحر - كمدينة وميناء - تقوم مقام مدينة المكلا - (العاصمة الإدارية لحضرموت في أيامنا) - ومدينة الغيظة - (العاصمة الإدارية لمحافظة المهرة في أيامنا) - وقد اقتصر اسم الشحر حالياً على مديرية الشحر بمحافظة حضرموت.

[١٢٤] - أغلب سكان المهرة من البدو الرحل وينتشرون في رمال وبوادي المهرة ذات المساحات الشاسعة التي تمتد إلى وسط الربع الخالي.

[١٢٥] - المقصود المذهب الأباضي وكان سائداً في حضرموت والشحر وظفار - كما في عمان - قال الهمداني في حديثه عن حضرموت والشحر «موضع الإمام الذي يأمر الأباضية وينهي: في مدينة دوعن» [ص ١٧٥] وقد سادها مذهب الشافعي والسنة منذ عصر الدولة الرسولية غالباً.

[١٢٦] - هو الأمير مالك بن حمير الصوار بن سبأ عبد شمس بن وائل وكان أميراً نائباً لإقليم الشحر الذي كان يُسمى (يُمانت) قديماً.

[١٢٧] - هو الملك وائل (ولليل) بن حمير الصوار بن سبأ عبد شمس وكان ملك اليمن، ويمتد نفوذه إلى بابل حيث ذكرته الألواح المسمارية الآمورية البابلية بلفظ «سوم ولليل ملك سبأ وبابل» وكان عهده عام (١٨٩٤ - ١٨٥٨ قبل الميلاد) كما تقدم في الفصل الأول.

[١٢٨] - هو الملك السكسك سايبثوم بن ولليل (وائل) المشهور بلقب الضحاك وامتد نفوذه إلى بابل وكان عهده (١٨٥٨ - ١٨٤٤ ق.م.).

[١٢٩] - هو الملك قضاة بن مالك بن حمير، وإليه تنتسب قبائل قضاة، وكان معاصراً للسكسك سايبثوم وابنه (آبل بن سايبثوم ١٨٤٣ - ١٨٢٦).

مالك بن الحاف صاحب عُمان حتى غلبهم عليها^[١٣٠]، وليس لهم اليوم في غير بلادهم ذكر.

وببلاد الشحر مدينة مرباط وظفار على وزن نزال^[١٣١] وظَفَار دار مُلك التبابعة^[١٣٢] ومرباط بساحل الشحر، وقد خربت هاتان المدينتان، وكان أحمد بن محمد بن محمود الحميري ولقبه الباخودة وكان تاجراً كثير المال، تقرب إلى صاحب مرباط بالتجارة حتى استوزره ثم هلك، فملكها أحمد الباخودة ثم خربها وخرب ظفار سنة تسع عشرة وستمائة، وبني على الساحل مدينة ظَفَار بضم الظاء المعجمة وسماها الأحمدية باسمه وخرب القديمة لأنها لم يكن لها مرسى^[١٣٣].

[١٣٠] - كان ملك اليمن آنذاك الملطاط - سين مبلاط - بن أبل بن السكسك (١٨٢٦ - ١٧٩٣ ق.م.) - كما في نصوص بابل - ولما استقل الملك مهرة بن حيدان بحكم منطقة الشحر وما يليها إلى عمان سميت البلاد باسمه (بلاد مهرة). وتعاقب على الحكم ملوك من سلالته في عصر عاد الثانية وهم ملوك اليمن من بني شمس عاد بن سين مبلاط (١٧٩٢ - ١٣٤٠ ق.م.) ثم سمي ذلك الإقليم (يُمانت) في عصور دولة تبابعة سبأ الوحودية (١٢٣٠ - ٥٣٠ ق.م.) وجاء اسم (مهرة) في نقوش الدولة الحميرية كأحد مخاليف دولة اليمن الحميرية في القرن الخامس والقرن السادس الميلادي.

[١٣١] - كانت منطقة ظفار الشاسعة جزءاً من بلاد الشحر والمهرة في إطار دولة وولاية اليمن، ثم استقل بحكم منطقة ظفار الأمير أحمد بن محمد الحبوضي الحميري (عام ٦٠٠هـ) وأصبح سلطاناً لإقليم سلطنة ظفار - وذلك في عصر الحكم الأيوبي لليمن كما تقدم - وكانت مدينة ظفار هي المدينة الرئيسية ومدينة المرباط الميناء الساحلي وكذلك ميناء قلهات.

[١٣٢] - المقصود هنا التمييز بين مدينة ظفار - بفتح الظاء - وهي عاصمة الدولة الحميرية وملوكها التبابعة وكان موقعها في ناحية السدة بمحافظة اب حالياً، وبين ظفار هذه - بضم الظاء (في سلطنة عُمان حالياً).

[١٣٣] - أخرج السلطان أحمد الحبوضي الحميري مدينة ظفار القديمة وذلك - كما قال ابن المجاور - «في سنة ٦١٨هـ خوفاً من غزو المسعود الأيوبي (والي اليمن ٦١٢ - ٦٢٦هـ) وقام ببناء مدينة على الساحل سُميت أيضاً ظفار وسكنها الناس عام ٦٢٠هـ.». (١هـ) والأرجح ما ذكره ابن خلدون كسبب لخراب ظفار القديمة وبناء ظفار الثانية على ساحل البحر، فأصبحت عاصمة سلطنة ظفار ومقر ملوكها الحبوضيين الحميريين إلى عام ٦٧٨هـ حيث انضوت في دولة اليمن الرسولية الغسانية بزعامة الملك المظفر في ٢٨ رجب ٦٧٨هـ وقام المظفر بتولية ابنه الوثاق إبراهيم بن المظفر أميراً نائباً لظفار، وكانت منطقة ظفار تمتد إلى تخوم عمان لأن عُمان إنما هي المنطقة الساحلية المطلية على الخليج العربي فقط، وقد ازدهرت مدينة ظفار وأعمالها الشاسعة (إقليم ظفار) في ظل دولة اليمن الرسولية منذ عهد المظفر (٦٧٨هـ) إلى نهاية الدولة الرسولية (٨٥٨هـ) وكذلك في عصر دولة اليمن الطاهرية (٨٥٨ - ٩٥٤هـ/١٤٥٤ - ١٥٣٨م) التي كانت تشمل أيضاً إقليم ظفار.

نجران: قال صاحب الكوائم: هي صقع منفرد عن اليمن، وقال غيره هي من اليمن [١٣٤].

قال البيهقي: مسافتها عشرون مرحلة، وهي شرقي صنعاء وشماليتها وتوالي الحجاز [١٣٥] وفيها مدينتان: نجران وجُرَش متقاربتان في القدر [١٣٦]، والبادية غالبية عليها، وسكانها كالأعراب، وبها كعبة نجران بُنيت على هيئة غمدان كعبة اليمن، وكانت طائفة من العرب تحج إليها وتنحر عندها وتُسمى الدير، وبها كان قس بن ساعدة يتعبد [١٣٧].

[١٣٤] - نجران جزء لا يتجزأ من اليمن عبر التاريخ، ولكن سلطان دولة اليمن كان لا يشمل نجران في بعض الفترات ومنها أيام صاحب الكوائم حيث كان يحكم نجران ومخاليفها بنو عبد المدان بن الديان وهم زعماء نجران ومن أقبال اليمن، ولا يعني ذلك أنها (صقع منفرد عن اليمن) وإنما كانت (صقلاً من اليمن منفرداً عن حكم ملك اليمن آنذاك) . . . وقد تقدم قول ابن خلدون «والتحقيق أن اليمامة من الحجاز كما نجران من اليمن، وكذلك قال ابن حوقل» (اه) - كما تقدم أيضاً قول ابن خلدون: «سميت نجران باسم نجران بن زيدان بن سبأ» (اه) وجاء في شمس العلوم: «نجران اسم وادٍ باليمن سُمي بنجران بن زيدان بن سبأ الأوسط» وقال الفرزدق:

سمونا لنجران اليماني أهله ونجران أرض لا تدين مقاوله

[١٣٥] - المقصود هنا مخلاف نجران - بمدلوله الواسع القديم - وكان مخلاف صنعاء يشمل الجوف وصعدة إلى تخوم نجران شرقاً وشمالاً، فالقول بأن نجران «شرقي صنعاء وشماليتها» المقصود: «شرقي مخلاف صنعاء وشماليتها» وكان مخلاف نجران وأعمالها يمتد إلى تخوم الحجاز وهو المقصود بعبارة أن نجران «توالي الحجاز» لأن مخلاف نجران كان يمتد إلى تخوم الطائف وتخوم مكة، ويعزز ذلك قوله إن مسافة نجران عشرون مرحلة - أي مسافة عشرين يوماً في السير بالأقدام - فالمقصود مساحة مخلاف نجران إلى تخوم الحجاز وتخوم اليمامة . . . قال ابن المجاور: «نجران إقليم طويل عريض من اليمن . . .» [ص ٤٠ - المستبصر].

[١٣٦] - مدينة نجران هي عاصمة ومركز مخلاف نجران . . . وقد ذكرت نجران نقوش المسند الحميرية منذ أقدم نقوش عصور تبابعة سبأ في القرن العاشر قبل الميلاد إلى آخر نقوش تبابعة الدولة الحميرية في القرن السادس الميلادي . . . قال ابن المجاور: « . . . ومدينة الأصل - أي قاعدة مخلاف نجران هي مدينة - نجران، وسرير ملك نجران حصن مانع ما بين نجران والجبال - (جبال اليمن) - وكان ولاية نجران بنو عبد المدان بن الديان . . .» [اه] - أما مدينة جرش فقد تقدم الحديث عنها في تبالة وسروات عسير.

[١٣٧] - كانت كعبة نجران مشهورة أيام الجاهلية وولاية بني عبد المدان، وفيها قال الشاعر أعشى قيس الجاهلي:

وكعبة نجران حتم عليك حتى تُنيخ بأبوابها
تزور يزيداً وعبد المسيح وقيساً هم خير أربابها

ونزلها من القحطانية طائفة من جرهم ثم غلبهم عليها بنو حمير، وصاروا ولاية للتبابعة، وكانوا كل من ملك منهم يُلقب الأفعى، وكان منهم أفعى نجران واسمه القَلْمَس بن عمرو بن همدان بن مالك بن منتاب بن زيد بن وائل بن حمير، كان كاهناً وهو الذي حكم بين أولاد نزار لما أتوه حسبما هو مذكور، وكان والياً على نجران لبلقيس فبعثته إلى سليمان عليه السلام، وبث دين اليهودية في قومه وطال عُمره، ويقال إن البحرين والمشلل كانتا له [١٣٨].

ثم نزل نجران بنو مذحج واستولوا عليها ومنهم بنو الحرث بن كعب، وقال غيره لما خرجت اليمانية في سيل العرم مرّوا بنجران فحاربتهم مذحج ومنها افترقوا [١٣٩].

قال ابن حزم: ونزل في جوار مذحج بالصلح الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ثم غلبوا عليها مذحجاً وصارت لهم رياستها [١٤٠]. ودخلت النصرانية نجران من فيمّون وخبره معروف في كتب السير.

وانتهت رياسة بني الحارث فيها إلى بني الديان [١٤١]، ثم صارت إلى بني عبد

= وجاء في دراسة عن نجران بصحيفة الحياة في يوليو ١٩٩٢م أنه: «تقع آثار كعبة نجران على قمة جبل تصلال على بعد ٣٥ كلم من مدينة نجران، وقد ذكرت كتب التاريخ أنها بنيت على أيدي بني عبد المدان بن الديان الحارثي، وشيدت على طراف الكعبة، ويقال إن العرب في الجاهلية حجوا إليها مدة أربعين سنة. وعندما تتجه ببصرك إلى الغرب تجد أمامك جبلاً مخروطياً ذا ارتفاع شاهق يشق وادي نجران يسمى (جبل رعوم) وفي قمته بناء أبيض صغير هو بقايا قصر من القصور القديمة» (اه) ويبدو أنه قصر ومقر ملوك وولاية نجران بني عبد المدان الذي ذكر ابن المجاور أنه «حصن مانع...».

[١٣٨] - تقدم الحديث بالتفصيل عن تاريخ وولاية نجران في تلك العصور الأقدم بالفصول السابقة مما يغني عن إعادة التبيين هنا.

[١٣٩] - المقصود «لما خرجت الأزد من مأرب في سيل العرم» وكانت مذحج تسكن نجران فسار الأزد من نجران إلى الحجاز وما يليها.

[١٤٠] - الثابت أن بني الحرث بن كعب من مذحج - وليسوا من الأزد - قال الحرث بن زياد بن أنس بن الديان سليل الحرث بن كعب:

ونحن بحمدِ الله هامة مذحج بنو الحرث الخير الذي هم مدر

[١٤١] - هو الديان بن قطن الحارثي كان أمير ونائب مخالف نجران في آخر الدولة الحميرية، وكان بنو الديان من أقبال اليمن، قال الشاعر يزيد بن عبد المدان بن الديان:

إن تلقى حيّ بني الديان تلقهم شم الأنوف إليهم غرة اليمن

ما كان في الناس للديان من شبه إلا رعيين وإلا آل ذي يزن

المدان^[١٤٢] ثم كان يزيد منهم على عهد النبي ﷺ، وأسلم على يد خالد بن الوليد ووفد مع قومه^[١٤٣] ولم يذكره ابن عبد البر وهو مستدرک علیه، وابن أخيه زياد بن عبد الله بن عبد المدان خال السفاح ولاءه نجران واليمامة^[١٤٤] وخلف ابنه محمداً ويحيى .

ودخلت المائة الرابعة والمُلك بها لبني أبي الجود ابن عبد المدان، واتصل فيهم وكان بينهم وبين الفاطميين حروب^[١٤٥] وربما يغلبونهم بعض الأحيان على نجران، وكان آخرهم عبد القيس الذي أخذ عليّ بن مهدي المُلك من يده، ذكره عمارة وأثنى عليه^[١٤٦]، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

[١٤٢] - كان عبد المدان بن الديان من أشهر وأكرم أقبال اليمن، وبذلك وصفه ومدحه أمية بن أبي الصلت قائلاً:

ولقد رأيت القائلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بنبي السديان
ورأيت من عبد المدان خلثقاً فضل الأنام بهن عبد مدان

[١٤٣] - هو الأمير الصحابي يزيد بن عبد المدان بن الديان الحارثي، وقد تقدم نبأ ذلك .
[١٤٤] - كان ذلك في اطار ولاية اليمن، وقد تقدم ذكر ولاية اليمن في عصر الخلفاء العباسيين الأوائل، وكان منهم محمد بن عبد الله بن يزيد بن عبد المدان (١٣٢هـ) ووالي اليمن علي بن الربيع بن عبيد الله بن عبد المدان (١٣٢ - ١٣٧هـ) ثم الربيع بن عبد الله بن الربيع عام ١٦٩ - ١٧٩هـ .

[١٤٥] - المقصود في عصر الدولة الصليحية التي شملت نجران وكل اليمن في القرن الخامس الهجري كما تقدم .

[١٤٦] - كان عبد القيس بن أبي الجواد أميراً لنجران وأعمالها إلى أيام الملك علي بن مهدي الرعيني (٥٤٦ - ٥٥٤هـ) ثم كان آخر من تولى نجران من بني عبد المدان - كما ذكر ابن المجاور: «... أخوين يقال لأحدهما القاضي والثاني القاضي وهما آخر من تولى نجران من بني عبد المدان، وفي عهدهم دخلت عليه يد الأمير محمد بن عبد الله بن حمزة لأن محمد بن عبد الله بن حمزة وأخاه أحمد تزوجا بأختي القاضي والقاضي سنة ٦٢٣ هجرية» (اهـ) ثم انضوت نجران وأعمالها إلى تخوم مكة في دولة اليمن الرسولية الغسانية (٦٢٦ - ٨٥٨هـ) التي في عهد سابغ ملوكها الأشرف إسماعيل (٧٧٨ - ٨٠٣هـ/١٣٧٦ - ١٤٠٠م) كتب ابن خلدون هذه الفصول الأخيرة عن اليمن حيث تقدم قول ابن خلدون: «وهو - أي الأشرف إسماعيل - صاحب اليمن لهذا العهد سنة ست وتسعين وسبعمائة» [اهـ] ثم توفي ابن خلدون عام ٨٠٨هـ (١٤٠٥م) تغمدته الله بواسع رحمته، والله وارث الأرض وما عليها، والحمد لله رب العالمين .
- انتهى (١٠ ذي الحجة ١٤١٩ هجرية الموافق ٢٧ مارس ١٩٩٩م - صنعاء).

فهرس المحتويات

مقدمة ٥

الفصل الأول

الطبقة الأولى من العرب وهم العرب العاربة وذكر نسبهم والإمام بملكهم ودولهم
على الجملة ٧

الفصل الثاني

الطبقة الثانية من العرب (وهم بنو قحطان ويُعرفون باليمانية والسبائية) وذكر أنسابهم
وأيامهم وملوكهم والإمام ببعض الدول التي كانت على عهدهم ٢٦
نسب قحطان ٢٧
عصر التكوين القحطاني ٢٩
دولة يمن يعرب بن قحطان ٣٠
عصور وملوك دولة سبأ الأقدم ٣٣
«ملحق كرونولوجيا ملوك عصور دولة اليمن السبائية الأقدم ٤٠

الفصل الثالث

الخبر عن الملوك التابعة من حمير ودولتهم باليمن ومصائر أمورهم ٤٤
ملوك العصر الثاني لتبابعة سبأ ٥٠
غزو الملك ياسر إلى المغرب ٥٥
«العصر الثالث لملوك سبأ التابعة الحميريين» ٥٦
«العصر الرابع والأخير لملوك سبأ التابعة الحميريين» ٦٠
ملحق: كرونولوجيا - ترتيب وزمن - ملوك سبأ التابعة وعصورهم ٧٢

الفصل الرابع

ملوك وتبابعة الدولة الحميرية ٧٧
الخبر عن ذي نواس وما بعده ٨٤
قصة سيف بن ذي يزن ٩٣
معد يكر ب بن سيف بن ذي يزن . . . ونهاية عصور التبابعة ٩٦

الفصل الخامس

الخبر عن شعوب حمير وقضاعة بن مالك بن حمير ١٠١

- الخبر عن حمير من القحطانية وبتونها وتفرع شعوبها ١٠١
 أنساب حضرموت وجهرم ١٠٤
 الخبر عن قضاة وبتونها والإمام ببعض المُلْك الذي كان فيها ١٠٨
 تشعب البتون من قضاة ١١٠

الفصل السادس

- الخبر عن بطون كهلان من القحطانية وشعوبهم واتصال بعضها مع بعض وانقضائها ١٢١
 بطون ومواطن طيء ١٣٠

الفصل السابع

- قبائل اليمن من قحطان الذين كان المُلْك فيهم بالعراق والحجاز والشام الخبر عن ملوك
 الحيرة من آل المنذر من هذه الطبقة وكيف انساق المُلْك إليهم ممن قبلهم وكيف صار
 إلى طيء من بعدهم ١٤٤

الفصل الثامن

- الخبر عن ملوك كندة من هذه الطبقة ومبدأ أمرهم وتصاريف أحوالهم ١٧٥

الفصل التاسع

- الخبر عن أبناء جفنة ملوك غسان بالشام وأوليتهم ودولهم وكيف انساق المُلْك إليهم ممن
 قبلهم ١٨٧
 الخبر عن غسان ١٩١
 ملوك الشام الغساسنة ١٩٦

الفصل العاشر

- الخبر عن الأوس والخزرج أبناء قبيلة من هذه الطبقة، ملوك يشرب دار الهجرة وذكر
 أوليتهم والإمام بشأن نُصرتهم وكيف انقرض أمرهم ٢١٠
 بطون الأوس والخزرج ٢١٥
 فكان بنو الأوس كلهم لمالك بن الأوس ٢١٦
 وأما الخزرج فخمسة بطون من كعب وعمرو وجشم والحارث ٢١٦

الفصل الحادي عشر

- وفود اليمن إلى رسول الله ﷺ وعماله على اليمن وخبر الأسود العنسي ٢٣٢
 خبر باذان عامل كسرى في اليمن ٢٣٢
 الوفود ٢٣٥
 عمال النبي ﷺ على اليمن ٢٤٧
 خبر الأسود العنسي ٢٤٩

الفصل الثاني عشر

- ٢٥٨ الخبر عن اليمن في عصر الخلافة الإسلامية الراشدة
- ٢٥٨ خبر السقيفة
- ٢٦١ ثورة قيس بن مكشوح المرادي
- ٢٦٦ خبر فتنة الناقة في حضرموت
- ٢٧٠ خبر ردة أهل عمان ومهرة باليمن
- ٢٧٣ الخبر عن مسير أهل اليمن في فتوح الشام
- ٢٧٨ موقعة اليرموك
- ٢٨٢ فتح دمشق

الفصل الثالث عشر

- ولاية يعلى بن منية على اليمن . . والخبر عن أهل اليمن في فتوح العراق وفارس وما رآقها . . . في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان
- ٢٨٥ ولاية يعلى بن منية على اليمن
- ٢٨٥ بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى العراق وفتوحاته
- ٢٨٧ فتوح جرير بعد موقعة البويب
- ٢٩٠ مُتَّخَبٌ من أخبار القادسية
- ٢٩١ فتح المدائن وجلولاء وما بعدها
- ٣٠١ ولاية العلاء بن الحضرمي على البحرين . . والخبر عن غزو فارس من البحرين وعزل العلاء عن البصرة ثم المغيرة وولاية أبي موسى
- ٣٠٦ غزو بلاد فارس من ناحية البحرين وعزل العلاء ثم المغيرة وولاية أبي موسى
- ٣١٠ عزل المغيرة وولاية أبي موسى الأشعري على البصرة
- ٣١٣ بناء البصرة والكوفة
- ٣١٦ وقعة نهاوند وما كان بعدها من الفتوحات
- ٣٢٥ فتوح أبي موسى والأمراء اليمنيين بعد نهاوند
- ٣٢٨ فتح همدان وقزوين
- ٣٣٢ فتح أذربيجان
- ٣٣٤ من فتوح بقية بلاد فارس
- ٣٣٥ فتح إقليم كرمان
- ٣٣٧ فتح إقليم سجستان
- ٣٣٨ تنمة الخبر عن فتوح الشام
- ٣٤١ طاعون عمواس . . وتولية معاوية
- ٣٤٤ فتح مصر
- ٣٤٦ نقض أهل الإسكندرية وفتحها
- ٣٤٩

- فتح أفريقية ٣٤٩
 فتح أفريقية بقيادة معاوية بن حُديج السكوني ٣٥٢
 فتح قبرص ٣٥٣
 ولاية اليمن في فتنة مقتل عثمان وخلافة علي بن أبي طالب ٣٥٨

الفصل الرابع عشر

- أخبار اليمن وأعلام القادة والأمراء اليمنيين خارج اليمن في عصر الخلفاء الأمويين الأوائل ٣٦١
 خلافة معاوية بن أبي سفيان ٣٦١
 من عمال معاوية على الأمصار ٣٦٣
 الخبر عن مصر وأفريقية ٣٦٩
 من أبناء اليمن وأعلام اليمثيين في عهد يزيد بن معاوية ٣٧٣
 فترة الصراع المرواني - الزبيري ٣٧٥
 اليمن وأعلام اليمنيين في خلافة عبد الملك بن مروان ٣٧٧
 ولاية المهلب على خراسان وخبر سجستان ٣٨٠
 ولاية ابن الأشعث على سجستان وفتوحاته ٣٨٣
 أخبار ثورة ابن الأشعث ومقتله ٣٨٥

الفصل الخامس عشر

- من أبناء اليمن وأعلام اليمنيين في عهد الخلفاء الأمويين ٣٩٨
 في خلافة الوليد بن عبد الملك ٣٩٨
 من أخبار يزيد بن المهلب ٤٠١
 عزل يزيد عن خراسان ٤٠١
 حبس يزيد بن المهلب وإخوته ٤٠٢
 . . في خلافة سليمان بن عبد الملك ٤٠٦
 خبر ولاية السند ٤٠٧
 ولاية يزيد بن المهلب خراسان ٤٠٩
 فتح جرجان وطبرستان ٤١١
 فتح دهستان ٤١٢
 فتح طبرستان ٤١٢
 فتح جرجان ٤١٤
 وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز ٤١٥
 من الولاة في خلافة عمر بن عبد العزيز ٤١٧
 خبر عزل يزيد بن المهلب وحبسه والولاية على أعماله ٤١٨
 ولاية الجراح ثم عبد الرحمن بن نعيم على خراسان ٤٢٠

- ٤٢١ وفاة عمر بن عبد العزيز وبيعة يزيد بن عبد الملك
- ٤٢١ ثورة يزيد بن المهلب
- ٤٢٣ بدايات ثورة ابن المهلب
- ٤٢٤ تصعيد الثورة ومبايعة ابن المهلب
- ٤٢٧ موقعة العقر
- ٤٣٤ من الولاة وأعلام اليمنيين في خلافة يزيد بن عبد الملك
- ٤٣٥ ولاية الجراح على أرمينية وفتح بلنجر

الفصل السادس عشر

- أخبار اليمن وأعلام اليمنيين في عهود الخلفاء الأمويين هشام بن عبد الملك - الوليد بن يزيد - يزيد بن الوليد - مروان بن محمد - وثورة طالب الحق عبد الله ابن يحيى الكندي - إلى نهاية الدولة الأموية
- ٤٣٨ وفاة يزيد وبيعة هشام بن عبد الملك
- ٤٣٨ من الولاة واعلام اليمنيين في خلافة هشام
- ٤٤٢ ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق
- ٤٤٤ ولاية أسد القسري على خراسان - للمرة الأولى
- ٤٤٧ أخبار ولاية السند
- ٤٤٩ ولاية الجراح الحكمي الثانية على أرمينية واستشهاده
- ٤٥٢ ولاية أسد القسري الثانية على خراسان
- ٤٥٥ «أسد... آخر عظماء الفاتحين»
- ٤٥٩ وفاة أسد بن عبد الله
- ٤٥٩ عزل خالد القسري وولاية يوسف الثقفي على العراق
- ٤٦١ خبر خالد والإمام زيد بن علي
- ٤٦٣ «خبر خالد القسري في الشام»
- ٤٦٤ وفاة هشام وبيعة الوليد بن يزيد
- ٤٦٤ مقتل خالد بن عبد الله القسري
- ٤٦٥ مقتل الخليفة الوليد بن يزيد
- ٤٦٩ خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك
- ٤٦٩ تولية الولاة والعمال
- ٤٧١ بدايات ثورة جديع الكرمانى بخراسان
- ٤٧٢ وفاة يزيد وبيعة أخيه إبراهيم
- ٤٧٢ مسيرة مروان بن محمد إلى الشام
- ٤٧٣ المعارضة اليمنية لخلافة مروان بن محمد
- ٤٧٦ خبر إسماعيل القسري ومنتصرون بن جمهور في العراق ومشارقتها

٤٧٨	ثورة جديع الكرمانى الأزدي فى خراسان
٤٨١	ثورة وخلافة طالب الحق فى اليمن
٤٨٢	انضواء مكة فى دولة طالب الحق
٤٨٤	انضواء المدينة المنورة فى دولة طالب الحق
٤٨٥	نهايات ثورة وعهد طالب الحق
٤٨٧	تطورات ثورة اليمانية بخراسان وظهور أبى مسلم والدعوة العباسية
٤٩١	مسير قحطبة للفتح
٤٩٢	استيلاء قحطبة الطائى على الريف
٤٩٢	استيلاء قحطبة على أصبهان ومقتل ابن ضبارة وفتح نهاوند
٤٩٣	فتح أبى عون الأزدي لشهرزور وناحية الموصل
٤٩٤	حرب ابن هبيرة مع قحطبة ومقتلهما وفتح الكوفة
٤٩٧	هزيمة مروان بالزاب وهروبه ومقتله بمصر
٥٠٠	مقتل مروان فى مصر واكتمال سقوط الدولة الأموية

الفصل السابع عشر

٥٠٢	أخبار اليمن وأعلام اليمينين فى عصر الخلفاء العباسيين الأوائل للدولة العربية الإسلامية
٥٠٢	فى خلافة أبى العباس السفاح
٥٠٣	الثوار بالنواحي فى خلافة أبى العباس
٥٠٦	موت السفاح وبيعة المنصور
٥٠٧	فى خلافة أبى جعفر المنصور
٥١٤	الخبر عن ولاة وولاية السند
٥١٤	انتقاض عيينة وتولية عمر بن حفص على السند
٥١٤	ولاية عمر بن حفص ثم هشام بن عمر على السند
٥١٥	إحداث فتنة بين اليمانية والمصرية . . وبناء الرصافة للمهدي
٥١٦	مقتل معن بن زائدة
٥١٧	خبر الصوائف
٥٢٠	. . فى خلافة المهدي بن أبى جعفر المنصور
٥٢٢	نكبة الوزير أبى عبيد الله الأشعري
٥٢٣	الولاية أيام المهدي
٥٢٧	. . فى خلافة موسى الهادي بن المهدي
٥٢٩	من الولاية أيام الهادي
٥٣٠	من أخبار اليمن وأعلام اليمينين فى خلافة هارون الرشيد
٥٣٣	الفتنة بدمشق بين اليمانية والمصرية
٥٣٥	فتنة الموصل ومصر

- ولاية وفتن خراسان ٥٣٦
- ولاية داود بن يزيد على السند ٥٣٨
- الصوائف وقيادة حميد الهمداني للأسطول البحري ٥٣٩
- الولاية على شمال أفريقية ٥٤١
- ولاية حماد البربري على اليمن ومقتل الهيصم ٥٤٣
- وفاة هارون الرشيد ٥٤٤
- من أخبار خلافة الأمين ٥٤٤
- الفتنة بين الأمين والمأمون ٥٤٦
- مسير ابن جبلة إلى طاهر ومقتله ٥٤٧
- بيعة المأمون . . . واستيلاء طاهر على البلاد ٥٤٨
- بيعة الحجاز واليمن للمأمون ٥٤٩
- . . . استيلاء طاهر على بغداد ومقتل الأمين ٥٤٩
- من الأخبار والولاية في خلافة المأمون ٥٥٠
- فتنة إبراهيم الجزار باليمن وعمه بمكة ٥٥٢
- من الولاية والأعلام بعد عودة المأمون ٥٥٤

الفصل الثامن عشر

أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه للعباسيين والعبديين وسائر ملوك العرب
وابتداء ذلك وتصاريفه على الجملة ثم تفصيل ذلك على مدته وممالكه واحدة بعد

- واحدة ٥٥٨
- دولة بني زياد بالدعوة العباسية . . ودولة بني يعفر ٥٥٩
- دولة بني الرسي الزيدية بصعدة ٥٦٢
- دولة علي بن الفضل وظهور دعوة العبديين باليمن ٥٦٤
- عودة إلى خبر دولة بني زياد ٥٦٦

الفصل التاسع عشر

- الخبر عن دولة بني الصليحي القائمين بدعوة العبديين باليمن ٥٧٠
- الملك الكامل علي بن محمد الصليحي ٥٧٠
- الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي ٥٧٦
- الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي ٥٧٩
- الخبر عن دولة بني نجاح بزييد موالي بني زياد ومبادئ أمورهم وتصاريف أحوالهم وخبر
قتل الملك الصليحي ٥٨٥
- مقتل سعيد بن نجاح ٥٨٨
- بنو نجاح في عهد الملكة السيدة أروى بنت أحمد ٥٨٩

- ٥٩٥ الداعي سبأ بن أبي السعود
 ٥٩٧ الأغر بن سبأ بن أبي السعود
 ٥٩٧ الملك الداعي محمد بن سبأ
 ٥٩٨ عمران بن محمد بن سبأ
 ٦٠٠ أخبار ابن مهدي الخارجي وبنيه وذكر دولتهم باليمن بدايتها وانقراضها

الفصل العشرون

- ٦٠٥ الخبر عن دولة بني أيوب وولاتهم باليمن
 ٦٠٦ مسير شمس الدولة إلى بلاد اليمن وولايته لليمن
 ٦٠٩ واقعة عمارة ومقتله
 ٦١٠ مسير سيف الإسلام طغتكين بن أيوب إلى اليمن والياً عليها
 ٦١٣ وفاة طغتكين بن أيوب باليمن ومُلك ابنه إسماعيل ثم سليمان بن تقي الدين شاهنشاه
 ٦١٥ ولاية الناصر أيوب بن طغتكين الأيوبي
 ٦١٦ ولاية سليمان بن تقي الدين شاهنشاه
 ٦١٦ ولاية مسعود بن الكامل الأيوبي على اليمن

الفصل الحادي والعشرون

- ٦١٩ الخبر عن دولة بني رسول الملوك باليمن ومبدأ أمرهم وتصاريح أحوالهم
 ٦٢٤ الملك المظفر بن المنصور
 ٦٢٧ الملك الأشرف عمر بن المظفر
 ٦٢٩ الملك المؤيد داود بن المظفر
 ٦٣٢ المجاهد بن المؤيد بن المظفر
 خلع المنصور أيوب ومقتله وعود المجاهد إلى ملكه ومنازعة الظاهر بن المنصور أيوب
 ٦٣٣ له
 ٦٣٥ وصول العساكر من مصر مدداً للمجاهد واستيلائه على أمره وصلحه مع الظاهر
 ٦٣٦ نزول الظاهر للمجاهد عن الدملة ومقتله
 حج المجاهد بن المؤيد وواقعة مع أمراء مصر واعتقاله بالكرك ثم إطلاقه ورجوعه إلى
 ٦٣٧ ملكه
 ٦٤٠ ولاية الأفضل عباس بن المجاهد . . . وولاية المنصور محمد بن الأفضل بن المجاهد
 ٦٤٢ ولاية الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس

الفصل الثاني والعشرون

- ٦٤٤ الكلام على قواعد اليمن ومُدنه واحدة بعد واحدة
 ٦٥٤ الحصون والمواقع الأخرى بأعمال صنعاء
 ٦٦٤ البلاد المُضافة إلى اليمن

هذا الكتاب

عبد الرحمن بن خلدون ذروة سامقة بين ذرى عربية عديدة شنع ضوؤها عبر التاريخ العربي. ولعل ابن خلدون يمثل ذروة الذرى هذه، باعتبار أن ضوؤه سابق لاحق، قديم جديد، فرغم مرور الأزمان وتوالي العصور ما يزال ضوء عبقريته يخطف الأذهان قبل الأبصار، والعقول قبل القلوب، وما تزال اكتشافات عبقريته، وتاملاته، وتجربته بؤرة اهتمام الجامعات، والعلماء والدارسين في أنحاء العالم.

إن هذه الشخصية الفذة مثال بارز للشخصية العربية المتوهجة بالتأمل، الناضجة بالقلق، المعجونة بالتساؤل، وهي المعالم الرئيسية الغالبة في إنتاجه الفكري وحياته كذلك. فقد قضى معظم سني عمره الست والسبعين بين حبات الصراع، ودسائس السياسة والحكام، وتقلبات الأحوال والظروف وفي عصر انحطاط ضرب الوطن العربي من مغربه إلى مشرقه.

وبين إشبيلية وغرناطة الغاربتين وبلاد المغرب العربي، والقاهرة ودمشق تناثر ضوء هذه الروح العظيمة المشتعلة بأحزان أمتها الباحثة عن الإستقرار والطمأنينة ومجد العرب، ولعل وقفته الفريدة المغامرة أمام تيمورلنك على أسوار دمشق، وتوسطه لحماية المدينة وأبنائها كانت الطعنة النافذة في أعماق هذا العبقرى الذي جاء هارباً إثر سقوط الأندلس، وتدهور الأوضاع في المغرب العربي، فإذا به الشاهد الكبير على سقوط دمشق في المشرق العربي!

عبد الرحمن بن خلدون اليماني الحضرمي - وهو التعريف الذي يُصر عليه دائماً - كتب عن اليمن كثيراً، وخاصة في الكتاب الأشهر "المبتدأ والخبر" وقد جمع الباحث والمؤرخ الأستاذ محمد حسين الفرح ما كتبه ابن خلدون عن اليمن - مدققاً ومبيناً - وشارحاً، وصادف أن الباحث محب لابن خلدون ومتحمس له وبالطبع لليمن أيضاً ولذلك فقد ناهزت تعليقاته وتبنياته الصائبة والحكمة الكتابة الأصل لابن خلدون عن اليمن، وهو جهد جدير بالإشارة والتنويه والإعجاب.

والهيئة العامة للكتاب في اليمن، سعيدة بتقديم هذا الكتاب للقارئ العربي، وذلك ضمن مشروعها الثقافي والتثويري الرائد.

خالد عبد الله الرويشان
وزير الثقافة والسياحة



الجمهورية اليمنية
وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء - ص.ب.: (٣٦) - (٢٣٧) - هاتف: ٢٣٥١١٤ - فاكس: ٢٣٥١١٣

بريد الكتروني moc@y.net.ye